مخطوطة

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

المؤلف

عبدالصمد بن محمود بن يونس (الغزنوي)

[illegible] عن قصد

واكمل هذا التفسير طبقا على ما في [illegible]

(تفسير القرآن [illegible] شاه ولي الله [illegible])

عبد الصمد بن محمود بن [illegible] الغزنوي

الجشتي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥٧٠ قرشاً

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سورة الفاتحه ٢	سورة البقره ٣	سورة آل عمران ١٠٥	سورة النساء ١٣٦	سورة المائده ١٧٦	سورة الانعام ٢٠٧
سورة الاعراف ٢٢٦	سورة الانفال ٢٦٥	سورة التوبة ٢٧٨	سورة يونس ٣٠١	سورة هود ٣١٤	سورة يوسف ٣٢٨
سورة الرعد ٣٤٥	سورة ابراهيم ٣٥٢	سورة الحجر ٣٥٧	سورة النحل ٣٦٢	سورة بنى اسرائيل ٣٧٢	سورة الكهف ٣٨٢
سورة مريم ٣٩٢	سورة طه ٣٩٨	سورة الانبياء ٤٠٦	سورة الحج ٤١٣	سورة المومنين ٤٢١	سورة النور ٤٢٥
سورة الفرقان ٤٣٣	سورة الشعرا ٤٣٧	سورة النمل ٤٤٢	سورة القصص ٤٥٠	سورة العنكبوت ٤٥٨	سورة الروم ٤٦٤
سورة لقمان ٤٦٨	سورة السجده ٤٧١	سورة الاحزاب ٤٧٤	سورة السبا ٤٨٤	سورة الملائكه ٥٠٠	سورة يس ٥٠٥
سورة الصافات ٥١٠	سورة ص ٥١٨	سورة الزمر ٥٢٧	سورة المومن ٥٣٣	سورة السجده ٥٣٩	سورة الشورى ٥٤٥
سورة الزخرف ٥٥٠	سورة الدخان ٥٥٦	سورة الجاثيه ٥٥٩	سورة الاحقاف ٥٦١	سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٦٦	سورة الفتح ٥٦٩
سورة الحجرات ٥٧٤	سورة ق ٥٧٨	سورة الذاريات ٥٨٢	سورة الطور ٥٨٤	سورة النجم ٥٨٧	سورة القمر ٥٩١
سورة الرحمن ٥٩٤	سورة الواقعه ٥٩٨	سورة الحديد ٦٠٣	سورة المجادله ٦٠٧	سورة الحشر ٦١١	سورة الممتحنه ٦١٦

سورة الصف ٦١٩	سورة الجمعه ٦٢١	سورة المنافقين ٦٢٣	سورة التغابن ٦٢٤	سورة الطلاق ٦٢٦	سورة التحريم ٦٢٩
سورة الملك ٦٣١	سورة ن ٦٣٤	سورة الحاقة ٦٣٧	سورة المعارج ٦٣٩	سورة نوح ٦٤١	سورة الجن ٦٤٣
سورة المزمل ٦٤٦	سورة المدثر ٦٤٨	سورة القيمه ٦٥١	سورة الدهر ٦٥٣	سورة المرسلات ٦٥٧	سورة النباء ٦٥٩
سورة النازعات ٦٦١	سورة عبس ٦٦٣	سورة التكوير ٦٦٥	سورة الانفطار ٦٦٧	سورة المطففين ٦٦٨	سورة الانشقاق ٦٧٠
سورة البروج ٦٧٢	سورة الطارق ٦٧٣	سورة الاعلى ٦٧٤	سورة الغاشيه ٦٧٥	سورة الفجر ٦٧٦	سورة البلد ٦٧٨
سورة الشمس ٦٧٩	سورة الليل ٦٨٠	سورة الضحى ٦٨١	سورة الم نشرح ٦٨٢	سورة التين ٦٨٣	سورة العلق ٦٨٤
سورة القدر ٦٨٥	سورة لم يكن ٦٨٦	سورة زلزلت ٦٨٧	سورة العاديات ٦٨٨	سورة القارعة ٦٨٩	سورة التكاثر ٦٩٠
سورة العصر ٦٩١	سورة الهمزه ٦٩١	سورة الفيل ٦٩٢	سورة قريش ٦٩٢	سورة الماعون ٦٩٣	سورة الكوثر ٦٩٣
	سورة الكافرون ٦٩٤	سورة النصر ٦٩٥	سورة تبت ٦٩٥	سورة اخلاص ٦٩٦	
		سورة الفلق ٦٩٨	سورة الناس ٧٠٠		

شبكة الألوكة
www.alukah.net

Bayezit Genel Kitaplığı
Kayıt No 002

CD
54140

شبكة الألوكة
www.alukah.net

Bayezit Genel [illegible]
Kayıt No. ٥٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم الحمد لله الذي اكرمنا
بالنور المبين وهدانا بالحق اليقين كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد تكفل جل ذكره بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وشرفه على كتبه المنزلة فلا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد
ولا تنقضي عجائبه [illegible] فهو الحق ما بقي الدهر وكل به سبحانه [illegible]
يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعقلون احكامه للاعراض عن الحق [illegible]
في الباطل ذلك [illegible] والله ذو الفضل العظيم [illegible]
[illegible] بكتاب الله سبحانه [illegible] وتقصيره مني [illegible]
[illegible] الادلة [illegible] والفوايد
المستنبطة [illegible] الاصول [illegible] فاجتمع الى ذلك [illegible] ترجع الى
[illegible] الدين والاعتقاد [illegible]
الله تعالى على ايمتنا المتقدمين رحمة الله عليهم اجمعين بتوفيقه اياهم بتحقيق النظر في
العلم [illegible] على غوامضه ودقايقه واحاطة بمحكمه ومتشابهه وفضايله وغرايبه ورخصه
وعزايمه ومجمله ومفسره وعمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه واستعاراته
وحقايقه واوامره ونواهيه لما امكنهم تدوين كتب الفقه وتاسيس قواعده ومن تامل
علم ان كثيرا من مسائلهم من افراد الكتب مبني على اية واحدة من كتاب الله تعالى ومنها
ما هو مبني على اثنين وثلاث وكيف يتعلق بما استنبطوه مع حسن ذلك وكثرته الا من استحكم
المنبه الاصول التي لا يسع خلافها احسن الاستحكام ولهذا صارت كتبهم في الحجة كالجبال
فانهم هم الذين سابقوا بعد عصر الصحابة الى كتبهم التي الفوها فبينوا فيها مواضع نصوص من
الشريعة ومواقف الاجتهاد وعرضوا اخبار الاحاد على الكتاب والسنن المتواترة واجماع
الامة فما وافق منها هذه الاصول الثلثة قبلوه وما خالفها طرحوه او تاولوه ثم اختار والله
المجتهدون من اقاويل المجتهدين احسنها واشبهها بالحق واصوبها اذ كان لا يسعهم القول
بكلها مع اختلافها فتدبروا وتناظروا في الترجيح بعض الاقوال على البعض على يقين منهم ان حجج الشرع
لا تتناقض [illegible] الخلاف والنقض فمن رام تخطيتهم في واحدة من مسائلها عاد خطاؤها عليه ان تامل
ما حسن التامل ولو ترك كل احد بعقله به تاه [illegible] وعلم به تدبر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما هدانا له وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله والصلاة [illegible] على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاكرم
سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين ولما نصر الله امرؤ نظر في هذا الكتاب الذي
املينا [illegible] الفكرة وحاور [illegible] النطفة ثم عرف حقه الله تعالى علينا وعليه بان يبعثه على زيادة
دلايل التوحيد واكرمه بحيازة شواهد النبوة ومعرفة الحلال والحرام من احكام الملة الحنيفية
السمحة السهلة ووفقه للوقوف على تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين وتنزيه انبيائه و
رسله صلوات الله عليهم عن زلات المسيئين حفظا للدين وردا على الملحدين هذا بصاير للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
ذو فضل على العالمين قال الشيخ الامام ركن الاسلام شمس الايمة وسراج الانام ابو الفتح
عبد الصمد بن قاضي القضاة الشهيد الامام محمود بن يونس قدس الله روحه واطال بقاء الشيخ

الامام في معنى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه تعليم منه سبحانه لعباده ليذكروا
اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها تبركا به ومعناه والله اعلم ابدا باسم الله لان حرف البا مع
ساير حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمر او مظهر فكان ضمير الابتداء في هذا الموضع الامر وفي نسق
تلاوة السورة دليل عليه وهو قوله تعالى اياك نعبد معناه قولوا اياك نعبد وانما حذف
لفظ الابتداء في اول التسمية لان الحال ينبي عنه لان القاري مبتدي والحذف في هذا الموضع
في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا حذفت احتمل اللفظ الخبر بذاته واحتمل
الامر الا ترى ان القوم اذا اجتمعوا لروية الهلال فراه واحد منهم قال لاصحابه الهلال و
الله يريد به رايته انا وانظروا انتم وكذلك قول بعض الرماة القرطاس اي اصبت
القرطاس واختلف الناس في اشتقاق الاسم فاكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو
وهو الرفعة ومعنى الاسم التنويه على الشي والدلالة عليه وقوله سميت الرجل اي رفعت
ذكره قال بعضهم انه مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى وانما لم يكتب
بسم الله بالالف لايثار التخفيف بسبب كثرة الاستعمال كما اسقطوا الالف الثانية من الرحمن
واما الله قال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل ومعناه
عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم الهة لاعتقادهم
استحقاقها العبادة وقال بعضهم هو من قولهم اله الرجل الى فلان ياله الها اذا
فزع اليه من امر نزل به فالهه اي اجاره وامنه ويقال للمالوه اليه اله كما
قالوا للموتم به امام ولما يلتحف به لحاف فالاصل في هذا الاسم اله كما قال
الله تعالى حكاية عن اولاد يعقوب قالوا نعبد الهك واله ابائك ثم ادخلوا عليه الالف و
اللام للتعريف فصار الاله ثم استثقلوا اجتماع الهمزتين وهي الاصلية والمجتلبة فحذفوا احدى
الهمزتين وهي الاصلية اذ لم يمكنهم حذف المجتلبة لانهم اجتلبوها لحاجتهم اليها فبقيت
اللام الاصلية مع لام التعريف ولم يكن بينهما حرف اخر فادغمت احداهما في الاخرى فصار
الله ومعناه ان الخلق يالهون ويتضرعون اليه في الحوايج والشدايد وقال بعضهم هو مشتق
من الوله وهو التحير والاصل فيه ولاه فابدلت الواو همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي
وشاح اشاح فصار اله ثم ادخلت عليه الالف واللام للتعريف والمعنى في ذلك ان كل قلب اذا
فكر فيه تحير في جلاله وعظمته لانه لا مثل له فيعتقده وهو مروي عن امير المؤمنين رضي الله عنه انه قال الله
المستتر عن ادراك الابصار المحتجب عن الاوهام الا حضرته سبحانه ذهب الى انه من لاه يليه ولاه يلوه
اذا استتر جعل المصدر منه اسما قايما مقام الفاعل ثم جعلت الواو والياء التي في المصدر الفا لانفتاح
ما قبلها فصار لاه ثم ادخل عليه حرف التعريف واما الرحمن الرحيم فهما اسمان ماخوذان من الرحمة
ووزنهما من الفعل نديم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من فعيل وهو من ابنية المبالغة لا يكون
الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان وسكران ولهذا صار اسم الرحمن مختصا بالله تعالى
لا يوصف به غيره واسم الرحيم مشترك لا يوصف به غير الله تعالى وروي عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحمن العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم والرحيم الرفيق
الشفيق للمومنين خاصة في الدنيا والعقبى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق
من الاخر ولو قال اسمان لطيفان لكان احسن ولكن عنى بالرقة الرحمة والرحمة من الله تعالى هي الانعام على
الخلق ومن الادميين رقة القلب وانما تسمى النبوة رحمة لانها تكثر عند رقة القلب وانما جمع والله اعلم

www.alukah.net

بين الاسمين ومعناهما جميعا من الرحمة النهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان اذ لا تبلغ رحمة احد رحمة
الله تعالى يقول الرجل انا جاد مجيد وفلان ضارب ضروب وبعدا وسحقا ونحو ذلك ويريد به التكثير والتاكيد
ولا خلاف بين المسلمين ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في
اوائل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزل قوله
تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزلت قصة سليمان عليه السلام في سورة
النمل فكتب حينئذ بسم الله الرحمن الرحيم **واختلف اهل العلم** في انها آية من سورة فاتحة الكتاب
ام لا فقال قراء الكوفة هي آية منها وابى ذلك اهل المدينة واهل البصرة وليس عن ائمتنا المتقدمين
رواية منصوصة في ان البسملة اية من هذه السورة او ليست منها الا ان الشيخ ابا الحسن الكرخي
كان يقول ان مذهبهم في ترك الجهر بها في الصلوة للاخبار الواردة فيها يدل على انها ليست
اية منها عندهم لانها لو كانت اية منها لجهروا بها كما جهروا بسائر آي السورة وقيل لو كانت
اية في نفس هذه السورة لوجب ان تكون قبلها مثلها لتكون احديهما افتتاحا بالسورة والاخرى
والآية منها **واتفق السلف** ان البسملة ليست من اوائل السور الا الشافعي رحمه الله فانه
زعم انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد **ولا خلاف** ان التسمية ليست باية
تامة في سورة النمل وان ابتداء الاية هنا من قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم ومع انها ليست باية تامة في سورة النمل لا يمتنع ان يكون لها حكم الآية التامة في
غيرها الا ترى ان قوله الرحمن الرحيم في اضعاف فاتحة الكتاب اية تامة وليست باية تامة
في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم عند الجميع وكذلك قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اية
تامة من فاتحة الكتاب وهي بعض اية من قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **وذكر**
عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية فاصلة بين السور
والله اعلم **سورة فاتحة الكتاب مكية** عند ابن عباس وعامة المفسرين **ومدنية** عند مجاهد
وقتادة وهي سبع ايات لا خلاف في جملتها **واختلفوا** في ايتين منها قال اهل الكوفة بسم الله
الرحمن الرحيم اية منها وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة اية واحدة وقال اهل
المدينة والبصرة صراط الذين انعمت عليهم اية وما بعده اية والصحيح والله اعلم ما قاله اهل
المدينة والبصرة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما
سألني فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال
اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل
والاستدلال من هذا الخبر من وجهين احدهما انه بدأ بذكر الحمد دون التسمية والثاني انه جعل
اياك نعبد واياك نستعين واسطة ولا تكون واسطة الا وان تكون كلمات الثناء قبله
ثلثا وكلمات الدعاء بعده ثلثا قوله عز وجل **الحمد لله رب العالمين** ثناء اثنى الله تعالى به على نفسه
تعليما لخلقه ومعناه قل يا محمد او قولوا الشكر لله تعالى سيد كل ذي روح ودب ودرج في الارض
ومن اهل السنة والحمد والشكر نظيران يقال الحمد لله شكرا الا ان الحمد اعم من الشكر من حيث
ان فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه والشكر
اعم من الحمد من حيث انه يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان ويتبين

الفرق بينهما بنقيضيهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران **والرب** في اللغة اسم
من ربّ الشيء ويصلحه يقال للسيد العبد رب ولزوج المرأة رب وللمالك رب ولا يقال الرب
معرفا بالالف واللام الا لله تعالى والله سبحانه هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى
علقة ثم الى مضغة ثم الى غير ذلك الى اجل مسمى **والعالمين** اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر و
الرهط ونحو ذلك وهو اسم لمن يعقل مثل الجن والانس والملائكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل و
الغنم الا انه انما حمل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح ودب ودرج لتغليب العقلاء على غيرهم
عند الاجتماع كما قال الله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء الاية وربما يقال للسموات وما دونها
من ما احاطت به عالم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر
الف عالم وان دنياكم منها عالم وفتحت نون العالمين وكل نون جمع اذا كان [illegible] لان
هذه النون لا تقع الا بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها او ياء ساكنة مكسور ما قبلها فلو ضمت لالتقت
ضمتان ولو كسرت لالتقت كسرتان فلم يبق غير الفتح **الرحمن الرحيم** الرازق الغفار **مالك يوم الدين**
قاضي يوم الحساب والجزاء يوم يدان الناس باعمالهم لا قاضي يومئذ غيره وقرئ ملك يوم الدين بغير
الف وترجيح الاول انه عبارة عن ملك الحقيقة والثاني كناية عن الولاية والقدرة وترجيح الثاني
انه يقال مالك الثوب ومالك الدار ولا يقال ملك الا للملك من الملوك وتخصيص يوم الدين الاية لان الله
تعالى لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال جل ذكره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **اياك
نعبد واياك نستعين** اي قولوا اياك نوحد ولك نطيع ونخضع وبك نستعين على
عبادتك وبك نستوثق على طاعتك واياك اسم للضمير المنصوب اذا تقدم لا يحسن ادخاله في
غير المضمرات وانتصاب موضعه لوقوع الفعل عليه تقديره نعبدك وحكي عن الخليل انه قال
اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب فاضافه الى الظاهر وهو قبيح مع جوازه فان قيل
لم قدم اياك على نعبد وهلا اخر فقال نعبدك فالجواب عنه ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت
الاهم فالاهم نحو قولك ضربت زيدا اذا كانوا بالضرب اعنى وزيدا ضربت اذا كان زيد اهم
وهم به اعنى ثم ذكر المعبود في هذه الاية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في
محل الخفض لانه بمنزلة عصاك وقفاك واجاز الفراء ان يكون الكاف في محل النصب اذا جعل
اياك عمادا الا اسما لانه لا يقوم بنفسه فان قيل لم عدل عن المغايبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير في
القران وكلام العرب قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة **اهدنا
الصراط المستقيم** ارشدنا الطريق القائم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا دعاء ومسئلة خرج
على لفظ الامر لان الامر لمن هو دونك والمسئلة لمن فوقك فان قال قائل ما معنى قولكم
اهدنا وانتم مهتدون قلنا قال الكلبي ومقاتل هذا سؤال [illegible] مستقبل الزمان عند دعوة
الشيطان **وعن** عبد الله بن مسعود انه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا و
خط بجنبه خطوطا وقال ان هذا الصراط المستقيم وان هذه السبل وعلى راس كل طريق شيطان يدعو
ويقول هلم الى الطريق ونزل بهذا قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى اهدنا اي ثبتنا على الصراط المستقيم لا
تتقلب قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قوله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم
اي اثبت على الاسلام **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو استدعاء الهدى الى الطاعات

وزاد في عين الفا وعن الخدري اربعون
الفا وعن مقاتل وابن حبان ثمانون
الفا وعن العطا لا نهاية وستون
عالما عراة حفاة لا يعرفون خالقهم
يلبسون وستون عالما يلبسون
ويعرفون رب الارباب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والاخلاص والاحكام واما الاسلام فقد سبق به الافضال واما السراط بالسين والزاى في القراءة
لقرب مخرج بعض هذه الحروف من بعض صراط الذين انعمت عليهم اى طريق الذى مننت عليهم بعصمة
قلوبهم على الاسلام حتى ماتوا وهم انبياؤه عليهم السلام واهل طاعته رحمهم الله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين غير طريق اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم بمعصيتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى
تركوا الاسلام ولا طريق النصارى الذين ضلوا عن الاسلام وانما عرف ان المراد بالمغضوب عليهم
اليهود وبالضالين النصارى بالكتاب والسنة قال الله تعالى في قصة اليهود فباؤا بغضب على غضب وقال عز
من قائل في قصة النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وروى ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بوادى القرى من المغضوب عليهم فقال عليه السلام اليهود ومن الضالين قال عليه السلام
النصارى واما امين فليس من السورة ولكن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله
وامر به على ما روى عنه عليه السلام انه قال لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغى من فاتحة الكتاب
امين وقال انه كالخاتم على الكتاب وفيه لغتان امين بالقصر والتخفيف كما قال الشاعر تباعد عنى
فطحل اذ دعوته امين فزاد الله ما بيننا بعدا وآمين بالمد والتخفيف كما قال الاخر يا رب لا تسلبنى
حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وهو لغة بالسريانية معناه اللهم اسمع واستجب كما يقال صه
ومه ومعناه الاسكات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن معنى امين قال عليه السلام رب افعل وعن ابن عباس رضي الله عنه نفسه اى معناه كذلك
يكن والله اعلم سورة البقرة مدنية الا آية واحدة وهو قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فانها نزلت بمنى وهى كالمدنية ايضا لنزولها بعد الهجرة وعدد آى هذه السورة مائتان و
ثمانون وست آيات كوفى وسبع بصرى وخمس حجازى بسم الله الرحمن
الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين آية واحدة عند الجميع الا عند الكوفيين
فانها عندهم اثنتان الاولى منهما قوله تعالى الم واختلف الناس في الم وساير حروف التهجى في
اوايل السور روى عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا ان الحروف المقطعة من
المكتوم الذى لا يفسر ووافقهم الشعبى على ذلك فقال ان لله تعالى سرا في كتبه وان سره في
القران هو الحروف المقطعة واكده محمد بن السايب الكلبى لما روى ان رهطا من اليهود منهم كعب
بن الاشرف وحيى بن اخطب وجدى بن اخطب وغيرهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له حيى بلغنا يا محمد انك قرات الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فان كنت صادقا فيما تقول
فان منتهى ملك امتك الى احدى وسبعين سنة لان الالف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثون
والميم اربعون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيى وهل غير هذا فقال نعم المص
فقال حيى هذا اكثر لان الصاد سبعون فهى احدى وثلثون ومائة فهل غير هذا قال نعم الر فقال
حيى هذا اكثر لان الراء مائتان فهى احدى وثلثون ومائتا سنة فهل غير هذا قال نعم المر
فقال حيى وهذا اكثر وهى احدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال خلطت علينا يا محمد فلا
ندرى ابالقليل ناخذ ام بالكثير فانزل الله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الم ان معناه
انا الله اعلم اى ان كل حرف قايم مقام كلمة وقال في قوله تعالى الر انا الله ارى وفي المر انا
الله اعلم وارى وفي المص انا الله اعلم وافصل وقال في كهيعص الكاف من كافى والهاء من
هادى والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وعن ابن مسعود رضي الله عنه

انه قال انا اسم الله الاعظم ويقال الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم
اسمه مجيد ومعناه الله اللطيف المجيد انزل الكتاب ويقال الالف هو الله تعالى واللام جبريل
عليه السلام والميم محمد عليه الصلوة والسلام ومعناه الله تعالى انزل جبريل عليه السلام
بهذا القران وقد نطقت العرب بالحرف الواحد دليلا على الكلمة التى هو منها قال الشاعر قلنا
لها قفى لنا قالت قاف لا تحسبى انا نسينا الايجاف اراد بالقاف وقفت وقال الكلبى
هذا قسم اقسم الله تعالى به ان هذا الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب
الذى عند الله وجواب القسم لا ريب فيه وعن قتادة رضي الله عنه ان الحروف المقطعة اسما
للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وعن مجاهد انه قال هى فواتح افتتح الله تعالى بها كتابه
وعن ابى عبيدة هى تشعار السور وعن قطرب ان المشركين كانوا لا يسمعون القران
كما قال الله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اراد الله تعالى
ان يسمعهم الحروف المقطعة ليستمعوا الى ذلك فيسكتوا طمعا في الظفر بما يحبون فيقيم النبى
صلى الله عليه وسلم الحجة عليهم وعنه ايضا ان الكفار كانوا يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه فلا نفهم ما تقول واراد الله تعالى ان يبين لهم ان هذا القران مولف من الحروف
المقطعة التى ركبت عليها السنتهم فما لهم لا يفقهون المراد بذكر بعض الحروف تمام الحروف
كما يقول الرجل علمت ولدى اب ت ث لا يريد به هذه الحروف الاربعة وعلى هذا تفسير
ساير الحروف المقطعة في القران فان قيل كيف يجوز ان يكون الحرف الواحد مستجمعا لجهات
مختلفة قيل يجوز في كلام العرب خاصة الا ترى انهم يقولون للجماعة امة وللدين امة
وللرجل الواحد امة وللقامة امة وكذلك اسم المولى ونحو ذلك وكذلك الم وان كان ثلثة
احرف لا يستنكر اختلاف معانيها على صحة التاويل وهذه الحروف موقوفة لانها هجاء وحروف
التهجى لا حظ لها في الاعراب فيوقف كل حرف على نية السكت والابتداء بما يليه كما يفعل بالعدد في
قولهم احد اثنان ثلاثة فاذا دخلوا الواو حركوه لانه صار في حد الاسماء فيقال الف ولام و
ميم وكذلك العدد قال الشاعر اذا اجتمعوا على الف وواو وياء هاج بينهم قتال وقال آخر
اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف يكتبان في الطريق لام الف وقال
القاضى الامام اختلفوا في محل هذه الحروف فقال قوم محلها رفع بالابتداء وذلك خبره والكتاب
صلة لذلك كما تقول زيد ذلك الرجل لا شك فيه فزيد مبتدا وما بعده من الجملة خبر عنه وهذا
اذا صح التاويل في الم ويحتمل ان يكون الف لام ميم خبرا مقدما على ذلك الكتاب تقديره ذلك
الكتاب الذى وعدت ان اوحيه اليك الم اى هذه الحروف ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك
ابتداء والكتاب خبره والم كالصلة يكون لذلك الكتاب معنيان احدهما ان ذلك بمعنى هذا اى
هذا الكتاب لا شك فيه وقد يستعمل ذلك موضع هذا كما قال خفاف بن ندبة اقول له والرمح يأطر
متنه تامل خفافا انني انا ذلكا اى انني هذا والثانى على الاضمار كانه قال هذا القران ذلك
الكتاب الذى وعدت في التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ان اوحيه اليك او
هذا القران ذلك الذى في اللوح المحفوظ فان قيل ما معنى قوله تعالى لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير
من الناس قيل معناه والله اعلم لا شك فيه للمتامل فيه انه شئ لم يختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
من تلقاء نفسه او لا ينبغى ان يشك فيه لانه معجز ويحتمل ان يكون معناه لا ترتابوا فيه كما في قوله

الايجاف سير الخيل والابل بسرعة يقال وجف فاتجف

قال ... الامة القامة ... حسان الوجوه طوال الامم

يأطر يحنى ويثنى

تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ويحتمل لا شك فيه عند المومنين وانما انتصب لا ريب فيه
لتضمين النفي الاستغراق انك تقول لا رجل في الدار تنصب اللام فيكون نفياً عاماً واذا قلت لا
رجل في الدار بالرفع والتنوين جاز ان يكون في الدار رجلان او ثلثة وقال سيبويه لا مع ما
بعدها شي واحد كخمسة عشر ومن علة نصب ما بعدها قوله عز وجل هُدًى لِلْمُتَّقِينَ بيانا للمتقين
الشرك والكبائر والفواحش والمتقي من جعل قلبه في الوقاية وهي الحفظ من الشهوات والمعاصي لان
اتقى كان في الاصل وتقي على وزن افتعل من الوقاية فان قيل ما معنى تخصيص المتقين في الاية و
القرآن هدى للمتقين وغير المتقين قيل تخصيص الشي بالذكر لا يدل على نفي ما عداه وفايدة التخصيص
تشريف المتقين لان منفعة البيان راجعة اليهم كما قال جل ثناؤه انما تنذر من اتبع الذكر وقال عز
من قايل انما انت منذر من يخشاها وموضع هدى نصب على الحال اما من قوله تعالى ذلك الكتاب كانه
قال ذلك الكتاب هاديا واما من قوله تعالى لا ريب فيه في حال هدايته ويجوز ان يكون موضعه رفعا على
اضمار هو او فيه قوله عز وجل الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
قال ابن عباس معناه الذين يقرون بغيب القرآن انه من الله تعالى فيحلون حلاله ويحرمون وَيُقِيمُونَ حرام
الصلوات الخمس بشرايطها وما يجب من حق الله تعالى فيها في مواقيتها ومن ما اعطيناهم من الاموال يؤدون
زكوتها الى الفقرا وقال قتادة يصدقون بموعود الله الذي وعد في القرآن من البعث والحساب
والجنة والنار قال عطا الغيب هو الله تعالى قال رضي الله عنه الايمان على ضربين لغوي وشرعي
فاللغوي هو التصديق فقط مجرداً كقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والشرعي الاقرار
باللسان والتصديق بالقلب في كل ما يلزم تصديقه من الله تعالى وكتبه ورسله فلم يوجد اهمّ
معاً لم يكن قايله موحداً على الحقيقة وحقيقة الغيب ما لا يدرك بالحواس الخمس ويحتاج في اثباته
الى الاستدلال وعلى الايمان به يستحق المدح لان ما ادرك عيانا وحسا لا مدح في الاقرار
بوجوده وفي الاية دلالة وجوب الصلوة والزكوة لان الله تعالى جعلهما من صفات المتقين
كما جعل الايمان بالغيب وهو الايمان بالله تعالى وبالبعث والحلال والحرام من شرايط التقوى
ويجوز ان يكون اقامة الصلوة من تقويم الشي بالحقيقة ومنه قوله عز وجل واقيموا الوزن
بالقسط يقال قام بالامر واقامه اذا جا به معطيا حقوقه ويجوز ان يكون معنى اقامتها
اداؤها على ما فيها من قيام وغيره فعبّر عنها بالقيام لان القيام من فروضها وان كانت
تشتمل على فروض غيره كقوله تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن واراد به الصلوة التي فيها القراة
وقوله تعالى وقرآن الفجر اراد به القراة في صلوة الفجر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين فذكر ركنا
من اركانها الذي من فروضها واقامة الصلوة قيام القوم لها يقال ليل قايم اي يقام فيه و
نهار صايم اي يصام فيه ويحتمل معنى قوله تعالى ويقيمون اي يديمون لقول العرب في الشي
الدايم الجاري قايم ومنه فاعله مقيم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند ويجوز ان يكون معنى اقامة
الصلوة الاشتغال بها عن غيرها يقال قامت السوق اذا حضر اهلها ومنه قامت الصلوة
واما الرزق في اللغة فهو الحظ والنصيب قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي
حظكم من هذا الامر التكذيب به وعن السدي انه قال في تفسير قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
هو نفقة الرجل على اهله ويقال هو الجهاد والظاهر انه الزكوة لان الله تعالى قرن بين الصلوة
والزكوة في مواضع من كتابه واقامة الصلوة طهارة الابدان واعطا الزكوة طهارة الاموال

وبالاموال قوام الابدان وقيل الايمان بالغيب حظ قلبك واقامة الصلوة حظ بدنك والانفاق
من الرزق حظ مالك قوله عز وجل وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ زيادة في وصف المتقين معناه الذين يصدقون بالقرآن الذي انزل
اليك وبالتورية والانجيل وساير الكتب المنزلة من قبلك وبالبعث الذي فيه جزا الاعمال
يقرون وروي انه لما نزل قوله تعالى الذين يومنون بالغيب الى اخر الاية قالت اليهود نحن امنا
بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك الاية فنفروا من ذلك قال الصادق رضي الله عنه انما قال وبالآخرة هم يوقنون
ولم يقل يومنون لان الايقان توكيد الايمان واليقين بالآخرة يقين خبر ودلالة وتصير
معاينة عند الروية ويسمى البعث آخرة لانها اخرت الى فنا الدنيا قوله عز وجل أُولَٰئِكَ عَلَىٰ
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله
تعالى في الدنيا وهم الناجون السعدا الباقون في الجنة والفلاح في اللغة كل من اصاب خيرا واصل
الفلح القطع ومنه يسمى الكارى فلاحا والاكار فلاحا لانهما يقطعان الارض ويقال الحديد بالحديد يفلح
بالحديد قال الشاعر افلح بما شيت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب معناه اقطع حيا تك
بما شيت ويقال اصل الفلاح البقا والظفر ثم اخذ منه القطع والله اعلم قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فصل ثان من فصول هذه السورة لان
ما قبل هذا كان في ذكر المومنين وهذه الاية والتي بعدها في ذكر الكافرين ومعنى هذه الاية والله اعلم
ان الذين جحدوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم مستو عندهم اخوفتهم بالقرآن ام لم تخوفهم لا
يصدقون بنبوتك والكفر بالله تعالى نقيض الايمان به وكفر النعمة نقيض شكر النعمة واصل الكفر
الستر يقال كفرت الشي اذا غطيته ويسمى الليل كافرا لانه يغطي الاشيا بظلمته ويسمى الزارع كافرا
لانه يغطي البذر بالارض قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته اي الزراع فكان الكافر يستر نعمة
الله عليه بجحوده وانكاره والسوآء الاعتدال يقال هذا وهذا سوا اي معتدلان ويقال لوسط
الطريق سوا لانه تعتدل اليه المقادير وقد يقام المصدر مقام الاسم يقال رجل عدل وصوم اي عادل
وصايم والانذار ابلغ من التخويف لانه اعلام بموضع المخافة يقال انذرته فنذر اي اعلمته
موضع المخافة وحذرته فعلم وحذر وتحقيق الهمزتين في قوله أأنذرتهم تشبث باصل الكلمة
لان الف الاستفهام دخل على الف القطع واما تطويل الهمزة الاولى مع تحقيق الثانية في أأنذر نعم
فلكراهة الجمع بين الهمزتين على صفة واحدة لما في ذلك من الثقل كما قال الشاعر تطاولت
فاستشرفته فرايته فقلت له آأنت زيد الارقم واما تحقيق الهمزة الاولى وجعل
الثانية بين بين اعني بين الهمزة والالف وكذا في قوله سال سايل وفي ردوف ردف بين بين
على ما عقد القرا فللتخفيف ايضا وكذلك اسقاط احدى الهمزتين من الاصل للتخفيف لان
فيما بعد اللفظ الاول دليل الاستفهام وهو قوله تعالى ام لم تنذرهم كما قال الشاعر لعمرك ما ادري
وان كنت داريا شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر فان قال قايل اخبر الله تعالى في
هذه الاية عن الكافرين انهم لا يومنون وقد آمن كثير منهم فما معنى الاية فالجواب عنه
ان الاية نزلت في قوم مخصوصين وهم روسا اليهود حيي بن اخطب واصحابه على ما روينا
عن الكلبي وفي اول هذه السورة وقال مقاتل نزلت في مشركي قريش عتبة بن ربيعة وشيبة
ربيعة وابي جهل ويجوز تخصيص الاية بالاية كما قال الله تعالى الزانية والزاني ثم قال

والكافر الحر ويغيب الشمس والدرع والماء فمن في قوله عز وجل كما يبني الكفار من الكفار الغيور ه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبالسنة كما قال الله تعالى والسارق والسارقة
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقطع في ثمر ولا كثر وبالقياس كقياس العبيد على الاماء في تنصيف
الجلد تخصيصا من قوله الزاني وبالاجماع كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين ثم اجمعنا على
ان العبيد لا يورثون من ابائهم وبالاستدلال كقول الله تعالى في هذه الاية ختم الله على
قلوبهم ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يومنون في جميع الكفار وايمان بعضهم لا يودي الى المناقضة ٥
قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم اي طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير وعلى اذانهم فلا يسمعون الحق وعلى ابصارهم غطا فلا
يبصرون الهدى ولهم عذاب عظيم يخلص وجعه الى قلوبهم يصغر عنده كل عذاب في الدنيا والختم في اللغة
على ثلثة معان احدها الطبع وهو تاثير الوسم كنقش الخاتم والثاني المنع عن ان يدخله شيء والثالث
الفراغ من الشيء كقوله تعالى ختامه مسك واما القلوب فهي جمع القلب وهي الافئدة وسمي القلب قلبا
لتقلبه بالخواطر وبالعزم على الامور قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه ٥ والمرء يخلق طورا بعد
اطوار ٥ واما قوله تعالى وعلى سمعهم وحد السمع وقد علق بين الجمعين لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع
ويقال معناه على مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما الختم موضع السمع ولكن حذف المضاف واكتفى
بالمضاف اليه لدلالة الحال عليه يقال اصحاب فلان عدل اي ذووا عدل وقيل اراد سمع كل واحد
بعينه كما يقال ايتني براس كبشين يراد كل واحد منهما كما قال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ٥ تعفوا ٥
فان زمانكم زمن خميص ٥ وقراءة الرفع للغشاوة على معنى ان قوله وعلى ابصارهم كلام مبتداء
فاما قراءة النصب فعلى اضمار وجعل كما قال الشاعر ياليت زوجك قد غدا ٥ متقلدا سيفا ورمحا ٥
اي حاملا رمحا والعذاب هو ايصال الالم الى الحي مع الهوان ولهذا لا نقول فيما يفعل الله تعالى
بالبهايم والاطفال عذاب لهم لانه لا يفعل بهم على سبيل الهوان والعظيم على وجهين عظيم في الجسم
وعظيم في المقدار وهو فعيل بمعنى فاعل فان قيل اذا ختم الله على قلوبهم وعلى اسماعهم ومنعهم عن الهدى
فيما لا يستحقون العقوبة في العقبى قلنا هولاء القوم المخصوصون الذين انزل الله تعالى فيهم هذه الاية
كان الله تعالى يسر عليهم السبيل في الابتدا فلو جاهدوا لوفقهم كما قال في اية اخرى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا لكن لما لم يجاهدوا وعاندوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا
بالختم على قلوبهم وفي الاخرة بالعذاب العظيم كما قال الله تعالى في موضع اخر بل طبع الله عليها بكفرهم
وعن صفية بنت حيي قالت رجع ابي وعمي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه
ما ترى في هذا الرجل قال انه نبي قال فما ترى في اتباعه قال ارى ان لا اتبعه واظهر له العداوة الى
الموت فان قيل فما معنى دعوة من علم الله تعالى انه لا يومن قيل لصحة العلم بانه يقدر ان يومن
ولو علم انه لا يقدر كما علم انه لا يومن لما كان يدعوه ولكان دعوة هذا محالا عند قوم لانه تكليف ما لا
يطاق وصوابا عند قوم لاقامة الحجة قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمومنين اول فصل ثالث من فصول هذه السورة اذ هذا الفصل الى اخره ثلثة
عشر اية في ذكر المنافقين وهم عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس ومن تابعهم
كانوا يقولون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امنا بالذي امنتم به ونشهد ان صاحبكم حق صادق
فيما يقول وانا نجده في التورية بنعته وصفته ولم يكونوا كذلك فاذا خلا بعضهم الى بعض ما انزل الله
تعالى فيهم هذه الايات وكلمة من للتبعيض فكانه قال بعض الناس او من الناس ناس يقولون صدقنا بالله و
بيوم البعث وليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون والناس اسم جمع لا واحد له من

لفظه

لفظه كالنساء والخيل والابل ولو كان جمع انسان لقيل اناسين مثل سرحان وسراحين وانما سمي
الناس ناسا لانهم يونسون اي يبصرون كما قيل للجن جن لاجتنانهم واستتارهم وسمي يوم
القيمة اخرا لانه لا يجي الا بعد انقضاء ايام الدنيا وقيل اخر يوم من ايام الدنيا وهو يوم لا يجي بعده
ليل والباء في قوله تعالى بمومنين لتاكيد النفي لانك اذا قلت ما زيد باخيك ولم يسمع السامع ما
علم انك ناف بخلاف قولك ما زيد اخاك وانما وحد الفعل في اول الاية وجمع الضمير في اخرها
لان لفظ من موحد ان ومعناه يصلح للذكر والمونث والاثنين والجماعة فيعدل تارة الى اللفظ
وتارة الى المعنى كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الى اخر الاية وقوله تعالى ومن
يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا لان اللفظ مبهم وفي الاية دليل ان القول المجرد لا يكون
ايمانا لان الله تعالى نفى منهم الايمان بهذه الاية وصرح بكفرهم حيث قال ان المنافقين لكاذبون
والله اعلم قوله عز وجل يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون
قال ابن عباس يكذبون الله والمومنين ويخالفونهم في ضمايرهم وما يكذبون الا انفسهم لانه اذا علم
كذبهم فكانهم في الحقيقة هم الذين كذبوا انفسهم وما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله
عليه وسلم على كذبهم فان قال قايل ما وجه مخادعة الله تعالى بعد ان لا يخفى عليه شيء وما وجه مخادعة
المومنين ومخادعة انفسهم قلنا اما الاول ففيه جوابان احدهما ان المخادعة هو الاخفا يقال للبيت
الذي يخزن فيه المال مخدع ويقال انخدعت الضبة في جحرها وقال عليه السلام الحرب خدعة
والله تعالى لا يخادع في الحقيقة لان المنافقين لا يخلون من احد وجهين اما ان يكونوا عارفين بالله
تعالى فيعلمون ان الله لا يخادع ولا يلتبس عليه شيء او غير عارفين وذلك ابعد اذ لا يصح ان يقصدوه
ولكن اطلق عليهم اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين على معنى انهم اعتقدوا في الله تعالى العفو
عنهم والمغفرة لهم في اظهارهم الايمان واضمارهم الكفر فكانهم خادعوه لان الانسان اذا اظهر لاخر
خلاف ما اضمر لان يقع مراده منه فقد خادعه فاذا وجد منهم هذا المعنى اطلق عليهم هذا الاسم و
يجوز مثل هذا يقال للمرائي ويل لفلان ما اجراه على الله فكانه يخادعه ولذلك قيل يفاعلون ولو
كان يصح لهم خداعهم لقيل يخدعون الله تعالى والثاني يخادعون رسول الله فحذف الرسول صلى
الله عليه وسلم لدلالة المضاف اليه اذ علم من طريق العقل استحالة مخادعة الله تعالى نظيره
قوله تعالى واسال القرية اي اهل القرية واما وجه مخادعة المومنين ففيه اجوبة احدها انهم
يظهرون الاسلام تقية والثاني يظهرونه ليكرموهم ويبجلوهم ويوالوهم كما يوالي المومنون
بعضهم بعضا والثالث انهم كانوا يظهرون لهم الايمان ليفشوا اليهم اسرارهم فينقلونها الى اعداهم
واما وجه مخادعتهم انفسهم اي ضرر ذلك راجع اليهم وهذا معروف في اللغة يقال فلان
الادان يخدع فلانا فخدع نفسه اي لم تنفذ حيلته فيه ورجعت مضرتها عليه وقرئ وما
يخادعون بالالف والمعنيان متقاربان الا انه اتى بالالف ليعطف لفظه على شكلها و
المفاعلة قيل تختص بها الواحد كالمناولة والمضايقة والمعافاة والمسافرة والمعاقبة و
الشعر هو العلم الدقيق الذي يتولد من الفطنة وهو من شعار القلب ومنه سمي الشاعر شاعرا
لانه تفطن لما يدق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته ويقال ما شعرت به اي ما علمت
وليت شعري ما صنع فلان اي ليت علمي قوله عز وجل في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون تمام العشر في قول الكوفيين خاصة معناه في قلوبهم شك
ونفاق فزادهم الله تعالى شكا ونفاقا ولهم عذاب اليم مولم موجع لقولهم انهم مومنون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتبقوا مؤمنين والمرض الضعف والفتور يكاد أن منها الهلاك وسمي المريض مريضا لما حل به من
الآفة ويقال وعد مريض وكلام مريض وسمي النفاق مرضا لانه يهلك صاحبه أو لأن صاحبه يضعف
في الدين أو لأن المؤمنين بالقول والكفار بالقلب فهو كالمريض الذي هو مضطرب بين الحياة والموت
أو المريض ممنوع من التصرف وكذا الشاك عنده شك من المعنى في الأمور وقيل إن الشك في القلب
والمرض في البدن فسمي الشك مرضا لما فيه من الغم والحزن والقلق في قوله تعالى فزادهم الله بمعنى
المجازاة وقيل على وجه الدعاء ومعنى الزيادة أنهم لما ازدادوا شكا عند نزول الآيات فكأن الله تعالى
زادهم شكا لكون الآيات سببا لشكهم كما قال الله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك
طغيانا وكفرا وكسر الزاي على قول بعض القراء لغة بعض العرب وقد ورد لفظ الفعيل بمعنى المفعل
كما قال الشاعر أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع * أراد بالسميع المسمع
وليس في العذاب شيء غير الأليم لكن ذكر أليم تأكيدا ونعتا لشدة العذاب ومن قرأ يكذبون
بالتشديد فمعناه بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم واللفظان متقاربان لأن المنافقين كانوا
كاذبين بقولهم مكذبين بقلوبهم قال الله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقال إن الفجار لفي جحيم أراد
بالفجور الكذب وبعض أهل النحو يجعل ما ههنا صلة فيقولون ولهم عذاب أليم بكذبهم و
الأولى إبطال الحروف ما وجد لها مساغ أي ولهم عذاب أليم بالشيء الذي كانوا يكذبون به
قوله عز وجل وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون تمام العشر عند
الكوفيين معناه وإذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي والمداهنة وتعويق الناس عن دين
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا إنما نحن عاملون بالطاعة ومظهرون للمداهنة لأنهم كانوا يقولون نحن
لا نعادي الكفار ولا المؤمنين ندارى تارة هؤلاء وتارة هؤلاء بوجه حتى إذا كانت الغلبة لأحد الفريقين لا
يصيبنا من دائرتهم شيء ومن ضم القاف من قيل وغيض وسيق وأشباهها فقصده استيفاء
علامة ما لم يسم فاعله والفساد ضد الصلاح وهو ترك الطاعة ومجاوزة الحدود قوله عز وجل
ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون أي بل إنهم هم العاملون بالمعصية والمفسدون
بالمداهنة ولكن لا يعلمون أنهم كذلك وكلمة ألا للاستفهام والتنبيه وأصلها لا دخلت عليها ألف
الاستفهام وأخرجتها من حد الجحد إلى التقرير والتحقيق كما في قوله جل ذكره أليس ذلك بقادر على
أن يحيي الموتى ولكن كلمة موضوعة لنفي خبر متقدم وإثبات خبر متأخر وهي مبنية على ثلاثة أحرف
لا وهي للنفي والكاف مبدلة المخاطبة ما بعدها والنون بعد الكاف لتثبيت خبر وهي كلمة تخفف
وتثقل فإذا ثقلت نصبت ما بعدها وإذا خففت رفعت قوله عز وجل وإذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ينصرف
إلى منافقي أهل الكتاب على ما قاله مقاتل ومجاهد فأما ما ذكر الكلبي عن ابن عباس أن الآية
نزلت في اليهود أراد باليهود هؤلاء المنافقين عبد الله بن أبي ومن تابعه لأنهم كانوا من اليهود و
معنى الآية وإذا قيل للمنافقين صدقوا بقلوبكم كما صدق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
أنصدق كما صدق الجهال يقول الله عز وجل ألا إنهم هم الجهال بتركهم التصديق في السر و
لكن لا يعلمون أنهم جهال والألف في أنؤمن للاستفهام ومعناها الإنكار والسفه في اللغة
خفة الحلم يقال ثوب سفيه إذا كان رقيق النسج واختلف القراء في قوله السفهاء ألا فمنهم من
حقق الهمزتين على أصل الكلمة ومنهم من خفف الثانية فجعلها بين الواو والهمزة ومنهم من
جعل الثانية واوا خالصة ومنهم من خفف الأولى وحقق الثانية وكره ذلك لاستثقال

الجمع

الجمع بين الهمزتين قوله عز وجل وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون قال الكلبي من سبب نزول الآية أن أبا بكر وعمر و
عليا رضي الله عنهم مروا بعبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين فقال عبد الله بن أبي
لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء الجهال عنكم فنظروا مني كيف أكلمهم وأغلبهم فأخذ بيد أبي
بكر وقال مرحبا بسيد بني تيم ثاني اثنين وصاحبه في الغار وصفيه من أمته الباذل نفسه
وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في أمر الله تعالى الشديد الغضب
لله تعالى الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا
بسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بالنبوة فأكرمه
بها الباذل نفسه وماله وولده السابق إلى الهجرة فقال له علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق
فإن المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال لم تقول هكذا والله إني لمؤمن بالله ورسوله كإيمانكم و
تصديقكم ثم افترقوا فقال عبد الله بن أبي لأصحابه كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم قالوا لا نزال
بخير ما عشت لنا ورجع أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
بما قال لهم وبما ردوا عليه فنزلت هذه الآية ومعناها والله أعلم إذا اجتمع المنافقون مع
المؤمنين قالوا إنا مؤمنين صدقنا كما صدق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وإذا خلوا إلى شياطينهم
قال ابن عباس إلى رؤسائهم في الضلالة قال الأخفش وأبو عبيدة كل عات متمرد من شيطان و
قال الكلبي وإذا خلوا إلى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان
تابع له كعب بن الأشرف في المدينة وأبو بردة في أسلم وابن السوداء في الشام وعبد الدار في
جهينة وعوف بن عامر في بني أسد قالوا لهم إنا على دينكم إنما نحن مستهزئون بأصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم بإظهار قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ومعنى إلى في قوله تعالى وإذا خلوا
إلى شياطينهم بمعنى مع وقيل إنه بمعنى الاختصاص والغاية يقال خلوت إلى فلان إذا خلوت
معه في خاص من الأمور وجعلته غايتك في حاجتك فأما خلوت بفلان إذا خلوت معه في شيء
ما وقد يكون معناه سخرت منه والشيطان فيعال من الشطن والشطن البعد كأنه قيل بعيد
من الخير وقد يسمى الحبل الطويل المضطرب شطنا فكأنه يسمى الشيطان شيطانا لأنه يتباعد عن الخير و
اضطرب وقيل الشيطان فعلان من قولهم شاط يشيط إذا غضب وهلك والنون زائدة قال
قطرب الشياطين جمع شيطان وعلى هذا تحمل قراءة الحسن وما تنزلت به الشياطون قال الله
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أي يجازيهم على هزئهم بالعذاب و
يمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يترددون ويتحيرون قال الكسائي يقال مد في الشر وأمد في
الخير قال يونس المد في معنى الترك والمد في معنى الإعطاء قال الزجاج مد في الغي وأمد في ...
قال الأخفش يمدهم أي يمد لهم فحذف اللام كما يقال الغلام يلعب الكعاب أي يلعب بالكعاب
فحذف الباء والطغيان مجاوزة الحد قال الله تعالى إنا لما طغى الماء والعمه التحير يقال رجل عمه و
عامه أي متحير متردد تردد الأعمى في طريقه قال رؤبة بن العجاج ومهمه أطرافه في مهمه
أعمى الهدى بالجاهلين العمه * فإن قال قائل كيف يجوز الاستهزاء من الله تعالى بعباده ولا
يليق فيما بيننا قيل له قد بينا أن المراد بالاستهزاء من الله تعالى المجازاة وقد يسمى جزاء الذنب باسمه
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال عز من قائل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني
ليس باعتداء ولا سيئة قال عمرو بن كلثوم * ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا *

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومعلوم انه لم يتمدح بالجهل ولكن جرى على عادتهم في ازدواج الكلام ومقابلته ومعنى المجازاة من الله تعالى انه اطلع المومنين على ضمايرهم في الدنيا واباح لهم الاستهزا بهم ولم يامر بقتالهم كما امر بقتال المشركين فاغتر المنافقون بالامهال في الدنيا فكان كالمستهزا بهم الامهال وكان يفعل فيهم راجعا اليهم واضاف الله تعالى فعل المومنين الى نفسه كما يقال قطع الامير اللص وفتح عمر السواد وقال الكلبي الاستهزا ان يفتح لهم باب الى الجنة وهم في جهنم فيقال لهم تعالوا فيقبلون نحوه يسبحون في النار والمومنون على الارايك ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم ويفتح لهم باب اخر في مكان اخر فيقبلون نحوه يسبحون في النار فاذا انتهوا الى الباب سد عنهم والمومنون على الارايك ينظرون اليهم كما قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وقال مقاتل الاستهزا يكون على الصراط حين يذهب المومنون فيطفا نور المنافقين كما قال الله تعالى في سورة الحديد يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وذكر الامام ابو منصور رحمه الله انه لحكمة في ان الله تعالى امر بقتال الكفار المظهرين بالكفر ولم يامر بقتال المنافقين مع انهم في الدرك الاسفل من النار وخالف بين احكامهم واحكام ساير المظهرين للشرك في الدنيا واجرى عليهم احكام المسلمين في المواريث والانكحة وغير ذلك قيل ان عقوبات الدنيا ليست موضوعة على مقادير الاجرام وانما هي على ما يعلم الله من المصالح فيها وعلى هذا اجرى الله احكامه فاوجب رجم المحصن الزاني ولم يزل عنه الرجم بالتوبة وكذلك حد قاطع الطريق لا يسقط عنه بالتوبة بعد القدرة عليه والكفر اعظم من الزنا وقطع الطريق ولو كفر رجل ثم تاب قبلت توبته قال الله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحكم الله تعالى على القاذف بالزنا بالجلد ثمانين ولم يوجب بالقذف بالكفر وهو اعظم من الزنا الحد واوجب على شارب الخمر الحد ولم يوجبه على شارب الدم واكل الميتة ولهذا قال مشايخنا رحمهم الله لا يجوز اثبات الحدود بالقياس وما ذكر الله تعالى من امر المنافقين في هذه الاية وما اعدوا لهم من عذاب دون بعضها بقتالهم اصل فيما ذكرناه الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بمكة بعد ما بعثه الله تعالى ثلث عشرة سنة وامر ان يدعو المشركين الى توحيد الله تعالى وتصديق رسوله بالقول اللطيف فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال عز من قايل ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم فرض الله تعالى القتال بعد الهجرة لعلمه عز وجل بالمصلحة في كلا الحالين ومن ما يويد هذا قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فاخبر عليه السلام بوقوع العصمة لهم بقولهم في الدنيا وبقي ان حسابهم على الله في الاخرة قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين يعني والله اعلم اهل هذه الصفة هم الذين اختاروا الكفر على الايمان فما ربحوا في تجارتهم وما كانوا مهتدين الى ما هم مهتدين من الضلالة والاشترا العقد تملك الشي بالشي وهو عند الفقها ايجاد ملك مال بمال قال مجاهد امنوا ثم كفروا وقيل اخذوا الضلالة وتركوا الهدى الذي كانوا عليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالضلالة التي دخلوا فيها من التكذيب به وقيل كل مولود يولد على الفطرة فلما كانت ولادته على الايمان ثم كفر بعد البلوغ فقد اشترى الكفر بالايمان والتجارة لا تربح وانما يربح بها لكن يقال خسر بيع فلان وربحت تجارته على طريق التوسع كما يقال ليلك قايم ونهارك صايم وما كانوا مهتدين في الكلام وفصاحة التاكيد كما قال الله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل وما كانوا طالبين للهدى قوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب

الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون اول مثل ضربه الله تعالى في القرآن هذا يقول مثل المنافقين في تحصنهم بظاهر الاسلام وحقنهم دماءهم واموالهم بما اظهروه كمثل رجل يكون في مفازة في ليلة مظلمة يخاف على نفسه من شر السباع فيوقد نارا فيامن بها السباع فلما اضاءت النار ما حول المستوقد طفيت النار فبقي في الظلمة كذلك المنافق يخاف على نفسه وعياله من قتل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيتكلم بكلمة الاسلام رياء للناس فيحقن بها دمه وماله وينكح المسلمين فيوارثهم فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد فاذا بلغ اجله لم يكن لايمانه اصل في قلبه ولا حقيقة عنده سلب نور الايمان عند الموت فيبقى في ظلمة الكفر والعمى كما انطفى الضيا في الدنيا والمثل والمثل والمثال والشبه والشبه والشبيه نظاير في اللغة وحقيقة المثل تشبيه الشي بالشي كقولهم البخل مثل تشبيه للبخيل في امساكه نفسه عن الحرام بالفرس الجموح الذي يمسكه اللجام عما يريد الا قداح عليه والاستيقاد استفعال من الايقاد وهو التماس ضيا النار ويجوز ان يكون معنى استوقد اوقد كما قال الله تعالى فاستجاب لهم ربهم معناه اجابهم ربهم والنار والنور واحد والضوء الا ان في النار الضوء مع الحرارة والاحتراق والنور الضوء الخالص والنار مونثة سماعا لا لعلة اوجبت ذلك يدل عليه ثبوت الهاء في تصغيرها وقول القتيبي النور ما تطرقت به والنار المذكورة في نورهم مكان الالف في ذهب يقال ذهب به واذهبه بمعنى واحد ومعنى الترك في ظلمة الكفر الخذلان فان قيل لم شبه الجماعة بالواحد قلنا ذكر القتيبي ان الذي في هذه الاية بمنزلة الذين لانه اسم ناقص لا يتم الا بصلته يتناول الواحد والاثنين والجمع كمن وما قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد وفي الاية ما يدل على ان معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد كما في قوله تعالى تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الا ان المغير هاهنا محذوف لدلالة الحال عليه قوله عز وجل صم بكم عمي فهم لا يرجعون معناه والله اعلم صم لا يسمعون الحق بكم لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى اي بقلوبهم كما قال الله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون كانوا يبصرون باعينهم وقيل صم يتصامون بكم يتباكمون عمي يتعامون وانما اطلق لفظ الصمم عليهم ونحوه لان الله تعالى انما خلق السمع والبصر واللسان لينتفع الناس بها فمن لا ينتفع بها فكانه فقدها ويقال في الاية تقديم وتاخير تقديرها وما كانوا مهتدين صم بكم عمي فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قوله عز وجل او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين مثل اخر ضربه الله تعالى يقول اي مثل المنافقين مع محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كصيب كمطر ينزل من الله تعالى ليلا على قوم في مفازة فيه ظلمات اي بيان الفتن وابتلا المومنين بالشدة في الدنيا ورعد زجر وتخويف وبرق تبيان وتبصرة وقيل يجعل اصحاب المطر اصابعهم في اذانهم من الصواعق من هول الرعد حذر الموت مما فيه البوارق والصلا وكذلك المنافقون كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم من بيان القرآن ووعده ووعيده وما فيه من الدعا الى الجهاد مخافة ان يشتغلوا بالجهاد ويقتلوا مخافة ان تميل قلوبهم الى ما في القرآن وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول في الاية تشبيه الا بالصيب لانه الصيب يحيي الارض والاسلام يحيي الكفار كما قال الله تعالى او من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان ميتًا فأحييناه وتشبيه اضمار المنافقين الكفر بظلمات المطر وتشبيه الزجر عن الكفر والمعاصي بالرعد وتشبيه اظهار المنافقين الايمان بالبرق والصواعق هي الدعاء الى الجهاد

ومعنى والله محيط بالكافرين اى عالم بالمنافقين وجامعهم في النار ودخول او في هذه الآية ليس هو للشك اذ لا يجوز الشك من الله عز وجل لكنه للاباحة والتخيير كما يقال جالس الفقهاء او اصحاب الحديث او اصحاب النحو اى ان جالست واحدًا من الفرق الثلاثة فهو كذلك تمثيل المنافقين ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم وان مثلتموهم بالصيب فذلك مثلهم وان مثلتموهم بهما جميعًا فهما مثلاهم ويجوز ان يكون او بمعنى الواو كما قال الشاعر وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها معناه وعليها فجورها وحرف الكاف في قوله كصيب يدل على ان المثل مضمر يقال هذا كزيد وعمرو ويراد به المثل والاصحاب مضمر ايضًا بدلالة الحال كانه قال او كاصحاب الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل والصيب اسم من صاب يصوب اذا نزل فسمي المطر الصيب لانه ينزل من السماء قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب واختلفوا في تقدير صيب في اللغة قال البصريون هو على فيعل ولا يوجد هذا المثال الا في المعتل نحو سيد وميت وقال الكوفيون هو على وزن فعيل فقدم الياء ولحق الواو والدليل على ذلك انه جمعه افعلا مثل هين واهونا على مثال شديد واشداء واما الرعد فهو اسم ملك يسوق السحاب سمي صوته باسمه لانه سبب له والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد تنقدح منه النار روي هذا المعنى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والصواعق جمع صاعقة وهي الصوت وبرق قطعة من النار لا يأتي على شيء الا احرقته وانتصاب الحذر بنزع الخافض معناه من حذر الموت كما في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا اي من قومه ويجوز ان يكون مفعولا له على معنى يفعلون ذلك لحذر الموت والاحاطة على وجهين احاطة علم واحاطة قدرة وهي ادراك الشيء بكماله ومنه سمي الحايط حايطا لانه يحوط ما فيه قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير معنى الآية والله اعلم يكاد البرق يختلس ابصار السائرين ويذهب بها من شدة ضوئه ونوره وكذلك البيان من القرآن يكاد يذهب بابصار ضلالة المنافقين باخذهم الى الله تعالى ليقبلوا الدين ويقال معناه اذا تكلم منافق بكلمة الاخلاص يكاد نورها يخطف بصيرة القلب عنه لاعتقاده خلاف ما تلفظ به كلما اضاء لهم من البرق مشوا في ضوء البرق واذا اظلم عليهم بقوا في الظلمة كذلك المنافقون لما آمنوا مشوا فيما بين المؤمنين ليقبل ايمانهم فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر وكان كلما ظهر للمنافقين دلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باعزاز الله تعالى الاسلام واهله مالوا اليه واذا اصاب اهل الاسلام نكبة من النكبات كيوم احد وبير معونة شكوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ولو شاء الله لذهب بسمع السائرين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو شاء لذهب بسمع المنافقين وابصارهم بزجر القرآن ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم صما عميا في الحقيقة عقوبة لهم على فعلهم ان الله على كل شيء من اذهاب السمع والبصر قدير وكاد من افعال المقاربة ويستعمل بغير حرف ان ولفظ المقاربة والمداناة لا يستعمل الا مقرونا بحرف ان وفي الخطف لغتان خطِف يخطَف بكسر العين من الفعل الماضي وفتحها في المستقبل

٩

ويستعمل على الحكي والافصح ما نزل به كتاب الله تعالى ويقال ضاء الشيء يضوء واضاء يضيء اذا ظهر نوره والمختار ما نطق به كتاب الله تعالى يقال ظلم واظلم بمعنى واحد والمختار بالالف وروي عن اسباط عن السدي انه قال هرب رجلان من المنافقين من المدينة الى المشركين فاصابهما من المطر ما ذكره الله تعالى في هذه الآية فيه ظلمات ورعد وبرق فكان كلما لمع لهما البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا واقاما مكانهما فجعلا يقولان يا ليتنا نصبح فنأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فنضع ايدينا في يده فنسلم فلما اصبحا اتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله تعالى امر هذين مثلا للمنافقين الذين كانوا بالمدينة قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل رابع من فصول هذه السورة يشتمل على اربعة اشياء الامر والتوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاحتجاج على الناس بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما عنى بالناس جميع بني آدم من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمنافقين وغيرهم فهو خطاب للكفار بالتوحيد والمنافقين بالاخلاص والموحدين المخلصين بالطاعة والثبات عليها يعني وحدوا واخلصوا واطيعوا ربكم الذي خلقكم من نطفة ولم تكونوا شيئا وخلق الذين من قبلكم من القرون الماضية لكي تتقوا المعاصي فتعبدوه حق عبادته قال الزجاج في اعراب يا ايها ان اي اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى مفرد والناس صفة لازمة اي تقول يا ايها الرجل قيل ولا يجوز يا الرجل لان يا التنبيه بمنزلة التعريف في الرجل ولا يجمع بين يا وبين الالف واللام فيوصل بأي الى الالف واللام ياي وها للتنبيه وهي لازمة لاي عوض من الاضافة في اي لان الاصل في اي ان يكون مضافة الى الاستفهام والخبر وقال محمد بن علي الحكيم رحمه الله بانداء القلوب وما نداء النفوس لان النفس قد تستولي على القلب فتأمره بالسوء كما اخبر الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء واي اسم مضمر بين النداء والناس كشف عن الاسم المضمر وبيان الصنف الذي دعا عز وجل وعلا من خلقه والعبادة هي الخضوع باعلا مراتب الخضوع مع التعظيم باعلا مراتب التعظيم ولهذا لا يحسن عبادة غير الله عز وجل ومنه يقال طريق معبد اي مذلل لكثرة سلوك الناس وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران مذللا لا يمتنع على احد والخلق ايجاد الشيء على التقدير والترتيب لا على مثال سبق وقيل ان الخلق هو التقدير قال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري معناه لانت تقطع ما تقدر وكلمة لعل للرجاء والطمع كما قال الله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما وانا عالم وراء ذلك بما يؤول اليه امر فرعون وقد علم الله تعالى انه لا يتذكر ولا يخشى ولو اطلع موسى عليه السلام على ذلك لما زاد دعوته له الا الوهن ولكنه رجاه في رشده ليكون الطمع في دعوته فكذلك لما كانت عواقب اعمال العباد مغيبة عنهم رجاهم بالتوقع ليكون ذلك اوكد في اجتهادهم لان الانسان وان بالغ في العبادة لا يعلم انه اتقى النار لجواز ان يكون اخل بواجب او اتى بقبيح وقال بعضهم معنى الآية اعبدوا ربكم متعرضين للتقوى وهذا كما يقول القائل اذا جاء الى باب السلطان انما جئت ها هنا لعلي احد عملا كذا اي متعرضا لذلك العمل قوله عز وجل الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون في اثبات توحيد الله عز وجل معناه هو الذي جعل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل اعبدوا الذي جعل لكم الارض بساطا ومناما او وطاء ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار
عليها والسما سقفا قال ابن عباس رضي الله عنهما كل سما مطبقة على الاخرى كالقبة وسما الدنيا ملتزقة
اطرافها بالارض وانزل من السما اي من السحاب ماء يعني المطر وقيل من نحو السما فانبت من المطر
الوان الثمرات رزقا لكم طعاما لكم فلا تجعلوا لله اندادا امثالا ونظرا وانتم تعلمون ان الله تعالى
خالق هذه الاشيا وان غيره لا يستطيع ان يخلق شيا منها وان ليس للاصنام عليكم نعمة تستحق
بها عبادتكم وفي هذه الآية ذكر النعم التي يستحق الله تعالى بها العبادة من خلقه كانه قال اعبدوا
ربكم لاجل انه خلقكم ولاجل انه جعل لكم الارض فراشا وقال علي رضي الله عنه سميت الارض ارضا
لانها تارض ما في بطنها اي تاكل وقيل لانها تارض بالحوافر والاقدام والتارض التصدي والتعرض
والسما من السمو وهو العلو وكل ما علاك فاظلك فهو سما ويقال سمي السحاب سما لكونه قريبا من السما
الا السحاب ادنى ما يعلو منك قدر فرسخ او فرسخين الا ترى انك ترى الشمس في اعالي الجبال و
من دونها سحاب ومطر وذهب بعضهم الى ان الله تعالى ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب
الى الارض وقال بعضهم يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وانما اطلق
اسم البنا على السما دون الارض لان خلقها بعد خلق الارض قال الله تعالى ثم استوى الى السما وهي
دخان ومن في قوله تعالى من السما لابتدا الغاية كما يقال خرجت من الكوفة الى البصرة ومن من
الثمرات للتبعيض كما يقال ما اتاني من احد وكقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان و
الانداد جمع الند والند يحتمل لوجوه ثلاثة احدها المثل وذلك مثل لان المثل يوجب المماثلة في
القدم وكانوا مقرين بان الله تعالى خالق الاشيا كلها كما قال الله تعالى ولين سالتهم من خلقهم
ليقولن الله وقال ابو عبيدة معناه الضد وذلك مثل لان التضاد انما يصح بين الاعراض كالسواد
والبياض والحيوة والموت وقيل معناه المثل الذي يضاد في الفعل وذلك مثل لاستحالة استقامة
احواله مع مضاد له في افعاله كما قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واطلق اسم
الفراش لا يتناول الارض وانما سمي بهذا التقييد كقوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى و
جعل الشمس سراجا ولذلك قال الفقها ان من حلف لا ينام على فراش فنام على الارض او حلف
لا يقعد في سراج فقعد في الشمس لا يحنث لان الايمان محمولة على المعتاد المتعارف في الاسما
ونظاير ذلك كثيرة في كثير من الاحكام والمطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لا يتجاوز به
موضعه وفي هذه الآية دلالة على التوحيد واثبات الصانع الحكيم الذي لا يشبهه شي والقادر
الذي لا يعجزه شي من ارتفاع السما ووقوفها بغير عمد ثم دوامها على طول الدهر غير متزايلة
ولا متغيرة كما قال جل ذكره وجعلنا السما سقفا محفوظا وكذلك ثبات الارض ووقوفها على غير
سند فيه اعظم الدلايل على التوحيد وعلى قدرة خالقها لانه لا يعجزه شي لان الخلايق كلهم لو اجتمعوا
على ان يثبتوا جسما في الهوا من غير ان يكون تحته ما يقله ويعمده او فوقه ما يعلقه لم يمكنهم وانه ان
كان الجسم فيه ادنى ثقل نزل وان لم يكن فيه ثقل تحرك عن مكانه اما صعدا او الى احدى
الجهات الاربع وفي الآية دليل على ان الارض بسيطة لا كرة مدورة على ما يقوله المنجمون
وبعض المتكلمين قوله عز وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين في اثبات النبوة اذ النبوة
مرتبة على التوحيد المعنى ان كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس يعني
وان محمدا صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقا نفسه فجيئوا بسورة من مثل ما نزلنا و

هو

١٠

هو القرآن يعني سورة من التورية والانجيل والزبور فقابلوها بالقرآن لتعلموا ان محمدا صلى الله
عليه وسلم لم يختلقه من تلقا نفسه وهذا اذا كان خطابا لليهود خاصة على ما ذهب اليه الكلبي وقال
هذا معنى قوله شهداكم اي استعينوا باحباركم ورهبانكم والظاهر ان هذا خطاب للعرب كلهم
على معنى ان اختلقوا سورة مثل القرآن كقوله تعالى بعشر سور مثله مفتريات وان قوله تعالى وادعوا
شهداكم اي استعينوا بالهتكم قال الزجاج معناه ادعوا من استطعتم طاعته ورجوتم معونته
في الاتيان بسورة مثله وقيل ان الها في مثله عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قال اي قايل فاتوا
بسورة من بشر مثله او من امي مثله لا يحسن الكتب ان كنتم صادقين ان الله ليس يوحي الوحي وقوله تعالى فاتوا
امر تعجيز لان الله تعالى علم عجز العباد عنه ولكنه اراد ذكره في الفهم والسورة الفضيلة والرفعة ومنه
سور البنا قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب الا ان جمع
سورة البنا سور على وزن بسرة وبسر وجمع سورة القرآن سور على وزن ظلمة وظلم ومن همز السؤر
جعلها قطعة ولذلك يقال سؤر السباع للقطعة الباقية من ما شربت وقال ابو عبيدة سميت السورة
سورة لانقطاعها من الاخرى كسورة البنا والشهيد في الحقيقة المعين والى هذا ذهب ابن عباس حيث
فسر قوله تعالى شهداكم اعوانكم وقيل يعني الله تعالى الاصنام شهدا على زعم المشركين انها تشهد و
تشفع لهم عند الله تعالى وفي دلالة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الآية انه قصد الى قوم البلغا
عقلا فصحا شعرا هم الغاية في العلم باللغة العربية فجاهم بكلام من لغتهم ليجعل عجزهم عن مثله حجة
عليهم ودلالة على ابطالهم وكفرهم وتحداهم بذلك وقرعهم به وامهلهم المدة الطويلة وقال لهم فليأتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين فجعلوهم ان عجزهم انما هو عن النظم مع انه ولد بين اظهرهم ونشا معهم
لم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر وهو من مشهور بيتهم واعلامهم في النسب واهل البيت
ليس يخفى احواله ومتصرفاته عليهم وهم اهل الحمية والانفة يا في الرجل منهم القبيلة بسبب الكلمة
ويبذلوا اموالهم واباهم وابناهم وانفسهم لاطفا نوره ولم يتعاطوا معارضته بسورة ولا خطبة
ولا ارجوزة اكثر ما اعتقدوا بدا انه اساطير الاولين وانه سحر كل ذلك يدل على انه من عند الله تعالى
الذي لا يعجزه شي وانه ليس من مقدور مثله وكانت هذه معجزة باقية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
الى قيام الساعة وفضيلة على ساير الانبيا صلوات الله عليهم لان معجزاتهم تقضت بانقضا بعصرهم
وانما يعلم كونها من طريق الاخبار وهذه معجزة باقية كل من اعترض عليها بعصر فرماه بالعجز
عنده فيتبين حينيذ له لزوم الحجة به وقيام الدلالة عليه كما كان حكم من كان في عصره والوجه
الاخر في الدلالة انه معلوم عند المومنين بالنبي صلى الله عليه وسلم وعند الجاحدين لنبوته انه كان
من اكثر الناس عقلا واكملهم حلما وافضلهم رايا ما طعن عليه احد في كمال العقل ووفور الحلم
وصحة الفهم وجودة الراي وغير جايز على من كان هذا وصفه ان يدعي انه نبي الله تعالى قد ارسله
صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة ثم يجعل علامة نبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه كلاما يظهره
ويقرعهم بالعجز عنه مع علمه بان كل واحد منهم يقدر على مثله فيظهر حينيذ كذبه وبطلان دعواه
فدل على انه لم يتحداهم بذلك ولم يقرعهم بالعجز عنه الا وهو من عند الله تعالى لا يقدر العباد عليه
قوله عز وجل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين ان لم تاتوا بمثله ولن تاتوا به ابدا اي لم تقدروا عليه فاحذروا واخشوا
النار التي حطبها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها خلقت وهيئت للكفر
قوله عز وجل فان لم تفعلوا شرط دخل على حرف الجحد ولن تفعلوا نسق عليه وجوابه فاتقوا وهو

شبكة الألوكة www.alukah.net

خير من زمانه الوقت القابل لان لم ينفي بها ما مضى ولن ينفي بها ما بقي والوقود اسم لكل ما اوقدت به النار كالوضوء والطهور والغسول وقيل مصدر من وقدت النار وقودا ووقودا كالقبول والقبول بالضم والفتح جميعا وذكر الحجارة هاهنا تعظيم لامر النار لانها لا تاكل الحجارة الا وكانت لطيفة هايلة ويقال فايدة الحجارة ان تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم كما روي في الخبر انه يكون مع كل انسان في النار حجر معلق في عنقه حتى اذا طفا على وجه النار رسبه الحجر الى اسفل ويقال ان المراد بالحجارة حجارة الكبريت لان لها خمسة اشياء ليست لغيرها احدها انه اسرع وقودا والثاني ابطا خمودا والثالث انتن رايحة والرابع اشد حرا والخامس الصق بالبدن روي انه لما نزل قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال الكفار هذه النار وقودها الناس فما بال الحجارة فنزلت اعدت للكافرين وفي ذكر الوقود اشارة الى انهم لا يصيرون فحما وتنقرض حطبا كما قال الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وفي هذه الآية دلالة على انهم كما لم يعارضوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقع ذلك منهم في المستقبل وذلك اخبار بالغيب وجد مخبره على ما اخبر به ولا يخفى هذا على ذي النظر فهو قاعدة ... في تصحيح نبوته صلى الله عليه وسلم لو قال لهم الدليل على صحة قولي انكم مع صحة اعضايكم وصحة جوارحكم لا يقع من احدكم ان يمس بانفه او ان يقوم من موضعه فلم يقع ذلك منهم مع سلامة اعضايهم وجوارحهم وتقريعهم به مع حرصهم على تكذيبه كان ذلك دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا يصح كونه الا من قبل القادر الحكيم الذي صرفهم عن ذلك والله تعالى اعلم فان قيل كيف قال الله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار واتقاء النار واجب بغير هذا الشرط قيل له العقاب لا يتحتم على المكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا ظهرت المعجزة وقامت الحجة عليه فكانه قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة عليكم فاتقوا النار فان قيل كيف خص الله تعالى الكافرين بكون النار معدة لهم والنار معدة لهم ولغيرهم قيل له اختلف في الجواب عنه قال بعضهم اراد به نارا مخصوصة وتلك النار غير معدة لغيرهم اذ النار دركات كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال بعضهم ليس اذا خص الكفار بالذكر في هذه الآية ما يدل على ان النار غير معدة لغيرهم الا ترى ان الله تعالى خص الناس والحجارة بالذكر في هذه الآية وان كان غيرهم وقود النار كما قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومعلوم انهم كانوا يعبدون الخشب والحديد والذهب والفضة كما كانوا يعبدون الحجر قال الله تعالى لما ذكر الله تعالى في هذه الآية الوعيد للكفار بالنار والحجارة فرق المؤمنون من وعيد الله تعالى فبشرهم الله تعالى بالجنة وما اعد لهم فيها من الثواب بقوله عز وجل وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون معنى الآية والله اعلم فرح قلوب الذين صدقوا وعملوا الصالحات بان لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والخمر و العسل واللبن كلما اخذوا واطعموا من الجنة من الوان الثمر على مقدار البكرة والعشية قالوا هذا الذي اطعمنا من قبل اذا اتوا بكرة قالوا هذا الذي اوتينا عشية واذا اتوا به عشية قالوا هذا الذي اتينا به بكرة فاذا طعموا وجدوا الطعم غير الطعم الذي وجدوا من قبل واتوا به متشابها في المنظر مختلفا في الطعم وفي النهاية في التشبيه والا لما دل على الحكمة الا ترى تفاحة فيها طعم كل فاكهة فترى الطعوم مختلفة والصور متفقة ويقال

معنى

معنى قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل اي في دار الدنيا لان لونه يشبه لون ثمار الدنيا فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك والاول اصح لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسما وذهب بعضهم الى معنى قوله تعالى متشابها اي يتشابه في الاسم ويقال يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ولهم فيها ازواج مطهرة اي لهم مع نعيم الجنة نساء وجوار مهذبة في الخلق والخلق لا يحضن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحتجن الى ما يتطهر منه ولا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن الى غير ازواجهن طهرن من كل دنس وعيب وهم فيها مع هذه الكرامات دايمون لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا والبشارة المطلقة هي الخبر السار الذي يحدث عنده الاستبشار والسرور وان كان قد يستعمل مقيدا فيما يسوء كما قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا قال علماونا فيمن قال اي عبد بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشره جماعة من عبيده واحدا بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت بخبره خاصة بخلاف ما اذا قال اي عبد اخبرني بقدوم فلان فاخبروه واحدا بعد واحد يعتقون جميعا الا ترى ان الناس يقولون قد ظهرت تباشير هذا الامر يعنون اوله الذي يقع به السرور والفرح ومنه سمي الغلام بشيرا تفاولا بالخير دون الشر ويسمى ما يعطى المبشر على الخبر السار بشرى هذا حكم الاطلاق في لفظ البشارة فاما اذا استعمل مقيدا بالشر كان عبارة عن الخبر فيكون معنى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم (اي اخبرهم) ومن الناس من يقول ان اصله فيما يسر ويسوء لان معناه ما يظهر اولا في بشرة الوجه من سرور او غم الا انه كثر فيما يسر فصار الاطلاق اخص بالخير منه بالشر وموضع ان لهم نصب معناه بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصب ويجوز ان يكون موضعه خفضا على المعنى على ما ذهب اليه بعض النحويين وموضع جنات نصب بان الا ان تا جماعة المونث في الخفض والنصب على حالة واحدة كما في الجمع في قولهم رايت الزيدين ومررت بالزيدين وسميت الجنة جنة لان الشجر يجنها اي يسترها ومعنى من تحتها من تحت شجرها اذ لو كانت الانهار تجري من تحت ارضها لم تكن للراي ظاهرة ولا في ذكرها فايدة مع ما جاء في الخبر ان انهار الجنة تجري في غير شق ولا اخدود والزوج ضد الفرد وهو اسم للواحد الذي له قرين يشتمل على الذكر والانثى قال الله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة ولفظ المطهرة يجمع الطهارة كلها وهو ابلغ في الكلام من الطاهرة لان التطهير الكثير والطهارة عبارة عن النظافة وفي الآية دليل على ان العمل غير الايمان لان الشيء لا يعطف على نفسه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل ما بال اهل الجنة عملوا في عمر قصير يخلد اهل الجنة في الجنة وما بال اهل النار عملوا في عمر قصير من اعمار يخلدون في النار فقال كل واحد من الفريقين يعتقد على انه لو عاش ابدا عمل كما عمل قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين قيل منفصل عن الاول لفظا متصل به معنى ووجه الاتصال على ما قال ابن عباس وابن مسعود ان الله لما ذكر في قصة المنافقين مثلين قالوا ان الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الآية والثاني ان الله جل ذكره ذكر البعوض وعنى به مثلا للمنافقين لان البعوضة تحيى ما دامت جايعة فاذا شبعت هلكت فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فاذا استغنوا بطروا وهلكوا قال الله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فكان الله تعالى قال كيف استحيي من ضرب المثل في المنافقين وانا اضربهم بالبعوض الذي هو مثلهم والثالث ان الله تعالى نهى في الآية

شبكة الألوكة www.alukah.net

المتقدم من اتخاذ الانداد لله تعالى والثاني قوله تعالى ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له والثالث مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فوصف الصنم بالعجز عن استرداد ما يسلبهم الذباب قال المشركون ان رب محمد صلى الله عليه
وسلم يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فانزل الله تعالى هذه الاية انه لا يستحيي ان يضرب المثل
بالبعوض والذباب وان البعوض والذباب مع صغرهما يعجز الاصنام عن دفعهما ومعنى الاية
على ما قاله الكلبي لا يمتنع ولا يترك وقال الخليل لا يمنعه الحيا ان يصف الحق شيئا ما بعوضة فما
اكبر منها مثل الذباب وغيره وقيل ان معنى فما فوقها اي في الصغر يقال فلان صغير فيقال او فوق
ذلك اذا ابولغ في الوصف لان الغرض في الاية تمثيل المشركين الاوثان اذ البعوضة نهاية في الصغر
والجفا والخفة وبها يضرب المثل فاما المومنون فيعلمون انه الحق من ربهم واما الكافرون
فيقولون اي شي اراد الله تعالى بذكر البعوض والذباب مثلا فقال الله تعالى قل يا محمد يضل بالمثل
كثيرا من الناس اي يخذلهم ويضلهم ويرشد بالمثل ويوفق لمعرفته كثيرا وما يضل به الا
الخارجين من الطاعة قال الكلبي هم اليهود في هذه الاية وقال قتادة فسقوا فاضلهم الله
على فسقهم والاستحيا ضد الوقاحة وهو الكف عن المساوي والقبائح خلق كريم في المستحيي
انما قال في هذه الاية لا يستحيي لان الله تعالى لا يضرب المثل الا بالحق والله تعالى لا يستحيي من الحق
لان الكريم لا ينبغي الامتناع من وصف ما اقتضت الحكمة ايجاده وتدبيره ولا يكون وصف مثل
ذلك موضع الاستحيا ومن قرا يستحي بيا واحدة فلان اللفظ اذا كثر استعماله تطرق عليه التغيير
وقد يكون الاستحيا بمعنى ابقا الحيوة كما قال الله تعالى ويستحيون نساءكم اي يستبقونهن احيا
وقوله تعالى مثلا ما قيل ان ما نكرة معناه ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشيا بعوضة | علامه
فما فوقها قال الله تعالى انا لدى عتيد اي شي لدي عتيد وذهب الزجاج الى ان الاصح ان تكون ما زايدة
في الكلام موكدة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان لا اعراب لها فيحطها الناصب
الى نصب ما بعدها وقيل انما نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها فاذا القي بين
والى نصب كقولهم مطرنا ما زبالة فالثعلبية اي ما بين زبالة الى الثعلبية وهي احسن الناس
ما قرنا فقدما يريد ما بين قرن الى قدم وقوله تعالى فاما يعرف معناه من معها ولذلك يقتضي الجواب
بالفا كان معناه معها يكن المومنون فيعلموا وكذلك قوله تعالى فاما السايل فلا تنهر اي مهما كان
سايل فلا يكن منك نهي والحق وضع الشي في موضعه واما مثلا في قوله تعالى بهذا مثلا نصب على
القطع عند الكوفيين معناه قطع الاضافة اي بهذا المثل فلما قطعت الالف واللام انتصب على
القطع وقال البصريون منصوب على الحال اي ما اراد الله تعالى بالمثل في هذه الحالة واصل الضلال | له
الهلاك يقال ضل الما في اللبن اي صار مستهلكا واكثر ما يستعمل الضلال في سلوك الطريق فمن سلك
الطريق المستقيم فهو معتقد ومن عدل عنه الى غيره عدلا يهلك به فهو ضال واصل الفسق الخروج
يقال فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت وقد اختلفوا في اضافة الضلال الى الله تعالى ابتدا فقال
بعضهم يجوز لان الله هو المالك للهدى ولا يستحقه احد عليه يعطي من يشا تفضلا منه ويخذل من يشا
عدلا منه وقال بعضهم لا يجوز اضافة الاضلال الى الله تعالى ابتدا وانما يضل مجازاة للكفر كما قال الله
تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال عز من قائل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال في هذه الاية
وما يضل به الا الفاسقين وهذا قول اختاره جماعة من الايمة وقال الزجاج معنى قوله يضل به كثيرا
اي يضل به الخلق الكثير الى التصديق فيكذب به الكفار فيضلون به ويزداد المومنون به هداية

بالتصديق وذهب بعض الناس الى معنى قوله تعالى يضل به كثيرا اي يسميهم ضلالا كما يقال فسقت
فلانا قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اي سماه ضالا قال الكميت
وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسي ومذنب قوله عز وجل الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك | امر
هم الخاسرون نعت للفاسقين عند اهل التفسير ومن جعله كلاما مبتدا وقف على الفاسقين قوله | نعت
الذين ينقضون عهد الله اي يتركوا امره ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد ما اخذه
الله تعالى على النبيين صلوات الله عليهم ومن اتبعهم ان لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته
وصفته كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقيل اراد به العهد الذي اخذ من بني ادم من
ظهورهم حين قال الست بربكم قالوا بلى وقيل عهد الله تعالى هو الاستدلال على توحيده فان كل ذي
تمييز اذا تفكر في نفسه علم ان الله تعالى خالقه فكان عليه الايمان فاذا امتنع من الاستدلال بالعقل
فكانه نقض العهد ومعنى قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي يقطعون الرحم الذي
امرهم الله تعالى بصلته فقتلوا انفسهم واخرجوا فريقا من ديارهم وقال مقاتل رحمه الله الرحم
الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فان العرب كانت من ولد اسمعيل عليه السلام واليهود
من ولد اسحق عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم امروا ان يومنوا بجميع الانبيا
عليهم السلام فامنوا ببعض ولم يومنوا ببعض وقد امر الله تعالى بالوصل ويقال يقطعون حبلهم
من حبل المسلمين ويصلون حبلهم بحبل الكفار ويفسدون يعصون ويامرون غيرهم بالمعصية و
الكفار اهل هذه الصفة هم المغبونون في الاخرة غبنوا انفسهم واموالهم واهليهم وخدمهم و
منازلهم في الجنة وورثها المومنون قال ابن عباس وذلك انه ليس من مومن ولا كافر الا وله اهل
ومنزل وخدم في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى اهله ومنزله وخدمه وان عصى الله تعالى غبن اهله
ومنزله وخدمه وورثها المومنون قال الله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
وقال في صفات اهل الجنة اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
والنقض افساد ما ابرمته من حبل او بنا او غيره كذلك والعهد المتقدم الى الانسان في امر والوصية
اليه ومنه عهد الامرا الى الولاة والميثاق هو الذي يوثق به الشي كما ان الميقات اسم للوقت
يوقت به والمصداق ما يصدق به القول والخاسر الذي ذهب راس ماله والخسران ذهاب
راس المال قوله عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه
ترجعون هذا راجع الى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ومعنى الاية كيف تجحدون وحدانية الله | واحسانه اليكم
تعالى بعد قيام الحجة عليكم بوجوب طاعته وكثرة انعامه عليكم وقد كنتم نطفا في اصلاب ابايكم | ثم
في ارحام امهاتكم واخرجكم نشيا صغارا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه
ترجعون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قال الزجاج كيف استفهام في معنى التعجب والانكار كانه
جل وعلا يقول للخلق وللمومنين الا يتعجبون انهم يكفرون بالله تعالى وقد ثبتت حجة الله
تعالى عليهم باقرارهم ان الله تعالى خلقهم ولم يكونوا شيا كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا والعرب تسمي كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا والحياة
اول نعمة انعم الله تعالى بها على العباد وقيل انما سمى الله تعالى النطف في الارحام امواتا لانها
لا تكون ميتة الا بعد مفارقتها الحي على تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من الحي فهو ميت
وقيل كنتم امواتا اي ترابا كما قال الله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم من طين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد تسمى الارض ميتة والواو في قوله تعالى وكنتم للحال ويجوز اضمار قد اذا كان في الكلام دليل
عليه كما في قوله تعالى او جاوكم حصرت صدورهم اى قد حصرت صدورهم وعن ابى صالح في
قوله تعالى ثم يحييكم قال في القبر ثم اليه ترجعون للبعث وهذا احد التاويلات لما فيه من
اثبات المسايلة في القبر وفي الآية ما يدل على ذلك لان قوله تعالى ثم اليه ترجعون يقتضى التراخى عن
قوله تعالى ثم يحييكم فاما على التاويلين الاولين فغير مستنكر ان يكون احدى الحالات مسكوتا عنها
الا ترى انه عام في من اميت في الدنيا ثم احيى وفي من مات ولم يحى في الدنيا قال الله تعالى الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت الآية وقال في قوم موسى عليه السلام فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فان قيل كيف يجوز ان يكون
الخطاب في هذه الآية لليهود على ما قال الكلبي رحمه الله وهم لم يكفروا بالله تعالى قيل لما انكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا ان القران الذى لا ياتى به الا الله تعالى انه من عند غير الله
فقد كفروا بالله تعالى قوله عز وجل هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم يذكر نعمة اخرى ذكرها الله تعالى ليعبدوه
لها ومعنى الآية قدر خلقها لكم اذ الاشيا كلها لم تخلق في ذلك الوقت لان الاشجار والثمار والدواب
ونحوها تخلق وقتا بعد وقت ثم عمد وقصد الى خلق السما كما يقال قد فرغ الامير من بلد كذا
ثم استوى الى بلد كذا والاستوا اذا عدى بالى كان معناه القصد وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ان معناه صعد امره فاما الاستوا على الشيء كما في قوله تعالى ثم استوا على العرش فمعناه الاستيلا
وهو استوا ملك وقدرة لا الاستوا الذى هو من مجموع وقعود قال الشاعر قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق وقال الكلبى في هذه الآية معنى استوى الى السما صعد وهو قول اهل
التشبيه فسواهن خلقهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم من خلقهن وغير ذلك من مصالح
العباد وما يؤول اليه من عواقب امورهم عليم اى عالم والغرض من الآية والله اعلم ان الذى
خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق السموات قادر على ان يحييكم بعد الموت فان خلق السموات
والارض اعظم من خلقكم وروى ان الله تعالى لما ذكر البعث في الآية المتقدمة عرف اليهود ذلك
فسكتوا وانكروا المشركون وقالوا من يستطيع ان يحيينا بعد الموت فانزل الله تعالى هذه الآية
ولفظ السما في الآية واحد ومعناه الجمع فجمع ما بعده على المعنى ويجوز ان يكون واحدا يراد به الجمع
كما يقال كثر الدرهم والدينار في ايدى الناس ويجوز ان يكون السما جمعا واحدها سماوة كما يقال
جرادة وجراد فان قيل هذه الآية يقتضى ان خلق السما بعد خلق الارض وقد قال الله تعالى
في آية اخرى ما يدل على ان خلق السما قبل خلق الارض حيث قال جل ذكره ءانتم اشد خلقا ام السما
بناها رفع سمكها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الآيتين يقتضى ان خلق الارض
كان قبل خلق السما الا ان بسط الارض كان بعد خلق السما لان معنى دحاها بسطها بعد ما كانت
ربوة مجتمعة الاجزاء وذكر ان الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق الهوا وهو المكان ثم خلق العرش
كما قال تعالى وكان عرشه على الما سئل ابن عباس رضى الله عنهما على اى شيء كان الما قال على متن
الريح روى في الخبر ان الله تعالى خلق تحت الريح جوهرا كيف شا ثم جعل فيه ما ثم جرت الما
على الما فخرج الما فظهر على الما زبد وارتفع منه دخان فجعل الله تعالى الزبد ارضا والدخان سما
كما قال الله تعالى ثم استوى الى السما وهى دخان خلق الله تعالى الارض في يومين وقضى السما سبع
سموات في يومين وبارك في الارض ودحاها في يومين فكان خلق الارض وبسطها في اربعة

ايام

١٢
ايام سوا للسايلين والله اعلم قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال انى اعلم ما لا تعلمون عطف على معنى الآيات المتقدمة لان ما سبق تعريضا بذكر
النعم نحو قوله تعالى الذى خلقكم وفي قوله هو الذى خلق لكم وهذه الآية في ذكر نعمة ابتدا خلق ابينا ادم
عليه السلام كانه قال جل ذكره واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة حين اراد ابتدا خلق ادم عليه السلام
انى جاعل في الارض خليفة اى خالق في الارض ادم عليه السلام وذريته قالوا اتجعل فيها من يفسد
ويصب الدما ونحن ننزهك من السوء ونصلى لك ونطهر انفسنا لك ويقال معنى نقدس لك اى
ننسبك الى القدس وهو الطهارة واللام زايدة كما في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم قال الله
تعالى انى اعلم ما لا تعلمون اى اعلم انه سيكون فيهم انبيا صلوات الله عليهم وقوم صالحون رحمهم
الله يسبحون بحمدى ويقدسون لى ويطيعون امرى والقصد في هذا والله اعلم ما روى ان الله
تعالى لما خلق الارض جعل سكانها الجن بنى الجان على ما قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وجعل سكان السموات الملائكة لكل سما ملائكة
على حدة لاهل كل سما عبادة اهون من التى فوقها فالتى هى فوق اشد عبادة واكثر تسبيحا وصلوة
من الذين تحتهم ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك لله تعالى ساجد او قايم او راكع وكان ابليس
مع جند من الملائكة في سما الدنيا من اهون اهل السموات عملا وكان رئيسهم وكان احمد خزاير
وكانوا خزان الجنان معهم مقاليد الجنان وكان يقال لهم الجن اشتق لهم اسم من الجنة فلما افسد
الجن بنو الجان فيما بينهم وسفكوا الدما وعملوا بالمعاصى بعث الله تعالى ابليس مع جنده فهبطوا
الى الارض واجلوا منها الجن بنى الجان فلحقوا بجزاير البحور وسكن ابليس مع الجند الذين معه
في الارض وخففت العبادة عنهم واستوطنوا فيها فلما اراد الله تعالى ان يخلق ادم عليه السلام
وذريته قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس في الارض انى جاعل في الارض خليفة اى انى رافعكم
منها فوجدوا من ذلك وجدا شديدا فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنو الجان ونحن
نسبح بحمدك الى آخر الآية وذهب بعض اهل العلم الى ان قول من يقول خففت العبادة عن
الملائكة واه ضعيف لان الله تعالى وصف الملائكة بخلاف ذلك حيث قال جل ذكره يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وقال عز من قايل وهم لا يسامون واذ اسم معناه الوقت يؤذن بوقوع الفعل
في ما مضى من الزمان ومحله نصب باضمار الفعل قبله واما اذا اسم يستعمل للوقت في المستقبل
والملائكة جمع ملاك كما قال الشاعر فلست لانسى ولكن لملاك ثم طرحت حركة الهمزة على الساكن
قبلها فصار ملك ويقال ان ملاكا كان في الاصل مالكا من الالوك وهى الرسالة كما قال الشاعر
وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال وقال آخر ابلغ النعمان عنى مالكا انه قد طال
حبسى وانتظارى فقدمت اللام واخرت الهمزة ومعنى الملك الرسول يقال الكنى الى فلان اى
ارسلنى اليه وقيل ان الملائكة جمع على مفاعلة كالمغالبة والمساعية والخليفة اسم لمن يحكم في الارض
بالعدل كما قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويقال معنى الخليفة الخلفا وهو
فعيل بمعنى فاعل لان بنى ادم خلفوا الملائكة في الارض ويقال انما سمى ادم عليه السلام وذريته
خلفا لانه اذا انقرض منهم امة خلفهم اخرى ودخول الهاء في الخليفة للمبالغة والتاكيد وهو اسم
اذا اطلق تناول من يخلف الغير ويتبع مقامه في جميع ما اسند اليه فاذا كان قايما مقام الغير في
بعض الامور قيل انه خليفته في كذا فيقيد الخلافة في الامر الذى هو قايم فيه مقامه والسفك

فيه

الألوكة
www.alukah.net

والسفح واحد وهو الصب إلا أن السفك أكثر ما يستعمل في صب الدماء والتسبيح التبعيد من
السباحة وذلك أن يبعد الإنسان في ذكر الله تعالى كإفاضة السابح يخوض وحده لجة البحر و
فقال أهل اللغة التسبيح التبعيد لأن الذي يسبح يباعد بين طرفيه والمسبح يبعد اسم الله عن الرذائل
والولد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سبحان الله براءة الله من السوء و
في الصلاة سبحة يقال فرغت من سبحتي أي من صلاتي وتسبيح الملائكة قولهم سبحان ذي الملك
والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت والتقديس التطهير
ويقال للسطل القدس لأنه يتطهر منه ومنه بيت المقدس أي المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب
والنبي الأسفل المقدس كأنهم يقولون هو مطهر تيمنا به وتبركا والألف في قوله تعالى أتجعل ألف
إيجاب كما قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده قال جرير ألستم خير من ركب المطايا وأندى
العالمين بطون راح أي أنتم خير من ركب المطايا ويقال إن قول الملائكة أتجعل فيها استفهام
على الاستعلام والتعرف عن الحكمة لا على وجه التعجب والإنكار ولكن على التألم والتوجع
وقال إني أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من وجه المصلحة في خلقه وما يكون فيهم من الخير والرشد
وحسن التدبير والحفظ ما لا تعلمون أنتم ويقال معناه أعلم أن فيكم أشرارا أيضا مثل إبليس
وإن تابعه كما أن في بني آدم أشرارا ويقال معناه أني أبتلي من تظنون أنه مطيع فيؤدي الابتلا
إلى المعصية كما ابتلي به إبليس فعصى وأبتلي من تظنون به المعصية فيطيع والله أعلم
وقد روي في بعض الروايات أن الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها خرجت نار من
الحجب فأحرقت عشرة آلاف منهم وأعرض الرب عز وجل عن من بقي منهم حتى طافوا حول الكرسي
سبع سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذارا إليك قوله عز وجل **وعلم آدم الأسماء**
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين المعنى والله
أعلم أن الله علم آدم عليه السلام أسماء الأجناس كلها من الدواب والطيور والأمتعة حتى البقر
والبعير والشاة حتى القصعة والسكرجة قال ابن عباس ومجاهد علم الله تعالى جميع اللغات على
اختلافها وقال علمه أسماء معاني كل شيء هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا لأن الأسامي في العقول دون
معرفة الأسماء وقوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة يعني أصحاب الأسماء فقال أخبروني بأسماء هؤلاء الأجناس
إن كنتم صادقين في مقالتكم ودعواكم على الخليقة لأنها تفسد في الأرض أو تغير وجمعها الأدمة
هي كالواسطة بين التراب وذكر الخليل أن الأدمة في الناس شربة من سواد وإنما قال ثم عرضهم
لأن فيهم من يعقل لأن الله تعالى علمه أسماء الملائكة وأسماء من يكون في ذريته من الأنبياء صلوات
الله عليهم والاسم الذي يعقل في الآية اسم العقلاء كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الآية وفي
حرف أبي بن كعب ثم عرضها وفي ابن مسعود ثم عرضهن فإن قال قائل قوله عز وجل أنبئوني أمر
تكليف أم لا وهل يجوز تكليف ما لا يطاق قلنا من الناس من استدل بهذه الآية على جواز تكليف
ما لا يطاق والصحيح أن هذا ليس بتكليف لكنه تنبيه للملائكة على أنهم لما عجزوا عن معرفة باطن ما شاهدوه
كانوا عن معرفة باطن ما غاب عنهم وهو أمر الخليقة أبعد وأعجز وهذا كمن يلقي المسألة على من
يتعلم العلم منه فيقول أخبرني بجواب هذه المسألة ولا يريد بذلك أن يأمره بجواب المسألة لأنه يعلم
أن الذي ألقى عليه المسألة لا يعلم جوابها ولكن يقصد بذلك أن يقر عنده من ألقى المسألة عليه أنه — يقصد خ
لا يعرف جوابها ليكون أشد حرصا على تعلم تلك المسألة قوله عز وجل **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا**
ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم أي قالت الملائكة تنزيها لك ربنا من أن يكون أحد يعلم الغيب

سواك

انت

سواك لا علم لنا بعلم ما تلك إلا ما علمتنا إنك العليم بخلقك الحكيم في أمرك إذ أحكمت أن تجعل في الأرض
خليفة سوانا ولو اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب إلا أنهم قالوا إلا ما علمتنا
ليتضمن هذا الجواب الاعتراف بالتعليم وقوله تعالى إنك أنت العليم الحكيم أي إنك أنت العليم
من غير تعليم فأما الحكيم فهو الذي يدرك الأشياء بحقائقها ويضعها في مواضعها بحكمها قوله عز وجل
قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات و
الأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي قال الله تعالى يا آدم أخبر الملائكة بأسماء هذه
الأجناس فلما أخبرهم آدم عليه السلام قال الله تعالى للملائكة ألم أقل لكم إني أعلم سر أهل السموات
والأرض وأعلم ما أظهرتم من الطاعة لله تعالى وما أضمر إبليس من المعصية لله تعالى في الأمر بالطاعة
لآدم عليه السلام وذلك أن الله تعالى لما صور آدم عليه السلام ورآه إبليس قال للملائكة الذين معه
أرأيتم هذا الذي لم تروا من الخلائق مثله إن أمركم الله بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع أمر
ربنا ونفعل ما يأمرنا فأضمر الخبيث في نفسه لئن فضلت عليه لأهلكنه ولئن فضل علي لا — لأطيعنه خ
أطيعنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وفي هذه الآية دلالة على ثبوت العلم و
فضيلته لأن الله تعالى لما أراد إعلام الملائكة فضيلة آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها بعينها
حتى أخبر الملائكة بها ولم تكن الملائكة علمت منها شيئا مما علمه آدم عليه السلام فاعترفوا له
بالفضل فأمرهم الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام تعظيما لعلمه واحتراما له كما قال جل ذكره
في الآية التي بعد هذه الآيات وهي قوله عز وجل **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا**
إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين عطف على ما تقدم والمعنى واذكروا إذ قلنا
للملائكة الذين كانوا في الأرض اسجدوا لآدم قال قتادة سجدة تحية وتكرمة له وعبادة لله
لا لأجل آدم عليه السلام قال كسجود إخوة يوسف له عليه السلام كما قال الله تعالى وخروا
له سجدا وذلك أن التحية بالسجود كانت جائزة لمن يستحق ضربا من التعظيم كالمصافحة و
المعانقة فيما بيننا فأما العبادة فلا يكون إلا لله تعالى والحكمة في أمر الله تعالى الملائكة بالسجود
لآدم عليه السلام إظهار فضيلته لعظيم علمه وإظهار ما في نفس إبليس من المعصية لله — على وجه التحية خ
تعالى ثم نسخ السجود لغير الله تعالى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لو جاز لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها **وذهب** بعض الناس
إلى أن السجود كان لله تعالى وكان آدم بمنزلة القبلة لهم وليس ذلك بشيء لأنه يوجب أن لا
يكون لآدم عليه السلام بذلك حظ من التفضيل والتكرمة وهذا خلاف ظاهر القرآن قال الله
حكاية عن إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي وأما قوله تعالى
فسجدوا إلا إبليس يقول سجدت الملائكة كلهم إلا الذي صار إبليس وكان إبليس في السماء
اسمه عزازيل فلما غضب الله عليه قال يا إبليس كما يقال يا خبيث وقوله أبى امتنع عن السجود
واستكبر أي تعظم في نفسه وكان من الكافرين في علم الله تعالى علم الله في الأزل أنه يختم
له بالكفر وقيل معناه صار من الكافرين كما في قوله تعالى فكان من المغرقين والسجود في اللغة
عبارة عن الانحناء والميلان يقال سجدت النخلة إذا مالت وقد اختص في الشريعة بفعل
مخصوص يتضمن التعظيم لله تعالى وهو وضع الجبين على الأرض في الصلاة وعند قراءة آيات
السجود والاستكبار رفع النفس فوق منزلتها واسم إبليس أعجمي معرب لذلك لا ينصرف
عند نحاة البصرة وقال الكوفيون هو إفعيل من الإبلاس وهو اليأس من رحمة الله كإدريس من ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

يدرس فللتعريف والهمزة الداخلة في الافعال لم تنصرف بخلاف الاكليل وظاهر الآية يقتضي ان
ابليس كان من الملايكة لان الله تعالى استثناه منهم والى هذا ذهب بعض اهل العلم وقال انما
قال جل ذكره في آية اخرى الا ابليس كان من الجن لانه كان من خزان الجنان اشتق لهم اسم
من الجنة وقيل سموا جنا لاستتارهم عن ابصار الناظرين ويقال معنى قوله تعالى كان من الجن اي
كان ضالا كما ان الجن كانوا ضالين فجعله منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين وذهب
جماعة من اهل العلم الى ان ابليس كان من الجن بني الجان ومن الحجة لهم انه كان مخلوقا من
النار كما قال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وله نسل وذرية والملايكة مخلوقون
من النور لا نسل لهم ولا ذرية وانما قال الا ابليس لانه امر مع الملايكة في السجود لادم عليه
السلام فسجد المامورون كلهم الا هو ويجوز ان يكون هذا الاستثنا منقطعا كقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس و
قيل سبب كونه مع الملايكة ان الملايكة لما حاربت الجن سبي ابليس صغيرا فنشا مع الملايكة
فلما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وامر ابليس بالسجود له امتنع وكفر وعاد الى اصله وقد
رجح القاضي ابو عاصم هذا القول الاخير بان قال ان الملايكة رسل الله تعالى ولا يجوز عليهم الفسوق
الفسوق والكباير فكيف الكفر قوله عز وجل وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا
منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين معناه والله اعلم قلنا
يا ادم اجعل الجنة ماوى لنفسك ولزوجك وكلا من الجنة موسعا عليكما حيث شيتما بلا عناء
ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل منها فتكونا من الظالمين لانفسكما لاكلكما من الشجرة قال ابن عباس بعث لاه
الله عز وجل ملايكة من السما الى ادم ومعهم سرير من ذهب فحملوه على السرير حتى صعدوا به
الى السما ضحوة يوم الجمعة فانزلوه وسط الفردوس ولباسه النور وعليه اكليل من ذهب
مكلل بالدر والياقوت وحلتان مكللتان بالدر والياقوت ومنطقة مكللة وسواران
مكللان قال الضحاك دخل ادم عليه السلام الجنة عند الضحوة واخرج منها ما بين
الصلوتين ومكث فيها نصف يوم من ايام الآخرة وهو خمسماية عام والزوج في اللغة
القرين كان الاصمعي يوثر ترك الها في الزوجة ويرى ان اكثر كلام العرب عليه والرغد
العيش الواسع الكثير الذي لا يعييك طلبه والظلم وضع الشي في غير موضعه من ذلك
قولهم من اشبه اباه فما ظلم اي ما وضع الشبه في غير موضعه ويقال الظلم ادخال
الضرر على من لا يستحقه من غير عوض وقد اختلفوا في الشجرة المذكورة في الآية
قال الكلبي كانت الشجرة احسن اشجار الجنة عليها كل نوع من الاطعمة ابتلاه الله
بها ونهاه عن اكلها وعن ابن عباس انها كانت شجرة الحنطة اي السنبلة روي في بعض
الروايات ان الحبة منها ككلية البقرة ألين من الزبد واحلى من الشهد واشد بياضا من الثلج و
عن علي كرم الله وجهه انها كانت شجرة الكرم وهي رواية اخرى عن ابن عباس وعن قتادة انه قال كانت
شجرة التين ومنهم من قال شجرة العلم او شجرة الخلد على ما ان ابليس قال لهما من اكل منها علم الخير
والشر او علم علم الملايكة وقال من اكل منها لم يمت واختلفوا في كيفية اكل ادم عليه السلام من
تلك الشجرة واصح الاقاويل والله اعلم ان ادم عليه السلام اخطا في الاستدلال والتاويل ولم
يتعمد ارتكاب المنهي عنه لانه لا يجوز على الانبيا صلوات الله عليهم ان يقصدوا الى فعل المنهي
مع العلم بالنهي فيخرجون به عن ولاية الله تعالى ويستحقون الغضب منه لانهم لا يامنون ان يكون

ذلك

ذلك الفعل كبيرة واذا استحقوا الغضب من الله لم يجب على الناس متابعتهم ولا النظر في معجزاتهم
بل وجب عليهم التبري منهم فظهر ان ادم عليه السلام لم يرتكب النهي مع العلم بالنهي ولكن اخطا
في التاويل ووجه خطايه في التاويل ان الله تعالى قد كان نهاه عن اكل جنس تلك الشجرة الا ان
الاشارة بالنهي الى شجرة معينة فحسب ادم عليه السلام انه لم ينه عن جنس تلك الشجرة و
انما نهي عن الشجرة التي وقعت الاشارة اليها وكانت الاشارة بالنهي الى شي بعينه ويكون
المراد به تعميم ذلك الجنس بالنهي كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الذهب باحدى يديه
والحرير بالاخرى وقال هذان محرمان على ذكور امتي حل لاناثها لم يرد بهذا تحريم عين
ما كان وضعه على كفه فقط انما اراد تحريم ذلك الجنس فان قال قايل كيف صح هذا التاويل
وقد ذكر ابليس ادم النهي حيث قال له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولا
تكونا في التذكير ابلغ من هذا قيل له لا يجوز ان يقال ان ادم عليه السلام واقع الذنب حين
قال له ابليس هذا القول اذ لو كان في تلك الحالة للغرض الذي ذكره ابليس لكان الله تعالى يعا تبه
على الاكل لهذا الغرض اكثر مما يعاتبه على نفس الاكل فلما عاتبه الله تعالى على نفس الاكل ولم
يعاتبه على ذلك بل ادم لم ياكل من الشجرة حين قال له ابليس ذلك ولكن لما امتنع من الاكل من تلك الشجرة
المشار بالنهي اليها قال ابليس لادم عليه السلام وحوا ان لم تاكلا من هذه الشجرة بعينها فكلا
من جنسها فان الله تعالى انما نهاكما عن عين تلك الشجرة فاكلا من جنس تلك الشجرة ولم ياكلا
من عينها ويحتمل انه لما وافق غرور ابليس ووسوسته في نفسه حين الفتنة بقوله فاغفل النهي
او نسيه او تاول انه نهي كراهية او نحو ذلك وهذا الضرب من السهو والاغفال غير موضوع عن
الانبيا صلوات الله عليهم لعظم اخطارهم وارتفاع اقدارهم ولما شاهدوا من الايات والبينات ولا نهم
القدوة والايمة وقد قال الله تعالى يا نسا النبي لستن كاحد من النسا الى ان قال من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لعظم اخطارهن وقال عليه السلام اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم ومثل هذا السهو والغفلة لا يمكن التحفظ منه وليس يخرج عن قدرة العباد الا ان
الله تعالى وضعه بلطفه ورحمته عن المومنين كما وضع ساير الصغاير ولو اخذهم به لكان عدلا فان
قيل كيف يصح قولكم ان ما فعله ادم كان صغيرة ولم يكن كبيرة وقد عاقبه الله تعالى بنزع اللباس
منه وبالاخراج من الجنة وبالاهباط الى الارض قيل عنه جوابان احدهما ما ذكرنا ان الانبيا صلوات
الله عليهم يوخذون بما لا يوخذ به ساير المومنين والثاني ان ذلك لم يكن عقوبة لكن كان محنة
وابتلاء اذ الله تعالى لا يعاقب انبياءه عليهم السلام وان كان قد يمتحنهم كما يمتحنهم بالامراض و
الاسقام ويدل على ذلك قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر
انه امره بالهبوط بعد التوبة والتايب لا يجوز ان يعاقبه الله تعالى فان قيل ان كان ما فعله
صغيرة لا يجب به العقوبة فلم تاب عليه السلام قيل ان الصغيرة يجب التوبة عنها وان وقعت
مغفورة لانه اذا ترك التوبة منها مع العلم بانها معصية كان مصرا عليها والاصرار على المعصية
نوع ادمان على المعصية فان قيل اذا وقعت الصغيرة مغفورة فما معنى تاب الله عليه وكيف
غفر له قلنا ان الله تعالى يفعل الغفران كما اخبر الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام والذي اطمع
ان يغفر لي خطيتي يوم الدين وان كان خطيئة ابرهيم عليه السلام مغفورة قوله عز وجل فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين المعنى والله اعلم استنزلهما الشيطان عن الجنة ويقال زل اي اخطا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اياها فكانه ازلهما فاخرجهما مما كانا فيه من رغد العيش وراحة النفس وجوار الرب عز وجل وقلنا لادم وحوا عليهما السلام وابليس في الجنة والطاووس انزلوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لادم عليه السلام وذريته وعداوته لهم كفر وهم اعدا ابليس وعداوتهم له ايمان والحية تلدغ عقب ابن ادم وابن ادم يشدخ راسها لان ابليس كان في راسها قال النبي صلى الله عليه والسلام الود يتوارث والبغض يتوارث ويجوز ان يكون المراد بالعداوة العداوة التي بين بني ادم ولكم في الارض مستقر مقام وثبوت ومنفعة الى منتهى الاجال وفي قراءة حمزة فازالهما اي من الزوال فانحاهما والازلال في معنى الازالة جد الزلل يقال ازللت فلانا فزل وازلته فزال والهبوط الانحطاط من الرتبة الرفيعة والمتاع اسم لما يستمتع به والحين والزمان في اللغة واحد فان قيل كيف وسوس ابليس لادم عليه السلام وكان ادم في الجنة وابليس اخرج منها حين امتنع من السجود وكان لا يتمكن من دخول الجنة بعد ذلك قيل اختلفوا في هذا قال بعضهم لم يدخل ابليس الجنة خوفا من رضوان لكن اتى الى باب الجنة فناداهما ولم يكن محجوبا من الصوت وقيل كان ادم وحوا يخرجان الى باب الجنة فغرهما وقال عامة المفسرين انه دخل في فم الحية وذكر الكلبي كيفية هذه القصة قال لما نظر ابليس الى ما اكرم الله ادم عليه السلام حسده فاحتال ان يفتنه فعرض نفسه على كل دابة تدخل الجنة ان يدخل في صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكانت احسن دابة في الجنة خلقا وكانت كهيئة البعير تمشي على اربع قوايم فيها من كل لون فلم يزل بها يعدها ويمنيها حتى اطاعته فدخل بين لحييها فقام في راسها فنادى يا ادم ويا حوا فاجاباه فقال ما امركما ربكما وما نهاكما عنه فقالا امرنا ان ناكل من شجر الفردوس كلها غير الشجرة الواحدة التي في وسط الجنة كيلا نموت فقال لهما ان الله تعالى قد علم انكما لما تموتان موتا ولكن علم انكما متى اكلتما من هذه الشجرة كنتما ملكين تعلمان الخير والشر او كنتما من الخالدين وقاسمهما انه اني لكما لمن الناصحين فقال لهما ايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه فابتدرا الى الشجرة فسبقت حوا ادم عليه السلام فقال لها ادم عليه السلام ويحك اما تخافين ان الله تعالى قد نهانا عنها فقالت انا على سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت ادم فلما وصل الى بطونهما تهافتت عنهما ثيابهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل انما لم يتهافت ثياب حوا اولا لانها كانت تبعا لادم عليه السلام ثم اهبط الله تعالى ادم عليه السلام بالهند وحوا بجدة وابليس بكة وابليس بساحل ايلة والحية باصبهان ورد الله تعالى قوايم الحية الى بطنها وجعل رزقها التراب [illegible] ان ابليس دخل الجنة في جوف الطاووس فسال الطاووس عن الشجرة التي نهى الله ادم عليه السلام عنها فدله عليها ثم اتى ادم عليه السلام واقسم انها شجرة الخلد القصة الى ان قال فغضب الله تعالى على الطاووس واهبطه عريانا ومسح منه صوته ورجليه مثل هذه الاشيا لا تعلم الا من طريق الخبر فما صح من الرواية فيه قيل به وما لم يصح رد والله اعلم

قوله عز وجل **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** معناه تلقف واخذ ويقال الفهم وهو المراد من الاخذ والكلمات اعترافهما بالذنب واستغفارهما كما قال الله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية فتاب عليه اي قبل الله تعالى توبته وقد تاب الله عز وجل عليهما لكن الاختصار على ذكر ادم عليه السلام في الاية على طريق الايجاز والتغليب المذكور انه هو التواب اي القابل للتوبة المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بمن مات على

التوبة

التوبة ومن قرا فتلقى آدم بنصب آدم ورفع كلمات جعل الفعل للكلمات والتلقي هو الاستقبال في كل من تلقاك فقد تلقيته ومن تلقيته فقد تلقاك والتوبة في اللغة هو العود والرجوع يقال تاب وآب بمعنى واحد فالعبد يتوب الى الله تعالى في مقام العبيد ذلة وطاعة وتسليما والله تعالى يتوب على العبد بعود عليه بالعطف والرحمة والستر والمدد روى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكلمات نزل بها جبريل عليه السلام وهي سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وانت خير الراحمين سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وهو رواية ابن عباس رضي الله عنهما

قوله عز وجل **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** خطاب لادم وحوا عليهما السلام خاصة بالهبوط من الجنة الى السما لانه يعقبه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى وهو خطاب لهما ولولدهما خاصة فاما الهبوط الاول فهو من السما الى الارض وقد بيناه ويجوز ان يكون تكرار الامر بالهبوط للتاكيد او لانه الثاني بالفاظ اخر ليست من الفاظ الاول كما يقال اذهب اذهب وعجل عجل ويقال اذهب سالما واذهب معافا مصاحبا ونحو ذلك وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى يقول ان ياتكم مني بيان وهو الكتب والرسل فمن تبع كتابي ورسولي فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا في الاخرة والاصل في اما ان ما على طريق الشرط والجزا الا ان النون ادغمت في الميم وما صلة في الكلام معناه التاكيد و النون المؤكدة في قوله تعالى ياتينكم لا تدخل في الفعل الا ان يكون فيه مؤكد قبله تقول ليأتينك ولا يقال زيد ياتينك بغير اللام والاتباع هو ان يتلو الشي الشي ومنه قول الناس دين الله الاتباع دون الابتداع اي دين الله الاخذ بما جا به النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الانبيا دون الابتداع والنصب في قوله تعالى هداي لان الاصل في يا الاضافة الحركة لانها حرف في موضع اسم مضمر الا انها حذفت في قوله هذا غلامي ونحو ذلك للتخفيف لان اليا من حروف المد واللين وقد سكن ما قبل اليا في هداي فلم يكن بد من تحريك يا الاضافة فجعل حظها من الحركة ما كان لها في الاصل وهو الفتح والحزن هو غلظ الغم من قولهم للارض الخشنة الغليظة ارض حزنة وفي الاية تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان الله تعالى اهبط نبيه عليه السلام من جنة كان انعم الله عليه بها فاهبطه منها من اجل صغيرة من الصغاير فكيف بمن اجترا على الله تعالى وارتكب كباير ما نهي عنه وفيها احسن وعد لمن اتبع هدى الله تعالى في طاعته ولزم تقواه لان الله تعالى جمع في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون مع قلة الحروف صنوف النعم كلها لا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن ومن دخل الجنة فقد سلم من جميع الافات فليس يخاف ووصل الى جميع اللذات فليس يحزن على شي نسال الله رحمته ونعوذ به من عقابه

قوله عز وجل **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** معناه والذين جحدوا بدلايلنا وكذبوا برسلنا وكتبنا اولئك اصحاب النار فيها مقيمون دايمون وللايات معنيان احدهما ما ذكرناه والثاني الدلايل العقلية التي هدى الله تعالى العقل الى معرفتها والاصحاب جمع الصاحب والصحبة هي المقارنة الا ان اسم الصاحب

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلانا ه

لا يقع على الطلاق الا اذا طالت صحبته فاما اذا قلت صحبته معه فانه يقال صحب فلان يوما او كذا والكفر وحده يوجب خلود النار وكذا التكذيب وحده لكن ذكرهما الله تعالى في الآية للتعظيم والتهويل اذ لا يكون احدهما في انسان الا ومعه صاحبه وفي هذه الآيات من اول ما ذكر الله تعالى خلق آدم عليه السلام الى هذه الآية زيادة دليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان صلى الله عليه وسلم من قبيلة وبلدة لا يعرف اهلها شيا من هذه القصة على حقها وصدقها بل كان بين ظهراني قوم ليسوا من اهل الكتاب ولا من شانهم الفحص عن هذه الامور نشا بحضرتهم وهو امي لم يقرا الكتب ثم اخبر علما اهل الكتاب بهذه القصص على وجهها ولم يقدروا على تكذيبه في شي منها وفي الآية دليل على ان الجنة والنار لا يفنيان خلاف قول الجهمية لان الخلود مصرح به في هذه الآية والآية التي قبل هذه يقتضي ان لا يحتاجوا في النعمة ولا يحزنوا على فوت النعم قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ابتدا فصل من ذكر اليهود وهو اطول من الفصول التي تقدمت لانه ينتهي الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وهذه الآية خطاب لليهود والنصارى كلهم لان الله تعالى نسبهم الى ابيهم الاعلى كما قال في آية اخرى يا بني آدم واما اسرائيل فقد قال ابن عباس انه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلوات الله عليهم واسرائيل لغة عبرانية فاسرا في لغة العبرانية هو العبد وايل هو الله عز وجل ويقال الاسرا هو الخالص من كل شي وايل هو الله تعالى فكانه سمي صفوة الله تعالى ومعنى الآية يا اولاد يعقوب احفظوا منتي التي مننت بها عليكم بان انجيتكم من آل فرعون وظللت عليكم الغمام وانزلت عليكم المن والسلوى وجعلت فيكم انبيا صلوات الله عليهم وملوكا وغير ذلك من النعم التي لا تحصى واكثر هذه النعم كانت لابايهم لكن العرب تذكر مثل هذا وتريد به الآبا يقولون هزمناكم يوم كذا يعنون به اباهم وقيل ان النعمة ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وقت اختلافهم في الدين ليدلهم على الحق المبين والامر بذكر النعمة امر بعرفانها بالقلب والاقرار بها باللسان اذ لا سبيل لاحد الى ذكر كل ما انعم الله تعالى عليه سوى الاعتراف بالعجز عن ادا شكره فاما العهد المذكور في الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الله تعالى عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فاتبعوه فمن اتبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا له باتباعه ما جا به موسى عليه السلام والانبيا صلوات الله عليهم من بني اسرائيل واجرا باتباعه ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بالعهد قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى اخر الآية فاما معنى قوله فاياي فارهبون اي فاخشوني في كتمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وترك اتباعه وبني اسرائيل في موضع نصب لانه ندا مضاف والمنادى في موضع النصب لان معناه ناديت واسرائيل في موضع خفض بالاضافة الا انه فتح آخره لانه لا ينصرف لمعنى العجمة والمعرفة وفتح اليا في نعمتي لالتقا الساكنين لان الذي بعدها ساكن وهو لام المعرفة التي ويجوز حذف اليا في اللفظ عند التلاقي والوفا هو اتمام العاقد بما عقد المعقود عليه يقال وفي واوفى اي اتم وفيه لغتان اوفى ووفى وبالالف الفصيح وبها ورد القرآن ونصب اياي بالامر كانه في المعنى فارهبون وحذفت اليا من اخر

الامر

الامر لانها فاصلة الى اخر الآية والرهبة والخوف نظيران الا ان ضد الرغبة الرهبة وضد الخوف الامن فكان الرهبة خوف على شريطة كما ان الرغبة رجا بامل قوله عز وجل وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون وصية من الله تعالى لهم بعد ان ذكرهم نعمته يقول صدقوا بهذا القرآن الذي انزلت موافقا لما معكم من التورية والانجيل وساير الكتب ولا تكونوا اول فريق يكفر به ولا تختاروا باياتي عرضا يسيرا يعني الدنيا واياي فاخشون في محمد صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الخطاب ما روي انه كان لعلما اليهود رياسة ومأكلة ووظايف من سفلة اليهود فكانوا يخافون ان اسلموا ذهبت رياستهم فقيل لهم لا تكونوا اول كافر به فيتبعكم العوام والهاء في قوله كافر به عايدة الى ما انزلت ويجوز ان تكون عايدة الى قوله تعالى لما معكم لانهم كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية فاذا كفروا بالتورية والثمن كل ما يعطى مكان الشي من بدل او مبدل الا ان من شان الثمن والمبيع عروض والثمن دراهم الا ان يقيد الثمن بالبا اذا كان كلاهما عروضا يقيد احدهما بالبا ايهما كان وكذلك اذا كان كلاهما ثمنا من الصرف والفايدة في قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وان كان الكفر قبيحا في الاول والاخر ان السابق الى الكفر يقتدى به غيره فيكون اعظم لاثمه وجرمه كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله فكانما من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان على قابيل بن ادم عليه السلام الاثم كفلا من الاثم في كل قتيل ظلما لانه اول من سن القتل وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شي ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شي قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون قال ابن عباس معناه لا تخلطوا الصدق بالكذب ويقال خلط الحق بالباطل هو ايمانهم ببعض ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم ببعضه ويقال الحق ما تركوه على حاله والباطل ما حرفوه من التورية وتكتموا الحق يحتمل ان يكون جزما على النهي على معنى ولا تكتموا الحق وهو بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية ويحتمل ان يكون قوله تعالى وتكتموا نصبا على معنى وان تكتموا اي ولا تجمعوا بين اللبس والكتمان كما قال الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اي لا تجمع بين النهي عن خلق واتيان مثله وقوله تعالى وانتم تعلمون اي تفعلون ذلك على علم منكم وبصيرة وهذا ابلغ في الوعيد لان من ارتكب المعصية مع العلم بانها معصية كان ذلك اقبح منه ممن ارتكبه وهو لا يعلم بقبحه وكونه معصية واصل اللبس الستر والتغطية يقال في الامر لبست الامر على فلان البسه بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اعميته عليه ويقال في الثوب لبست الثوب البسه بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل قوله عز وجل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين امر معطوف على النهي لفظا يحتمل وجهين احدهما ان الصلوة كانت معهودة للمسلمين يومئذ وكذلك الزكوة كانت معلومة عندهم فامر اليهود باقامة الصلوة المعهودة في شريعتنا وايتا الزكوة المعلومة والثاني يجوز ان يكون الصلوة مجملة يومئذ في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم بيانا لذلك الاجمال وهكذا حال

اذا ذكر انا المبيع ح

لهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سائر ما ورد في القرآن مجملا فانه يكون بيانه موكولا الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لولا ذلك لكان الله يتولى بيانه في القرآن ومعنى واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الجماعات الى الكعبة ولا تصلوا وحدانا وقد تسمى الصلوة ركعة يقال ركعت ركعة اي صليت وفرغت من ركعتي اي من صلوتي والفائدة في تكرار ذكر الصلوة والله اعلم لئلا يتوهم متوهم ان الصلوة لا يجب الا على من يجب عليه الزكوة ويقال ان اليهود كانوا يصلون بغير ركوع فامروا بالركوع في الصلوة وحقيقة الزكوة ما يجب اخراجه من المال على النعت الذي توجبه الشريعة وهي في اللغة عبارة عن النماء والزيادة يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه وزكت النفقة اذا بورك فيها والتزكية التطهير ومنه نفس زاكية فاخراج الزكوة سبب للطهارة والزيادة كما قال الله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون والركوع في اللغة عبارة عن الانحناء والميلان يقال ركعت النخلة اذا مالت قوله عز وجل اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون خطاب لعلماء اليهود ع
قال ابن عباس كان الرجل من اليهود يقول لصهره ولقرابته ولاخوانه من الرضاعة من المسلمين اثبت على ما انت عليه مما يامرك به محمد صلى الله عليه وسلم فان امره حق فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان جماعة من اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بان رسولا سيظهر يدعو الى الله تعالى والى الحق وكانوا يحثونهم على اتباعه واجابة دعوته فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فانزل الله تعالى هذه الاية تذكيرا لهم ما كان منهم يقول اتامرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتتركون انفسكم فلا تتبعوه وانتم تقرؤن الكتاب بالتورية وتعلمون ما فيها من البشارة به ووجوب اتباعه افلا تعقلون ان الحجة عليكم والف الاستفهام في اول هذه الاية يقتضي التوبيخ والانكار كما في قوله تعالى اتأتون الذكران من العالمين وقوله تعالى اتتركون فيما هاهنا امنين والبر هو اتساع الخير قال ابن العربي لانه اشد اتساعا من البر وتسمى المفازة برية لاتساعها والنسيان السهو ضد الذكر الا ان بين النسيان والسهو فرقا وهو ان النسيان عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره والسهو قد يكون عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله فتركهم والتلاوة هي القراءة واصلها الاتباع لان الحروف يتلو بعضها بعضا والعقل قد يكون بمعنى الشد يقال عقلت البعير اعقله اذا شددت ركبته وما يعقل به عقال ويسمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وقيل ان العقل علوم مخصوصة من جملتها العلم بالحسنات والسيئات فسمي العقل عقلا لانه يعقل العلوم المكتسبة ولا يجوز ان يقال في اسماء الله تعالى عاقل لانه لا يكتسب علما بشيء فيعقل بعض علومه ببعض ولانه لا يعقله شيء عن فعل القبيح لكن لا يختار القبيح مع استغنائه عن فعله لعلمه بانه قبيح قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين يقول استعينوا بالصبر على طاعة الله تعالى وفعل الصلوة على ما يذهب عنكم من الرياسة ويفوتكم من المأكلة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في الاية مستعانا عليه وانما ذكر المستعان به لان الاستعانة بالشيء يقتضي مستعانا عليه لا محالة فالمستعان عليه ذهاب العز والرياسة وفوت المأكلة والرشى والمرافق ويقال هو الشدة والمشقة التي تلحق المصلين يتبع خ

في الطاعة وقال مجاهد الصبر في الاية هو الصوم وسمي الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه عن الطعام والشراب وسمي شهر رمضان شهر الصبر وقيل حمل هذه الاية على الصوم اولى من حملها على الصبر الذي هو نقيض الجزع لان الذي يليق بالصلوة والزكوة الصوم دون الصبر الذي هو نقيض الجزع فاما قوله تعالى وانها لكبيرة يحتمل ان الهاء كناية عن الصلوة لانها اشرف الطاعات ويحتمل ان تكون كناية عن الاستعانة ويحتمل ان تكون المراد بها الصبر والصلوة جميعا كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما لدلالته على الاخر قال الشاعر: ومن يك امسى بالمدينة رحله ❊ فاني وقيار بها لغريب ❊ اي غريبان والكبيرة الثقيلة الشديدة لان ما يكبر يثقل وما يثقل يشق حملها والخاشعون المتواضعون الذليلة قلوبهم قال الخليل رحمه الله تعالى يقال خشع اذا رمى ببصره الى الارض واختشع اذا طأطأ راسه للسجود والخشوع والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع بالبصر والصوت والقلب كما قال الله تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن ان تخشع قلوبهم والصبر حبس النفس عما ينازع اليه والاستعانة طلب المعونة والصلوة بما فيها من تلاوة الكتاب والوقوف بذلك على الوعد والوعيد والمواعظ البليغة تسهل على النفس ترك الرياسة وتسهل الانقياد للطاعة قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون معناه والله اعلم الذين يستيقنون انهم ملاقوا ربهم في الاخرة وانهم اليه راجعون يجزيهم بما عملوا لانهم لو كانوا شاكين كانوا ضلالا كافرين وقد يذكر الظن بمعنى العلم كما قال دريد بن الصمة: فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ❊ سراتهم في الفارسي المسرد ❊ اي ايقنوا والظن في اللغة هو الشك الذي يقوى احد طرفيه على الاخر الا ان العلم عير العيان يجوز ذكره بلفظ الظن وان قام في النفس حقيقته لانه يبدو في النفس كالظن ثم يقوى حتى يصير يقينا وملاقاة الله رؤيته ويقال معناه ملاقوا جزاء ربهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين امرهم الله تعالى لهم بتذكير النعمة واما تكرار خطاب بني اسرائيل في القرآن بذكر النعمة فعلى طريق التوكيد كما قال في قوله تعالى قلنا اهبطوا ويحتمل ان يكون المراد باللفظ الاول القوم الذين كانوا في بني اسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالثاني اباء هؤلاء القوم واسلافهم لان الله تعالى عطف على هذه الاية قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون واراد به اباءهم وقوله تعالى فضلتكم اي بالكتب والرسل على عالمي زمانكم قبل مبعث عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم والتفضيل زيادة احد الشيئين على الاخر بالخير قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون اخشوا عذاب يوم لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة ولا يقبل منها شفاعة لنفس كافرة ولا يؤخذ منها عدل فدية ولا هم يمنعون من ما يراد بهم من العذاب والجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزى عني او يجزي عني وناب عني ومنه قولهم جزيت دين فلان اي قضيت دينه والمتجازي المتقاضي فاما اجزاني فمعناه كفاني روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزي عن سبعة بغير همز وروي يجزي مهموز والاصل في هذا كله الجزاء وهو مقابلة الاحسان بالاحسان والشر بالشر فكان المراد بالاية يوم لا تقابل نفس المكروه بما يدفعها وتقديره قوله تعالى لا تجزي اي لا تجزي فيه وحذف حرف الظرف سائغ يقول اتيتك اليوم اي اتيتك في اليوم والشفاعة التماس خير للغير

رَحْله خ
حله خ
اخشع خ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

او دفع مضرة عنه اذا كان درجة الشفيع عند المشفوع اليه اعظم من درجة المشفوع له والاصل
فيها الشفع الذي هو بمعنى الزوج فسمي الشفاعة شفاعة لان الذي ياتي الشفيع قد شفع نفسه
بغيره على سبيل الاستعانة به على قضاء الحاجة يقال شفع اذا التمس قضاء الحاجة وشفعه اذا
اجابه الى ملتمسه ومراده ويقال المشفع اي معطاه وانعقد على قضاء الحاجة وقد كانت اليهود
يزعمون ان اباءهم الانبيا صلوات الله عليهم ابراهيم واسحق ويعقوب يشفعون لهم عند الله فايسهم
الله من ذلك بهذه الآية وقال النحاة لا ينكم في ذلك اليوم احد عند انشقاق السما وزفرة جهنم
ونشر الكتب وسقوط الخلايق على الركب حتى ينقضي ذلك الوقت ثم يجي الرحمة وترجع الافيدة و
العقول فحينئذ تقوم الشفعاء ولهذا لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
من قرا بالتا فلان الشفاعة مونثة ومن قرا باليا فلان تانيثها ليس بحقيقي كما في قوله عز وجل
فمن جاءه موعظة من ربه والعدل الفدية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشي
من جنسه والعدل بدله قد يكون من جنسه وقد يكون من غير جنسه كما قال الله تعالى
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما والنصرة العون تقول العرب نصر الغيث البلاد
اي اعانها على الخصب والسعة قال الخليل النصرة هو عون المظلوم روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما فمعنى نصرته مظلوما ان تدفع الظلم
عنه ومعنى نصرته ظالما ان تمنعه عن الظلم فتدفع بذلك الفعل العقاب عنه قوله عز وجل
واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم معطوف على الآية قبله وهي قوله تعالى يا بني اسرايل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واذكروا اذ نجيناكم من ال فرعون واذ فرقنا بكم البحر واذ وعدنا
موسى واذ فعلنا واذ فعلنا كرر ذلك تعدادا للنعم عليهم احتجاجا وتذكيرا ليتنبه الغافل ويترك
العالم المعاند العناد واللجاج خاطب الله تعالى بهذه الآية الابناء وكانت النجاة من فرعون
لابائهم فاعتد ذلك منة عليهم لانهم نجوا بنجاة ابايهم ومآثر الابا مفاخر الابنا ومعنى الآية
والله اعلم خلصناكم من حرب فرعون واتباعه واهل دينه يولونكم ويكلفونكم شق العذاب
يذبحون ابناءكم الصغار ويستبقون اناثكم الصغار والكبار للاستخدام وفي انجاء الله تعالى
اياكم نعمة من ربكم عظيمة ويحتمل ان يكون قوله تعالى ذلكم منصرفا الى الذبح والاستخدام فيكون
معنى البلاء الشدة والمحنة واما الانجاء فهو التخليص يقال نجاه وانجاه اذا خلصه ويقال
للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه يتخلص من كثير من المضار والآل والاهل واحد الا ان الآل
يستعمل في ابناء الروسا خاصة وفرعون اسم للملوك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس
كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع واسم فرعون الوليد بن مصعب ويقال مصعب بن الريان
والسوم الايلام يقال سمت فلانا سومة حسنة او سيئة اذا اوليته ذلك والسيما العلامة والسوء
جمع الآفات والادوا والذبح فري الاوداج واصله الشق فاما التذبيح فللتكثير والمبالغة والاستحيا
الاستبقاء قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا شيوخ الكفار واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم
وهم الذين يصلحون للخدمة وذهب بعضهم الى ان معنى قوله يستحيون من الحيا الذي هو الرحم
فان القوم كانوا ينظرون الى فروج نسا بني اسرايل ليعلموا هل بهن حبل ام لا حتى ان من يكون
بها الحبل لا تملك نفسها والاصل البلاء من الابتلا وهو الاختبار والاختبار تارة يكون بالنعمة
وتارة بالشدة والدليل على ان البلاء يذكر ويراد به النعمة قوله تعالى وليبلي المومنين منه بلاء

حسنا

حسنا قال الاحنف بن قيس البلاء ثم الثناء اي الانعام ثم الشكر وقال زهير جزى الله بالاحسان
ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو اي يختبر واراد به النعمة وسبب قتل فرعون
ابنا بني اسرايل ما روي انه راى في المنام كان نارا اقبلت من بيت المقدس فاهلكت مصر و
احرقت القبط ولم يمس بني اسرايل فلما اصبح هاله ذلك فجمع السحرة والكهنة والعرافين فسالهم
عن ذلك فقالوا انه يكون من البلد الذي منه هولا القوم من يخرب ملكك على يده فامر فرعون
بان يذبح كل ابن يولد من بني اسرايل اراد بذلك ان يتخلص من قضا الله فلم ينفعه قوله عز وجل
واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون معطوف على اذ التي قبلها
ومعنى الآية والله اعلم فرقنا بكم البحر يمينا وشمالا وذلك حين خرج موسى عليه السلام مع بني اسرايل
الى البحر فاوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم خلصناكم من الغرق واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون اليهم حين غرقوا وهذا اعظم
النعمة واوضح الحجة لانهم شاهدوا ما صنع الله بهم وبعدوهم وقيل معنى تنظرون اي تعلمون
ذلك كانكم كنتم تنظرون وهذا مثل قولهم دور ال فلان تنظر الى دور ال فلان اي هي بازايها
لان الدور يعلم انها لا تبصر وقد روي في الخبر ان بني اسرايل سالوا موسى عليه السلام ان يدعو
ربه ليريهم اياه فسال موسى عليه السلام ربه فلفظهم البحر فنظروا اليهم والى فرعون
فعرفوه فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه والفرق الفصل بين الشيين اذا كان بينهما
فرجة وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه يقال فلان يتبحر في العلم وفلان يتبحر في المال
اذا اكثر علمه او ماله والغرق هو الرسوب في الما والنظر هو الاقبال الى الشي بكل وجهه
ولهذا يسمى الاقبال بالوجه على الشي نظرا وسمي الفكر نظر القلب لما فيه من الاقبال على المعنى
المتفكر فيه بالقلب ويسمى الاحسان نظرا لما فيه من الاقبال على من احسن اليه وقيل ان
النظر هو التحديق بالبصر نحو الشي التماس الرؤية كما قال الله تعالى في شان الاصنام وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون لان احداقهم كانت اليه بالصورة فان قيل لم يعط الله
كل نبي عليه السلام وكرامة مثل هذه الآيات العظام من فرق البحر ونحو ذلك قيل ان الله
انما اعطى الآيات والاعلام على حسب ما يرى للخلق من المصلحة في ذلك وكانت قوم موسى
عليه السلام من البلادة ورداءة الفهم ما كان لا يمكنهم الاستدلال على نبوة موسى بالآيات
الخفية الا ترى انهم بعد ما عبروا البحر مروا على قوم كانوا يعبدون الاصنام فقالوا لموسى
عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة واما العرب واكثر من غيرهم من جودة القريحة
والذكا بحيث يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفية فلم يحتاجوا في الاستدلال على نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مشاهدة فلق البحر ونحو ذلك والله اعلم قوله عز وجل
واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون معناه
اي اذكروا اذا اخبر الله تعالى موسى عليه السلام ان يوتيه الالواح فيها التورية على راس ثلثين يوما
من ذي القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا فاستاك فامره الله تعالى
بصوم عشر اخرى من اول ذي الحجة كما قال الله تعالى في آية اخرى وواعدنا موسى ثلثين ليلة
واتممناها بعشر فقال السامري في الايام العشر يا بني اسرايل قد مضت الثلثون ولم يرجع
الينا موسى وانكم قد استعرتم من نسا قوم فرعون حليهن حين سار بكم من ارض مصر
فلم تردوا عليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم من حليهن حتى نحرق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلعل الله يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صايغاً فاتخذ من ذلك عجلاً ونفخ
فيه التراب الذي كان اخذه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس
فرس الحيوة ما وضع حافره على موضع الا اخضر فصار العجل جسداً له خوار فعبدوه
فذلك قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون يقول ضارون انفسكم بعبادة
العجل قال ابن عباس صار عجلاً جسداً لحماً ودماً وشعراً ويقال ان سبب الفتنة
وعد الله تعالى موسى اربعين فاخبرهم فلما مضت عشرون يوماً من الميعاد قالوا قد تمت
اربعون عدوا ايام الايام والليالي فامرهم السامري بجمع الحلي فاتخذ لهم العجل فان قيل
كيف يجوز ان يقضي الله من الذهب عجلاً جسداً له خوار على يدي رجل يريد اغواء الناس
واضلالهم عن دين الله تعالى انما يفعل الله مثل هذه الاشياء معجزة للانبياء صلوات الله
عليهم فلو جاز مثل هذا على يد غيرهم لبطلت المعجزات قلنا لا يمتنع ان يكون الله تعالى اجرى
في التراب الماخوذ من حافر فرس جبريل عليه السلام انه اذا القي على شيء صار ذلك الشيء حيواناً
فلم يكن هذا الفعل على وجه نقض العادة حتى يكون شبه المعجزة وذهب بعضهم الى ان
السامري كان حين صاغ لهم العجل جعل فيه خروقاً فكانت الريح تقع في تلك الخروق
فيسمع لها مثل الخوار فكان يوهمهم ان ذلك الصوت خوار وفي الجملة ان الله تعالى
ذكر فيهم من العقل ما لو تفكروا لعلموا ان العجل لا يصلح ان يكون الهاً فاستدلوا على
كذب المدعي فلم يكن الموضع موضع الاشتباه والمواعدة مفاعلة من وعد يعد والوعد
هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل او شر ينزل به الا انه غلب استعمال الوعيد في
الشر والوعد في الخير قال الشاعر: واني اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي و
منجز موعدي ومن قرا وعدنا بغير الف فلان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد و
من قرا بالالف فلفظ المفاعلة يستعمل بين الاثنين والوجه في ذلك ان الوعد من الله تعالى
خبر ومن موسى عليه السلام قبول واتباع فجرى مجرى المواعدة وقد تكون المفاعلة من
واحد كما يقال سافر وناقف واسم موسى عليه السلام في اصل لغة القبط موشى لان مو هو الماء
وشا هو الشجر سمي بهذا الاسم لوجوده في التابوت بين الماء والشجر والعجل والعجول ولد
البقرة وفي الاية تعجيب من فعلهم اذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة اتخذوا العجل
الى غيبة موسى عليه السلام عنهم ثم من الله تعالى عليهم بالعفو كما قال جل ذكره ثم عفونا
عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون يقول تركناكم من بعد عبادتكم العجل فلم نستاصلكم
لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة والعفو في اللغة المحو ومنه يقال عفا الاثر و
عفته الريح كما قال الشاعر: عفت الديار محلها فمقامها فكل من استحقت عليه عقاباً
فتركته فقد عفوته والشكر هو عرفان النعمة ويقال هو الاعتراف بالنعمة باظهارها وقوله
عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون معناه اي اعطينا
موسى عليه السلام التورية وما يفرق به بين الحق والباطل من الآيات لكي تهتدوا بما في التورية
من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ويجوز ان يكون الفرقان هو الكتاب
بعينه الا انه اعيد ذكره لبيان انه يفرق بين الحق والباطل وقد سمى الله تعالى التورية
فرقاناً في موضع اخر كما قال الله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وسمى الله تعالى نصرة
المؤمنين يوم بدر على الكفار فرقاناً بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان اراد به يوم

بدر

بدر وفي هذه الآيات كلها دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الاقاصيص لم تكن
من علوم العرب ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم قرا كتبهم فلم يكن يعلم الا من طريق الوحي
قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب
الرحيم اي واذكروا حين قال موسى عليه السلام لقومه بعد ما رجع من الجبل واعطاه الله التورية
يا قوم انكم اضررتم بانفسكم بعبادتكم العجل فارجعوا الى خالقكم وليقتل بعضكم بعضاً اي الذين
لم يعبدوا العجل الذين عبدوه كما قال الله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وقال الله عز وجل فسلموا
على انفسكم ويقال فاقتلوا انفسكم اي استسلموا للقتل ذلكم يعني التوبة والقتل خير لكم من
ايثار الحيوة الدنيا لان حيوة الدنيا تفنى ولا تبقى فاذا اثرتم الحيوة الدنيا حصلتم بعد
الحيوة الدنيا على عقاب دايم لا ينقطع واذا قتلتم انفسكم كما امرتم انقضت شدة القتل
عنكم عن سرعة ثم تحصلون بعد ذلك على نعيم دايم لا يفنى ولا يبيد وفي قوله تعالى فتاب
عليكم اختصار كانه قال تعالى ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم تجاوز عنكم حين جعل القتل
كفارة لذنوبكم ورفع القتل عن من بقي منكم فلم نستاصلكم انه هو المتجاوز عن ذنوب
العباد الرحيم بالتائبين وذكر في الخبر ان موسى عليه السلام لما خاطبهم بما ذكر الله
في هذه الاية قالوا قد فعلنا يا موسى فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل وليرضون بالقضا
قالوا نعم فاصبحوا من الغد بافنية بيوتهم كل بني اب على حدة فاتاهم هرون عليه السلام
والاثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل بايديهم السيوف فقتلوا من لقوا وكان هرون عليه
السلام يتقدم الى القوم وهم جلوس بافنية بيوتهم يقول هولاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين
السيوف فاتقوا الله تعالى واصبروا فلعن الله رجلاً حل حبوته او قام من مجلسه او مد
طرفه اليهم او اتقاهم بيده او رجله فيقولون آمين فجعلوا يقتلونهم الى المسا وقام موسى
عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدما وشدة الاصوات حتى نزلت التوبة فقيل لموسى
عليه السلام ارفع السيف فاني قد قبلت توبتهم جميعاً من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت ذلك
القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقي منهم فكان القتلى سبعين الفا والقاتلون اثنا عشر الفا
فان قيل كيف يحسن ان يتعبدهم الله تعالى بقتل انفسهم قلنا لا ينكر احد حسن التعبد
بالقتل الاشوية فاذا جاز ان يمتحنهم الله تعالى بالامراض والاسقام جاز ان يمتحنهم
بقتل انفسهم كما ابتلى الله تعالى ابرهيم عليه السلام بذبح ولده ثم فداه عليه السلام بذبح
عظيم وقال عز من قايل ان هذا لهو البلاء المبين وكان السبب في امر بني اسرائيل بقتلهم
انفسهم والله تعالى اعلم انه كان في القوم من عرف بطلان عبادة العجل الا انهم لم ينهوا
الاخرين عن عبادة العجل خشية وقوع القتال فيما بينهم فابتلاهم الله تعالى بما تركوا النهي
عن المنكر لاجله قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون نزلت في سبعين رجلاً اختارهم موسى عليه السلام
لميقات الله تعالى عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف واختار موسى قومه سبعين
رجلاً لميقاتنا روي انه عليه السلام لما انتهى بهم الى الجبل امرهم ان يمكثوا في اسفل الجبل
وصعد هو فاعطاه الله تعالى الالواح فيها التورية فلما رجع اليهم قالوا لن نصدقك حتى
نرى الله جهرة عياناً وعلانية فاخذتهم الصاعقة نزلت نار من السما فاحرقتهم ويقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى ماتوا موتًا فما قالوا وانتم تنظرون الى اسباب الموت والرؤية جهرة هي الرؤية على وجه
لا يكون بين الرائي والمرئي ساتر ولا حجاب يقال فلان يجاهر بالمعاصي اذا كان لا يستتر بها و
الصاعقة في اللغة اسم لما يصعقون منه اي يهلكون ويفزعون وهي في هذه الآية عذاب
مهلك قوله عز وجل **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** يقول احييناكم
من بعد هلاككم لكي تشكروا الحياة بعد الموت والبعث في اللغة اثارة الشيء عن محله يقال
بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث **فان قيل** كيف يجوز ان يقبل التوبة بعد الموت ولو
جاز ذلك لجاز قبول التوبة يوم القيامة وما الفرق على من قال بالرجعة في دار الدنيا قيل
البعث بعد الموت في دار المحنة كالانتباه من النوم والافاقة من الجنون والغشي لان الله
تعالى ردهم الى التكليف في دار الدنيا ولا بد لذلك من غاية يقع عندها الثواب والعقاب
فقلنا ان تلك الغاية هي يوم القيامة فلو قبل التوبة يوم القيامة وكانت تلك الدار دار المحنة
لم يكن بد من دار اخرى تكون غاية لدار المحنة فاما الرجعة الى دار الدنيا فانما انكرنا على الخلق
ظنهم من قبل ان فيها اعلاما للراجع انه يرجع وهذا لا يجوز لان فيه اغراء بارتكاب الذنوب
وترك الاحتياط وقت الرجعة لتكون التوبة فيه قوله عز وجل **وظللنا عليكم الغمام و**
انزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون معناه سترنا عنكم الشمس بالسحاب الابيض كان يقيهم حر الشمس في التيه
وكان يدلي لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسير معهم بالليل حيث ساروا مكان القمر وانزل
الله تعالى عليهم المن وهو الترنجبين ويقال الترنجبين ويقال هو شيء حلو كان يسقط على الشجر
كالشهد المعجون بالسمن كان الرجل منهم ياخذ كل غداة صاعا يكفيه يومه وليلته فاذا اخذ
اكثر من ذلك دود وفسد فاذا كان يوم الجمعة اخذ كل انسان منهم صاعين فانه لم يكن يأتيهم
يوم السبت فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فدعا عليه السلام
فانزل الله تعالى عليهم السلوى طيرا كبيرا كهيئة السماني كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قيل
لهم كلوا من حلال ما رزقناكم وهذا على طريق الاضمار كما قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اي قالوا ما نعبدهم وقال عز من قائل فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل وما ظلمونا الكلام ايجاز واختصار
المعنى ما ظلمونا بمخالفتهم امرنا وذلك انهم امروا ان لا يرفعوا من السلوى شيئا للغد فرفعوا
منه مخافة ان ينفد فذهب عنهم ذلك قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
دعوا حتى منع عنهم وهذا كله كان في التيه حين ابوا على موسى عليه السلام دخول مدينة
الجبارين فحرم الله تعالى عليهم تلك المدينة اربعين سنة يتيهون في الارض والتظليل في
اللغة هو الستر من العلو والغمام السحاب سمي السحاب بهذا الاسم لانه يستر السماء قال الله عز وجل
ثم لا يكن امركم عليكم غمة يقول امرا مستورا وسمي السحاب سحابا لانه ينسحب في الهواء اي
يجري فيه وحقيقة المن ما يمن الله تعالى به على عباده من غير نصب ولا تعب والسلوى جمع
لا واحد له وذكر الخليل ان واحده سلواة والطيب ما يستطيبه الانسان **وروى** ابو
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام
ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها قوله عز وجل **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث**
شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

معناه

معناه وقد قلنا لبني اسرائيل بعد انقضاء اربعين سنة من اول كونهم في التيه على لسان يوشع
بن نون عليه السلام بعد موت موسى وهارون عليهما السلام ادخلوا هذه القرية يعني مدينة
اريحا بقرب بيت المقدس فكلوا منها رغدا كثيرا واسعا بلا حساب ولا عناء وادخلوا باب المدينة
ويقال باب مسجد ايليا وهو مسجد بيت المقدس ركعا منحنين متواضعين وقولوا حطة اي قولوا مسألتنا
حطة **قال ابن عباس** امروا ان يستغفروا ربهم وعن عكرمة انه قال امروا ان يقولوا لا اله الا الله
ويقال معناه قولوا ان ما قيل لنا حق وهذه الكلمات كلها تحط الذنب فمن انتهى بحطة نغفر لكم
خطاياكم ذنوبكم وسنزيد المحسنين الذين لا ذنب لهم احسانا بقول زيادة ثواب على اعمالهم من التفضل عليهم بما لم
يستحقوا كما قال الله عز وجل ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ويقال سنزيد المحسنين الاحسان على ما
سلف من الاحسان من انزال المن والسلوى وتظليل الغمام والعرب تسمي البلدة قرية لان القرية انما
سميت قرية لاجتماع الناس فيها والحط هو وضع الشيء من الظهر او الدابة ومن قرأ حطة بالنصب فالمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة والغفر الستر واصله من المغفر سمي به لانه يستر الراس وقرئ يغفر لكم بالياء والتاء
على فعل ما لم يسم فاعله الا ان النون اليق بما قد سبق من اللفظ لان ابتداء الآية واذ قلنا ادخلوا وايضا
الخطايا في جمع خطيئة وقرئ خطاياكم قوله عز وجل **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا**
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون معناه الذين عصوا وكفروا ما امرهم الله تعالى بدلا
بقوله فقالوا بلغتهم حطا سمقاثا اي حنطة حمراء بلغتهم قالوا هذا القول استهزاء وتبديلا مكان القول الذي
امروا به وهو ما قال الله عز وجل وقولوا حطة **وقال الحسن** رضي الله عنه امروا ان يقولوا حطة فقالوا
حنطة امروا ان يدخلوا الباب ركعا فدخلوا زحفا ويقال متزحفين خالفوا في الدخول كما خالفوا في
القول فانزل الله تعالى عليهم رجزا عذابا قيل انه الطاعون قال الكلبي اخذهم موتان وهو نوع من
الطاعون فمات منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة ويقال هلك منهم سبعون الفا
وقيل نزلت عليهم نار فاحرقتهم لتبديلهم ما امروا به قوله عز وجل **واذ استسقى موسى لقومه**
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه واذ استسقى موسى عليه السلام
اي سال ربه حين استسقاه قومه وقت ما اصابهم من العطش حال ترددهم في الارض القفرة بعد
غرق فرعون فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس رضي الله عنهما امره الله تعالى ان ياخذ حجرا
خفيفا مثل راس الانسان فيضربه بعصاه فضرب فانفجر منه اثنتا عشرة عينا لاثني عشر سبطا
لكل سبط منهم عين يشربون منها لا يخالطهم فيها غيرهم وذلك للعصبية التي كانت بين الاسباط
قد علم كل سبط موضع شربهم فكانوا اذا ارتحلوا استمسك الحجر بحملهم واذا نزلوا وضعوه
فانفجر كلوا واشربوا من رزق الله اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسعوا الى الفساد في الارض
عاصين والاستسقاء طلب السقي كما يقال استنصر اي سال النصر والانفجار الانشقاق ومنه
الفجر فجرا لانه ينشق من الظلام وسمي الفاسق فاجرا لانه يشق عصى المسلمين واما قوله تعالى في
آية اخرى فانبجست منه اثنتا عشرة عينا الانبجاس في اللغة اول ما يتفجر من الماء وينشق
والانفجار بعين السيلان فكان الانبجاس في اول القصة والانفجار في آخرها والانبجاس اقل
من الانفجار وقرئ عثي بسكون الثاء وكسرها وكلاهما لغتان عثا يعثو مثل عتا يعتو والعثو
والعيث اشد الفساد وانما جمع في الآية بين لفظ العثو والفساد وان كان
معناهما واحدا على جهة التوكيد كما يقال كذب وزور وظلم وجور واختلف اهل التفسير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الحجر الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية قال بعضهم كان الله تعالى امر موسى عليه السلام بان
ياخذه من الحجر من اسفل البحر حين ترفيه مع قومه وقال بعضهم انه كان من الجنة ويقال كان حجرا
من احجار الارض جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يستنكر من تحديث الحجر ان
يحدث الله تعالى فيه ما شا كما شا وكيف شا والله اعلم قوله عز وجل وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ قال اهل التفسير
ذكره الله لما طالت المدة على بني اسرائيل في التيه واجموا ما كانوا فيه من المن والطير عادوا في
المسألة لموسى عليه السلام فقالوا لن نستطيع ان نصبر على طعام واحد عنوا به المن والسلوى
سموهما طعاما واحدا لان غذاهم كان في كل يوم على صفة واحدة وهذا كالرجل يتناول طعاما في كل
يوم واحد وان كان يتناول في كل يوم الوانا من الاطعمة ويريد بالواحد انه احبس نفسه على الوان
منها معلومة وقال بعضهم ارادوا بالطعام الواحد المن خاصة فان السلوى كان قد ذهب عنهم و
يجوز ان يكون عنوا بالواحد طعام السما اي كلما نطعمه ينزل من السما ولا نطعم ما ينبت من الارض
فادع لنا ربك اي سل لاجلنا خالقك يخرج لنا مما تنبت الارض اي من نباتها ثم بينوا النبات
فقالوا من بقلها واراد به البقول كلها وقثائها واراد جميع ما يخرج من القثاء البزر من
البطيخ ونحو ذلك ويقال القثا نوع من البقل واحده قثاة وفومها ارادوا به الحنطة والخبز
ويقال لسائر الحبوب التي تختبز الفوم ويقول الرجل لجاريته فومي لنا اي اختبزي وقيل
ان الفوم هو الثوم ابدلت الثا بالفا كما قالوا للقبر جدث وجدف قال لهم موسى عليه السلام
اتستبدلون الذي هو ادنى اي اوضع واخس في المقدار بالذي هو اشرف وهو المن والسلوى
اهبطوا مصرا قال ابن عباس اراد به مصر فرعون الذي خرجوا منه فكرهوا ذلك ويقال هذا
خطاب من الله تعالى على لسان يوشع بن نون فامرهم بنزول قرية اريحا وقت خروجهم من التيه
فان لكم بمصر ما سالتم من البقول والقثا وغير ذلك ثم قطع الله تعالى السؤال والجواب في هذه
الآية بكلام من عنده فقال عز من قائل وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي وضعت والزمت
واثبتت عليهم الذلة وهي الجزية على وجه الصغار والمسكنة اي الفقر ترى كل رجل من اليهود
عليه زي الفقر وان كان غنيا وقد يرى المكثر المثري منه الفقر مخافة ان تضاعف عليه منهم غ
الجزية ويقال المسكنة فقر القلوب يقول النبي صلى الله عليه وسلم الغنى غنى القلب وباوا
بغضب من الله اي رجعوا بغضب استحقوه من الله تعالى بصنيعهم ذلك بانهم كانوا يجحدون
بدلالة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير الحق بلا جرم منهم
قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبيا صلوات الله عليهم ذكر الكلبي رحمه الله انهم قتلوا في
يوم واحد ثلثماية نبي عليهم السلام وقام سوق بقلهم في اخر النهار ذلك الغضب والذل
والمسكنة بما عصوا الله تعالى في السبت وغيره وما كانوا يتجاوزون الحدود ويركبون بهم
المعاصي والدعا في اللغة هو الطلب ممن يملك الضر والنفع ويقال الدعا النداء وسمي الطلب
من الله تعالى دعا لانه يدخل فيه حرف النداء تقول يا رب ويا الله ويا رحمن وقوله تعالى
يخرج جزم على نية الجزا لان فعل الله تعالى لا يكون جوابا لمسالة موسى عليه السلام فمعناه

ادع

ادع لنا ربك ان دعوته يخرج والبقل هو العشب الذي يخرجه الارض بالربيع وانما خص الربيع
بذكره لان الارض انما تخرج ذلك بالربيع في الغالب وقوله تعالى ادنى يقرا بالهمز وبغير الهمز فمن
قرا بالهمز فاصله من الدناة وهي الخسة ومن قرا بغير الهمز فيجوز انه ترك الهمز للتخفيف
ويجوز ان يكون معناه بغير الهمز اقرب من الدنو اي اقل قيمة يقال ثوب مقارب اي
قليل القيمة ويقال هو ادون فقدمت النون وحولت الواو الفا كقولهم اولى من الويل و
قوله تعالى مصرا يقرا بالالف وبغير الالف فمن قرا بالالف اراد مصرا من الامصار اي مصر كان
ومن قرا بغير الالف عنى به مصرا بعينه فلم يصرفه لانه اجتمع فيه المعرفة والتانيث من حيث
انه اراد به البقعة واذا اجتمعت فيه العلتان لم يصرفه فاذا زالت احدى العلتين صرف
واصل المصر القطع يقال مصرت الشي اذا قطعته وقيل اصله الفصل وسمي المصر مصرا لانه فصل
عن غيره بالابنية والذلة والذل والمذلة الصغار واصل الجميع هو السهولة الا ان الذل
هو السهولة عن قهر والذلة هي السهولة عن مسامحة والمسكنة مفعلة من السكون والمسكين
اسرايل الذي اسكنه الفقر اي قلل حركته واصل باؤا من المباءة وهي المحل قال الله تعالى ولقد بوانا بني
مبوا صدق اي احللناهم ويقال فلان تبوا منزلا اي حل منزلا وقيل اصله من بوا اي سوا كما روي
عن عبادة بن الصامت انه قال جعل الله تعالى غنايم بدر لنبيه صلى الله عليه وسلم خاصة
فقسمها بينهم عن بوا اي سوى بينهم في القسم فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى وباوا بغضب
من الله اي استووا في الغضب من الله تعالى والنبي اصله الهمز من النبا وهو الخبر هكذا قرا
بعضهم ومن ترك الهمز اثر التخفيف لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون ماخوذا من نبا ينبو
اذا ارتفع والنبوة الرفعة كالنشز من الارض وترك الهمز اجود على ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قيل له يا نبي الله قال لست بنبي الله ولكني نبي الله تعالى و
قتل الانبيا صلوات الله عليهم لم يكن خذلانا لهم وانما اراد الله تعالى ان يبلغ الانبيا عليهم
السلام درجة رفيعة لا يوصل اليها الا بالقتل فان قيل في الآية اثبات الغضب والذلة
لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن يكون منهم الى يوم القيامة وهم
نوا لم يقتلوا الانبيا عليهم السلام وانما قتل اباوهم فكيف يكون معنى قوله تعالى ذلك بانهم كا
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق قلنا هولا اليهود يتولون اباهم الذين
قتلوا الانبيا عليهم السلام وقد قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فكانهم هم الذين
قتلوا الانبيا عليهم السلام وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لليهود
الستم تتولون الذين قتلوا الانبيا بغير الحق فقالوا ما قتل اباونا الا انبيا الزور وقوله عز
وجل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اخبر الله تعالى
في هذه الآية بعد قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباوا بغضب من الله ان من امن
منهم ومن غيرهم من النصارى والصابيين وعمل صالحا فله اجره عند ربه ولا يواخذ بمتقدم
فعله ولا بفعل اباييه وسلفه قال ابن عباس معنى الآية ان الذين امنوا بموسى عليه السلام
والتورية ولم يتسموا باليهودية والذين امنوا بعيسى عليه السلام والانجيل ولم يتسموا
بالنصرانية والذين تسموا باليهودية والنصرانية والصابيين من امن منهم فلهم اجرهم
وقال الضحاك معنى الآية ان الذين امنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم كانه قال ان الذين امنوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تا فقوا والذين هادوا ويقال معنى قوله تعالى من امن بالله الثبات على الايمان من المومنين
في مستقبل عمرهم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ومعناه استيناف الايمان
في اليهود والنصارى والصابيين ويقال ان قوله تعالى من امن راجع الى الذين هادوا ومن بعدهم
كانه قال ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والنصارى والصابيين والصابيون
فرقة من النصارى الين قولا منهم يحلقون اوساط روسهم قال ابو حنيفة رحمه الله هم من اهل
الكتاب تحل مناكحتهم وذبايحهم انما هم يعظمون الكواكب السبعة ولا يعبدونها وقال ابو يوسف
ومحمد ليسوا من اهل الكتاب ولا تحل للمسلمين ذبايحهم ولا مناكحة نسايهم لانهم يعبدون
الكواكب السبعة ويقولون انها مدبرات وان الله تعالى جعل تدبير العالم اليها وعابد الكواكب
كعابد الوثن وفي الحقيقة لا خلاف بين ابي حنيفة وصاحبيه وانما اختلفوا لاشتباه حالهم
والله اعلم قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر اي صدق بالله تعالى وبيوم البعث
ولا يكون الايمان بالله تعالى الا بالايمان بانبيا الله صلوات الله عليهم وكتبه و
رسله وكانه قال من امن بالله تعالى وبجميع ما انزل الله تعالى وعمل الطاعات المفروضات
فلهم جزا اعمالهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من امر الاخرة ولا هم يحزنون
على ما خلفوا من الدنيا ومعنى هادوا اي صاروا يهودا يقال هاد يهود هودا اذا صار يهوديا
وقد اختلفوا في اشتقاق هذا اللفظ قيل انه مشتق من الهود الذي هو التوبة كما قال الله
تعالى انا هدنا اليك اي تبنا اليك وقيل ان اشتقاقه من الميل يقال هاد اذا مال عن الطريق
وقد قيل انهم سموا يهودا على طريق النسبة الى اكبر اولاد يعقوب عليه السلام وهو يهوذا الا
ان العرب اذا عربت اسماء غيرت بعض حروفها والنصارى لفظ جمع اختلفوا في واحده قيل
واحده نصران كما يقال سكران وسكارى وندمان وندامى وقيل نصري مثل بعير مهري وابل مهارى
وزيدت في النصراني يا النسبة كقولهم لذي اللحية لحياني ولعظيم الرقبة رقباني واختلفوا في اشتقاق
هذا الاسم قيل انهم سموا النصارى لان اصلهم من قرية يقال لها ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام
وامه رضي الله عنها وقيل سموا نصارى لنصرتهم عيسى عليه السلام حين قال من انصاري الى الله و
قيل لتناصرهم واما الصابيون فهو اسم مشتق من صبا اذا خرج من دين الى دين وصبا ناب البعير اذا
طلع وصبات النجوم اذا ظهرت كما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل المسجد في اول اسلامه
وكان فيه المشركون من اهل مكة فقالوا صبات يا عمر قال لم اصبا ولكني اسلمت ومن قال الصابين بغير الهمز
يجوز انه ترك الهمز للتخفيف ويجوز ان يكون من صبا يصبو اذا مال كما قال الله تعالى اصب اليهن اي
امل اليهن وذكر اخر الاية بلفظ الجمع لان اصل من لفظه من لفظ الوحدان ومعناه معنى الجمع فجمع
على المعنى فان قيل اذا كان المومن عاملا لنفسه فما معنى اعطاه اجره قيل لما حمل على نفسه المشقة
وحرمها ما تنازعه اليه من الشهوة فاجره في الاخرة عوض ما فاته من اللذات في الدنيا قوله عز
وجل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما
فيه لعلكم تتقون عطف على ما تقدم من الايات التي هي خطاب لبني اسرايل اما كان قوله وبآؤا بغضب من
الله الى هذه الاية معترضا في خلال الكلام ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم على
العبادة واقامة الطاعات بفطرة العقول وبعثة الانبيا صلوات الله عليهم فقبلتموه واقررتم
به ثم اعرضتم من بعد ذلك قال ابن عباس هما ميثاقان فالاول حين اخرجهم من صلب ادم عليه
السلام كالذر كما قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم والثاني هو الميثاق

الذى

الذى اخذ عليهم في التورية وساير الكتب كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة والمراد به في هذه الاية الميثاق الثاني فانهم لا يذكرون الاول قال
مجاهد وقتادة الطور الجبل اي جبل كان وقال ابن عباس هو من الجبال ما انبت خاصة ومعنى خذوا
ما اتيناكم اي اعملوا به بجد ومواظبة في طاعة الله تعالى واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب
يسهل عليكم القبول فتتقوا المعاصي قال الكلبي وذكر انه لما اتاهم موسى عليه السلام بالتورية فراوا
ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم فابوا ان يقبلوا فامر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع
من اصله حتى قام على روسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل مثل ذلك فاوحى الله
الى موسى عليه السلام ان قل لهم اقبلوا التورية بما فيها والا رميتكم بهذا الجبل فرضختكم به فلما راوا
ان لا مهرب لهم قبلوا التورية وما فيها وسجدوا من المهابة والفزع وجعلوا ادمعهم يحوديلا حظون
الجبل مخافة ان يقع عليهم قال ابن عباس فمن اجل ذلك يسجد اليهود على انصاف وجوههم
ومن هذا قيل ان من ما من الله تعالى على هذه الامة ان فرض عليهم الفرايض واحدة بعد واحدة
حتى استقرت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الاخرى كيلا يشق عليهم قوله عز وجل ثم توليتم
من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين يقول اعرضتم من بعد
اخذ الميثاق فلولا من الله تعالى عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين في
العقوبة قال ابو العالية فضل الله عز وجل الايمان ورحمته القرآن فاما التولي عن الشي
فهو تركه وصرف الوجه عنه وتولى الشي هو الحصول في اقرب المراتب منه قوله عز وجل
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسيين المعنى والله
اعلم عرفتم الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم في الاصطياد في يوم السبت فصيرناهم قردة خاسيين
صاغرين مبعدين عن رحمة الله تعالى وذلك ان مدينة يقال لها ايلة على ساحل البحر بين المدينة
والشام كانت يسكن بنو اسرايل وكانوا امروا ان لا يصيدوا في يوم السبت وكانت الحيتان
تجتمع فيه لامنها في ذلك اليوم فاذا ذهب السبت لا ياتيهم كذلك فحفروا الحفيرة بالجمعة حيث
يدخل السمك فلما حبسوا السمك فيها يوم السبت واخذوها ليلة الاحد ويوم الاحد وقالوا
نحن لا نصطاد يوم السبت فمسخهم الله قردة فمكثوا كذلك ثلثة ايام ثم اهلكوا كما قال الله تعالى
واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى اخر القصة روي عن ابن مسعود انهم لم يلدوا
بعدما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل ولا ذرية وقال ابن عباس كانوا رجالا ونساء
فمسخهم الله تعالى الذكور ذكورا والاناث اناثا وكانوا يتعاوون وكانت تسيل دموعهم لم ياكلوا
ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى فجات ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما
مسخ الله تعالى امة الا اهلكها وحكي عن مجاهد انه قال لم تمسخ صورهم وانما مسخت قلوبهم
وعامة المسلمين على خلافه قال الله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وليس تحويل الصور اعظم من
انشا العنصر فمن امن بابتداع الجواهر والاجرام ما ذا عليه ان يومن بانقلاب الصور واما قول
الله تعالى فقلنا لهم كونوا فامر تحويل من صورة الى صورة ويجوز ان يكون ذلك بكلام سمعوه و
السبت يوم من ايام الجمعة سمي سبتا لان الله تعالى خلق الاشيا قبله ولم يخلق فيه شيا فسمي يوم
الفراغ للناس ولا يجوز ان يكون يوم الفراغ لله تعالى اذ الفراغ والشغل لا يجوزان على الله تعالى
انما يجوز على من يفعل الفعل بالة ويشغل الة ببعض الاعمال ويفرغها عن بعض الاعمال وقيل سمي
سبتا لانسبات الخلق فيه لكلام الله تعالى وذلك انه لما خلق الله تعالى السموات والارض اقبل

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الساعة على نفسه فاطرق كل شيء من خلقه من العرش الى الثرى والقردة جمع القرد والخنزير الطرد
والابعاد يقال خسات الكلب خسا اى ابعدته فبعد قوله عز وجل فجعلناها نكالا لما بين
يديها وما خلفها وموعظة للمتقين اى جعلنا المسخة ويقال العقوبة وهو ما حل بالقوم من
التشويه وتغيير الخلقة ويقال القرية ويقال القردة نكالا للامم التى تراها والامم الذين
يكونون بعدها وموعظة للذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش فيلزمون ما هم عليه
من التقوى والنكال الفضيحة الشاهرة من العقوبة اصله المنع يسمى العقاب الزجور عن
الفعل نكالا ويسمى الامتناع عن القسم نكولا ويقال بين يدى الشيء امامه وخلف الشيء وراءه
ويقال معنى ما بين يديها اى من عقوبة الاخرة وما خلفها من فضيحتهم في دنياهم فيذكرون
بها الى قيام الساعة وعن ابن عباس ان معناه لما قبل تلك القرية من القرى ولما بعدها
من القرى والموعظة الزجر عن ما يدعو هوى النفس اليه اى ينزع عنه العقل وقيل هي بيان
الشيء العاقبة وهذه الآيات كلها احتجاج من الله تعالى عليهم بنعمه المترادفة واخبار الرسول ل
صلى الله عليه وسلم عن عناد سلفهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الآيات وتعزية الرسول
صلى الله عليه وسلم عند ما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفه على اخبارهم حجة عليهم
وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن قبلهم من آبائهم واسلافهم وموعظة للمتقين
قوله عز وجل وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين متقدم في التلاوة على قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها مؤخر عنه في النظر والنزول لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة ومعنى هذه الآية والله
اعلم واذكروا اذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة يعني ليضرب المقتول الذي
وجد فيما بين اظهركم ولا تدرون من قتله ببعض تلك البقرة فيحيى فيخبركم من قتله قالوا أ
تتخذنا هزوا سخرية قال امتنع بالله ان اكون من المستهزئين والقصة في هذا ما ذكر
ان بنى اسرائيل قيل لهم في التورية انما قتيل بين قريتين فليقس الى ايهما اقرب ثم يؤخذ
اهل تلك القرية وليحلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فوجد
رجلان اخوان من بنى اسرائيل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكي يرثاه وكانت
لعمهما ابنة حسناء مثلا في بنى اسرائيل فخافا ان ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ايضا
ثم حملاه فالقياه الى جانب قرية فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم لا يدرون من
قتله فاخذ اهل القرية بقتله والى موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا الله ان يطلعنا على
قاتله فدعا فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام ان مرهم ان يذبحوا بقرة فقال موسى عليه
السلام ان الله يأمركم الآية والبقرة اسم للمؤنث في هذا الجنس واسم الذكر منه الثور
وهذا جنس خالف صيغة اسم الانثى منه صيغة اسم الذكر فهو كالناقة والجمل والرجل
والمرأة والجدى والعناق ومعنى اعوذ الجأ ويقال فلان عائذ قومه اى ملجأ
قومه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول اعوذ بالله
فقال صلى الله عليه وسلم عذت بمعاذ والجهل نقيض العلم وفي الآية دلالة على جواز
ورود الامر بشيء مجهول الصفة مع تخيير المأمور في فعل ما يقع عليه الاسم منه لان
الله تعالى امرهم بذبح بقرة مجهولة لم يعينها لهم في الابتداء ولا وصفها روى الحسن رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو انهم عمدوا الى اى بقرة فذبحوها

لاجزت عنهم ولكن شددوا على انفسهم بالمسألة فشدد الله عليهم بالمنع وفي الآية دليل وجوب الامر
وانه لا يصار الى الندب الا بدلالة اذ لم يلحقهم الذم الا بترك الامر المطلق في غير ذكر وعيد او بادلة
وفيها دليل ان الاستهزاء لا يصدر الا من جاهل لان من استهزأ بغيره فعلوا اما ان يستهزئ بخلقته او
بفعله فان كان يستهزئ به لاجل خلقته فذلك ليس بموضع استهزاء وان كان يستهزئ به لاجل فعله فلا
ينبغي ان يستهزئ به بل يجب ان ينبهه على قبح فعله ليرتدع وينزجر عن فعله فان قيل قولهم لنبيهم عليه السلام
اتتخذنا هزوا اكان كفرا منهم ام لم يكن قلنا هذا على التفصيل ان كان قصدهم بهذا القول نسبته الى التجوير
بلا سبب فقد كفروا بذلك وان كان قصدهم استخبارهم بذلك لما سبق منهم من العصيان لم يكفروا وقال بعضهم
انما قالوا هذا القول لموسى عليه السلام لان موسى عليه السلام قال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ولم يقل
انه يأمركم بذلك ليكون ماذا فقالوا اتتخذنا هزوا اى استهزأ بنا واى اتصال الذبح للبقرة بما رفعنا اليك
فيه قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان
بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون المعنى والله اعلم قالوا ان لم يكن ما امرتنا به استهزاء وكان حقا فادع
لنا ربك يبين لنا ما هذه البقرة كبيرة ام صغيرة ليرتبة السؤال بيان ان المسؤول عنه السن وانما تبين ذلك
بالجواب وهو قوله تعالى انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى ليست هي بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة
ولا صغيرة لم تلد وسط ونصف بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا او بطنين فافعلوا ما تؤمرون به
من الذبح واشتقاق الفارض من فرضت تفرض فروضا اذا كبرت والبكر الفتى من الحيوان وهو الذي لم
يصب ولم ينتج واذا اصيب كان الاول للاصابة والعوان الوسط الشيء يقال حرب عوان للوسط منه
ويقال في المثل العوان لا تعلم الخمرة اى ان المرأة البالغة تحسن الخمرة لا تعلم قوله عز وجل قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وذلك انهم رجعوا
في السؤال لموسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك على اى لون هي قال الله يقول انها بقرة شديدة الصفرة
قال مجاهد كانت صفراء الظلف والقرن وقال الاخفش معنى قوله صفراء سوداء كما في قوله تعالى جمالات صفر
اى سود كما قال الشاعر تلك خيلي وتلك منه ركابي هن صفر اولادها كالزبيب والقول الاول اصح عند
عامة المفسرين لان السواد لا تؤكد بالفاقع وانما تؤكد بالحالك يقال في المبالغة في الوصف اصفر فاقع و
احمر قاني واسود حالك واخضر ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق فمعنى فاقع لونها اى صاف لونها
وهذا نعت الاصفر الشديد الصفرة تسر الناظرين اى تعجب من نظر اليها وذلك لتمام خلقتها وكمال حسنها
ونصوع لونها والسرور هو لذة في القلوب عند حصول نفع او توقع نفع فاما اللون فهو معروف قال الخليل
هو الذي يتعاقب على الجسم تعاقب التضاد وقال ابن دريد اللون هو الذي يفصل بين كل شيئين كما قال الله
تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وموضع ما في قوله تعالى ما لونها رفع لان تاويله الاستفهام كانه قال اى
شيء لونها والكسر في قوله انها لان ما بعد القول يذكر بمنزلة الكلام المبتدأ يقال قلت زيد منطلق الا في
لغة بنى سليم فانهم يقولون زيدا منطلقا كما يقال ظننت وفي الآية جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد
التمكن منه لان قوله تعالى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اقتضى ذبح اى بقرة كانت وعلى اى صفة شاؤا
وقد كانوا متمكنين من ذلك فلما قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فقال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر نسخ
التخيير الذي اقتضاه الامر الاول في ذبح اى بقرة كانت وصار الامر مقصورا على ما كان منها بهذه الصفة
لو امرهم في اول هذه القصة خصه الله تعالى بآية اخرى يجوز تخصيص العموم بالدلالة ثم نسخ
الله التخيير الذي كان في ذبح اى لون شاؤا منها بهذه الآية حيث قال عز من قائل انها بقرة صفراء فاقع
لونها تسر الناظرين فان قيل كيف امروا بذبح البقرة دون غيرها قيل لان القربان انما يكون من تلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انواع من الغنم والبقر والابل وكانوا لا يأكلون لحم الابل بل يحرمونه كما قال الله تعالى كل الطعام كان
حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قيل ان المحرم لحوم الابل فلما كان لحم الابل محرما عليهم وكان ذبح
البقر افضل من ذبح الغنم خصت البقرة بالذبح فان قيل لم استقصوا في السوال والبحث عن صفة
البقرة ولو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأت قيل لانهم امروا بذبح البقرة لاعجوبة وهي بيان حال القتيل
لهم فحسبوا ان الله لا تظهر تلك الاعجوبة الا من بقرة مخصوصة كما ان العجايب التي كانت تظهر لبني اسرائيل
من عصى موسى عليه السلام لم تظهر من الغرايب بساير العصي وعلى انه يحتمل ان القوم جهلوا القول
بالعموم كما جهل بعض الناس اليوم فظنوا ان ذلك امر بذبح بقرة مخصوصة فعادوا في السوال مرة
بعد اخرى قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء
الله لمهتدون مراجعة منهم في معنى الامر بذبح البقرة اي عرفنا ما صفة هذه البقرة عاملة او غير عاملة
لتسوية السوالات المسول عنه العمل وغير العمل انما ظهر ذلك بالجواب المذكور في الاية التي بعد هذه الاية
وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا يقول قد اشكل واشتبه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى
القاتل ويقال لمصيبون عين البقرة والتذكير في البقر يحتمل ان المراد به جنس البقر وقيل ان العرب
تذكر مثل هذا اللفظ وتؤنثه يقول هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل ومن قرا ان الباقر فالباقر
جمع البقر كما يقال الجامل للجمال من يجعلونه اسما للجنس ومن قرا تشابه علينا بتشديد الشين وضم الهاء
اراد تتشابه فحذف التاء الثانية لاجتماع التاءين كما في قوله تعالى لعلكم تذكرون في الاصل تتذكرون
ومن قرا يشابه بالياء والتشديد اراد يتشابه ادغم التاء في الشين واجود القراات تشابه علينا بتخفيف
الشين وفتح الهاء وفي الاية بيان ان الكلام اذا قرن بالاستثناء كان اقرب الى النجح لان في ذكر الا
استعانة بالله تعالى وتفويض الامر الى الله عز وجل والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولا انهم استثنوا لما وجدوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لولا انهم استثنوا لما اهتدوا الى ان تقرر قوله عز وجل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا
يفعلون معناه قال لهم ان الله تعالى يقول انها بقرة ليست بذلول اي لم يذللها العمل لا تثير الارض ولا
تسقي الحرث اي ليست بحراثة ولا ناضحة لا تقلب الارض للزراعة ولا يسقى عليها الزرع سليمة من العيوب
ليس فيها لون يفارق ساير لونها قالوا الان بينت الصفة التي كنا نطلب بالصدق فذبحوها وما كادوا
يفعلون ذلك ارادوا ان لا يذبحوها لان كل واحد منهم خشي ان يكون القاتل من قبيلته وقيل ارادوا ان
لا يذبحوها لغلاء ثمنها روي انهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجل بار بوالديه كان يصلي ثلث الليل
وينام ثلث الليل ويجلس ثلث الليل عند راس امه يقول لها ان لم تقدري على القيام فسبحي الله تعالى
وهلليه وكانت بقية بركات لابائه لم يبق منهم غيرها فلما سالوه ان يبيعهم اياها للذبح ابى عليهم
ثم باعها الى ان اعطوه ملء مسكها ذهبا فباعها لهم فذبحوها وعن وهب بن منبه ان ملكها
جاء صاحب البقرة فقال لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا وفي بعض الروايات ان هذه البقرة كانت لرجل
يبيع الجوهر فجاءه انسان يوما من الايام بجراب من اللؤلؤ يساوي مائتي الف فعرضه عليه بمائة الف
فلما اتفق العقد وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ليرفع
المفتاح ثم قال في نفسه كيف اوقظ ابي لربح مائة الف فرجع فقال ان ابي نايم ثم قال اذهب
فاوقظه فاني ابيعك بخمسين الفا فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه حتى رجع فلم يزل التاجر يحط
من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ الرجل اباه وتركه فلما انتبه الشيخ جعل الله تعالى في ماله البركة

حتى

حتى اشتروا بقرته بملء مسكها ذهبا والله اعلم الذلول الدابة المرتاضة المهيئة للعمل والذلول في
الدواب بمنزلة الذليل في الناس يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل والاثارة تقليب
الارض للزراعة والحرث الارض المهياة للزراعة اذا بذرتها او حرثتها وقال الخليل الحرث هو قذف
الحب في الارض للزراعة واما الزرع فهو الانبات والانماء قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون وقيل في معنى قوله تعالى لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي ليست بذلول وهي
تثير الارض ولا تسقي الحرث وعلى هذا استحسن ابو حاتم الوقف على الذلول ثم ابتدا وقال تثير الارض والاول
اصح عند عامة المفسرين رحمهم الله والله تعالى اعلم والوشي والشية خلط لون بلون يقال ثوب
موشي اذا كان مختلط اللون ونصب لا شية على النفي ولو قرئ لا شية بالرفع والتنوين لجاز وفي الاية
دلالة على جواز العمل بالظاهر مع تجويز ان يكون في الباطن خلافه لان المسلمة من العيوب لا تعرف
من طريق الحقيقة وانما تعلم من جهة الظاهر بالاجتهاد وغلبة الظن مع جواز ان يكون بها عيب باطن
قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون قد ذكرنا ان هذه
الاية مقدمة في النزول مؤخرة في التلاوة وتقديره واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها و
اتيتم موسى عليه السلام فسالتموه ان يدعو الله حتى يطلعكم على قاتله فقال لكم موسى عليه السلام ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة ونظير هذه الاية قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا مقدم في التلاوة على قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم مؤخر عنه في النزول لان الاول ناسخ والثاني منسوخ ولا يكون الناسخ الا بعد المنسوخ
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى واذ قتلتم نفسا مؤخر في التلاوة والتنزيل جميعا لان حرف الواو
لا يوجب الترتيب وفي الاية ما يدل عليه لان الهاء في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كناية عن مذكور
سابق وليس هاهنا مذكور سابق الا البقرة فكانه قال ببعض البقرة التي سبق ذكرها والترتيب في
الاخبار لا يقتضي وقوع المخبر على حسب ترتيب الخبر الا ترى ان الرجل يقول اعطيت زيدا الفا وعمرا
الفا بنى داري لا يريد به ان العطية كانت قبل البنا ومعنى قوله تعالى فادارءتم اختلفتم وتدافعتم والقى
بعضكم القتل على البعض من الدرء وهو الدفع يقال درات فلانا اذا دفعته وداريته اذا لاينته
واصل ادارءتم تدارءتم ثم ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما فلما ادغمت سكنت فاجتلبت لها
الف الوصل للابتدا وعلى هذا اداركوا فيها واثاقلتم واطيروا ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون
اي مظهر ما كنتم تخفون من امر القاتل وفي الاية دلالة ان ما يقصد العبد ستره من خير او شر فان الله
سيظهره كما روي عن رسول صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان عبدا اطاع الله تعالى من وراء سبعين حجابا
لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية قوله عز وجل فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون المعنى اي فقلنا لهم اضربوا المقتول ببعض البقرة اي ببعض
منها قال الكلبي رحمه الله بفخذها الايمن وقال ابن جبير بعجب الذنب لانه اول ما يخلق من الادمي وعليه
يركب الخلق يوم القيامة وقال الضحاك اراد ببعضها بلسانها وقال السدي بالبضعة التي بين
كتفيها وهذا من الاختلاف الذي لا فايدة فيه وفي الاية اضمار كانه قال فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه
فحيي المقتول روي انه لما ضربوه جلس واوداجه تشخب دما فسالوه من قتلك فقال فلان وفلان
لابني عم له ثم اضطجع فمات واخذا فقتلا يقول الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اي كما احيى
عاميل فكذلك يحيي ساير الموتى ويريكم عجايب قدرته لتعقلوا احيا الموتى وغير ذلك ويقال لكي
تعقلوا ما امرتم به وتنتهوا عنه واراد بهذا عقلا مخصوصا لان القوم كانوا عقلا الا يستحيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خطاب الله تعالى لغير العقلاء وكان الله تعالى قادرا على احيا المقتول بغير هذه الاسباب
الا ان الله تعالى امرهم بضرب المقتول بشي فاتوا احياته لان احياء الميت بالميت اكد دلالة واتم
قدرة وروي عن ابي عبيدة السلماني ان الله ذكر قصة البقرة ثم قال لم يورث القاتل كانت
مضت السنة ان لا يورث قاتل بعد صاحب البقرة وعن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث وهذا الخبر تلقته الامة بالقبول كقوله صلى الله
عليه وسلم لا وصية لوارث وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على
خالتها الخبر ولا خلاف بين الامة ان من قتل اخاه عمدا وله اخ آخر ان القاتل يلزمه
القصاص قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل فلو كان
القاتل وارثا لكان له نصيب من الدم فكان لا يجب القصاص واجمعت الامة على وجوبه واذا
لم يرث احد بدلي الدم لم يرث الدية في قتل الخطا وحكم سائر الاموال حكم الدية لان دية
المقتول يقضى منها ديونه وينفذ وصاياه وقال عثمان البتي قاتل العمد لا يرث فاما قاتل
الخطا فوارث وذهب مالك الى ان قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا لا يرث الدية ويرث
سائر الاموال وفي الاية دلالة على ان من التبس عليه امر من الامور وسال الله تعالى ان يكشف
له ذلك وسال له حاجة اخرى فان سبيله ان يقدم على سؤاله نوعا من القربة حتى يكون اقرب
الى الاجابة فان بني اسرائيل كانوا يعدون القربان من افضل القرب حتى جعلوا للقربان بيت مذبح
على حدة وكان لا يدخل ذلك البيت الا اخيارهم فامرهم الله تعالى بتقديم هذه القربة ليتبين لهم امر القتيل
بعد ذلك وجعل ذلك تعليما لسائر الناس والله اعلم قوله عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معناه وذلك ان الله تعالى لما اخبر ما انعم
به على بني اسرائيل وما اراهم من الايات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قال لهم على وجه التعيير و
التوبيخ ثم قست قلوبكم يقول غلظت ويبست قلوبكم من بعد احيا الميت ويقال من بعد هذه الايات
التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغير ذلك فهي كالحجارة
في الشدة واليبس بل اشد يبسا وغلظا ثم اعذر الله تعالى الحجارة وعاب قلوبهم اخبر ان من الحجارة
ما يكون فيه رطوبة منافية لليبس وان منها ما يحدث الله تعالى فيها امرا فلا يمتنع من ارادة
الله تعالى وبنو اسرائيل مع كثرة نعمة الله عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته
ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه فذلك قوله عز وجل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار يقول ان من
الحجارة لحجرا تتفجر منه العيون وان منها لحجرا يتصدع فيخرج منه الماء لما يكون دون الانهار
وان منها لما يتردى من اعلى الجبل الى اسفله من خشية الله تعالى قال بعضهم اراد الله تعالى بذلك
الجبل الذي تجلى الله له حين كلم موسى عليه السلام وقيل لا يهبط شي من الجبال بخوف سبب ظاهر
الا هو مجعول فيه التمييز قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله معناه لو جعلنا في الجبل تمييزا ثم انزلنا القران عليه لرايته خاشعا وقال بعضهم معناه وان منها
لما يهبط من خشية الله اي بخشية الله تعالى كما قال الله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فكذلك
الله تعالى الا ان بهذه الاية الجبال التي في السماء من البرد كما قال عز وجل وينزل من السماء من جبال فيها من
برد والله تعالى ينزل البرد من السماء خشيته ليخوف بذلك عباده وقال بعضهم ان من الحجارة ما يدعو
المتفكر فيه الى خشية الله تعالى لما فيه من الايات والدلالات على الله تعالى واضاف الخشية الى

الحجر اذ كان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية وهذا كما يقال ان فلانا ناقة او مال ينطق الناس اي اذا راى
الناس ماله قالوا ما اكثر مال فلان وما احسن ماله وكما يقال ان فلانا ناقة تاجرة اي اذا راها الناظر اليها تدعوه
نفسه لطيبها من يريد شراها وقال بعضهم هذا على طريق المثل اي من الحجارة ما كانه يهبط من خشية الله تعالى
لانقياده لامر الله تعالى حتى لو حصل له تمييز ما دل ذلك على خشيته من الله تعالى وهذا كقوله تعالى
جدارا يريد ان ينقض معناه كانه يريد ان ينقض كما قال الشاعر وهو جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع وانما نزل القران على لغة العرب على ما يتفاهمونه فيما بينهم فمن
تعلق بشي من هذا ليطعن عليه فانما يطعن على لغة العرب وقوله وما الله بغافل عما تعملون
تهديد ووعيد اي ان الله تعالى لا يخفى عليه شي من اعمالكم واذا علم اعمالكم جازاكم عليها فاحذروه
والقسوة في اللغة الصلابة في كل شي وهي في القلوب ذهاب اللين والرحمة والخشوع وقيل هو ان
ييبس القلب عن المواعظ ما او خشية الله وما شفقة الخلق وخوف اوله (؟) وقوله تعالى او اشد قسوة
يحتمل ان يكون للتخيير كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت قسوة قلوبهم بالحجارة
كان تشبيها لهم وان شبهت بما هو اشد قسوة كان تشبيها لهم ويحتمل ان يكون بمعنى بل كما في
قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون وقوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب ويحتمل ان يكون بمعنى
واو النسق كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او ابائهن ومعناه وابائهن ويحتمل ان يكون معناه من قلوبهم ما هو كالحجارة في
القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها وذلك كقوله ما اطعمت الا حلوا او حامضا ويحتمل
ان يكون للابهام على العباد والله عالم بذلك غير شاك فيه وهذا كالرجل يقول لصاحبه اكلت
خبزا او تمرا لا يشك القائل في انهما اكل ولكنه لا يريد ان يبين لصاحبه وانما شبه الله قلوب
القوم بالحجر دون الحديد والصفر والله اعلم ان الحديد والصفر تلينهما النار والحجارة
لا تلينها النار واما القراءة في قوله تعالى او اشد قسوة من قرا بالنصب فلانه في موضع الخفض
الا انه على وزن افعل ففتح ومن قرا بالرفع فعلى اضمار هي فاما تعملون يقرا بالتاء والياء
والتاء اليق بالاية لان الاية كلها على لفظ مخاطبة الحاضرين والغفلة والسهو واحد الا ان
الغفلة هي ذهاب الشي عن النفس بعد حضوره قوله عز وجل افتطمعون ان يؤمنوا لكم
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون
خطاب للمؤمنين كلهم والخطاب في قصة اليهود التي قصها الله على المؤمنين والمعنى والله اعلم
كيف ترجون ايها المؤمنون ان يصدقكم اليهود فيما اتى به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم
وقد كانت طائفة من اليهود ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله تعالى
ويعلمون انه حق ثم يعاندون فيحرفونه ويبدلونه من بعد ما فهموه وهم يعلمون ما غيروا
منه قال الكلبي عني بالفريق السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام الى الطور سيناء
لما اخذتهم الرجفة واحياهم الله بدعاء موسى عليه السلام قالوا يا موسى اسمعنا كلام
الله تعالى فطلب موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله عز وجل قال مرهم ان يتطهروا و
يطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم موسى عليه السلام حتى اتى الطور فلما
غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور فوقعوا لله تعالى سجدا فسمعوا كلام
الله تعالى يقول اني انا الله ربكم لا اله الا انا الحي القيوم لا تعبدوا الها غيري ولا تشركوا

والخضوع

الشبور على وزن التنور البوق

الألوكة
www.alukah.net

بي شيا واوصيكم ببر الوالدين وان لا تحلفوا بي كاذبا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا يقتل بعضكم بعضا
ولا تشهد بعضكم على بعض شهادة زور واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم و
لا تقهروا الضعيف فلما سمعوا الكلام طارت ارواحهم من اجسادهم ثم ردت اليهم فقالوا
يا موسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله تعالى وتبارك وجل فكن انت بيننا وبين ربنا تعالى ذهبت م
فلما رجعوا قال فريق منهم في اخر حكايته ثم قال لنا فان لم تستطيعوا ان تتركوا ما نهيتكم عنه فافعلوا
وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالفريق الذي ذكر الله عنه في هذه الآية علماء اليهود وغيرهم
التورية تاويلهم على غير الوجه الذي انزله الله تعالى والالف في ابتدا هذه الآية استفهام و
تجري مجرى انكار الطمع والطمع تعليق النفس بما يتوقع من النفع والفريق والنفر والطايفة
والحزب واحد وهو قطعة من الناس والتحريف تغيير الكلام عن معناه الى معنى قريب الشبه به
ويقال هو تغيير الامر عن طريقه الوجهة وحرف الحرف الحد المايل ومنه تحريف الطعنة اذا
املتها الى شق والغرض من الآية والله اعلم تعزية اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ان اليهود
ان جحدوا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف وفي الآية
دلالة على ان العالم بالحق المعاند فيه ابعد من الرشد واقرب الى اليأس من الصلاح من
الجاهل لان قوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم يفيد زوال الطمع في رشدهم لمكابرتهم
الحق بعد العلم قوله عز وجل وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
اختلف المفسرون في هذه الآية قال اكثرهم ان المراد بهذه الآية المنافقون من اهل الكتاب في وقت
موسى عليه السلام فانه كانت في قوم موسى عليه السلام منافقون كما في امتنا وقال بعضهم المراد
بهذه الآية المنافقون من هذه الامة وانما ذكرهم الله مع اليهود في هذا الموضع لانه كان
ذكرهم في اول السورة ولان اكثر منافقي هذه الامة كانوا من اليهود قبل مبعث نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وكانوا بعد مبعثه مع اليهود في السر جميعا والجد في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلهذا جاز ان يذكرهم معهم فذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا
امنا يقول اذا لقي المنافقون المخلصين قالوا لهم امنا كايمانكم واذا خلا بعضهم الى بعض
يقول اذا خلا المنافقون الى رؤسايهم في الكفر قالت لهم رؤساؤهم اتخبرون المومنين
بانهم على الحق لتكون لهم الحجة عليكم عند الله تعالى في الدنيا والاخرة اذ كنتم مقرين بصحة
امرهم ولم يتبعوهم على دينهم افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم ومن قال ان المراد بالآية
المنافقون في هذه الامة اراد برؤساء الكفار كعب بن الاشرف وغيره كانوا يقولون
لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين لا تقروا بصحة نبوة هذا النبي الامي صلوات الله
عليه وسلامه وان ذكره في التورية حتى تاكدت حجة مستعيدة عليكم عند الله تعالى يريدون
بذلك صرف المسلمين عن الدين وكتمان بعث النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وربما
كانوا يقولون للمنافقين اتحدثون الناس بما فتح الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه
وسلم في المغازي من اطعام الخلق الكثير بالطعام اليسير وسقي الخلق العظيم من قدح ماء

لا يفور من بين اصابعه واخباره يوم بدر بمصارع القتلى قبل ان قتلوا وكان النبي صلى الله عليه
قال لهم قبل القتال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقتل كل انسان في الموضع الذي اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انه مصرعه وكان من حضر من المنافقين الغزوات مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذا رجع الى موضعه اخبر بما شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الامور
فقالت لهم رؤسا اليهود الا تعلمون ان مثل هذه الاخبار حجة عليكم في الدنيا والاخرة وهذا
من تمويه اهل الكتاب وقصدهم كتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التحديث
والحديث ماخوذان من الحدث وهو الاخبار عن حوادث الزمان واصل الفتح هو فتح المغلق ثم
استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان كما يقال فتح المسلمون دار الحرب وفي فتح على من
يستفتح بك كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم التبست عليه القراءة في الصلوة فلما فرغ قال
لأبي هلا فتحت علي وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما في هذه الاية قوله تعالى بما فتح الله
عليكم اي قضى الله عليكم وكما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ويسمى القاضي
الفاتح بلغة عمان وقد يكون الفتح بمعنى النصرة يقال استفتحت فلانا اذا طلبت منه النصرة
قال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يطلبون النصرة عليهم والمحاجة
والمناظرة واحد وهو مجادلة كل واحد من الخصمين لاقامة الحجة على خصمه قوله عز وجل
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ معناه يقول اولا يعلم المنافقون
ولام ان الله يعلم ما يسرون فيما بينهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويعلنون مع اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم من التصديق به اولا يعلم رؤسا الكفر ما يسرون من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم في كتابهم ويعلنون من جحودها عند القوم والاسرار في اللغة هو اخفا ما
في النفس والاعلان هو اظهار ما في النفس قوله عز وجل وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
شم إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ معناه من اليهود من لا يحسن قراءة الكتاب وكتابته الا ان يجد
رؤساهم شيئا فيقبلونه يظنون انه الحق وذلك القول في نفسه كذب والاماني على ثلاثة اوجه
قد تذكر والمراد بها الاكاذيب ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت
وتذكر ويراد بها ما يتمناه الانسان ويشتهيه يعني انهم يقولون ما لا يعلمون قال ابو العالية
يتمنون على الله تعالى ما ليس لهم وهذا اللفظ مستعمل في كلام الناس يقال للذي يقول ما لا حقيقة
له هو يحدث هذا مني وهذه امنية وقد تذكر ويراد بها الامنية التلاوة ومنه قوله تعالى
ف اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلا القران القى الشيطان في تلاوته فيكون معنى الاماني
في هذه الاية على هذا القول اي من القوم اميون لا يعرفون من التورية شيا سوى تلاوته و
ما هم الا يظنون ظنا من غير يقين وقد اختلفوا في ماخذ الامي قال بعضهم ماخوذ من الامة و
هو منسوب الى ما عليه جبلة الامة الامية وقيل ماخوذ من الام وهو الذي يكون على اصل ولادة
نون الام لم يتعلم الكتابة ولا القراة قوله عز وجل فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فكتبوها آدم
سبطا طويلا وكانت الصفة فيها انه اسمر ربعة فبدلوا وقالوا للسفلة هذا من عند الله نزل في
التورية يقول الله عز وجل الويل لهؤلاء الذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم ينسبون ذلك الى
الله عز وجل ومعنى الويل الشدة في العذاب ويقال هو الهلاك وهذه كلمة تستعمل في كل من وقع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الهلاك ويقال معنى الويل الخزي ويكنى عنه بويس وويح ويقال معنى الويل القبح وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ الى قعره وفي بعض الاخبار ان الويل واد في جهنم تسيل فيه صديد اهل النار و
معنى قوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما كان لعلمائهم من
المآكل والهدايا من اغنيائهم واما اعادة ذكر الويل في الاية فلتأكيد الحق الله بهم
ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتاب ومعنى قوله تعالى مما يكسبون اي يصيبون من الهدايا
والفضول واصل الويل في اللغة حكاية صوت الصارخ اذا اصابته نازلة كما قال الله
تعالى يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال عز من قائل يا ويلتنا مال هذا الكتاب واما
اضافة الكتابة الى اليد في الاية ولا تكون الكتابة الا باليد فلتحقيق اضافة الفعل الى
الفاعل مثاله كقول الناس لمن ابتدع مذهبا او اخترع قولا لم يسبق اليه هذا منك
تولدت وهذا قولك ومذهبك يريدون بذلك انك قلت هذا القول من تلقاء نفسك
والكسب هو طلب الرزق وحقيقته الفعل الذي تجتلب به المنفعة او يستدفع به المضرة
ولهذا لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالمكتسب وفي ظاهر قوله تعالى ليشتروا به ثمنا
قليلا دلالة انه لا يجوز اخذ الاجرة على تعليم الكتاب قوله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون معناه قالت اليهود لن تصيبنا النار الا اياما قليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية الكلبي رحمه الله عنوا بذلك الايام التي عبدوا فيها العجل وقد اختلفوا في مقدار ايام عبادتهم
العجل قال بعضهم عشرة ايام وقيل سبعة ايام ويقال اربعون يوما وقيل ان هذا لا يصح لان العجل كان
عبده اباؤهم وقد تبرؤا من ذلك وروي عن عكرمة عن ابن عباس انهم عنوا بهذا القول سبعة ايام
مقدار عدد ايام الدنيا قالوا نعذب اياما قليلة ثم يشفع لنا اباؤنا وعن مجاهد انه قال كانت
اليهود يقول الدنيا سبعة الاف سنة والعذاب مكان كل الف سنة يوم وقيل ان مذهبهم كان مذهب
جهم كانوا لا يرون الخلود في النار فقل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم اعهد الله اليكم عهدا ان لا يعذبكم
الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده وزعم ام تقولون على الله تعالى الكذب وما لا علم لكم به وروي انه
يقال لهم عند مضي الاجل يا اعداء الله تعالى قد مضى الاجل وبقي الابد فيوقنون بالخلود وينقطع رجاؤهم
والمشهور في اللغة ان الجمع بين الشيئين على مقابلة القرب ولفظ المعدودة للقليل كما قال الله تعالى وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة اي قليلة وكذلك قوله تعالى في اية الصيام اياما معدودات معناه والله اعلم
لم يكلفكم الله تعالى الصوم على ما يشق ويصعب عليكم انما كلفكم اياما معلومة وقد احتج مشايخنا رحمهم الله
من الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحيض اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام ومن قوله
صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة ايام اقرائك ان اقل الايام ثلاثة واكثرها عشرة يقال لما دون الثلاثة
يوم ويومان وفيما زاد على العشرة احد عشر يوما وليس لاحد ان يعترض على هذا الاستدلال بقوله
تعالى في اية الصيام اياما معدودات اراد بها الشهر كله لان ظاهر لفظ الايام الثلاث الى العشر
على ما بيناه الا انه قد يذكر ويراد به الزيادة كما يقال ايام بني امية وايام الحجاج وقد فسر الله
عز وجل ايام الصيام بالشهر فاعتقد بذلك التفسير فاما ايام الحيض فمبهمة ولا بد ان يكون محصورة
لان الاحكام تختلف بحال الحيض والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته اولى والاتخاذ هو جعل
الشيء على والاخلاف هو نقض العهد بالفعل والالف في قوله عز وجل اتخذتم همزة استفهام معناه

التوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم ان الامر ليس كما قالوا وانهم يقولون بغير علم والاصل في قوله اتخذتم أأتخذتم
بهمزتين لكن حذفت الهمزة الاصلية للتخفيف ومن قرا اتخذتم بكسر الالف فلان فيما بعد ذلك دليل الاستفهام
وهو قوله تعالى ام تقولون على الله ما لا تعلمون قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون رد من الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
يقول الله عز وجل بلى كما يقولون من كسب سيئة يعني الشرك واحاطت به خطيئاته اي سدت عليه طريق
النجاة ومات على الشرك وقال السدي اراد بالسيئة الذنوب التي وعد الله تعالى عليها العقاب واما الخطيئة
فهي الشرك ولا بد من ان تكون الخطيئة اكبر من السيئة لان ما احاط بغيره كان اكبر منه وقوله تعالى فاولئك
اصحاب النار اي اهل هذه الصفة اصحاب النار هم فيها مقيمون دائمون واصل بلى بل وهو لرد الكلام المنفي
واثبات كلام اخر مبتدا وانما زيدت الياء في اخرها ليحسن عليها الوقف وقال بعضهم اصله بل للعطف في
قال الفراء بلى جواب النفي بالايجاب كما ان نعم جواب الايجاب واذا قال قائل اما لي عليك درهم على طريق الاستفهام
فقلت بلى يجب عليك درهم واذا قلت نعم لا يجب عليك شيء كانه ذهب الى ان نعم اعادة لفظ السؤال المنفي
واما بلى فهو لاثبات كلام مبتدا قال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى وقال عز من قائل فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم والاحاطة الاحداق والارادة بالشيء والخطيئة والسيئة في اللغة واحد وقد علق من الاية
استحقاق النار بكسب السيئة واحاطتها به وكان الجزاء مستحقا بوجود الشرطين غير مستحق بوجود احدهما
وهذا يدل على ان من عقد اليمين على شرطين من طلاق او عتق او غيرهما انه لا يحنث بوجود احدهما دون
وجود الاخر وهما قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
اخبر الله عز وجل ان الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى وبنبوة رسله عليهم السلام وعملوا الصالحات
فيما بينهم وبين ربهم اي ادوا الفرائض اهل هذه الصفة في الجنة خالدون مقيمون دائمون والاصحاب
السكان يقال صاحب الدار وساكن الدار وروي انه اذا سكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار جيء
بالموت على صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هذا الموت يذبح ويقال يا اهل
النار يا اهل النار هذا الموت يذبح فينظرون اليه فيعرفونه لانهم كلهم راوه وذاقوه فيذبح بين الجنة
والنار فلو مات احد من اهل الجنة فرحا لمات اهل الجنة حين امنوا من الموت ولو مات احد من
اهل النار حزنا لمات اهل النار حين ايسوا من الموت وقرواة النار قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون راجع الى
قصة اليهود لان الله تعالى خاطب الناس كلهم في اول هذه السورة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم
خاطب بني اسرائيل بزيادة نعمه عليهم تارة عدل من خطاب الخلق الى خطاب بعضهم وتارة عدل من خطاب
الكفار الى خطاب المؤمنين ومن ذكر المخلصين الى ذكر المنافقين لان الغرض من هذه الايات كلها ان
يصير الناس كلهم امة واحدة ويكون كلمتهم كلمة واحدة ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ
كلفنا بني اسرائيل لا تعبدون الا الله تعالى اي امرناهم باخلاص العبادة لله تعالى وان يحسنوا بالوالدين
احسانا برا بهما وعطفا عليهما وقيل تقديره وقوله تعالى وبالوالدين احسانا ووصيناهم بالوالدين احسانا
وهذا احسن من الاول لانه لا يقال احسن بالوالدين وانما يقال احسن الى الوالدين فاما قوله تعالى وذي
القربى اي ووصيناهم بصلة القرابة بصلة الرحم واليتامى والمساكين اي الاحسان الى اليتامى والمساكين
وقولوا للناس حسنا اي قولا ذا حسن معدولا عن المغايبة التي تطيعه كما قال الشاعر هو كثير اسيئي بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت قال الكلبي ومقاتل في معنى قوله حسنا قولوا انتم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرؤساء من اليهود وسفلتهم فرادى صدقا ويقنوا انه صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في التورية ولا
يكتموها وادوا الصلوة بحقوقها كما فرض الله تعالى واعطوا الزكوة ثم اعرضتم ايها اليهود عن الميثاق ق
الذى اخذنا عليكم الا قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه من اليهود وانتم معرضون
على الاعراض تاركون لما اخذنا عليكم من المواثيق وقال الزجاج معنى قوله تعالى توليتم اى اوايلهم الذين
اخذ عليهم الميثاق واما قوله تعالى وانتم معرضون خطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم اى وانتم كاوايلكم في الاعراض عن العهد الذى اخذ عليكم والاخذ هو نقل الشى من يد المعطى الى
يد غيره وكان المراد بالاية اعطوا الميثاق اخذ الله تعالى عليهم الميثاق والميثاق عهد موكد باليمين
او بالوعيد وقرئ لا يعبدون بالياء والتاء وهما قريبتان في المعنى يقال قل لفلان يركب وقل له تركب
ورفع قوله تعالى لا تعبدون لانه جواب القسم وقيل تقديره ان لا تعبدون فلما اسقطت ان
رفعت والاحسان في اللغة هو النفع الحسن وقد اختلفوا في القول الحسن في هذه الاية قال بعضهم
هو عام للناس كلهم كانوا متعبدين بذلك من الكافر والمسلم وقيل ان ذلك على معنى قوله تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن والاحسان المذكور في الاية انما
هو الدعا اليه والنصح فيه لكل احد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك كله حسن وعن ابن عباس
وقتادة ان هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال وقد قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم فاباح الجهر بالسوء للظالم وقد امر الله تعالى بلعن الكفار والبراءة منهم والانكار على
اهل المعاصي وهذا مما لا يختلف فيه شرايع الانبياء صلوات الله عليهم فعلى هذا قوله تعالى وقولوا للناس
حسنا هو واحد وحسنى اما ان يكون خاصا في المسلمين ومن لا يستحق التكبير واما ان يكون عاما في
الدعا الى الله تعالى على وجه النصيحة والقربى والقرابة واحدهم ولا دة يرجع اليها بالاضافة
في الولادة فانه ما من نفسين الا وبينهما قرابة الا ان القرابة اذا بعدت لم يعتد بها في العادة
واذا قربت اعتد بها واليتامى جمع اليتيم وهو الذى لا اب له ممن لا يبلغ الحلم واسم اليتيم لا يستعمل
في الادميين الا فيمن فقد اباه ولا يستعمل في الدواب الا فيمن فقد امه والمساكين جمع المسكين
وهو الذى اسكنه الفقر ماخوذ من السكون والايتاء الاعطاء يقال اتيته اعطيته واتيته مقصورا
اذا جيته والقليل عدة اقل من عدة ولا يقتضي ذلك الا بالاضافة ونصب قليلا على الاستثناء
معناه استثني قليلا منكم والاعراض هو الذهاب عن مواجهة الشى الى غيره وفي الاية دلالة
وجوب الاحسان الى الوالدين مومنين كانا او كافرين ووجوب صلة الرحم والاحسان الى اليتامى
والمساكين لان الله تعالى قرن ذلك كله بالتوحيد المذكور في اول الاية قوله عز وجل واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون
بيان ميثاق النهي فاما الاية التي قبل هذه الاية بيان ميثاق الامر ومعنى هذه الاية والله اعلم
واذكروا اذ اخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لا يصبون دماكم اى لا
يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا من دياركم ثم اقررتم اى اعترفتم بان هذا العهد قد
اخذ عليكم وعلى اوايلكم وبذلتموه من انفسكم وانتم ايها الباقون المخاطبون شاهدون على من
تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وما بذلوه من انفسهم ويجوز ان يكون معنى قوله تعالى لا تسفكون
دماكم اى لا يقتل احد منكم غيره فيقتل به فيكون في معنى من قتل نفسه وهذا كقوله صلى الله
عليه وسلم ان من اكبر الكباير ان يسب الرجل ابويه فقيل يا رسول الله كيف يسب الانسان ابويه قال
يسب ابا غيره حتى يسب ذلك ابويه واحتمال اللفظ للمعنيين يوجب ان يكون عليهما جميعا و

النفس

والنفس تضاف الى صاحب النفس اضافة الغير اليه ونظيره قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم
قوله تعالى فاقتلوا انفسكم وقوله عز من قائل فسلموا على انفسكم والدار اسم للعرصة والابنية والمحلة
وكل موضع نزل فيه القوم فهو دارهم هكذا قاله الخليل رحمه الله وقال بعضهم الدار المنزل الذى يجمع
ابنية المقام بخلاف المنزل الذى يكون للارتحال والاقرار والاعتراف واحد وهو الايجاب بعقد
والشاهد هو المخبر عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة ويجوز ان يكون قوله تعالى
ثم اقررتم راجعا الى اوايلهم وقوله تعالى وانتم تشهدون راجع الى المخاطبين خاصة قوله عز وجل
ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون خطاب ليهود بني قريظة والنضير كانت بنو قريظة حلفاء
الاوس وبنو النضير حلفاء الخزرج وكان كل واحد من الفريقين يقاتل الفريق الاخر فاذا اغلب عليهم قتلهم
وسبى ذراريهم واخرجهم من ديارهم يقول الله تعالى ثم انتم هولاء معشر اليهود تقتلون انفسكم اى
يقتل بعضكم بعضا ويخرج بعضكم بعضا من ديارهم يتعاونون عليهم بالمعصية والافراط في الظلم
وقوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم متصل في التقدير بقوله تعالى في الاية التي قبل هذه الاية
ولا تخرجون انفسكم من دياركم لان قوله تعالى وان ياتوكم اسارى داخل في الميثاق ومعناه فكوا
اسراكم من عدوكم بالفداء كان في الاية تقديما وتاخيرا واما قوله تعالى وهو محرم عليكم اخراجهم متصل
بالاثم والعدوان معناه ان الاخراج من الديار محرم عليكم اعاد ذكر الاخراج من بعد لتراخي الكلام
وقوله عز وجل افتومنون ببعض الكتاب وهو مفاداة الاسير وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج
من الديار وذلك ان القوم كانوا يفعلون هذا الفعل ويكتمون العهد الذى اخذ عليهم في التورية
فامر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بالعهد الذى في التورية ويذكرهم ذلك
العهد فاعترفوا ثم وبخهم بالقتل والاخراج من الديار وعلى مخالفتهم ما في التورية وفي هذا دلالة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اخبرهم بشى كتموه في كتبهم وهو امي لم يقرا الكتب فاما قوله
تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا يقول ما جزاء من يومن ببعض الكتاب
ويكفر ببعض الا ذل وهوان في الحيوة الدنيا ويقال الا دبالخزي قتل بني قريظة واجلا بني
النضير ثم اخبر جل ذكره ان ذلك الخزي غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صايرون بعده الى
عذاب عظيم بذلك قوله تعالى ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب قوله تعالى وما الله
بغافل عما يعملون اى لا يخفى عليه شى من اعمالهم ويجازيهم على ما عملوا وذهب بعض
المفسرين الى ان هذه الاية على نظمها وانه ليس فيها تقديم ولا تاخير وان اليهود كانوا يخرجون
الضعفاء من ديارهم وكان اذا اسر ضعيف منهم الى عدوهم فدوه ويقال كانوا اذا قاتل احد
الفريقين الاخر قتلوا وسبوا واذا اسر احد من الفريقين من جهة المشركين اجتمعوا ففدوه
والله تعالى اعلم وذهب الزجاج في قوله تعالى ثم انتم هولاء ان معناه ثم انتم الذين
تقتلون انفسكم وقال ان تقتلون صلة لهولاء مثاله قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
معناه ما التي بيمينك ويجوز ان يكون قوله تعالى هولاء بمعنى النداء كانه قال انتم يا هولاء
تقتلون انفسكم وهذا كما يقال محمد يا مسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون معنى تقتلون انفسكم قتلتم وقد يجى المستقبل في الكلام بمعنى الماضي والماضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى المستقبل قال الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا معناه الا ان آمنوا وقال تعالى واتبعوا ما
تتلوا الشياطين معناه تلت الشياطين واما من التعاون تظاهرا لان كل واحد من المتعاونين
يكون ظهيرا لصاحبه والظهير المعين واما تشديد الظاء في قوله تظاهرون فلان اصله يتظاهرون
ادغمت احدى التائين في الظاء لقرب مخرجيهما ومن قرا تظاهرون بالتخفيف فقد حذف التا الثانية تخفيفا ع
التاني والاثم والعدوان والوزر والجرم واحد وهو الفعل الذي يلام صاحبه عليه والعدوان
مجاوزة الحد يقال عدا فلان عدوا وعدوانا اذا افرط وجاوز والاسرى جمع الاسير كجريح وجرحى واما
اسارى فهو جمع الجمع كما يقال سكرى وسكارى والاسير المقهور المأخوذ في الحرب المشدود في القيد
والفدا هو بدل الشيء على سبيل الفداء والمحرم من الحرام وهو الممنوع عنه بالنهي كما ان الحلال هو المطلق
فيه الاباحة والجزاء هو الثواب على الخير والعقاب على الشر واما الخزي يقال في السوء والشر خزي يخزى
خزيا فاما من الحياء خزي يخزى خزاية واصل الكلمة هو الذل فانه اذا قيل للانسان اخزاك الله كان
معنى هذا الكلام اوقعك الله موقعا يستحيى منه ويسمى الذل خزيا لانه يستحيى منه وفي الاية دلالة ان
فدا الاسرا كان واجبا عليهم وكان اخراج فريق من ديارهم محرما عليهم وهذا ثابت في شريعتنا يدل
عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الطعام وافشوا
السلام وعودوا المريض وفكوا العاني وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما على من فداء الاسير
فقال رضي الله عنه على الارض التي يقاتل عنها قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون معناه اهل هذه الصفة هم الذين آثروا و
استبدلوا الفانية على الباقية فلا يخففن عليهم العذاب ولا لهم مانع يمنعهم عما اوعدهم من العذاب وقيل
لا يعاقبون بتخفيف العذاب عنهم والتخفيف من الخفة في اللغة وهو النقصان في الوزن قوله عز وجل
ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
معنى الاية والله اعلم اعطينا موسى عليه السلام التورية قال الكلبي رحمه الله انزل الله تعالى عليه التورية
جملة واحدة فامره ان يحملها فلم يطق حملها فبعث الله تعالى بكل اية ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله
تعالى بكل حرف ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى على موسى عليه السلام فحملها وعمل بها ومعنى
وقفينا اردفنا واتبعنا ارسلنا رسلا يقفوا بعضهم بعضا في الدعا الى عبادة الله تعالى واعطينا عيسى
ابن مريم الايات والدلالات التي يعجز عنها الخلق من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص ونحو ذلك من
الايات وايدناه بجبريل الطاهر عليه السلام افكلما جاءكم معشر اليهود رسول بما لا يوافق هواكم ولا
تميل اليه انفسكم تعظمتم من ان تكونوا اتباعا ففريقا كذبتم مثل عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه
وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلام والتقفية في اللغة هو الاتباع وهو مأخوذ من القفا ومنه قولهم
قفوت الرجل اذا ذهبت في اثره ومنه سميت القوافي لاتباع بعضها بعضا ومنه القفا وهو خلف الوجه
فمعنى قفينا اي بعثنا الرسل بعضهم خلف بعض في الرسل جمع الرسول والرسول هو الذي يؤدي ما اوحى الله تعالى
اليه المقبول من غير المعجز الدالة على صدقه والبينات الحجج والتأييد التقوية
ومنه الايد الذي هو القوة قال الله تعالى والسماء بنيناها بأيد اي بقوة وقال تعالى واذكر عبدنا داود
ذا الايد وانما سميت اليد من البدن يدا لان القوة تظهر فيها من الاخذ والبطش ومعنى تأييد عيسى عليه السلام
بجبريل عليه السلام لان اليهود لما ارادوا قتل عيسى عليه السلام رفعه جبريل عليه السلام الى السماء و
سمي جبريل عليه السلام روح القدس لانه يحيي القلوب بالاسلام والقدس الطاهر وقال السدي

المبارك

المبارك وقال ابو زيد القدس والقدوس جميعا من اسماء الله تعالى والالف في افكلما الف استفهام معناه
التوبيخ والزجر والتقريع وكلما يقتضي جمعا مكررا بتكرر الجواب بتكرر الشرط لان كل تقتضي جمعا ولا تقتضي
تكرارا وكلما يقتضي الجمع والتكرار جميعا الا ترى ان الرجل لو قال كل امرأة اتزوجها فهي طالق فتزوج امرأة فطلقت ثم تزوجها
بعينها مرة اخرى لم تطلق في المرة الثانية ولو قال كلما تزوجت امرأة فهي طالق فتزوج امرأة واحدة
مرة بعد اخرى طلقت مرة بعد اخرى لان حرف كل يقتضي جمع الاسامي دون تكرار الافعال وحرف
كلما يقتضي تكرارا وجمعا والهوى في اللغة الميل ومنه الهوى الذي بمعنى المحبة واما تقتلون على لفظ
الاستقبال فقد يذكر مثل هذا اللفظ في الصفات اللازمة ويراد به الذم والتوبيخ على فعل كان منه في
الماضي وهذا كما يقول الانسان لغيره لم تشرب اموال الناس وتقتل الناس اذا كان ذلك دابه وعادته
لا يراد بذلك فعل الاستقبال وفائدة الاية الاخبار عن فعل اليهود على جهة اظهار معايبهم وقبائحهم
وان من عادتهم تكذيب الرسل عليهم السلام كما كذب من قبلهم منهم الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون قالت اليهود قلوبنا ممنوعة من
القبول يقول الله تعالى ردا عليهم بل لعنهم الله تعالى بكفرهم اي انهم لما كفروا الحقوا كفرهم فاستحقوا
به ومحبتهم له فمنعهم الله تعالى الالطاف والفوائد التي منح المومنين مجازاة لهم على كفرهم فقليلا
ما يؤمنون منهم وهو من اسلم من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقال فقليلا ما يؤمنون
ايمانهم بالله تعالى قليل لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وقيل معناه لا ايمان لهم كما يقال فلان
قليل الخير اي لا خير له والغلف جمع الاغلف كما يقال احمر وحمر والقلب الاغلف الذي جعل في غلاف فلا يعي
شيئا وهو كما قال الله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومن قرأ غلف بضمتين فهو جمع غلاف
كما يقال مثال ومثل وحمار وحمر ومعنى ذلك قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم منك ان كنت نبيا
فافهمنا واللعن الابعاد بالمكروه وتقدير نصب القليل على التاويل الاول صاروا قليلا يؤمنون وعلى
الثاني ايمانا قليلا يؤمنون قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين معناه ولما جاءهم القرآن موافقا لما معهم من التورية وسائر الكتب في التوحيد والدعا
الى الله تعالى وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون بذكر القرآن وبنعت الرسول
عليه السلام على الذين جحدوا توحيد الله تعالى كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب قالوا
اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وكتابك الذي تنزله عليه الذي وعدتنا
انك باعثه في اخر الزمان وكانوا يرجون ان يكون ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منهم فكانوا
اذا قالوا ذلك نصروا على عدوهم فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وعرفوا نعته
وصفته في كتابهم ولم يكن منهم كفروا به وغيروا نعته وصفته في كتابهم مخافة زوال الرياسة عنهم
فذلك قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي لما عرفوه وعلموا انه من غيرهم جحدوه فسخط الله
تعالى على الكافرين قيل ان جواب اول هذه الاية محذوف لان معناه معلوم دل عليه قوله تعالى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل جواب قوله تعالى لما جاءهم الاول وجواب قوله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا واحد لكن كرر لفظ الحين لطول الكلام اخر بينهما فلما قبل مبني على الضم ويدخله اعراب
الكسر والفتح عند الاضافة الا انه مبني على الضم عند عدم الاضافة فعلامة الاضافة الى المضمر فقولك
اللفظ وكانوا من قبل هنا يستفتحون عليهم وفي هذه الاية دلالة على ان الايمان ليس هو المعرفة
فحسب كما يقوله بعض الناس لان اولئك اليهود كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم

الألوكة
www.alukah.net

ومع ذلك جعلهم الله كفاراً بجحدهم بالسنتهم * قوله عز وجل بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين قال الكلبي بئس ما باعوا به انفسهم من الهدايا و
الفضول بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم اختاروا الدنيا على الاخرة فباعوا انفسهم
بعقوبة الاخرة بان يكفروا بما انزل الله تعالى اي يجحدوا بالقران الذي انزل الله تعالى حسدا منهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من العرب وهم لم يشكوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وانما حسدوه
على ما اتاه الله من فضله من النبوة والكتاب على من يشاء من عباده ممن كان اهلا لذلك فباءوا
بغضب على غضب اي استوجبوا اللعنة على اثر اللعنة فالغضب الاول حين كفروا بعيسى عليه السلام
والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه والسلام ويقال باءوا باثم استحقوا به النار على اثر تقدم
استحقوا به النار وللكافرين عذاب مهين يهانون فيه قوله بئس اذا وقعت على ما جعلت
ما عقوله اسم منكر وكذلك نعم لانهما لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكر دال على
جنس يقال نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد يراد به اثبات جميع المدح الذي يكون في ساير
جنسه فيه ونصب رجلا في قوله نعم رجلا على تمييز الجنس قال الزجاج معنى بئسما اشتروا
به اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم ولفظ الشرا يستعمل في البيع والابتياع وهو افتعال من الشرى
والشرا ترك الشيء الى الشيء وقوله تعالى ان يكفروا موضعه رفع المعنى ذلك الشيء المذموم ان يكفروا بما انزل
الله تعالى كما يقال بئسما تزويج ولا مهر وكانه يقول بئس ما باعوا به انفسهم وهو الكفر ويقال
بئسما باعوا انفسهم بان يكفروا وموضع ان ينزل الله نصب المعنى يكفروا بما انزل الله بان
ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء من عباده اي كفروا بهذه العلة والبغي الحسد وقد يكون بمعنى
الظلم الا ان المراد بها هنا الحسد واصله التطاول ماخوذ من الابتغا الذي هو الطلب يقال
ما ينبغي لك ان تطلب هذا اي ما يحق لك طلبه فكان الباغي يطلب التطاول على غيره ونصب بغيا
لانه مفعول له يقال فعلت ذاك حذار الشر اي لحذار الشر والاهانة ضد الاكرام والغضب
من الله تعالى الذم والتوعد والعقوبة الا انه عارضة تحل به كما تحل بالمخلوقين من استشاطة
النفس ونحو ذلك لانه تعالى ليس بمحل للاعراض ولا يجوز عليه التغير والانتقال وكذلك حكمه
وساير صفاته قول ووعد ووعيد والله [illegible] قوله عز وجل واذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين معناه اذا قيل ليهود المدينة صدقوا
بالقران الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نصدق بالتورية ويجحدون بما بعده الذي
انزل عليهم وهو الحق مصدقا لما معهم يعني ان القران حق موافق لما معهم من التورية وساير
الكتب قل لهم يا محمد ان كنتم تصدقون بما انزل عليكم فلماذا تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين وليس فيما انزل الله تعالى على انبيائكم قتل الانبياء صلوات الله عليهم واذا كان
وراء ممدودا كان بمعنى خلف وهو نقيض امام وقدام واذا كان مقصورا كان بمعنى الخلق ونصب
مصدقا على الحال اي حاله في تصديقه كتب الرسل عليهم السلام دليل انه حق يقال هو زيد حقا
وهو زيد معروفا اي حالة المعرفة يدل على انه زيد ولا يقال هو زيد قايما لان حالة القيام
لا يكون دليلا على انه زيد فانه اذا ترك القيام فهو زيد وفي قوله تعالى من قبل دليل ان المراد
بقوله تعالى فلم تقتلون فلم قتلتم وقد ذكرنا ان لفظ الاستقبال يذكر ويراد به الماضي وفي الاية

دليل

دليل ان من رضي بما فعل من معصية الله تعالى فكانه فعلها لان الله تعالى خاطبهم بالقتل
وكان القتل من اسلافهم واوايلهم وفيها دليل ان اليهود كفروا بالتورية لانهم اذا كفروا بما هو مصدق
ما معهم فقد كفروا بما معهم قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون معناه لقد جاءكم موسى بالايات بالتسع المعجزة فاتخذتم العجل الها من بعد ذلك
وانتم كافرون بالله تعالى بعبادة العجل وقد تدخل اللام في الفعل لتوكيد الخبر واللام في ابتدا اية لام
قسم لدخولها على الفعل وقد وهذا الموضع للتسمين ويقال صورته صورة النسق وليس بنسق وانما يراد
به التعجب والاستعظام لكفرهم بما راوا من الايات وفايدة الاية ان تكذيب الانبيا صلوات الله عليهم
من دابكم وعادتكم كان موسى عليه السلام جاءكم بالبينات ثم اتخذتم العجل الها قوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين معناه واذكروا
اذ اخذنا عليكم العهد بالتورية ورفعنا فوقكم الجبل خذوا ما اتيناكم اي اعطيناكم بجد في طاعة الله
ومواظبة واسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تومرون به قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك و
لولا مخافة الجبل ما قبلنا قال الكلبي قالوا ذلك بعد ما رفع الجبل عنهم ويقال قالوا بظاهرهم سمعنا وقالوا
في انفسهم عصينا واشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم اي فعل الله ذلك بهم مجازاة لهم على الكفر
كما قال الله عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم ويقال فعل الله ذلك بهم لانهم الفوا الكفر ورسوخهم
فيه والكفر يدعو بعضه الى بعض ويعقد بعضه بعضا كما يقال حبك للشيء يعمي ويصم قل لهم يا محمد
بئس شيئا يامركم به ايمانكم اي بئس الايمان ايمان يامر بالكفر ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
وفايدة تكرار ذكر الميثاق وقصة الجبل والعجل لاتصال كل اية بقرينة تسبق الاخرى ويقال تكرار
ذلك في القران تكرارا وليدل القوم في الكفر والفعل ومعنى اشربوا اي خولطوا ذلك بقلوبهم
كاشراب الالوان لشدة الملازمة وذلك محذوف من العجل لان المضاف اليه يقام مقام المضاف
كما قال الله تعالى واسال القرية اي اهلها قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي
اي كخلالة ابي مرحب والسمع في هذه الاية بمعنى القبول كما يقال فلان سميع منه وفلان لا
يسمع منه ومنه قول الناس سمع الله لمن حمده اي يقبل الله تعالى حمد من حمده ويقال السمع في
الطاعة يراد به القبول والطاعة قوله عز وجل قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين معناه جواب قول اليهود لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقول الله تعالى قل لهم يا محمد ان كانت
لكم الجنة عند الله خالصة صافية من دون الناس اجمعين كما ادعيتم فاسالوا الله تعالى الموت
ان كنتم صادقين فيما تدعون عند انفسكم لتصلوا الى الجنة فان كان بهذه الصفة كان الموت خيرا
له من الحيوة الدنيا والتمني في اللغة معنى يقدره الانسان في النفس بحسب الطبع كقولك ليت كان
كذا وليت لم يكن كذا وفي الاية اظهار كذب اليهود والدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود بعد نزول هذه الاية ان
كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه
فمات مكانه فابوا ان يفعلوا وكرهوا ذلك مع اجتهادهم في اطفاء نوره وتكذيب ما ياتي به ولم
يتمن احد منهم مع زعمهم انهم احب العباد الى الله تعالى فنزل قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين يقول انهم لا يتمنون الموت ابدا بما اسلفت ايديهم من المعاصي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والفضايح وكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه والله تعالى عليم بالظالمين زيادة الظالمين وتخصيص الظالمين دليل ان المراد بالعلم الجزاء يقول الرجل لآخر انا عالم بك وبصير بك اي عالم بما اعاملك به ولن تنصب الافعال المستقبلة كما تنصب ان ونصب ابدا لانه ظرف الزمان وهو اسم يقع على العمر فانهم يتمنون الموت في الآخرة وقت مشاهدة العذاب والاضافة الى اليد في الآية لان اكثر المعاصي تكون باليد تقول العرب هذا مما جنت يداك ومما كسبت يداك اي انت الذي جنيته وكسبته وفي هذه الآية زيادة دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى اخبر ان اليهود لا يتمنونه ابدا وفي ذلك اعجاز القرآن فما تعاددوا من قبل كوضع اليد على الراس ونحو ذلك وهذا كما ان النبي صلى الله عليه وسلم تحدى النصارى الى المباهلة كما قال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الآية فلم يباهلوه خوفا من الهلاك قال صلى الله عليه وسلم والله لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم نارا وفي بعض الاخبار لهلكوا جميعا كلهم حتى العصافير في سقوفهم وتمام بيان هذه الدلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان ترك اليهود تمني الموت لا يخلو من احد امرين اما ان تركوه لانهم علموا انه نبي وانهم لو تمنوا الموت لماتوا او لان الله تعالى صرف دواعيهم الى ترك تمني الموت وعجزهم عن ذلك وايهما كان فان ذلك يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم اذ لم تجر العادة ان يجتمع خلق عظيم على ترك شي يسير يتحدون به مع حرصهم على تكذيب من يتحداهم ولو كان القوم على يقين انهم اذا ماتوا صاروا الى نعيم الجنة وتخلصوا عن هموم الدنيا لاختاروا الموت على الحيوة الا ترى ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين بشرهم بالجنة كيف لم يركنوا الى الدنيا واختاروا الموت على الحيوة حتى روي ان عليا كرم الله وجهه كان يطوف بين الصفين في الحرب في غلالة فقال له الحسن رضي الله عنهما هذا زي المحاربين فقال علي يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط الموت عليه وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال في حرب صفين الان الاقي الاحبة محمدا وصحبه صلى الله عليه وسلم وحزبه رضي الله عنهم وهكذا روي عن كل واحد من العشرة مثل ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم كلاما يشبه هذا الكلام قوله عز وجل ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون معنى الآية والله اعلم لتعلمن اليهود احرص الناس على البقاء واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث سمي المجوس مشركين لقولهم بالاصلين قديمين النور والظلمة يتمنى احدهم لو يطول عمره الف سنة لان المجوس كانوا يقولون لملكهم يوم النيروز ويوم المهرجان عش الف نيروز وعش الف مهرجان وكان اذا اعطى احدهم يقولون له زه هزار سال اي عش الف سنة وما احدهم بمباعده من العذاب تعميره ويقال هو كناية عن التعمير فكانه قال وما التعمير بمباعده من العذاب واعاد قوله تعالى ان يعمر ليكون مبينا عن هو والله تعالى عالم باعمال العباد ومجازيهم عليها وفي هذه الآية زيادة تكذيب اليهود اذ كيف يزعمون ان الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ثم يحرصون على الحيوة الدنيا اكثر من حرص من لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ولا يرى وراء الدنيا شيا آخر وانما كان حرص اليهود على الحيوة اشد من حرص غيرهم لان من يعلم ويعاند اخوف ممن لا يعلم فكان كراهتهم التمني لفرط ما كسبوا من المعاصي واللام في ولتجدنهم ابتداء هذه الآية لام القسم لاتصاله بنون التاكيد وهم مفعول اول واحرص مفعول ثان والحرص شدة الطلب لا فرق بين قولك حرص فلان على كذا وبين قولك جد فيه والمودة والمحبة واحد فالظاهر منهما جميعا الشهوة التي هي ميل الطباع وان كان قد تاتي المودة والمحبة بمعنى الارادة التي تقتضيها الحكمة كما قال الله تعالى يود المؤمنين ويحبهم والمؤمنون يحبون الله تعالى والتعمير تطويل العمر ومنه يقال عمرك الله

لان هو

اليهود

تعالى

تعالى اي اطال الله عمرك والزحزحة التنحية والازالة قال الله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز اي من بعد عن النار وادخل الجنة فقد فاز قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين في قوله قل دليل على انه جواب لكلام قيل للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قال الله عز وجل له قل من كان عدوا لجبريل وذلك ان اليهود اعداء الله تعالى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن صوريا عالمهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد امن الرجل ام من المراة فقال صلى الله عليه وسلم اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الرجل يشبه اعمامه ليس فيه شبه من اخواله ويشبه اخواله ليس فيه شبه من اعمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد ثم قال ابن صوريا خصلة ان قلتها امنت بك واتبعتك اي ملك ياتيك بما تقول عن الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ياتي بالبشر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي ياتيك بما تقول امنا بك وصدقناك فقال عمر رضي الله عنه وما عداوة جبريل عليه السلام اياكم قال عمر عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد ذلك علينا ان الله تعالى انزل فيما انزل على نبينا عليه السلام ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر على يديه واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما بلغ ذلك الحين بعثنا رجلا من اقويا بني اسرائيل في طلبه ليقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة ولا منعة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال لصاحبنا ان كان الله تعالى هو الذي امر بهلاككم فلا يسلطك على قتله وان لم يكن هذا فعلى اي حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع فكبر بخت نصر وقوي وملك وغزانا فقتلنا فلهذا نتخذه عدوا وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه انا اشهد ان من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فانه عدو لجبريل عليهما السلام فقال لا تقولن هذا فانزل الله تعالى عز وجل هذه الآية يقول قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ كان هو المنزل الكتاب علي فانه انما انزل على قلبي بامر الله تعالى لا من تلقاء نفسه وانما انزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب التي في ايديكم لا مكذب لها وانه وان كان فيها انزال الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين ويقال معنى الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ذلك هذا على وجه الترخيم كانه قال فان جبريل هو الذي نزل عليك رغما لهم والعدو في حقيقة اللغة كل من قصد ضر غيره واليهود لا يقدرون على ضر جبريل عليه السلام الا ان من خالف غيره سمي عدوا على طريق الاستعارة واما اسم جبريل عليه السلام قيل انه بلغة السريانية ومعناه عبد الله فان جبر هو عبد وايل هو الله عز وجل بلغتهم وفيه لغات جبريل وجبرائيل وجبرييل وجبريل وجبرئيل قال الزجاج اجود اللغات جبرائيل كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صاحب الصور جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وانما قال على قلبك ولم يقل على قلبي وان كان امر الله بان يقول ذلك لان مثل هذا مستعمل في كلام الناس كقولك للذي تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان يقول لا تقل لهم ان الخبر عندي وكقولك قال القوم ان جبريل عليه السلام عدونا ويجوز ان يقول قال القوم ان جبريل عدوهم قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين المعنى والله اعلم من كان عدوا لله هو كافر او لواحد منهم

فلا تتوادوه

شبكة الألوكة www.alukah.net

فليكن وهذا على التهديد فان الله عدو للكفرين يعني لليهود وانما قال عدو للكفرين ولم يقل عدو لهم لانه لو قال ذلك لم يعلم بذلك ان عداوة جبريل تكون كفرا ولا يجوز ان يتوهم متوهم ان عداوة جبريل تكون فسقا ولا تكون كفرا فازال الله تعالى هذا الاشكال وفي كونهم عدو والله تعالى قولان احدهما ان الله تعالى عدوهم ولما كان الله تعالى عدوهم اطلق اسم العدو عليهم اتساعا ومجازا والثاني على الظاهر لان من خالف احدا فقد عاداه وفي ميكائيل لغات ميكائيل وميكائل وميكال ومعناه عبد الله مِيك عبد وايل هو الله تعالى وكذلك اسرائيل وهذه اسماء اعجمية دفعت الى العرب فلفظت بها بالفاظ مختلفة وانما عطف والله اعلم جبريل وميكائل على الملئكة بعد دخولهما في اسم الملئكة لتفضيلهما بدلالة الاجماع كما قال الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية فعطف محمدا ونوحا عليهما السلام على النبيين بعد دخولهما في اسم النبيين عليهم السلام لتفضيلهما بدلالة الاجماع قوله عز وجل **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ** المعنى والله اعلم انزلنا اليك يا محمد علامات واضحات قال بعضهم هي كتاب الله عز وجل الذي لا ياتي بمثله الانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وسمي القرآن آيات لما فيه من الحجج والادلة وقال بعضهم الآيات هي ساير المعجزات من امتناع القوم من المباهلة ومن تمني الموت ومن مسرى النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى وانصرافه في ليلة واحدة وتكثير القليل من الطعام والشراب ودعايه الشجر فاتته ثم رجعت الى مكانها وساير الآيات التي لا يجحدها الا كاذب معاند وما يجحد بها الا الخارجون عن القصد والطاعة وهم اليهود وغيرهم وسمي الكفر فسقا لان الفسق خروج من شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويقال اطلاق اسم الفسق يقتضي الخروج من الحق الى اقبح ما يكون من الباطل والفسق في المعاصي اقبح انواعه واقبح انواع الكفر كفر علماء اهل الكتاب لانهم يكفرون عنادا ومكابرة قال احتج بعض اليهود بان قال انتم مقرون بنبينا واياتنا ونحن منكرون لما تدعون من ايات نبيكم فيلزم ماقرر ما انكر يبطل بانكاره له الا ترى ان الايات التي تقرونها تنكرها الدهرية والثنوية ولم يبطل بانكارهم لصحة النقل ويقال للنصارى انتم مقرون بنبوة موسى عليه السلام واليهود منكرون لامر عيسى عليه السلام فهل يفسد انكارهم ذلك حجتهم وقد كان اليهود في زمان ليس لهم علم الذي يقربايا تهم وهو الزمان الذي كان بعد موسى عليه السلام قبل ان يبعث بني عليهم وكانت حجتهم في ذلك الوقت حجة صحيحة لصحة النقل وان كان جميع المخالفين لليهود في ذلك الزمان منكرين لعايدهم فهو مثلها قوله عز وجل **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** يقول اوكلما عاهد اليهود عهدا رفضه ورمى به طايفة منهم بل اكثرهم لا يصدقون والالف في اول هذه الآية الف استفهام دخل على واو العطف وحرف كلما يتعلق بالافعال ويقتضي التكرار فاقتضت الآية ان اليهود كانوا ينقضون العهد مرة بعد اخرى نقضوا العهد بكتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى اخذ الميثاق عليهم ليؤمنن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولينصرنه وكانوا قد عاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا احدا عليه فنقضوا واعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق والنبذ في اللغة الطرح ولذلك سمي النبيذ لانه القي الزبيب فيه وانما قال نبذه فريق منهم لان علماءهم الذين نبذوا العهد عنادا مع العلم به فاما قوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون فانما قال ذلك لان اكثر اليهود لم يؤمنوا جهلا ومنهم من آمن وهو عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فلذلك قال اكثرهم قوله عز وجل **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ**

يدعونها

لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ موافق لما معهم من التوراة في اصل التوحيد وبعض الشرايع تركه ورفض فريق من الذين اعطوا التوراة كتاب الله اي القرآن ويقال التوراة لانهم اذا نبذوا القرآن فقد نبذوا التوراة وراء ظهورهم اي لم يؤمنوا به كانهم جهلة به وبالعهد الذي اخذ عليهم وانما قال ذلك من الذين اوتوا الكتاب لانه لم يكن كلهم يعلمون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وانما علم ذلك علماؤهم اذ لو علموا كلهم لم يجتمعوا على كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم فالعلم في مجرى العادة ان يجتمع الخلق العظيم على كتمان شيء علموه في انفسهم وقوله تعالى وراء ظهورهم مثل لمن لا يعمل بالشيء ويستخف به كقوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك وتحت قدمك يريدون به الاعراض عنه لان الشيء اذا كان وراءه لم يمكنه النظر اليه ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان كل دم وما ثرة كانت في الجاهلية فموضوعة تحت هاتين وقوله تعالى كانهم لا يعلمون اي انهم يعلمون صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم جاحدوه كانهم لا يعلمون انه صدق قوله عز وجل **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** عطف على قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله كانه قال نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان اي ما كانت تتلوا اي تتبع ويقال تقرأ ويقال معنى ما تتلوا ما تلت كما قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة معناه اصبحت الارض مخضرة قال الحسن رضي الله عنه لم يزل السحر فاشيا في اليهود وقد اختلف المفسرون في هؤلاء الشياطين قال بعضهم شياطين الجن فان الشيطان اذا اطلق اريد به الشيطان الذي هو من الجن وقال بعضهم المراد به شياطين الانس والجن فان الشيطان هو العاتي المتمرد من كل جنس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي قوله تعالى على ملك سليمان قولان احدهما على عهد ملك سليمان فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثاني معناه في ملك سليمان وحروف الصفات يبدل بعضها من بعض كما قال الله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ويقال معنى الآية ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان فانه يقال تلا عني فلان اذا صدق في الحكاية وتلا على فلان اذا كذب عليه كما يقال قال عنه اذا صدق وقال عليه اذا كذب عليه قال الله تعالى ام تقولون على الله معناه تكذبون على الله تعالى وقوله تعالى وما كفر سليمان اي ما اتى بالسحر وما كتبه وهذا رد على اليهود قال الكلبي وذلك ان الشياطين كتبوا من وقت ذهاب ملك سليمان عليه السلام سحرا كثيرا على لسان آصف بن برخيا وكتبوا في ذلك الكتاب هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ودفنوا ذلك الكتاب تحت مصلى سليمان عليه السلام وفي بيت خزانته فلما القى الله في قلوب الناس الاستنكار للشيطان الذي وقع على كرسي سليمان عليه السلام ورد الله تعالى ملك سليمان عليه السلام هربت الشياطين الذين كتبوا ذلك السحر فلما قبض الله تعالى سليمان عليه السلام اتت الشياطين اوليائها من الانس فقالت الا ندلكم على علم سليمان عليه السلام قالوا بلى فاخرجوا كتب السحر التي كانوا دفنوها وقت ذهاب ملك سليمان عليه السلام فقال صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم معاذ الله تعالى ان يكون هذا علم سليمان عليه السلام ولا نعمل ولا نقر به وقالت السفلة هذا علمه فتعلموه وقالوا انما تم ملك سليمان عليه السلام بالسحر وبه سخر من الجن والانس والرياح والطيور ولم يزالوا على ذلك الى ان حتى عذر الله تعالى سليمان عليه السلام على لسان

وما كفر سليمان

طين

ثم ع

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبرآءة من الكفر تكذيبا لليهود فذلك قوله تعالى وما كفر سليمان الآية
وذهب بعض الناس الى ان سبب نسبة اليهود السحر الى سليمان عليه السلام انه كان قد جمع كتب السحر
وكتبها تحت كرسيه ويقال وضعها في خزانته حتى لا يطلع عليها الناس ولا يعملوا بالسحر فلما مات سليمان
عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب والقول الاول هو الاصح لان سليمان عليه السلام لو كان
هو الذي جمع كتب السحر حتى لا يطلع عليها الناس ولا يظفر بها احد لكان الاولى ان يحرقها ولا يضعها في
خزانته ولا تحت كرسيه فاما قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا معناه ولكن الشياطين هم الذين كتبوا السحر
وهم الذين يعلمونه الناس واما قوله تعالى وما انزل على الملكين فقد اختلف الناس في تفسيره فذهب الشيخ
ابو بكر والزجاج وجماعة من الائمة غيرهما الى ان هذا عطف على قوله تعالى ما تتلوا الشياطين اي اتبعت
اليهود ما تتلوا الشياطين من السحر واتبعت ما انزل اي الذي انزل على الملكين من بيان السحر اي
تدفعه قلوبها معرفته وان بينا للناس ويقولان انه حرام فلا تفعل ايها المتعلم كما قال الله
تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة لا يعطيان السحر لاحد حتى يعظاه ويقولا انما
نحن اختبار وابتلاء للناس فلا تكفر ايها المتعلم اي لا تتعلم العمل به وتعليم السحر لا يكون اثما وهذا
كما تقول لآخر على ما الزنا والسرقة والقذف فيقول ان ذلك كذا وكذا ولكنه حرام فلا تفعل ولا فرق
بين بيان معنى السحر والزجر عنه وبين بيان ضروب الكفر وتحريم الامهات والاخوات وتحريم
الزنا وشرب الخمر وساير المحظورات لان الفرض علينا من اجتناب المنهيات كفرضه في اجتناب الطاعات
والواجبات فمن حيث وجب بيان الخير لانه لا يوصل الى فعله الا بعد العلم به كذلك يجب بيان الشر
اذ لا يوصل الى تركه واجتنابه الا بعد العلم به فالسبب في هذا والله اعلم ما روي ان اهل
ذلك الزمان كانوا قد اغتروا بالسحر كانوا يصدقون السحرة فيما ادعوه لانفسهم فبين الله تعالى
على لسان هذين الملكين امر السحر ليكشف عنهم غمة الجهل ويزجرهم عن الاغترار به كما قال الله تعالى
وهديناه النجدين اي بينا له سبيل الخير والشر ليعمل الخير ويجتنب الشر وكما روي ان رجلا قال لعمر
بن الخطاب رضي الله عنهما فلان لا يعرف الشر قال ذلك اجدر ان يقع فيه وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا السحر ولا تعملوا به واما قوله تعالى ببابل فلان الكثر السحرة كانوا بذلك
الموضع قالت عائشة رضي الله عنها هي بابل الكوفة موضع قريب من الكوفة وهكذا قال الحسن رضي
الله عنه ويقال هو بابل دنباوند وهاروت وماروت اسم الملكين على هذا الطريق والله اعلم فاما
اما قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيحتمل التفريق من وجهين احدهما
ان يعمل به فيكفر بالعمل فيقع الفرقة بينه وبين زوجته بالردة اذا كانت المرأة مسلمة والوجه الآخر
ان يسعى بينهما بالنميمة والاغراء والافساد وتمويه الباطل حتى يظن انه حق والاحتيال بالحيل الدقيقة
المموهة لكي يبغض كل واحد منهما صاحبه فيفارقه او يطعم الرجل او يسقيه شيئا فياخذه امرأته
فيكون بينهما سببا للفرقة وقال بعضهم معنى الآية انهم يتعلمون السحر فيكفرون بذلك ويتبين منهم
نساؤهم بالكفر الا ان هذا لا يصح لانه لو كان المراد به هذا لكان من حق الكلام ان يقول تعالى فيتعلمون
منهما ما تبين به نساؤهم فلما قال ما يفرقون به بين المرء وزوجه علم ان المراد به والله اعلم سبب
حادث بعد التعليم والتعلم واما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اخبار عن قدرة
الله تعالى وسلطانه وبيان ان العباد لا يقدرون على شيء من الاضرار وغيره الا بمشية الله تعالى
والمراد بالاذن في هذه الآية العلم والمشية والتخلية دون الامر لان الله تعالى لا يامر بالفحشاء قال
الحسن رضي الله عنه من شاء الله تعالى منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره واما قوله

موضع بابل

السابع

على

تعالى

تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يقول ما يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا لان حاصله عذاب لا
من دليله ويقال المراد بها جميعا في الآخرة لان السحر كان ينفعهم في دنياهم لانهم كانوا يكتسبون بالسحر
وبتعليمه وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه اي علمت اليهود لمن اختار واستبدل السحر والكفر بالايمان
ماله في الآخرة من نصيب قوله تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم يقول لبئس ما باع المستعملون السحر به
انفسهم لعقوبة الآخرة لو كانوا يعلمون حقيقة العلم ويقال لو كانوا يوفون العلم حقه يقال للعالم
الذي ترك العمل بعلمه ليس بعالم اي لا ينتفع بعلمه وقال بعضهم كان القوم فريقين فريق كانوا
معاندين علموا بان العمل بالسحر لا يجوز وفريق كانوا متعلمين فاولئك كانوا جهالا لم يعلموا حقيقة العلم
وذهب القاضي الامام ابو عاصم رحمه الله وجماعة غيره رحمهم الله الى ان قوله تعالى وما انزل
على الملكين في معنى الجحد والنفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كانه قال لم ينزل على
الملكين ولكن الشياطين هاروت وماروت واتباعهما يعلمون الناس السحر وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي اجرى الله تعالى ذكره على لسان الشياطين حجة على السحرة في
الآخرة قال القاضي الامام رحمه الله لو كان قوله تعالى وما انزل على الملكين للاثبات الانزال لكانت
لا يجوز اضافته الى الملكين لانهما يبينان على القول الاول الذي ذكر من قبل فساد السحر وانه لا يجوز
العمل به ومن يبين لغيره فساد شيء ويعلمه ذلك فانه لا يضاف اليه ذلك الشيء وانما يضاف اليه
فساده الا ترى ان احدنا اذا نقض كتاب مصنف في الكفر فانه لا يضاف اليه ذلك المصنف وانما
يضاف اليه نقضه فثبت ان قوله تعالى وما انزل على الملكين عطف على قوله تعالى وما كفر سليمان
قال وفي قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر اضافة الكفر الى الشياطين بتعليمهم
السحر كما يقال الانسان فلان كفر بتكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون معناه فلان كفر بتكذيبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ان تعلم السحر كفر لكان الله تعالى يقول ولكن الشياطين كفروا وعلموا
الناس السحر بالواو فلما ذكره من غير واو علمنا انه جعل قوله تعالى يعلمون الناس السحر تفسيرا لقوله تعالى
ولكن الشياطين كفروا قال ومن الناس من توسع في هذا القول في هذه الآية حتى انه نسب الى الملكين
شرب الخمر والزنا والعمل بالسحر والكفر وقال ان الله تعالى انزل جبريل عليه السلام بتخيير الملكين
بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ورووا في ذلك خبرا من
اخبار الآحاد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الذي قال هذا القول خلاف ما ذكر الله تعالى في هذه الآية
وغيرها لان الملكين لو كانا كفرا كما كفر الشياطين لكان الله تعالى يضيف الكفر اليهما اذ العادة لا
تجري في احكام الله تعالى ولو كان الله تعالى انزل على الملكين السحر وامرهما بتعليم الناس السحر الذي
هو كفر لم يأمن من ان يكون كثيرا من الانبياء صلوات الله عليهم قد انزل عليهم ما هو كفر مع ان احدا
لا يجوز ان يبعث الله رسولا بما هو كفر يدل على ذلك ان الملائكة هم رسل الله تعالى الينا وقد بينا ان
رسل الله تعالى عليهم السلام لا يجوز عليهم الفسق فضلا عن الكفر وحقيقة السحر في اللغة اسم لما لطف
وخفي ومن ذلك تسمى الرية وما تعلق بالحلقوم سحرا لخفائها وضعفها ولطافتها قالت عائشة
رضي الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فالسحر في الحقيقة هو الشيء الخفي
اللطيف ثم نقل هذا الاسم الى كل امر خفي سببه وتخيل الى غير حقيقته كما قال الله تعالى سحروا اعين
الناس اي موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى فلو انها كانت تسعى في الحقيقة لم يخيل اليه وانما كان ذلك تخييلا لان عصيهم كانت مجوفة قد
مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من ادم محشوة زيبقا فلما حميت بالشمس تحركت ويقال كانوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حفرها قبل ذلك تحت ذلك الموضع اسرابا وملوها نارا فلما طرحت عليه وحمي الزيبق تحركت لان من
شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فاخبر الله تعالى ان ذلك كان مموها على غير حقيقته وتقول العرب
لضرب من الحلي مسحور اي مموه على من رآه مسحور به عينه اذا كان في باطنه جنس آخر وظاهره جنس آخر فاسم
السحر اذا ذكر مطلقا كان ذلك عبارة عن التمويه والخداع وقد يستعمل اسم السحر مقيدا فيما يمدح ويحمد كما روى
عن عبد الله بن بريده عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان
لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا فقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان
لسحرا يحتمل احد وجهين يجوز ان يكون معناه ان صاحب الحق يبين عن حقه ويوضحه ويجليه بلفظه وحسن
بيانه بعد ان يكون خفيا ولولا ذلك البيان لم يظهر قوله فسمي استمالة القلوب بهذا الضرب من البيان
سحرا كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ولبسه وبيان الحق من السحر الحلال كما روى ان رجلا
تكلم بكلام بليغ عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال عمر هذا هو السحر الحلال ويجوز ان يكون معنى قوله صلى
الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ان يكون الرجل الذي عليه الحق الحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر القوم
ببيانه فيذهب بالحق واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا فهو ان يتكلف العالم الى علمه ما لا
يعلم فيجهله ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والامثال التي يتعظ
بها الناس واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من القول عيالا فهو عرضك كلامك وحديثك على من ليس من شانه
ولا يريده والفرق بين السحر وبين معجزات الانبياء صلوات الله عليهم ان معجزات الانبياء صلوات الله عليهم
على حقايقها وبواطنها كظواهرها وكلما تاملتها ازددت بصيرة في صحتها ولو جهد الخلق كلهم على
مضاهاتها ومقابلتها باشكالها ظهر عجزهم عنها واما مخاريق السحرة وتخييلاتها فانما هو ضرب من الحيلة
والتلطف لاظهار امور لا حقيقة لها يعرف ذلك بالتامل والبحث ومتى شاء شاء ان يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ
غيره واتى بمثل ما اظهره سواه واما من قرا وما انزل على الملكين بكسر اللام فيجوز ان يكون معناه ان
الله تعالى انزل ملكين في زمان هذين الملكين لاستيلا السحرة عليهما لاغترارهما واغترار الناس واضاف
الانزال الى المرسل اليهم كما قال تعالى في خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وقال في آية اخرى وقولوا امنا بالله وما انزل الينا تارة اضاف الانزال الى الرسول وتارة الى المرسل
اليهم وانما خص الملكين بالذكر لان العامة كانت تبعا للملكين وهذا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه ذكر في كتابه الى كسرى اما بعد فاسلم والا فعليك اثم المجوس فخاطبه واراد به جماعة رعيته
لان الرعية كانت لا تستجيب الى الاسلام قبل خروجهم منه فان قيل كيف تكون الملائكة رسلا الى الناس ومعلما
اليهم قيل هذا جايز سايغ لان الله تعالى قد يرسل الملائكة بعضهم الى بعض كما يرسلهم الى الانبيا صلوات
الله عليهم وقد يرسل الملائكة الى ساير الناس كما يرسل الى الانبيا صلوات الله عليهم من بني ادم بان
يجعل الملائكة كهيئة بني ادم لئلا ينفروا عنهم ويقبلوا منهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي كهيئة
رجل واما الفتنة في اللغة فهي المحنة والاختبار وهو ما يظهر به حال الشيء في الخير والشر من قولهم فتنت
الذهب اي جربته بالنار لتعلم اخالص هو ام مغشوش ويسمى الذهب كالخبير من نفسه اذا القي في النار وكانت
انبيا الله ورسله صلوات الله عليهم فتنة لمن ارسل اليهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ويجوز ان يريد الملكان
بقولهما انما نحن فتنة انهما اذا كانا يبينان السحر للناس ليعرفوا ان ذلك تمويه من السحرة وخداع و
لئلا يغتر الناس بقول السحرة فكل من يتعلم منهما فكان يعرف فساد السحر فلا يغتر كان عكسه استعانه في الشر
ولا يومن وقوعه فيه فيكون ذلك محنة كساير العبادات وقد تذكر الفتنة بمعنى العذاب قال الله تعالى ذوقوا
فتنتكم اي عذابكم والاذن في اللغة العلم قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا والاذان من الله

اعلام

اعلام ومنه سمي المؤذن مؤذنا والاذان اذانا لانه اعلام باوقات الصلوة وفي قوله تعالى فلا تكفر دليل
ان العمل بالسحر كفر لانهما انما يعلمانه اياه لان لا يعمل به فيجتنبه فصار قوله فلا تكفر كقوله في معنى فلا تعمل
به لانهما علماه ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب ولان لا يموه على الناس انه من جنس آيات الانبيا
صلوات الله عليهم فيبطل الاستدلال بها واحكام السحر تختلف باختلاف السحر فان السحر ينقسم على
انحا مختلفة منها سحر اهل بابل كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون ان حوادث العالم كلها
من افعالها وكانوا يجعلون اصنامهم على اسما الكواكب السبعة فكان من اراد شيئا من الخير والصلاح
تقرب بما يوافق المشتري من الدخن والرقا والعقد والنفث عليها ومن طلب شيئا من الشر والخراب
والموت والبوار والهوان لغيره تقرب بزعمه الى زحل بما يوافقه من ذلك وان اراد القتل والحرق
والطلوب تقرب بزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات وكانوا يسمون كل
كوكب من الكواكب السبعة الهاخالقا منها وكانوا يدعون ويتضرعون ويصومون ويتركون اللذات
والشهوات وكان عندهم اذا فعلوا ذلك اجابتهم الكواكب بما يريدون من خير او شر ومحبة وبغض
ومن العامة من يزعم انهم يقلبون الانسان حمارا او كلبا ثم اذا شاوا اعادوه وانهم يركبون
البيضة والمكنسة والخابية ويطيرون في الهوا الى ما شاوا من البلدان ثم يرجعون في ليلتهم و
ذلك يلتبس من السحر على العوام ومنها سحر قوم يزعمون انهم يعترفون بالله عز وجل وصدق
رسوله صلى الله عليه وسلم ويزيدون على الناس من باب ان الجن انما تطيعهم بالرقى التي هي
اسما الله تعالى فيخبرهم بالغيوب من السرق والخبايات وغير ذلك وانها تقدر على تغيير صور
الحيوان بالطيران في الهوا والمشي على الما وما يجري مجرى ذلك وهذان الفريقان كافران يقتلان
فان الفريق الثاني يجوز وجود مثل اعلام الانبيا من الكذابين المتخرصين وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فهو كافر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا
كان المصدق به كافرا فكيف لا يكون فاعله ومن يدعيه كافرا ومنها ضرب آخر من السحر و
هو العمل به بالادوية والتمايم والتعاويذ والشعوذة اذا لم يدع صاحبه معجزة لا يمكن مثلها
واعترف ان ذلك تخييل ومخاريق لم يصر كافرا ما لم يعتقد اباحته فيؤدب ويزجر عن ذلك فاما اذا
اعتقد اباحته كفر كمن يعتقد ساير المعاصي التي نص الله على النهي عنها واما ما روي ان
لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وان السحر عمل فيه حتى انزل الله سورة الفلق و
سورة الناس فالجواب عنه ان اليهود سحروه على جهة ارادتهم التوصل الى قتله فعصمه الله تعالى
من ذلك واطلعه على ما ارادوه فيكون ذلك من دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم لا انه يحرم ضرره و
لا خلط عليه امره ولين ثبت ان فعلهم اثر بالنبي صلى الله عليه وسلم نوع تاثير فيحتمل انه كان
وصل اليه شيء من دخان الادوية التي سحروه بها او نحو ذلك والله اعلم وقد اختلف الفقها في
احكام الساحر روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد قال قال ابو حنيفة رحمه الله في الساحر انه يقتل
اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته اذا تاب بعد القدرة عليه فاما اذا تاب قبل القدرة
عليه وقال قد كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان لم يقبل الا ان يشهد الشهود عليه
الساعة انه ساحر فيقتل والمسلم والذمي والحر والعبد فيه سوا قال ابو يوسف رحمه الله معنى
قول ابي حنيفة رحمه الله في الساحر انه لا يستتاب والمرتد يستتاب فقال لان الساحر قد جمع مع كفره
السعي في الارض بالفساد والساعي في الارض فسادا اذا اخذ قتل ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا اقبل
توبة الزنديق لانه يدعو الناس في السر الى الكفر ولا تعرف توبته وهو ساع في الارض بالفساد فاما

الألوكة
www.alukah.net

المراة الساحرة اذا اقرت بذلك او شهد عليها الشهود لم تقتل في ظاهر الرواية وحبست وضربت
حتى يستبين تركها السحر واما على قياس رواية الطحاوي ان المراة اذا قتلت في قطع الطريق قتلت
واجري عليها حكم قطاع الطريق ينبغي ان المراة الساحرة تقتل وقال مالك رحمه الله اذا تولى
المسلم عمل السحر يقتل ولا يستتاب قال فاما ساحر اهل الكتاب لا يقتل الا ان يضر بالمسلمين فيقتل لنقض
العهد وعن الزهري انه قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر اهل الكتاب لان النبي صلى الله
عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن اعصم وامراة من يهود خيبر يقال لها زينب فلم يقتلهما
وقال الشافعي رحمه الله اذا قال الساحر انا اعمل لا اقتل فاخطي واصيب وقد مات هذا الرجل من عملي عملا ه
فعليه الدية واذا قال عملي يقتل المعمول به وقد تعمدت قتله قتل به قودا وان قال مرض منه ولكن لم
يمت منه حلف اولياؤه لقد مات منه ثم تكون ديته على الساحر كانه ذهب الى ان السحر جناية كسائر
الجنايات وهذا قول خارج عن اقاويل السلف اذ لم يعتبر احد قتله بجرم واوجبوا قتل الساحر على
الاطلاق ولا فرق في الجنايات بين ان يجرح انسانا بحديدة يقتل مثلها او بحديدة لا يقتل مثلها
وقد روي عن عمرو بن شعيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ ساحرا فدفنه الى صدره ثم تركه
حتى مات وعن علي رضي الله عنه ان هولاء العرافين كهان العجم فمن اتى كاهنا يومن له
بما يقول فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروي ان جارية لحفصة سحرتها
فوجدوا سحرها واعترفت بذلك فامرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها قوله عز وجل ولو انهم
آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون معناه ان اليهود لو صدقوا النبي صلى الله
عليه وسلم واتقوا السحر لكان ثواب الله تعالى خيرا لهم من كسبهم بالكفر والسحر لو كانوا يعلمون حقيقة
العلم والمثوبة مفعلة من الثواب مثل مقولة ومشورة فسكنت العين لما دخلت واو ثقل
الضمة فيها وقراها قتادة بفتح الواو فجعلها مفعلة مثل مشورة ومثوبة الا ان الاكثر في هذا
البناء ان ينقلوا حركة العين الى ما قبلها ثم قد يحولونها الفا فيصير مثابة ومشارة واصل المثوبة
من ثاب يثوب ثوبا ومثابة اذا رجع ويسمى الثواب ثوابا لانه يرجع الى المثاب من جزاء عمله
والغرض من هذه الآيات والله اعلم ان بهت اليهود وكذبهم حملهم على ان اخذوا السحر
من الشياطين وادعوا انهم اخذوا من سليمان عليه السلام وان ذكر اسم الله الاعظم ليكتسبوا
بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
عذاب اليم فصل آخر بعد الفصل الذي ذكر الله تعالى من قوله تعالى يا بني اسرائيل الاول الى هذه الآية
ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان في هذه الآية ذكر اليهود ايضا وقد اختلف الناس في هذه الآية
قال قتادة وعطية رحمهما الله قولهم راعنا كلمة كانت تقولها اليهود على جهة الاستهزاء والسب
فنهي المسلمون عنها ولم يزيدا على ذلك وقد شرح الكلبي رحمه الله تعالى كانت هذه الكلمة
سبا بلسان اليهود بمعنى اسمع لا سمعت فلما سمعت اليهود من المسلمين يجهرون بذلك قالوا فيما بينهم
كنا نسب محمدا صلى الله عليه وسلم سرا فيما بيننا فاعلنوا له بالشتم فكانوا ياتونه يقولون راعنا
فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله تعالى والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فقالت اليهود
السنتم تقولونها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود كانوا يلحدون بهذه الكلمة الى الرعونة
وقيل انهم كانوا يقولون راعينا يعنون به الراعي للغنم وكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول في معنى هذه الآية يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم لا تقولوا النبي

صلى

ان ه
صلى الله عليه وسلم راعنا اي اسمع الينا نستمع اليك وفسر الزجاج رحمه الله هذا الكلام فقال اليهود
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الاكفاء قالوا اسمع الى كلامنا حتى نسمع كلامك فنهى الله تعالى عن
ذلك اذ لا يجوز لاحد ان يخاطب نبيا من الانبياء صلوات الله عليهم الا على وجه التوقير والاعظام على حسب
ما يخاطب الناس بينهم قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقال عز من
قائل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فاما قوله انظرنا فيحتمل ع م الانتظار
ان يكون من النظر الذي هو الروية ويحتمل ان يكون من النظور والنظرة اي انتظرنا حتى يتبين لنا ما تعلمنا
واسمعوا ما تومرون اي اطيعوا لان الطاعة لا تكون الا بالسماع وللكافرين عذاب اليم اي لكم الثواب
على ما تفعلون ولليهود عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا بداء مدح
فاما المراعاة فيقال في اللغة ارعيت الى فلان وراعيته اذا اصغيت اليه واستمعت منه ونظيره
عافاه الله تعالى واعفاه ومعنى راعنا اي كافنا في المقال وتامل كلامنا من المراعاة التي هي المحافظة
والمراقبة يقال راعيت الرجل اذا تاملته وتعرفت احواله وقرا الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين
قال القتيبي رحمه الله جعله اسما من الرعونة اي لا تقولوا قولا ذا رعونة مثاله لا تقولوا حمقا و
سفها وفي قراءة عبد الله بن مسعود لا تقولوا راعونا وفي الآية دلالة على ان التعرض والتعريض في الاذى
وان كل لفظ اشتمل على الخير والشر فهو جائز اطلاقه حتى يقيد بما يقيد به الخير قوله عز وجل
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم معناه ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من يهود اهل المدينة
ونصارى اهل نجران ولا من مشركي العرب عبدة الاوثان ان ينزل عليكم ايها المومنون من خير من ربكم من
الوحي وشرايع الاسلام والله يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشاء ممن كان اهلا لذلك والله ذو
الفضل العظيم ذو المن العظيم على من اختصه بالنبوة والاسلام وفي هذه الآية ثلاث من فاما من
الاولى فللتنويع وان الكافر قد يكون من اهل الكتاب ومن غير اهل الكتاب فتبين ان هولاء من نوع اهل
الكتاب كما قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واما من الثانية في قوله تعالى من خير فللصلة
كقولهم ما جاءني من احد اي ما جاءني احد وموضعه رفع المعنى ان ينزل عليكم خير واما من الثالثة فلابتداء
الغاية فان ابتداء الانزال يكون من قبل الله تعالى ولفظ يختص يستعمل من الخصوص والافعال في هذا
الباب اكثر من التفعل لان الاختصاص لنفسك والتخصيص لغيرك كالانقطاع والتقطيع قوله عز وجل
ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اتصال
هذه الآية بما قبلها من وجهين احدهما قوله تعالى لا تقولوا راعنا وهذا نوع نسخ والثاني قوله تعالى ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب الى قوله تعالى يختص برحمته من يشاء وقيل سبب نزول هذه الآية ما روي
ان اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرايع ويقولون ان النسخ سبب البداء او الندامة ولا يجوز ذلك
على الله عز وجل وكانوا يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة ان كان الاول حقا فقد رجعتم وان الاعو ه
كان الثاني حقا فقد كنتم على الباطل فنزلت هذه الآية ردا عليهم فبين الله تعالى انه يدبر كيف
يشاء ويامر في كل وقت بما فيه صلاح العباد في ذلك الوقت الا ترى انه يخلق ثم يميت ثم يحيي
قال ابن عباس في معنى هذه الآية ما نبدل من آية او نتركها غير منسوخة فلا نبدل لها نات بخير
من المنسوخة اي اكثر في الثواب ويقال الين واسهل على الناس او مثلها يقول او مثل المنسوخة
في المصلحة والثواب فسر الزجاج رحمه الله قوله تعالى بخير منها باية صيام رمضان امراته
من لا يصوم بالفداء حيث قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ واوجب الصوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ولتكملوا العدة وهذا الثاني خير لنا في الثواب وقد
يقال إن قوله تعالى بخير منها مثل الامر بالقتال فرض الله تعالى في القتال اول ما فرض الجهاد ان
يكون كل مسلم بدل عشرة من الكفار وكان لا يحل لواحد من المسلمين ان يفر من عشرة من الكفار كما
قال الله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخه الله تعالى بقوله الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وهذا الثاني خير لنا في
التخفيف ولم يقل احد من الناس ان بعض القرآن خير من بعض في التلاوة والنظم اذ جميعه معجز
كلام الله تعالى فاما قوله تعالى او مثلها فهو مثل آية القبلة جعل الله تعالى ثواب الصلوة الى الكعبة
بعد النسخ مثل ثواب الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ الم تعلم ان الله على كل شيء من الناسخ والمنسوخ
قدير اي قادر والنسخ على وجهين لغوي وشرعي فى اللغوي ثلثة اقوال قال بعضهم هو ابطال
شيء واقامة شيء آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وكذلك نسخ الشيب
الشباب وقال بعضهم النسخ ازالة الاركان وهو ماخوذ من قولهم نسخت الريح الآثار اي ازالتها وقال
النسخ النقل يقال نسخت الكتاب اي نقلته الى غيره واما الشرعي فهو مبني على هذه الوجوه الثلثة قال
بعضهم هو رفع الحكم بعد ما استقر بحكم آخر يقوم مقامه وقال بعضهم هو ازالة الحكم بعد ثبوته
وقال بعضهم هو نقل الحكم الى غيره ومن قرا ننسخ برفع النون وكسر السين فهو من النسخ اي جعله
ذا نسخ كما يقال اقبر اذا جعله ذا قبر والنسخ على ثلثة اوجه قد يكون في التلاوة مع بقاء الحكم كما
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في خطبته ان مما انزل الله تعالى الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله تعالى والله عزيز حكيم ولولا ان الناس يقولون زاد ابن الخطاب
في كتاب الله تعالى لالحقت هذه بحاشية المصحف وقد يكون النسخ في الحكم مع بقاء التلاوة كما في
قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير
اخراج وقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الآية وقد يكون النسخ في التلاوة والحكم
جميعا كما روي ان الله انزل على النبي صلى الله عليه وسلم في قوم غزاة لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
وكما في الصلوة الى بيت المقدس في اول الاسلام والله اعلم واما قوله او ننسها فمن قرأت من
قرا ننسها بفتح النون فمعناه نتركها يقال نسيت الشيء اذا تركته من ذلك قول الله تعالى نسوا الله
فنسيهم ومن قرا ننسها بضم النون فمعناه نامركم بتركها يقال نسيت اذا تركت وانسيت اذا
امرت بالترك وقيل في الفصل بين النسخ والترك ان الترك ان يؤمر المسلمون بترك حكم آية بغير
آية تنزل كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن امر الله
تعالى بامتحان المؤمنات المهاجرات في هذه الآية ثم امر المسلمين بعد ذلك بترك الامتحان بغير آية
اخرى نزلت فاما النسخ فهو ان تنزل آية بعد آية فتحل الثانية محل الاولى وقال بعضهم في معنى
ننسها اي يامر الناس بترك تلاوتها في الصلوة وغيرها فتصير منسية بمرور الايام ويقال ننسها
اي نحدث النسيان في قلوب الناس كلهم حتى ينسوها ويكون ذلك معجزا للنبي صلى الله عليه و
سلم واستدل قايل هذا القول بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله المعنى الا ما شاء الله ان
تنساه وانكر اكثر المفسرين هذا القول وقالوا لا يجوز ان ينسي الله شيئا من القرآن عن قلوب الخلق
وقد تضمن حفظه فقال عز من قايل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فاخبر انه لا يشاء ان يذهب بما اوحاه الى النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم فدل ان هذا لا يجوز قالوا ومعنى قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اي الا ما شاء الله
ان تنساه ثم يتذكره كما هو طبع البشر وقيل الا ما شاء الله ان يامرك بترك تلاوته فتنساه ومن قرا
او ننساها بفتح النون والهمز فمعناه التاخير يقال نسات الابل عن الحوض اذا اخرت عنه وانسات
انا انسا ومنه نسا الله في اجله وانسا الله في اجله ومنه قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر ومنه
النسيئة التي الدين فعلى هذا يكون معنى الآية ما ننسخ من آية او نؤخرها فلا ننسخها الى مدة نات بخير
من المنسوخة او مثلها ويقال ما ننسخ من آية او نؤخر انزالها فلا ننزلها ننزل مكانها ما هو مثلها
في المصلحة او هو اصلح منها ومن قرا ننساها من غير همز فهو مخفف من ننساها بالهمز ومعناها الذي
ايضا والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير تاكيد جواب النسخ يقول الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ
ومتروك وغير ذلك وهذا اللفظ استفهام بمعنى التقرير كما في قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى ويجوز ان يكون هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره كما في قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فاما قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فيجوز ان يكون
لتطييب نفوس المؤمنين وبيان ان الله وليهم وناصرهم وانهم بنصره اياهم يغلبون من سواهم ويجوز
ان يكون هذا خطابا بالوعيد لمن لا يؤمن بالناسخ والمنسوخ اي ليس لكم من قريب ينفعكم ولا مانع
يمنعكم من عذاب الله تعالى والملك في اللغة عبارة عن تمام القدرة ومنه الملك وهو السلطان
والملك العقد النكاح يقال ملكت العجين اذا بالغت في عجنه قوله عز وجل ام تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
متصل بما قبله ووجه الاتصال ان الله تعالى لما ظهر فيما تقدم من الآية قدرته على كل شيء واثبات
الاحكام ورفعها وان له ذلك اغتنم الكفار اذ رأوا تصديق المؤمنين لذلك فكانوا يعلمون المؤمنين
المؤمنين اسوله بما لا يليق ليسالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم نحو قلب الصفا ذهبا او تفجير الينبوع
من الارض وغير ذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جاء عبد الله بن ابي امية المخزومي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او يكون لك جنة من نخيل وعنب الى آخر الآية وسالوا رؤية الله تعالى كما قال السبعون رجلا من
بني اسرائيل لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية يقول بل تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يختر الكفر على الايمان فقد اخطا قصد الطريق يعني
طريق الهدى وحرف ام اذا كان عطفا على الف الاستفهام كان بمنزلة او كما يقال ازيدا ضربته
ام عمرا واذا لم يكن عطفا على الف الاستفهام كان فيه معنى بل ومعنى الاستفهام لانه لا يكون
مبتدأ فكانه تعالى قال اتريدون ان تسالوا رسولكم وبل تريدون ان تسالوا رسولكم قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من
بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما نهى المؤمنين عن تلقي ما يلقنهم الكفار من الاسولة الحق لة
ذكر العلة في ذلك وهي انهم يتمنون ان يكون ايها المؤمنون مثلهم كفارا ومعنى الآية احب و
تمنى كثير من اهل الكتاب ان يصرفوكم من الايمان الى الكفر حسدا لكم لتشريف الله تعالى اياكم عليهم
بوضع النبوة فيكم بعد ما كانت في بني اسرائيل وقوله تعالى من عند انفسهم راجع الى قوله تعالى

الألوكة
www.alukah.net

ود كثير من اهل الكتاب الى قوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون الا من قبله فكان الله تعالى
بيّن ان مودتهم ردكم الى الكفر لا لان دينهم يامرهم بذلك ولكن ذلك من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق في التورية وساير الكتب اى انهم علموا بالتورية ويعاندون فيما يفعلون فاعفوا و
اصفحوا اى اتركوهم واعرضوا عنهم حتى ياتى الله بامره للامر هاهنا ثلاثة اوجه احدها تعذيبه
اياهم في الدنيا والثانى باذنه لكم بمقاتلتهم ونصره اياكم عليهم بعد قطع عذرهم وقيام الحجة عليهم
ثم جاء الله تعالى بعد ذلك بامره حين استقرت ايات النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته عند العام
والبادى والدانى والقاصى ولم يومنوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وغير ذلك من ايات القتال فقتلوا بنى قريظة و
اجلوا بنى النضير الى اريحا واذرعات والثالث امر الله تعالى قيام الساعة ان الله تعالى
على كل شى من الاوجه الثلاثة قادر لا يفوته ذلك وان امركم بالصفح والعفو عنهم قوله عز وجل و
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما
تعملون بصير وذلك ان الله تعالى لما امر بالصفح عن اليهود وعلم ان ذلك يشق على المسلمين فامرهم (معناه)
بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة كما قال عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وما تقدموا
لانفسكم من خير اى من عمل صالح تجدوه اى ثوابه محفوظا لكم ان الله تعالى عالم باعمالكم يجازى
كل عامل جزاء ما عمل من خير او شر قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين المعنى قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ففى الاية ايجاز
واختصار شرحه من طريق البسط قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شى و
قالت النصارى ليست اليهود على شى فاما قوله تعالى تلك امانيهم يجوز ان يكون كناية عن
الجنة ويجوز ان يكون كناية عن الكلمة والمقالة قل هاتوا برهانكم حجتكم من التورية والانجيل
ان كنتم صادقين في مقالتكم لفظ هود اول الاية لفظ الوحدان ومعناه الجمع كانه قال الذين
كانوا هودا او نصارى وهود جمع هايد مثل حول وحايل والبرهان اسم لما يقوم به حجة
جمعه براهين مثل سلطان وسلاطين وقربان وقرابين قوله عز وجل بلى من اسلم
وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (معناه)
بلى رد لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وايجاب لمن اخلص دينه لله وهو
محسن عمله فله اجره اى ثوابه في الجنة عند ربه ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من اهوال القيمة
ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا لانهم يتيقنون ثوابهم عند الله تعالى فليسوا كغيرهم ممن
ليس بصفتهم والاسلام الاخلاص والتفويض والانقياد يقال سلّم لفلان كذا اى خلّص قال (اى اسلم اى اخلص)
زيد بن عمرو بن نفيل واسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا دحاها فلما راها
استوت على الماء ارسا عليها الجبالا واسلمت وجهى لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا سيقت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجالا وانما خص في الاية من الدين والعمل الوجه
لان الانسان اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه قوله عز وجل وقالت اليهود
ليست النصارى على شى وقالت النصارى ليست اليهود على شى وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
قال ابن عباس رضى الله عنهما صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على ذلك ما حنث وليس واحد من
الفريقين على شى من الدين وهم جميعا يقرون كتاب الله تعالى ولو رجعوا الى ما عندهم من الكتاب خرجوا

عن

عن الاختلاف وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون اى الذين ليسوا باهل كتاب نحو المجوس ومشركى
العرب يقولون ايضا لن يدخل الجنة الا من كان على ديننا فالله يحكم بين اليهود والنصارى والمشركين
يوم القيمة فيما كانوا فيه من الدين يختلفون يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وفى هذه
الاية حجة عظيمة في المنع من الاختلاف في كتاب الله تعالى بغير الحق فان اختلاف الفريقين اخرجهما جميعا
الى الكفر والعياذ بالله تعالى قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم
في الاخرة عذاب عظيم اية واحدة عند الكوفيين والمدنيين وهما ايتان عند البصريين تمام الاولى عند
قوله تعالى خائفين ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها المجرى فيما تقدم ذكر النصارى وذكر مشركى
العرب فرد بعض المفسرين هذه الاية الى ذكر النصارى وبعضهم الى مشركى العرب قال الكلبى عن ابن
عباس نزلت الاية في شان نطوس بن اسبيسيانوس الرومى خرب بيت المقدس والقى فيه الجيف
وقتل مقاتلة اهله وسبى ذراريهم واحرق التورية فكان بيت المقدس خرابا الى زمن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ولم يدخلها بعد عمارتها رومى الا خائفا مستخفيا لو علم به قبل الخروج منه
قتل وقال الحسن والسدى وكثير من المفسرين ان هذا في بخت نصر فانه خرب بيت المقدس وخرّب
مسجده واعانه النصارى على ذلك لبغضهم اليهود الا انه قيل في هذا القول انه يشبه ان يكون غلطا
لانه لا اختلاف بين اهل العلم باخبار الاولين ان عهد بخت نصر قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام
بدهر طويل وانما كانت النصارى بعد عيسى عليه السلام واليه ينتمون فكيف يكونون مع بخت نصر
في تخريب بيت المقدس وقال بعض المفسرين ان المراد بهذه الاية مشركو مكة فانهم سعوا في منع
المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام وصدوهم عام الحديبية فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع
من ذكر الله تعالى فيها لان عمارة المساجد باقامة العبادات فيها يقال فلان يعمر مجلس فلان اى يحضره
ويلزمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
وانما قال مساجد الله لان المسجد الحرام مسجد كبير يجوز ان يسمى كله مسجدا واحدا ويجوز ان يسمى كل بقعة
منه مسجدا على حدة وقيل ان المشركين لما منعوا النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المسجد الحرام بنى
المسلمون بمكة مساجد كما روى ان ابا بكر رضى الله عنه بنى لنفسه مسجدا كان يصلى فيه فلما خرج النبى
صلى الله عليه وسلم مع المسلمين من مكة خرّب المشركون تلك المساجد فلهذا قال الله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله وقيل ان المراد بالاية جميع الكفار والذين ظاهروا على اهل الاسلام ومنعوهم
من المساجد وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد قال النبى صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وطهورا
فعلى هذا تقدير الاية ومن اظلم ممن خالف ملة الاسلام وسعيهم في خرابها من وجهين احدهما ان يخربوها ٥
بايديهم والثانى اعتقاد وجوب خرابها من جهة الديانة وهذا ابلغ السعيين وكل اهل الكفر بعد في
المبالغة اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى يظهر الله تعالى الاسلام على الاديان كلها فلا يدخل
الكفار المساجد الا خائفين وجلين بعد ما كانوا لا يمنعون المسلمين ان يدخلوا مساجدهم وقيل من اراد من
اهل الروم ان يكون ملكا عليهم لم يمكن من ذلك ما لم يكن دخل بيت المقدس فيجيئون فيدخلون مستخفين
ومن حمل هذه الاية على ذكر المشركين فالمعنى نفوا عن دخول المسجد كما قال الله تعالى انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال النبى صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن بهذا البيت بعد هذا
العام مشرك ولا عريان فكانوا يدخلونها خائفين وجلين ولكن هذا لفظ خبر بمعنى النهى قوله تعالى
لهم في الدنيا خزى ولهم في الاخرة عذاب عظيم فيه قولان احدهما قول الفراء رحمه الله ان لهم في المرة الاولى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذلال وجزية وفي المرة الثانية قتل وطرد وقال غيره لهم في دار الدنيا هوان وهو القتل والسبي ان كانوا
حربا والجزية ان لم يكونوا حربا ولهم في القيامة عذاب النار وقال السدي رحمه الله اذا خرج المهدي
فتحت القسطنطينية فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا وفي قوله تعالى ان يذكر فيها
اسمه ثلثة اوجه احدها ما قال الاخفش رحمه الله وهو من ان يذكر فحذف من فاذا هو حذف حرف الجر
والثاني انه بدل الاشتمال معناه ممن منع ان يذكر اسم الله تعالى في مساجد الله تعالى والثالث كراهة
ان يذكر فيها اسمه كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا قوله عز وجل وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اتصال هذه الآية بما قبلها كانه قال لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد
الله ان تذكروه حيث كنتم من ارضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها وعن عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان الاية نزلت في رهط من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
في سفر فاشتبهت عليهم القبلة في ليلة مظلمة وصلى كل واحد منهم الى جهة وخط بين يديه خطا فلما اصبحوا
وجدوا الخطوط لغير القبلة فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وعن
ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في التطوع على الراحلة وقيل نزلت في التحول عن بيت المقدس الى الكعبة الهام
لما امر المسلمون بالصلوة الى الكعبة قالت اليهود مرة يصلون هكذا ومرة يصلون هكذا والاشهر ما رواه
ابن عباس ولا يمتنع ان يتفق هذه الاحوال كلها في وقت واحد ويسال النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية ويريد بها بيان جميعها الا ترى انه لو نص على كل واحد منها بان يقول اذا كنتم عالمين بجهة القبلة
عليكم التوجه اليها فذلك وجه الله تعالى فصلوا اليها واذا كنتم خائفين او سفرا فالوجه الذي عليكم التوجه
اليه فهو وجه الله تعالى واذا اشتبهت عليكم الجهات فصليتم الى جهة اي جهة كانت فهي وجه الله تعالى
واذا لم يبعد في ارادة جميع ذلك كان مراد الله تعالى بهذه الآية جميع هذه المعاني على الوجه الذي ذكرنا
والله اعلم ومعنى الآية ان الله تعالى ملك المشرق والمغرب وخالقهما فالى اي جهة من الجهات تحولون
وجوهكم في الصلوة بامر الله تعالى او بالتحري فثم وجه الله قبلة الله تعالى ويقال اينما توجهتم اليه من
البلاد فثم الجهة التي وجهكم الله اليها اي عليكم التوجه من هناك الى الكعبة كما قال الله تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الفراء رحمه الله تقول العرب وجه الحجر وجهة ما
اذا رايت الحجر في البناء لم يقع موقعه فادره فانه سيقع على جهته ويقال وجه مال فلان وجهة
ماله بمعنى واحد فعلى هذا يكون معنى الوجه الجهة التي امر الله تعالى بالتوجه اليها كما يقال سبيل الله
تعالى يراد به السبيل التي امر الله تعالى المسلمين بها ويقال بيت الله تعالى يراد به موضع عبادة الله
تعالى وقال بعضهم الوجه في هذه الآية صلة يقال وجه الراي ووجه الامر يعني به نفس الراي ونفس
الامر فكانه قال فثم الله تعالى اي علمه محيط بكم وهذا كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال بعضهم معنى
هذه الآية فاينما تولوا فثم رضى الله تعالى كما قال الله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي لرضوان الله ويقال
فعلت كذا لوجه الله اي لرضاه وكانه تعالى قال فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة وقوله تعالى واسع
عليم اي واسع الفضل او وسع عليكم في امر القبلة عليم بما نويتم وقيل الواسع الجواد الذي تسع عطاياه وَسَّعَ
السائلين جاد على العباد بقبول ما ابتغوا به وجهه وقيل الواسع الغني عن طاعة العباد وانما يريد بذلك
منفعتهم وهو عالم بتصحيح على وجه الحكمة وايما في معنى الشرط وهو ان وصلت بما والاوقات اذا
وصلت بما جوزي بها والفاء في ثم جواب الشرط وثم وهنا كاشارة في اللغة الى المكان المتراخي عنك
تقول ثم زيد وهناك زيد فاذا اردت المكان القريب قلت هنا زيد وموضعه نصب الظرف في المحل
وهو مبني على الفتح لالتقاء الساكنين لا يجوز ان يقال ثما زيد وتولوا مجزوم بايما وعلامة الجزم فيه

سقوط

سقوط النون واما قال ولله المشرق والمغرب بالتوحيد وله المشارق والمغارب لانه اخرجه مخرج
الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل انه اراد به مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما
وفي الآية دلالة على جواز الصلوة بالاجتهاد الى اي جهة كانت وان من ظهر خطاؤه بعد ذلك لا تلزمه
الاعادة فان من اوجب الاعادة لا يلزمه فرضا آخر من غير دلالة ومن الدليل على جواز الاجتهاد في
الجهة ان من غاب عن مكة لم تكن صلوته الى الكعبة الا اجتهادا لان احدا لا يوقن ان الجهة التي صلى
اليها هي بحاذاة الكعبة غير منحرف اليها وصلوة الجميع جائزة اذ لم يكلفوا غيرها وكذلك المجتهد في السفر
تادى فرضه اذ لم يكلف غير ذلك قوله عز وجل وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ راجع الى اليهود والنصارى ومشركي العرب وقد جرى ذكر الجميع فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها له
من اتخاذ الولد بل لله ما في السموات والارض اي من كان مالك السموات والارض فان الاشياء تضاف اليه
من جهة الملك لا من جهة اخرى وفيه وجه آخر ان فاعل ما في السموات والارض لا يشبهه ما فيهما لان الفاعل
لا يشبه الفاعل والولد يشبه الوالد ووجه ثالث ان خالق السموات والارض كامل في ذاته تام في صفاته
والولادة من صفات النقص فلا يجوز عليه ومعنى كل له قانتون قال ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون
غير ان هذا تاويل لا يستغرق الكل فيكون لفظ عموم اريد به الخصوص ويجوز ان يجري على العموم على
معنى كل له مقرون بالعبودية وهذا قول عكرمة رحمه الله ويقال معناه كل قائم مؤمن بالله تعالى كما قال
الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويقال في كل من الخلائق آثار صنع الله تعالى في
دلالة ربوبيته فهم كلهم مقهورون مسخرون لا يقدرون على تغيير جبلة انفسهم وقال مجاهد
رحمه الله طاعة الكفار في سجود ظلالهم وهو مثل ما روي عن الحسن رضي الله عنه انه قال يا ابن ادم
كيف تعصي ربك وظلك يسجد له وقال السدي رحمه الله كل له مطيعون يوم القيمة وقال
الربيع رحمه الله كل له قائمون يوم القيمة كما قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين و
القنوت في اللغة طول القيام يقال قنت الفرس اذا ركد وقال النبي صلى الله عليه وسلم في
افضل الصلوة طول القنوت ويسمى دعاء الوتر قنوتا لانه يدعو قائما وفي الآية دلالة على ان
ملك الانسان لا يبقى في ولده لانه نفى الولد باثبات الملك وهو نظير قوله تعالى وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فاقتضى ذلك ان من ملك ولده
عتق عليه قوله عز وجل بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
جواب عن قول جماعة من النصارى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران السيد و
العاقب والاسقف وجماعة من علمائهم فناظروه في امر عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو عبد الله ورسوله قالوا هل رايت خلقا من غير اب فانزل الله تعالى هذه الاية
والآية التي قبلها جوابا لهم ومعنى هذه الآية والله اعلم ان الله تعالى مبدع السموات والارض ومنشئهما
وخالقهما واذا اراد امرا كان في علمه مثل عيسى صلوات الله عليه بغير اب وغير ذلك فانما يقول له كن فيكون
كما اراده الله تعالى والابداع الانشاء على غير مثال سبق من ذلك يقال لمن اتى بسنة مبتدع والبديع
فعيل بمعنى مفعل كالسميع والاليم الآن بديع اشد مبالغة في الابداع من المبدع فان البديع هو الذي
من شانه الانشاء والابداع لاقتداره عليه والقضاء في اللغة احكام الامر وابرامه قال الشاعر
وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع والعطف في قوله تعالى فيكون على
معنى فهو يكون ويجوز ان يكون عطفا على يقول ومن نصب فعلى جواب الامر بالفاء فان قال قائل قوله

شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى كن خطاب للموجود او المعدوم ولا يجوز الاول لان الشيء الكاين لا يومر بالكون ولا يجوز ان يكون
الثاني لان المعدوم لا يخاطب ولا يشار اليه قيل قد اختلفوا في هذا الجواب قال بعضهم انما قال ذلك
على سبيل المثل اي ان الاشيا بسهولتها عليه وسرعة كونها باذنه وامره بمنزلة ما يقال له كن فيكون
وهو كقوله تعالى ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين لم يرد بهذا ان السما والارض كانتا موضع
نقال لهما ايتيا فجاآ من ذلك الموضع وانما اراد بذلك انه تعالى اراد كونهما فكانا وهذا كما قال الشاعر
امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني والحوض لم ينطق وقال اخر فقالت له العينان
سمعا وطاعة وانحدرتا كالدر لما يثقب وهذا كله على سبيل المثل فعلى هذا معنى قوله تعالى فانما يقول له
كن فيكون اي يريده فيحدث وقال بعضهم هذه كلمة جعلها الله تعالى علامة للملئكة اذا سمعوها علموا ان الله
تعالى قد احدث شيا وقيل اراد بهذا التحويل الاشياء الموجودة الى حالة اخرى كما قال تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وكان الخلق قبل القول وكما في قوله تعالى فقلنا لهم
كونوا قردة خاسئين وهذا كاحيايه للموتى واماتته للاحيا وقال بعضهم ان الله تعالى انما يقول هذا
القول للموجود في حال وجوده لا قبله ولا بعده وهو كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون وهذه الدعوة في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وقال بعضهم ما هو معلوم عند الله تعالى فهو بمنزلة
الحاضر الموجود وهذا من اضعف الاقاويل لان مخاطبة المعلوم قبل ايجاده محال وليس المعلوم بما
يصح الخطاب معه الا ان يقول قايل ان المعلومات لم يزل تكون فايلا بقدم العالم وما يقارب الانجاس
ونعوذ بالله من سوء هذا القول ولهذا لان قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالذين لا يعلمون يهود اهل المدينة وغيرهم من الكفار وقال
مجاهد اراد به النصارى لم يعلموا استحالة اتخاذ الولد لله سبحانه وتعالى وقال بعضهم هذا راجع
الى مشركي العرب قالوا هلا يكلمنا الله فيخبرنا بانك رسوله او تاتينا علامة لنبوتك يعنون الاية
التي كانوا يسالونها كما تقدم في قوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر تلك
الايات يقول الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعني اليهود الذين قالوا لموسى عليه السلام
ارنا الله جهرة تشابهت قلوب الاولين والاخرين منهم في القسوة والكفر ويقال تشابهت قلوب
المشركين واليهود والنصارى في القسوة قد بينا الايات لقوم يوقنون يعني من ايقن فطلب الحق
فقد اتته الايات نحو بيان بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وانشقاق القمر واعجاز
القران وغير ذلك قوله عز وجل إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اغتم من تكذيب الفرق الثلاث بعد اقامة الحجة عليهم
فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له يقول يا محمد انا ارسلناك بالحق بشيرا تبشر المومنين بالثواب
ونذيرا تنذر الكفار بالعقاب ولست تسال في الاخرة عن الجحيم كما قال جل ذكره فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وقال عز وجل ليس عليك هداهم وقال جل ذكره فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
ومن قرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم بنصب اللام على النهي فالتاويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم ان الله
تعالى اراد بهذا تفخيم امر العقاب كما يقول الانسان لغيره كيف حال فلان فيقول لا تسال
اي انه في نعمة عظيمة او شدة عظيمة قوله عز وجل وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ معناه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
حريصا على طلب رضى اليهود والنصارى طمعا ان يدعوا العناد ويرجعوا الى الحق فانزل الله تعالى
هذه الاية ويقال انهم كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة والمسالمة ويطمعونه
في انه ان هادنهم وامهلهم اسلموا فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان لا يعطيهم ما يلتمسون
من الهدنة واخبره انهم لا يرضون عنه بذلك قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
يقول يهود اهل المدينة ونصارى اهل نجران حتى تتبع سنتهم وطريقتهم وقيل حتى ترجع الى
قبلتهم قبلة بيت المقدس قل ان هدى الله هو الهدى اي الصراط الذي دعا الله تعالى اليه وهو
الذي انت عليه هو صراط الحق ولئن اتبعت اهواءهم يقول ان اتبعت ملتهم وصليت الى قبلتهم بعد
ما ظهر لك انه دين الله تعالى الاسلام وان القبلة قد حولت الى الكعبة ما لك من الله من ولي ولا
ينفعك ويحفظك من عقابه ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به عامة الناس وهو نظير قوله تعالى ولئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك وهذا كما يقال في المثل اياك اعني فاسمعي يا جاره والملة مأخوذة
من التاثير في الشيء كما يوثر الملة في الخبزة والملة الرماد الحار والموضع الذي تختبز فيه سمي به
لانه يوثر في ذلك الموضع فكذا يوثر كل دين فيمن دان به ودخول هذه الاية دليل ظاهر في جواز
النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يومن بعد هذه الاية من اولئك احد قوله عز وجل الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
اعلام من الله تعالى ان من كان من علماء بني اسرائيل غير حاسد ولا متعنت ولا طالب رياسة تلا التورية
كما انزلت فامن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام واصحابه والثمان وثلثون رجلا
الذين قد خرجوا مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من ارض الحبشة وثمانية من رهبان اهل الشام
يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه قال الله تعالى والقمر اذا تلاها
وقيل معنى يتلونه يقرونه على حقيقته ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته اولئك يومنون
به يقرون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فاولئك هم الخاسرون
وهم كعب بن الاشرف واصحابه وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب اصحاب محمد والمراد بالكتاب
القران ومعنى يتلونه حق تلاوته يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ولا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويومنون بمتشابهه ولا يتاولون منه شيا على غير تاويله قوله عز وجل
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ خطاب لليهود على
جهة التقريع وتذكير لهم من الله تعالى عز وجل ما هم به عارفون يقول يا اولاد يعقوب عليه السلام
احفظوا منتي التي مننت عليكم وهو ما في التورية من البشارة بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم
واني فضلتكم على عالمي زمانكم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها من حيث المعنى ان عبد الله
بن سلام واصحابه استدلوا على نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذي
في ايديهم فهلا تفعلون معشر اليهود كما فعلوا ولم لا تذكرون نعم الله تعالى عليكم وفايدة تكرار
قوله تعالى يا بني اسرائيل ان هذه الاية اتصلت بقرينة لم يتصل بها الايات المتقدمات
والقرينة ما ذكر من حديث علما اهل الكتاب الذين اكرمهم بحقيقة علم التورية عبد الله
بن سلام واصحابه قوله عز وجل وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ رد على اليهود اعتقادهم على شفاعة ابايهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الانبيا صلوات الله عليهم وقد تقدم تفسير هذه الاية وقال الحسن قوله تعالى ولا تنفعها شفاعة ليس معناه انه يشفع لهم شفيع في الاخرة ولا ينفعهم ولكن معناه لا يشفع لهم احد في الاخرة فتنفعهم تلك الشفاعة وقيل فايدة تكرار القصص والالفاظ ان الله تعالى اراد بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين افهاما فان القران نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ومن مذاهبهم ان التكرار ارادة التوكيد وزيادة الافهام كما ان من مذاهبهم ان الاختصار ارادة التخفيف والايجاز ويقول القايل في كلامه والله لا افعل كذا ثم والله ما افعله اذا اراد التوكيد وحسم الاطماع من ان يفعله كما يقول والله افعله باضمار لا اذا اراد الايجاز والاختصار وقال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقال عز من قايل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الشاعر كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال الاخر هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا

قوله عز وجل وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ معنى الاية واذكروا حين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قال ابن عباس اختبره الله تعالى بما تعبده من السنن وهي عشر خصال خمس منها في الراس وخمسة في الجسد فاما اللاتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الراس اذا كان شعرانيا واما اللواتي في الجسد فتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وحلق العانة ونتف الابط (والختان) وعن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاه الله تعالى بالمناسك التي تعبده بها وهي عرفة والمزدلفة ورمي الجمار والطواف والسعي وكان الحسن رضي الله عنه يقول ابتلاه الله تعالى بامر عظيم فصبر عليه واحسن الظن بالله تعالى فاول ما ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فعلم ان ربه دايم لا يزول ثم كان الابتلا بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ثم ابتلاه بالهجرة من اهله وولده فخرج مهاجرا الى الله تعالى ثم ابتلاه بالختان على راس ثمانين سنة ثم ابتلاه بذبح الولد فاتخذه خليلا وجعل ملك الدنيا والنبوة في ذريته الى يوم القيمة وذكر عن لقمن انه قال لابنه يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلايا ومعنى قوله تعالى فاتمهن اي عمل بهن ولم يدع منهن شيا قال اني جاعلك للناس اماما يا تم بك الناس فيتبعونك وياخذون عنك قال ومن ذريتي اجعلهم رب ايمة يقتدى بهم قال لا ينال عهدي الظالمين اعلمه الله تعالى ان في ذريته الظالم وان الظالم لا يصلح ان يكون اماما للناس فلا ينال ولد العهد الذي عاهدتك فان قيل كيف يصح هذا التاويل الذي ذكرتم ومن الملوك الكفار من يا تم به الناس قيل معنى الاية لا الزم الناس طاعة الكفار على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والعهد في اللغة الامر والوصية ومنه عهود الخلفا الى الامرا والقضاة وعن السدي رحمه الله ان المراد بالعهد النبوة وقال الحسن رحمه الله ليس للظالمين عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة وفي قراة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا ينال عهدي الظالمون وهذا قريب من الاول لان من نالك فقد نلته والابتلا وجهان احدهما الامر اي امر ابرهيم عليه السلام ربه يقال اختبرت فلانا بكذا اي امرته والثاني التجربة ومعنى التجربة من الله تعالى اظهار ما علمه في الازل وانما سمي ذلك ابتلا مع علم الله تعالى بعواقب الامور كلها لان الله تعالى يعامل عباده معاملة

المبتلى

المبتلى المختبر حتى انه لا يجازي احدا على ما يعلم انه سيفعله ما لم يقع منه كما لا يجازي المبتلي غيره ما لم يقع منه ذلك فلهذا جاز ان يسمي امر الله ابتلا وفي ابرهيم لغات قرا ابن عامر ابراهام وعن ابن الزبير ابرهام وعن ابي بكر ابراهم وقيل ابرهم وذلك انه اسم اعجمي فاختلفوا فيه كما اختلفوا في جبريل وميكايل واطلاق لفظ الامام انما يتناول من يجب الايتمام به في دين الله تعالى وقد يسمى بذلك من يقتدى به في الباطل قال الله تعالى وجعلناهم ايمة يدعون الى النار فسماهم ايمة لانهم ائتموا لزومه منزلة من يقتدى بهم في امور الدين وان لم يكونوا ايمة يجب الايتمام بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي الايمة المضلون وفي الاية دلالة ان الانسان لا يبلغ درجة الانبيا الا بالتعب وجهد النفس لان الله تعالى انما اكرم ابرهيم عليه السلام بكرامة الامامة بعد الابتلا

قوله عز وجل وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ معنى الاية والله اعلم واذكروا اذ جعلنا الكعبة بحيث يثوب ويرجعوا اليه الناس في كل سنة في حجهم وعمرتهم مرة بعد اخرى قال ابن عباس لا يقضي احد وطره منه بل كل من حجه احب الرجوع اليه مرة بعد اخرى وقيل معنى مثابة انهم يحجون اليه ويثابون عليه فاما قوله تعالى وامنا وصف البيت بالامن والمراد به جميع الحرم كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة والمراد بذلك الحرم لا الكعبة نفسها لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد فمعنى قوله تعالى في هذه الاية وامنا اي جعلنا الحرم مامنا كما قال الله تعالى في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا الحرم ذا امن من ان يهاج فيه احد فكان من احدث حدثا في غير الحرم ثم لجا الى الحرم لم يتعرض له وهذا اشيع كانوا يتوارثونه من زمن اسمعيل فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك في الحرم وتستعظم القتل فيه كان الرجل يرى قاتل ابيه واخيه وابنه في الحرم فلا يتعرض له فقال ابن عمر رضي الله عنهما لو وجدت قاتل ابي في الحرم ما هجته ومن الامن الذي جعله الله تعالى الحرم ان ساير بقاع الحرم مشابهة لساير بقاع الارض ثم يجتمع في الحرم الطير والكلب ولا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر الصيد من الكلب حتى اذا خرجا من الحرم عدا الكلب على الصيد وعادوا الى النفور والحرب وذلك دلالة على توحيد الله تعالى وعلى تفضيل الله تعالى ابرهيم عليه السلام وتعظيم شانه فاما قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس رضي الله عنه مقام ابرهيم الحج كله عرفة ورمي الجمار والمزدلفة وقال مجاهد هو الحرم كله وقال السدي مقام ابرهيم هو الحجر المعروف بمكة وهو الذي وضعته امراة اسمعيل عليه السلام تحت قدم ابرهيم عليه السلام حين غسلت راسه ووضع ابرهيم عليه السلام رجله على الحجر وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته في الشق الاخر فغسلت الشق الاخر فغابت رجله الاخرى فيه وظهر اثر قدميه في الحجر وهذا كان من احدى معجزات ابرهيم عليه السلام حين جعل الله تعالى ذلك الحجر تحت رجله كالطين حتى ظهر اثر قدميه فيه وهذا القول هو الصحيح فانه روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد وقفا على مقام ابرهيم عليه السلام اليس هذا مقام ابينا ابرهيم عليه السلام قال نعم قال افلا نتخذه مصلى فانزل الله تعالى هذه الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا طاف بالبيت اسبوعا تقدم الى مقام ابرهيم فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين واما قوله تعالى مصلى قال بعضهم معناه مدعى من قولهم صليت اي دعوت وهذا خلاف الاول من جعل مقام ابرهيم عليه السلام الحج كله عرفة ومنى والمزدلفة وقال بعضهم اراد بقوله تعالى مصلى القبلة وهذا لا يصح لان الامة اجمعت على ان مقام ابرهيم عليه السلام لا يجوز ان يكون قبلة حتى لو توجه بالصلاة

شبكة الألوكة www.alukah.net

مقام ابرهيم عليه السلام وعرف ان مقام ابرهيم ليس هو القبلة لم يجز صلوته بالاجماع وقال قتادة معنى قوله تعالى مصلى اى يصلون عنده وهذا هو الصحيح لما روينا من خبر عمر رضي الله عنه فاما معنى قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اى امرناهما ان يطهرا بيتي مسجدي من الاوثان والنجاسات وقال بعضهم اراد بتطهير البيت ان يبنياه على الحد الذى امرهم الله تعالى كما قال الله تعالى أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان وقوله للطايفين اى الذين يطوفون بالبيت ويعتابونه من كل وجه وهم الغربا والعاكفين هم المقيمون المجاورون والركع السجود هم المصلون وقال الحسن اراد بذلك جميع المسلمين فان من شان المسلمين الركوع والسجود والمثابة لغة في المثاب كالمقامة والمقام يقال ثاب جسم فلان اذا رجع اليه بعد النحول وقيل انما دخل الهاء في المثابة لانها لغة لكثرة من يثوب اليه كقولهم علامة ونسابة والطايف هو الذى يجول حول الشى يقال طاف اذا دار والعاكف والمعتكف واحد والعكوف لزوم المكان يقال عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا لزم المكان قال الخليل يقال عكف على الشى اذا اقبل بوجهه عليه ولم يصرف وجهه عنه وقوله بيتي اضافة تفضيل اى بيت عبادى الذين تعبدتهم بقصده والطواف حوله والركع جمع راكع مثل غازى وغزى والسجود جمع ساجد مثل شاهد وشهود وفي الاية دلالة ان مباح الدم اذا التجى الى الحرم لا يتعرض له لان قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا امر من الله تعالى للناس ان يومنوا فيه الناس لا انه خبر لان اخبار الله تعالى لا بد ان يكون مخبره على وفق خبره الا ترى انه قال مثابة للناس ويجوز ان يكون قوله تعالى مثابة للناس على الوجوب فان الحج يشتمل على طواف القدوم وطواف الزيارة والصدر وذلك كله لا يحصل الا بالعود الى البيت مرة بعد اخرى وفي قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى دليل لزوم ركعتي الطواف ومن قرا واتخذوا بنصب الخاء على الخبر فهو ثناء من الله تعالى على مصلي ركعتي الطواف وقد يذكر بلفظ الخبر ويراد به الامر والله اعلم قوله عز وجل واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير معطوف على ما قبله من تذكير الله تعالى اهل الكتاب نعمه عليهم وعلى سلفهم في عطيته اياهم المعنى واذكروا اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا يعني الحرم بلدا آمنا يقول ذا امن من القحط والجدب لا يكون الا ويوجد فيه انواع الثمار لانه كان اسكنهم بواد غير ذي زرع ولا ضرع فسال الله الامن من الجدوبة وقيل ان معناه امنا من الحرب اى حرما يامنون فيه القتال وارزق اهله من الثمرات من صدق منهم بالله وبالبعث قال جعفر الصادق رضي الله عنه احب ابرهيم عليه السلام ان لا ياكل طعامه الا الموحدون فاعلمه الله تعالى ان الدنيا باسرها لا خطر لها عند الله واخبره انه لا يخلق خلقا الا رزقه فذلك قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا اى سارزقه في الدنيا يسيرا ثم اضطره في الآخرة الى عذاب النار وبئس المصير صاروا اليه ويقال خشي ابرهيم عليه السلام ان لا يستجاب له في الرزق كما لم يستجب له في الامامة فخص المومنين بالمسالة للرزق لهم فاعلمه الله ان المومن والكافر في الرزق سواء ومن قرا فامتعه بالتخفيف فهو من امتع يمتع وهو لغة وقرى فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الدعاء ولفظ الامر اذا ذكرته مع من هو دونك يكون امرا على الحقيقة كقولك لغلامك افعل كذا وكذا واذا ذكرته مع من فوقك يكون مسالة ودعاء نحو قولك اعطني واغفر لي وارحمني فان قال قايل

ا كانت مكة حرما آمنا قبل دعوة ابرهيم عليه السلام او صارت حرما بدعايه قيل اختلف الناس في ذلك قال بعضهم صارت حرما بدعاء ابرهيم عليه السلام واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

فى ص
لا يرزقه

اى

اى حرمت المدينة كما حرم ابرهيم عليه السلام مكة وقال بعضهم وهو الاصح كانت مكة حرما آمنا قبل دعاء ابرهيم عليه السلام كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وجعلها بين الاخشبين يعني بين جبلين فعلى هذا كانت مكة حرما آمنا قبل دعا ابرهيم عليه السلام من الخسف ومن عذاب اهله بالاصطلام وكان الله تعالى جعل في قلوب الناس هيبة لذلك المكان حتى كانوا لا ينتهكون حرمته من فيه بحال ولا نفس ثم بدعاء ابرهيم عليه السلام صارت حرما آمنا بان امر الله تعالى الناس بتعظيمه على السنة الرسل عليهم السلام والواو في قوله تعالى ومن كفر دليل على اجابة الله تعالى دعوة ابرهيم عليه السلام خاصة لمن امن منهم بالله واليوم الآخر ودليل استقبال الاخبار بتمتيعه عز وجل من كفر قليلا ولولا الواو لكان ما بعده منقطعا من الاول غير دال على استجابة الله تعالى ابرهيم عليه السلام فيما سأله قوله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم عطف على ما قبله وذلك انه روى في الاخبار ان آدم عليه السلام كان قد بنى البيت ثم عفى اثره بعد الطوفان فامر الله تعالى ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ان يبنياه وبعث سحابة فيها راس يتكلم فقالت يا ابرهيم عليك السلام ابن عيالى فكان ابرهيم عليه السلام يبنى البيت واسمعيل عليه السلام يناوله الحجارة والملئكة عليهم السلام ينقلون الحجر من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا والجودى ولبنان وحرا فلما فرغا من البنا جثيا على الركب فقالا عليهما السلام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فقيل قد فعلت ذلك كما قالا عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك فقيل قد فعلت ذلك بكما فقالا عليهما السلام ومن ذريتنا امة مسلمة لك الى اخر الايتين ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ يرفع ابرهيم واسمعيل عليهما السلام القواعد من البيت يعني اساس الكعبة وهما يقولان ربنا تقبل منا بنياننا انك انت السميع لدعائنا العليم ببنياننا ونظير هذه الاية قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اى يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم وكذلك قوله تعالى والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم ويجوز اضافة البنا الى الاثنين وان كان البنا من احدهما اذا كان الآخر سببا في ذلك البنا كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض غسله ستة نفر ومعلوم بان الغاسل كان واحدا او اثنين والباقون كانوا يتبعا وا[؟] في غسله والقواعد جمع قاعدة وهي اساس البنا وكل قاعدة اصل الذى فوقها والتقبل ايجاب الثواب على العمل تشبيها بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية اثاب المهدى عليها وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض امره جبريل عليه السلام بان يحج الكعبة ودله على مواضع المناسك والطواف والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار فلما فرغ من الحج استقبلته الملئكة وقالوا له بر حجك اى تقبل الله تعالى منك ذلك حججنا قبلك هذا البيت بالفى عام والله اعلم قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم حكاية عن دعاء ابرهيم واسمعيل عليهما السلام قالا ربنا واجعلنا مخلصين موحدين لك اى ادم لنا توفيقك وتسديدك وزدنا من الطاعات وفوايدك واجعل من ذريتنا امة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة وعرفنا متعبداتنا وتجاوز عن ذنوبنا اى الصغاير التي اتيناها او ناتيها لان ذنوب الانبياء عليهم السلام لا تكون الا الصغاير التي لا تزيل الولاية ولا تخرج عن العدالة والطهارة انك انت المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بهم والاسلام في اللغة الاستسلام للشى والخضوع له والمسلم لله تعالى المطيع لقبول امر الله تعالى المبطن مثل ما يظهر وهو مومن ومسلم مصدق بالقلب خاضع مستسلم في الظاهر وقد يكون معنى الاسلام الاقرار

ل

الألوكة
www.alukah.net

في السلامة باظهار الخضوع مع اعتقاد الكفر على ما قال الله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي قوله تعالى ارنا ثلثة اوجه بالتحقيق والتسكين والاختلاس فمن حقق فهو على الاصل لانه كان في الاصل ارءنا فاستثقلت وحذفت الهمزة ونقلت كسرتها الى الراء دليلا على الهمزة ومن قرا بسكون الراء فهو للتخفيف كما يقال عَضْد وفخْذ بسكون الضاد والخاء الا ان مثل هذا السكون انما يستعمل في اللفظ الواحد فاما في اللفظين فلا ومن اختلس قال التحقيق يؤدي الى توالي الحركات والتسكين يؤدي الى الاجحاف لما فيه من حذف الهمزة والحركة جميعا فالوجه ان يختلس ويقرا بين الحركة والسكون والمناسك جمع المنسك والمنسك الموضع الذي يتقرب فيه الى الله تعالى واصل النسك الذبح يقال نسكت اي ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله تعالى ثم اتسعوا فيه حتى جعلوا المنسك موضع الطاعة والعبادة ومنه قيل للعابد ناسك ومناسك الحج ما تقتضيه من الذبح وساير افعاله قال النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاضحى اول نسكنا في يومنا هذا الرمي ثم الذبح ثم الحلق قوله عز وجل **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** قالا ربنا وابعث في ذريتنا رسولا منهم يتلو من اهل نسبهم يقرا عليهم علامات وحدانيتك ويعلمهم الكتاب الذي ينزل عليه ومواعظ الكتاب ومعانيه وقيل اراد بالحكمة فقه الحلال والحرام ويقال اراد بالحكمة الكتاب ايضا الا انه خالف في اللفظ للتاكيد وزيادة الفايدة كما في قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين ومعنى ويزكيهم يطهرهم من الكفر والفواحش وقيل يطهرهم باخذ زكوة اموالهم وقيل ينميهم اي يكثرهم ويبقي اثارهم بعدهم انك انت المنيع الذي لا يغلبه شي الحكيم الذي يحكم بما يريد ويقال هو الذي يكون عمله موافقا للعلم والمراد بالرسول في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب القران روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا دعوة ابي ابرهيم عليه السلام وبشرى اخي عيسى عليه السلام اراد بالدعوة هذه الاية وبالبشرى قوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والحكمة ماخوذة من حكمة الدابة لان الحكمة تمنع صاحبها من الجهل كما تمنع الحكمة الدابة يردها عن عرتها وافسادها والزكوة في اللغة عبارة عن النما يقال زكى الزرع اذا نما والزكوة الطهارة ايضا يقال فلان زكى فلانا اذا شهد له بالطهارة والعزة المنعة من ذلك قولهم من عز بز اي من غلب سلب ويقال عز الشي اذا لا يوجد له نظير والعزيز الذي يعجز طلابه عن ادراكه فعلى هذا يكون معنى العزيز في اسم الله تعالى الذي لا نظير له والحكيم قد يكون بمعنى الحاكم وهو فعيل بمعنى الفاعل كالعليم والسميع قوله عز وجل **ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين** عرض من الله تعالى على ملة نبينا صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام لان ابرهيم واسمعيل عليهما السلام كانا سالا في دعائهما ان يجعل الله تعالى من ذريتهما بمكة رسولا لان الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن احد من اهل مكة من ذريتهما نبيا سوى نبينا صلى الله عليه وسلم وملة ابرهيم عليه السلام داخلة في ملة نبينا صلى الله عليه وسلم مع الزيادات التي في شرايع هذه الملة ومعنى هذه الاية اي احد يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه ولفظة من يرغب استفهام مع انكار وتقريع يقتضي نفيا اي لا يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه اي الا السفيه واختلفوا في معنى قوله تعالى الا من سفه قال الكلبي خسر وقال ابو عبيدة اهلك واوبق وقال بعض اهل اللغة سفه بمعنى سفه قال يونس النحوي يجوز ان تقول سفهت زيدا اي سفهته وقال الزجاج معنى سفه نفسه

اي جهل

اي جهل نفسه يعني لم يتفكر في نفسه ان لها خالقا وذلك ان الله تعالى اقام للعقلاء الادلة على التوحيد في نفس الانسان وتركيبه واختلاف احواله ولذلك قال سبحانه سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال عز من قايل وفي انفسكم افلا تبصرون وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه فكانه تعالى يقول من يرغب عن ملة ابرهيم التي هي اخلاص العبادة لله تعالى ويتبع ما تعبده الامم من الاصنام فهو جاهل نفسه حيث تعبد حجرا او شمسا او قمرا وهذا حجة في التوحيد وجيزة قال قطرب وغيره اراد بقوله تعالى من سفه نفسه من سفه نفسا ثم ذكر النفس واضاف توكيدا لان النفس هو المعنى وهذا كما يقال هذا الامر بعينه وهذا الامر نفسه وقيل معناه سفهت نفسه فنقل الفعل من النفس الى ضمير من ونصب النفس على التشبيه بالتفسير كما طاب زيد بامره نفسا وقر به عينا ووجع زيد راسه وقال بعضهم معنى سفه نفسه سفه في نفسه الا انه حذف حرف الخفض فنصب ما بعده كما في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح ويقال ضربت فلانا الظهر والبطن اي على الظهر والبطن والسفه في اللغة خفة العقل فكان انفسهم خفت عندهم اذ حملوها على الكفر بملة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام لان الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم شرف العرب واعز قدرها فالراغب عن ذلك لا يكون الا سفيها خفيفا ذليلا يعدونه من عزه وشرفه ولفعله ما يستحق به ذل الدنيا والاخرة ولقد اصطفيناه يعني ابرهيم عليه السلام في الدنيا اجتبيناه واخترناه للرسالة وانه في الاخرة لمع اباية المرسلين المستوجبين الثواب والكرامة على الله تعالى والرغبة في اللغة هي محبة ما للنفس فيه منفعة ولهذا لا يجوز في صفات الله تعالى راغب لانه لا يجوز عليه المنفعة والرغبة من الاضداد يقال رغب في كذا اذا مال اليه واحبه ورغب عن كذا اذا هجره واعرض عنه والاصطفا افتعال من الصفوة والصالح في الحقيقة من كان في غاية الرفعة او ان استهله الناس في وسط من الاشيا لان الصلاح ضد الفساد قوله عز وجل **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** متصل بقوله تعالى ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اصطفيناه حين قال له ربه اسلم وذلك حين خرج من السرب وراى الكوكب والشمس والقمر فلما افلت الشمس وراى ابرهيم عليه السلام تلك الايات والادلة الهمه الله تعالى الاخلاص فاستدل وعرف وحدانية الله تعالى قال الحسن رضي الله عنه فاسلم حينيذ وقال اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الاية وليس معنى قول الحسن رضي الله عنه انه اسلم حين افلت الشمس انه كان كافرا قبل ذلك لان الله تعالى لا ينبي من كان كافرا قط لكن معناه انه لم يتوجه التكليف عليه في تلك الحالة ومن توجه عليه التكليف نظر واستدل حتى عرف الله تعالى وقال حينيذ اسلمت اخلصت لرب العالمين ويجوز ان يكون معنى الاسلام تسليم الامور الى الله تعالى والانقياد له من غير امتناع وعصيان اخبر الله عز وجل عن حسن اجابته وقبوله ما امر به عندما وضح له من البرهان من غير ميل الهوى والعصبية قوله عز وجل **ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** المعنى والله اعلم امر بالملة ابرهيم بنيه ويعقوب بنيه ويقال وصى بكلمة الاخلاص لا اله الا الله بنيه وهم اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين والكناية للملة في هذه الاية اصح لان رد الكناية الى المذكور اولى من ردها الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله تعالى اسلمت لرب العالمين فاما قوله تعالى ويعقوب يقرا بالرفع والنصب فمن قرا بالنصب فالمعنى وصى بها ابرهيم بنيه وحافده يعقوب ثم ذكر وصية يعقوب عليه السلام في الاية التي بعد هذه الاية ومن قرا ويعقوب بالرفع فالمعنى ثم وصى بها يعقوب بنيه الاثني عشر وذلك لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والاصنام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنيران وصى بنيه فقال يا بني ان الله اختار لكم الدين يعني الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اي لا يصادفكم الموت الا وانتم على حالة الاسلام يعني الزموا الاسلام واثبتوا عليه وهو كما تقول
الرجل لاخر لا اربنك هاهنا غدا لا يريد به نهي نفسه عن الرؤية لكن معناه لا تكونن هاهنا حتى لا اراك
ووصى واوصى لغتان من التوصية والايصاء والتوصية نقيض الاهمال وهي اوكد من الامر المطلق
وفي الاية دليل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ما كانوا يغفلون الامر الدين وما كانوا يقصرون
وصاياهم الا عليه وكل ذلك ليقتدي الناس ويسلكوا هذه الطريقة وفي قوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
حث على الاسلام على الفور وفي كل حال وذلك ان المراد ان من لم يامن الموت في كل طرفة عين ثم امر
بالشيء ان ياتيه قبل الموت صار مامورا به في كل وقت وفي كل ساعة لانه مامور بما لا يامنه في كل
وقت فوته ان لم يبادر اليه فتعاجله المنية فيفوته الظفر بالنجاة ويلحقه الهلاك فيصير مدخلا نفسه
في الخطر والغرور روي انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان
يعقوب عليه السلام يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى قوله عز وجل ام
كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون معناه اكنتم ايها اليهود حضورا
حين حضر يعقوب عليه السلام الموت اذ قال لبنيه يا اولادي اي شيء تعبدون من بعد موتي فان ذلك
امتحانا لهم فاجابوه بلب وعقل وقالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم الخليل واسمعيل الصادق و
اسحق الحليم الها واحدا لا شريك له ونحن له مسلمون مخلصون معترفون بالعبودية والتوحيد فكان
اسمعيل عم يعقوب عليه السلام ذكره العم في عرف العرب بمنزلة الاب ويجب تعظيم الاعمام مثل
ما يجب تعظيم الاباء والاجداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه والمراد بحضور الموت
في الاية اسباب الموت لان من حضره الموت لا يتمكن من القول والوصية وقد يسمى سبب الشيء باسم ذلك الشيء
كما ان الفعل ما كان سببا الى الجزاء قيل له جزاء وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذ الثانية في
الاية بدل من اذ الاولى وهما جميعا في موضع النصب والعامل فيهما معنى الشهادة في اول الاية وقرا بعضهم
اله ابيك تقديره اله ابيك ابرهيم واله اسمعيل واسحق عليهم السلام كما تقول رايت غلام زيد وعمرو اي
غلامهما وموضع هذه الاسامي خفض على البدل من ابائك وقوله تعالى الها واحدا نصب على البدل من الهك
وقيل على الحال اي في حال وحدانيته قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و
لا تسألون عما كانوا يعملون اي لا تتكلوا ايها اليهود على ابائكم واسلافكم اعتمادا منكم على شفاعتهم
فانهم جماعة وعصبة قد مضت لها جزاء ما عملت من خير او شر ولكم جزاء ما عملتم من خير او شر وانما تسالون
عن اعمالكم لا عن اعمال غيركم ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر
اخرى وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابنه فقال اما انه لا يجني عليك وانت
لا تجني عليه الا انه لا يؤخذ بجنايتك وانت لا تؤخذ بجنايته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يا بني هاشم لا ياتيني الناس يوم القيمة باعمالهم وتاتوني بانسابكم فاقول اني لا اغني عنكم من الله
شيئا وقال صلى الله عليه وسلم من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين في الاية ايجاز واختصار
المعنى قالت اليهود كونوا هودا فان ديننا الحق ونبينا افضل وقالت النصارى كونوا نصارى فان
ديننا افضل الاديان ونبينا افضل الانبياء صلوات الله عليهم فقال الله تعالى قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اي مسلما مخلصا مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام ومعنى وما كان من

المشركين

المشركين اي ما كان ابرهيم عليه السلام معهم على دينهم وقوله تعالى تهتدوا جزم على الجواب الامر
المعنى ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا ويجوز ان يكون نصب ملة على معنى بل نكون اهل ملة ابرهيم
عليه السلام فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسال القرية والاصل في الحنف ميل اصابع القدمين
يقال رجل احنف وامراة حنفاء اذا كانت تميل قدماها كل واحدة منهما الى اختها باصابعها
حكي ان ام الاحنف بن قيس كانت ترقصه وتقول والله لولا حنف برجله ودقة في ساقه من
هزاله ما كان في فتيانكم من مثله وسمي ابرهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد اباؤه وقومه
من الالهة اي عدل عن ذلك وكان يسمى في الجاهلية من اختتن وحج البيت حنيفا وقيل معنى
الحنيف هو الذي يكون على الدين المستقيم حكي عن بعض اهل اللغة ان الحنف الاستقامة وانما
سمي الرجل المعوج الاحنف على التفاؤل كما يقال للاعمى البصير وللمهلكة مفازة فان قيل
كيف نتبع ملة ابرهيم عليه السلام ولنا شرائع لم تكن مشروعة من قبل قيل اصل العقد توحيد الله
والايمان برسله ولا اختلاف في ذلك والفائدة في ذكر ملة ابرهيم عليه السلام في هذه الاية ان
تلك الملة لا شك انها حق عندنا وعند اليهود والنصارى على اختلاف مقالاتنا وتبري بعضها
من بعض فكانه تعالى يقول انه ان كان طريق اتباع الدين التقليد والرجوع الى قول من يدعو
الى دينه فالاولى في ذلك اتباع الملة التي قد حصل الاتفاق على انها حق ودين ورد ما فيه اختلاف
ولم يختلف الناس ان ملة ابرهيم عليه السلام الاسلام والتوحيد لانه لا شرك في شريعته لا
من جهة التصريح ولا من جهة المعنى ليس هو كدين اليهود والنصارى لان من دين اليهود ما يؤدي
الى التشبيه مصرح ببطلان التوحيد ويقولون عزير ابن الله ومن دين النصارى التثليث فقد بانت
حجة المسلمين عليهم فظهرت قوله عز وجل قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم و
اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وذلك ان الله تعالى لما اخبر عن هؤلاء المبطلين
في الاية المتقدمة وبين الحجة عليهم بين بعد ذلك ما يقوله المحقون وعلمهم كيفية القول في الايمان
بهذه الحجة قال ابن عباس رضي الله عنهما جاء احبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من
تؤمن من الانبياء صلوات الله عليهم فانزل الله تعالى هذه الاية قولوا امنا بالله فلما انتهى النبي صلى
الله عليه وسلم الى قوله وعيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن امن بعيسى عليه السلام وقالت النصارى
نؤمن بعيسى وموسى عليهما السلام ولا نؤمن بك فانزل الله تعالى قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله الى اخر الاية والله تعالى اعلم ومعنى هذه الاية قولوا صدقنا بالله بانه واحد لا
شريك له وصدقنا بما انزل على نبينا من القران وبما انزل من الصحف على ابرهيم عليه السلام التي كان
يعمل بها هو واولاده واحفاده من بعده وصدقنا بما اوتي موسى وهو التورية وعيسى وهو الانجيل
وبما اعطي النبيون كلهم صلوات الله عليهم من الكتب من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم في الايمان
لا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومعنى ونحن له مسلمون اي
مخلصون لله بالعبادة والتوحيد وانما اضاف الله تعالى في هذه الاية ما انزل الى اسمعيل و
اسحق ويعقوب والاسباط وانما كان انزل على ابائهم لانهم كانوا جميعا يعملون بذلك فاضاف
الانزال اليهم كما قال وما انزل الينا واراد ما انزل الى نبينا صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني
يعقوب عليه السلام كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلام وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ولدا
ليعقوب عليه السلام كل سبط يرجع الى اب على حدة قوله عز وجل فان امنوا بمثل ما امنتم

شبكة الألوكة
alukah.net

فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ترغيب
لهم في الايمان التام الكامل وبيان ان من يؤمن بنبي ولا يؤمن باخر وطريقتهما في المعجز واحدة
لا يكون على التحقيق مؤمنا بالاول ومعنى الاية ان صدقوا واقروا كمثل اقراركم بالله ورسله و
كتبه فقد اهتدوا من الضلالة وان ابوا واعرضوا عن قبول الايمان بالقران وبمحمد صلى الله
عليه وسلم فانما هم في خلاف من الدين وعداوة فسيكفيكهم الله وساير المسلمين شرهم وهو السميع لمقالة
اليهود والنصارى العليم بهم وبعقوبتهم والشقاق في اللغة مفارقة الحق من قول الناس فلان شق
عصا المسلمين اي فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع امامهم وصار في شق غير المسلمين وقال بعضهم
الشقاق مشتق من المشقة فان كل واحد من العدوين يفعل ما يشق على صاحبه والفا في قوله تعالى
فسيكفيكهم الله ناسقة لنظم الكلام والسين سين الوعد والكاف الثانية لخطاب النبي عليه السلام كناية
عن اليهود والنصارى والخطاب والكناية كلاهما في موضع النصب لان الكفاية تتعدى الى
مفعولين تقدير الكلام سوف يرفع الله تعالى عنك مؤنة هولاء الكفار فان قال قايل كيف قال عز
ما امنتم وليس لله تعالى مثل قيل قد اختلف الناس في جواب هذا السوال قال بعضهم الباء زايدة كما
في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا معناه كفى الله وقال بعضهم معنى الاية فان امنوا على مثل ما امنتم
به وهذا كما يقال كتبت بمثل ما كتبت وعلى مثل ما كتبت اي اعتمد في كتابتك مثالا كتبت عليها
وقيل عن بعضهم مثل زايدة كما يقال مثلي لا يقول من مثلك اي انا لا اقول مثلك وقيل لا احتياج
ههنا الى اسقاط شي منها ومعنى الاية فان صدقوا كتصديقكم واقروا كاقراركم فقد اصابوا الحق
وفي الاية ضمان من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يكفيه امر اعدايه فكفاه مع كثرة عددهم
وحرصهم على قتله وفي هذا دليل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم لانه لم يخبر الا باتفاق وجود مخبره
على ما اخبر به في جميع اخباره الا وهو من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة كما قال جل ذكره
ليظهره على الدين كله وقال عز من قايل كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحو ذلك من الايات
قوله عز وجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
بيان وصف كلمة التوحيد وهو متعلق بقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا ومعنى
هذه الاية والله تعالى اعلم دين الله وفطرة الله التي فطر الناس عليها واي احد احسن
دينا منه ونحن له عابدون موحدون وانما سمي الدين صبغة لان دين الاسلام يؤثر في
المتدين في الطهور والصلوة والسكينة والوقار وساير شعار الاسلام كالصبغ الذي يكون
في الثوب يبين به المصبوغ عن غيره في الحسن والبراقة ولا شي في الاديان احسن من
دين الاسلام يظهر لكل ذي حاسة سليمة فضل الاسلام على ساير الاديان ولا يجوز ان يكون
ما خرج عن دين الاسلام حسنا ويقال اراد بالصبغة الختان على معنى ان ذلك يوثر في المختون
قال ابن عباس رضي الله عنه وذلك ان صنفا من النصارى كان اذا ولد لاحدهم ولد فاتى
عليه سبعة ايام صبغوه اي غمسوه في ماء لهم يقال له المعمودي ليطهروه بذلك وقالوا هذا
طهور مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اي التطهير الذي امر الله به ابلغ في النظافة والختان
طهور طهر الله تعالى به ابرهيم عليه السلام وكان اول من اختتن بالقدوم وهو موضع بالشام
قال الكلبي كان يومئذ ابن ماية وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال قتادة ان
اليهود كانوا يصبغون اولادهم باليهودية والنصارى بالنصرانية اي كانوا يلقنونهم اليهودية
والنصرانية حتى كان يتشرب حب اليهودية والنصرانية في قلوبهم وهو ما روي عن عمر رضي

الله عنه

الله عنه انه اخذ على نصارى بني تغلب العهد ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركونهم حتى اذا
بلغوا اختاروا لانفسهم ما شاءوا من الاديان واخبر الله تعالى ان صبغة الله تعالى خير من
صبغة اليهود والنصارى وقيل صبغة الله تعالى ان يصبغ قلب المؤمن بماء الرحمة ليطهره
ويطيبه بماء ليس بارضي ولا سماوي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ونصب صبغة الله تعالى على
اضمار الزموا وعلى تقدير بل ملة ابرهيم عليه السلام صبغة الله تعالى قوله عز وجل قل اتحاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وذلك ان اليهود
كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا يقولون والنصارى معهم نحن ابناء
الله واحباوه وكانوا يعيبون العرب بان كان فيهم عبدة الاوثان فامر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم اتحاجوننا في الله تعالى ويقول لم تخاصموننا في دين الله تعالى
وانتم تقولون ان ربنا وربكم واحد ولنا اعمالنا لا نؤخذ باعمال سلفنا ولا تضرنا عبادة من
عبد الاوثان منا اذ لم نعبدها نحن وكذلك انتم لكم اعمالكم لا تؤخذون باعمال سلفكم وكلا
نثاب على ذلك ونحن لله تعالى مخلصون بالعبادة والتوحيد لا ندعي معه شريكا ولا صاحبة
ولا ولدا واما انتم فكلامكم واقراركم مشتبهة فيجب ان يقال انا اصلح عملا واخلص لله تعالى
من اما انتم ويقال هذه الاية جواب لمن كان يضاهي المشركين من اهل الكتاب معناه انتم
تقولون ان ربنا وربكم واحد فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى ان تعلقتم في امرنا
بالتوحيد فنحن موحدون وان تعلقتم باتباع دين الانبياء صلوات الله عليهم فنحن متبعون
والمحاجة المجادلة والمخاصمة وطلب كل واحد من الفريقين اقامة الحجة على صاحبه من قولهم
حاججت فلانا فحججته ومن قرا اتحاجوننا بنونين فعلى اصل الكلمة ومن قرا بنون واحدة مشددة
فعلى ادغام النون الاولى في الثانية لاجتماع الحرفين من جنس واحد ومن قرا بنون واحدة
مخففة فلانه اجتمع حرفان من جنس واحد فحذف احدهما تخفيفا كما في قوله تعالى فبم تبشرون
اصله تبشرونني قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون مردود على ما تقدم المعنى اتحاجوننا بقولكم
كونوا هودا او نصارى تهتدوا وقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى مع علمكم ومعرفتكم
بخلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ فانهم كانوا يوهمون ان الدين الصحيح هو
اليهودية او النصرانية وان هولاء الانبياء صلوات الله عليهم تمسكوا بها يقول الله عز وجل
قل انتم اعلم ام الله فان الله تعالى قد اخبرنا انهم كانوا مسلمين فقالوا اما هو كما قلت و
انا على دين ابرهيم عليه السلام وما انت برسول الله تعالى ولا على دينه فانزل الله تعالى
هذه الاية ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني به علماء اليهود والنصارى لانهم
علموا ان ابرهيم واسمعيل واسحق صلوات الله عليهم كانوا حنفاء مسلمين وان رسالة نبينا صلى
الله عليه وسلم حق بينه الله في التورية والانجيل فكتموه حسدا وطلبا للرياسة ثم اوعدهم الله
جل ذكره بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم من كتمان بعث النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته ومجازيكم على ذلك في الاخرة قوله تعالى ام يقولون يقرا بالياء والتاء على

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قرا بالتا كانت ام متصلة على معنى باى الحجتين يتعلقون على نحو ما ذكرناه ومن قرا بالياء كانت ام منقطعة ويكون هذا انقطاعا الى نوع احتجاج اخر غير الاحتجاج الاول والله اعلم قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون قد تقدم تفسيره من قبل فاما تكرار هذه الاية فقال بعضهم المراد بالاول بنوا يعقوب واباوه عليهم السلام والمراد بالثانية الاسباط وقال بعضهم ان القران انما نزل على عادة العرب ومن عادة العرب انهم يذكرون الجواب الواحد في اوقات مختلفة لاغراض مختلفة فيعدون ذلك فصاحة لا عيبا وانما يعاب تكرار الكلام في مشهد واحد وغرض واحد والله تعالى اعلم قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة نحو الكعبة و ربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة امر بان يصلي الى بيت المقدس لئلا يكذبه اليهود اذا صلى الى قبلتهم لان نعته في التورية ان يكون صاحب القبلتين فصلى الى بيت المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا ثم امره الله تعالى بالتحول الى الكعبة ليمتحن اهل الاسلام فيظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه من منافق اليهود وغيرهم فلما حول الله تعالى القبلة الى الكعبة بعد اقامته الحجة على الكفار في باب التوحيد مرة عظم حرمة الكعبة ثم في باب الانبياء صلوات الله عليهم ودينهم وملتهم علم ان الكفار يقولون في نسخ القبلة اشيا يوذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما سيقولون في المستانف ليتحمل الثقل ويعرف ان ذلك من باب الوحي والغيب فكان كما اخبر الله تعالى في الجوازات ومعنى الاية والله اعلم سيقول الجهال من الناس ما الذي صرفهم يعنون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي قبلة بيت المقدس قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لله المشرق والمغرب اي هو خالقهما وخالق جميع الاماكن يرشد من يشاء الى طريق قايم يرضاه وهو دين الاسلام وقبلة الكعبة واختلف المفسرون رحمهم الله في الجهال المذكورين في هذه الاية قال ابن عباس والبرا بن عازب ان هولاء اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم حين امر الناس بالتوجه الى الكعبة فانكروا النسخ من طريق العقل وقالوا انه يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى وفي قوله تعالى قل لله المشرق والمغرب رد عليهم لان من كان مالك المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع ما يامر ويجوز ان يكون معناه ان الله تعالى خالق الاماكن كلها فليس بعضها اخص اولى ان يجعل قبلة بالعقل من بعض فوجب الانتهاء الى امر الله تعالى باستقبال ما شاء الله فانما يتشرف الجهات في المشرق والمغرب بتشريفه اياها وبعبادة الله تعالى فيها وتوفيق الله تعالى في الاية التي بعد هذه الاية الحكمة التي اوجبت التحويل الى الكعبة مصلحة للعباد ومن الحجة على اليهود ان تزويج الاخ بالاخت كان مباحا لولد ادم عليه السلام من صلبه ولولا ذلك لم يكن بينهم توالد ثم هو محرم في شريعة التورية وسائر الشرائع وكما جاز من الله تعالى ان يحيي ويميت ويصح واحدا ويمرض اخر ويغني واحدا ويفقر اخر وتعالى ان يبين احكام العباد فيتعبد بعضهم بعد ذلك الحكمة في زمان واحد نحو تحريم الصلوة والصوم على الحايض وايجابهما على الطاهر على حسب ما علم الله تعالى من مصالحهم فلم يكن شي من ذلك دليلا على البدا فكذلك لا يمتنع ان يجعل تغيير احكام العباد في زمانين واما من زعم من اليهود ان النسخ بالعقل جايز الا ان موسى عليه السلام اخبرهم ان شريعة التورية وتحريم السبت لا ينسخ ابدا فالجواب عنه ان التورية قد اثبتت

نبوة

البدا اي الجهل

نبوة انبياء الله صلوات الله عليهم بعد موسى عليه السلام فكان تحريم السبت معلقا بتوقيت الانبياء عليهم السلام بعد موسى عليه السلام فاذا الذي احله مقرونا الى لفظ التحريم وتخصيصا له كانه قال حرموا السبت ما لم احله على لسان نبي بعد موسى عليه السلام كما لا يجوز ان يقول لموسى عليه السلام تمسك بتحريم السبت ما لم احله على لسانك وقال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الاية في مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه السلام بعدما تحول الى الكعبة من بيت المقدس رغبت عن قبلة ابايك ثم رجعت اليها والله لترجعن الى ديننا كما رجعت الى قبلتنا وقال السدي رحمه الله نزلت هذه الاية في المنافقين حين استهزوا بالمسلمين بتوجههم في الابتدا الى بيت المقدس ثم تحولهم الى الكعبة وكانوا يقولون تردد على محمد صلى الله عليه وسلم امره فاهذا الذي هو يفعله يصلي حينا الى هاهنا وحينا الى هناك وربما كانوا يقولون استهزا لقد اشتاق الرجل الى مولده سوف يرجع الى ديننا فانزل الله تعالى هذه الاية والله اعلم والقبلة الوجهة وهي الفعلة من المقابلة الا ان القبلة اختصت بالجهة التي يصلي اليها وانما عبر عن الدين بالصراط المستقيم لان الدين المستقيم يودي الى الجنة بمن سلكه كما ان الطريق يودي سالكه الى مقصوده وفي هذه الاية دليل على ان الصلوة كانت الى غير الكعبة اول حكم نسخ في الاسلام حكم القبلة قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم معنى الاية والله تعالى اعلم كما هديناكم الى قبلتكم وهي الكعبة لان الكعبة متوسطة بين المشرق والمغرب وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا ويقال خيارا والمعنى واحد ومن هذا قيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش حسبا ويقال فلان وسيط في قومه ووسيط في حسبه ... الفاضل المشهور في الكمال الديني واسطة المخنقة واسطة لكونها خير ما فيها وهذا لان المتوسط في الامور لا يفرط فيغلو ولا يقصر فيضيع كما يقال خير الناس هذا النمط النمط الاوسط يلحق به التالي ويرجع اليه الغالي فوصف الله تعالى هذه الامة بانهم وسط لمجانبتهم الغلو والتقصير لانهم لم يغلوا في الانبياء صلوات الله عليهم كغلو النصارى في المسيح حيث قالوا المسيح ابن الله ولم يقصروا في المسيح كتقصير اليهود حيث كذبوا انبياء الله صلوات الله عليهم و قتلوهم ولكن قالت هذه الامة هو عبد الله ورسوله عليه السلام فقولهم اعدل الاقوال وقيل معنى وسطا اي وسطا بين الانبياء عليهم السلام فاما الوسط بسكون السين فهو الذي له طرفان ومعنى لتكونوا شهداء على الناس على الكلام ان تكونوا محتجين على جميع من خالفكم ويكون الرسول صلى الله عليه محتجا ومبينا لكم اي مزكيا ومعدلا ولهذا يسمى الشاهدان بينة لانهما يبينان حق المدعي ويقال للمدعي ان تعديك فاتي بشاهدين وقد يقام على مقام اللام في العربية كما في قوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب وقيل معنى لتكونوا شهداء على الناس اي للنبيين صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة وذلك ان سائر الامم تكذب انبياءهم صلوات الله عليهم يوم القيمة تبليغ الرسالة فتشهد هذه الامة بصدق الانبياء صلوات الله عليهم ويشهد النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الامة بصدقهم وجازت هذه الشهادة وان لم يعاينوا لوقوع العلم بذلك بخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى لتكونوا شهداء اي يكون اهل كل عصر من هذه الامة شهداء على اهل زمانه فيما خالف من اعمالهم الحق يشهدون عليهم في الدنيا بان هذا سارق وذا زان وذا شارب خمر وذا عاص وذا مطيع له تقبل هذه الشهادات كلها في الدنيا ويشهدون في الاخرة بما شاهدوا من الاعمال في الدنيا كما قال

المخنقة ما يوضع في العنق

شبكة الألوكة
alukah.net

الله تعالى وجمع بالنبيين والشهداء ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً على من كان في
زمنه ويشهد عليهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى هذا يقتضي وهذا معنى كما قال الله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وكما قال عز من قائل حكاية عن عيسى
صلوات الله عليهم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال بعضهم ويكون الرسول عليكم شهيداً
على اهل عصره وعلى من تقدم عصره وعلى من يوجد بعد عصره وقد روي في الاخبار ما يدل عليه
فانه يروى ان اعمال الناس تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين وليلة الخميس وروي
انه تعرض اعمال الاحياء على ارواح الاموات فاما قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها اي ما امرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس في الصلوة ثم بالانصراف عنها الى الكعبة الا
لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن يرجع الى دينه الاول وفي هذا بيان مصلحة العباد في ان الله
تعالى جعل قبلتهم اولا الى بيت المقدس ثم صرفهم الى الكعبة لان كفار اهل مكة كانوا يستقبلون
الكعبة ولو امر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون باستقبالها لم يتميزوا من الكفار فلما
حصل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومضى على ذلك ستة عشر شهرا او نحو ذلك وكانت اليهود
مخالطة للمؤمنين وكانوا يجتهدون في تشكيك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا [illegible]
علم الله تعالى ان الصلاح ان يتميزوا من هؤلاء اليهود في القبلة لئلا يكون اجتماعهم على قبلة واحدة
سببا للالفة بين المؤمنين وبين اليهود فيكون فسادا لان اليهود اعداء الدين وان اظهروا
المودة كما قال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم الآية وكان علم الله تعالى سابقا لكل شيء عما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف
كان يكون لكن معنى لنعلم اي لنعلم علم المشاهدة بعد ان علمناه غيبا لان علم الغيب لا يجب به الجزاء
في ثواب ولا عقاب لان الله تعالى يجازي العباد على عملهم لا على علمه فيهم واسم الطاعة والمعصية
يقع على العمل بعد وجوده ولذلك قال لنعلم وعلى هذا قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله
تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا ونحو ذلك من الآي وقيل لنعلم من يتبع الرسول عليه السلام اي ليعلم
انبياؤنا عليهم السلام واولياؤنا رضي الله عنهم كما في قوله تعالى فلما آسفونا وقوله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله وقيل معنى لنعلم اي لنعلن كما قلت وقوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله من
قبل اي معناه لم قتلتم وانما سمي الكفار انقلابا على العقبين لان المنقلب على عقبيه قد جانب ما كان
بين يديه وابعد عنه فلما تركوا الايمان والادلة صاروا بمنزلة المدبرين عما بين ايديهم فوضعوا
ذلك كما قال الله تعالى ثم ادبر واستكبر ويقال ان المنقلب على عقبيه لا يرى ما وراءه فيهلك بوقوعه
في بئر او ما او سبع يهلكه وكل هذا تشبيه فاما معنى قوله تعالى وان كانت لكبيرة اي وان كان اتباع
بيت المقدس ثم الانصراف عنها الى الكعبة لثقيلا شديدا الا على الذين هدى الله اي حفظ الله تعالى
قلوبهم على الاسلام وما كان الله ليضيع تصديقكم بالقبلتين ويقال معناه ما كان ليضيع صلوتكم الى
بيت المقدس وذلك ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفوا وهم يصلون الى
بيت المقدس فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلوتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان
اليهود كانت تقول بطل ايمانكم حيث تركتم قبلة بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الآية
واما قوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم فالرؤف شديد الرحمة وهو الذي لا يضيع عنده
عمل عامل وهو رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم في كل وقت بما هو اصلح لهم والجمع في
هذه الآية بين لفظ الرأفة والرحمة للتأكيد كما قلنا في قوله تعالى الرحمن الرحيم ودخول اللام

في

في قوله تعالى وان كانت لكبيرة للتأكيد ولولا اللام لكان الكلام جحدا وفي هذه الآية دلالة ان هذه
الامة لا تجتمع على باطل لان الله تعالى وصفهم بالعدالة واخبر انهم شهداء على الناس وشهداء الله
تعالى لا يكونون الا عدولا كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم وحده حجة على الناس لظهور معجزاته وانهم
الامة يتناول اهل كل عصر من هذه الامة الا ترى انك تقول اجمعت الامة على تحريم الامهات والاخوات
فيكون هذا اطلاقا صحيحا قبل ان يوجد اخر الامة وفي الآية دلالة ان من ظهر كفره وفسقه لا يعتد
به في الاجماع لان الله تعالى جعل من وصف الشهداء العدالة قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل
عما يعملون قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت
ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك لا املك
لك شيئا فاسأل ربك ان يحولك عنها فارتفع جبريل عليه السلام وجعل النبي صلى الله عليه
وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل عليه السلام بما سأل وان يحوله الله تعالى الى
الكعبة لانها كانت قبلة ابرهيم عليه السلام وكانت ادعى للعرب الى الاسلام فانزل الله تعالى هذه
الآية وقال مجاهد ان الله تعالى كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحول القبلة من بيت المقدس
الى الكعبة فكان النبي صلى الله عليه وسلم متوقعا ورود جبريل عليه السلام بتحويل القبلة الى
الكعبة وكان يقلب وجهه في السماء كالانسان يرجو خبرا على يدي اخر فيجعل بصره في طريقه ويتوقع
وروده وقال بعضهم ان الله تعالى قد نهاه عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يكن بين له جهة
اخرى يصلي اليها وكان يعلم ان الله تعالى يأمره بالصلوة الى جهة اخرى وكان ينتظر ورود جبريل
عليه السلام بالامر بالصلاة الى جهة اخرى وانما اختلفت الرواية في هذا الباب لان الانبياء
صلوات الله عليهم لا يجوز ان يسألوا الله تعالى امر القبلة ونحو ذلك من مصالح العباد الا بعد الاذن
لهم فيه لانهم لا يأمنون ان لا يكون لهم فيه صلاح فلا يجيبهم الله تعالى الى ذلك ويكون ذلك فتنة على
قومهم اذا لم يجابوا الى الملتمس ومعنى الآية والله اعلم قد نرى تصرف وجهك الى السماء فلنولينك
الى قبلة تهواها وتحبها واراد بقوله ترضاها تحبها الطبع بطلبه كثرة الصلاح ليكون تمييزا بينه وبين اليهود
واظهارا لحال المنافقين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راضيا بالقبلة الاولى ومعنى قوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام قال بعضهم شطر الشيء نصفه يقال شطرت الشيء اذا جعلته نصفين وقد
يقال في المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه فكان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يحول وجهه الى نصف المسجد الحرام والكعبة واقعة من المسجد في النصف من كل جهة فلما كان
المتوجه يقع الى الكعبة وكان موقعها من المسجد هذا الموقع جاز ان يقول تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام يعني النصف من كل جهة وهو الوسط من كل جانب وهو عبارة عن بقعة الكعبة وقال
بعضهم معنى شطر المسجد الحرام نحو الكعبة والشطر يذكر ويراد به النحو والقصد يقال هؤلاء مشاطرونا
اي منازلهم تتصل بدورنا بدورهم نحو دورنا ويقال فلان شاطر اي اخذ في نحو غير
الاستواء والمراد بالمسجد الحرام على هذا الطريق نفس البيت لانه لا خلاف ان من كان بمكة فتوجه في
صلاته نحو المسجد انه لا يجزيه اذا لم يكن محاذيا للبيت واما قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فليس بتكرار لان ما قبله خطاب لمن كان بالمدينة من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم وهذا خطاب للناس كلهم في جميع الآفاق يقول حيث ما كنتم من البلاد فحولوا وجوهكم

شبكة الألوكة

شطر المسجد الحرام وانّ الذين أُعطوا الكتاب كتاب الله وهم اليهود والنصارى ليعلمون انّه الحق اى استقبال الكعبة حق من ربهم على ما رويناه ان نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية انه يكون صاحب القبلتين وقد روى عن ابي العالية قال رايت مسجد صالح عليه السلام قبلته الى الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي الى الصخرة نحو الكعبة فاهل الكتاب يعلمون ان امر الكعبة حق من ربهم ثم اوعدهم الله تعالى فقال عزّ من قايل وما الله بغافل عما يعملون اى لا يخفى عليه جحود اليهود والنصارى ولا تغني الايات عند من جحد ما يعرف وفي هذه الآية دلالة على تجويز الاجتهاد في الاحكام الحوادث وان كل احد من المجتهدين انما يكلف ما يودى اليه اجتهاده ويغلب على ظنه لان الغايب عن الكعبة لا يكلف اصابة عين الكعبة الا لا سبيل اليها قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فمن لا يجد سبيلا الى اصابة عين الكعبة لم يكلف اصابتها الا بغالب الظن وفي الاية دليل ايضا ان الاشبه من الحوادث مطلوبة كما ان القبلة حقيقة هي مطلوبة بالاجتهاد وكذلك تكليف الاجتهاد في طلب الحقيقة كما صح تكليف طلب القبلة بالاجتهاد لان لها حقيقة قوله عزّ وجل **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** اخبار من الله تعالى عن عناد اهل الكتاب ومخالفتهم بعد علمهم ان الكعبة حق يقول لئن اتيتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بكل علامة تدل على صدق مقالتك ما صلوا الى قبلتك وما انت بمصل الى قبلتهم بعد التحويل وفي هذا قطع اطماع اليهود في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم قبلتهم فانهم كانوا يقولون له ارجع الى قبلتنا نؤمن بك ونتبعك واما قوله تعالى وما بعضهم بتابع قبلة بعض فالمعنى كيف ترجوان يتبعوك ويصلوا الى قبلتك ولا يتبع بعضهم بعضا مع اتفاقهم على التظاهر عليك ولئن اتبعت يا محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم اى ان صليت الى قبلتهم واتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم ان الدين هو الاسلام وان الكعبة هي القبلة انك اذا لمن الضالين لنفسك وهذا وعيد من الله تعالى على معصية علم الله تعالى انها لا تقع منه كما في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك واول هذه الآية تعرض التقصير فان من اهل الكتاب من يسلم و يتبع ملة الاسلام واجيبت لئن بما فيها من معنى اليمين ولئن تجاب بجواب لو الآن لئن تدخل على الماضي بمعنى المستقبل وحقيقتها ايقاع الشي لوقوع غيره وكذلك ان مع لفظ الاستقبال تقول لئن اتيتني اكرمتك وان تاتني اكرمك ولو يدخل على الماضي بمعنى الماضي وحقيقتها منع الشي لامتناع غيره يقال لو اتيتني لاكرمتك اى لم تاتني فلم اكرمك وفي الاية ابطال حجاج من يحتج من اهل الكتاب ويقول ان بيت المقدس قبلة اهل الكتاب ورثوها من انبيائهم عليهم السلام فهي اولى بالتوجه اليها من الكعبة لان الله تعالى بين في هذه الآية ان اهل الكتاب لم يجتمعوا كلهم على قبلة واحدة بل خالف بعضهم بعضا ويصلون الى جهتين مختلفتين فلا يمتنع ايضا ان يبعث الله تعالى نبيا يامره بالتوجه الى جهة اخرى قوله عزّ وجل **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** معنى الاية والله اعلم ان العلماء بالكتب المنزلة على الانبياء صلوات الله عليهم من قبل وصحة ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته ومبعثه وقيل يعرفون ان التحول الى الكعبة حق كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع الغلمان وان طايفة منهم منهم كعب بن الاشرف واصحابه ليكتمون الحق وهم يعلمون انه حق وانما قال تعالى وان فريقا منهم لانهم لو

كلهم

كلهم ذلك لما صح مع كثرتهم ان يجتمعوا على كتمانه لان ذلك لا يوجد من العادة لان واحدا لو دخل البصرة وسال عن جامعها المعجز ان لا يلقاه احد ممن يساله الا وهو يكذب في ذلك او يكتمه وانما يجوز ذلك على جمع قليل وفي هذه الآية بيان ان المراد بقوله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق قوم مخصوصون من علماء اهل الكتاب يتصور عليهم التواطو على الكذب لان الجمع العظيم لا يقدرون ان يظهروا خلاف ما يعلمون وقد روى عن عبد الله بن سلام انه قال حين نزلت هذه الآية كنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اشد معرفة لك مني بابني فقال عمر رضي الله عنه كيف ذلك يا عبد الله قال لاني اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا يقينا ولا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدثت فقال له عمر وفقك الله يا عبد الله قوله عزّ وجل **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** اى هذا القران حق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جاءك الحق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الكعبة قبلة ابرهيم عليه السلام فخالفها اليهود فلا تكونن من الشاكين في امر القران والقبلة وما ورد من هذا الجنس خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وجماعة الامة فان القران انما نزل على ما يتعارف الناس فيما بينهم ومن عادة الناس ان يوجهوا امرهم ونهيهم الى من يقتدى به اقوى تنبيها للغير وتاكيدا الا ترى ان الرجل الحازم اذا اقبل على ابر اولاده واصلحهم فزجره عن امر بحضرة جماعة اولاده كان منبها بذلك على قطع ذلك الفعل ان اختاروه وارتكبوه قوله عزّ وجل **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** قال ابن عباس ومجاهد والسدى رضي الله عنهم لاهل كل ملة من اليهود والنصارى وجهة اى قبلة يولي كل اهل ملة وجوههم في صلواتهم اليها وذلك ان المسلمين يصلون الى الكعبة واليهود والنصارى يصلون الى جهتين مختلفتين وقيل معنى هو موليها اى الله تعالى موليها اى يولي اهل كل ملة القبلة التي يريدها ومن قرا هو مولاها فالمعنى قدر له ان يتولاها وقيل في معنى الاية لكل قوم من المسلمين وجهة من اهل ساير الافاق الى جهات الكعبة وراءها وقدامها وعن يمينها وعن شمالها ليس جهة من جهاتها اولى بان تكون قبلة من غيرها وقيل لاهل كل ملة دين على حدة كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن رضي الله عنه معناها لكل نبي طريقة واحدة وهي ما شرعه الله تعالى من الاسلام وان اختلف الاحكام ومعنى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اى اظهركم للحق ايها المسلمون في طريقتكم فبادروا الى قبول اوامر الله تعالى وطاعته مبادرة من يطلب الاستباق اليها وولوا وجوهكم حيث امركم الله تعالى ومعنى اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اى اينما تكونوا في الارض يقبض الله تعالى ارواحكم ويجمعكم يوم القيمة للحساب وان كانت قد تفرقت بكم البقاع والملل وقيل هو خطاب للمومنين انكم قد سبق في علم الله تعالى انهم يصلون الى الكعبة يقول الله تعالى اينما تكونوا في شرق الارض وغربها وفي اصلاب الاباء وارحام الامهات يجمعكم الله تعالى على هذه القبلة ان الله على كل شي قدير من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك قادر لا يخفى عليه شي من افعال العباد واينما معنى الشرط يجزم ما بعدها من الجواب يقال اين يكنك ازرك اى ان الموت يكنك ازرك وفي الآية دلالة ان تعجيل الطاعات افضل من تاخيرها ما لم تقم دلالة على فضيلة التاخير نحو تعجيل الصلوة في اول وقتها وتعجيل الزكوة والحج وساير الفروض بعد حضور وقتها او وجود سببها وفيها دلالة ايضا ان الامر على الفور وان جواز التاخير يحتاج الى دلالة لان الامر اذا كان غير موقت فلا محالة ان يفعله على الفور لانه من الخيرات فوجب علينا في قوله تعالى فاستبقوا الخيرات ايجاب تعجيله لان الموخر على خطر الفوت واذا سبق اليه امن الفوت واستدرك الوجوب قوله عزّ وجل

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما
تعملون تاكيد امر التحويل الى الكعبة وبيان انه ثابت لا يتغير بنسخ كما تغيرت قبلة بيت المقدس
وقال بعضهم معناه الى اي موضع خرجت اليه من النواحي التي كنت تصلي فيها الى غير الكعبة من
قبل تحويل وجهك من ذلك الموضع في الصلوة شطر المسجد الحرام ولا تكن على ما كنت عليه من قبل و
ان الامر بالتوجه الى الكعبة لصدق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اي ان الله تعالى عالم باعمالكم
مجاز لكل عامل على عمله قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون في ابتداء هذه الآية بيان
ان حكم النبي صلى الله عليه وسلم وامته في التوجه الى الكعبة في السفر والحضر سواء لانه كان من
الجائز ان يلحق به الفرق بين المسافر والمقيم كما ورد الشرع في باب النوافل على الراحلة فبين الله
تعالى ان المسافر كالمقيم في هذا التوجه ومعنى الآية ومن حيث خرجت اليه يا محمد من نواحي الارض
واقطارها فحول وجهك نحو الكعبة وحيث ما كنتم ايها المؤمنون بالبعد من الكعبة او القرب
مسافرين او مقيمين فحولوا وجوهكم نحو الكعبة لئلا يكون لليهود عليكم حجة لان المسلمين لو لم يصلوا
الى المسجد الحرام لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة عليهم للناس بان يقولوا
ليس هذا هو النبي المبشر به صلى الله عليه وسلم اذ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو نبي تصلي امته
الى القبلتين ويقال معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة اي لئلا يكون لكفار اهل مكة حجة عليكم اذ قالوا
ترك محمد صلى الله عليه وسلم قبلة آبائه التي هي قبلة ابرهيم عليه السلام ويقال معنى الآية حول فكم الله
تعالى الاحتجاج في امر القبلة فلا يكون للناس حجة وقوله الا الذين ظلموا منهم استثناء منقطع المعنى لا
يحاجكم احد الا من ظلم فيما وضحته واحتج عليكم بغير الحق وحاج بالباطل كما يقال ما لك على حجة الا
الظلم اي ما لك على حجة البتة ولكنك تظلمني ويسمي الظلم حجة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
وكانت حجتهم الباطلة على النبي صلى الله عليه وسلم ان قالت اليهود ان كانت قبلتنا ضلالة فقد
صليت اليها سبعة عشر شهرا وان كانت هدى فقد انصرفت عنها وقالت كفار مكة تركت قبلة آبائك
ثم رجعت اليها فاجابهم الله تعالى بهذه الآية وقيل معنى الا الذين ظلموا اي الذين ظلموا منهم يتعلقون
بالشبهة ويضعونها موضع الحجة وهذا كما قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لكن اتباع
الظن وقال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب معناه لكن سيوفهم
بهن فلول وليس بعيب وكان ابو عبيدة يقول الا هاهنا بمعنى واو النسق كانه قال لئلا يكون للناس
عليكم حجة ولا الذين ظلموا قال الفراء هذا صواب في التفسير خطا في اللغة وانما تكون الا بمنزلة الواو
اذا عطفت على استثناء قبلها كقولك لك الف درهم الا عشرة دراهم الا مائة درهم معناه لك على الف درهم
ومائة الا عشرة كانك اغفلت المائة ثم استدركتها فقلت اللهم الا مائة قال الشاعر
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان فانه معناه ولا دار مروان واما غير ذلك فقوله
غير واحدة ... قوله تعالى فلا تخشوهم اي لا تخافوا الكفار في انصرافكم الى الكعبة وخافوني في ترككم ذ
ولاتم نعمتي عليكم بالهداية الى قبلة ابرهيم عليه السلام وهذا معطوف على قوله تعالى لئلا والعامل فيهما
قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره ومعنى قوله تعالى ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة فان
قيل كيف اعاد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وما فائدة تكرار هذا اللفظ
قلنا قد قدمنا ذكر الفائدة في كل لفظ على حدة فلا تكرار في الحقيقة وقيل ان الاعادة لاتصال كل واحدة

لكن م

على م

من

من الآيات الثلث بمعنى غير المعنيين الآخرين لان الاولى متصلة بكتمان اليهود امر القبلة والثانية متصلة
باخبار الله تعالى عن حقيقته ورفع الشك فيه والثالثة متصلة بقوله تعالى لئلا للناس عليكم
حجة وفي الجملة ان نسخ القبلة امر عظيم لا يبعد مثله من التاكيد والاعادة ليكون الناس على يقين
من ذلك ومعرفة في حكمه ومصالحه وبالله التوفيق قوله عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
خطاب للعرب المعنى كما انعمنا عليكم برسالة محمد اي منكم اليكم فاذكروني ويجوز ان يوصل قوله
تعالى كما ارسلنا بما تقدمه اي ولاتم نعمتي عليكم كما ابتدات النعمة بارسال الرسول منكم اليكم لان
اختيار الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستدعاء الى الاسلام
لانه لو اختاره من العجم لكانت العرب مع عزتها وحميتها لا تتبعه فاختياره له من قريش نعمة عليهم و
شرف لهم يتلو عليكم آياتنا القرآن ويطهركم باخذ زكوة اموالكم ويامركم باشياء تكونوا بها ازكياء اذا
تمسكتم بها ويعلمكم الكتاب اي القرآن والحكمة الفقه والموعظة ومعرفة التاويل والسنة ويعلمكم من اقاصيص
الانبياء صلوات الله عليهم واخبارهم ما لم تكونوا تعلمون قبل ارسال الرسول اليكم قوله عز وجل
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون متصل بما قبله على ما تقدم ذكره ومعنى الآية والله تعالى
اعلم اجعلوا ذكركم اياي على مقادير كثرة نعمتي عليكم فاذكروني بالتوحيد والطاعة اذكركم بالرحمة و
المغفرة ويقال اذكروني عند الرخاء اذكركم عند البلاء واذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة واذكروني بالصبر اذكركم
بالمخرج واذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة واذكروني في الدنيا بالاخلاص اذكركم في الآخرة بالخلاص واذكروني
في ملا من الناس اذكركم في ملا من الملائكة واشكروا لي نعم الدين والدنيا كلها ولا تكفروا ايادي واحساني اليكم فان
قيل هل يجوز ان يكون جميع ما ورد في معنى هذه الآية مرادا قلنا نعم لان جميع وجوه الذكر على اختلافها
راجع الى معنى واحد كاسم الانسان يتناول الذكر والانثى والاخوة يتناول الاخوة المتفرقين كذلك ذكر الله
تعالى لما كان المعنى فيه طاعته والطاعة تكون تارة بالذكر باللسان وتارة بالعمل بالجوارح وتارة باعتقاد
القلب وتارة بالفكر في دلائله وحججه وتارة في عظمته وتارة في دعائه ومسئلته جاز ارادة الجميع بلفظ
واحد كلفظ الطاعة نفسها جاز ان يراد بها جميع الطاعات على اختلافها اذا ورد الامر بها مطلقا نحو قوله
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله تعالى
فقد ذكر الله تعالى وان قل صومه وصلوته ومن عصى الله تعالى فقد نسي الله تعالى وان كثر صومه وصلوته
وافضل وجوه الذكر الفكر في دلائل توحيد الله تعالى وعظمته وقدرته وسائر وجوه الذكر مبني عليه وتابع له
وبه يتم معناه قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد به ذكر القلب الذي هو الفكر في دلائل توحيد الله
تعالى وآياته وكلما ازددت فيه ذكرا للتعرف ربك او للتعرف دينك او لنفي الشبهة او لتعلم الغير ازددت
اليه طمانينة وسكونا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير
الرزق ما يكفي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم بخير اعمالكم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من ان تلقوا العدو فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم وخير لكم من انفاق
الذهب والفضة قلنا ما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال حق على الله تعالى ان يذكر من ذكره فمن ذكره من اهل طاعته ذكره الله تعالى بالمغفرة و
ذكر من اهل معصيته ذكره الله تعالى باللعنة وسوء الدار قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين وذلك ان الله تعالى لما اوجب العبادات جميعا
بقوله تعالى فاذكروني اذكركم وامر بالشكر عقب ذلك ذكر ما يكون معونة عليهما فقال عز من قائل يا ايها الذين

نكون م

شبكة الألوكة

آمنوا اي اقروا وصدقوا بتوحيد الله يقول الله تعالى استعينوا على ما امركم من عبادة وشكر بالصبر على اداء الفرايض والاجتناب عن المحارم وبالمواظبة على الصلوة والاستكانة ان الله مع الصابرين على اداء الفرايض بالنصر والمعونة والتسديد واعانهم الله تعالى والله اعلم بالاستعانة بالصبر والصلوة لان الصبر قصر النفس وتوطينها على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وان لا يعدل عند النوايب والمحن وعند ما يلزم من تحمل المشاق الى الجزع والتواني والصلوة تشتمل على الخشوع والخضوع والتذلل الذي يرقق القلب ويورث الخوف وما فيها من الذكر يتضمن الوعظ والوعد والوعيد وذلك كله يبعث على اداء الطاعة وترك المعصية ومن عود نفسه وقلبه على الصلوة وذلل نفسه وقلبه هذا التذلل سهل عليه من طاعة الله تعالى ما يصعب على غيره والصبر اشق الطاعات الباطنة والصلوة اشق الطاعات الظاهرة وبهما يستعان على ساير الواجبات قوله عز وجل **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون** وذكر ان المسلمين كانوا يقولون للشهدا ببدر واحد مات فلان وفلان وكان الكفار يقولون على طريق الطعن والذم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون انفسهم في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله تعالى المومنين الذين امرهم بالاستعانة على الجهاد والفرايض بالصبر والصلوة ان يقولوا مثل هذا القول ونبه على ان ذلك كذب بقوله تعالى بل احياء وقد اختلف المفسرون في حيوة الشهدا **قال** الحسن ومجاهد وقتادة وعامة اهل التاويل انهم احيا على الحقيقة **وقال** بعض من شذ عن الاجماع انهم ليسوا باحيا بل هم اموات ولكن الله تعالى سماهم احيا لما نالوا من جميل الذكر والثنا وهذا كما روي عن امير المومنين علي رضي الله عنه انه قال مات خزان الاموال والعلما باقون ما بقي الدهر امثالهم في القلوب موجودة واعيانهم في الارض مفقودة وكما قال الشاعر موت التقي حيوة لا انقضا لها قد مات قوم وهم في الناس احياء **وذهب** بعضهم الى ان المراد بالحيوة الحيوة المستقبلة عند البعث والنشور حين يسكن الشهدا الجنة فيعيشون العيش الرغد وقال ان المراد بالاية لا تقولوا انهم اموات لا ينشرون ولا ينتفعون بما لقوا من الشدايد والمكروه وقيل لا تقولوا انهم اموات في الدين كما قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه والصحيح من هذه الاقاويل هو القول الاول انهم اليوم احيا على الحقيقة لان الله تعالى قال ولكن لا تشعرون ولو كان المراد بقوله بل احيا على معنى انهم استحقوا جميل الذكر والثنا او انهم يحيون عند البعث لكنا نشعر بذلك فان قال قايل ان جثة الشهيد مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يكون عليها شي من علامات الاحيا وربما تبقى في القبور بعد مرور الازمان عليهم فكيف يكون معنى الحيوة قيل له اختلف الناس في هذا فذهب بعض منهم الى ان الانسان هو الجسم اللطيف الدقيق المنحصر في هذا الهيكل المتنعم وهو لا يحس هذا الجسم الكثيف كالقنا الانسان الجثة وغيرها والبوس في النعيم له دون الجثة الكثيفة فاذا فارق اللطيف الكثيف بلي الكثيف وبقي ثم يكون اللطيف بعد الموت ان كان سعيدا ينعم في الجنة الى يوم القيمة وان كان شقيا يعذب ويولم ويخوف الى يوم القيمة فعلى هذا لا يتاتى هذا السوال لان الجثة وان كانت مطروحة على الارض فالذي هو الحي غايب في هذا الوقت على هذا القول وهذا كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم قالوا يا ليت اخواننا علموا ما اعد الله لنا من الكرامة لئلا يجبنوا في الحرب ولم ينكلوا عند اللقاء

قال

قال الله تعالى انا مبلغهم عنكم فانزل الله جل ذكره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين الى اخر الاية ومنهم من قال ان الانسان هو هذا الجسم الكثيف الا انهم اجابوا عن هذا السوال بجوابين احدهما انه يجوز ان تكون الجثة مطروحة على الارض لا يرى عليها شي من علامات الاحيا ثم تكون الجثة مع ذلك تصل اليها اللذات كما ان النايم لا يرى عليه شي من علامات من يعلم شيا او يحس بشي ثم قد تكون عنده اللذات والسرور بما يرى في المنام واذا انتبه اسف عليها فانه مما كان يراه في النوم وقد يكون النايم في غموم واهوال بما يراه في النوم حتى اذا انتبه استراح **وقد روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفسح للمومن مد بصره في قبره فيكون في روضة على حالة جميلة تصل اليه طيب ريحها ولذيذ نسيمها ويقال له نم نومة العروس ويضيق على الكافر قبره ويفتح له باب من ابواب النار ويصل اليه من حرها وسمومها ويقال له نم نومة المنهوش وفي هذه الاية والخبر دلالة على عذاب القبر والجواب الثاني ان الله تعالى يحفظ اجزاء الشهيد بقدر ما تقوم به البنية الحيوانية ليحييها ويوصل اليها اللذات والنعيم وتكون الحيوة لتلك الاجزاء اللطيفة وان كانت عامة جثة الشهيد مطروحة على وجه الارض فان قيل اذا كان ساير المومنين عندكم منعمين في البرزخ فلما اختص الله تعالى الشهدا بانهم احيا قيل له يجوز ان يكون اختصاصهم بالذكر في هذه الاية للتشريف وعلى جهة تقديم البشارة بذكر حالهم فان درجتهم في الجنة ارفع ومنزلتهم اعلا واشرف كما قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين قوله عز وجل **ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين** روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الاية اخبر الله تعالى ان الدنيا دار بلا وان الله تعالى يبتليهم فيها وامرهم بالصبر وبشرهم بالثواب لتطيب انفسهم ومعنى الاية والله تعالى اعلم ولنبلونكم ولنختبرنكم معشر المومنين بشي من الخوف خوف العدو والفزع في القتال والجوع بقحط السنين وقلة ذات اليد ونقص من الاموال هلاك المواشي وذهاب الاموال وقيل لانهم اذا اشتغلوا بالقتال احتاجوا الى الانفاق مما في ايديهم ومنعهم اشتغالهم بالقتال عن التكسب وغير ذلك من الاموال فلهذا قال ونقص من الاموال وقوله تعالى والانفس اراد به الموت والقتل والامراض والثمرات ان لا تخرج الثمار والزرع كما كانت تخرج من قبل وقيل اراد بالثمرات الاولاد لان الولد ثمرة القلب وهم اذا اشتغلوا بالقتال منعهم ذلك عن عمارة البساتين وعن مناكحة النسا فيقل غرس بساتينهم ويقل اولادهم وبشر الصابرين الذين يصبرون على هذه الشدايد وانما امتحنهم الله تعالى بهذه الامور لامرين احدهما انه لو اصاب من بعدهم مثل هذه الاحوال علموا ان ما اصابهم من ذلك لم يكن لنقصان درجتهم عند الله تعالى وانه قد اصاب مثل هذه الامور من هو اعلا درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضي عنهم والثاني ان الكفار اذا شاهدوا ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابهم مثل هذه الامور فصبروا على دين محمد صلى الله عليه وسلم ونصرته مع مقاساة الفقر والشدايد علموا انهم مع كونهم عقلا انما صبروا على هذه الامور لاجل الكرامة التي وعدها المومنين فيدعوهم ذلك الى الدخول في هذا الدين والثبات عليه ويجوز ان يكون فايدة تقديم الله تعالى اليهم ذكر ما علم انه يصيبهم في الله تعالى من هذه البلايا والشدايد ان يوطنوا انفسهم على الصبر عليها اذا وردت فيكونون ثابتين بتوطين النفس عليها قبل الفعل ويكون ذلك ابعد لهم من الجزع واسهل عليهم بعد الورود قوله عز وجل **الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا**

قالوا انا لله وانا اليه راجعون صفة الصابرين الذين ذكرهم الله تعالى وبشرهم برضوانه ومعنى الآية الذين اذا اصابتهم مصيبة من هذه المصائب قالوا نحن عبيد الله وفي ملكه وقبضته يحكم فينا بما يشاء من الشدة والرخاء ان عشنا فعليه ارزاقنا وان متنا فاليه مردنا وفي الاقرار بالعبودية لله تعالى تفويض الامور اليه والرضا بقضائه وان الله تعالى ان يبتليهم بما يشاء تعريضا منه لثواب الصبر واستصلاحا لهم بما هو تعالى اعلم به اذ هو عبيدهم في فعل الخير والصلاح فان افعاله كلها حكمة وفي الاقرار بالبعث والنشور اعتراف بان الله تعالى يجزي الصابرين على قدر استحقاقهم ولا يضيع اجر المحسنين وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في اهله او ولده او بدنه فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انشر له ديوانا او انصب له ميزانا وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ولد الرجل يقول الله تعالى للملائكة وهو تعالى اعلم اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول تعالى فماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اصابته مصيبة فليذكر مصيبته فيّ فانها من اعظم المصائب وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر عظم المصيبة ومن استرجع بعد المصيبة جدد الله تعالى له اجرها كيوم اصيب بها وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعط احد قبلهم وهو كلمة الاسترجاع ولو اعطيها الانبياء صلوات الله عليهم لاعطيها يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا على يوسف وقد اشتملت هذه الآية على حكمين فرض ونفل فاما الفرض فهو التسليم لامر الله تعالى والرضا بفعله واما النفل فاظهار القول بانا لله وانا اليه راجعون قوله عز وجل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون يقول اهل هذه الصفة وهم الصابرون على طاعة الله تعالى عليهم ثناء جميل من ربهم ومغفرة وبركة ورحمة لهم وهي النعم التي لا يعلم مقاديرها غير الله عز وجل كما قال في آية اخرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واولئك هم المهتدون الى ما امروا به من الطاعات ومجانبة المعاصي وقيل هم الموفقون للاسترجاع ونيل الثواب و اصل الصلوة في اللغة هو اللزوم يقال صلي واصطلى اذا لزم ومن هذا ما يصلى في النار وفي الآية بشارة عظيمة وشهادة بالاهتداء بالغة لمن فوض امره الى الله واستسلم لمقادير الله تعالى روي عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الآية فقال نعم العدلان ونعم العلاوة يعني بالعدلين قوله تعالى عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبالعلاوة قوله تعالى واولئك هم المهتدون قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الآية الحكم مستانف الآية منتظم بما قبله ومتصل به وفي اتصاله وجهان احدهما انه جرى فيما تقدم ذكر الاستعانة بالصبر والصلوة على سائر الطاعات والسعي بين الصفا والمروة من جملة الطاعات والثاني انه ذكر فيما مضى الاهتداء الى الطاعات ثم ذكر السعي بين الصفا والمروة اي هم المهتدون ايضا وسبب نزول هذه الآية ما روي ان اسافا ونائلة رجلا وامراة من قريش كانا يطوفان بالبيت في الجاهلية فاصابا خلوة فاراد

احدهما

احدهما صاحبه فمسخهما الله تعالى نحاسا فقالت قريش لولا ان الله رضي ان يعبدا ما مسخهما نحاسا فاخرجوهما الى الصفا والمروة فوضعوا اسافا على الصفا ونائلة على المروة وكانوا اذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الاسلام تحرج المسلمون السعي بين الصفا والمروة لمكان الصنمين وقالت الانصار ان السعي من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الآية و معنى الآية والله تعالى اعلم ان الصفا والمروة من اعلام متعبدات الله تعالى فمن قصد البيت بالعمل المشروع للحج من الاحرام والطواف والوقوف والسعي وغير ذلك او زار البيت بالعمل المشروع للعمرة من الاحرام والطواف والسعي فلا اثم عليه في الطواف بين الصفا والمروة اي لا يتحرج من الطواف بهما لمكان الاصنام التي عليهما لا لعين الطواف لان الطواف بهما واجب ونظير هذا ان يكون الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة فيه الا متوجها الى بعض المواضع التي يكره التوجه اليها في الصلوة مثل الحمام او المخرج فيقال له عند ذلك لا جناح عليك في ان تصلي الى هذه المواضع لا يراد بذلك رفع الجناح عن فعل الصلوة لاجل عين الصلوة لان عين الصلوة واجبة وانما يراد بذلك رفع الجناح لاجل المكان الذي يتوجه اليه كذلك في هذه الآية لم يرد رفع الجناح عن الطواف بهما لعين الطواف لان الطواف واجب والمطوف له هو الله تعالى فلا معتبر بكون الاصنام على الصفا والمروة وذهب بعض الناس في معنى هذه الآية الى انه لا حرج عليه في ان لا يطوف بهما وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا وكقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة اي لا تقولوا وهذا تاويل من يقول ان السعي بين الصفا والمروة غير واجب وهو قول عطا وانس رضي الله عنهما وفي قراءة ابن عباس وابي فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في اخر الآية ومن تطوع خيرا قالوا وهذا يبين انه تطوع فاما على القول الاول الذي ذكرناه ان السعي بين الصفا والمروة واجب فمعنى من تطوع خيرا اي زاد على الطواف الواجب بعمل العمرة او الحجة الثانية فان الله تعالى شاكر له عالم بثوابه وفي الآية ما يدل على وجوب السعي بين الصفا والمروة لان الله تعالى سماهما من شعائر الله تعالى وذهب الشافعي رحمه الله الى ان السعي بين الصفا والمروة ركن لا يقوم الدم مقامه وليس اذا سمى الله تعالى السعي من شعائره ما يدل على انه ركن من اركان الحج فان الله تعالى سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا خلاف ان الدم يقوم مقام الوقوف بالمزدلفة اذا ترك الحاج الوقوف بمزدلفة غداة يوم النحر والصفا في اللغة الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئا وهو جمع واحده صفاة مثل حصاة وحصى ونبقة ونبق والمروة الحجارة اللينة الا انهما صارا في العرف والاستعمال اسمين لموضعين معروفين وقيل انما سميت الصفا صفا لانه جلس عليها صفي الله تعالى آدم صلوات الله عليه وسميت المروة مروة لانها جلست عليها امراة حوا والشعائر معالم الحج من موقف ومسعى ومنحر وسائر المناسك واحدها شعيرة قال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ومن هذا اشعار الهدي وهو اعلامه بشق واصله العلم لانه يعلم بعلامة يقال شعرت بكذا اي علمته والحج في الشرع هو اسم للنسك المعروف وفي اللغة اسم للقصد وتسمى الطريق محجة لانه يقصد والحجة فعلة من الحج سميت بذلك لانه يقصد ابطال قول الخصم والعمرة هي النسك المعروف في الشريعة فاما في اللغة فهي الزيارة وهي ماخوذة من العمارة و سميت زيارة البيت عمرة لان الزائر يعمر المكان بالزيارة والجناح هو الميل في اللغة يقال اجنحه فجنح اي اماله فمال ومن ذلك جناح الطير قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا اليه فكان الجناح الميل الى ما فيه ماثم والطواف هو الدوران نقرا فلا جناح عليه ان يطوف

شبكة الألوكة

بهما فاما على ظاهر القراءة فاصل يطوّف يتطوّف ادغمت التاء في الطاء لقرب المخرجين ومن قرا يطوف
بضم اليا وكسر الواو فهو من طوّف اذا اكثر الطواف والتطوّع هو تبرّع الانسان من ذات يده بما
ليس بفرض عليه يقال طاع يطوع اذا انقاد واطاع يطيع اذا مضى لامره وطاوعه اذا وافقه والفرق
بين التطوع والطاعة ان الطاعة هو موافقة الامر والتطوع هو التبرع المبتدا ومن قرا ومن يطّوّع اي
ومن يتطوع فالاصل يتطوع ادغمت التاء في الطاء والشاكر في صفات الله تعالى المجازي لان الشكر
هو اظهار النعمة والله تعالى جل ذكره من ان يكون لاحد عليه نعمة فوصفنا الله تعالى انه شاكر اي مجاز
على الشكر فيكون هذا تسمية الجزاء على الشي باسم المجزي عليه الا ان الله تعالى اخرج الكلام مخرج
التلطف مظاهرة بالانعام والاحسان وهو كقوله تعالى من الذي يقرض الله قرضا حسنا سمي الصدقة
قرضا حسنا تلطفا على معنى ان الله يرد على المتصدق اضعاف ما تصدق به قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ نزلت في اليهود الذين كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم
وصفته في التورية وكتموا امر القبلة فذكر الله تعالى عاقبة امر الكاتمين وما يستحقون على الكتمان
من العقوبات ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يكتمون ما انزلنا من الاحكام والقران بصفة الهدى
يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما اوضحناه للناس في التورية والانجيل اولئك اهل
هذه الصفة يبعدهم الله من رحمته بايجاب العقاب لهم ويلعنهم اللاعنون المومنون من الجن
والانس والملائكة ولعن الخلائق دعاؤهم عليهم بالتبعيد من الله تعالى والابعاد وعن ابن
عباس انه قال في تفسير هذه الاية ان الكافر اذا وضع في قبره يسئل من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول لا ادري فيقول له منكر ونكير لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة يسمعها كل شي
الا الثقلين فلا يسمع صوته الا لعنه فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وعن ابن مسعود
انه قال هو الرجل يلعن صاحبه في الامر فترفع اللعنة الى السما ثم تنزل فلا تجد صاحبها الذي
قيلت له اهلا فترجع الى الذي تكلم بها فلا تجده لذلك اهلا فتنطلق فتقع على اليهود وعن مجاهد
انه قال اللاعنون هم دواب الارض وهوامها فيقولون منعنا القطر بمعاصي ابن ادم
وفي الاية دلالة وجوب اظهار علوم الدين وتنبيه للناس وزجر عن كتمها لانها وان نزلت الاية
على سبب لا يمنع اعتبار عمومها اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علما يعلمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار
وفي الاية دلالة على امتناع جواز اخذ الاجرة على الطاعة من حيث دلت على لزوم اظهار
العلم وترك كتمانه اذ غير جائز الاستحقاق الاجر على ما عليه فعله الا ترى انه لا يصح استحقاق
الاجر على الاسلام قوله عز وجل إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اعلام من الله تعالى انه يقبل التوبة من الذنب الذي لا غاية
بعده يقول الا الذين تابوا من اليهودية واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم ويقال
اصلحوا ما كانوا افسدوه عن لا علم له وبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم و
شهدوا بالحق فيما عندهم من العلم فاولئك اقبل توبتهم واتجاوز عنهم وانا المتجاوز
التائبين الرحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دلالة ان التوبة لا تنفع فيما يراد بها الا بعد
ان يقرن التائب اليها سائر ما يلزمه فيصلح ما يلزمه فيصلح ويصلح ما افسده من الناس
لهذا قالوا ان من عمل بالمعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن جهر بالمعاصي فلا بد من ان يجهر

الى م
ق
ش ع

بالتوبة قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ عام في جميع
الكفار من الكاتمين وغيرهم يقول ان الذين ثبتوا على كفرهم ولم يتوبوا من الكفر قبل موتهم اهل
هذه الصفة عليهم لعنة الله تعالى ولعنة الملائكة ولعنة جميع الناس اما المومنون فيلعنونهم في الدنيا
والاخرة واما الكفار فيلعن بعضهم بعضا في الاخرة كما قال الله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وعن ابي العالية ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله تعالى ثم
الملائكة ثم الناس اجمعون ومعنى خالدين فيها اي في اللعنة واللعنة هاهنا النار لان معنى اللعنة
ابعاد الله تعالى من رحمته وابعاده من رحمته عذابه ومعنى لا يخفف عنهم العذاب لا يهون عليهم
طرفة عين ولا يمهلون ساعة للاستراحة يستغيثون فلا يغاثون ويستعتبون فلا يعتبون ولا
يؤذن لهم فيعتذرون وقرا الحسن رضي الله عنه والناس اجمعون بالرفع ووجه قراءته انه
رد اللفظ على المعنى لان معنى قوله تعالى عليهم لعنة الله لعنهم الله والملائكة وهذا كما يقال عجبت
من ضرب زيد وعمرو ومن قيامك واخوك اي عجبت من ان ضرب زيد وعمرو ومن ان قمت انت
واخوك وفي هذه الاية دلالة على ان على المسلمين لعن من مات كافرا لان قوله تعالى والناس
اجمعين يقتضي امرنا بلعنه بعد موته فلا يسقط اللعن عن الكافر بزوال التكليف عنه بموته
او جنونه قوله عز وجل وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله تعالى ذكر فيما مضى قصة الكفار من عبدة الاوثان واهل الكتاب ثم ذكر من بعد توحيد
المومنين وبين معبودهم خلاف معبود الكفار وقال بعضهم هذه الاية خطاب لمشركي مكة كانت لهم
ثلثماية وستون صنما يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص في عبادته
وقيل نزلت هذه الاية في صنف من المجوس يقال لهم الثانوية قال بعضهم واسمه ماني ارى الاشياء
زوجين وضدين مثل الليل والنهار والظلمة والنور والخير والشر والحر والبرد والحزن والسرور
فمن كان خالق الخير لا يكون خالق الشر فهما اثنان احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر ومعنى
الاية والله اعلم ان الذي يستحق ان تولهه قلوبكم اليه في المنافع والمضار وفي جملة حوائجكم في التعظيم
له اله واحد لا يستحق الالهية احد غيره وهو العاطف على خلقه المتعطف بهم تنفهم من وحدانية
الله تعالى اربعة معان احدها واحد لا يتجزا وليس بذي ابعاض وما جاز عليه التجزي والتقسيم فليس
بواحد على الحقيقة والثاني واحد في استحقاق العبادة والوصف له بالالهية لا يستحق لذلك سواه
والثالث واحد في صفاته لا يشركه فيها احد مثل صفة الرحمن والقديم ونحو ذلك فان الله مختص
بصفات واسما لا يوجد منها شي في غيره والرابع واحد في انتفاء النظير والكفو والمثل فاما اذا
وصفناه جل ذكره بانه قادر او عالم لم يشركه في كيفية استحقاق ما يجري الصفتين احد ان الله تعالى
عالم بالمعلومات كلها على وجه لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاشيا كلها على وجه لا يصح عليه
العجز ونحن نعلم بعض المعلومات ولا نعلم بعضها ونقدر على بعض الاشيا دون بعض ويصح
علينا العجز والجهل وكذلك اذا وصفنا الله تعالى بانه حي او غني او باق فهذه صفات لا يتصور عليه
فيها الزوال والنقصان فاما قوله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لفظ يقتضي نفي معبود الكفار واثبات معبود
المومنين ويقال فيه نفي الالهية عمن لا يستحق الالهية واثبات الالهية لمن يستحقها وانما قرن
هذا اللفظ والله تعالى اعلم بالرحمة لان العبادة انما يستحق باعلا مراتب النعم فلذلك بولغ في صفة
الرحمة روي انه لما نزلت هذه الاية انكر المشركون توحيد الله تعالى فانزل الله تعالى قوله عز وجل

وقيل المأثورة ع
بيانه ع

شبكة الألوكة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ المعنى والله اعلم ان في خلق السموات بما هي عليه من سقف بغير عمد ترونها مزيّن بالمصابيح والارض بما فيها من البر والبحر والسهل والجبل ومعادن الذهب والفضة وساير اصناف الجواهر والوان النبات والخلق واختلاف الليل والنهار في الصفة واللون اسود وابيض وفي المجي والذهاب على تعاقب كل واحد منها خليفة صاحبه يخلف احدهما الاخر بيا وفي الزيادة والنقصان باخذ كل واحد منهما من صاحبه فيختلفان ابدا ولا يتفقان في السنة الا مرة وفي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس في التكسب وغير ذلك وفيما انزل الله من السما من ما المطر فاحيى به الارض بعد يبسها وذهاب النبات عنها وخلق وفرق في الارض من اجناس الدواب والحيوانات وفي تقليب الرياح شمالا وجنوبا ودبورا وصبا وفي السحاب المذلل بين السما والارض لمنافع بني ادم لعلامات والة على وحدانية الله تعالى لقوم يميزون ويعرفون انه لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا وقد اشتملت هذه الاية على دلايل التوحيد كل واحدة منهما بانفرادها حجة على ثبوت وحدانية الله تعالى اما السما والارض فهما جسمان كثيفان من شانهما التسفل فانشاهما الله تعالى كما ترى في الهوا لا للارض عمد من تحتها ولا للسما علايق من فوقها ولو اجتمع الخلق كلهم على اقامة حجر في الهوا من غير عمد تحته ولا علاقة فوقه لم يقدروا على ذلك فلا بد من معرفة صانع قديم اذ لا يجوز ان تقيم السموات انفسها على غير قرار لان الحي اذا كان جسما لم يمكنه فالجمادات اولى ان يتعذر عليه ذلك واما الليل والنهار فيتعاقبان تعاقب الضد والضدان لا يجتمعان في الوجود ولا بد من ان يتقدم احدهما عن وجود الاخر ولا يجوز عليهما القدم لان القديم واجب الوجود لنفسه اذ لم يكن واجب الوجود لنفسه لم يكن بالوجود اولى منه بالعدم وما لا يكون بالوجود اولى منه بالعدم لا يوجد الا بايجاد موجد والموجد لا بد من ان يتقدم ما اوجده وما تقدمه غيره لا يكون قديما والقديم ما لا يصح عليه العدم وما يصح عليه العدم لا يكون الا محدثا ولا بد للمحدث من محدث لا يشبهه واما الفلك فلولا جري الما برقته وحركة الرياح لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى كما قال جل ذكره في اية اخرى ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره واما انزال الما من السما فغير ممكن الا من الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال او المنخل ليخرج المطر منه قطرة قطرة ولا يلتقي منه قطرتان في الجو اذ لو خلق الله تعالى السحاب على هيئة اخرى لخرج المطر جملة منهمرا سيما لا فكان يغرق ما يأتي عليه كما كان في وقت طوفان نوح عليه السلام قال الله تعالى ففتحنا ابواب السماء بما منهمر وهذا لا يكون الا من فعل قادر عليم حكيم واما احيا الارض بالنبات فلو اجتمع الخلق كلهم على احيا شي لم يقدروا عليه واعا سمى الله تعالى عمارة الارض حيوة لان النبات اذا بدا نبا له الارض فكانما يتحرك ويحيى قال الله تعالى فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت لا نراتها من النبات وقيل معنى الاحيا تسمية انها اذ الارض جماد لا يطلق اسم الحيوة عليها لحذف المضاف لدلالة الحال واما قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي من الاجناس المختلفة كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الى اخر الاية واما تصريف الرياح فلو لم يكن ذلك فعل فاعل حكيم مختار لوجب ان تكون الرياح

على

على صفة واحدة في جميع الاحوال وقيل في معنى تصريف الرياح اختلافها في كون بعضها نعمة وبعضها عذابا واما السحاب المسخر بين السماء والارض مع كونه جسما كثيفا من غير شي يعوده من تحت او يعلقه من فوق دليل على ان له موقفا اوقفه في الجو على هذا الحد واما ذكر الارض في هذه الاية بلفظ الوحدان فلمعنيين احدهما ان الارض من اسما الاجناس يقع على الواحد والجمع كالما والتراب وقد ذكر تعالى عدد الارض في اية اخرى حيث قال عز من قايل سبع سموات ومن الارض مثلهن والثاني ان السموات صنعت من اشيا مختلفة فاستحقت الجمع في اختلاف الاجناس والارضون من شي واحد وهو الطين والحجر والمدر فجا بالجنس اذ الجنس دال عليه واسم الفلك يقع على الواحد والجمع يقال للسفينة الواحدة فلك وذلك نحو نحل ونخل وشتم وشتم فاما في لفظ الجماعة نحو اسد واسد والله تعالى اعلم قوله عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ وذلك ان الله تعالى لما بين امر التوحيد وبين الادلة عليه ليستدل بها العاقلون على ذلك عطف على ذلك ذكر من عدل عن التوحيد بعد هذا البيان والبرهان فقال ها هنا ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون يرون الايات ولا يستدلون بها على التوحيد ويتخذون مع رؤيتهم اياها لله تعالى اندادا اي اعدالا اي شركا وامثالا وهي الاوثان جعلوها امثالا لله تعالى اي عبدوها مع الله تعالى يحبونها كمحبتهم لله تعالى اي يسوون بينها وبين الله تعالى في المحبة في الحب لله في الحقيقة هو الحب لتعظيمه ومدحه وعبادته فلما احبوا الاصنام على التعظيم العبادة والمدح والتعظيم كما احبوا الله تعالى كانوا قد احبوا الاصنام كحبهم لله تعالى وقيل معنى يحبونهم كحب الله اي يحبونهم كما يحب ان يحب الله تعالى وقيل معناه يحبونهم كحب المومنين لله تعالى ثم قال الله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله اي المومنون يخلصون في محبة الله تعالى لا يشركون معه غيره وهم يشركون معه معبودا غيره وقيل معناه ان المومنين يعبدون الله تعالى على كل حال والكفار يعبدون الاوثان في الرخا فاذا اصابتهم شدة تركوا عبادتها والدليل على ان حقيقة الحب الطاعة ما قال القايل شعر هذا البيت

لو كان حبك صادقا لأطعته ❊ إن المحب لمن يحب مطيع ❊

فكل من كان احب لله تعالى فهو اشد حبا له وقيل ابو سليمان الداراني عن اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى فبكى وقال اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى ان يطلع الله تعالى على قلبه لا يرى فيه من الدنيا والاخرة الا هو واما قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب اي لو راى عبدة الاوثان اليوم ما يرون حين رؤية شدة عذاب الله تعالى وقوته لتركوا عبادة الاوثان ومحبتها وقرى يرون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله ومن قرا ولو ترى بالتا على سبيل المخاطبة فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو رايتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حين يبصرون العذاب لان القوة لله جميعا ولان الله تعالى شديد العقاب للروسا والاتباع من اهل الاوثان لرايت امرا عظيما وشيئا فظيعا وهايلا وانما لم يذكر الجواب لان المعنى يدل عليه كما يقال لو رايت فلانا تحت السياط فيستغني عن الجواب اذ حذف الجواب في مثل هذا المواضع ابلغ في الفصاحة لانك اذا حذفت احتمل الكلام اشيا كثيرة فاذا بينت كان الجواب مقصورا على اللفظ واما من قرا ان القوة لله جميعا وان الله كلاهما بالكسر فعلى معنى الابتدا وقراة العامة بالنصب على معنى البنا اي بان القوة لله جميعا ونظير هذا قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والكسر لا تظما فيها والكسر على العطف والابتدا ومعنى شدة العذاب في الاية انه يجعل مع كل عذاب لما روي ان من صفة نار جهنم الا من اخرج منها وادخل نار الدنيا وقع عليه النوم استراحة دوعه قوله عز وجل إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ

وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ متصل بما قبله المعنى ان الله تعالى شديد العذاب وقت يتبرأ المتبعون من التابعين وهذا زيادة وعيد للكفار لان الله تعالى بين في هذه الآية ان القادة والاشراف من عبدة الاوثان يتبرؤون عند ذلك من الذين اتبعوهم في تعظيمهم وعبادتهم واتباعهم وقصروا انفسهم على الاتباع لهم واعتقدوا ان ذلك من اوكد اسباب نجاتهم الا ان ذلك اليوم يتبرؤون منهم عند مشاهدة العذاب ومعنى رأوا العذاب اي دخلوا جميعا النار وعاينوا ما فيها وهذا كقول القائل قد رأيت البحر وعقد يريد بذلك انك شاهدته وكنت فيه ومعنى قوله وتقطعت بهم الاسباب اي الوصلات في الحلف والمودة التي كانت بينهم في الدنيا يتحابون عليها واصل السبب الحبل يشد بالشيء يجذب به ثم جعل كل ما جر شيئا سببا وتقطع الاسباب ان لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه واما قوله تعالى وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اي قال السفلة والخدم لو ان لنا رجعة الى الدنيا لتبرأنا منهم في الدنيا كما تبرؤوا منا في الآخرة يقول الله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي كتبرؤ بعضهم من بعض يريهم الله تعالى اعمالهم التي عملوا في الدنيا لغير الله تعالى ندامات تحطهم في الآخرة كما اراهم تبرؤ بعضهم من بعض ويقال كما اراهم العذاب وكل عمل عمل في الدنيا لغير الله تعالى فهو حسرة وندامة يوم القيامة وقال السدي في قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم ان الله يريهم الجنة ثم يرفع لهم فينظرون الى بيوتهم والى منازلهم فيها لو اطاعوا الله تعالى فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله تعالى ثم يقسم ذلك بين المؤمنين واما قوله تعالى وما هم بخارجين من النار اي القادة والاتباع كلهم من عبدة الاوثان مقيمون خالدون في النار لا يخرجون منها ابدا آيسهم الله تعالى بهذه الآية عن الخروج من النار وبين انهم انما يتحسرون في وقت لا ينفعهم الحسرة وفي الآية زجر عن المعاصي وعن اتباع غير امر الله تعالى على سبيل الهوى والتقليد واما انتصاب قوله تعالى فنتبرأ منهم على جواب التمني لان معنى لو ان لنا كرة ليت لنا كرة ولو قرئ بالرفع لجاز في علم الابتدا تقول ليت لنا مالا فنحج فاكرمه وفاكرمه كلاهما بالنصب والرفع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس في الجنة حسد ولكن فيها حسرة وان اشد الناس حسرة يوم القيامة لثلثة نفر رجل يكسب المال ولا ينفق في الحق وورثه من انفقه بالحق فيرى ثواب ماله في ميزان غيره ورجل تعلم العلم وعلم الناس فعملوا به فيرفعون الدرجات وهو لا يعمل بعلم نفسه ورجل كان له عبد صالح ترفع درجته فوق درجة مولاه قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وذلك ان الله تعالى لما ذكر الموحدين في ثوابهم والكفرين وعقابهم اتبع ذلك بذكر نعمه في الدنيا على الفريقين واحسانه اليهم وان معصية من عصاه وكفر من كفره لا يمنعه من الاحسان الى الكافة فقال عز من قايل يا ايها الناس كلوا مما في الارض من الزروع والانعام وغيرهما مما احل الله تعالى لكم حلالا طيبا يجوز ان يكون من في قوله تعالى مما في الارض على التجنيس اي كلوا ما في الارض من الحلالات كما في قوله وكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون للتبعيض لان كل ما في الارض غير حلال فان الله تعالى حرم الميتة وما اشبهها بايات اخر واما قوله تعالى طيبا يجوز ان يكون صفة الحلال وهما واحد جمعهما في اللفظ للتاكيد كما يقال سحقا وبعدا وكذبا ومينا ويجوز ان يكون معنى الطيب المستلذ فاما الحلال فما كان غير محظور ومعنى قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طريقه التي يدعوكم اليها انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية نزلت في بني ثقيف وبني عامر بن صعصعة كانوا يحرمون البحيرة والسايبة

و

والوصيلة والحامي وبعض الحروث كما قال الله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية والخطوات جمع الخطوة كما يقال حجرة وحجرات وغرفة وغرفات والخطوة في اللغة بعد ما بين قدمي الماشي ومن قرأ خطوات باسكان الطاء فلثقل الضمة فاما الخطوة بفتح الخاء فهي المرة من الخطو كما يقال مضغة ومضغة ولقمة ولقمة وقرئ في الشواذ خطوات بنصب الخاء والطاء قوله عز وجل إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يقول ان الشيطان انما يامركم بالاثم والقبيح من العمل وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون انه حرم عليكم ما لم يحرمه ويقال هو وصفهم لله تعالى بالبنات والاولاد والانداد وذهب بعضهم الى ان السوء ما يجب به التعزير والفحشاء ما يجب به الحد وزعم مقاتل رحمه الله ان كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فهو الزنا الا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه منع الزكوة وقيل ان السوء في اللغة ما يسوء الانسان اي يحزنه وتغم عاقبته والفحشاء ما جاوز الحد في الشناعة حتى استبشعه كل عاقل فان قيل كيف يصح ان يامرنا الشيطان ونحن لا نشاهد شخصه ولا نسمع صوته قيل معنى يامركم اي يدعوكم ويرغبكم وهذا كقول الانسان نفسي تامرني بكذا وهواي يامرني بكذا اي يدعوني اليه وقد يجد الانسان اثر وسوسة الشيطان في نفسه ودعايه الى المعاصي بان يثقل بعض الطاعات عليه ويميل الى بعض المعاصي وقد علم بالاخبار الصادقة ان هذا يكون من فعل الشيطان الذي ثبتت عندنا عداوته اياه فلا يكون بمخالفة الشيطان الا في فعل الطاعة وترك المعصية قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ في الآية بيان عناد الكفار واتباعهم التقليد دون الحجة يقول اذا قيل لهؤلاء الكفار اتبعوا في التحليل والتحريم ما انزل الله لا اهواءكم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاوثان في تحريم البحيرة ونحوها يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا وهذه الف الاستفهام دخلت على واو العطف ومعناها التوبيخ والذم كانه تعالى قال ايتبعون اباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للسنة وفي هذه الآية بيان انه لا يجوز للانسان ان يتبع قول من لا يعلم انه على الحق او على الباطل وفيها دليل على فرض الله تعالى على المكلفين اتباع الحجة والنظر في امر الدين ثم ضرب الله تعالى للكفار مثلا في وصفهم بعد ما امر ونهى فلم ياتمروا ولم ينزجروا بصفة الدواب فقال عز وجل وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ يقول مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم مع الذين كفروا ويقال مثلنا مع الذين كفروا فحذف اختصارا لدلالة الكلام عليه ويقال مثل واعظ الذين كفروا فحذف المضاف كما في قوله تعالى واسأل القرية كمثل الذي يصيح بما لا يدري ما يقال له الا انه يسمع الصوت وهو الشاة والبعير والبقر ينزجر بالصوت ولا يفقه ما يقال لها ولا يحسن جوابا اي كما ان البهايم لا تفهم معنى كلام من يدعوها فكذا هؤلاء الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى الله عليه وسلم هم صم عن الخير لا يسمعون الحق خرس لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى فهم لا يعقلون ما يؤمرون به وذهب بعض المفسرين رحمهم الله الى ان هذه الآية مثل ضربه الله تعالى للكفار والهتهم يقول مثل الكفار في دعايهم الاصنام كمثل داعي الابل والغنم كما لا تفهم البهايم معنى كلام من يدعوها ويزجرها كذلك الاصنام لا تسمع ولا تنفع والدعاء والنداء واحد كما ان الحلال والطيب واحد وقيل الدعاء ما يكون للقريب والنداء انما يكون ببعد الصوت

شبكة الألوكة

للسعيه وقال بعضهم الدعا تعريف السامعين اسم المدعو والندا امالة المدعو اليك قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
خاطب الله تعالى المومنين بهذه الآية تعظيما لشانهم كما خاطب الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
حين قال عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم
يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى كلوا من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام واشكروا
الله على ما رزقكم واباح لكم من النعم ان كنتم تعرفون انه الحكم ورازقكم وتعرفون ذلك لان الشكر
انما يكون من العارف بربه دون الجاهل ويكون ذلك تعظيما للمنعم لمكان نعمته وهذا الامر بالاكل
امر اباحة وتخيير لان تناول المشتهى لا يدخله التعبد وقد يكون الاكل تعبدا في بعض الاحوال
عند دفع الضرر عن النفس وتقويتها على طاعة الله تعالى وعند مساعدة الضيف اذا كان هو يمتنع
عن الاكل اذا انفرد وينبسط اذا سوعد روى انه لما نزلت هذه الاية قالت الكفار ان لم تكن
البحيرة والسايبة والوصيلة محرمة فما المحرمات فانزل الله تعالى قوله عز وجل انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم يقول انما حرم الله تعالى عليكم الميتة وهي التي تموت حتف
انفها بغير ذكاة وقد تكون الميتة بسبب من فعل ادمي اذا لم يكن فعله فيها على وجه الذكوة
المبيحة له والدم يعني الدم المسفوح كما قال الله تعالى في آية اخرى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الى قوله تعالى او دما مسفوحا فاما قوله تعالى ولحم الخنزير فالمراد به المذكى منه وغير المذكى
لان في ابتدا هذه الآية تحريم الميتة عاما فلما افرد لحم الخنزير بالتحريم علمنا انه لم يرد به الخنزير
الميت واما قوله تعالى وما اهل به لغير الله اي ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله تعالى و
اما قوله تعالى فمن اضطر يقول من الجاته ضرورة المجاعة او ضرورة الاكراه الى اكل شي من هذه
المحرمات غير طالب لذلك ويقال غير طالب عند اكله تلذذا ولا عاد اي ولا متجاوز قدر ما
يسد به رمقه وقيل ولا عاد ولا متجاوز قدر حاجته من عدا فلان الشي يعدوه اذا جاوزه وقال
بعضهم في معنى هذه الآية غير باغ على امام ولا معتد على امته اي غير مفارق للجماعة ولا عاد على
المسلمين بالسيف فلا اثم عليه اي لا حرج عليه في الاكل عند الضرورة ان الله غفور لذنوب
العباد اذا تابوا رحيم بهم اذ رخص لهم للاضطرار في اكل ما حرم عليهم قبل الاضطرار وقد
اختلف اهل اللغة في قوله تعالى انما حرم ذكر الزجاج وغيره انه معنى ما حرم عليكم الا الميتة و
الدم قالوا لان انما يشتمل على ان التي للاثبات وما التي للنفي فتكون اثباتا لما بعدها ونفيا لما
سواها كما تقول ان زيدا منطلق فيكون خبرا عن انطلاق زيد واذا قلت انما زيد منطلق فقد نفيت
عنه في المعنى جميع الصفات الا الانطلاق وتقديره ما زيد الا منطلق وقال بعضهم انما للتاكيد
فقط ويجوز ان يكون معناه ان الذي حرم الله تعالى عليكم الميتة وفي الميتة لغتان ميّتة بالتشديد
وميْتة بالتخفيف وقيل ان الميتة مخففة من الميّتة وليس فيهما علة الا طلب التخفيف وقال
بعضهم الميّت بالتشديد بمن كليا سيموت وبالتخفيف كلما قد مات وعلى هذا التاويل قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون والاهلال في اللغة رفع الصوت كانوا اذا ارادوا الذبح رفعوا الصوت
بذكر الهتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا استهل الصبي صارخا سمي وورث
وصلي عليه وقال الاخر الاملى اهل ولبى ومن هذا سمي الهلال هلالا لان الناس يرفعون
اصواتهم عند رويته والاضطرار هو ان يدفع الانسان الى ما لا يمكنه الانفكاك منه والبغا

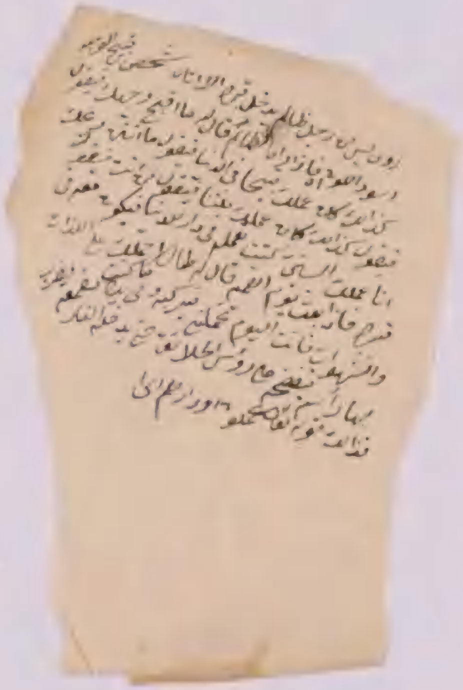

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في اللغة الطلب من بغى الرجل يبغي حاجته بغاً تقول العرب خرج في بغا ابل له اي في طلب ابل
له والبغي هو قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغياً اذا ورم وترامى الى الفساد والبغاء بكسر
الباء الزنا من باب فعل يفعل ايضا بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل وفي الاية دلالة على
انه لا يجوز الانتفاع بالميتة بوجه من الوجوه ولا ان يطعمها الكلاب والجوارح لان ذلك ضرب
من الانتفاع بها وظاهر قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة يقتضي تحريم جميع الميتات الا ان
النبي صلى الله عليه وسلم خص السمك والجراد من هذه الجملة بالاباحة بقوله صلى الله عليه
وسلم احلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان السمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال و
وقد اختلف الناس في اكل السمك الطافي وهو الذي يموت في الماء حتف انفه قال علي كرم الله وجهه
ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما دسره البحر فكل وما
طفا فلا تاكل وعن ابي بكر وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما اباحة اكل السمك الطافي
فلما اتفق المسلمون على تخصيص غير الطافي من هذه الاية خصصناه واختلفوا في الطافي فكرهه
اصحابنا رحمهم الله وتركوه على العموم الذي وردت به الاية في تحريم الميتة وفي الاية دليل على
صحة قول ابي حنيفة رحمه الله في جنين الناقة والبقرة ونحوهما اذا خرج بعد ذبح الام لا
يوكل الا ان يخرج حياً فيذبح واما جلد الميتة اذا دبغ فقد اختلف الفقهاء فيه قال اصحابنا
يجوز بيعه والانتفاع به استدلالاً بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دباغ الاديم
ذكاته وروي ذكاة الاديم دباغه فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم الذكاة والدباغ مجرى واحداً
وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر بشاة ميتة لميمونة فقال هلا انتفعتم بجلدها فقيل انها ميتة
فقال صلى الله عليه وسلم انما حرم من الميتة اكلها واما شعر الميتة وصوفها وقرنها وعظمها
ففيه ايضا خلاف بين اهل العلم قال اصحابنا لا يكون ذلك ميتة لانه يوخذ من الحيوان في حال
حيوته فلا يكون نجساً بالاتفاق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس
بمسك الميتة اذا دبغ وصوفها وشعرها اذا غسل بالماء وكان مالك يقول لا ينتفع بعظام الميتة
ولا باس بشعرها وصوفها وقال الشافعي لا ينتفع بشيء منها واما لبن الميتة وانفحتها فهما طاهران
في قول ابي حنيفة رحمه الله وقال ابو يوسف ومحمد يكره اللبن لانه في وعاء نجس وكذلك الانفحة
اذا كانت مايعة فان كانت جامدة فلا باس وقالوا جميعا في البيضة اذا كانت من دجاجة ميتة
لا باس بها ومن الدليل على طهارة هذه الاشياء في موضع خلقتها قوله تعالى وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وقد اتفق
المسلمون على جواز اكل اللحم المذكى بما يبقى في عروقه من الدم بعد الذبح وفي ذلك دليل ان
موضع الخلقة لا ينجس بمجاورة ما خلق فيه واما دهن الميتة فلا خلاف بين الائمة انه نجس
لا يجوز الانتفاع به بوجه من الوجوه واما اختلفوا في الدهن الذي تموت الفارة فيه هل يجوز
الاستصباح والانتفاع به لغير الاكل وقد وردت السنة في ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن الفارة تموت في السمن فقال ان كان جامداً فالقوها وما حولها وان
كان مايعاً فاريقوه وفي بعض الروايات انتفعوا به من غير اكل واما تخصيص لحم الخنزير
في الاية فلانه اعظم منفعته وما كان يبتغي منه الكفار الصم فخص اللحم بالذكر واراد جميع
اجزائه وهذا كما قال الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومعلوم ان ايقاع جميع الافعال
في الصيد حرام على المحرم ولكن خص القتل لانه اعظم ما يقصد به وكذلك خص الله تعالى

شبكة الألوكة

البيع بالنهي وقت النداء يوم الجمعة واراد بذلك جميع الامور الشاغلة عن الجمعة يدل على هذا
ان الله تعالى قال في آية اخرى او لحم خنزير فانه رجس وهذه الكناية راجعة الى نفس الخنزير
فاقتضت نجاسة جميع اجزائه الا انه اكثر اهل العلم استحسنوا اجازة الانتفاع بشعره الذي
يصلح للخرز دون جواز بيعه وشرائه لما شاهدوا التابعين واهل العلم يقرون الاساكفة
على استعماله من غير نكير ظهر منهم عليهم وهذا مثل ما قالوا في اباحة دخول الحمام من غير شرط اجرة
معلومة ولا مقدار مدة لبثه فيها ولا مقدار ما يستعمل من الماء لان ذلك كان ظاهرا مستفيضا في
عهد السلف غير منكر به على فاعليه فصار ذلك اجماعا منهم وفي الآية دلالة على تحريم ذبيحة اليهود
والنصارى اذا سموا عليها غير اسم الله تعالى لان الاهلال لغير الله تعالى اظهار غير اسم الله تعالى اسمه
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم اليهود يذكرون مع اسم الله
شيئا اخر فلا تاكلوه فان قيل اذا سمى النصارى على الذبيحة باسم الله تعالى فانما يريد به المسيح
فاذا كانت ارادته لذلك لم تمنع صحة ذبيحته وهو مع ذلك مهل به لغير الله فاذا اظهر ما اضمر
فلما ذا حرمت تلك الذبيحة على المسلم قيل له لان الله تعالى كلفنا حكم الظاهر فاذا اظهر غير اسم اذا ي
الله تعالى حكم على ما اظهر فدخل تحت قوله تعالى وما اهل به لغير الله واما اذا اضمر لم يظهر الا اسم
غيره الله تعالى فهذا الاسم لا يستحقه احد الا الله تعالى فلا يجوز حمله على اسم المسيح الا ترى ان من
اظهر القول بالتوحيد وتصديق الرسول كان حكمه حكم المسلمين مع جواز اعتقاده التشبيه
المضاد للتوحيد واختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
عليه فقال ابن عباس والحسن ومسروق غير باغ في الميتة ولا عاد في الاكل وهو قول اصحابنا و
مالك واباحوا للبغاة الخارجين على المسلمين اكل الميتة عند الضرورة كما اباحوا لاهل العدل
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اذا لم يخرج باغيا على امام المسلمين ولم يكن سفره في معصية
فله ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها وان كان سفره في معصية او كان باغيا على امام المسلمين
لم يجز له ان ياكل وهو قول الشافعي رحمه الله وظاهر قوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يوجب الاباحة
للجميع من المطيعين والعصاة وقد قال الله تعالى في آية اخرى ولا تقتلوا انفسكم اتفق
اهل العلم ان من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلا نفسه فلا يختلف في ذلك حكم العاصي والمطيع
بل يكون امتناعه عند ذلك عن المباح زيادة في عصيانه والميتة عند الضرورة بمنزلة المذكاة
في حال الامكان والسعة واختلفوا في حد الاضطرار فالصحيح من ذلك ان الاضطرار لا يكون
الا عند خوف التلف في اخر الرمق وعن عبد الله بن المبارك انه قال اذا كان بحيث لو دخل
السوق لا ينظر الى شيء سوى المطعوم وقال بعضهم اذا كان يضعف عن الفرايض وهذا عند
المتقين حد الاضطرار الى الشبهات فاما مقدار ما ياكل من الميتة عند الضرورة قال
اصحابنا لا ياكل منها الا قدر ما يمسك رمقه وقال مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود مقدار م
منها فان وجد شيئا مباحا طرحها وفي الاية تعليق الاباحة بوجود الضرورة والضرورة
هو خوف الضرر بترك الاكل منها على نفسه او بعض اعضائه فمتى اكل منها مقدار ما
يزول معه خوف الضرر في الحال فقد زالت الضرورة ولا يمكن اعتبار سد الجوعة لان
الجوع في الابتداء لا يبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه فان قيل ما معنى قول الفقهاء
ان اكل الميتة عند الضرورة رخصة وهو من الواجبات عند الضرورة قيل بل هو واجب
عند عامة الفقهاء حتى روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال من اضطر الى ميتة فلم ياكل حتى

مات

مات دخل النار الا ان من عادة الفقهاء رحمهم الله فيما كان تخفيفا عن تثقيل ان يصفوه
بهذا الوصف سواء كان من باب المباح او الواجب وعلى هذا قالوا في المسح على الخفين انه
رخصة وهو من باب الواجب الذي لا بد منه عند ترك غسل الرجلين فلما كانت اباحة اكل الميتة
للمضطر تخفيفا عن تثقيل سمي ذلك رخصة فان قيل هلا دل قوله تعالى فلا اثم عليه على انه
مباح لان هذه اللفظة لا تستعمل الا في المباح قيل انما ذكر الله تعالى هذا اللفظ ليبين زوال
الحرج في تناول ذلك عند الضرورة تمييزا بين حال المضطر وحال المختار ثم لا يمتنع ذكر مع ان
يكون واجبا وهذا كما تقدم في تفسير قوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما فان قيل قوله تعالى
فلا اثم عليه في ظاهر اللفظ يناقض قوله تعالى ان الله غفور رحيم لان الغفران يقتضي اثبات اثم
يغفر ويستر قيل لما كانت الضرورة تبيح ما لولاها لكان محرما جاز في الاكل عند الضرورة بان
يقول الله تعالى ان الله غفور رحيم لانه بالغفران قد ستر ما لولا الاباحة لكانت معصية منكشفة و
برحمته جوز عند الضرورة احياء النفس بتناوله وقال الحسن اراد بهذا رفع العقاب عمن تاب
من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة وفي قوله تعالى فمن اضطر قراءتان من قرا بضم النون
كانت ضمة النون في الحقيقة ضمة الالف التي بعدها الا انها تقع على النون عند القراءة ومن قرا
بكسر النون قال ان النون من قوله تعالى فمن ساكنة والساكن اذا حرك حرك الى الكسر قوله عز وجل
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في
بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم نزل في علماء
اليهود والنصارى قال بعضهم اراد بالآية كتمان ما انزل الله تعالى من نفس الكتاب وقال بعضهم اراد
به كتمان التاويل دون التنزيل فان التنزيل يعرفه العلماء والعوام جميعا فلا يجوز ان يتواطؤا على
كتمانه لان ذلك يتعذر في التورية والانجيل مع ظهورهما كما يتعذر مثله في القرآن فاما التاويل
فلا يعرفه الا العلماء فيجوز ان يتواطؤا على كتمانه كالعالم بمعنى المتشابه من الصفات قد يجوز ان يكتم
معناه للتشبيه ليستاكلهم بذلك ومعنى الآية ان الذين يكتمون ما انزل الله من نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته وغير ذلك من الرخص والاحكام التي بينت في الحلال والحرام ويختارون بسبب الكتمان
عرضا يسيرا من متاع الدنيا وهو ما كان لهم من الهدايا والفضول من اغنيائهم ورؤسائهم ويقال اراد
به الرشا التي كانوا ياخذونها منهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قال بعضهم معناه ياكلون في جهنم
النار ويقال ما ياكلون الا الحرام وسماه نارا لان عاقبته النار في الحقيقة واما قوله تعالى ولا يكلمهم الله
يوم القيمة قال بعضهم معناه يغضب عليهم ولا يكلمهم الله بما يكلم به اولياءه كما يقول فلان لا يكلم فلانا
يريد بذلك انه عليه غضبان لا يكلمه غيره فلذلك لا يكلم الله تعالى هؤلاء الكافرين بما يكلم به اولياءه من البشارة
والرضا واما التهديد فلا بد من ذلك كما قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقال عز من قائل فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وقال بعضهم معنى قوله ولا يكلمهم الله اي لا يسمعهم كلامه نفسه بل
يرسل اليهم ملائكة العذاب فيكلمونهم بامر الله تعالى ويسالونهم عن ارسال الرسل اليهم وانما اضاف الله تعالى ما ياكلون م
السوال الى نفسه لان سوال الملائكة يكون بامره ومعنى فلا يزكيهم اي لا يثني عليهم خيرا وقيل لا يطهرهم من اعمالهم
الخبيثة ولهم عذاب اليم مولم موجع يخلص وجعه اليهم فان قيل كيف قال اولئك في بطونهم ولا يكون الاكل الا
فيما يصل الى الجوف فلم ذكر البطن قيل لما ذكر الله تعالى في هذه الآية يشترون به ثمنا قليلا واراد به الرشا في
الفضول كان يجوز ان يتوهم متوهم ان المراد بالاكل غير الاكل الذي يصل الى البطن كما يقال اكل فلان ماله اي افسده
وبذره فذكر البطن تاكيدا كما قال تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ويقال بطشت بيدي ومشيت برجلي وجواب اخر

شبكة الألوكة

ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مثل جوعه وشبع من يجري شبعه مجرى شبعه فقيد الاكل بالبطن ليزيل هذا الابهام قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار يعني والله اعلم الذين مالوا الى تحريف التورية والانجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالايمان واختاروه عليه واما قوله تعالى والعذاب بالمغفرة فلان الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل للكفر بالايمان مشتريا للعذاب بالمغفرة وقوله فما اصبرهم على النار قال الكسائي وهذا اللفظ استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب جميعا يريد بهذا انه توبيخ لهم وتعجيب لنا كانه تعالى قال ما اجراهم على فعل اهل النار مع علمهم وحكى الكسائي عن رجل كان يحلف بالله تعالى على شيء فقال له خصمه ما اصبرك على الله تعالى اي ما اجراك على الله تعالى ويقال معنى الآية اي شيء صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال معناه ما ابقاهم وادومهم في النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس اي ما ابقاه فيه قال الحسن رضي الله عنه ما لهم من صبر عليها ولكن ما اعملهم بعمل اهل النار والصحيح ان مثل هذا اللفظ لا يكاد يقال لمن يقدم على عمل اهل النار مع الشبهة والتأويل فانما يقال ذلك لمن يقدم والعلم له حاصل فلما كان علماء اليهود عالمين بصحة امر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ونبوته واقدموا مع ذلك على ما كانوا عليه من طريقة الرياسة واجتلاب المنفعة وعدلوا عما يقتضيه علمهم ومعرفتهم واختاروا الضلالة على الهدى صح ان يقال لهم فما اصبرهم على النار من حيث اجترؤا على الله تعالى في حال التكليف مع العلم بالوعد والوعيد قوله عز وجل ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد اي ذلك العذاب لهم في الآخرة ويقال ذلك الضلال بان الله تعالى نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق فاختلفوا فيه وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب قال بعض المفسرين اراد بالذين اختلفوا اليهود والنصارى واراد بالكتاب التورية والانجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة امره ودينه وقال بعضهم اراد بالذين اختلفوا الكفار كلهم واراد بالكتاب القرآن اختلفوا فيه فقال بعضهم سحر وقال بعضهم اختلاق قول البشر وقال بعضهم اساطير الاولين وقوله تعالى لفي شقاق بعيد اي خلاف طويل يتباعدون في المشاقة يشاقون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اليهود والنصارى بقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب ثم قال عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم اي ليس البر تولية الوجوه الى المشرق والمغرب وذلك انه لما كانت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة كثر الخوض في امر القبلة قال الحسن توجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واعتقدوهما قبلة وزعموا انهما البر فاكذبهما الله تعالى بهذه الآية وبين ان البر طاعة الله تعالى واتباع امره لا في نحو المنسوخ وترك الناسخ وبين ان البر لا يتم الا بالايمان ويقال معنى الآية ليس البر كله في الصلوة فقط ولكن البر الذي يؤدي الى الثواب بر من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر والغرض من الآية والله تعالى اعلم ان البر مجموع خصال هي الايمان بالله تعالى

الكلبي ع

و

واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والثواب والعقاب والاقرار بالملائكة انهم عباد الله تعالى ورسله لا كما قال بعض العرب ان الملائكة بنات الله تعالى والاقرار بالكتب التي انزلها الله تعالى والاقرار بالنبيين كلهم وقوله تعالى وآتى المال على حبه عطف على من آمن اي واعطى المال على حبه يعني المال على شهوته وحبه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى ذوي القربى يعني القرابة في الرحم واليتامى وهم الصغار والفقراء الذين قد مات اباؤهم والمساكين الذين لا شيء لهم وابن السبيل قال بعضهم هو الضيف ويقال هو المسافر الذي لا يجد ما يحمل به الى بلده فيجب مواساته بما يبلغه الى بلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق كما يسمى طير الماء ابن الماء والسائلين الذين يسألون الناس ما يتقوتونه لحاجتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل وان اتى على فرس وقوله وفي الرقاب قال بعضهم هو شرى الرقاب للعتق وقيل اعانة المكاتبين ليسعوا في فك رقابهم وذهب بعض المفسرين الى ان الهاء في قوله تعالى على حبه عائد الى الايتاء اي على حب الاعطاء يعطي بطيبة من نفسه ولا يكون متسخطا عند الاعطاء ويحتمل ان يريد على حب الله تعالى كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يمتنع ان يكون جميع هذه الوجوه مرادا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان المراد بهذه الآية حب المال وهو ما روي عن ابي هريرة انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح واما قوله تعالى واقام الصلوة يعني الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يعني الزكوة المفروضة فهذا عطف على قوله تعالى وآتى المال وفيه دليل ان المراد بايتاء المال غير الزكوة لان المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يكون الامر بايتاء المال حثا على صدقة التطوع لان الآية وردت في البر لا في الواجبات وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل في المال حق غير الزكوة فقال اللهم نعم وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بايتاء المال صلة ذي الرحم اذا وجد قريبه ذا فقر وضر ووجوب الاطعام اذا رأى فقيرا مضطرا اجهده الجوع فعلى هذا يكون جميع هذه الآية على الواجبات واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسخت الزكوة كل صدقة قد كانت قبلها فتأويله الحقوق الواجبة في المال من غير ضرورة مثل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كثر غلة نخليات بعذق من نخله فليعلقه على باب المسجد تأكله المارة فما نسخت الزكوة مثل هذه الحقوق التي كانت في اول الاسلام يدل على هذا ان الفقهاء اجمعوا على وجوب صدقة الفطر اذ كان الامر بصدقة الفطر بعد فرض الزكوة واما قوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والمراد بالعهد العهود التي امر الله تعالى بالوفاء بها من الايمان وسائر المواثيق مدحهم الله تعالى على الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصرته على الاعداء ومظاهرته بالجهاد وغير ذلك من العهود واما قوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فالبأساء الحالة ذات البؤس والفقر والضراء حالة السقم والوجع وفي مثل هاتين الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادات ومعنى وحين البأس حين شدة الحرب يقال لا بأس عليك اي لا شدة عليك ويقال بئس الرجل يبأس بأسا اذا اشتدت شجاعته وبؤس الرجل يبؤس بؤسا اذا اشتدت حاجته واما قوله اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه الصفة هم الذين

العيش ح

العذق بالكسر القنو

شبكة الألوكة

صدقوا في ايمانهم وجها دهم في البر واولئك هم المتقون محارم الله تعالى وفي ساير امورهم ومن قراه ليس البر برفع الراء جعل الخبر في ان تولوا ومن نصب البر جعله خبر ليس على التقديم والتاخير المعنى ليس توليتكم وجوهكم البر فان كلمة ان اذا قرنت بالفعل المضارع صار بمعنى الاسم ومن شدد لكن نصب البر ومن خففها رفع البر فان قيل كيف قال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء فرفع قوله تعالى والموفون بعهدهم ونصب الصابرين قلنا اما قوله والموفون عطف على من امن وموضعه الرفع كانه قال ولكن البر المومنون والموفون واما قوله تعالى والصابرين قال بعضهم انه عطف على قوله تعالى ذوي القربى وذلك في موضع نصب لوقوع فعل الايتا عليه فكذلك المعطوف عليه وقال بعضهم ان هذا نصب على المدح باضمار اذكر واعني والعرب ان تعدل من المرفوع الى المنصوب في المدح على هذا الاضمار ومن المنصوب الى المرفوع على اضمار هو وكذلك في الذم ونظير هذا قوله تعالى والمقيمين الصلوة والموتون الزكوة وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى قال الشاعر نحن بنو ضبة اصحاب الجمل وقال الاخر
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد
قوله عز وجل يايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم فصل مبتداء يشتمل على احكام مستوات والمعنى والله تعالى اعلم يايها الذين صدقوا بالله ورسله فرض عليكم القصاص في القتلى واما قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ذهب بعض اهل العلم الى ان القصاص مقصور على الحر بالحر والعبد بالعبد وانه لا يقتل الحر بالعبد قال واراد بقوله تعالى والانثى بالانثى اي يقتل الانثى من كل واحد من الجنسين بالانثى من جنسها وقال اصحابنا ليس معنى الاية هذا ولكن الله تعالى اراد بهذا ابطال اعتبار الشرف في باب القصاص بالانفس على ما روي عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية في حيين من العرب وهما الاوس والخزرج كان بينهم قتلى وجراحات في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساء الاخرين بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اوليك باخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام ورفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية بيانا ان الحر بالحر وفاء والعبد بالعبد وفاء يدل على صحة هذا ان اول الاية عام في جميع القتلى وقوله الحر بالحر خصص بعض ما شمله العموم الاول ورد بموافقته فلا يوجب ترك العموم الاول اذ الترك انما يكون بالمنافي لا بالموافق ولهذا اجمعوا ان المراة تقتل بالرجل والرجل يقتل بالمراة مع قول الله تعالى والانثى بالانثى لان اول الاية محكم وما بعده محتمل متشابه والمتشابه مردود على المحكم واما قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء قال بعض المفسرين ان من اسم للقاتل العافي من ترك له القود من اخيه المقتول ورضي منه بالدية ويقال من ترك له القود من ولي القتيل وهو اخو القاتل في الدين ورضي منه بالدية فليتبع العافي وهو ولي القتيل بالمعروف فلا يرهق في طلب الدية من القاتل ولا يعنف وليود القاتل اليه باحسان اي لا يبخس ولا يماطل قالوا وقد يذكر العفو المقرون باللام بمعنى الترك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق الا ان في الرقيق صدقة الفطر ويجوز ان يكون الاتباع فيها بالمعروف والاداء بالاحسان كلاهما راجعين الى القاتل لان الامر اذا تعقب فعلا لم يسم فاعله كان منصرفا الى المفعول به دون الفاعل

اذ

اذ الفاعل غير مذكور فيه وهذا كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازلت اليه نعمة فليشكرها ومن احيل على ملي فليتبع وذهب اصحابنا في هذا التاويل الذي ذكرناه الى ان القاتل اذا رضي منه ولي القتيل بالدية لزمته اجابته الى ذلك ديانة لا حتما وايجابا وهذا كالمضطر الى طعام غيره اذا عرض عليه صاحب الطعام طعامه بثمن المثل لزمته الاجابة الى ذلك لاحيا نفسه ديانة لا حتما وتاولوا هذه الاية ايضا تاويلات اخر اقرب الى ظاهر الاية احدها ما قالوا ان العفو في اللغة ما سهل وتيسر قال الله تعالى خذ العفو اي ما يسهل من الاخلاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله يعني تيسير الله على عباده ويقال خذ ما اتاك عفوا اي سهلا فمعنى قوله تعالى فمن عفي له اي ولي القتيل اذا بذل له من بدل اخيه المقتول او من جهة اخيه شيء من المال من جانب القاتل فله اتباع بالمعروف اي فليقبله وليود القاتل اليه باحسان كان الله عز وجل ندب ولي المقتول الى اخذ المال اذا سهل ذلك من جهة القاتل واخبر انه تخفيف منه ورحمة كما قال عز وجل عقيب ذكر القصاص في سورة المائدة فمن تصدق به فهو كفارة له فندب الى العفو والصدقة والدليل على هذا التاويل ما روي عن ابن عباس انه قال كان في بني اسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية وقال الله تعالى لهذه الامة يايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص الى قوله تعالى فاتباع بالمعروف وقال والعفو ان يقبل الدية من العمد وقال في قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة معناه ان الصلح من القصاص على شيء من الدية او غير ذلك تسهيل عليكم من ربكم ورحمة رحمكم الله بها وذكر بعض المفسرين انه كان في اهل التورية القتل لا غير وكان في اهل الانجيل العفو ولم يكن لهم قود ولا دية فخفف الله تعالى عن هذه الامة وشرع لهم القصاص مطلقة ثم جعل لهم الرضا بالدية وبيان ان هذا التاويل اقرب الى ظاهر الاية من التاويل الاول ان قوله تعالى شيء منكر ولو كان المراد به القود لكان معرفا والله تعالى اعلم والتاويل الثالث ما روي عن الشعبي انه قال كان بين حيين من العرب قتال على عهد ما ذكره عبد الله ابن عباس قال الشعبي فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم القتلى بوا اي سوا واصطلحوا على الديات ففضل لاحد الحيين على الاخر فذلك قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء اي من فضل له على اخيه شيء من الديات التي وقع الاصطلاح عليها فليود بالمعروف والعفو يذكر ويراد به الفضل قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا والتاويل الرابع ما روي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية في دم بين الاوليا يعفو احدهم عن نصيبه فيتحول نصيب الباقين مالا يجب على القاتل اداوه اليهم وروي عن عمر وعلي انهما قالا في الدم بين الاوليا اذا عفى احدهم مثل قوله الا انهما لم يذكرا ذلك في تاويل هذه الاية وفي هذا بيان ان القصاص مما لا يتجزا اذا اسقط بعضه سقط كله وانقلب نصيب الباقين مالا وفيه بيان ان العمد اذا سقط فيه القود كانت الدية في مال القاتل لا على العاقلة لان قوله تعالى فاتباع بالمعروف امر ينصرف الى من تقدم ذكره وقد تقدم ذكر القاتل وكان تقدير الكلام فعليه اتباع بالمعروف واما قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اي ولي المقتول اذا ظلم فقتل قاتل وليه بعد اخذ الدية منه فله عذاب اليم القتل في الدنيا والنار في الاخرة والقصاص في اللغة ان يفعل بالقاتل مثل ما فعل به من قولك اقتص فلان اثر فلان اي فعل مثل فعله قال الله تعالى فارتدا على اثارهما قصصا وقال عز وجل حكاية عن ام موسى عليها السلام وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره والكتب هو اثبات الخط الدال على معنى فسمي به ما يدل على الفرض وقال بعضهم معنى قوله تعالى كتب عليكم

شبكة الألوكة

القصاص او كتب ذلك في اللوح المحفوظ فان القران انما نسخ من اللوح المحفوظ ولو قرى لما تباعا
بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع وليؤد لجاز من حيث المعنى لكن القراة سنة متبعة
فلا يقرا بما لم ينقل عن القرا قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون
اى لكم معشر المومنين فيما شرعه الله لكم من القصاص بقا فان الذى يريد قتل غيره اذا علم انه
ان قتل قتل امسك عن القتل فيكون في ذلك حيوة للذى هم بقتله وحيوة له ورفع بقايهما بقا من
يتعصب لهما فان الفتنة تثبت بالقتل فتودى الى المحاربة التى لا يعلم الى ماذا تنتهى فذلك قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب ذوى العقول من الناس لكى تتقوا القتل مخافة القصاص
فان قال قايل ايش الفرق بين هذا وبين كلام العرب بقوله القتل انفى للقتل وتقول اكثروا
القتل ليقل القتل قيل له هذا يترجح على قولهم من اربعة اوجه احدها ان هذا اوجز عبارة فان
هذا عشر احرف وذلك اكثر والثانى ان هذا اكثر فايدة فان قوله تعالى القصاص حيوة بيان العدل
واعتبار المساواة وبيان الغرض المطلوب من القصاص وهو الحيوة ومعلوم ان القتل اذا كان
على وجه الظلم لا ينفى القتل ولكنه يهيج القتل والثالث ان هذا ابعد من الكلفة فانه في قولهم القتل
انفى للقتل تكرارا وفى التكرار على النفس كلفة والرابع ان هذا احسن تاليفا للحروف المتلايمة فان
الخروج من القاف الى الصاد ومن الصاد الى الحا اسهل على النفس من الخروج من اللام الى الهمزة ومن
النا الى اللام وقد رام بعض المتاخرين ان ياتى بمثل هذا فقال وهو عصام بن عبيد الزماني ابلغ
ابا مالك عنى مغلغلة وفى العتاب حيوة بين اقوام • وهذا وان كان حسنا لكن بينه وبين ما في كتاب
الله تعالى بون بعيد لان هذا دعا الى العتاب وفي كتاب الله زجر عن القتل ظلما قوله عز وجل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه وان كان لكم ايها المومنون في القصاص
حيوة فان اخر الامر الموت فتعلموا ما يجب عليكم عنده روى انهم كانوا في ابتدا الاسلام يوصون
لا باعد طلبا للريا والسمعة فامر الله تعالى من ترك مالا بالوصية للوالدين والاقربين في الرحم
المحرم بالمعروف ومعنى الاية والله تعالى اعلم فرض عليكم ان مرض احدكم ان توصوا فان
معنى اذا حضر احدكم الموت اذا حدث به المرض وهو قادر على الوصية لانه اذا عاين الموت
فقد شغل عن الوصية وغيرها ويجوز ان يسمى الشى باسم سببه كما يقال عشقها فاهلكته وهو لم
يهلكه الا ان العشق لما كان سببها اضافوا الهلاك اليها ويقال معنى قوله اذا حضر احدكم الموت
ان يوصى حال حيوته بقول اذا حضر في الموت فاعملوا كذا وكذا ومعنى ان ترك خيرا اى مالا والخير
المال بلفظه جزم ويقال ان المراد بالخير المال الكثير والكثير ما تعارفه الناس كثيرا والمعروف
هو القصد الذى يعلم او لوا التمييز انه لا حيف فيه ولا جور ومعنى حقا على المتقين اى يحق حقا
عليهم وفيه تاكيد لايجاب الوصية لان على الناس ان يكونوا متقين قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولا خلاف بين المسلمين ان تقوى الله تعالى فرض والوصية هى العقد لما يراد
من الافعال في مستانف الاوقات بعد موت الموصى ودفع الوصية لانصرافها الى ما لم يسم فا عله
وهو قوله تعالى كتب وقد ذهب بعض اهل العلم الى ان هذه الاية غير منسوخة في الوالدين
ولا الاقربين الذين لا يرثون الميت مثل الكفار والمماليك حتى قال الحسن رضى الله عنه
ان من اوصى بثلث ماله لاجنبى كان ثلثا الوصية لاقاربه الذين لا يرثونه وثلثها للموصى
له فاما اكثر اهل العلم فقد اتفقوا ان هذه الاية منسوخة واختلفوا باى دليل نسخ فقال

بعضهم

بعضهم باية المواريث المذكورة في سورة النسا وهذا لا يصح لان الله تعالى شرع المواريث في تلك
الاية بعد وصية يوصى بها او دين فكيف يجوز ان تكون تلك الاية ناسخة لهذه الاية والصحيح ان
هذه الاية انما نسخت بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية
لوارث وهذا الخبر وان كان من اخبار الاحاد فقد تلقته الامة بالقبول فجرى مجرى الخبر
المتواتر اذ الامة لا تجتمع على قبول خبر باطل ويجوز نسخ القران بمثل هذه السنة ولا تجب الوصية
الا على من عليه شى من الواجبات لله تعالى او للعباد ويستحب لمن لا شى عليه الوصية بالثلث
لاقاربه الذين لا يرثونه بالرحم وفى جهات الخير اذا لم يخف ضررا على ورثته بقلة الثلثين
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم في اخر اعماركم
زيادة في اعمالكم وروى ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من خاف في
وصيته القى في الوى والوى واد في جهنم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الضرار
في الوصية من الكباير قوله عز وجل فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم يقول من غير امر الوصية بعد ما سمعه وعلم صحته فانما على المبدل دون
الموصى ان الله سميع لما قاله الموصى عليم بما فعله الموصى وفى هذه الاية دلالة على ان من كان عليه دين
ولم يفرط في قضايه في حال الحيوة واوصى بان يقضى عنه بعد الموت او فرط في قضايه في حال الحيوة
ثم ندم على ذلك واوصى بان يقضى عنه فترك الوصى قضايه فانه لا اثم على الميت بذلك وانما الاثم على الوصى
قوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم معناه وذلك ان الله تعالى لما تواعد المبدل في الاية التى قبل هذه الاية خاف الاوصيا من
التبديل فكانوا ينفذون وصية الميت وان جار في وصيته وظلم وان استغرق وصيته المال كله فانزل
الله تعالى هذه الاية وبين ان الاثم في تبديل الحق بالباطل فاما اذا غير الوصى باطل الحق على طريق
الاصلاح فالوصى لا اثم عليه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان من علم من موص ميلا عن الحق على جهة
الخطا او اثما اى ميلا عن الحق على جهة العمد بان زاد في الوصية على الثلث او اقر بغير الواجب او جحد
حقا عليه فاصلح الوصى بين ورثة الموصى واقاربه وبين الموصى له وبين غرمايه بان رد الوصية
الى المعروف الذى امر الله تعالى به فلا اثم عليه في التبديل والرد الى ما امر الله تعالى به ولا اثم عليه
في التبديل ان الله غفور رحيم اذ رخص للوصى في خلاف الوصية على جهة الاصلاح والها والميم في
قوله تعالى فاصلح بينهم كناية عن الورثة قد دلت على الموصى له والكناية تصح عن المعلوم وان لم يكن مذكورا
كما قال الشاعر وما ادرى اذا يممت ارضا • اريد الخير ايهما يليني • االخير الذى انا ابتغيه
ام الشر الذى هو يبتغيني • فكنى الشاعر في البيت الاول بقوله ايهما يليني عن الخير والشر جميعا
وان لم يكن سبق الا ذكر الخير فان قيل كيف يكون معنى قوله تعالى فلا اثم عليه والوصى اذا رد الوصية
الى امر الله تعالى كان محتسبا مستحقا للثواب قلنا ان المتوسط بين اثنين على سبيل الصلح يجرى امره
على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسوال ومشورة فلما كان التوسط يقتضى ذلك بين الله تعالى
انه لا اثم عليه في فعله لذا اراد به الاصلاح وان كان نقصا بسالى ذلك مع كراهة الطباع اذا لم يكن من
تحيف الى ذلك مكرها بالوعيد قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل مبتدا معناه فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين
من قبلكم لكى تتقوا الاكل والشرب والجماع في زمان الصوم وقيل معناه لكى تكونوا اتقيا كما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالصوم فان الصوم لكم وجاء والصوم في اللغة عبارة

وذوى الاضرار

الموصى

استعمال الخوف بمعنى العلم والظن الغالب شايع في كلامهم جامع البيان

كورا

شبكة الألوكة

عن الامساك يقال لتارك الطعام صايم ولتارك الكلام صايم وللفرس القايم صايم لانه ترك السير قال الله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقال الشاعر ٭ خيل صيام وأخرى غير صايمة ٭ تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما ٭ ويقال صامت الريح اذا سكنت وصامت الشمس اذا استوت عند انتصاف النهار فكانها كالممسكة عن الحركة هذا حكم هذا اللفظ في اللغة واما في الشرع فهو الكف في نهار الصوم عن الاكل والشرب والجماع وما في معناها بنية القرض او القربة عرف ذلك بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم الامة عليه والصوم الشرعي منبئة بصوم الخيل لانه امساك عن الامور التي تتوق اليها النفس وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم يحتمل ثلاثة معان احدها ما قال الحسن والشعبي وقتادة رضي الله عنهم انه كتب على الذين من قبلنا وهم النصارى صوم شهر رمضان فصاموه زمانا قال الحسن فصادفوا فيه الحر الشديد فحولوه الى وقت لا يتغير ثم قالوا عند التحويل نزيد فيه فزادوا عشرا ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه ثم استخلف عليهم من بعد ذلك ملك اخر فقال ما بال هذه الثلثة فاتمه خمسين يوما وهذا من اخبار الاحاد وقال ابن عباس والربيع بن انس والسدي رضي الله عنهم كان الصوم من العتمة الى وقت العتمة ثم كان يحل الاكل والشرب والجماع قبل صلوة العشا الاخرة وقبل النوم فاذا صلوا العشا الاخرة او رقدوا قبل الصلوة حرم عليهم الاكل والشرب والجماع الى العتمة فذلك قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم ثم نسخ هذا بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الاية وقال بعضهم ليس في هذه الاية اكثر من تشبيه اصل فرض الصوم بصوم من تقدمنا كانه قال تعالى فرض عليكم اصل الصوم كما فرض على من كان قبلكم وهذا لا يقتضي التشبيه في الوقت والعدد لانه ليس في التشبيه ان يستغرق المشبه جميع وصف المشبه له به وانما يقتضي ما نص عليه قوله عز وجل أيامًا معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى اياما معدودات هي ثلثة ايام من كل شهر كان الله اوجب صومها ثم صار ذلك منسوخا بصوم شهر رمضان وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يكن قط صيام ثلثة ايام من كل شهر واجبا ولكن الله تعالى انما تعبد به على جهة التطوع وقال اكثر المفسرين قوله تعالى اياما معدودات وجه التشبيه كانه قال تعالى كتب عليكم الصوم اياما معدودات كما كتب على الذين من قبلكم قالوا واراد بالايام المعدودات ما بينه من بعد بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى لان قوله تعالى اياما معدودات كالمجمل الذي لا يدل على وقت وعدد فبينه الله تعالى بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال بعضهم انما انتصب قوله تعالى اياما معدودات على الظرف من قوله تتقون اى لكي تتقوا في ايام معدودات واما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر اى من لا يقدر على الصوم لمرضه او كان مسافرا فلم يصم فعليه عدة من ايام اخر تنوب عن صوم ما فاته بعد ذلك في الصحة والاقامة ومعنى قوله وعلى الذين يطيقونه اى على الذين يطيقون الصوم فلم يصوموا فدية طعام مسكين وذلك انه كان يرخص في الصوم الاول لمن يطيق الصوم ان يفطر ويتصدق مكان كل يوم على مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه واما من قرا مساكين فالمعنى عليه طعام مساكين فدية ايام يفطر فيها واما قوله تعالى فمن تطوع خيرا اى زاد على طعام مسكين واحد وان تصوموا خير لكم من ان تطعموا وتفطروا واحدا

او اكثر ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى في الصوم ومن قرا فدية طعام على اضافة الفدية الى الطعام فالفدية مصدر المعنى عليهم ان يفدوا مكان كل يوم طعام مسكين فالفدية اسم لما يفدى به فرع بطعام مسكين وامّا ما روى عن ابن عباس وعايشة وعلى الذين يطوقونه اى يكلفون الصوم ولا يقدرون عليه وفي حرف حفصة وعلى الذين لا يطيقونه يقتضى ان الشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم ولا يرجا له القضا عليه ان يفدي مكان كل يوم طعام مسكين وهو قول عامة الفقهاء في حكم الشيخ الكبير وقد يجوز ان يتعلق حكم التكليف به وان لم يقدر على الصوم كالذي لا يجد الما نعطها في يوم باقامة التيمم مقام الوضوء واختلف اهل العلم في مقدار الفدية التي تجب بكل يوم قال اصحابنا يطعم لكل يوم نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير او صاعا من تمر وقال اخرون يطعم مدا من حنطة عن كل يوم وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صوم رمضان فلم يقضه اطعم عنه مكان كل يوم نصف صاع لمسكين واوجب النبي صلى الله عليه وسلم على كعب بن عجرة في فدية الاذى اطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر فان قيل لو كان يجوز للمقيم الصحيح ترك الصوم الى الفدية لكان ينبغي ان لا يوجب القضا على المسافر اذا افطر في سفره ولا على المريض اذا افطر في مرضه بل كان يجب ان يوجب عليهما الدية قيل ان المسافر ما دام مسافرا والمريض ما دام مريضا لا يجب الصوم عليهما حتى لو ماتا قبل الاقامة والصحة لقيا الله تعالى ولا شيء عليهما واذا لم يجب الصوم عليهما لم يوجب الله تعالى عليهما الفدية فاما المسافر اذا اقام والمريض اذا برا فحالهما حال الصحيح المقيم في شهر رمضان وكان يجوز لهما ترك الصوم بالفدية ثم صار ذلك منسوخا فيهما كما صار منسوخا في الصحيح المقيم والله تعالى اعلم قوله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون المعنى والله تعالى اعلم شهر رمضان الذي انزل فيه القران هاديا او مبينا للناس من الضلالة ودلالات واضحات من الهدى والفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر بالعقل والبلوغ والصحة والاقامة فليصمه ويقال معناه من كان شاهدا غير مسافر فليصم وهذا نسخ لما كان من قبل من التخيير بين الصوم وتركه الى الفدية ومعنى ومن كان مريضا او على سفر اى من كان مريضا او مسافرا فافطر فعليه عدة من ايام اخر يقضيها في الصحة والاقامة عدد ما افطر يريد الله بكم اليسر اذ رخص لكم الافطار في المرض والسفر ولا يريد بكم العسر تكليف الصوم في السفر والمرض وقوله تعالى ولتكملوا العدة عطف على مضمر قبله تقديره فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة اى لتتموا عدة ما افطرتم للمرض والسفر ويقال عدة ثلثين يوما الا ان عليكم هلال شوال ولتكبروا الله اى لتعظموه بقلوبكم وافواهكم واعمالكم على ما هداكم من شرايعه وامور دينه ولكي تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى قال ابن عباس حق على المسلمين اذا نظروا الى هلال شوال ان يكبروا الله تعالى ويقال اراد بالتكبير التكبير في صلوة العيد الفطر وفايدة تعريف شهر رمضان بالذي انزل فيه القران لبيان ان تخصيص هذا الشهر بايجاب الصوم فيه لاختصاصه بنزول القران لان مدار الدين على القران واختلفوا في معنى قوله تعالى الذي انزل فيه القران قال ابن عباس انزل الله تعالى القران من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى الكتبة في السما الدنيا ليلة القدر فكان جبريل عليه السلام ينزل بما يومر به من ذلك نجوما

شبكة الألوكة

الاية والاثنين الى احدى وعشرين سنة وعن السدى انه قال كان ابن عباس رضى الله عنهما يجمع
بين هذه الاية وبين قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقوله سبحانه انا انزلناه في ليلة مباركة وعن
ابى قلابة انه قال انزلت التورية في اثنتى عشرة خلت من رمضان والانجيل في ثمانى عشرة من رمضان
والقرآن في اربع وعشرين وقال مقاتل كان ينزل من القرآن في كل شهر من شهور رمضان الى السماء
الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة فنزل الى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ونزل به جبريل
عليه السلام في عشرين سنة وقال بعضهم كان ابتدا انزال القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم في
شهر رمضان فاضيف انزال الكل الى الوقت الذى وقع ابتدا انزاله فيه فان قيل على التاويل الاول
كيف يصح ان يكون القرآن قد انزل كله على السفرة في ليلة القدر وفيه اخبار عن امور لم تكن وقعت
مثل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وسالونك عن الانفال ونحو ذلك قيل له يجوز انه
كان اصله انه اذا كان كذا ثم حذفت الصلة عند الانزال كما في قوله تعالى ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة معناه اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب النار اصحاب الجنة وذهب بعض المفسرين
الى ان قوله تعالى شهر رمضان راجع الى الايام معدودات كانه تعالى قال اياما معدودات هى شهر رمضان
ويجوز ان يكون معناه كتب عليكم شهر رمضان اى صومه ومن نصب الشهر جعله بدلا من قوله اياما
معدودات ويجوز ان يكون نصبا على الاغرا والشهر ماخوذ من الشهرة والبياض ومنه شهر السيف
اذا سله وشهر الهلال اذا طلع واشتقاق رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
ومن ذلك الرمضا وهى الارض الحارة ويقال رمض يومنا اذا اشتد حره كانه اتفق تسمية هذا الشهر بهذا
الاسم في وقت كان هذا الشهر في زمان الحر كما قيل شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر لانه اتفق تسمية بهذا
الاسم في وقت الربيع ورمضان على وزن فعلان لا ينصرف عند التعريف مثل حسان ماخوذ من الحس
واما القرآن فمصدر مثل الرجحان والنقصان ومن قرا قرانا بغير الهمز فهو من الاقتران اى قرن
بعضه الى بعض في حسن التاليف يقال ليس لشعر فلان قران اى تاليف حسن والفرقان مصدر من
فرق يفرق اذا فصل بين الشيئين ومن قرا ولتكملوا العدة بالتشديد فهو من كمل يكمل بمعنى واحد
الا ان التكميل ابلغ فان قيل ما فايدة تكرار قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
قيل كان الصوم الاول تخييرا بين الصوم والفدية فلما نسخ الله تعالى ذلك التخيير من بعد الى الزام
الصوم حتما كان من الجايز ان يظن ان حكم الصوم لما انتقل من تخيير الى تضييق ان التضييق حكم
يعم الكل فبين الله تعالى ان حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضا كحالهما
اولا فهذا فايدة اعادة هذا اللفظ والله تعالى اعلم وظاهر قوله تعالى ومن كان مريضا يقتضى جواز
الافطار لمن لحقه اسم المرض سوآ كان الصوم يضره او لا يضره الا ان اهل العلم قد اتفقوا كلهم
على ان المريض الذى لا يضره الصوم غير مرخص له في الافطار قال ابو حنيفة وصاحباه
رحمة الله عليهم جميعا اذا خاف ان صام ان يزداد مرضه افطر وقال مالك اذا جهده الصوم
وقال الشافعى اذا ازداد مرضه زيادة بينة افطر وان كانت زيادة محتملة لم يفطر وكذا
السفر مشتق من السفر الذى هو الكشف من قولهم سفرت المراة عن وجهها اذا كشفت
واسفر الصبح اذا اضا واسفرت الريح السحاب اذا كشفته والمسفرة المكنسة لانها تسفر
عن الارض بكنس التراب قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة ويسمى الخروج
الى الموضع البعيد سفرا لانه يكشف عن اخلاق المسافر واحواله وليس للسفر حد معلوم
واختلف فيه اهل العلم قال اصحابنا اقله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشى

الاقدام

الاقدام وقال اخرون مسيرة يومين وقال بعضهم مسيرة يوم فلما اختلفوا واختلفت
الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم في سفر المراة بغير محرم كان الاخذ في اباحة الفطر في
قصر الصلوة بالثلث المتفق عليها اولى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة ايام ولياليهن ومعلوم ان هذا بيان حكم المسافرين
والله اعلم قوله عز وجل وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَاِنِّى قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وجه اتصال هذا
الفصل بما قبله هو انه لما امروا بالتكبير والتعظيم والدعا وبين لهم وجوب الانقطاع الى الله تعالى
في الطلب والمسالة قال ابن عباس وقد كان نزل قوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم فقال
بعضهم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال معاذ وذ
ان عمر واقع امراته في ليلة من ليالى شهر رمضان بعد صلوة العشا في الصوم الاول حين
كان لا يحل الاكل والشرب والجماع بعد صلوة العشا ولا بعد النوم قبل الصلوة فجا عمر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول اعتذر اليك يا رسول الله من نفسى هذه الخاطية
وذكر له القصة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن جديرا بذلك يا عمر فنزلت هذه الاية اى
اذا سالك عبادى صايموا شهر رمضان عن اجابتى وعفوى فيما جنوا على انفسهم فانى قريب
بالاجابة وعن قتادة انه قال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وقت ندعوا حتى
يستجاب دعاونا فنزلت الاية وقال الكلبى قالت اليهود لعنهم الله كيف يسمع ربك دعانا
وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسماية عام وان غلظ كل سما مسيرة خمسماية عام
فنزلت هذه الاية ولا تنافى بين هذه الروايات كلها ومعنى الاية والله تعالى اعلم اذا سالك
عبادى عنى ورحمتى بهم واستجابتى لدعايهم وقبول توبتهم فاعلمهم انى قريب في الرحمة لهم و
الاستجابة لدعايهم اعلم من كلامهم ما يخفى وما يظهر هذا هو معنى القرب اذ لا يجوز ان نعنى بقوله
قريب قرب المسافة لان القرب والبعد لا يجوزان الا على الاجسام التى تتحرك وتسكن وتدنو وتبعد
ومن يكون متمكنا على المكان وكل من ذا حاله لا يكون الا محدثا من حيث لا يعرى عن المحدثات
ولو كان الامر كما يقول المشبهة ان الله تعالى على العرش لما صح وصفه بالقرب من كل من يناجيه
ويساله ويدعوه بل كان يجب ان يكون قريبا من بعض وبعيدا من بعض وان يكون قريبا من حملة
العرش بعيدا من غيرهم فصح ان معنى قوله تعالى قريب قرب الرحمة والاستجابة على ما فسرنا وذكر
بقوله تعالى اجيب دعوة الداعى اذا دعانى وانما ما قاله الزجاج اذا قال القايل اين الله فالله تعالى
قريب لا يخلو منه مكان كما قال عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكما قال تعالى وهو معكم
اينما كنتم فمعناه احاطة علمه بهم وقدرته عليهم لان الله تعالى كان قبل المكان وبعد ان خلق
المكان لم يتغير عما كان فان قيل كيف قال الله تعالى اجيب دعوة الداعى اذا دعانى ونرى كثيرا
يدعون الله تعالى فلا يجيب دعاهم قيل انما يجيب الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو يجيب دعاه
وصفة الدعا على شرايط الحكمة ان يقول اللهم افعل لى كذا وكذا ان لم يكن مفسدة في دينى وفيما يرضيك
عنى يجب ان يقول هذا الشرط بلسانه او ينويه بقلبه فيجيبه الله تعالى اذا لم يكن ما سال مفسدة في
الدين لان الله تعالى يدبر امر العباد وهو تعالى اعلم بهم منهم بانفسهم فلا يقف تدبيره في مصالحهم على طلبهم
فان قيل ان الله تعالى يفعل هذا من دون الدعا فاى شى الفايدة في الدعا قيل فيه جوابان احدهما ان
الدعا عبادة تعبدنا الله تعالى بها لما فيها من الخشوع فاظهار الافتقار الى الله تعالى كما روى في الخبر الدعا مخ

شبكة الألوكة

اغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني بالاستغنا عنك والثاني انه لا يمتنع ان لا يكون وقوع ما ساله الداعي
مصلحة قبل المسئلة ويكون مصلحة له بعد المسئلة فيكون وهذا الدعا ضرب من العبادة قال بعضهم
قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان عام يعرض التخصيص كما حكي عن ابي سهل الانماري
انه قال في هذه الاية اجيب دعوة الداعي بعد ان لا يعجل ولا يياس ولا يدعو عن قلب ساه لاه وعن
جعفر الصادق انه قال ان للدعا اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فاركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وقطع الاسباب واجنحته الصدقة فانها تطفي سخط الرب واسبابه
ان لا يكون السوال بحق لا واوقاته الاسحار وبين الاذان والاقامة وبعد ان يصلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذهب بعضهم الى ان المراد بالدعا العبادة وبالاجابة القبول استدلالا
بقوله تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ومنهم من فرق الدعا والطلب
لجعل الدعا الامور الاخرة والطلب لحاجات الدنيا وقد ذم الله تعالى اقواما دعوا في مسالة العاجلة
فقال تعالى ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وعن السدي انه قال
لا دعا الا والله تعالى يستجيب للعبد ان كان له رزق في الدنيا عجله وان لم يكن له ذخر الى يوم القيمة
واما معنى قوله تعالى فليستجيبوا لي فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي ان
الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك و
الملك لا شريك لك والايمان ان يقول امنت بالله وكفرت بالطاغوت وعدك حق ولقاوك حق واشهد
انك واحد فرد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واشهد ان الساعة آتية لا ريب فيها وانك
تبعث من في القبور قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تركت هذه الكلمات بعد صلوة بعد ما نزلت
هذه الاية وقال الكلبي ما تركتها منذ اربعين سنة فعلى هذا يكون معنى الاستجابة الاجابة بالطاعة
والانقياد لله تعالى في ما الزمه وهذا كما يقال اقاد واستقاد واخلف واستخلف قال الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب معناه فلم يجبه عند ذلك مجيب في الجابة
موافقة الطلب وقال بعضهم الاستجابة طلب الاجابة كالاستعفا طلب العفو وقيل على
هذا التفسير ان الاستجابة ان يقول الرجل في اخر صلوته امرتنا ربنا بالدعا وقضيت على نفسك
الاجابة قلت واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع الاية ومعنى يرشدون ليكونوا
على رجا الرشد في مصالح الدنيا والاخرة يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا واصل دعان
باثبات اليا الان الاكثر في القراة حذف اليا اختصارا لان الكسرة دليل عليها وقد روي عن
كعب الاحبار انه قال قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال عز من
قايل يا موسى انا جليس من ذكرني قال يا رب فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها من
جنابة او غايط فقال عز من قايل يا موسى اذكرني على كل حال وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان في غزاة فرفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعا فقال صلى الله عليه
وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة
لقوله تعالى ادعوني استجب لكم ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم
ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن اعطي
التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قوله عز وجل احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسايكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون

انفسكم

انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا و
اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام
الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك
ان الله تعالى لما فرض الصوم الاول من العتمة الى وقت العتمة كان يحل الطعام والشراب و
الرفث للرجل ما لم يرقد او يصلي العشا الاخرة فاذا فعل احدهما حرم عليه الى مثلها من القابلة فجا
رجل من الانصار يقال له صرمة بن انس يكنى ابا قيس وقد جهده الصوم فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما لك يا ابا قيس امسيت طليحا فقال له ظللت امس في النخل نهاري كله اجر
بالجرير حتى امسيت فاتيت اهلي فارادت ان تطعمني شيا سخنا فابطات علي فنمت فايقظوني
وقد حرم علي الطعام والشراب فامسيت اليوم وقد جهدني الصوم فقال عمر رضي الله عنه
معتذرا من مثل ذلك وقال رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فاتيت امراتي
فقال صلى الله عليه وسلم لم تكن بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا فانزل الله تعالى هذه
الاية ومعنى الاية والله تعالى اعلم احل لكم في الليلة التي يكون في غدها الصوم الافضا الى النسا والمراد
منهن من الجماع وغير ذلك هن سكن لكم وانتم سكن لهن علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بمعصيتكم
فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم فالان جامعوهن في ليالي الصوم واطلبوا ما قضى الله تعالى لكم قال
ابن عباس معناه من الولد وهذا على معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم وروي عن ابن عباس انه قال في رواية اخرى
ابتغوا ليلة القدر التي كتب الله تعالى لكم ثوابها وعن قتادة انه قال اطلبوا الرخصة التي كتب
الله تعالى لكم فان الله تعالى يحب ان توخذ رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه ويقال معناه ابتغوا
بما ابيح لكم وما امرتم به وقري في الشواذ واتبعوا ما كتب الله لكم بالعين غير معجمة ولفظ الاية
يحتمل هذه المعاني كلها والعبيد ماجورون على ما يقصدون من ذلك اتباع امر الله عز وجل وقوله
وكلوا واشربوا امر اباحة واطلاق من حظر كما في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في
الارض وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وكذلك الامر بالمباشرة في هذه الاية امر اباحة ومعنى
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر حتى يتبين لكم النهار من الليل وقيل حتى
يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول وهما فجران احدهما يبدو اسود معترضا وهو الخيط الاسود
والاخر هو الذي يبدو ساطعا يملا الافق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد ولكنه الاحمر المعترض وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لبلال رضي الله عنه لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا ومد يده عرضا فبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين الخبرين ان الفجر المعترض الذي يحرم الطعام ويبيح
الصلوة هو الفجر الثاني الذي يبدو معترضا في الافق وان الفجر المستطيل الى وسط السما هو من
الليل والعرب تسمي الفجر الاول ذنب السرحان وقد روي عن عدي بن حاتم الطائي انه قال لما
نزل هذه الاية اخذت خيطين ابيض واسود فوضعتهما تحت وسادتي فلما كان في قريب من الفجر
جعلت انظر اليهما فلم يتبين لي الابيض من الاسود ما لم يسفر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فتبسم وقال صلى الله عليه وسلم ان وسادك اذا لعريض طويل وفي بعض الروايات قال صلى
الله عليه وسلم انك لعريض القفا انما هو سواد الليل وبياض النهار تجوزا انما اشتبه هذا على

الخيط الضعيف

شبكة الألوكة

عدي بن حاتم قبل نزول قوله تعالى من الفجر ويجوز ان استعارة الخيط الابيض من الخيط الاسود
في الفجر كانت في لغة قريش فنزل القرآن بلغتهم ولم يكن عدي وغيره ممن اشكل عليهم يعرفون هذه
اللغة فان قيل كيف شبه الليل بالخيط الاسود وهو مشتمل على جميع العالم قيل ان الخيط الاسود هو
السواد الذي يكون في الافق من جانب مطلع الشمس قبل ظهور الخيط الابيض فيه وهو في ذلك الموضع
مساو للخيط الابيض الذي يخرج بعده ولذلك سمي الخيط الاسود ومعنى قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل اي اتموا الصيام بعد طلوع الفجر الثاني الى اول الليل وفي عطف هذا اللفظ في الاية على اباحة
الاكل والشرب والرفث دليل ان الصوم المامور به شرعا هو الامساك عن الامور التي ذكر الله تعالى
اباحتها ليلا وعن ما في معناها دون الامساك عن جميع الاشياء على نحو ما تقدم ذكره واول الليل
غروب الشمس بحيث لا يرى اثره على الارض مع ارتفاع المواقع ومعنى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد لا تجامعوهن وانتم لابثون في المساجد نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا معتكفين في المسجد وكان الرجل منهم يخرج الى اهله فيجامع فيغتسل ثم يرجع الى المسجد
فنهوا ان يجامعوا ليلا ولا نهارا حتى يفرغوا من الاعتكاف واما قوله تعالى تلك حدود الله فان الخليل
او المباشرة في الاعتكاف معصية الله تعالى ويقال جميع ما ذكره الله تعالى في اول هذه الاية الى
اخرها احكام الله تعالى لانه حد الحلال الى حد الحرام ومعنى الحدود ما منع الله تعالى عن مخالفتها و
كل من منع شيئا فقد حده ويسمى الحديد حديدا لانه يمتنع به من الاعداء ويسمى الحاجب حدادا والحداد
المراة على زوجها لانها تمتنع من الزينة وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها وقيل ان الحد هو
الجامع المانع ومعنى فلا تقربوها اي لا تقربوا المباشرة في الاعتكاف ويقال لا تقربوا احكام الله تعالى
بالخلاف كما قلنا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ومعنى كذلك يبين الله اياته للناس اي كما بين
الله تعالى لكم هذه الاحكام فهكذا يبين للناس ساير ادلته على دينه وشرايعه وقيل ساير اوامره و
نواهيه لكي يتقوا معاصيه فلا يتعدوا حدوده والرفث المذكور في اول هذه الاية كلمة جامعة في
اللغة لكل ما يريده الرجال من النساء وهو في هذه الاية الجماع لا خلاف بين اهل العلم فيه وقد يسمى الكلام
الفاحش رفثا قال ابن عباس الغشيان والمس والافضاء والمباشرة والرفث في كتاب الله تعالى
عبارة عن الجماع ولكن الله تعالى حيي كريم يكني بالحسن عن القبيح واما تسمية المراة لباسا فلان كل
واحد من الزوجين يلابس صاحبه ويتوحد به فيكون كل واحد منهما كاللباس للاخر وحقيقة اللباس ما
يستر ويسمي الله عز وجل الليل لباسا لانه يستر كل شيء بظلامه وسمت العرب المراة لباسا قال النابغة
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا ويقال سمي كل واحد من الزوجين لباسا لصاحبه
لان كل واحد منهما ستر لصاحبه فلا يظهر لهما في اللباس فاحشة وقيل كل واحد منهما ستر لصاحبه من
النار والخيانة في اللغة انتقاص الحق على جهة المسارة فيكون معنى تختانون انفسكم اي تسارون
بعضكم بعضا في مواقعة المحظور من الجماع والاكل والشرب بعد الصلوة او النوم في ليالي الصوم كقوله تعالى
تقتلون انفسكم يعني تقتل بعضكم بعضا ويجوز ان يكون معنى تختانون تعملون عمل الخائن لنفسه في الاضرار
بها والاختيان افتعال من الخيانة قال القتيبي الخيانة هو ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الامانة فيه
وسمي الفعل المحظور خيانة لانه خلاف الدين الذي هو امانة والمباشرة في اللغة هي الصاق البشرة
بالبشرة وقد بينا انها في هذه الاية كناية عن الجماع ومعنى الاعتكاف في اللغة هو اللبث قال الله عز وجل
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والاعتكاف اسم مجمل مثل الصوم في الامساك الا ان الشرع نقل اسم
الاعتكاف الى معان اخر مع اللبث لم يكن الاسم يتناولها في اللغة منها الكون في المسجد ومنها الصوم

عند

عند كثير من اهل العلم ومنها نية التقرب الى الله تعالى بذلك وترك الجماع راسا فلا يكون معتكفا الا بوجود
هذه المعاني وقد اختلف السلف في المسجد الذي يجوز فيه الاعتكاف لكن ظاهر قوله عز وجل
وانتم عاكفون في المساجد يقتضي اباحة الاعتكاف في جميع المساجد فاما ايجاب الصوم في الاعتكاف
فلان اللفظ لما كان مجملا مفتقرا الى البيان ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف الا بالصوم
كان فعله صلى الله عليه وسلم واردا مورد البيان كفعله في الصلوة واما المباشرة المذكورة في الاية
فهي الصاق البشرة بالبشرة على وجه الشهوة ليلا ونهارا حرام في الاعتكاف الا ان الاعتكاف لا يفسد
بالتقبيل بدون الانزال وقد روي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت ترجل راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فكانت تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها فدل
ذلك ان المباشرة بغير الشهوة غير محظورة في الاعتكاف وقال مالك اذا قبل امراته فسد اعتكافه
وقال الشافعي لا يفسد الاعتكاف من الوطي الا ما يوجب الحد وقال في موضع اخر اذا باشر فسد
اعتكافه وفي هذه الاية دلالة على اباحة الاكل والشرب والوطي في ليالي الصوم الى ان يحصل له الا ستبانة
والتيقن بطلوع الفجر وان الشك لا يحظر عليه ذلك اذ لا يجوز وجود الاستبانة مع الشك وهذا
ظاهر فيمن يستبين الفجر ويرى مطلعه من حيث يطلع مشاهدة اذا لم تكن هناك علة فاما من لا يصل
الى معرفة الفجر لغيم او ضعف بصر او ليلة مقمرة فان شك في الفجر فالاحوط له ان لا ياكل استبراء
لدينه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان اكل وهو شاك فصومه تام في ظاهر الرواية وروى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة انه
قال ان كان في موضع يرى مطلع الفجر وليس هناك علة فليأكل ما لم يستبين له الفجر وان كان
في موضع لا يرى او كانت ليلة مقمرة فلا ياكل اذا شك في الفجر وان كان اكثر رايه انه اكل والفجر
طالع فعليه القضاء قال وهذا قول زفر وقول ابي يوسف رحمهما الله وهذه الرواية مفسرة
لرواية الاصل المجملة والله تعالى اعلم قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون
نزل في شان امرئ القيس بن عابس الكندي وعبدان بن اشوع الحضرمي اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ارض ادعاها الحضرمي على صاحبه فاراد المدعى عليه ان يحلف بالكذب
فقال صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض وانما انا بشر مثلكم
اقضي بما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذ منه قليلا ولا كثيرا فانما اقطع له قطعة
من النار فانزل الله تعالى هذه الاية وصارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والله تعالى اعلم لا
ياكل بعضكم مال بعض بالباطل وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اموالكم واعراضكم عليكم
حرام يعني اموال بعضكم على بعض واكل المال بالباطل على وجهين احدهما اخذه على وجه الظلم
بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة والاخرى اخذه من جهات محظورة مع
رضى المالك نحو القمار واجرة الغناء والملاهي والنايحة وثمن الخمر والخنزير والربا والمعا ملات
المحرمة واما قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام يجوز ان يكون نفيا ثابتا على معنى ولا تظهروا
حجتكم للحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر لاحدكم مع علم المحكوم له انه غير مستحق له
في الباطن ويجوز ان يكون جوابا لما قبله على معنى لا تجمعوا بين هذين الامرين كما تقدم
في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق قوله تعالى لتاكلوا فريقا من اموال
الناس اي طايفة من اموال الناس بالظلم والجور وانتم تعلمون انكم مبطلون في دعواكم

شبكة الألوكة

وان الحجة عليكم في الباطن وهذا مثل وديعة لا بينة عليها فيجحدها المودع فيحلف على ذلك فيكون
القول قوله وكذلك اذا كان عند احد مال يتيم فيجحد ويحلف وكذلك لو ادعى على انسان مالاً
وكان قد استوفى ذلك المال منه ولم يعلم شهوده بذلك فشهدوا له بالمال فحكم له الحاكم بذلك
والادلاء بالحجة ماخوذ من ادلاء الدلو وهو ارسالك اياها في البير تقول دليت دلوي ادليها
ادلاء اذا ارسلتها لتملاها واذا استخرجتها قلت دلوتها ادلوها دلواً ووجه شبه الخصومة
بارسال الدلو في البير ان المرسل الدلو ربما امتلا دلوه وربما لم يقع في دلوه شي كذلك المحاكم
ربما يظفر بطلبته وربما خابت طلبته ويجوز ان يكون معنى الادلاء هاهنا ان المخاصم يكون متعلقاً
بالخصومة والحكم ليتوصل الى الباطل كما يتعلق من ادلى دلوه بالحبل ليتوصل الى الماء **وقد روى**
عن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شاهد زور لا يرفع قدماً
عن قدم حتى تجب له النار **وفي بعض الروايات** لا يرفع قدميه عن مكانهما حتى يلعنه الله
تعالى من فوق عرشه **وعن** ام سلمة انها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجلان
يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما اقضي بينكما برايي
فيما لم ينزل على فيه فمن قضيت له بحجة اراها فاقتطع بها قطعة ظلماً فانما يقتطع قطعة من
النار ياتي بها في عنقه يوم القيمة فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حقي لصاحبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن اذهبا فتوخيا واستهما وليحلل
كل واحد منكما صاحبه ففي هذه الاية والاخبار دليل ان حكم الحاكم لرجل بالمال لا يبيح له اخذ المال
الذي لا يستحقه وفيهما دليل ان الحاكم مكلف بالظاهر لا بالمغيب وفيهما دليل ان كل مجتهد فيما
يسوغ فيه الاجتهاد مصيب ولا خلاف بين الامة ان حكم الحاكم بالاملاك المرسلة لا يوثر في اباحتها
اذا علم المحكوم له انه مبطل وانما اختلف اهل العلم في حكمه بالعقود والفسوخ وهل ينفذ ظاهراً و
باطناً مع علم المحكوم له ان شهوده شهود زور او لا ينفذ **قال الامام** ابو حنيفة ينفذ لانه روي
عن علي كرم الله وجهه انه قال شاهداك زوجاك ومن المفسرين من حمل قوله تعالى وتدلوا بها
الى الحكام على معنى لا تعطوهم اياها على وجه الرشوة ليحكموا لكم بما لا يحل ويقال لا يعطى الاوصيا
بقية ما في ايديهم من اموال الايتام الحكام لكي يتخلصوا ويتبرؤا مما فعلوا في اموالهم قوله عز
وجل **يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
لعلكم تفلحون** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة
وهما من الانصار سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل
الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينتقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة
واحدة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى والله اعلم يسالونك على وجه الحكمة في معنى الاهلة قل
هي بيان المواقيت التي يحتاج الناس اليها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم وآجال ديونهم و
الشروط التي بينهم الى اجل معلوم **وقوله** تعالى والحج اي هي بيان وقت حجهم ولو جعل الله تعالى
القمر مدوراً ابداً على هيئة الشمس لم تعرف الشهور والسنة وكان يشق حفظ عدد الايام وكان
اذا اغفل الانسان عن الحساب لم يعرف المواقيت **واما** قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها **قال** ابن عباس وذلك انه في الجاهلية واول الاسلام كانوا اذا احرم الانسان منهم فان
كان من اهل مدر يعني من اهل البيوت نقب نقباً في ظهر بيته يتخذ سلماً اليه منه يدخل ومنه يخرج

ولا

ولا يدخل من باب بيته وان كان من اهل الوبر اي من اهل الخيام والفساطيط خرج ودخل من
خلف الخيمة والفسطاط وكان لا يدخل من الباب ولا يخرج منه وربما كانوا لا يستظلون بشي ور
لا يدخلون البيت كي لا يحول بينهم وبين السماء شي الا ان يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانة
وخزاعة قوم شددوا على انفسهم فسموا الحمس للتشديد من الحماسة وهي الشدة في كل شي كانوا في ايام
حجهم لا ياقطون الاقط ولا يسلون السمن ولا ينتفعون بالوبر والشعر ويدخلون من الباب احل
لهم ما حرم على غيرهم وحرم عليهم ما احل لغيرهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
من باب بستان قد خرب وهو محرم فاتبعه قطبة بن عامر من غير الحمس فدخل معه من الباب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وانت محرم من غير الحمس قال انك قد دخلت
وانت محرم قال انا من الحمس قال ان كنت احمسياً فانا احمسي رضيت بهديك وسنتك ودينك
فنزل قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي ليس البر بان تاتوا البيوت
من خلفها اذا احرمتم ولكن البر من اتقى ويقال ولكن ذا البر من اتقى الشرك والمعاصي ومخالفة امر الله
تعالى لا من ابتدع شيئاً لم يامر الله به واتوا البيوت من ابوابها محرمين ومحلين واخشوا الله واطيعوه
في جميع ما امركم به ونهاكم عنه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة **وقال** الحسن رضي الله عنه
كان من عادة العرب الا خرج الرجل في حاجته في السفر فلم تتيسر له تلك الحاجة كان لا يطيق ان يدخل
من باب البيت فكان ينقب نقباً من ورا البيت وكان يدخل من ذلك النقب فانزل الله تعالى
هذه الاية **ويقال** هذا مثل ضربه الله تعالى لهم بان ياتوا البر من وجهه وهو الوجه الذي امر الله
عز وجل به وفيه بيان ان ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب اليه لا يصير قربة ولا ديناً بان يتقرب
به متقرب ويعتقده ديناً **ونظيره من السنة ما روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن صوم الصمت وعن صوم الوصال والصمت ان يصمت يوماً لا يتكلم فيه والوصال
ان يواصل يومين او ثلاثة لا يفطر بينهما بليل ولا نهار فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان
يعتقد ترك الاكل بالليل الذي لا صوم فيه قربة **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلاً في الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما شانه فقالوا انه نذر ان يقوم في الشمس
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحول الى الظل **وكان** ابو عبيدة يقول في هذه الاية ليس
البر ان تطلبوا المعروف من غير اهله ولكن اطلبوه من اهله **واما** الشيعة فتاولوا الاية على
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا مدينة العلم وعلي بابها **وقد اختلف**
اهل اللغة في الوقت الذي يسمى هلالاً فقال بعضهم يسمى هلالاً من اول الشهر الى ثلاثة ايام ثم يقال له القمر الى
اخر الشهر **وقال** الزجاج الاكثر يسمونه هلالاً لليلتين **وقال** الاصمعي يسمى هلالاً حتى يغلب ضوءه
سواد الليل وهذا لا يكون الا في السابعة وفي الاية دلالة على جواز الاحرام بالحج في جميع السنة ودلالة
بان المدة تكون لحقوق جميع الناس فيما يكون متعلقاً بالمدة من العدة وغيرها لان الله تعالى جعل جميع
الاهلة وقتاً لجميع الناس والحج والله تعالى اعلم قوله عز وجل **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج مع اصحابه رضي الله عنهم في العام الذي اراد فيه العمرة حتى نزل الحديبية قريباً
من مكة والحديبية اسم البير فسمي ذلك الموضع باسم تلك البير فصده المشركون عن البيت فاقام بالحديبية
شهراً ثم صالحه المشركون على ان يرجع عامه ذلك كما جاء على ان تخلى له مكة من العام المقبل ثلاثة ايام
فيطوف بالبيت وينحر الهدي ويفعل ما شا وصالحوه على ان لا يكون بينهم قتال الى عشر سنين فرجع

الألوكة
www.alukah.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضا وكانوا يخافون
ان لا تفي قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الآية
ومعناها والله اعلم قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يبدؤنكم بالقتال ولا تجاوزوا الحد بنقض
العهد بالبداية بقتالهم ان الله تعالى لا يرضى عمل المتجاوزين عن الحدود وقيل ان هذه اول
اية نزلت في القتال فان القتال كان محظورا قبل الهجرة كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال
عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وقال جل ذكره فاعف عنهم وقال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما ثم امر الله تعالى المسلمين بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم من المشركين ثم نزلت اية اخرى
في الاذن بالقتال عاما لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهي قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان المراد بالذين يقاتلونكم وهذه
الاية الذين هم من اهل القتال دون النسا والولدان الذين لا يقاتلون فهذه الاية على قوله محكمة
غير منسوخة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى يوم فتح مكة امراة مقتولة
فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه ما كانت هذه تقاتل ثم قال صلى الله عليه وسلم لواحد من اصحابه
الحق خالدا وقل له لا تقتل وليدا ولا امراة وفي بعض الروايات لا تقتل ذرية ولا عسيفا وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن قتل النسا والولدان ومعنى لا تعتدوا على هذا التاويل
لا تجاوزوا الى قتل من لا تؤمرون بقتله والله تعالى اعلم قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين تاويل هذه الاية على ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما في الاية المتقدمة واقتلوا الذين يبدؤنكم من اهل القتال من اهل مكة
حيث وجدتموهم واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم والشرك الذي هم فيه اعظم ذنبا عند الله تعالى من
القتال في الحرم والشهر الحرام ومعنى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام على هذا التاويل انهم اذا
بداوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجؤوا الى الحرم فكفوا عن قتالهم فلا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم
فيه فان بداوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم هكذا جزاء الكافرين يعني القتل في الحرم اذا قاتلوا وانما
سمي الكفر فتنة في هذه الاية لان الكفر يؤدي الى الهلاك كما ان الفتنة تؤدي الى الهلاك ويقال اصل
الفتنة الاختبار والكفر فساد يظهر عند الاختبار ثم قرا وان قتلوكم بغير الف فمعناه فان
قتلوا منكم تقول العرب قتلنا اي قتل بعضنا والثقف في اللغة الاصابة يقال ثقفت فلانا
اثقفه ثقفا وثقافة اذا اخذته ويقال رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا للامور حاذقا
وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية ناسخة للاية التي قبلها لان في هذه الاية امرا بقتال المشركين
كلهم حيث وجدهم المسلمون سواء قاتلوا او لم يقاتلوا وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
ضرب من التخصيص للعموم المذكور في اول هذه الاية فكان الله تعالى امر بقتل المشركين في كل
موضع الا بحضرة المسجد الحرام فانه امر ان لا يبدءهم عنده بالقتال قوله عز وجل فان انتهوا
فان الله غفور رحيم يقول فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما مضى من
جاهليتهم رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم وهذا كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا
فلا عدوان الا على الظالمين ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام لان الله تعالى امر بقتال المشركين في هذه الاية حتى لا يبقى الشرك بالله

تعالى

تعالى فقال بعضهم حرمة القتال في الحرم ثابتة لم تنسخ ولا يحل القتال فيه الا مع من قاتل و
قد ذهب اصحابنا رحمهم الله الى ان هذا الحكم ثابت غير منسوخ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال يوم فتح مكة ان مكة حرام بحرام الله تعالى حرمها الله عز وجل يوم خلق السموات والارض
وانما احلت لي ساعة من النهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه خطب يومئذ حين قتل رجل من خزاعة رجلا من هذيل فقال ان اعتى الناس على الله تعالى ثلاثة
رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل قتل بذحل الجاهلية فعلى هذا يكون تاويل هذه الآية
والله تعالى اعلم وقاتلوا اهل مكة الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شرك بالله تعالى ويكون الدين كله
لله تعالى عز وجل فان انتهوا عن قتالكم فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام الا على
الذين يبدؤن بالقتال وينقضون العهد ومن الدليل على ان هذه الاية غير ناسخة لما قبلها انهما
مع ما قبلها مذكوران في خطاب واحد على ما يقتضيه نسق التلاوة ونظام التنزيل ولا يصح النسخ
الا بعد التمكين من الفعل ولا يجوز اثبات النسخ الا بالنقل الصحيح واثبات التاريخ قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلاه اهل مكة البيت الحرام ثلثة
ايام فدخله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فطافوا بالبيت ونحروا الهدي عند المنحر
واقاموا بمكة ثلثة ايام حتى قضوا حاجتهم من البيت ثم انصرفوا فانزل الله تعالى قوله عز وجل
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين معنى الاية والله اعلم الشهر الحرام
الذي دخلت فيه مكة بالشهر الحرام الذي صددت فيه في العام الاول ومعنى والحرمات قصاص اي
اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة كما صدوكم في الشهر الحرام في ذي القعدة مراغمة
على دخول المسجد ويقال معنى الاية قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام وهذه الحرمات قصاص
اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا واراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام فمن اعتدى
عليكم بالقتال في الحرم فكافئوه بمثل ما فعل واخشوا الله تعالى في كل ما امرتم به ونهيتم عنه و
اعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والمعونة واصل العدوان والاعتدا في اللغة الظلم ومجاوزة
الحد الا انه سمي المجازاة على الظلم عدوانا واعتدا لان صورة الفعلين واحد وان كان احدهما طاعة
والاخر معصية تقول العرب ظلمني فلان فظلمته وجهل علي فجهلت عليه وعلى هذا قول الله عز وجل
ومكروا ومكر الله وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم واسم المثل قد يقع على ما يكون من جنسه
وعلى ما لا يكون من جنسه فكل ما كان من المكيل والموزون والمعدود اذا استهلكه واحد على صاحبه كان
عليه مثله من جنسه وما كان غير ذلك من اصناف الاموال فمثله قيمته وما يكون جزاء من طريق الحكم
لان من تعدى على غيره بقذف لم يكن المثل المستحق عليه ان يقذف مثل ما قذفه بل يكون المثل جلد
ثمانين وكذلك لو شتم رجلا بما دون القذف كان عليه التعزير وكان ذلك مثلا لما قاله والله تعالى اعلم
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين
المعنى في ذلك ان الله تعالى ذكر فرض الجهاد في الاية المتقدمة ثم قرن الى ذلك الانفاق في سبيل الله
تعالى في هذه الاية ومعناها والله تعالى اعلم تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة الله تعالى ولا تلقوا انفسكم
بايديكم الى التهلكة وحذف ذكر النفس لان في الكلام دليلا ويجوز الحذف اذا كان في المذكور دليل
على المحذوف وقد اختلفوا في معنى الالقا باليد الى التهلكة فقال بعضهم معناه لا تمسكوا بايديكم
عن الصدقة في الجهاد فتهلكوا قال ابن عباس في هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه

عليه و

شبكة الألوكة
www.alukah.net

امر الناس بالجهاد الى مكة للحج ونادى مناديه بالاستعداد في الحج فقام اليه ناس من اعراب حاضري
المدينة فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا مال نتجهز به ولا
يطعمنا احد فانزل الله تعالى هذه الاية فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة و
رغبتهم فيها فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق فقال تصدقوا ولو بشق
تمرة فقالت امراة من النسا ما لي شق تمرة قال تصدقوا ولو بظلف شاة وعن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله دينه قلنا فيما بيننا ان اموالنا
ضاعت فلو قمنا فيها فاصلحنا ها فامر الله تعالى بالجهاد فاخبرنا بو ابو ابن الالقا بالايدي الى التهلكة هو
ترك الجهاد في سبيل الله تعالى وعن عبيدة السلماني انه قال هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيده
ولا يعمل يقنط من رحمة الله تعالى فيهلك وقال بعضهم هو الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له ما يا كل
فيتلف وعن البرا بن عازب رضي الله عنه انه قال هو الرجل يخرج من بين الصفين فيستقتل من
غير قصد لنكاية العدو واما قوله تعالى واحسنوا فمعناه احسنوا في النفقة والافضال على المحتاج و
يقال احسنوا بالانفاق في سبيل الله تعالى فانكم اذا فعلتم ذلك كنتم محسنين والاحسان هو فعل الحسن
في العقول الا انه اذا اطلق انصرف الى النفع الحسن وهو نقيض الاساءة وقد ذكر محمد بن الحسن
رحمه الله في السير الكبير ان رجلا لو حمل على الف رجل وهو وحده لم يكن بذلك باس اذا كان يطمع
في نجاة او كان يطمع في نكاية وان كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يرهب بذلك العدو و
يجري بذلك المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا باس بذلك لان هذا افضل النكاية و
فيه منفعة للمسلمين وانما يكره ذلك اذا كان لا منفعة فيه بوجه من الوجوه وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة
حق عند سلطان جائر فقتله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شر ما
في رجل شح هالع وجبن خالع فذم الجبن وذلك يوجب مدح الاقدام والشجاعة فيما
يعود الى الدين وان ايقن فيه بالتلف والله تعالى اعلم قوله عز وجل وأتموا الحج والعمرة
لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي
محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو
نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام
ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب روي عن علي وعبد الله
بن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا اتمام الحج والعمرة ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تمام العمرة الى البيت وتمام الحج الى اخر الحج كله وقيل اتمامهما
ان تكون النفقة حلالا وينتهي عن جميع ما نهى الله تعالى عنه ويأتي بجميع ما شرع الله فيهما من
المشاعر والمواقف وقال مقاتل رحمه الله اتموا الحج والعمرة لله من المواقيت ويقال ان اتما
اقامتهما على التمام وهذا تاويل من يذهب الى ان العمرة واجبة قال الحسن ومجاهد هذا امر
باتمامهما بعد الشروع فيهما والاظهر من لفظ الاتمام والله اعلم انه انما يطلق بعد الدخول فيه كما
في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل واما قوله تعالى فان احصرتم اي منعتم من البيت بعدما احرمتم
بحج او عمرة فاردتم الاحلال فعليكم ما تيسر من الهدي قال ابن عباس رضي الله عنهما اعلاه بدنة
واوسطه بقرة وادناه شاة يبعث المحصر بها الى مكة ويواعدهم اليوم الذي يذبحون عنه اذا ذبح

عنه

عنه حل ورجع الى اهله ثم يقضي ما كان احرم به بعد ذلك ومعنى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ
اي لا يحلق احدكم راسه ولا يحل من الاحرام حتى يبلغ الهدي الحرم اي حتى يعلم ان هديه قد ذبح عنه
في الحرم وقوله فمن كان منكم مريضا اي كان مريضا من المحرمين محصرين او غير محصرين فلم يستطع الا
على شروط الاحرام فحل وفعل شيا مما يفعل الحلال قبل ان يذبح عنه الهدي او كان في راسه قمل او ذيه
لا يستطيع ان يصبر عليه فحلق راسه فعليه فدا اما صيام ثلثة او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من تمر او صاع من شعير او شاة يذبحها في الحرم روي
عن كعب بن عجرة انه قال نزلت هذه الاية في مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر
على وجهي فقال صلى الله عليه وسلم اتوذيك هوام راسك قلت نعم قال احلق راسك واطعم ستة
مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة او صم ثلثة ايام او انسك بنسيكة وقوله فاذا امنتم
اي امنتم الموانع من المرض والعدو وكل مانع ويقال في الاية اضمار واختصار تقديرها فلوا
امنتم من العدو وبراتم من المرض فاقضوا ما كنتم احرمتم به قبل الاحصار من حج او عمرة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اي من بدا بالعمرة في اشهر الحج واقام بمكة في عامه فحج من غير ان يرجع الى اهله فعليه
ما تيسر من الهدي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج يصومها قبل
يوم النحر متتابعا او متفرقا او صيام سبعة ايام الى اهاليكم ويقال اذا رجعتم الى ما كنتم عليه اي
فرغتم من الحج تلك عشرة كاملة للهدي وقيل كاملة للثواب وذلك التمتع والهدي لمن لم
يكن اهله حاضري المسجد الحرام يعني بمكة واتقوا الله في جميع ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا
ان الله شديد العقاب اذا عاقب فلا تستحلوا مخالفة شي مما امرتم به ونهيتم عنه وقد اختلف
السلف في وجوب العمرة روي عن عبد الله بن مسعود والشعبي وابرهيم النخعي انها تطوع
وبه قال اصحابنا وقال مالك رحمهم الله وروي عن عايشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر
ومجاهد انها واجبة وبه قال الشافعي رحمه الله ولا دلالة في هذه الاية على الوجوب لان لفظ الاتمام
يقتضي نفي النقصان عنها اذا فعلت لان ضد التمام هو النقصان ومثل هذا اللفظ يستعمل في
الواجبات والنوافل وقرى والعمرة لله بالرفع على معنى الابتدا فاما الحج ومن نصب العمرة
احتمل ان يكون للابتدا لكن نصبها اتباعا للحج واما قوله تعالى لله فلان اهل الجاهلية كانوا
يشركون في احرامهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وتعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فامر الله تعالى باخلاص القول والعمل لله تعالى واما لفظ الاحصار فقد
ذكر الكسائي وابو عبيدة واكثر اهل اللغة ان الاحصار هو ان يكون بمرض او عذر والحصر ان يكون
بحبس عدو يقال احصره المرض او العذر فهو محصر وحصره العدو فهو محصور وهذا على مذهبنا
وقال الفرا لا فرق بين الحصر والاحصار وهما يشتركان في المعنى وهذا اقرب من مذهب
الشافعي رحمه الله فان عنده لا يكون المريض محصرا ولا يكون الاحصار الا بالعدو واما المريض
فلا يتحلل بالهدي واذا لم يقدر على الذهاب واكثر ابو العباس المبرد والزجاج على الفرا
وقالا ان الاحصار والحصر مختلفان في المعنى الا ترى انك تقول حبست الرجل اذا جعلته في
الحبس واحبسته اذا عرضته للحبس وقبرته اذا دفنته في القبر واقبرته اذا عرضته للدفن
في القبر وقتلته اذا باشرت قتله واقتلته اذا عرضته للقتل والهدي في اللغة اسم لما
يهدى الى البيت وهو جمع هدية كما يقال جدية وجدي ويقرا من الهدي بالتشديد وهو جمع هدية
وعن عايشة وعبد الله بن عمر انهما قالا في هذه الاية ان الهدي انما يكون بدنة او بقرة وقالا بية فو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى في التخيير على هذا القول التخيير بين اعيان الابل والبقر وقد اتفق الفقهاء في تفسير
قوله تعالى هديا بالغ الكعبة ان الشاة هدى في جزاء الصيد واتفقوا ان ما عدا الاصناف الثلاثة
من الابل والبقر والغنم ليس من الهدى ولا يجوز من كل شي الا الثني فصاعدا الا الجذع من
الضان اذا فرط الفاسقة اشهر على ما ورد به الخبر في الاضحية والثني البالغ من كل شي و
هو عند الفقهاء في الغنم ابن سنة وفي البقر ابن سنتين وفي الابل ابن خمس سنين واختلفوا
في المحل المذكور في قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
وعطا وطاوس ومجاهد رضي الله عنهم محله منحره وهو الحرم وقال مالك والشافعي رحمهما الله
محله الموضع الذي احصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدى محله اى ينحر الهدى فيحل اكله والمحل
يذكر ويراد به الوقت مثل محل الدين وهو وقته الذي يجب المطالبة به ويذكر ويراد به المكان كما
قال الله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وظاهر الاية يقتضي ان يبلغ الهدى بعد الاحصار
مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان موضع الاحصار محلا للهدى لكان بالغا محله بوقوع الا حصار
وادى ذلك الى بطلان الغاية المذكورة في الاية وقال تعالى في شان الحديبية والهدى معكوفا
ان يبلغ محله فيه حجة في ان المحل هو الحرم وليس في تلك الاية بيان موضع الذبح انه كان في الحل او في
الحرم فيحتمل ان الهدى كان ممنوعا عن الحرم ثم لما وقع الصلح اطلقوا الهدى حتى ذبح في الحرم
وقد روى عن ناجية بن جندب انه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث معي الهدى
حتى آخذ به في الشعاب والاودية فاذبحها بمكة ففعل وذهب ابو يوسف ومحمد والثوري
الى ان هدي المحصر عن الحج موقت بيوم النحر وليس في هذه الاية دليل ان المراد بالمحل الزمان
لان قوله تعالى فان احصرتم عائد الى الحج والعمرة المذكورين في اول هذه الاية ولا خلاف ان هدي
الاحصار في العمرة غير موقت بيوم النحر وفي الظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى
محله دليل ان المحصر اذا لم يجد الهدى لا يحل حتى يجد الهدى فيذبح عنه وقال عطا يصوم عشرة
ايام ويحل كالمتمتع اذا لم يجد وحكم المرض في الاحرام على ثلاثة اوجه اما ان يكون كسرا او عرجا كما
روى في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فهذا
يكون حكمه حكم المحصر ان امتنع من المضي الى مكة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر
فقد حل اى جاز له ان يحل بان يبعث الهدى حتى يذبح عنه وهذا كما يقال اذا انقضت عدة المراة
حلت للازواج اى حل لها ان تتزوج واما ان يكون مرضا يحتاج فيه الى فعل شي مما يحظره
الاحرام من حلق او لبس او تغطية او نحو ذلك فيفعله لدفع الاذى فيكون حكمه ما ذكر الله تعالى
بقوله سبحانه ففدية من صيام او صدقة او نسك واما ان يكون لا يحتاج اليه الى استعمال
شي مما يحظره الاحرام فيكون حكمه حكم الاصحاء وانما سمي الجمع بين فعل العمرة اولا وفعل الحج
ثانيا في اشهر الحج في سفر واحد من غير ان يلم باهله حلالا بينهما تمتعا لما فيه من الارتفاق
باسقاط احد السفرين عن نفسه ويقال لما في ذلك من الانتفاع باستحقاق ثواب الحج و
العمرة بجمعهما في اشهر الحج على الوجه واما اذا احرم بالعمرة في شهر رمضان وطاف لها
شوطا او شوطين ثم اتى باكثر افعال العمرة في اشهر الحج وحج من عامه ذلك في ذلك السفر كان
متمتعا ايضا عندنا وفي هذا خلاف بين اهل العلم رحمهم الله وسبب التمتع ما روى في الخبر ان
الكفار كانوا يرون العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور ويجعلون المحرم صفر ويقولون اذا برا
الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه رضي الله عنهم مكة صبيحة اليوم الرابع من ذي الحجة محلين بالحج امر النبي صلى الله عليه
وسلم من لم يسق الهدى من اصحابه ان يحل ويجعلها عمرة فتعاظم ذلك عندهم وقالوا يا رسول الله
اي الحل قال الحل كله وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي
ولحللت معكم فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسخ الحج لنا خاصة ام لمن بعدنا فقال
بل لنا خاصة ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حلوا من اصحابه فاحرموا بالحج يوم
التروية حين اراد الخروج الى منى وعلى هذا قالوا انما سمي التمتع تمتعا لما فيه من التمتع بالنساء
بين الحج والعمرة اذا لم يكن ساق الهدى واما صورة القران فهي ان يحرم بالحج والعمرة معا في
عام واحد او يحرم بالحج قبل ان ياتي باكثر افعال العمرة وحكم القران حكم التمتع في الهدى وبدله
وهدي المتعة والقران يختص عندنا بيوم النحر كما قال الله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس
الفقير ثم ليقضوا تفثهم فرتب قضاء التفث على ذبح الهدايا ولا يكون قضاء التفث قبل يوم
النحر ولا خلاف ان قضاء التفث لا يترتب على هدي المفرد بالحج ولهذا قال اصحابنا ان هدي
المتعة والقران دم نسك يجوز الاكل منه كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قارنا وكان
ساق معه مائة بدنة فنحر ثلثا وستين بيده واعطى عليا كرم الله وجهه ما غبر واشركه في هديه
وامر ان ياخذ من كل بدنة بضعة ففعل فاكلا من اللحم وشربا من المرق واما التفرد ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مفردا بالحج عام حجة الوداع فيحتمل اختلاف الروايات في هذا الباب لان
الناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا فسمعه بعضهم يقول حين احرم لبيك بحجة
وعمرة معا ثم لما اخذ في عمل العمرة سمعه قوم يلبي بالعمرة ثم لما شرع في عمل الحج سمعه قوم يلبي بالحج
الا ترى الى ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني
الليلة آت من ربي وانا بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك ركعتين وقل لبيك بحجة و
عمرة معا ولهذا قال اصحابنا في الرواية المشهورة عنهم ان افضل الحج القران ثم التمتع ثم الافراد
والله تعالى اعلم والافضل لصوم المتمتع ان يصوم قبل يوم التروية بيوم ليكون آخر ثلثته يوم
عرفة واما قوله فصيام ثلثة ايام في الحج ذهب بعض اهل العلم الى ان صوم المتعة لمن لم يجد الهدى
لا يجوز الا بعد احرامه بالحج واما اصحابنا رحمهم الله قالوا لا يجوز ان يكون قوله تعالى في الحج
بمعنى في فعل الحج لان فعل الحج الذي لا يصح الا به انما هو الوقوف يوم عرفة بعد الزوال و
يستحيل صوم الايام الثلثة فيه فكان المراد بعد احرام الحج او في اشهر الحج وظاهره يقتضي
جواز فعله بوجوده في ايهما كان واذا صام للمتعة بعد احرامه بالعمرة في اشهر الحج فقد صام
بعد وجود سبب المتعة فوجب ان يجزيه وهذا كما قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير
رقبة مؤمنة ثم لم يمتنع جواز تقديم الكفارة على القتل لوجود الجراحة التي هي سبب
القتل واما اذا لم يصم الثلثة قبل يوم النحر فقد اختلف اهل العلم في ذلك قال عمر وعبد
الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم لا يجزيه الا الهدى ولا يحل الا به وهو قول
اصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم يصوم ايام منى وهو قول مالك
رحمه الله وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يصوم بعد ايام التشريق وهو قول الشافعي
رحمه الله والفائدة في قوله تعالى عشرة كاملة انه كان يجوز ان يتوهم ان البدل لا يلحق المبدل
في الثواب فبين الله تعالى انه في الكمال بمنزلة المبدل ان لم يجده ويقال ان الواو قد جاءت في
القرآن بمعنى التخيير كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فالكمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى وجوب صوم العشرة كلها بقوله تعالى تلك عشرة كاملة لازالة هذا الاشكال والاصل في حاضري المسجد الحرام حاضرين المسجد الحرام سقطت النون للاضافة وسقطت الياء في اللفظ لسكونها وسكون اللام في المسجد كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وقد اختلفوا في حاضري المسجد الحرام قال عطاء ومكحول رضي الله عنهما هم كل من دون المواقيت الى مكة وهو قول اصحابنا الا ان اصحابنا يقولون اهل المواقيت بمنزلة من دونها لانهم كلهم في حكم اهل مكة يجوز لهم دخولها من غير احرام وقال ابن عباس ومجاهد حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم وقال الحسن وطاوس ونافع هم اهل مكة وقال الشافعي هم من كانت داره دون ليلتين من مكة وذلك مقدار اقرب المواقيت الى مكة وهو اقل مسيرة السفر عنده وظاهر قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام يقتضي الاشارة الى المتعة والهدي جميعا لا اباحة المتعة والقران لاهل المواقيت ومن دونها الى مكة وذهب الشافعي رحمه الله الى ان قوله تعالى ذلك اشارة الى الهدي دون المتعة والقران فيجوز عنده المتعة والقران لاهل مكة لكن لا هدي عليهم والله تعالى اعلم قوله عز وجل

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب في الاية تقدير حذف مضاف ومعناها وقت الحج اشهر معلومات ويقال الحج في اشهر وهذا كما قال الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر ومعناه مدة غدوها ومدة رواحها واختلفوا في هذه الاشهر قال ابن عباس واكثر اهل التفسير انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة واما من قال انها شوال وذو القعدة وذو الحجة فليس بخلاف لان مراد من قال ذو الحجة بعضه لان الحج لا محالة في بعض هذه الاشهر لا في جميعها ويجوز اضافته الى جميع هذه الاشهر وان كان هو في بعضها الا ترى انك تقول لقيت فلانا سنة كذا ووقت يوم كذا وتريد بذلك بعض المدة ويقال وقت الصبح من حين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وان كانت صلوة الصبح لا تستغرق هذا الوقت كذلك الحج لا خلاف بين الائمة انه ليس يبقى بعد ايام منى شيء من مناسك الحج ومعنى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث اي من اوجب فيهن الحج بالتلبية او ما يقوم مقامها من ذكر او سوق الهدي فلا رفث ولا فسوق او لا يرفث ولا يفسق وهذا لفظ خبر بمعنى النهي كما ان قوله تعالى يتربصن ويرضعن خبران لفظا وامران معنى والرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النساء قال ابن عباس رضي الله عنهما الرفث مراجعة النساء بذكر الجماع واما الفسوق فقد اختلفوا فيه قال ابن عمر رضي الله عنهما هو ما نهى الله تعالى عنه في الاحرام واختار بعضهم هذا القول وقالوا لو كان المراد به جميع المعاصي لكان لا يختص بالنهي عنها حالة الاحرام وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين ان المراد بالفسوق جميع المعاصي وفائدة تخصيص حالة العبادة بالنهي عنها لتعظيم حرمة العبادة كما يقال لا تغتب في صومك ولا تعبث في صلوتك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان جهل عليه فليقل اني امرؤ صائم واما قوله تعالى ولا جدال في الحج قال بعضهم الجدال ان تجادل صاحبك حتى تغضبه او يغضبك ويقال ان المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة وكان حج ابي بكر رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للحج في اخر عامي ذي القعدة وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في اول عامي ذي الحجة فقال صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجع الحج الى ذي الحجة كما كان فانزل الله تعالى هذه الاية اي لا تجادلوا في ميقات الحج ويقال كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت اللخم وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق يجادل صاحبه في الموقف فنزلت هذه الاية

و

ومعنى وما تفعلوا من خير اي من اسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال يعلمه الله يقبله منكم فيجزيكم عليه والله تعالى عالم من دون ان تفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله تعالى مفعولا وكان من قبل يعلمه غير مفعول واراد تعالى بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل الذي يتبين به انه لا يجازي المرء على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما يقع منه ويقال هذا كلام خرج مخرج التهديد اي لا يخفى علي كما تفعلون من خير او شر ومعنى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا في سفر الحج والعمرة وما تكفون به وجوهكم عن المسألة نزلت في قوم كانوا يخرجون باهاليهم بغير زاد يتكلون على الناس ويسمون انفسهم المتوكلة يقولون نحج بيت ربنا والله تعالى رازقنا وقيل نزلت في قوم كانوا يلقون ازوادهم ويصيرون في حجرهم من اهل الطريق ظنا فيقولون نحن حجاج فبين الله تعالى ان الزاد هو ان يتقوا ما لا يحل لا ان تلقوا ازوادكم وتصيروا كلا على الناس ومن يقال في الاية تقديم وتاخير وتقديره وتزودوا من الطاعات واتقون يا اولي الالباب فان خير الزاد التقوى ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية زاد الدنيا وزاد الاخرة فكان الله تعالى حث على الزادين جميعا وامر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى فان النجاة من مهلكات سفر الدنيا بالزاد ومن سفر الاخرة بالعمل الصالح قال الشاعر

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله فترصد للامر الذي كان ارصدا

وعن سفيان الثوري رحمه الله انه كان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت

اذا انت لم تزرع وابصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

وقد اختلف اهل العلم في جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج روي عن ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم انهم قالوا لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج وقال عطاء من احرم بالحج قبل اشهر الحج فليجعلها عمرة وقال الشافعي تكون عمرة وعن ابرهيم النخعي جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج وهو قول اصحابنا ومالك والثوري والليث رحمهم الله وقد قدمنا فيما سلف ذكر وجه الدلالة على جواز ذلك من قوله عز وجل يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وان ذلك عموم في كون الاهلة كلها وقتا للحج ومعلوم ان الاهلة ليست عينا لافعال الحج فوجب ان يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج واما ما ذكر الله تعالى في هذه الاية يحتمل انه توقيت لافعال الحج فان من قدم مكة محرما بالحج قبل اشهر الحج وطاف وسعى لم يكن ذلك السعي معتدا به من الحج ويحتمل ان يكون المراد بالحج المذكور في اول هذه الاية الحج الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية وهو حج التمتع وذهب بعض مشايخنا الى ان قوله اشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام لانه اذا قدم الاحرام على شوال امتد مكثه في الاحرام واضطر الى شيء من محرمات الاحرام يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج وهو رواية اخرى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وظاهر هذه الاية تقتضي ان الاحرام بالحج يوم النحر جائز وانه لا يفصل بين يوم النحر وبين ما بعده والفرض ايجاب الشيء والزامه وقطعه عن شيء معلوم ومن ذلك فرضة النهر وفرضة السهم وفرض الله تعالى على العباد الصوم والصلوة اي قطع الحكم بايجابهما على تقدير معلوم واما سوق الهدي بنية الاحرام فانه يقوم مقام التلبية والايجاب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له عام حجة الوداع ما بال الناس قد حلوا وانت لم تحل بعد فقال صلى الله عليه وسلم اما اني قلدت هديي ولبدت راسي فلا احل حتى انحر فجعل بتقليد الهدي تاثيرا في الاحرام وقد اتفقت الامة ان المراد بالرفث المذكور في هذه الاية الجماع فادونه من اللمس والتقبيل ونحو ذلك لا خلاف بينهم ان من قبل امراته في احرامه لشهوة فعليه دم واصل الرفث في اللغة انه بالقول الفاحش فيه وبالفرج الجماع وباليد الغمز للجماع

اى تفعلاه

شبكة الالوكة www.alukah.net

وعن ابن عباس انه كان ينشد في احرامه فيقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا
فقيل له ارفث فقال رضي الله عنه انما الرفث مراجعة النساء بذكر الجماع والنصب في قوله تعالى فلا رفث
ولا فسوق نصب على التبرية ويقرا بالرفع والتنوين وكلا الوجهين جايز في كلام العرب واكثر القراء في
قوله تعالى ولا جدال في الحج على النصب لم ينقل فيه الرفع والتنوين الا في رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق
جعل ما بعده كلاما مبتدا ولا خلاف ان الجدال والفسوق لا يفسدان الحج لانه نهي تاديب واما الرفث
نعم حتم اذا وجد الجماع في الحج قبل الوقوف بعرفة افسد الحج وعن ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وفي الخبر دلالة
ان النهي عن الرفث والفسوق امر بالتوبة عن الفسوق اذ الاصرار عليها من اعظم المعاصي وروي
ان الفضل بن عباس كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المزدلفة الى منا فكان
يلاحظ النسا وينظر اليهن فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه بيده من خلفه فقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره غفر الله له وفي الاية دلالة بطلان قول
المتصوفة الذين يسمون بالمتوكلة في تركهم التزود والسعي في المعاش لان الله تعالى امر بالتزود
في هذه الاية وشرط في وجوب الحج الاستطاعة ولهذا المعنى فسر النبي صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
حين سئل عنها بالزاد والراحلة قوله عز وجل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم
من قبله لمن الضالين روي عن عبد الله بن عمر ان رجلا ساله فقال اني لاكري الابل الى مكة
افيجزي من حجي فقال اولست تلبي وتقف بعرفات وترمي الجمار قال بلى قال سال رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سالتني عنه فلم يجبه حتى انزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انتم حجاج ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليكم جناح ان تطلبوا رزقا في التجارة في
ايام الحج فاذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله تعالى باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذي
يقف عليه الناس بالمزدلفة واذكروه بالثناء والتوحيد والشكر ذكرا مثل هدايته اياكم اي ذكرا يكون
جزاء لهدايته وانتم كنتم من قبل هدايته اياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل ان المراد بالذكر الاول في هذه
الاية صلاة المغرب والعشاء اللتين جمع بينهما في وقت العشاء بالمزدلفة والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول
بالمزدلفة غداة جمع في موقف المزدلفة فعلى هذا يكون الذكر الاول غير الثاني وقد سمي الصلوة ذكرا على معنى
ان الذكر ركن من اركانها كما سمي ركوعا في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين والافاضة هي الدفع بالكثرة يقال افاض
القوم في الحديث اذا تدافعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل اناه اذا ملاه وفاض الاناء اذا انصبت
منه المياه للامتلاء وافاض البعير بجرته اذا رمى بجرته متفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفة وهو مكان واحد ذكرها
الله بلفظ الجمع واراد بجميع اجزايها وسميت عرفات لارتفاعها من سائر الارض وكذلك الاعراف ويقال سميت
بهذا الاسم لان ادم وحوا عليهما السلام تعارفا هناك بعد الفراق ويقال لان جبريل عليه السلام عرفها ابرهيم
عليه السلام ليقف عليها حين كان يعلمه امور المناسك فقال ابرهيم عليه السلام عرفت والكسر والتنوين في
عرفات على معنى ان هذا اللفظ محكي على ما كان في الاصل يقال هذا عرفات ورايت عرفات ومررت بعرفات
ونظير هذا من الاسامي انك اذا سميت انسانا بظالمين قلت جاءني ظالمين ورايت ظالمين ومررت بظالمين
قال امرؤ القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي ومن قرا عرفات بالكسر
بغير تنوين فلانه وان اعتبرنا حكم الاصل فهو في الحال واحد لا ينصرف لاجتماع التعريف والتانيث وسميت
المزدلفة المشعر الحرام على معنى انها معلم متعبد من متعبدات الله تعالى والشعار العلامة ومن ذلك

اشعار

اشعار الهدى وتسمى المزدلفة جمعا ايضا قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس و
استغفروا الله ان الله غفور رحيم قال الضحاك معناه افيضوا من المزدلفة التي تفيض
منها قريش وروي في رواية اخرى ان المراد بالناس ابرهيم عليه السلام لانه كان الامام المقتدى
به فسماه الله تعالى ناسا كما قال الله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا وانما ذهب الضحاك رحمه الله
الى ان المراد بالافاضة في هذه الاية الافاضة من المزدلفة لان الله تعالى عطف هذه الاية على الافاضة
من عرفات الى المزدلفة فعلم ان المراد بهذا الافاضة من المزدلفة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد
بالافاضة في هذه الاية الافاضة من عرفات وذلك ان الحمس من قريش وغيرها كانت لا تخرج من الحرم
وكان وقوفها بالمزدلفة لا غير افتخارا وتعاليا على الناس كانوا يقولون نحن اهل الله فلا نخرج من حرمه
واما غير الحمس كانوا يقفون بعرفة فانزل الله تعالى هذه الاية وامر قريشا وغيرهم من الحمس ان يقفوا بعرفة
حيث تقف الناس ويدفعوا عنها معهم وانما ذكر الناس وامر قريشا بالافاضة من حيث افاض الناس
لان قريشا ومن دان دينها كانوا قليلا بالاضافة الى ساير الناس وقوله تعالى ثم افيضوا على هذا التاويل راجع
الى اول الكلام كانه قال احرموا كما امركم الله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس فيكون الامر بالافاضة
معطوفا على الاحرام دون الافاضة من عرفات والفايدة في اعادة ذكر الافاضة ان قوله تعالى فاذا افضتم من
عرفات يقتضي ان الوقوف بعرفة من مناسك الحج وقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس يبين ان الوقوف
بعرفة من فرض الحج على الناس كلهم لان الامر بالافاضة يقتضي الوجوب ولا يتوصل الى الافاضة منها الا بكون
فيها هناك وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة فمن ادرك عرفة بليل او نهار
فقد ادرك الحج ومن فاته عرفة بليل او نهار فقد فاته الحج اراد بالليل ليلة يوم النحر فان اول وقت الوقوف
بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة واخره طلوع الفجر من يوم النحر فان دفع منها قبل غروب الشمس ولم
يرجع اليها قبل دفع الامام فعليه دم في ظاهر الرواية واما موضع الوقوف فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها موقف الا بطن محسر وقد
اختلف اهل العلم رحمهم الله في الوقوف بالمزدلفة فذهب اكثرهم ان ذلك ليس بركن من اركان الحج على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قدم ضعفة اهله بليل وفي بعض الاخبار انه قدم اغيلمة بني عبد المطلب
بليل وجعل يلطخ افخاذهم بيده ويقول ابني لا ترموا جمرة العقبة الا مصبحين فلو كان الوقوف بالمزدلفة فرضا
لما رخص تركه للضعفة كالوقوف بعرفة واما قوله تعالى واستغفروا الله قال بعضهم هذا امر بالاستغفار
من الذنوب في مواطن الحج فان الدعا في تلك المواطن جدير بالاجابة وقال بعضهم هذا خطاب للحمس امرهم الله
تعالى بالاستغفار مما كان منهم في الجاهلية من مخالفة امره بترك الوقوف بعرفات ان الله غفور لذنوب
العباد اذا تابوا رحيم بهم بعد التوبة قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق معناه والله
تعالى اعلم اذا فرغتم من متعبداتكم في الحج فاذكروا الله تعالى بالخير كذكركم اباءكم بل اشد ذكرا وذلك انهم كانوا
يقفون بعد قضاء المناسك يوم النحر بين المسجد الذي بمنى وبين الجبل يتناشدون الاشعار ويتفاخرون
بذكر فضايل ابايهم يقول احدهم يا رب ان عبدك فلانا يعني اباه كان يفعل كذا وكذا من الخير فامرهم الله
ان يذكروه فهو الذي فعل ذلك الخير لا اباؤهم وان اياديه عندهم اكثر واعظم من ايادي ابايهم و
نعمهم عليهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر بعد نزول هذه الاية ان الله تعالى قد اذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ان الناس من ادم وادم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى
ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال بعضهم معنى قوله اذا قضيتم اردتم قضاء المناسك كقال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله وقال عز من قائل اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا اقالوا واراد بالذكر في هذه الاية جميع الاذكار المسنونة
في الحج بعرفات والمزدلفة وعند الرمي والطواف وقال بعضهم اذكروا الله تعالى بالتوحيد كما تذكرون
اباكم بذلك فانكم لا ترضون ان تنتسبوا الى ابوين وكذلك لا ترضون من انفسكم باتخاذ الهين ومعنى
عطا رحمه الله في قوله تعالى كذكركم اباكم هو كقول الصبي اول ما يعقد الكلام ابه ابه اي استعينوا بالله
وافزعوا في جميع اموركم اليه كما يفزع الصبي الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره واما قوله تعالى فمن
الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا نزلت في مشركي قريش كانوا يقولون اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما
وعبيدا وامآء واموالا ولم يكونوا يسالون لانفسهم التوبة والمغفرة كانوا لا يرجون الا نعيم الدنيا ولا يخافون
البعث والنشور ثم بين الله تعالى بقوله وما له في الاخرة من خلاق اي من يطلب بعمله امور الدنيا لا يريد
بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب له من ثواب الاخرة ثم بين جل ذكره دعا المؤمنين بقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال مجاهد
رحمه الله معنى الحسنة النعمة في الدنيا اي يسالون الله تعالى نعمة الدنيا والاخرة وان يقيهم عذاب النار
وقال الحسن وجماعة من اهل العلم ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة والوصول
الى نعيمها وثوابها وعن قتادة رحمه الله قال ذكر لنا ان رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم ما كنت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فاضنى الرجل في مرضه ونحل جسمه فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك فاتاه يعوده فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بكذا فقال صلى الله عليه وسلم
يا ابن ادم انك ضعيف لا تستطيع ان تقوم لعذاب الله تعالى ولكن قل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل فبرا والاصل في قنا اوقينا ولكن الواو سقطت كما سقطت
في يقي لان الاصل فيه يوقي سقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة فاذا سقطت من يوقي سقطت من اوقي
وانما اجتلبت الف الوصل لسكون الواو فاذا سقطت الواو ولا حاجة للمتكلم الى الواو سقطت الالف و
سقطت الياء في اخر الكلمة للوقف والجزم قوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب معناه الذين يسالون الله تعالى الدنيا والاخرة لهم حظ ونصيب من الثواب اكتسبوه
في حجهم وفي هذا بيان استجابة دعائهم على القطع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ليدخلن اقوام من امتي منابر لهم في الجنة لم يصبهم من بلوى الدنيا شيء كانوا يسالون الله تعالى العافية
في الدنيا والاخرة يقولون ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ومعنى
سريع الحساب اذا حاسب فحسابه يسير كلمحة البصر هكذا روي في الخبر وفي بعض الروايات ان الله
تعالى يحاسب العباد قدر فواق ناقة والفواق ما بين الحلبتين وفي ذكر سرعة الحساب في
الاية بيان عظم حقيقة الامر وان محاسبة الله تعالى لا تكون بعقد الاصابع والخط وفكرة القلب
كما تكون محاسبة الناس بعضهم بعضا لكن يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة بظن كل واحد انه يحاسبه
خاصة لا يشغله شيء عن شيء وقيل معنى سريع الحساب سريع المجازاة وفيه اخبار عن سرعة فناء
الدنيا وقيام الساعة قوله عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون
روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء والضحاك وابراهيم النخعي ان الايام المعدودات ايام التشريق
والايام المعلومات عشر ذي الحجة وهكذا روي عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رحمهم الله وروي
في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايام المعدودات ايام العشر والمعلومات ايام

النحر

ومنهم من يقول ربنا اتنا

النحر ولا شك ان في هذه الرواية غلطا وهو خلاف الكتاب لان الله تعالى عقب الايام المعدودات
بقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايام منى ثلثة ايام التشريق فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن
تاخر فلا اثم عليه وفي هذا الخبر بيان مراد الاية من قوله تعالى اياما معدودات وروي عن ابي يوسف
في رواية اخرى ان المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام التشريق قال هذا القول استدلالا من الاتين
لان الله تعالى قال في ذكر ايام المعلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال في هذه الاية فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات دون المعدودات واخر ايام التشريق من المعدودات
دون المعلومات واليوم الثاني والثالث من ايام النحر من المعلومات والمعدودات جميعا والجواب
عن استدلال ابي يوسف من الاتين ان لفظ المعلومات يقتضي الشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل
العدد كما في قوله تعالى دراهم معدودة فاقتضى الظاهر ان المعدودات اقل من المعلومات ويحتمل ان يكون
معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم كما قال الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم
فكان الله تعالى اراد بالايام المعلومات ايام العشر والله تعالى اعلم لان فيها يوم النحر وفيه الذبح
ويكون ذلك اليوم بتكرار شيئين عليه اياما واما الذكر المذكور في هذه الاية فهو الذكر عند رمي الجمار في
ايام التشريق ايام منى وقال بعضهم هو التكبير في ادبار الصلوات في هذه الايام يكبر من صلوة
الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق عند جماعة من الفقهاء رحمهم الله و
التاويل الاول اصح واقرب الى ظاهر القران لان الله تعالى عقب الذكر في هذه الاية بقوله تعالى فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر اي من تعجل الرجوع الى اهله فلا اثم عليه في تركه في اليوم الثالث
ومن تاخر الى اخر النفر واقام هناك في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الرفث والفسوق و
التفريط في حدود الحج كلها فاما من لم يتق فغير موعود له بالثواب واما قوله تعالى واتقوا
الله امر لهم بالتقوى في مستقبل اعمارهم اي لا تتكلوا على ما اسلفتم من اعمال البر ولكن زيدوا في
الطاعة في باقي العمر واعلموا انكم اليه تحشرون في الاخرة اي يجازيكم الله بما لكم اذ الحشر انما
يكون للمجازاة ومن تصور ان الله لابد من حشره ومحاسبته ومسائلته ولابد من احد امرين لا ثالث
لهما اما الجنة واما النار يدعوه ذلك الى التشديد في التقوى والحشر في اللغة هو جمع الناس في
المكان من كل ناحية والمحشر هو المجمع فان قيل كيف قال الله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه
معلوم ان من تاخر فانما تاخر لاقامة فرض فلا يليق بها ان يقال فلا اثم عليه بل كان الاليق ان
يقال من تاخر كان اعظم لاجره قيل ليس المراد بهذه الاية التفضيل بين التعجيل والتاخير لكن الغرض
رفع الاثم في الحالين وهذا على مزاوجة الكلام كما يقول الانسان لغيره ان اعلنت الصدقة فحسن
وان اسررت فحسن ومعلوم ان اخفاء صدقة التطوع افضل من اعلانها واعلان صدقة
الفرض افضل من اخفائها وجواب اخر ان رمي الجمار لا يجوز ان يكون تطوعا اذ المتنفل يكون
عابثا فلما قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث
تطوعا لان هذا تخيير بين فعله وتركه فقال تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه ليبين ان هذا واجب
خير بين فعله وتركه وظاهر الاية يقتضي ان من لم ينفر في اليوم الثاني من ايام التشريق حتى غابت
الشمس لا ينبغي له ان ينفر حتى يرمي الجمار اليوم الثالث وهكذا قاله اصحابنا رحمهم الله
الا انه لا يلزمه ذلك الا ان يصبح بمنى يوم الثالث فاذا اصبح بها يومئذ لم يجز له النفر بالاجماع
حتى يرمي وهذا مما يستدل به على صحة قول ابي حنيفة في تجويزه رمي الجمار في اليوم الثالث

الرمي

الألوكة
www.alukah.net

قبل الزوال والايام المعلومات في الحج ستة ايام يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر
ويوم القر ويوم النفر ويوم الصدر وسمي يوم التروية لما روي ان جبريل عليه السلام قال
لابرهيم عليه السلام فيه ان احمل رتك من الماء وكذا الحاج يحمل فيه من الماء ما يكفيه لرتبه فاما
عرفة فقد ذكرنا لم سمي عرفة ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر
لانهم ينفرون من منى الى مكة ويوم الصدر يصدرون الى اهاليهم وسمي ليالي التشريق في يوم القر
بمنى والنفر والصدر وهي ايام التشريق قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في
الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام قال ابن عباس نزلت هذه
الاية في الاخنس بن شريق كان حسن المنظر حلو الكلام فاجر السريرة كافر القلب حلافا شديد الخصومة
في الباطل وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن ويحلف بالله تعالى انه يحبه
ويتبعه على دينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه وكان يدنيه من مجلسه
فاظهر الله تعالى على نفاقه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه
اي تفرح باظهاره الايمان وتسر به له ويشهد الله على ما في قلبه اي يقول والله شهيد على
ان ما في قلبي كما هو على لساني من الايمان وهو شديد الخصومة جدل بالباطل والالد ماخوذ
من لديدي العنق وهما صفحتا العنق وتاويله ان خصمه في اي وجه اخذ من ابواب الخصومة من
يمين او شمال غلبه في ذلك والخصام والمخاصمة مصدر من خاصم تخاصم وقد يكون الخصام جمع
خصم مثل صعب وصعاب وكلب وكلاب فيكون المعنى على هذا القول وهو اشد المخاصمين خصومة
قوله عز وجل واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد يقول اذا اعرض الاخنس عنك فارقك اسرع مشيا في الارض ليعصي فيها وينضر المؤمنين
ويهلك ما قدر عليه من زرع ونسل والله تعالى لا يرضى بالمعاصي روي في الخبر ان الاخنس
خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع فاحرقه ومر بحمار فعقره فانزل الله تعالى
هذه الاية بما فيها من الوعيد الى اخرها في جهنم وصارت عامة في جميع المفسدين وقيل معنا
ليفسد فيها ليوقع الفتنة بين الناس ليشتغلوا عن الزراعة وعن اعمالهم فيكون فيه هلاك الحرث
والنسل وقيل يخيف الناس حتى يهربوا من شرع فيخرب الضياع وينقطع نسل الناس والدواب
وهاتان الايتان تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق والامر بالاحتياط
فيما امرنا بايتمان الناس عليه من امر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر امر الانسان خصوصا
فيمن هو الد الخصام ومن ظهرت منه دلائل الرشد لابد من استبراء احواله والبحث عن حقيقة امره
ولهذا قالوا ان علينا استبراء احوال من نراه في الظاهر اهلا للقضا والشهادة والفتيا والامامة و
ما جرى مجرى ذلك وان لا يقبل منهم ظاهرهم حتى يبحث ويسال عنهم اذ قد حذر الله تعالى امثالهم
في توليتهم على امور المسلمين الا ترى انه عقبه بقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها و
يحتمل ان يكون المراد بالتولي ان يتولى امرا من امور المسلمين فاعلم الله تعالى بهذه الاية انه
لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون الاحتياط والاستبرا قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد معناه اذا قيل لهذا المنافق اتق
عقوبة الله تعالى ولا تفسد اخذته النعرة والحمية والانفة بسبب الاثم الذي فيه والكفر
الذي في قلبه يعني تكبر وقال اَمثلي يقال له اتق الله وقيل معناه حملته العزة على فعل ما يوجب
الاثم وهذا كما يقال الانسان اخذت فلانا بان يفعل كذا اي دعوته الى ان يفعل كذا قوله تعالى

فحسبه جهنم اي كفاه النار في الاخرة عقوبة ونكالا وبئس القرار النار والمهاد الفراش الوطي للنوم
كما يمهد للصبي يقال مهدت الامر ووطاته بمعنى واحد فلما كان المعذب بالنار يلقى على نار جهنم
جعل ذلك مهادا له على معنى ان جهنم للكافر مكان المهاد للمومن في الجنة كما قال الله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم وفي الاية تسلية للمظلوم بما يعلم من عاقبة ظالمه وزجر للظالم كي يستغرق في النار لا يمكنه مفارقته
مكانه كان ذلك زاد عالمه من المعاصي وحكي ان يهوديا كانت له حاجة الى هارون الرشيد فاختلف
الى بابه سنة فلم تقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هرون سعى بين يديه فقال اتق الله يا امير
المومنين فنزل هرون عن دابته وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت له فلما رجع
قيل له يا امير المومنين نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن تذكرت قول الله عز وجل و
اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم قوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله والله رؤف بالعباد قال عبد الله بن عباس نزلت الاية في صهيب بن سنان
وفي نفر من اصحابه منهم عمار بن ياسر وامه سمية وابوه ياسر وبلال وخباب بن الارت و
غيرهم رضي الله عنهم اجمعين اخذهم المشركون في طريق مكة فعذبوهم فاما صهيب فقال لهم انا
شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من عدوكم فعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني اشتريه منكم
بمالي ففعلوا ذلك فاعطاهم ماله وتوجه الى المدينة فلما دخل المدينة لقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال
ربح البيع يا صهيب فقال وبيعك لا يخسر وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه وهو قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واما سمية وياسر فقتلا وكانا اول قتيلين
قتلا من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم
الجنة واما الاخرون فانهم اعطوا على العذاب بعض ما اراد المشركون من كلمة الكفر وسبّ الاسلام
وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان وعلى قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه على هذا التاويل الذي
ذكرناه ومن الناس من يشتري نفسه ودينه بماله وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قالا في هذه الاية
هو الرجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله يشري نفسه اي يبذلها في
الجهاد في سبيل الله وهذا من اسماء الاضداد قال الشاعر في شريت بمعنى بعت وشريت بردا
من بعد برد كنت هامه وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب على انه مفعول له كانه قال لابتغاء
مرضات الله تعالى ومعنى والله رؤف بالعباد رحيم بهم يخفضهم للخير ويثبتهم عليه رافة بهم
ويقال انه لرافته ورحمته امرهم ببيع انفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم من السلامة
وطول البقاء قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين قال الحسن رضي الله عنه حث الله تعالى بهذه الاية جميع
المومنين على الاسلام والطاعة كفعل من يشري نفسه الا تراه قال بعد ذلك ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي لا تفعلوا فعل الالد الخصام ومعنى الاية على هذا القول يا ايها الذين آمنوا تحلوا
بحلية الايمان اقيموا على الايمان ويجوز ان يكون امر المخلصين بالاقامة على الاسلام في مستقبل
امرهم وان لا يتخلف احد عن شيء مما يجب عليه من احكام الاسلام وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيمن اسلم من اهل الكتاب وكانوا يتقون السبت ويحرمون
لحم الجمل ويتقون اشياء كانوا يتقونها قبل ان يسلموا فامروا ان يدخلوا في جميع شرايع محمد صلى
الله عليه وسلم يعني ادخلوا في السلم كله ومعنى كافة في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء عن اجزائه

اذا تصوره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أي لم تعقوا الى حيث تنتهوا بشرايعه فتكفوا ان تعدوا وادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم يدخل فيه **واصل** كافة من الكف وهو المنع وسمي الراحة كفا لانه يكف بها عن البدن ويقال استكف القوم في هذا الامر الى فلان اذا مالوا اليه باجمعهم واستغنوا عن غيره ومعنى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره لان تركهم شيئا من شرايع الاسلام اتباع للشيطان انه لكم عدو ظاهر العداوة **فان قيل** كيف قال الله تعالى انه لكم عدو مبين وهو لم يبد لنا شخصه ولا من لغيه شيئا **قيل** قد كان ابدا العداوة لابينا آدم عليه السلام حين امتنع من السجود له وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكان ابدا وه واظهار العداوة لابينا آدم عليه السلام ابداء واظهار لنا **وقيل** لما صحت الدلالة على عداوة الشيطان ايانا وارادته اهلاكنا جاز ان يقول الله تعالى انه لكم عدو مبين **فان قيل** اذا كان في المومنين من لا يقبل منه البتة ومن يقبل ايضا انما يوتى من قبل نفسه كما قال الله تعالى حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فكيف يكون عدوا بين العداوة **قيل** عداوة العدو لا تقوى بنفاذ كيده وانما تقوى وتظهر بما هو عليه من ارادته الاضلال له والفساد قوله عز وجل **فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم** يقول ان عدلتم عن طريق الاستقامة بالخروج من طاعة الله الى المعصية وعلى قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فان ملتم الى الاول شريعتكم في تحريم السبت ولحوم الابل من بعد ما جاءتكم الدلالات والحجج محمد صلى الله عليه وسلم وشرايعه فاعلموا ان الله عزيز حكيم غالب بالنقمة لا يعجزه شيء من ذلك حكيم اي محكم متقن في الفعل يقال عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه وفي هذه الاية تشديد العصيان بزلة القدم والغرض منها الزجر عن المعصية فان الانسان اذا علم ان الذي كان منه العقوبة على المعصية قادر لا يعجزه العجز ولا المنع عما يريد وعالم بمقدار ما يستحق من العقاب لا يجازي المسيء جزاء المحسن ولا المحسن جزاء المسيء كان ابعد له من فعل المعصية **والعزيز** في اللغة الامتناع يقال ارض عزاز اذا كانت صلبة بالشدة و الصعوبة قوله عز وجل **هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور** افترق الناس في تاويل هذه الاية على اربعة اقوال فرقة منهم يتاولونها على ظاهرها ويصفون الله جل وعز بالاتي الذي هو زوال من مكان الى مكان ويجعلون ما ورد في هذا الباب من الاخبار المتشابهة وفرقة يفسرون الاتيان تفسيرا على ما لا يعدون ظاهر اللفظ يقولون ياتي كيف شاء بلا كيف واما الفرقتان الاخريان من اهل السنة والحق فاحداهما لا يفسرون هذه الاية ويقولون نؤمن بظاهرها ونسكت عن الخوض في معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه **روي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الاية من المكتوم نؤمن بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى في الايات المتشابهات وما يعلم تاويله الا الله **وروى** هشام عن ابن عباس ان القرآن نزل على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء بتفسيره ووجه يعرف من قبل العربية ووجه لا يعلمه الا الله **فاما** الفرقة الرابعة فيردون مثل هذه الايات المتشابهات الى الايات المحكمات ومعنى هذه الاية على هذا القول والله تعالى اعلم ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان ياتيهم امر الله كما قال او ياتيهم عذاب الله لان الاتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة اللفظ في الاتيان ويحتمل اتيان الامر وقد قامت الدلالة على ان الله تعالى لا يجوز عليه الاتيان والمجيء والانتقال والزوال لان ذلك من صفات الاجسام والمحدثين قال الله تعالى في اية محكمة ليس كمثله شيء وجعل ابرهيم صلوات الله عليه ما شاهد من حركات النجوم وانتقالها وزوالها دليلا على حدثها حين قال لا احب الافلين فاحتج به على قومه كما قال الله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه يعني في حدث الاجسام والكواكب تعالى الله عما تقول المشبهة علوا كبيرا فلما كان لفظ

الاتيان مشتبها في نفسه وجب رده الى المحكم نحو ما فسره الله تعالى في سورة النحل بقول الله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك وكما قال جل ذكره فاتى الله بنيانهم من القواعد وقال عز وجل من قايل فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم عذاب لانه اتاهم ويقال جاء الامير اذا قدم معظم جنده وبقي هو مع قوم قليل وربما يقال جاء الامير بجنده وحديده **واما** ذكر الظلة في الاية فلان العذاب اذا اتى من الظلة كان اعظم واشد لان العرب كانت ترى السحاب في السماء كان اعظم واشد الاترى ان الرعد والبرق اذا كانا بعد ما غشي القوم ظلل الغمام كانا اهول من السحاب في السماء فاخذهم في يوم لم يغشهم ظلل الغمام فيه يويد هذا التاويل قول الله عز وجل في قصة شعيب عليه السلام فاخذهم عذاب يوم الظلة **واما** قوله تعالى والملائكة قرى بالرفع على تقدير وتاتيهم الملائكة ومن قرا بالكسر فعلى تقدير وظلل من الملائكة اي جماعة من الملائكة وسماهم الله تعالى ظللا لان الملائكة لا تسير بالاقدام وكنها تطير بالاجنحة كما تطير الطير ومعنى وقضي الامر امضي الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار وقوله تعالى والى الله ترجع الامور من قرا برفع التا فعلى فعل ما لم يسم فاعله اي عواقب الامور ومصير الخلايق الى الله تعالى ومن قرا التا بالنصب فعلى والى الله تصير الامور ومن قرا بالياء فلان تانيث الامور غير حقيقي والامور في الحال وفي الاوقات كلها راجعة الى الله تعالى لكن معنى يرجع على وجهين **احدهما** انه لما كانت الامور كلها قبل ان يملك العباد منها شيئا له خاصة ثم ملكهم كثيرا من الامور ثم تكون الامور كلها اليه فلا خرة ترجع اليها الامور ومن خلقه جاز ان يقال ترجع الامور اليه والمعنى الاخر انه لا يملك احد يوميذ شيئا غيره وهذا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع واثما عنى بهذا البيت انه يصير رمادا الا انه كان مرة رمادا فيرجع الى ما كان عليه قوله عز وجل **سل بني اسرايل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر الايات البينات وامتناعهم عن قبولها وعلم اغتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه فقال عز من قايل سل بني اسرايل وهذا سوال تقريع وانكار بالكفرة وتقرير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم لا سوال استفهام لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يحتاج الى السوال والمعنى والله تعالى اعلم كما ان هولاء لم يومنوا بالايات البينات التي اعطيتها فلا تغتم وسل بني اسرايل اي انظر في ايات بني اسرايل كم اعطيناهم من علامة واضحة في وقت موسى عليه السلام من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من المعجزات كما اتيتك من المعجزات لا منك فلم يومن اوليك كما لم يومن هولاء الكفار ومن يبدل نعمة الله اي يغير حجة الله الدالة على امر النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءتهم بان يجحدها او يغيرها عن وجهها فان الله تعالى شديد العقاب اي التعذيب لمن استحقه وسمى الله تعالى الحجج نعمة لانها من اعظم النعم على الناس في امر الدين قوله عز وجل **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب** ذكر الله تعالى في هذه الاية السبب المانع للكفار من الايمان روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية زين للكفار الحيوة الدنيا لما بسط الله تعالى فيها لهم من الخير ويسخرون من فقرا المومنين في امر المعيشة وذلك ان ابا جهل ورؤسا قريش كانوا يضحكون من فقرا المومنين وهم عبد الله بن مسعود وعمار وخباب وسالم مولى ابي حذيفة وعامر بن فهيرة وابو عبيدة بن الجراح وغيرهم كان الكفار يقولون ان هولا قد تركوا الدنيا فلا يكون لهم شيء لخرا اذ كانوا لا يقرون ببعث ولا نشور وكانوا يعيرونهم بقلة ذات ايديهم وكان اهل الكتاب يساعدون المشركين في الاستهزا بالمومنين بقول الله عز وجل والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اي اتقوا الشرك والفواحش والكباير فوق الكفار يوم القيمة في الجنة يكون المومنون في عليين والكفار في الجحيم والله يرزق من يشا بغير حساب من الكفار وغيرهم بغير مقدار ولا هندا ز

الألوكة www.alukah.net

اى يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه وهذا كما يقال لفلان مال لا يحصى يراد بذلك كثرته لان الشى يحصى
وان كثر عدده وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز
وجل لولا ان يجزع عبدى المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صبا و
مصداق ذلك قول الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى اخر الاية وقال صلى الله عليه و
سلم ان الدنيا لو كانت عند الله تعدل جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وعن قطرب رحمه الله انه قال
فى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب ان الله تعالى يعطى العدد المتناهى لا من عدد اكثر منه كما
يفعله العباد لكن يعطى المتناهى من غير المتناهى ويقال معناه ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه
لا شريك له فيما يعطيه ويقال يرزق الكافر فى الدنيا لا بحساب وربما يؤكد ذلك يرزق المؤمن تفضلا
لان ثواب عمل المؤمنين مدخر فى الاخرة كما قال الله تعالى لهم اجرهم عند ربهم وقيل معناه يرزق
الله تعالى الثواب المذكور فى هذه الاية من يشاء من عباده المؤمنين بغير حساب لهم ولا تبعة عليهم
فان قيل اليس قال الله تعالى فى اية اخرى جزاء من ربك عطاء حسابا فكيف قال فى هذا الموضع بغير حساب
قيل العطاء من جهة الله تعالى على ضربين احدهما يكون ثوابا والاخر تفضلا فما يكون ثوابا يكون له حساب
لانه يكون على مقدار الاستحقاق بالعمل واما التفضل فلا يكون له حساب كما قال الله تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله فالمراد بقوله تعالى عطاء حسابا الثواب دون التفضل والمراد بقوله تعالى والله يرزق
من يشاء بغير حساب التفضل فان قيل كيف قال بغير حساب وقد روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال حلالها حساب وحرامها عذاب قيل روى عن عائشة رضى الله عنها ان معنى
الحساب فى المؤمنين العرض ومن نوقش الحساب عذب فان قيل من الذى زين للكفار الحيوة الدنيا
قيل ذهب بعض المفسرين الى ان ابليس هو الذى زينها لهم كما قال الله تعالى فى اية اخرى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وعن الحسن انه قال زينها والله لهم الشيطان فلا احد اذم للدنيا من خالقها قال
الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وذهب بعضهم
الى ان الله تعالى هو الذى زين لهم الحيوة الدنيا اذ خلق فيها الاشياء المعجبة المحبوبة وركب الشهوات
فى قلوب العباد فنظر الذين كفروا الى الدنيا باكثر من مقدارها فاغتروا بها كما قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قالوا وانما فعل الله تعالى ذلك لان التكليف لا يتم الا مع
الشهوة فان الانسان لا يجوز ان يكلف الاباء بدعاء الى ما تنفر عنه نفسه او بان يزجر عما تتوق
نفسه اليه وهو معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات قوله عز وجل كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم قال ابن عباس فى
تفسير هذه الاية كان الناس اهل ملة واحدة كفارا كلهم فى ابتداء عهد نوح عليه السلام وكذلك
فى عهد ابرهيم عليه السلام يعنى ان امم الانبياء صلوات الله عليهم الذين بعثت اليهم الانبياء
صلوات الله عليهم كانوا كفارا كما كانت هذه الامة وجائز ان يقال كانوا امة واحدة على الكفر وان
كان فيهم مسلمون اذ كان المسلمون قليلين مقهورين فى تقية لانصراف اسم الامة الى الاعم الاكثر
وقال قتادة والضحاك كان الناس امة واحدة على الحق فاختلفوا اى كانوا مؤمنين فى زمن ادم
عليه السلام الى مدة طويلة وكان جميع من فى السفينة مع نوح عليه السلام مؤمنين ثم تفرقوا فبعث

الله

لا امر عليهم ولا نهى فبعث الله تعالى
الله النبيين مبشرين ومنذرين وقيل كانوا امة واحدة فى الجهالة
النبيين مبشرين بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه وقوله وانزل معهم
الكتاب اى انزل عليهم الكتاب اذ الانبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا متزلين حتى ينزل الكتاب معهم وقوله
تعالى بالحق اى بالعدل وقوله ليحكم بين الناس ليقضى الكتاب بينهم بالحكمة واضاف الحكم الى الكتاب وان كان
الله تعالى هو الذى يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب ويقال معناه ليحكم الله تعالى بين الناس لانه سبق على هذا
ذكر الله تعالى ثم سبق ذكر الكتاب واما قوله تعالى فيما اختلفوا فيه فيجوز ان يكون معناه فيما اختلفوا فيه من الحق
ويجوز ان يكون فيما اختلفوا فيه من امر الدين ويكون الهاء فى فيه راجعة الى ما وقال بعضهم فيما اختلفوا فيه
من الكتاب وقيل ان هذا لا يصح لانه انما انزل الكتاب بعد الاختلاف والاختلاف فى الكتاب لم يقع قبل انزاله
واما قوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اى لم يختلف فى امر الدين وبعث النبيين صلوات
الله عليهم الا الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات من الله تعالى وقوله تعالى
بغيا نصب على معنى مفعول له اى لم يختلفوا الا للبغى والحسد والتفرق وذلك ان اهل الكتاب كانوا على احقية
امر النبى صلى الله عليه وسلم فى كتبهم قبل مبعثه فلما بعثه الله تعالى كفروا به الا قليلا منهم فهدى الله الذين
امنوا اى ارشد الله تعالى المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق الذى اختلف فيه اهل الزيغ باذنه اى بتوفيقه
فضله وعلمه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم يوفق لمعرفته من يشاء ممن كان اهلا لذلك الطريق
واضح برضاه الله تعالى والامة فى اللغة على وجوه منها الجماعة كما قال تعالى وجد عليه امة من الناس
يسقون وقوله تعالى قد خلت من قبلكم امم اى جماعات وقرون ومنها اتباع الانبياء صلوات الله عليهم
كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الامام كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومنها الدين
والملة كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة ومنها
القامة يقال فلان حسن الامة اى القامة ومنها الرجل المنفرد بدين على حدة قال صلى الله عليه وسلم
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحدة ومنها الام يقال هذه امة زيد اى ام زيد والامة بكسر الهمزة
النعمة يقال فلان ذو امة اى ذو نعمة واصل هذا الباب من القصد يقال امت الشى اى قصدته و
اما الكتب المنزلة قبل القران فقد روى ان الله تعالى انزل على شيث عليه السلام خمسين صحيفة كان
يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى زمن ادريس عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ادريس عليه السلام
ثلثين صحيفة فكان يعمل بها الى زمن ابرهيم عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ابرهيم عليه السلام عشر
صحائف فكان يعمل بها الى زمن موسى عليه السلام ثم انزل على موسى عليه السلام عشر صحائف قبل التورية
فكان يعمل بها موسى عليه السلام ومن معه الى غرق فرعون ثم انزل الله تعالى التورية فكان يعمل بها الى زمان
داود عليه السلام ثم انزل الزبور فكان يعمل بها الى زمن عيسى عليه السلام ثم انزل الانجيل فكان
يعمل بها الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انزل الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب وذهب
بعض المفسرين الى ان معنى لما اختلفوا فيه يوم الجمعة فان اول يوم شرعه الله تعالى للعبادة خاصة يوم
الجمعة فقالت اليهود نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت فجعل
عليهم ذلك اليوم وقالت النصارى نريد اليوم الذى ابتدئ فيه الخلق وهو يوم الاحد فجعل ذلك عليهم كما
قال تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ثم هدانا الله عز وجل ليوم الجمعة وللهود غد وللنصارى
بعد غد كما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون
السابقون يوم القيمة بيد انكل امة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم ذلك يوم القطعة قوله
تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه يقتضى جميع الحق الذى هدى الله تعالى

المؤمنين من الحمقى وغير ذلك فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق وهذا يوجب ان يكون كلهم قد ذهبوا عن الحق فكيف يجوز ان يختلفوا في الحق وكلهم ذاهبون عنه قيل لا يمتنع ان يكونوا مختلفين وهم كلهم ذاهبون عن الحق كما قلنا في غلو كل واحد من فريقي اليهود والنصارى في امر المسيح عليه السلام وهذا كما يعلم ضلوا عن الطريق واختلفوا في طلب الطريق فسلك كل فريق منهم طريقا على حدة وعدلوا عن الطريق المستقيم فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه ولم يقل فهدى الله الذين امنوا للحق قلنا ذكر الفراء هذا من الكلام المقلوب ومعناه هدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه وقد يرد في كلام العرب مثل ذلك كما قال الشاعر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم

ومعناه كما كان الرجم فريضة الزنا وقال آخر

ترى الثوب اما ما تجهمه والعين لا تجلو

كريم مخمره يجلي به العين اذا ما تجهمه والعين لا تجلو وانما السراج يجلي عن العين وقيل لما كانت العناية بذكر الاختلاف قدم الاختلاف ثم عقبه بتفسير ما هداهم اليه قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب معناه اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولم تصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم اي لم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم البأساء اي الشدة وهي الفقر والضراء البلاء والفقر والمرض وقيل البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء ومعنى زلزلوا حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين امنوا اي اجهدوا حتى قال كل رسول بعث الى امته متى نصر الله اي متى فتح الله يقول الله عز وجل الا ان نصر الله قريب يعني الا ان نصر الله لك ولامتك يا محمد صلى الله عليه وسلم قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون واصل الزلزلة من زلة القدم عن المكان يقال زلزلته اذا كررت الزلزلة عليه مكانه وذلك انه لما تضاعف المعنى في زلزلة الارض ضوعف اللفظ كما يقال صر اذا صوت وصرصر اذا اتى بصوت فيه ترجيع واقل اذا رفع وقلقل اذا كرر الرفع وذهب السدي وقتادة الى ان هذه الاية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المؤمنين من العدو ويقال وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ثم قال فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه وكان المسلمون اتكلوا على مجرد اهتدائهم فبين الله تعالى في هذه الاية انه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير محنة كما بلغ ما قاساه السلف من المؤمنين كما قال جل ذكره في اية اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية الى قوله من قبلهم واما القراءة في قوله تعالى حتى يقول الرسول من قرا يقول بالنصب فعلى الاصل لان حتى تنصب ما بعدها من الفعل ومن قرا بالرفع ادخل حتى على جملة ما بعدها لا على الفعل خاصة كانه قال حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل حتى قال الشاعر

فوا عجبا حتى كليب تسبني كان اباها نهشل او مجاشع

فان قيل كيف يجوز ان يستبطئ نبي من الانبياء صلوات الله عليهم نصر الله تعالى عن الوقت الذي توجب الحكمة النصر فيه فيقول متى نصر الله قيل هذا على معنى التمني ودعاء النصر لا على اعتقاد تأخر النصر وهذا كما يقول الانسان متى الصيف وان علم ان الصيف كائن لا محالة قوله عز وجل يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية جوابا عن سؤال عمرو بن الجموح الانصاري لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم

على

على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك قبل نزول الفرايض قال عمرو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق وعلى من نتصدق فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها والله اعلم يسألونك اي شيء ينفقون قل لهم ما تصدقتم من مال فعلى الوالدين والاقربين بالرحم ويتامى المسلمين عامة ومساكين المسلمين عامة والضيف النازل بكم وما تفعلوا من خير من وجوه البر فان الله به عليم يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل فان قال قايل كيف تطابق في هذه الاية الجواب هذا السؤال لان السؤال انما وقع عن المنفق والجواب انما وقع في المنفق عليه قيل ان الجواب مطابق لهذا السؤال لان قوله تعالى قل ما انفقتم من خير يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير فكان الجواب صدر عن القليل والكثير مع بيان من تصرف اليه النفقة لان المسؤول اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج اليه السائل اجاب عن كل ما يحتاج اليه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وانما قال ذلك عليه السلام لانه علم انهم لما جهلوا حكم ماء البحر فانهم اشد جهلا بحكم ما فيه من المأكول كذلك هؤلاء لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم اكثر فلهذا ذكر الله تعالى المنفق عليهم مع ذكر المنفق وفي هذه الاية دلالة على ان الصدقة على الاقربين افضل من الصدقة على غيرهم وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وفي بعض الروايات خير الصدقة ما ابقت غنى وابدا بمن تعول فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة انما تجب على الابعدين اذا فضل عن الاقربين كما قال الله تعالى في اية اخرى غير هذه الاية وهو قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو واختلف اهل العلم في النفقة المذكورة في هذه الاية هل هي واجبة ام لا فقال الحسن رحمه الله المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكوة فيمن يجوز وضع الزكوة فيه وقال السدي هذه الاية منسوخة باية الزكوة والصحيح ان الاية ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع لان الاية متى امكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها ويحتمل ان يكون المراد بهذه الاية النفقة على الوالدين والاقربين اذا كانوا محتاجين ويحتمل ان تكون في نفقة الجهاد وقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دينار اعطيته في سبيل الله ودينار اعطيته مسكينا ودينار اعطيته في رقبة ودينار النفقة على اهلك فان الدينار الذي انفقته على اهلك اعظمها اجرا قوله عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لما كتب الله تعالى الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم وثقلت قلوبهم احب الله تعالى ان يطيب نفوسهم بهذه الاية وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن وفي هذه الاية ذكر ما هو اشق في التعبد منه وهو القتال ومعنى الاية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم واراد بالكراهة والله تعالى اعلم كراهية الطبع لا عدم الرضى بالامر وهذا كما يكره الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يعتقد رضاه من حيث ان الله تعالى امر به واما قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم اي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من نصرة دين الله تعالى وقمع اعداء الله تعالى والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة وادراك محل الشهداء وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ويتسلط عليكم العدو والله يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة اموركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما امرتم به اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ولا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كُرْهٌ ما تحذرون شيئًا وفي هذه الآية دليل على فرض القتال كما قال تعالى كتب عليكم الصيام واراد به فرض
الصيام ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الآية من ان يرجع الى معهود قد عرفوه اليها وهو
قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه وتكون هذه الآية تاكيدًا لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه او يكون القتال في هذه الآية راجعًا الى
جنس القتال فتكون هذه الآية مجملة مفتقرة الى البيان لان من المعلوم ان الله تعالى لم يامرنا بقتال الناس
كلهم فلا يصح اعتقاد العموم فيه فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر وقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وسنبين في تلك الآيات اختلاف اهل العلم رحمهم الله
في فرض الجهاد وكيفيته ان شاء الله تعالى واما الكَره والكُره فهو بالنصب القهر وبالضم الشيء المكروه وقيل
هما لغتان بمعنى واحد كالضَعف والضُعف وهما مصدران اقيما مقام المفعول كانه قيل وهو مكروه لكم كما يقال
فلان رضى اي مرضي وعن ابي عبيدة رحمه الله انه قال جميع ما ورد في القرآن من كره يجب ان يقرا
بالضم والفتح الا في هذا الموضع فانه لا يجوز الا بالفتح لاجماع القراء على ذلك قوله عز وجل يسألونك عن
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج
اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سبب
نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه بعث ابن عمته عبد الله بن جحش الاسدي قبل بدر بشهرين
على راس سبعة عشر شهرًا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وعوا اميرهم كتب
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا وقال له اذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك
ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدًا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله حتى بلغ حيث
ثم نزل ففتح الكتاب فاذا بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن اتبعك من اصحابك
حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تاتينا منهم بخير والسلام فقال عبد الله سمعًا و
طاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خير اصحابه فانطلق القوم معه حتى اذا كانوا بنجران
اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما وكانا رفيقين فاستاذنا في طلبه فاذن لهما
ومضى معه بقية اصحابه حتى وصل بطن نخلة بين مكة والطايف فنزل فبينما كذلك اذ مرت بهم عمرو
بن الحضرمي في عير لقريش في اول يوم من رجب والمؤمنون يظنون انه آخر يوم من جمادى الاخرى
فامر عبد الله ان يحلقوا راس عكاشة ليشرف على المشركين فيظنوا انا عمار فامنوا ففعل ذلك فقال
المشركون وقالوا قوم عمار لا باس عليكم منهم ورمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله واستاسروا
بعض المشركين وهرب بعضهم الى مكة واستاق المسلمون العير فعيرهم المشركون بذلك وقالوا استحل
محمد صلى الله عليه وسلم الشهر الحرام شهرًا يامن فيه الخايف ويتفرق فيه الناس ووقف النبي صلى
الله عليه وسلم في امر الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الآية ويقال لما امر الله المسلمين بالقتال ظنوا
عموم الامر في جميع شهور السنة من الشهر الحرام وغيرها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
فنزلت هذه الآية والقول الاول اقرب الى ظاهر القرآن ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم يسألونك عن
قتال في الشهر الحرام لان قوله تعالى قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر الحرام كما في قوله تعالى اصحاب
الاخدود النار ذات الوقود واما قوله تعالى قل قتال فيه كبير اي القتال في الشهر الحرام عظيم الذنب
عند الله تعالى ثم استانف الكلام فقال وصد عن سبيل الله اي منع الناس عن الكعبة ان ياتوها ويكونوا

بها

بها وكفر به اي بالله تعالى وبقتال بالحج واما قوله تعالى والمسجد الحرام قال بعضهم معناه وكفر بالمسجد الحرام
ان الله تعالى جعل المسجد للمؤمنين وللعبادة فيه اياه فلما جعله الكفار لاوثانهم ومنعوا المسلمين منه كان
ذلك كفرًا منهم بالمسجد الحرام وقال بعضهم هذا على التقديم والتاخير كانه قال جل ذكره يسألونك عن الشهر
الحرام والمسجد الحرام قتال فيه ويقال تقدير الآية وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله واخراج
اهل المسجد الحرام منه اعظم عقوبة عند الله تعالى من القتال في الشهر الحرام اي الكفار ارجع عن الاجرام اولى بالعيب
من قتل رجلًا من المشركين في الشهر الحرام ثم قال جل ذكره والفتنة اكبر من القتل اي الشرك بالله اعظم عقوبة واثمًا
من القتال وذهب الفراء رحمه الله الى ان قوله تعالى وصد عن سبيل الله مردود الى قوله تعالى وكبير اي القتال
في الشهر الحرام كبير والصد عن سبيل الله تعالى كبير واما قوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم اي لا يزال اهل مكة
يقاتلونكم ايها المسلمون حتى يصرفوكم عن دينكم الاسلام الى دينهم الكفر ان قدروا على ذلك ثم حذر المسلمين ليثبتوا
على الاسلام بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه اي يرجع عن دين الاسلام فيمت على كفره فاولئك بطلت اعمالهم
التي عملوها في الدنيا والتي عملوها للآخرة اي لا يبقى لعمل من اعمالهم ثواب يجازون به في الدارين واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مقيمون دايمون والصد والصرف والمنع نظاير يقال صده يصده صدًا اذا
صرفه عن الشيء وصد يصد صدودًا اذا اعرض بنفسه والحبط ماخوذ من انتفاخ بطن الدابة
باكل الكلا يقال حبطت الدابة بكسر الباء تحبط حبطًا وحبوطًا واسم الداء منه حباط وحبط العمل يحبط حبطًا و
حبوطًا اذا بطل ثوابه وعن الحسن حبطت بفتح الباء فيكون على هذا يحبط مثل هبط يهبط والاول اجود واعرف
لانه بالعمل اشبه واما من قرا يرتدد بدالين فهو لغة اهل الحجاز والتضعيف حذارًا من التقاء الساكنين
واما من قرا يرتد منكم عن دينه كما قال الله تعالى في آية اخرى فهو لغة بني تميم ادغموا الحرفين من جنس واحد
وحركوها الى الفتحة وقوله تعالى فيمت جزم بالنسق ولو كان نصبًا لكان رفعًا واكثر الامة على ان النهي
عن القتال في الشهر الحرام منسوخ نسخته سورة التوبة قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر الآية لانها نزلت بعد حظر القتال بالشهر فان قيل اذا كان نفس الارتداد يحبط العمل
حتى يبطل جهده الذي اداه من جهة الاسلام فاين فائدته في قوله تعالى فيمت وهو كافر قيل انما ذكره الله
تعالى ما وصف في هذه الآية من امر الآخرة لان امر رجوع الى احباط عمله في الماضي من المعلوم من حال المرتد انه
اذا عاد الى الاسلام والتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك انه لا يعاقب في الآخرة فلما جمع الله تعالى في
الآية بين احباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة حتى يزول ثوابه الى العقاب الدايم كان شرط موته على
الكفر وفي بعض التفسير انه لما نزلت هذه الآية قام عبد الله بن جحش واصحابه فقالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطمع من ربنا ان تكون لنا هذه غزوة في الجهاد فنزل قوله عز وجل ان الذين
آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور
رحيم المعنى والله تعالى اعلم ان الذين صدقوا وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في محاربة المشركين
في طاعة الله تعالى اهل هذه الصفة يطمعون في مغفرة الله تعالى وجنته والله غفور لما كان منهم من القتال
والاسر واخذ الغنيمة في الشهر الحرام رحيم بهم حين رفع اثم ذلك عنهم والمهاجرة مفاعلة من الهجرة
وهي في هذا الموضع هجران الوطن والعشيرة في رضى الله والهجر نقيض الوصل واطلق اللفظ في الآية
على المفاعلة ويراد ما ذكرناه ونظيره المساعدة لانها ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه للتقوية و
المعونة واما المجاهدة فهي بذل الرجل الجهد من نفسه مع اخوانه ويجوز ان يراد بذلك ان يبذل
الجهد في قتال عدوه وقد فعل العدو مثل فعله فيصير مفاعلة وانما جمع الله تعالى في اول هذه الآية
بين الخصال الثلاثة لا لانه لا يستحق الثواب على كل واحد منها على الانفراد ولكن للترغيب في جملتها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وانما قال جل ذكره والله تعالى اعلم يرجون رحمة الله لان احداً لا يعلم انه صاير الى ان يبلغ في الطاعة كل مبلغ الاخبر الله تعالى او اخبر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يدرى لعله قصر في شى من الواجبات ولا يدرى ما الذى يكون منه و بما يبتليه وبين موته ولا يعلم احد من المسلمين ما يختم له به ختم الله امورنا بالسعادة في الشهادة قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال لكراهتهم اياه فبين حكمه ثم سألوه عن الخمر والميسر لحبهم اياهما وكراهتهم مفارقتهما رجاء ان الله ربما يرخص لهم فيهما فقال جل ذكره قل فيهما اثم كبير وعن عبد الله بن عباس انه قال كان المسلمون يشربون الخمر في بدء الاسلام وهو لهم حلال وكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى في اليوم والليلة وقت الصلوة الا من كان سكران فلا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيما لها وتوقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عمر رضى الله عنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول بين لنا امر الخمر فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل فانزلت هذه الاية يسألونك عن الخمر والميسر الاية واما الميسر فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزوراً ثم يجعلون لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون عليها فمن خرج سهمه برى من غرمها واخذ نصيبه من الجزور وبقى آخرهم عليه غرم الجزور كله ولا يذوق من لحمها شيئا فيقتسم اصحابه نصيبه وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقراء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ايضا قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما نزلت هذه الاية تركها بعض الناس وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها بعضهم قالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها وكانوا على ذلك حتى اصاب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمرا فانتشى منها وحضرت الصلوة فقام يصلى المغرب باصحابه فقرأ قل يا ايها الكافرون على غير الوجه الذى انزل قال اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكانوا يشربونها قبل وقت الصلوة ويجتنبونها وقت الصلوة وكانوا يتناشدون الاشعار في شربها ويتفاخرون فقال عمر والله ان الله تعالى يعرّض في الخمر امراً لم يبين لنا ثم دعا فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله فهل انتم منتهون قال عمر انتهينا يا رب فامر النبي صلى الله عليه وسلم باراقة الخمور حتى امر بكسر الدنان تغليظا وتشديدا ومعنى الآية والله اعلم يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم لان الخمر توقع العداوة والبغضاء وتحول بين الانسان وبين عقله الذى يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة فان المقمور اذا راى غيره قد فاز بماله من دون منفعة رجعت اليه ابغضه وعاداه واما قوله تعالى ومنافع للناس فالمنفعة في الخمر اللذة في شربها والتجارة فيها قبل التحريم والمنفعة في الميسر مصير الشى الى الانسان من غير كد ولا تعب واما قوله واثمهما اكبر من نفعهما لان الاثم الذى فيهما اعظم في المضرة من نفعهما وقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون اى اى شى يتصدقون قل العفو اى الفضل وما يسهل عليكم انفاقه وهذا نزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح بما ذا نتصدق وفي الاية المتقدمة جواب عن قوله على من نتصدق وكان الرجل بعد نزول هذه الاية ان كان من اهل الزرع والنخل نظر الى ما يكفيه وعياله سنة ثم تصدق بسائره وان كان من اهل التجارة امسك لاس ماله ومن الربح ما يتقوت به ويحتاج اليه وتصدق بالفضل وان كان ممن عمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بسائره وكانوا على ذلك الى ان فرضت الزكوة مقدرة معلومة وقال بعضهم اراد بالفضل مال الزكوة كما قال صلى الله عليه وسلم لا صدقة الا عن ظهر غنى وتكون

حتى ع

بعير ع

هذه الآية

هذه الاية مجملة بيانها بسائر الاخبار الواردة في نصب الزكوة ومن قرأ بالنصب فعلى تقدير انفقوا العفو وقراءة الرفع على معنى قل هو العفو واما قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات اى مثل هذا البيان يبين الله لكم اوامره ونواهيه ودلايله في الدين لعلكم تتفكرون في امر الدنيا انها دار فناء وبلاء لا يبقى منها الا العمل الصالح وفي امر الآخرة فانها دار جزاء وبقاء لا ينفع فيها الا سابق تقوى الله تعالى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة واختلف المسلمون في معنى الخمر فقال بعضهم انه كل ما خامر العقل وستره اولا وانه مشتق من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته واختمرت المرأة اذا لبست الخمار والخمر ما واراك من الشجر وذهب الجمهور الاعظم من الفقهاء ان اسم الخمر في الحقيقة يتناول النى المشتد من ماء العنب وغاية الاشتداد ان يقذف الزبد على قول ابى حنيفة رحمه الله وقال صاحباه اذا اشتد صار خمرا قذف بالزبد او لم يقذف والدليل على ان اسم الخمر مخصوص بالنى المشتد من ماء العنب دون غيره وان غيره ان سمى بهذا الاسم فهو مجاز عليه ومشبه به على وجه المجاز ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم بنشوان فقال له اشربت خمرا فقال والله ما شربتها منذ حرمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا شربت قال الخليطين قال فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليطين والاستدلال من الخبر ان الشارب نفى اسم الخمر عن الخليطين بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ولو كان ذلك يسمى خمرا من جهة لغة او شرع لما اقره عليه فاذا كان الخليطان لا يسميان خمرا مع وجود قوة الاسكار فيهما علم ان اسم الخمر مقصور على ما وصفناه ويدل عليه ما روى ان عليا كرم الله وجهه لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عن الاشربة فقال صلى الله عليه وسلم حرمت الخمرة بعينها ويروى لعينها والسكر من كل شراب واما ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة فيحتمل ان المراد به احدهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم لكن لما كان ظاهر الاضافة اليهما يقتضى ان الخمر منهما ولم يكن جميع ما يخرج منهما من العصير والدبس والخل ونحو ذلك خمرا بالاتفاق علم ان المراد بالخبر تحريم بعض الخارج من هاتين الشجرتين وذلك البعض غير مذكور في الخبر وحمل اصحابنا على ان ما يشتد من الخارج من هاتين الشجرتين على حد الابتداء قبل ان مسته النار حرام قليله وكثيره استدلالا بحكمة من الخبر لانه يكون للابتداء في اللغة ولم يجعلوا الخارج من النخل خمرا يتعلق بقليله وكثيره الحد وان كان على حد الابتداء ويدل على ذلك ان اسم الخمر لو كان حقيقة في كل ما خامر العقل لما انتفى هذا الاسم عن ساير الاشربة المسكرة بحال لان اسماء الحقايق لا ينتفى عن مسمياتها بحال الا ترى ان الارادة في قول الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لما كانت حقيقة لم يجز نفيها عنه بحال ولما كانت الارادة في قوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض على سبيل التوسع والاستعارة جاز نفى الارادة عن الجدار وكذلك قال الله تعالى انى ارانى اعصر خمرا واراد بالخمر العنب وقد وضعت العرب لكل شراب سوى الخمر اسما على حدة وخصت النى المشتد من عصير العنب باسم الخمر وقد يجوز ان يسمى عصير العنب خمرا لمخامرته العقل ثم لا يكون كل ما خامر العقل خمرا كما ان الحايط اسم للجدار بمعنى الاحاطة ثم لا يسمى كل محيط بشى حايطا وكذا النبيذ يسمى نبيذا لما ينبذ فيه من الزبيب ثم لا يسمى كل منبوذ فيه نبيذا وذهب بعض المفسرين الى ان في هذه الآية دليل تحريم الخمر قطعا لان الله تعالى سماه اثما والاثم كله محرم قال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى فاخبر ان الاثم محرم ولم يقتصر في هذه الآية على الاخبار بان فيهما اثما حتى وصفه الله تعالى بانه كبير تاكيدا لحظرها فان قال قايل قوله تعالى ومنافع للناس دلالة على اباحتهما قيل له يحتمل ان المراد بذلك منافع الدنيا

المغيرين ع

تكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفى سائر المحرمات منافع لمرتكبيها فى دنياهم الا ان تلك المنافع لا تفى بضررها من العقاب فلذلك ملنا فيهما غير دال على اباحتها لاسيما وقد اكد حظرها مع ذكر منافعها فى سياق الآية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما فان قيل ليس فى قوله تعالى اثم كبير دلالة تحريم القليل منها لان مراد الآية ما يلحق من المأثم بالسكر وترك الصلوة والمراآة والقتال واذا حصل المأثم بهذه الامور فقد وفى بظاهر الآية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم ان فى مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضرورة شربهما بان تحريم الخمر هو فعل الله تعالى ولا مأثم فيها وانما المأثم مستحق بافعالنا فيهما فكان تقدير الآية فى شربها وفعل الميسر اثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد به شربها والانتفاع بها فان قيل فان دلت الآية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فلما لم ينتهوا بها حتى نزلت آية تحريم الصلوة مع السكر ثم آية المائدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سال عمر رضى الله عنه بيانها بعد نزول هذه الآية قلنا جايز ان يكون بعضهم تأول فى قول الله تعالى ومنافع للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاحوال دون بعض وطلب كبار الصحابة رضى الله عنهم نزول ما هو اكشف فى التحريم من هذه الآية لما علموا وظنوا ان فى ذلك صلاحا كما سأل ابرهيم عليه السلام مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمانينة واما الميسر فهو مفعل من يسر ييسر يسرا وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزية ايضا يقال يسر اذا جزأ الجازر وكلما جزأته فقد يسرته وقيل ان الميسر الجزور نفسه اذا جزئ وكانوا ينحرون جزورا ويجعلونها اقساما يتقامرون فى السبق فى الدواب والابل والنضال اذا كان الذى يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الاخر ان سبق وليس هو من القمار فى شىء وانما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمى ليحرز الحرص فى الخلاء وقوته عند اللقاء وقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا فى خف وحافر او نصل وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط فى الرهان ان من سبق منهما اخذ ولم يسبق اعطى ايهما كان فهذا باطل فان ادخلا بينهما محللا ان سبق لم يستحق وان سبق لم يعط فهذا جايز وهذا الدخيل هو الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم محللا وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من ادخل فرسا بين فرسين يامن ان يسبق فهو قمار ومن ادخل فرسا بين فرسين لا يامن ان يسبق فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر فى هذه الآية يقتضى تحريم القرعة فى العبيد يعتقهم المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما فيها من القمار باخفاق بعض وايجاب بعض وهذا هو القمار بعينه وليست القرعة فى القسمة كذلك لان كل واحد يستوفى نصيبه لا يخفق لاحد منهم قوله عز وجل ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم روى عن عبد الله بن عباس رضى الله قال لما انزل الله تعالى قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم فكان كل من كان فى حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخلطون اليتامى فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل فى اموال اليتامى ما انزل من الشدة افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم فنستعير منهم الخادم والدابة ونشرب من لبن شاتهم ولا نرزؤهم الا غدونا عليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسئلونك عن اليتامى اى عن مخالطة اليتامى قل اصلاح لهم اى الاصلاح لاموالهم خير الاشياء اذ هو خير من

الانفاق

الانفاق الذى هو مسوغ عليه فى ذلك وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحرى الاصلاح فى حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم اموالكم باموالهم فهم اخوانكم فى الدين والله يعلم المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة اصلاح اموال اليتامى ومن يكون غرضه افسادها ولو شاء الله لاعنتكم اى احرجكم وآثمكم فى مخالطتهم والعنت الاثم وقد تسمى الجور عنتا لما فيه من الاثم ويقال معنى اعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهى عن المخالطة وايجاب التحرز لطلب الارباح لهم اصله من عنت البعير يعنت عنتا اذا حدث فى رجله كسر ويقال اكمة عنوت اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اى منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من التساهل والمشاق ذو حكمة فيما امركم به فى اموال اليتامى وغير ذلك واتصلت هذه الآية بما قبلها من جهة آية اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفى هذه الآية ذكر انفاق الوصى من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذى لا اب له لان العرب تسمى المنفرد يتيما كما قال الشاعر ان القبور تنكح الايامى النسوة الارامل اليتامى ويقولون الدرة اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها وفى الآية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم خير يدل على جواز خلط الوصى ماله بمال اليتيم فى مقدار ما يغلب على ظنه فى مال اليتيم انه ياكله بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف فى ماله بالبيع والشرى وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولى اليتيم ان يعاقد نفسه فى ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه الله ويدل على ان للوصى ايضا ان يواجر الصبى ممن يعلمه الصناعات والتجارات او يستاجر من يعلمه ماله فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الاصلاح وفى يدل على جواز الاجتهاد فى الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفى قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم دليل على ان للولى ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له فى المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة التى هى الاشتراك فى الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولى الذى يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية لا تستحق بها الولاية فى التزويج وفى قوله تعالى فاخوانكم بيان ان اطفال المومنين مومنون كما قال تعالى انما المومنون اخوة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون روى عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الآية فى مرثد بن ابى مرثد الغنوى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها عناق كانت خليلة له فى الجاهلية فاتته وقالت له ويحك يا مرثد الا تخلو قال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت ابى تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الذى كان من امره وامر عناق فقال ايحل لى ان اتزوجها فنزلت هذه الآية ومعناها والله اعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولامة مؤمنة اى نكاح امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالها وقوله تعالى

وفي سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم الا ان تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب فذكر منافعها
غير دال على اباحتها لا سيما وقد اكد حظرها مع ذكر منافعها في سياق الآية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما
فان قيل ليس في قوله تعالى اثم كبير دلالة تحريم القليل منها لان مراد الآية ما يلحق من المأثم بالسكر وترك
الصلوة والمواثبة والقتال واذا حصل المأثم بهذه الامور فقد وفى ظاهر الآية مقتضاها من التحريم و
لا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم ان في مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضمير شربها لان جسم
الخمر هو فعل الله تعالى ولا مأثم فيها وانما المأثم مستحق بافعالنا فيها فكان تقدير الآية قل في شربها وفعل
الميسر اثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد به
شربها والانتفاع بها فان قيل فان دلت الآية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فهلا لم يقنعوا بها حتى نزلت
آية تحريم الصلوة مع السكر ثم آية المائدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سأل عمر
رضي الله عنه بيانها بعد نزول هذه الآية قلنا جائز ان يكون بعضهم يتأول في قول الله تعالى ومنافع
للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاحوال دون بعض وطلب كبار الصحابة
رضي الله عنهم نزول ما هو آكد في التحريم من هذه الآية لما علموا وظنوا ان في ذلك صلاحا كما سأل ابرهيم
عليه السلام مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمأنينة واما الميسر فهو مفعل من يسر ييسر يسرا
وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزئة ايضا يقال يسروا اذا جزؤا الجزور
وكل جزء منه فقد يسرته وقيل ان الميسر الجزور نفسه اذا جزئ وكانوا ينحرون جزورا ويجعلونه اقساما
يتقامرون في السبق في الدواب والابل والنضال اذا كان الذي يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الآخر
ان سبق وليس هو من القمار في شيء وانما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمي
في الخلاء وقرنه عند اللقاء وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لا سبق الا في خف او حافر او نصل وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط في الرهان ان من سبق منهما اخذ وان لم يسبق اعطى فانه
كان هذا باطلا فان ادخلا بينهما رجلا ان سبق استحق وان سبق لم يعط فهذا جائز وهذا الدخيل هو
الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم محللا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
ادخل فرسا بين فرسين يأمن ان يسبق فهو قمار ومن ادخل فرسا بين فرسين لا يأمن ان يسبق
فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر في الآية يقتضي تحريم القرعة في العبيد يعتقهم
المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما فيه من القمار باخفاق بعض وانجاح بعض وهذا هو
القمار بعينه وليست القرعة في القسمة كذلك لان كل واحد يستوفي نصيبه لا يخفق لاحد منهم قوله
عز وجل ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله
يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم روي عن عبد الله بن عباس انه
قال لما انزل الله تعالى قوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم فكان
كل من كان في حجره يتيم يعمل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء
فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل في
اموال اليتامى ما انزل من الشدة افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم فنستعير منهم الخادم والدابة
ونشرب من لبن شاتهم ولا نرزأهم الا عدنا عليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسألونك
عن اليتامى اي عن مخالطة اليتامى قل اصلاح لهم اي لا صلاح لاموالهم خير الاشياء اذ هو خير من

الانفاق

الانفاق الذي هو مسوغ عليه في ذلك وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحري الاصلاح في
حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم اموالكم باموالهم فهم اخوانكم في الدين والله يعلم
المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة اصلاح اموال اليتامى ومن يكون غرضه افساد اموالهم
ولو شاء الله لاعنتكم اي احرجكم وآثمكم في مخالطتهم والعنت الاثم وقد يسمى الحرج عنتا لما فيه
من الاثم ويقال معنى اعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وايجاب التفرد
لطلب الارباح لهم اصله من عنت البعير يعنت عنتا اذا حدث في رجله كسر ويقال اكمة عنوت
اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اي
منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من التسهيل والتشاق ذو حكمة فيما امركم به في اموال اليتامى وغير ذلك
واتصلت هذه الآية بما قبلها من جهة آية اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الآية ذكر انفاق الوصي
من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذي لا اب له لان العرب تسمي
المنفرد يتيما كما قال الشاعر ان القبور تنكح الايامى النسوة الارامل اليتامى ويقولون الدرة
اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها وفي الآية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم
خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم انه ياكله
بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء وجواز دفعه
مضاربة اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر
لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يواجر الصبي ممن يعلمه الصناعات
والتجارات او يستاجر من يعلمه ما له فيه صلاح من امر الدين والادب لان ذلك كله من الاصلاح و
يدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وان تخالطوهم
فاخوانكم دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج اليتيمة لنفسه
فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في
المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة التي هي الاشتراك في
الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم
لان الوصاية لا تستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فاخوانكم بيان ان اطفال المومنين مومنون
كما قال تعالى انما المومنون اخوة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة
خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين
آياته للناس لعلهم يتذكرون روي عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه
الآية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها عناق كانت خليلة له في الجاهلية فاتته و
قالت له ويحك يا مرثد الا تخلو قال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن
ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت أبي
تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق قال ايحل لي ان اتزوجها فنزلت هذه الآية ومعناها
والله اعلم لا تزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولأمة مؤمنة اي نكاح
امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم الحرة المشركة لحسنها ومالها وقوله تعالى

www.alukah.net

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اى لا تزوجوهم مسلمة حتى يصدقوا بالله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم الحر المشرك اولئك يعنى المشركين والمشركات يدعون الى عمل اهل النار والله
يدعوا الى اسباب الوصول الى الجنة والمغفرة من مخالطة المؤمنين وغير ذلك باذنه تعالى بامره وعلمه
الذى علم انه وصلة لكم اليهما ويبين اياته بما بين امره ونهيه فى التزويج وغيره لعلهم يتذكرون
يتعظون ويرغبون فى اهل الديانة والامانة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لانهم كانوا فى ابتداء الاسلام
يتحرجون من اليتامى ويعدونهم عنتا ويتحرجون فى اموال اليتامى فخفف الله تعالى عليهم كما فى سورة النساء
بقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والظاهر
ان اسم المشركات يتناول الوثنيات قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم وقال عز من قائل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين ففرق بينهما فى اللفظ
وظاهر العطف يقتضى ان المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزوج المسلمين بالكتابيات ما خلا
فى هذه الاية لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى فى سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وعن عبد الله بن عباس والحسن ومجاهد والربيع ان هذه الاية عامة فى جميع الكافرات الكتابيات
منهن وغير الكتابيات ثم نسخ منها الكتابيات باية المائدة وروى عن ابن عمر انه كان اذا سئل عن
اليهودية والنصرانية قال ان الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ولا اعلم شيئا من الشرك اكبر من ان تقول ربها
عيسى عليه السلام او عبد من عباد الله وكان الزجاج يقول كل من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد
زعم ان ما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم من القران من عند غير الله والقران انما هو من المعجز المخلوقون
عن اتيان مثله فمن زعم فيما لا ياتى به الا الله تعالى انه من عند غير الله تعالى فقد اشرك به غيره والتكذيب
بمحمد صلى الله عليه وسلم يعد الجرم والاثم الاشراك بالله تعالى لان المعلوم من حال المسلمين انهم يصفون
لا يثبت الها شريكا بالله ومن شك فى الاله او جوز الها ثانيا مشركا وقال قتادة وسعيد بن جبير رضى
الله عنهما ان الكتابيات مخصوصات من هذه الاية وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى
انه قرا هذه الاية ثم قال استثنى الله تعالى اهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
فاخبر ان قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات يترتب عليه قوله والمحصنات وان الكتابيات مستثنيات
من المشركات فان قيل فى الاية نهى عن نكاح المشركات بسبب دعوتها اهل الشرك الى النار وهذه
العلة تعم جميع الكتابيات وغيرهن فكيف ابيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة قيل يحتمل ان
يكون قوله تعالى اولئك يدعون الى النار راجعا الى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين لا الى قوله ولا تنكحوا المشركات
لان اولئك كناية عن الرجال دون النساء ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابى وجواب اخر ان
ما يجرى مجرى العلل الشرعية يجوز تخصيصه كما يجوز تخصيص الاسامى قال الله تعالى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ومعلوم ان هذه العلة لا يجب اجراؤها فى جميع
معلولاتها وان الشيطان قد يوقع العداوة فى البياعات والمناكحات والمداينات فلما كانت هذه
العلة مقصورة على المذكور دون غيره لتاكيد حكم المذكور كذلك كان حكم ساير العلل الشرعية المنصوص
عليها وفى الاية دلالة على جواز نكاح الامة المؤمنة لمن يجد الطول الى تزويج الحرة لان الله تعالى امر
المؤمنين بتزويج الامة المؤمنة بدلا عن الحرة المشركة التى تعجبهم وواجد الطول الى الحرة المشركة
واجد الى الحرة المسلمة اذ لا فرق بينهم فى العادة فى المهور فيحمل قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
على حسن الاختيار دون التحريم قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم

الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية
فى رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نصنع بالنساء اذا
حضن نقربهن او لا نقربهن فنزلت هذه الاية فلما نزلت هذه الاية اخرجوا النساء الحيض واخرجوهن من
البيوت كما كانت الاعاجم يفعل بنسائهم اذا حضن واذا فرغن من حيضهن واغتسلن ردوهن الى
البيوت فقدم اناس من الاعراب الى المدينة فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل الحيض عنهم فى
البيوت قالوا يا رسول الله البرد شديد وقد عزلنا النساء فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت بردا وان
اثرنا اهل البيت هلكت النساء الحيض وليس كلنا يجد سعة فتوسع عليهم جميعا فقال عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن فى الفرج اذا حضن ولم تؤمروا ان تخرجوهن من البيوت وقرا عليهم الاية ووجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم حديث نكاح من يحرم ومن يحل فبين الله تعالى بعدها حال
التحليل والتحريم بهذه الاية ومعناها والله اعلم يسألك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الحيض قل هو اذى
اى الدم مستقذر نجس وقوله تعالى فاعتزلوا النساء فى المحيض اى اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا
تجامعوهن حتى ينقطع عنهن الدم فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث امركم الله بتجنبه فى الحيض
وهو الفرج قال عبد الله بن عباس وقتادة والربيع وقيل معناه فاتوهن من قبل النكاح والطهارات
التى يحل فيها ان تقرب المراة فى الشريعة وقال مجاهد كانوا اعتزلوا النساء فى الادبار فى ايام الحيض
فانزل الله تعالى هذه الاية وحرم بها ما كانوا يفعلونه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتيان
النساء فى ادبارهن حرام وعن عبد الله بن مسعود انه قال محاش النساء حرام ويدل عليه ان الله تعالى
حرم الجماع فى الفرج فى حالة الحيض للاذى والادبار لا تفارقها الاذى فدل ذلك على تحريمها فى الامرين وقوله
تعالى ان الله يحب التوابين اى يرضى عن عمل التوابين من الذنوب بعد من اتيان النساء فى وقت الحيض
ويحب المتطهرين من الاحداث والانجاس وقيل من الذنوب والمحيض مصدر يقال حاضت المراة تحيض
حيضا ومحيضا ومحاضا كل ذلك مصدر كما يقال ما فى بنى فلان مكيل ومكال اى كيل وفى قوله
قل هو اذى دليل ان المراد بالمحيض نفس الدم وفى هذا جواب اليهود فانهم كانوا يجتنبون
مواكلة النساء ومشاربتهن ومجالستهن فى حال الحيض واراد المسلمون ان يفعلوا مثله فى الاسلام
فاجابهم الله تعالى بهذه الاية فى وصف المحيض بالاذى لبيان لزوم اجتناب مجامعتهن
فى حال الحيض لانهم كانوا قبل ذلك عالمين بلزوم اجتناب النجاسات والقاذورات فاطلق
عليه لفظا عقلوا منه الامر بتجنبه والدليل على ان اسم الاذى يقع على النجاسات قول النبى صلى الله
عليه وسلم اذا اصاب نعل احدكم اذى فليمسحها بالارض وليصل فيها وقد يجوز ان يطلق اسم
المحيض على موضع الحيض كالمبيت والمقيل وعلى هذا قال محمد بن الحسن يجتنب الرجل من الحايض
امراته شعار الدم وله ما سوى ذلك واما ابو حنيفة وابو يوسف فلا يستمتع بها ما فوق
الازار وذكرها ما تحت الازار على ما ورد به الحديث عن عائشة وميمونة رضى الله عنهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان يباشر نساءه وهن حيض فوق الازار وقد يطلق لفظ الفعل ويراد به
ظرف الزمان كالمنبع والمولد فاذا ساغ تقدير الوجوه الثلثة فى اسم المحيض حمل على الجميع والحيض
مقدار من الدم يتعلق به احكام منها منع الصلاة والصوم وحظر الجماع وانقضاء العدة وتجنب
دخول المسجد ومس المصحف وقراءة القران وتصيير الصبية بالغة اذا رأته فى اوان الحيض واقل
ذلك ثلثة ايام وما دون الثلث مختلف فى كونه حيضا عند اهل العلم رحمهم الله تعالى واما اكثره
عشرة ايام عند اصحابنا رحمهم الله وعند الشافعى اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وقد

شبكة الألوكة www.alukah.net

عدي بن ثابت عن ابيه عن جده رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع
الصلوة ايام حيضها ثم تغتسل وتتوضا لكل صلوة وفي بعض الروايات تدع الصلوة ايام اقرائها واسم
الايام المطلقة يتناول الثلث الى العشرة يقال فيما زاد على العشرة احد عشر يوما وروى ابو امامة الباهلي
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اقل الحيض في البكر والثيب ثلثة ايام واكثره عشرة
وقد اختلف اهل العلم في اقل الطهر ايضا ذهب عامة الفقهاء الى ان اقله خمسة عشر يوما ولا غاية لاكثره
وكان مالك رحمه الله لا يوقت لقليل الحيض ولا لاكثره وظاهر قوله تعالى حتى يطهرن فاذا تطهرن يقتضي
ان انقطاع الدم والاغتسال كلاهما شرط لجواز القربان وهذا كما يقال لا تكلم الامير حتى يجلس فاذا
طابت نفسه فكلمه معناه لا تكلمه حتى يجلس ويطيب نفسه فاذا او طاب كلمه وهذا عند اصحابنا رحمهم الله
محمول على الاعم الاغلب لان الاعم في النسا انه ينقطع حيضهن دون العشرة فاما اذا انقطع على راس العشرة
فقد تيقن بانقطاع دم الحيض من جميع الوجوه اذ الدم ان عاودها بعد العشرة لم يكن حيضا وانما بقي وجوب
الاغتسال عليها وذلك لا يمنع الوطي كوجوب الاغتسال بحكم الجنابة وذهب بعض المفسرين الى ان
المراد بقوله تعالى حتى يطهرن وبقوله تعالى فاذا تطهرن انقطاع الدم يقال طهرت المراة واطهرت و
تطهرت اذا انقطع دمها يدل على هذا انها لو اغتسلت وهي حايض لم تطهر فاذا كان لفظ التطهر يحتمل انقطاع
الدم ويحتمل الاغتسال حمل على الطهر الذي لا يحتمل الا وجها واحدا وكان قوله تعالى فاذا تطهرن تاكيدا
للحكم المذكور قبله وهذا كما يقال لا تعط فلانا حتى يدخل الدار فاذا دخلها فاعطه الا ان الاجماع قد انعقد
فيما اذا انقطع دمها دون العشرة انه لا يحل للزوج ان يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة ويجوز
ان يجمع بين القراتين في قوله تعالى حتى يطهرن فيحمل قراة التخفيف على ما اذا انقطع دمها على راس العشرة
وقراة التثقيل حتى يطّهّرن على ما اذا انقطع الدم دون العشرة والله تعالى اعلم قوله عز وجل
نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
وبشر المؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود تقول انا نجد في التورية ان كل اتيان
يوتى النسا غير مستلقيات فانه دنس عند الله تعالى ومنه يكون الحول والخبل يعنون حول الولد فكذبهم
الله تعالى بهذه الاية والمعنى والله تعالى اعلم نساؤكم حرث لكم اي مزدرع للولد وعن الزجاج انه قال
نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد واللذة قال ابو عبيدة سميت المراة حرثا على وجه الكناية
فانها للولد كالارض للزرع وقوله تعالى فاتوا حرثكم اي موضع حرثكم انى شئتم كيف شئتم مستلقيات
ومستدبرات بعد ان يكون في صمام واحد وهو الفرج ومعنى وقدموا لانفسكم اي قدموا من العمل الصالح
لاجوركم وقيل اراد التسمية عند الجماع وقيل هي النية الصالحة عند ذلك اي ربما قضى الله تعالى ولدا
يعبده وقوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل واعلموا انكم
ملاقوه يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم وبشر المومنين اي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة ومن الناس
من تعلق في جواز اتيان المراة في غير قبلها بقوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وهذا
لا يصح لان قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم يقتضي اباحة اتيان المراة في موضع الحرث وهو القبل فان
الولد انما يكون من اتيان المراة في قبلها والقول بجواز اتيان المراة في دبرها محكي عن مالك رحمه الله و
اصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها وقد روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اتى حايضا او امراة في دبرها او اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل
اتى رجلا او امراة في دبرها واما ما روي عن نافع عن ابن عمر في اباحة اتيان الرجل امراته في دبرها فلم

يبح

فلم يصحح العلما رواية نافع لانه روي ان نافعا روى ذلك في اخر عمره عن ابن عمر انه قال هي اللوطية الصغرى
قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله
سميع عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه
حلف ان لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان الانصاري ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه وجعل يقول
حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان تبر يميني فنزلت هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا عليه الاية وقال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير افعلوا
الخير ودعوا الشر فكفر ابن رواحة عن يمينه ورجع الى الذي هو خير ومعنى الاية لا تجعلوا الله علة لايمانكم
وهو ان يجعل الرجل اليمين معترضا بينه وبين ما هو مندوب اليه او مامور به من البر والتقوى في
الاصلاح فيفعل ذلك للامتناع من الخير لان المعترض بين الشيئين يمنع وصول احدهما الى الاخر ومعنى
ان تبروا وتتقوا اي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين وهذا كما قال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اراد بذلك لا ابرح ويقول الرجل
والله اقوم فيكون معناه لا اقوم واذا اراد اثبات القيام قال والله لاقومن وكان ابو العباس
المبرد رحمه الله منكرا اضمار حرف النفي في هذه الاية ويقول هذا انما يكون في صريح اليمين فاما في مثل
هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي قال والصواب ان معناه تاركي ان تبروا ويقال كراهة ان تبروا
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان
يوتوا اولي القربى والمساكين الاية وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
لا تعترضوا باليمين بالله في كل حق وباطل وهو نهي عن كثرة الحلف لما في ذلك من الجراة على الله عز وجل
والابتذال لاسمه في كل حق وباطل يقال هذه عرضة لك اي عدة لك تبتذله فيما شئت ويقول القايل قد جعلتني
عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوايم وقد ذم الله تعالى مكثر الحلف بقوله ولا تطع كل
حلاف مهين ومعنى ان تبروا على هذا التاويل الاثبات اي لا تحلفوا في كل شي لان تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم
فيها وعن ابي عبيدة ان معناه الا تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم فان من كثر حلفه قل بره في اليمين ويجوز
ان يكون قوله تعالى ان تبروا ابتدا خبره محذوف تقديره ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اولى لكن
حذف الاولى لان في الكلام دليلا عليه فعلى هذا يكون موضع ان تبروا رفعا وعلى التاويل الذي تقدم يكون
نصبا لان معناه لان تبروا موضعه نصب انتصب بنزع حرف الخافض ويجوز ان يكون موضعه خفضا لانك
تقول جيتك لان تضرب زيدا وجيتك ان تضرب زيدا ومعناه جيتك لضرب زيد ومعنى والله سميع عليم سميع
لايمانكم عليم بما تقصدون بها عند الحلف واذا احتملت الاية النهي عن كثرة الحلف والنهي عن جعل اليمين
علة مانعة من البر والتقوى ولا تضاد في المعنيين وجب حمل الاية عليهما جميعا قوله عز وجل لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم قال ابن عباس
في تفسير الاية معنى يمين اللغو ان يحلف الرجل بالله على الشي يرى انه كذلك وليس كذلك قال ومعنى قوله ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم بما تعمدتم الكذب وهو ان يحلف على شي يعلم انه ليس كذلك ومعنى والله غفور
اي لمن تاب من اليمين الغموس حليم عن الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبة وعن عايشة رضي الله عنها
ان يمين اللغو هو ما يجري في خلال الكلام لا والله وبلى والله مما لا يعقد عليه قلبه وعن عطا رحمه الله عنها انها
قالت هو قول الرجل فعلت والله كذا وصنعت والله كذا وهو يرى انه كذلك وعن طاوس وسعيد بن جبير
رضي الله عنهما انهما قالا في يمين اللغو انها يمين الغضبان الا ان سعيدا قال اذا حنث في يمينه تلك كفر
وعن زيد بن اسلم ان اللغو هو اليمين التي الحنث فيها خير من البر لا يواخذ الله تعالى بالاثم اذا كفر ولكن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يؤاخذ الحالف بعزمه على أن لا يبر ولا يتقي وإعطاء الله ذكر الحلف قال وحي والله غفور أي غفور حين حنث وكفر يمينه حليم حين رخص لكم في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر والتقى وقد ذهب أصحابنا رحمهم الله في تفسير اللغو إلى أنه يكون على الماضي فأما إذا أجرى على لسانه كلمة اليمين على أمر في المستقبل انعقدت يمينه عليه وإن لم يقصد لزمته الكفارة فيها بالحنث بقوله تعالى في آية أخرى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين الآية إذ ليس في تلك الآية تعليق الكفارة بكسب القلب لأنه يستوي حال القاصد فيها للخير والشر ويتساوى حكم العمد والسهو ولو لم يفسر اللغو بهذا التفسير الذي ذكرنا لكان في ذلك حمل الآيتين على الإعادة والتكرار وفي قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دليل أن المراد بيمين اللغو يمين الظان لأنه إنما يقابل بالعمد الخاطر فقد كان المراد بقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ما عقد قلبه عليه من الكذب والزور فيؤاخذكم بها في الآخرة والله تعالى أعلم. واللغو في اللغة هو الكلام الساقط الذي لا فائدة فيه ولا حكم له يقال لغيت الشيء إذا طرحته وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح كما قال الله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقال جل ذكره وإذا مروا باللغو مروا كراما إلا أن الله تعالى لما قابل اللغو في هذه الآية باليمين التي يؤاخذنا بها بكسب القلب علم أن المراد باللغو ما يقصد به الكذب

قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن العرب في الجاهلية كان الرجل يكره امرأته ويكره أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يطأها أبدا ولا يخلي سبيلها إضرارا بها فتبقى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة حتى يموت أحدهما فأبطل الله تعالى ذلك من فعلهم وجعل الأجل في هذا بعد هذا القول أربعة أشهر إذا تمت هذه المدة ولم يفِ إليها بانت بتطليقة ومعنى الآية والله تعالى أعلم للذين يحلفون من نسائهم أن لا يقربوهن انتظار أربعة أشهر فإن فاءوا يقول إذا رجعوا عما حلفوا عليه فقرب الرجل امرأته أو كان عاجزا عن الوطء وفاء بلسانه فإن الله غفور لذنب الإضرار بالامتناع من الجماع رحيم بهم إن رخص لهم التربص بالكفارة وفي قراءة عبد الله بن مسعود فإن فاءوا فيهن فإن الله غفور رحيم والإيلاء في اللغة هو الحلف يقال آلى يولي إيلاء وألية وألوة وألوة وإلوة والألايا جمع الألية قال كثير قليل الألايا حافظ ليمينه وإن بدرت منه الألية برت وهذا أصله في اللغة من الإيلاء كما قال الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة وأما الإيلاء في الشرع هو الحلف على ترك الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة حتى قيل آلى فلان من امرأته إذا فعل بها ذلك وقد اختلف السلف رحمهم الله فيما يكون موليا به على وجوه أحدها ما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أن الإيلاء هو الامتناع من الجماع على جهة الغضب والإضرار بتأكيد اليمين حتى لو كان للرجل امرأة لها ولد رضيع فخشي إن قربها أن تحبل فيضر ذلك بالصبي والولد فحلف أن لا يقربها لم يكن موليا وقال إبراهيم النخعي وابن سيرين والشعبي هو اليمين لأنها جامعا سواء كان في الغضب أو في الرضا وبهذا القول قال فقهاؤنا حتى قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كل يمين في زوجة منعت جماع أربعة أشهر من غير حنث يلزمه أو تعيين إيلاء الأخرى فهو إيلاء وأما القول الثالث فهو ما روي عن سعيد بن المسيب أن الإيلاء هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف أن لا يكلمها كان موليا والقول الرابع قول عبد الله بن عمر أنه إذا هجرها فهو إيلاء ولم يذكر الحلف والتربص انتظار الشيء خيرا أو شرا يحل بك أو تحل به ومن ذلك سمي المحتكر متربصا لانتظاره غلاء السعر قال الشاعر تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حليلها والفيء في اللغة هو الرجوع ومنه قوله تعالى حتى تفيء إلى أمر الله أي ترجع من البغي إلى العدل الذي هو أمر الله عز وجل ومن ذلك سمي الظل الذي يكون بعد زوال الشمس فيئا لأنه

لا م

والحـ

اللبن الولد

الفيء

إذا رجع ويقال فلان سريع الفيء من الغضب أي سريع الرجوع من الغضب إلى الرضا وأما الفيء الشرعي المذكور في هذه الآية قال ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب هو الجماع في حالة القدرة والمراجعة بالقول عند العجز وبهذا أخذ أصحابنا حيث قالوا إن المريض إذا فاء بلسانه واستمر المرض من أول الأربعة الأشهر إلى آخرها صح الفيء وبطل معنى الطلاق وقال الحسن وإبراهيم وعلقمة إن الفيء هو المراجعة بالعزم وكان الحسن وإبراهيم يقولان لا كفارة على الفائي لأن الله تعالى قال فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وهذا يقتضي نفي المؤاخذة من جميع الوجوه وخالفهما الآخرون في ذلك وقالوا عليه كفارة الحنث فإن قيل إذا كان الفيء في المرض بالقول ما لا يسقط اليمين حتى لو صح من مرضه بعد الأربعة إن قرب لزمته الكفارة وإن لم يقرب حتى مضت أربعة أشهر أخرى بانت منه بتطليقة فكيف يرتفع الإيلاء مع بقاء اليمين قلنا يجوز أن يبطل معنى الطلاق من الإيلاء ويبقى معنى اليمين ألا ترى أنه لو طلقها ثلاثا ثم عادت إليه بعد زوج بطل معنى الطلاق حتى لو لم يقربها في هذا النكاح لم تطلق ثم معنى اليمين باق حتى لو وطئها حنث ولزمته الكفارة كذلك الفيء بالقول يرفع معنى الطلاق في المدة الماضية ولا يرفع معنى اليمين والله تعالى أعلم قوله عز وجل وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم المعنى والله تعالى أعلم إن حققوا الطلاق بالإقامة على حكم اليمين إلى تمام أربعة أشهر فإن الله سميع لإيلائهم عليم بهم وبنياتهم والعزم هو العقد على فعل في المستقبل يقال عزم على الأمر واعتزم إذا عقد قلبه عليه وأما العزم الشرعي المذكور في الآية على ثلاثة أوجه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عزيمة الطلاق انقضاء الأربعة الأشهر قبل أن يفيء من غير عذر وهو قول عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان رضي الله عنهم قالوا إنها تبين بعد هذه المدة بتطليقة وبه أخذ أصحابنا رحمهم الله واختلف عن علي وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء فروي عنهم مثل قول الأولين وروي عنهم أنه يوقف بعد مضي المدة فإما أن يفيء وإما أن يطلق وهو قول عائشة رضي الله عنها وبه قال مالك والشافعي رحمهما الله فإن امتنع منهما فللشافعي قولان أحدهما أن يحبسه الحاكم ولا يجبره على أحدهما والثاني يطلق عليه الحاكم وقال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله والزهري وعطاء وطاووس إذا مضت أربعة أشهر فهي تطليقة رجعية ولفظ الآية محتمل للوجوه التي حصل عليها اختلاف السلف ولولا احتماله لها لما تأولوه عليها واختلافهم في هذا إجماع منهم على تسويغ الاجتهاد في الألفاظ المحتملة فإن قيل قوله تعالى فإن الله سميع عليم يقتضي أن عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك إلا بقول من الزوج بعد الإيلاء قلنا هذا القول لا يصح لأن الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع وقد قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم وليس هنا كقول لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاثبتوا وعليكم بالصمت وقد استدل محمد بن الحسن رحمه الله في آية الإيلاء على امتناع جواز الكفارة قبل الحنث فقال لما حكم الله تعالى للمولي بأحد حكمين من فيء أو عزيمة طلاق دل أن حكمه مقصور على أحد هذين الأمرين فلو كان تقديم الكفارة على الحنث يسقط الإيلاء بغير فيء ولا عزيمة طلاق لأنه إن حنث لا يلزمه في الحنث شيء فيسقط حكم الإيلاء بغير ما ذكره الله تعالى وذلك خلاف الكتاب وبالله التوفيق

قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم قال عبد الله بن عباس كان أهل الجاهلية يطلق الرجل امرأته فإن كان مستحليا كان أحق برجعتها وإلا كانت أحق بنفسها فكانت المرأة إذا أحبت زوجها قالت أنا حبلى وليست حبلى لتراجعها وإذا كرهته وهي حبلى قالت لست بحبلى لكيلا يقدر على مراجعتها فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلاثة قروء ونهى النساء عن كتمان ما خلق

غريمين

الألوكة
www.alukah.net

أرحامهن من الحيض والحبل قال وكانوا في الجاهلية طلاق آخر وهو أن يطلق الرجل امرأته التطليقة الواحدة
أو اثنتين فيكون أحق برجعتها ما لم تتزوج فإذا تزوجت غيره بطلت الرجعة وإن كان في الطلاق ثلاثاً كانت
أحق بنفسها منه كما قال الأعشى لما قال له بنو عمران طلق امرأتك وكانت هزانية فطلقها واحدة بقوله ۝
أجارتنا بيني فإنك طالقه ۝ كذاك أمور الناس غاد وطارقه ۝ فقالوا له عد فطلق الثانية فقال ۝ وبيني
حصان الفرج غير ذميمة ۝ وموموقة فينا كذاك ووامقه ۝ فقالوا اعد فقال ۝ وبيني فإن البين خير
من العصا ۝ وأن لا ترى لي فوق رأسك بارقه ۝ فعرف أنها بانت فقال ۝ وذوقي فتى حي فإني ذائق ۝
فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه ۝ ومعنى الآية والله تعالى أعلم والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ماذا يصنع بهن
أزواجهن من المراجعة وترك المراجعة وقد اختلف السلف في المراد بالقروء المذكورة في هذه الآية قال أبو بكر
وعمر وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم هي الحيض وقالوا
إن الزوج أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وبه أخذ أصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وزيد بن ثابت و
عائشة رضي الله عنهم هي الأطهار وإذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي
رحمهم الله ۝ وإنما اختلف السلف في هذه المسألة لأن القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو
من أسماء الأضداد والقروء جمع القرء قال أبو عبيدة رحمه الله هو خروج من شيء إلى شيء يقال قرأ النجم إذا
طلع وقرأ إذا غاب فالمرأة تخرج من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله
هو الوقت ويقال رجع فلان لقرئه وقرئه أي لوقته الذي كان يرجع فيه فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت
قال الشاعر يا رب ذي ضغن وضب فارض ۝ له قروء كقروء الحائض ۝ وأراد بذلك الحيض وقال آخر
أفي كل عام أنت جاشم غزوة ۝ تشد لأقصاها عزيم عزائكا ۝ مورثة مالا وفي الحي رفعة ۝ لما ضاع
فيها من قروء نسائكا ۝ فأراد بالقرء الطهر فلما اختلف السلف رحمهم الله واختلف اللغة في هذا الاسم
ولم يجز حمله على الأمرين جميعاً وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر لأن
كل طهر لا يسمى قرءاً وإنما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذا الاسم لمجاورته الحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة
في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال لأن الأسماء الحقائق لا تنتفي عن مسمياتها بحال وقد وجدنا هذا الاسم ينتفي عن
طهر الآيسة والصغيرة فكان حمله على الحيض أولى من حمله على غيره وإذا اختلف الأئمة في ذلك كان
المرجع فيها إلى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المستحاضة تدع الصلاة أيام
أقرائها وأراد بالأقراء الحيض واتفقت الصحابة أن عدة أم الولد بالحيض وكذلك الاستبراء في الإماء
المملوكات بالحيض بالإجماع واعتبار الحيض أحوط لأنها تخرج عن العدة باعتبارها بيقين لأن من
يعتبر الطهر يحتسب بالطهر الأول الذي وقع فيه الطلاق آخره ويحكم بانقضاء العدة عند شروعها في الحيضة الثالثة
وفي الآية حصر القرء بالثلث فلو حملت على الأطهار حملت على الطهرين وبعض الطهر الأول وذهب
الزجاج رحمه الله إلى أن القرء الجمع من قولهم قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً ويقال قريت الماء في الحوض
وسمي الحوض مقراة قال وإنما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القرء غير أن هذا الأمر لا نطلع على الحقيقة
لأن هذا من علم ما في الأرحام وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في الأرحام ولا يمتنع أن يجتمع الدم
في حالة الحيض قطرة أو قطرتين كالعبرة وفي ذكره الأول احتج جملة لدر درورا لا ينقطع كالبول
وساير المايعات المجتمعة والله تعالى أعلم والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الآية بآية أخرى
وهو قوله يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن إلى آخر الآية وكذلك الحامل مخصوصة
بآية أخرى روي أن رجلاً من أشجع جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال طلقت امرأتي وهي حامل وقد
ذهبت فأنا أخاف أن تنطلق فتتزوج من بعدي فيكون ولدي له فأنزل الله تعالى قوله في المطلقات

يتربصن

يتربصن بأنفسهن إلى آخر الآية فردت امرأة الأشجعي على الأشجعي فقام معاذ بن جبل فقال يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم أرأيت الكبيرة التي يئست من الحيض من نسائكم ما عدتها فنزلت واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فقام آخر فقال يا رسول الله أرأيت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم
ما عدتها فنزل واللائي لم يحضن فقام رجل آخر فقال فالحوامل ما عدتهن فنزل وأولات الأحمال أجلهن
أن يضعن حملهن وأما معنى قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن هو نهي من الله
تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله تعالى في أرحامهن من الحبل فيخبرن بانقضاء العدة لمدة حمل ثم
يتزوجن ويلزمن الولد لغير أبيه ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الإخبار بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة
على أزواجهن وقوله تعالى إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس على طريق الشرط ولكن على معنى إن كن
مؤمنات فينبغي أن يحجزهن إيمانهن عن كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل وهذا كما يقال للرجل الظالم
إن كنت مؤمناً فلا تظلم لا يكون هذا القول مطلقاً للظلم لغير المؤمن لكن المعنى إن كنت مؤمناً فينبغي أن
يحجزك إيمانك عن الظلم وفي قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن دليل أن قول المرأة مقبول على أزواجها
حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطؤها وإذا قالت طهرت حل له وطؤها إذ لو لم يجب قبول قولها
لم يكن لنهيهن عن الكتمان معنى ولا فائدة ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله لو قال لامرأته أنت طالق إذا
حضت فقالت حضت طلقت وكان قولها كالبينة في حق نفسها لأنا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء
عدتها وإباحة وطئها أو حظره وفرقوا بين هذا وبين ساير الشروط نحو قوله إذا دخلت الدار وإن كلمت زيداً
فقالوا لا يقبل قولها في ساير الشروط الأجنبية فأما إذا علق عتق عبده بحيض زوجته فقالت حضت لم
تصدق لأن ذلك حكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها وهو كغيره من الشروط فلا تصدق ومعنى قوله
تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك أي أزواجهن أحق بمراجعتهن في الأجل الذي أمرن
أن يتربصن فيه إن أرادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة دون الإضرار والعدوان وذكر
الرجعة في هذا تخصيص حكم في بعض ما انتظمه عموم أول هذه الآية لأن قوله تعالى والمطلقات يتربصن
بأنفسهن عام في المطلقة الثلاث فما دونها وقوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن خاص فيمن
كان طلاقها دون الثلاث وخصوص آخر الآية لا يمنع عموم أولها قال الله تعالى ووصينا الإنسان
بوالديه وهذا عام في المؤمنين والكافرين ثم قال وإن جاهداك لتشرك بي وهذا خاص في الوالدين
الكافرين ولهذا نظائر كثيرة والبعولة جمع بعل مثل عم وعمومة والهاء زائدة مؤكدة بمعنى تأنيث
الجماعة ويقال في جمع الذكر ذكارة وفي الحجر حجارة وفي الفحل فحولة وليس في الجمع قياس معلوم وإنما يتبع
في ذلك ما روي عن أهل اللغة ومعنى قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي لهن على الأزواج
من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للأزواج عليهن من الحقوق بالمعروف واسم المعروف
عام في كل ما يعرف من إقامة الحق بينهم بذلك لأن كل واحد يعرفه الآخر وقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال في خطبته بعرفات اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان وإنما أخذتموهن
بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه
فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ومعنى قوله تعالى
وللرجال عليهن درجة أي لهم زيادة في النساء عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بما يصلحهن و
في العقل والميراث وأن يكون الرجل مسلطاً على تأديب المرأة إذا نشزت وعن أنس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت
المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تنقلب بالقبح والصديد ثم لحسنة ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اي ملك غالب يامر بما اراد و
يحض بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيئا الا بالحكمة قوله
عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روي عن عروة بن الزبير وقتادة رضي الله عنهما في معنى اول هذه الآية ان
الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفي الاية ما يدل على
هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالاية
بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وخشوع وفي لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة
لان من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الاية كيفية سنة التفريق وقد فسر الله سبحانه
بقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى ان الله تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الاية بقوله تعالى لا
تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امراته
في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هي
العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وفي بعض الروايات قال النبي صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة
ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضي الله عنه
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف
اي عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن
حتى ينقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفي حقها من المهر ونفقة العدة
وان لا يطول العدة عليها لا القصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فتلزمها عدة مستانفة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقيل له اين التطليقة الثالثة قال النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا قال
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس كانت
تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يضربني ويسيء الي فقال لها ارجعي الى زوجك فاتته الثانية
وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال
والذي بعثك بالحق ما على الارض شيء احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم
حديثا ينزل عليك خلافه هذا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني ابغضه
فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي فقل لها فلترد ها علي وانا اخلي سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى الاية ولا يحل لكم
ان تاخذوا شيئا مما اتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما ويوقنا
حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود الله
ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخافا عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما فرض
الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف بمعنى العلم كما قال ابو محجن الثقفي شعر
اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها واما قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اي علمتم بغالب
ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا حرج عليهما
في الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها مما اعطاه الزوج
قال الفراء هذا كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك في هذه الآية
اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفي الحرج عن الزوج في الاخذ فاما المراة فهي مفتدية باختيارها ورضاها
وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لو اختلعت بكل شيء لها لاجزنه فلو روي ان امراة نشزت في عهد الامام عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضي الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالي مذ كنت
عنده اقر لعيني منهن فقال رضي الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها وعن نقول بهذين الخبرين
جواز الزيادة في القضاء فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شيء منها
ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منه شيئا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اي هذه الآيات المنزلات من الاوامر و
النواهي فرايضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اي يتجاوز احكام الله
تعالى فيترك ما امره الله تعالى به او يعمل بما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم
والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام الا ان الاول افصح لانه يقال المراة طالق
ولا يقال لها طليق وسمي النجد له الا ترى يقرب اهلها كالمراة طالق والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال
سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت لها
بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها المرعى ويسمى المشط مسرحا لانه يطلق الشعر وفي الاية دلالة
جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول
الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف في الخلع انه طلاق او
فسخ ذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية
فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذا بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو
كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع طلاق
وهو قول عمر وعلي وعبد الله بن مسعود والحسن وابراهيم النخعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وليس في
ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا الا ان الواو للاستيناف
الا ان يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر في اول هذه الاية حكم الطلاقين بغير بدل وخير الزوج بين ان
يراجعها في العدة الى النكاح الاول وبين ان يتركها حتى تنقضي مدتها ثم استانف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع وابان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تتخبط بالقيح والصديد ثم لحسنة ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اى ملك غالب يامر عما اراد و
عصى بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيا الا بالحكمة قوله
عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روى عن عروة بن الزبير وقتادة رضى الله عنهما في معنى اول هذه الاية ان
الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفى الاية ما يدل على
هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس و مجاهد ان المراد بالاية
بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبى صلى الله
عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وخشوع وفى لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة
لان من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الاية كيفية سنة التفريق وقد شرع الله سبحانه
بقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى انه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الاية بقوله تعالى لا
تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امراته
في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هى
العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وفى بعض الروايات قال النبى صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة
ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضى الله عنه
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف
اى عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن
حتى ينقضى تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفى حقها من المهر ونفقة العدة
وان لا يطول العدة عليها لا لقصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فتلزمها عدة مستانفة وروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقيل له اين الطليقة الثالثة قال النبى صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا قال
ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول وفى زوجها ثابت بن قيس كانت
تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يضربنى ويسوء الى فقال لها ارجعى الى زوجك فاتته الثانية
وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت مالك ولاهلك قال
والذى بعثك بالحق ما على الارض شىء احب الى منها غيرك فقال لها لا تطيعينى فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم
حديثا ينزل عليك خلافه هذا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه في دين ولا خلق ولكنى ابغضه
فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لى قل لها فلترد ها على وانا اخلى سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى الاية ولا يحل لكم
ان تاخذوا شيا مما اتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما و يوقنا
حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود
ومن قرا يخافا فعلى فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخافا عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما اوجب
الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف في معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفى شعر
اذا مت فادفنى الى اصل كرمة ٭ تروى عظامى بعد موتى عروقها ٭ ولا تدفننى بالفلاة فاننى
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها ٭ وقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اى علمتم بغالب
ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اى لا حرج عليهما
في الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها اما اعطاء الزوج
فالمراد احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك هذه الاية
اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفى الحرج عن الزوج في الاخذ فاما المراة فهى تفتدى باختيارها ورضاها
وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال لو اختلعت بكل شىء لها لاجزاه وروى ان امراة نشزت فبعث الى عمر رضى الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضى الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالى منذ كنت
عنده اقر لعينى منهن فقال رضى الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها ونحن نقول بهذين الخبرين
جواز الزيادة في القضاء فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها لقول
النبى صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شىء منها
ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منه شيا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اى هذه الايات المنزلات من الاوامر و
النواهى فرائضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اى يتجاوز احكام الله
تعالى فيترك ما امره الله تعالى به او يعمل بما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم
والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام والاول افصح لانه يقال للمراة طالق
ولا يقال لها طليق وسمى النعجة التى ترتع بغير راعيها كالمهملة طالقا والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال
سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت لها
بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها للرعى ويسمى المشط مسرحا لانه يطلق الشعر وفى الاية دلالة
جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول
الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف في الخلع انه طلاق او
فسخ ذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية
فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو
كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله فقالوا ان الخلع طلاق
وهو قول عمر وعلى وعبد الله بن مسعود والحسن وابرهيم النخعى وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين وليس في
ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذ الواو للاستيناف
الا ان يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر في اول هذه الاية حكم الطلاقين بغير بدل وخير الزوج بين ان
يراجعها في العدة الى النكاح الاول وبين ان يتركها حتى تنقضى عدتها ثم استانف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع وابان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن موضع الحظر والاباحة فيها ثم ذكر حكم التطليقة الثالثة بالاية التي بعد هذه الاية وهذا مما يستدل به على ان
المختلعة يلحقها الطلاق لان عامة فقهاء الامصار اتفقوا على ان تقدير الاية وترتيب احكامها على ما وصفناه
فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع والله تعالى اعلم قوله عز وجل فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ
حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ المعنى والله تعالى اعلم الطلقة الثالثة التي في
قوله تعالى او تسريح باحسان فلا تحل له من بعد الطلقة الثالثة حتى يتزوج زوجا غير الزوج الاول ويدخل
بها ويطلقها اذ لا خلاف بين اهل العلم ان دخول الزوج الثاني بها شرط في اباحتها للزوج الاول الا
ما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله رواية شاذة انه لم يجعل شرطا ولم يتابعه احد على ذلك وانما
جعل دخول الزوج الثاني شرطا لمفهوم الاية وورود السنة اما مفهوم الاية فلان الله تعالى قال حتى تنكح زوجا
غيره والنكاح هو الوطء في الحقيقة وذكر الزوج يفيد العقد لاستحالة ان يكون زوجا من غير عقد وكان
قوله تعالى حتى تنكح كناية مستقبحة مغنية عن التصريح واما السنة فما روى ان رفاعة القرظي طلق امراته
ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد ان ترجع الى زوجها الاول
فقال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن فقالت ما الذي معه الا كهدبة ثوبي هذا فقال صلى الله كهدبة
عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى زوجك الاول قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي
من عسيلته ويذوق من عسيلتك فقدمت على مقالتها فقالت يا رسول الله قد طاف بي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اصدقك الآن واما قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فهو غاية للتحريم الموقع
بالثالثة واذا وطيها الزوج الثاني ارتفع ذلك التحريم من حيث انها تحت زوج كسائر النساء الاجنبيات
فمتى فارقها الثاني وانقضت عدتها حلت للاول وذلك قوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا
اي ان طلقها الزوج الثاني بعد ما دخل بها فلا حرج على المراة والزوج الاول ان يتراجعا بان
يتزوجها مرة اخرى بعد انقضاء العدة وقوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي يتراجعا ان علما
بغالب ظنهما انهما يقيمان حدود الله تعالى فيما بينهما لانهما قد افترقا وراى الزوج وحدته و
رات المراة غربتها ووحشتها والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها والله اعلم ان الطلاق لما كان
من ابغض المباحات الى الله عز وجل على ما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض المباحات
الى الله عز وجل الطلاق شرط الله تعالى في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على الازواج من غشيان الغير
تلك النساء حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا الا على وجه السنة وذهب بعض
المفسرين الى ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون النساء بغير عدد ويراجعوهن بغير عدد فجعل الله تعالى
الطلاق محصورا والرجعة معدودة واما قوله تعالى وتلك حدود الله اي هذه التي ذكرت احكام
الله تعالى وفرائضه بينها في القران ويقرا نبينها بالنون لقوم يعلمون ان اوامر الله تعالى وان
ما ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وتخصيص العلماء في الاية لانهم هم الذين يحفظون
اوامر الله تعالى واحكامه وينتفعون بالايات وقيل خصهم الله تعالى بالذكر على جهة النباهة لهم
كما خص الله تعالى جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة النباهة لهما وقد اتفق السلف و
من بعدهم من فقهاء الامصار على الزوجين المملوكين خارجان من قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك
بمعروف واتفقوا على ان الرق يوجب نقصان الطلاق وان العبد اذا طلق زوجته الامة
تطليقتين لم تحل له الا بعد زوج اخر فاما اذا كان احد الزوجين حرا والاخر مملوكا فقال اصحابنا رحمهم الله
اعتبار عدد الطلاق بالنساء وهو قول علي وابن مسعود قالوا اذا كانت المراة حرة فطلاقها ثلث سوا

كان

كان زوجها حرا او عبدا وان كانت امة فطلاقها ثنتان سوا كان زوجها حرا او عبدا وقال عثمان
وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس اعتبار عدد الطلاق بالرجال وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ويدل على ذلك ما تقدم ذكره ان الاعتبار في تفريق الطلاق المسنون باطهار العدة واذا كانت
المراة امة ولا خلاف ان عدتها حيضتان ولو جعلنا الطلاق بالزوج وهو حر لم يمكنه تفريق الثلث
على اطهار عدتها الا ان عدتها تنقضي قبل وجود الطهر الثالث قوله عز وجل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا
لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ نزل في ثابت بن يسار الانصاري طلق امراته فلما ارادت ان تبين منه راجعها ثم طلقها
فما زال يضارها بالطلاق ويراجعها ليمنعها من الازواج ومعنى الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم
النساء تطليقة او تطليقتين فبلغن اجلهن اي قاربن وقت انقضاء عدتهن فامسكوهن بمعروف اي
احبسوهن بالرجعة على حسن الصحبة لا لتطويل العدة او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن بمعروف
حتى تنقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تحبسوهن في العدة اضرارا
ولا حاجة لكم اليهن والضرار ان يطلقها ثم يدعها حتى اذا حاضت ثلثا راجعها ثم يطلقها اخرى ثم
يدعها حتى تحيض ثلثا ثم يراجعها ثم يطلقها الثالثة ثم يدعها حتى تحيض ثلثا يمنعها عن
التزوج الى انقضاء تسع حيض ومعنى لتعتدوا عليهن اي تظلموهن وقيل لتستوفوا العدة عليهن
كما قال الله تعالى في اية اخرى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفونها وهذا كما يقال اكتلت
الحق واكتلت الحق اذا استوفاه بالوزن او الكيل وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يعني امساكها للضرار فقد
ظلم نفسه اي عرضها العذاب الله تعالى باتيان ما نهى الله تعالى عنه ومعنى ولا تتخذوا ايات الله
هزوا الا تتركوا ما حده الله تعالى لكم في امر الطلاق وغير ذلك فتكونوا مقصرين لاعبين وهذا كما تقول للرجل
الذي يتوانى في امرك انما انت لاعب وعن ابي الدرداء وابي موسى الاشعري والحسن رضي الله
عنهم قالوا كان الرجل يطلق امراته او يعتق عبده ثم يقول انما كنت لاعبا فانزل الله تعالى هذه الاية
ولا تتخذوا ايات الله هزوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعبا او اعتق لاعبا فقد جاز
عليه اي نفذ عليه وحكم الرجعة في هذا حكم الطلاق والعتاق لان الله تعالى ذكر قوله ولا تتخذوا ايات
الله هزوا عقيب الامساك او التسريح فهو عائد اليهما ومما يؤكد هذا التاويل ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق وفي بعض الروايات
الطلاق والنكاح والرجعة ومعنى واذكروا نعمة الله عليكم احفظوا منة الله تعالى عليكم في امر الدين
وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب اي اذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب اي القران
والحكمة وهي فقه الحلال والحرام يعظكم به ينهاكم عن الضرار وساير المعاصي وقوله تعالى واتقوا الله اي
اخشوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شيء من اعمالكم من العدل والجور عليم عالم يجزيكم على
الخير والشر والاجل في اللغة هو غاية الوقت المؤقت لحلول الدين وغير ذلك يقال اجل ياجل اجلا اذا
تاخر واجل يؤجل تاجيلا اذا اخر من غيره وانما حمل قوله تعالى في هذه الاية فبلغن اجلهن على مقاربة
انقضاء العدة لان الله تعالى خص الرجعة في الايات المتقدمة بحال العدة حيث قال جل ذكره وبعولتهن
احق بردهن في ذلك فلا يمكن حمل قوله تعالى فبلغن اجلهن على انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رجعتها وهذا كما يقول القايل بلغنا المدينة وبلغنا القرية اذا قرب منها ونظير ذلك قول الله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله اي اذا اردت قراة القران وكذلك قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا ليس المراد به العدل
بعد القول ولكنه العزم قبل القول على ان لا يقولوا الا عدلا ومن الناس من يحتج بقوله تعالى فامساك
بمعروف او تسريح باحسان في ايجاب الفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امراته لان الله عز وجل
انما خيرهم بين احد شيئين فاذا عجز عن احدهما تعين عليه الثاني وهذا الاحتجاج بعيد من الاية لان
العاجز عن نفقة المراة ممسك بالمعروف اذ لم يكلف الانفاق في هذه الحالة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وغير جايز ان يقال ان المعسر ممسك بالمعروف اذ ترك
الامساك بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم ولو كان مذموما لكان اصحاب الصفة وفقرا الصحابة
الذين عجزوا عن الانفاق على انفسهم فضلا عن نسايهم غير ممسكين بالمعروف فيجب ان يستحقوا الذم
على ذلك وهذا محال من القول وفي الاية دليل ثبوت حكم الرجعة وان قصد الزوج اضرارها بالرجعة
لان الله تعالى سماه على ذلك ظالما لنفسه ولو لم يثبت الرجعة بفعله لما كان بها ظالما لنفسه قوله عز وجل
وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ اَنْ يَنْكِحْنَ اَزْوَاجَهُنَّ اِذَا تَرَاضَوْا
بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاخِرِ ذَلِكُمْ اَزْكَى
لَكُمْ وَاَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ روي عن الحسن وقتادة انهما قالا نزلت هذه الاية
في معقل بن يسار كانت اخته تحت ابي البداح عبيد الله بن عاصم فطلقها تطليقة واحدة ثم
تركها حتى انقضت عدتها ثم ندم على طلاقه اياها فخطبها فرضيت المراة بذلك ان تراجعه
وابى اخوها معقل وقال لها اني اخترته على اشراف قومي فطلقك ثم تريدين ان تراجعيه
وجهي من وجهك حرام ابدا ان تزوجتيه فانزل الله تعالى هذه الاية ينهى معقلا عما صنع ومعنى
الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النسا واحدة او اثنتين فبلغن اجلهن يعني انقضت
عدتهن واراد ببلوغ الاجل في هذه الاية حقيقة البلوغ بانقضا العدة فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن
ان ينكحن ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن من قبل وقيل من رضين بهم ازواجا لهن
وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف اي اذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود مما لا يكون
منكرا في عقل ولا عادة ولا خلق وقوله تعالى ذلك يوعظ به اي ذلك الذي ذكرنا من النهي عن العضل
يوعظ به من كان منكم يصدق بالله وبيوم البعث ذلكم ازكى لكم يعني ان لا تمنعوها خير لكم وادخل
في التزكية من المنع لهن واطهر من الذنب والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون
ذلك ويقال يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والاجل ويعلم ما يزكيكم مما يرديكم وانتم لا تعلمون
ذلك فلما نزلت هذه الاية دعا النبي صلى الله عليه وسلم معقلا فقرا الاية عليه وقال ان كنت تؤمن
بالله واليوم الاخر فلا تمنع اختك من ابي البداح فقال اني اؤمن بالله واليوم الاخر واشهدك
اني قد انكحته والعضل في اللغة معنيان احدهما المنع يقال عضل الرجل المراة يعضلها
ويعضلها اذا منعها عن الازواج ظلما واعضل الدا الاطبا اذا اعياهم عن معالجته ويقال دا
عضال ومسيلة معضلة والاخر التضييق يقال عضل الفضا بالجيش اذا ضاق بهم وعضلت
المراة بولدها اذا عسر خروجه من بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس الفرخ في بيضتها
فلم يخرج والمعنيان متقاربان لان الامر الممتنع يتضيق فعله وعن الشعبي رحمه الله انه سيل
عن مسالة مشكلة فقال زباء ذات وبر لا تنساق ولا تنقاد لو نزلت باصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم لاعضلت بهم وانما جعل الله تعالى الامتناع من العضل ازكى لنا من العضل لان العضل

اسم اخته جمل وقيل جميلة

ربما يودي الى ارتكاب المحظور على غير وجه العقد ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من
ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وفي الاية دلالة جواز
نكاح المراة على نفسها اذا عقدت بغير اذن الولي لان الله تعالى اضاف العقد اليها ونهى الولي عن
عضلها اذا تراضى الزوجان بالمعروف ويدل على ذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وقوله تعالى
فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف فان قيل كيف قال الله تعالى ذلك يوعظ به ولم يقل ذلكم
مع كونه خطابا للجماعة قيل قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقال بعضهم ذلك راجع الى القبيل كانه قال ذلك ايها القبيل او الفريق ويجوز
افراد ذلك في مثل هذه المخاطبات على هذا الطريق ويجوز رجعه على اصل الكلام ويجوز ان يثنى في
التثنية نحو قوله تعالى ذلكما مما علمني ربي وقال جل ذكره قالت فذلكن الذي لمتنني فيه فكان جمع الخطاب
في قوله تعالى ذلكم ازكى لكم على اصل الكلام قوله عز وجل وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَاِنْ اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اٰتَيْتُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اول هذه الاية على لفظ الخبر و
معناه الامر كانه قال ليرضع الوالدات كما قال الله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ويقال حسبك
درهم يراد به اكتف بدرهم يدل على ذلك انه لو كان قوله والوالدات يرضعن خبرا لما وجد مخبره
على خلاف ما اخبر الله تعالى فلما كان من الوالدات من لا يرضع علم انه لم يرد به الخبر فكان هذا
محمولا في حال قيام النكاح على الاوامر الواجبة من طريق الدين لا من جهة الحكم فانها اذا امتنعت
من الرضاع لم يكن للزوج ان يجبرها على ذلك من حيث الحكم وان ارضعت لم يستحق نفقة الارضاع
مع بقا الزوجية ولا يجتمع لها نفقتان احداهما للزوجية والاخرى للارضاع وقال بعض
المفسرين في الاية اثبات حق الرضاع للام وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد فان الوالدة
لو امتنعت من الرضاع في الحولين اجبر عليه كما قال الله تعالى في اية المطلقات فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن وقال جل ذكره وان تعاسرتم فسترضع له اخرى قال بعضهم هذا بيان مدة الرضاع
الموجب للحرمة وهذا لا يصح لان الاية وردت في ارضاع الوالدة ولدها وارضاع الوالدة لا
يوجب الحرمة فان الحرمة انما ثبتت بين الوالدة والولد بالعلوق لا بالرضاع فان قيل كيف
قال الله تعالى حولين كاملين والحولان لا يكونان الا كاملين قيل لازالة الابهام فان الانسان
قد يقول اقمت عند فلان سنتين اذا كان قريبا من سنتين وسرت شهرا اذا كان قريبا من شهر و
قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة اي لمن اراد من الاباء ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وقوله
تعالى وعلى المولود له رزقهن يعني على الاب نفقتهن وكسوتهن بالمعروف كما يعرف انه العدل
يكون ذلك اجرة لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس الا
وسعها اي لا يجبر الاب على النفقة والكسوة الا مقدار طاقته قال الثوري والنهي كهذا في المطلقة
دون الزوجات لان الله تعالى قابل هذه النفقة بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بالارضاع وانما
تجب بسبب الزوجية وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها قال ابن عباس لا ينتزع منها ولدها ويعطى
غيرها بمثل الاجر الذي تقبل الام الولد به وقوله تعالى ولا مولود له بولده قال لا تطرح المراة الولد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الاب بعد ما عرفها ولا يقبل ثدى غيرها وهذا التاويل ظاهر على قراة الرفع لا تضار على فعل ما لم يسم
فاعله واصله لا تضارر فاما على قراة النصب لا تضار فيجوز انه كان في الاصل لا تضارر فاسقطت
النون من اخره وبقيت حركة الراء دليلا على سقوط النون وجعل الزجاج رحمه الله قوله تعالى
لا تضار بالنصب نهيا للوالدة عن الاضرار بالولد و قوله تعالى ولا مولود له بولده نهيا للوالد عن
الاضرار بولده و قال معنى الاية لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فيضر بالولد لان
الوالدة اشفق على ولدها من الاجنبية ولا ياخذ الاب الولد من امه قصدا للاضرار بها فيضر بولده
او لا يعطيها الاجرة فيضر بولده قال رحمه الله وموضع لا تضار جزم على النهي اصله لا تضارر
فادغمت الراء الاولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين لانها لما ادغمت سكنت والاصل عند
التقاء الساكنين الفتحة فيما كان قبله الفاء فتحة ويجوز ان تكون قراة الرفع على هذا التاويل الذي
ذكره الزجاج على لفظ الخبر عن فعل المراة ومعناه النهي و قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك يعني
على وارث الولد اذا لم يكن للولد اب مثل ما على الاب من النفقة والكسوة وترك الضرار قال
عمر والحسن انه على العصبات دون اصحاب الفرايض وقال قتادة انه على الوارث من العصبات
واصحاب الفرايض جميعا على كل واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث الا انه لم يشترط ان يكون
الوارث ذا رحم محرم من الولد وقد شرط اصحابنا رحمهم الله ذلك و قوله تعالى فان ارادا فصالا
عن تراض منهما وتشاور اي ان اراد الابوان فطام الصبي من اللبن دون الحولين بتراضيهما
وتشاورهما فلا اثم عليهما في ذلك وعن ابن عباس ان معناه ان ارادا فصالا قبل الحولين او
بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فان تشاقا رجعا الى الحولين و قوله تعالى وان اردتم يعني
الاباء والامهات ان تسترضعوا اولادكم غير الوالدة فلا اثم عليكم و قوله تعالى اذا سلمتم ما اتيتم
بالمعروف يعني اذا كان تسليمكم ما اعطيتم من اجرة الرضاع على ما تراضيتم به وقيل معنى اذا سلمتم
اي اذا سلمتم ما اعطاه بعضكم لبعض من التراضي بذلك ومن قرا ما اتيتم بالقصر فمعناه ما جيتم وقيل
في معنى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي ان اردتم ان تسترضعوا بعد الحولين لعلمكم ان
الولد لا يصبر عن اللبن فلا جناح عليكم و قوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه في الضرار ومخالفة
امر الله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون من العدل والجور في اولادكم و نسايكم بصير عالم يجزيكم
به والتكليف في اللغة هو الحمل على الغير على وجه المشقة وهو ماخوذ من الكلف الذي يكون في
الوجه وهو الاثر سمي به لان المكلف يظهر عليه اثر المشقة والوسع الطاقة ماخوذ من سعة
الطريق الى العرض فان سعة الطريق عكس من عرض الطريق كذلك الوسع ما اتسع للانسان
فيطيقه والطاقة تمكن فيما يطيقه الانسان وانما سمي الفطام فصالا لانفصال المولود من الاغتذا
بثدي امه الى غيره وكذا من الاوقات واصل الفصل القطع والتفريق والبصير فعيل من البصارة يقال
بصر بالشي اذا علمه والبصر بعينه اذا راه والتشاور من المشاورة وهي استخراج الراي بالراي
من قوله شرت العسل اشوره شورا او اشرته اشارة و قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن
دلالة ان الام احق بامساك الولد ما دام صغيرا وان استغنى عن الرضاع بعد ان يكون ممن يحتاج الى
الحضانة ولهذا قالوا ان الام اذا لم تختر ان ترضع الولد بعد الطلاق واختارت ان يكون الولد
عندها على الزوج ان يستاجر ظيرا لترضعه في بيت ام الرضيع واما تاويل ذكر الحولين في مدة الرضاع
محمول على قول ابي حنيفة رحمه الله على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وفي الاية ما يدل
على ذلك على حسب ما تقدم ذكره فاما اكثر مدة الرضاع في ثبوت حكم الحرمة ثلثون شهرا على ظاهر

وعن

وعن عكرمة عن عبد الله بن عباس انه كان يقول في قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا في هذه
الاية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان الله تعالى قال في اية اخرى وفصاله في عامين وكان يقول
اذا كان الحمل ستة اشهر كانت مدة الرضاع سنتين واذا كان الحمل تسعة اشهر كان مدة الرضاع سنة
وتسعة اشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهر نقص من الرضاع بازايه وهذا يقتضي ان الحمل اذا بلغ
سنتين ان المراة لا ترضع ولدها الا ستة اشهر وكان ابو حنيفة رحمه الله يحمل قوله تعالى وحمله
وفصاله ثلثون شهرا على ذكر الحمل على الايدي مع بيان اكثر مدة الرضاع والله تعالى اعلم وفي ايجاب
نفقة الرضاع على الاب دلالة وجوب نفقة الاولاد الصغار والكبار من الاناث والرجال الزمنى
على الاب و قوله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف يقتضي وجوب النفقة على مقدار الكفاية مع اعتبار
حال الزوج في العسر واليسر اذ ليس من المعروف الزام المعسر اكثر مما يقدر عليه وفيه دلالة على جواز
استيجار الظير بطعامها وكسوتها فان قيل كيف تجب نفقة الرضاع عندكم بعد موت الاب على
قدر الميراث وقد قلتم ان الصبي اذا كان له خال وابن عم كانت النفقة على الخال والميراث لابن
العم قلنا ليس المراد بالاية حصول الميراث لان الميراث لا يكون في حالة الحيوة وبعد الموت لا يدرى
من يرثه وجايز ان يحدث له من الورثة من يحجب من اوجبت عليه النفقة وكان المراد بالاية والله
اعلم ذا رحم محرم من اهل الميراث فان ايجاب هذه النفقة على طريق صلة الرحم وابن العم ليس بذي
رحم محرم والخال وان يكن وارثا في هذه الحالة فهو من اهل الميراث وهو ذو رحم محرم قوله عز و
جل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
والله بما تعملون خبير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية
ان الذين يموتون منكم ويتركون نساء من بعدهم ينتظرن في عدتهن مضي اربعة اشهر وعشر
لا يتزوجن ولا يتزين في هذه المدة فاذا بلغن اجلهن يقول انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
فيما فعلن اي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضا هذه المدة ليتزين زينة لا ينكر مثلها ويتزوجن
من الاكفاء ويفعلن كل معروف والله بما تعملون من الفجور والشر خبير عالم يجزيكم به فان قيل
الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدا ويتربصن فعل الازواج لا فعل
الذين ولا فيه ضمير عايد الى الذين فبقي المبتدا بلا خبر والمبتدا لا يخلو من خبر اسما كان او فعلا و
ليس من ذلك هاهنا شي قيل له قال ابو العباس الزجاج في الاية ضمير وتقديره ازواجهم يتربصن
لان الفعل يدل على الفاعل وقال الاخفش تقديره يتربصن من بعدهم اربعة اشهر حتى يكون
الضمير عايدا الى الذين وذكر الزجاج ان النون في قوله يتربصن قايم مقام الازواج كناية عنها
لا محالة فصار كالتصريح وهذا كما يقال الذي يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه
الثلثين وظاهر لفظ العشر يتناول الليالي الا ترى انه يقال للايام عشرة ايام وانما غلب لفظ
التانيث في الاية فقيل عشرا لان العرب تقدم الليل على النهار ويعدون اول كل شهر من
الليلة الا ترى انهم يجعلون التراويح اذا راوا الهلال هلال رمضان ويدعونها اذا راوا هلال
شوال ومن عادتهم انهم اذا ذكروا احد العددين على سبيل الجمع ارادوا مثله من العدد الاخر
كما قال الله تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا وقال في موضع
اخر ثلث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالايام عن الليالي وتارة بالليالي عن الايام
والحكمة في تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ما روي عن عبد الله بن مسعود انه قال

يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في عشرة ايام فيكتب اجله ورزقه وانه شقي او سعيد فيجوز ان الله تعالى قدر هذه المدة في عدة الوفاة ليظهر انها حامل او حايل واختلف في ان الحامل داخلة تحت هذه الاية او لا قال عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم ان الحامل تخرج من العدة اذا وضعت حملها وان كان زوجها على السرير حتى قال عبد الله بن مسعود من شاء باهلته ان قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وقال علي كرم الله وجهه عدة الحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي بابعد الاجلين وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن في المطلقة او المتوفى عنها زوجها قال صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا وروي ان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد موت زوجها بايام فارادت ان تتزوج فرآها ابو السنابل فقال اتريدين ان تتزوجي قالت نعم قال كلا انه آخر الاجلين فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له فقال صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل اذا اتاك من يرضى فاعلميني واكثر السلف رحمهم الله على ان عدة المتوفى عنها زوجها باربعة اشهر وعشر من يوم موت الزوج فاما ما روي عن علي كرم الله وجهه انها تعتد من يوم ياتيها الخبر فمحمول على انه اذا خفي عليها وقت الموت كان الاحتياط ان تحتسب عدتها من يوم ياتيها الخبر ويحتمل ان يكون المراد به انها تجتنب ما تجتنبه المعتدة من الزينة والخروج من يوم علمت ولا خلاف بين الفقهاء رحمهم الله في مدة العدة بالشهور واجل الايلاء والايمان والاجارات اذا عقد على الشهور مع رؤية الهلال ان الاعتبار بالاهلة فاما اذا كان ابتدا المدة في بعض الشهر روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه يحتسب لكل شهر ثلثون يوما وروي عنه في رواية اخرى انه يحتسب بما بقي من الاهلة شهورا ويكمل من الشهر الاخر ما بقي من الشهر الاول تتمة ثلثين يوما وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومالك والشافعي رحمهم الله واجمع اهل التفسير على ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت هذه الاية متقدمة على تلك الاية في التلاوة واجمع الفقهاء الا ابا بكر الاصم ان اربعة اشهر وعشرا عدة الحرة دون الامة وان عدة الامة تنقضي بشهرين وخمسة ايام وكان ابو بكر الاصم رحمه الله يقول ان عدتهما جميعا تنقضي باربعة اشهر وعشر وان ولد الامة انما ينفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح في ولد الحرة فالجواب عن هذا ان يقال ان خبر عبد الله صحيح من اخبار الاحاد لا يوجب حقيقة العلم ولما اجمعوا ان الرق ينصف عدة الاقراء وعدة الشهور في الايسة والصغيرة كذلك وجب ان ينصف مدة الوفاة قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واحب امراة من صفتها كذا وكذا فيصفها بالصفة التي عليها حتى تعلم رغبته فيها وقيل هو ان يقول لها الخاطب انك لتعجبيني وارجو ان يجمع الله تعالى بيني وبينك او يقول بالبيت لي مثلك وان قضى الله امرا كان ومعنى الآية والله تعالى اعلم لا حرج عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء اللواتي هن في عدة من موت او طلاق باين او ثلاث وقوله او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم واخفيتم في قلوبكم العزم على النكاح علم الله انكم ستذكرونهن في العدة لرغبتكم فيهن وخوفكم سبق غيركم اليهن ولكن لا تواعدوهن سرا اي لا تواعدها ايها الخاطب في السر ولا

تواعدها

ولا تواعدها الا تتزوج غيرك وقيل لا تواعدها في السر تصريحا وقيل ان المراد بالسر الجماع لانه لا يكون الا في السر كانه قال لا ينعت الخاطب نفسه لها بما يرغبها في نفسه وقوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا معناه الا ان تعرضوا بالخطبة كناية من غير افصاح ومعنى قوله عز وجل ولا تعزموا عقدة النكاح اي عقدة النكاح لان العزم يقتضي معزوما عليه لكن حذف على التخفيف كما يقال ضرب فلان الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ومعنى حتى يبلغ الكتاب اجله حتى يبلغ فرض الكتاب اجله اي حتى تنقضي العدة فان العدة فرض القرآن ويجوز ان يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض فيكون المعنى حتى يبلغ الفرض اجله كما قال الله تعالى كتب عليكم اي فرض عليكم وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم اي ما في قلوبكم من الوفاء وغيره فاحذروه ان تخالفوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله غفور لمن اطاعه ان تبتم عنه حليم حين لا يعجل عليكم بالعقوبة والتعريض في اللغة الايماء والتلويح والدلالة على الشيء من غير كشف ولا تبيين وهو ان يقول الرجل لغيره ما اقبح البخل يعرض به بالبخل بذلك والكناية هي الدلالة على الشيء مع العدول عن الاسم الاخص الى لفظ آخر يدل عليه وهو ان يكني الرجل عن زيد فيقول لغيره ما اجل صديقك وما اجمل الذي كنا عنده والخطبة بكسر الخاء هي الكلام الذي يستدعى به الى النكاح والخطبة بالضمة هو الكلام المؤلف ضربا من التاليف اما موعظة او دعاء الى شيء وهما يتفقان في التعريف ويختلفان في المصدر واما الاكنان فهو الستر تقول في كل شيء سترته اكننته وفي الصون كننته قال الله تعالى كانهن بيض مكنون اي مصون وكل واحد من اللفظين قريب من الآخر والعقد في اللغة هو الشد يقال عقدت الحبل فاما عقد العهد فهو تشبيه بعقد الخيط من التوثق وفي الاية دلالة ان التعريض بالقذف هو ان يقول الرجل لست بزان يعرض بغيره انه زان لا يكون حكم ذلك حكم تصريح القذف لان الله تعالى اباح التعريض بخطبة النكاح في العدة وحرم التصريح بذلك فيها قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال ابن عباس معناه لا حرج عليكم ان طلقتم النساء ما لم تجامعوهن او تسموا لهن مهرا ومتعوهن يعني اللواتي طلقتموهن قبل المسيس والفرض على الغني مقدار غناه وعلى الفقير مقدار طاقته متاعا بالمعروف اي ما تعرفون انه القصد وقدر الامكان حقا على المحسنين اي واجبا على المؤمنين فان قيل في ظاهر هذه الآية اباحة الطلاق باحد الشرطين وهو ان يكون قبل المسيس او بعد الفرض فيجب اذا طلقها بعد المسيس وقبل الفرض ان لا يحل قيل قد اختلف الناس في معناه قال بعضهم معناه ما لم تمسوهن او لم تفرضوا لهن فريضة وهذا كما يقال افعل كذا ما لم تاكل او تشرب يراد بذلك ما لم ياكل او ما لم يشرب وكذلك ما لم تضطجع او تقعد يعني ما لم تضطجع او لم تقعد فيكون تقدير الآية لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ممن فرضتم لهن فريضة او لم تفرضوا لهن فريضة لانه انما يعطف التي لم يفرض لها على التي فرض لها فيكون معنى الاية اباحة الطلاق قبل المسيس في جميع الاحوال في حالة الطهر والحيض جميعا سوا كانت المراة قد فرض لها المهر او لم يكن فرض لها المهر بخلاف الطلاق بعد المسيس فانه لا يباح في حالة الحيض وقال بعضهم تقدير الاية ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الا ترى ان الله تعالى عطف عليه قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ولو كان الاول يعني ما لم تمسوهن وقد فرضتم او لم تفرضوا لما عطف عليها المفروض لها فدل على ان معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد يكون او بمعنى الواو كما قال الله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا معناه ولا كفورا وكذلك قال الله تعالى وان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط والمعنى وجا احد منكم من الغايط فيكون شرط وجوب المتعة
المعنيان جميعا وهما انعدام المسيس وعدم التسمية وفايدة تخصيص الطلاق بما قبل المسيس والفرض انه
لما كان المهر والنكاح من حق الله تعالى حتى لا يجوز خلو النكاح عنه وكان الطلاق قبل المسيس يسقط المهر كله
كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الطلاق قبل المسيس لا يحل فازال الله تعالى هذا التوهم وبين ان الطلاق
قبل المسيس والفرض وان اسقط المهر كله مباح لوجود ما بعد المهر بعد الطلاق وهو المتعة والى هذا القول
الاخير ذهب اصحابنا رحمهم الله فلم يوجبوا المتعة الا للمطلقة التي لم يمسها زوجها ولم يفرض لها مهرا
وقد روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في المراة يتزوجها الرجل ثم يطلقها قبل المسيس ولا
مهر لها وعلى الزوج المتعة وقال لا يجب وجوب شيء من المهر الا المتعة قال اعلا المتعة خادم وثياب وورق
وادناها درع وخمار وملحفة وقد قال اصحابنا في قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل
على ان حال الرجل معتبر في الفقر والغنى وفي قوله تعالى متاعا بالمعروف دليل على ان حال المراة
معتبر في الشرف والدناة لانا اذا اعتبرنا حال احدهما في ذلك ربما زاد الواجب على الزوج قبل الدخول
على الواجب عليه بعد الدخول وهذا لا يكون من المعروف ولهذا قالوا الاعتبار بالمتعة نصف مهر المثل بغير
رضى الزوج وقد اختلف السلف في ان هذه المتعة هل يجبر عليها الزوج او لا قال شريح واهل المدينة
ان القاضي يامر الزوج به من دون ان يجبره عليه وكان شريح يقول للزوج ان كنت من المتقين
او من المحسنين فمتعها واما عندنا فان القاضي يجبر الزوج على المتعة للمراة التي طلقها قبل المسيس و
الفرض وقوله تعالى حقا على المحسنين تاكيد للايجاب السابق بقوله تعالى ومتعوهن وليس في الفاظ الايجاب
آكد من قولهم حقا عليه وفي قوله على المحسنين بيان انها من شروط الاسلام وعلى كل احد ان يكون محسنا كما قال
الله تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم وقيل انما خص المحسنين بالذكر تشريفا لهم لا لانها لا تجب على
غيرهم موصف المومنين بالاحسان لان الاحسان اكثر اخلاقهم وقوله تعالى متاعا نصب على المصدر من فوصف
قوله تعالى ومتعوهن وقوله تعالى حقا نصب على الحال من قوله تعالى بالمعروف وتقديره عرف حقا ويجوز ان
يكون نصبا على معنى حق ذلك عليهم حقا يقال حققت على فلان القضاء اي اوجبته وفي الاية دلالة جواز النكاح
بغير تسمية المهر لان الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية والطلاق لا يقع الا في نكاح صحيح
قوله عز وجل وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير معنى الاية والله تعالى اعلم
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي من قبل ان تجامعوهن وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما
سميتم من المهر الا ان يتركن ما وجب لهن من الصداق بقول احداهن ما مسني ولا قربني فاذهب له المهر
واما قوله تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح ذهب اكثر المفسرين الى ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الزوج وعفوه ان يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشيء من المهر اذا كان اعطاها مهرها
وان لم يكن اعطاها فعفوه ان يتفضل عليها بان يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق عبدا بعينه
او عرضا من العروض لا يمكن تمليكه بالاسقاط والابراء من واحد من الجانبين فيكون معنى العفو
في ذلك التفضل وفي الاية ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى في اخر الاية ولا تنسوا الفضل بينكم واعانة
الزوج الى تتميم الصداق لانه اذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها فكان الافضل ان يعطيها
مهرها وذهب بعضهم الى ان الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المراة حتى قال مالك رحمه الله
لابي البكر ان يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول والصحيح هو القول الاول
لان

لان قوله تعالى عقدة النكاح يقتضي عقدة موجودة والزوج هو الذي يملك استدامة النكاح وحله
وهو الذي يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتاج اليه ولا تكون عقدة النكاح في الحقيقة بيد الزوج
واما ولي المراة فلا يملك العقد عليها الا برضاها ولا يملك اسقاط ساير حقوقها واما قوله تعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى فهو ندب كل فريق من الزوج والمراة الى العفو كانه قال ليتفضل كل واحد منهما على صاحبه
فقد اخذ بالفضل وقوله تعالى اقرب للتقوى اي اقرب الى ان يتقي احدهما ظلم صاحبه فان من ترك حق نفسه
كان اقرب الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن بذل النفل كان اقرب الى بذل الفرض ومعنى ولا
تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا الاحسان والانسانية فيما بينكم ان الله بما تعملون من الفضل والاحسان
بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال حتى لا يترك شيئا من حقه
على صاحبه وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى وان تعفوا خطاب للازواج خاصة وظاهر هذه الاية يقتضي
ان الزوج اذا كان سمى لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها ان المسمى يتنصف بالطلاق واليه ذهب
مالك والشافعي وهو قول ابي يوسف الاول ثم رجع هو الى قول ابي حنيفة ومحمد فكان المراد بهذه الاية على
قولهم ان يكون الفرض في نفس العقد لان التسمية بعد تمام عقد النكاح تقرير لمهر المثل او بدل عنه
فيسقط بالطلاق قبل الدخول وتجب المتعة والله تعالى اعلم وقد ذهب اصحابنا رحمهم الله في هذه
الاية الى ان المراد بقوله تعالى من قبل ان تمسوهن نفي المسيس او ما يقوم مقامه فانه اذا خلا بها خلوة صحيحة
وهو ان لا يكون احدهما محرما ولا مريضا ولا صايما صوم فرض ولا تكون المراة حايضا ولا رتقاء ثم طلقها وجب
لها المهر كله وان لم يدخل بها كما روي عن زرارة بن اوفى انه قال اجمع الخلفاء الراشدون المهديون
ان من اغلق على امراته بابا وارخى سترا ثم طلقها وجب لها الصداق كاملا وعليها العدة وفرق عمر
رضي الله عنه بين العنين وامراته واوجب عليه المهر وقال ما ذنبهن اذا جاء العجز من قبلكم و
لا يمتنع ان يقوم مقام المسيس ما هو مثله في الحكم كما قال الله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ومعلوم ان ما قام مقام الطلاق من ساير انواع الفرقة كان حكمه حكم الطلاق في اباحتها للزوج
الاول قوله عز وجل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر التقوى حيث قال وان تعفوا اقرب للتقوى
والصلوة من التقوى ومعنى هذه الاية واظبوا وداوموا على الصلوات المفروضات في مواقيتها بشروطها
واما قوله تعالى والصلوة الوسطى فقد اختلفوا في هذه الصلوة قال امير المومنين علي وابن عباس
والحسن انها صلوة العصر وقال زيد بن ثابت انها صلوة الظهر وقال قبيصة بن ذويب انها
المغرب وقال جابر بن عبد الله انها صلوة الغداة واما من قال انها العصر فانما سماها الوسطى لانها
بين صلوتي الليل وصلوتي النهار وانما خصها بالذكر لانها تقع في وقت اشتغال الناس بامور البيت
فخصها بالذكر لحث عليها واما من يقول الظهر فانما سماها الوسطى لانها تقع في وسط النهار وانما خصها
بالذكر لانها اول صلوة اوجبت على الناس واما من يقول انها صلوة المغرب لانها اوسط صلوة او
على الناس وقيل انها وسط في اعداد الركعات لانها بين الثنتين والاربع وانما خصها بالذكر لانها
اول صلوة الليل التي يرغب الناس عن الصلوة فيه واما من يقول انها الفجر لانها تقع في وقت بين
الظلام والضيا وانما خصها بالذكر لانها صلوة مفردة من بين ساير الصلوات حتى لا يجمع بينها وبين
غيرها بوجه من الوجوه فاما ساير الصلوات فالظهر والعصر يجمعان في وقت الظهر بعرفات و
المغرب والعشا يجمعان في وقت العشا بالمزدلفة واي صلوة من هذه الصلوات كانت هي المراد
كان تخصيصها بالذكر بعد لفظ الجمع لفضيلتها او على تاكيد امرها كما في تخصيص جبريل وميكايل عليهما السلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بين سائر الملئكة على فضلهما على غيرهما من الملئكة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبطونهم نارا وعن ابي يونس مولى عايشة قال امرتني عايشة رضي الله عنها ان اكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني فلما بلغت آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت لكاتب مصحفها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر كما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه قوموا لله داعين والقنوت هو الدعاء في الصلوة في حال القيام وقال الحسن وهو احدى الروايتين عن ابن عباس معناه قوموا لله مطيعين وقال عبد الله بن مسعود معناه ساكتين كما روي عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد معناه خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات في الصلوة وقيل معناه مطيلين للقيام كما في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واصل الحفظ ضد النسيان والحفاظ خلاف المضيع واصل الحفظ ضبط الشيء في النفس ثم حفظ العلم والادب ثم قد استعمل في ضبط ما لا يكون في النفس والاوسط هو الشيء بين الشيئين على جهة الاعتدال قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون يقول ان خفتم من العدو فلم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين حق الصلوة فصلوا قياما على ارجلكم حيث ما توجهتم بالايماء اذا لم يمكنكم استقبال القبلة واقامة الركوع والسجود وقوله تعالى او ركبانا اي اذا لم تستطيعوا النزول عن الدواب فصلوا ركبانا حيث توجهت بكم لا عذر لكم في ترك الصلوة في حالة الخوف وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فرجالا ان معناه قايمين او ماشين وذهب اصحابنا رحمهم الله الى انهم لا يصلون وهم يقاتلون او يمشون لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فاتته ثلاث صلوات يوم الخندق فقضاهن على الترتيب ولولا ان الاشتغال بالقتال يفسدها لما ترك الايماء بها حال القيام ومعنى فاذا امنتم اي اذا امنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما امركم قانتين موفين حقوق الصلوة وشرايطها وقوله تعالى ما لم تكونوا تعلمون معناه بعلمكم ما لم تكونوا تعلمون قبل التعليم والرجال جمع راجل مثل صاحب وصحاب وتاجر وتجار والركبان جمع راكب مثل فارس وفرسان قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث وقبل استقرار العدة وكانت المرأة في ابتداء الاسلام اذا احتضر زوجها اوصى لها من ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها فان كانت من اهل المدر سكنت بيت زوجها حتى يمر لها حول وان كانت من اهل الوبر سكنت بيت زوجها حتى يحول لها حول تحول اليه فان خرجت من بيت زوجها او تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت الوصية باية المواريث وبقول النبي صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار اربعة اشهر وعشر عدة الوفاة بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم والذين يتوفون منكم ويتركون نساء من بعدهم فعليهم وصية لازواجهم ويقال كتب عليهم وصية قال بعضهم كتب الله تعالى عليهم ان يوصوا اذا حضر احدهم الموت كما تقدم ذكره في آية الوصية للوالدين والاقربين وقال بعضهم كانت هذه الوصية واجبة من الله تعالى لنسائهم اوصى الميت او لم يوص وصية او كتب الله تعالى عليهم وصية

وقوله

وقوله تعالى الى الحول اي متعوهن متاع السكنى والنفقة حولا وقوله تعالى غير اخراج اي لا تخرجوهن من بيوت ازواجهن وانما انتصب غير لانه صفة المتاع وقيل على معنى لا اخراجا كما يقال اتيتك غير رغبة اليك وقوله تعالى فان خرجن قال بعضهم معناه ان خرجن قبل مضي الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن في التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم تكن المرأة حبلى من الميت ويقال معناه فان خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن وقوله تعالى غير اخراج تضمن حكمين احدهما وجوب السكنى في مال الزوج والثاني حظر الخروج والاخراج لا تعلق حق الغير بالسكنى التي هي فيها وقد نسخ الحكم الاول واما الحكم الثاني وهو لزوم اللبث في البيت الى ان تنقضي عدتها اربعة اشهر وعشر باق لم ينسخ ولا يجوز لها ان تبيت بالليالي دون منزلها ولا ان تتزين لان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فزجرها ثم قال صلى الله عليه وسلم كانت احداكن تجلس في احلاس بيتها حولا الى الحول حتى اذا مر بها كلب خرجت ورمته ببعرة فهلا الان اربعة اشهر وعشرا وعن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على زينب ابنة جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان نسوة قلن انا نشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة وامرهن ان يتزاورن بالنهار ولا يبتن بالليل دون منازلهن ومعنى والله عزيز حكيم اي قادر على النقمة ممن خالف امره ذو حكمة فيما حكم على الازواج قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين روي عن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري ان المراد بالمتاع المذكور في هذه الآية المتعة وهي واجبة لكل مطلقة وذهب بعض اصحابنا الى ان المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة بحكم هذه الآية ولكن لا يجبر الزوج على المتعة الا للمطلقة لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر بالآية المتقدمة وقال بعضهم المراد بالمتاع في هذه الآية نفقة عدة الطلاق لان الله تعالى عطفه على قوله تعالى متاعا الى الحول والمراد به هناك النفقة والسكنى والمتاع في اللغة اسم لما يستمتع به كما قال الله تعالى متاع قليل وقال جل ذكره انما هذه الحيوة الدنيا متاع ويحتمل ان يكون المراد بالمتاع في هذه الآية الحق الذي يجب لها عند الطلاق اما المهر واما النفقة وعن سعيد بن المسيب ان حكم غير المدخول بها اذا كان قد فرض لها المهر منسوخ من هذه الآية بقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وهذا ذهاب الشافعي رحمه الله حيث قال لكل مطلقة متعة الا التي طلقها زوجها قبل المسيس وبعد الفرض قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون اي مثل هذا البيان يبين الله لكم دلالاته في المستقبل كما بين في الماضي من امور دينكم ودنياكم لكي تفهموا ما امرتم به ويقال لكي تكمل عقولكم فان العقل الغريزي انما يكمل بالعقل المكتسب ويقال لكي تعملوا عليه وحقيقة العاقل الذي يعمل بما افترض عليه وحقيقة العقل استواء الاشياء المستقيمة قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة فسمي المذنبين جهالا وان كانوا مميزين لانهم آثروا اهواءهم على ما علموا انه الحق قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر بالخروج بعض الاجناد لقتال عدوهم فخرجوا للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

لملكهم ان الارض التي ياتي بها الوبا فلا ناتيها حتى ينقطع الوبا منها فقال لهم الله موتوا فماتوا
وهم ثمانية الاف رجل وفي رواية اربعون الف رجل فلبثوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ سائر بني اسرائيل
موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم فحظروا عليهم الحظاير ثم احياهم الله
تعالى بعد ثمانية ايام فبقي فيهم من ريح النتن الذي كان فيهم بعد الموت حتى بقي في اولادهم الى
اليوم **وعن** اسمعيل السدي رحمه الله قال وقع الطاعون في بني اسرائيل فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين
حتى انتهوا الى مكان وهم بضعة وثلثون الفا فقال لهم الله موتوا فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت
اوصالهم فاتى على ذلك ما اتى عليه اذ مر بهم نبي يقال له حزقيل عليه السلام فقال الحمد لله القادر
على ان يحيي هذه الاجساد فاوحى الله اليه ان احيهم باذن الله فنادى الا ايتها العظام البالية
ان الله تعالى يامرك ان تجتمعي فاجتمعن حتى صرن اجساد امن عظام ثم قال الا ايتها الاجساد
البالية ان الله تعالى يامرك ان تكتسي لحما فجعل اللحم يجري عليهن حتى صرن اجساد امن لحم ثم
قال الا ايتها الاجساد الخاوية ان الله تعالى يامرك ان تقومي باذن الله تعالى فقاموا فرجعوا
الى بلادهم واقاموا وتوالدوا وكان احدهم اذا اكتسى ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت
ومعنى الاية والله تعالى اعلم الم تعلم الذين ويقال الم تنته علمك الى خبر هولا الذين خرجوا من ديارهم
والالف في اول هذه الاية الف توقيف والمراد بالروية روية القلب لا روية العين وهذا
على سبيل التعظيم كما تقول الم تر الى ما صنع فلان **ومعنى** قوله تعالى حذر الموت اي خرجوا هاربين حذر
الموت وانتصب الحذر على معنى مفعول له وظاهر هذا يقتضي ان خروج هولا القوم كان على وجه
الفرار من الوبا على ما ذكره السدي رحمه الله وهو اقرب الى ظاهر هذه الاية وقيل في معنى الوف
اي موتلفوا القلوب لم يخرجوا على تباغض **ومعنى** فقال لهم الله موتوا اماتهم الله تعالى وهذا كما
يقال قلت براسي كذا اي اشرت براسي وقال بعضهم اماتهم الله تعالى بقول سمعوه وسمعته الملائكة
وامّا قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي يتفضل على جميع الناس كما تفضل على هولا باحيائهم بعد
الموت واراهم البصيرة التي لا غاية بعدها ولكن اكثر الناس لا يشكرون رب النعم وفي الاية دلالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث اخبرهم عن من قبله ولم يكن قرا الكتب فصدقه اليهود
والنصارى وعلموا انه حق وفيها معنى الحث على الجهاد وبيان ان الموت لا ينفع الهرب منه وهذا
كما قال الله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال جل ذكره قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل وقال عز من قائل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
واذا كانت الاجال موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تاخير كما قدر الله تعالى لم يحجز الفرار عن
الطاعون وغيره **وقد روي** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يدخل الشام وبها طاعون
فاستشار اصحابه في ذلك فاشار عليه بعض المهاجرين بالدخول فعزم على الرجوع فقال له ابو عبيدة
بن الجراح يا امير المومنين اتفر من قدر الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا ابا
عبيدة نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ارايت لو كانت لك ابل فهبطت بها واديا له عدوتان
احدهما خصبة والاخرى جدبة اليست ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة
رعيتها بقدر الله فجا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال عندي من هذا علم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا وقع هذا الرجز بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا منها
فحمد الله تعالى عمر وانصرف **فان قال قايل** اذا كانت الاجال مقدرة محصورة لا يتقدم ولا يتاخر فما وجه
النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول ارض بها الطاعون واي فرق بين دخولها وبين البقاء فيها

قيل وجه النهي عن الدخول الى ارض اذا دخلها وبها طاعون فجايز ان يدركه اجله بها فيقول قايل لو لم يدخلها
ما مات وهو اي قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض
او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل ارضا بها طاعون لما عسى ان يموت فيها باجله فيقول قوم من الجهال لو لم يدخلها لم يمت
قوله عز وجل **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم** اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لهذه
الامة يقول وقاتلوا في طاعة الله ولا تفروا من الموت كما هرب هولا الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم
الهرب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المنافق بقلة المهرب من القتال عليم بما يضمره **قال بعضهم**
هذه الاية متصلة بقوله فاماتهم الله ثم احياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله قوله عز وجل **من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون** استدعا الى البر والانفاق في سبيل الله تعالى بالطف الكلام وابلغه وسماه الله
قرضا تاكيدا لاستحقاق الجزا لانه لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيه ومعنى الاية والله تعالى اعلم من
ذا الذي يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السايل ولا يوذيه قال الحسن رضي الله
عنه هو التطوع في ابواب البر من النفل وقال ابن زيد رحمه الله هو الانفاق في الجهاد في سبيل
الله وقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال ابن زيد يعطيه سبعماية امثاله كما قال الله تعالى في اية اخرى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة **و
عن** ابي عثمن النهدي رحمه الله قال دخل ابو هريرة رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال صمتا
ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يضاعف الله تعالى للمومن حسنة الفي الف
حسنة **وقال** السدي رحمه الله الاضعاف الكثيرة لا يعلمها احد الا الله عز وجل **واما**
قوله تعالى والله يقبض ويبسط اي يقتر ويوسع على من يشا من خلقه وقيل يسلب النعمة من قوم
ويبسطها على قوم وقيل يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزا عاجلا واجلا واليه ترجعون
في الاخرة فيجازيكم بما قدمتم واصل القرض في اللغة القطع بالناب وسمي المقراض مقراضا لانه يقطع
ثم استعمل اسم القرض في الاموال لان في ذلك قطع قطعة من المال يقال اقرضت فلانا اذا قطعت
له قطعة يجازيك عليها وقوله تعالى فيضاعفه من قرا بنصب الفا فعلى جواب الشرط في الاستفهام و
جواب الاستفهام بالفا يكون منصوبا ومن قرا بالضم فعلى العطف على قوله يقرض ويقرا يضعفه
ويضعفه والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد وضعف الشي مثلاه في المقدار تقول ضعفت القوم
اضعفهم ضعفا اذا صرت مع اصحابك على الضعف من اوليك القوم وضعفت الشي تضعيفا
واضعفته اضعافا وضاعفته مضاعفة اذا زدت على الشي حتى صارت الزيادة مثليه او اكثر
وقد جهلت اليهود معنى هذه الاية او تجاهلت حيث قالت ان الله تعالى يستقرض منا فهو فقير
الينا ونحن اغنيا كما قال الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وعرف
المسلمون معنى الاية ووثقوا بثواب الله تعالى ووعده **روي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه
انه قال لما نزلت هذه الاية جا ابو الدحداحة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارى ربنا يستقرض منا مما اعطانا لانفسنا وان لي حديقتين فان تصدقت باحداهما
فلي مثلاها في الجنة قال نعم قال وام الدحداحة معي قال صلى الله عليه وسلم نعم قال والصبية
معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه وهي تسمى الحنينة فلما رجع الى اهله وجد ام الدحداحة
والصبية في الحديقة التي تصدق بها فقام على بابها وتحرج ان يدخلها ثم نادى يا ام الدحداحة

قالت لبيك قال فجعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وأم الدحداحة معي و
الصبية معي قالت بارك الله تعالى لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها ودفعوها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد قبل منك واحفظ اليتيمين اللذين في حجرك
وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة مدلى عذوقها في الجنة لابي الدحداحة قوله عز وجل
ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل
في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين معنى الآية والله تعالى اعلم الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بالملإ من بني اسرائيل وهم اشرافهم ووجوههم وقوله تعالى من بعد موسى اي من بعد وفاته اذ قالوا
لنبي لهم اسمه بالعبرانية اشمويل بن هلقانا وبالعربية اسمعيل هكذا قاله الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما
وقال قتادة رضي الله عنه هو يوشع بن نون خليفة موسى عليهما السلام وقال السدي رضي الله عنه
هو شمعون النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد يوشع وانما سمي شمعون لان الامة سالت الله تعالى
ان يعطي واعطاهم اولادهم النبوة فاعطاهم شمعون قالوا سمع الله الدعاء فسموه شمعون وهو بالعبرانية
شمعون وقوله تعالى ابعث لنا ملكا اي ادع الله تعالى ان يجعل لنا ملكا نقاتل معه عدونا في طاعة الله
تعالى من قرا نقاتل بالجزم فعلى جواب الامر ومن قرا بالرفع فعلى معنى فانا نقاتل ومن قرا يقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا فهو راجع الى الملك وكان عدو بني اسرائيل قوما يقال لهم البلثا قوم جالوت
كانوا يسكنون ساحل البحر الرومي بين مصر وفلسطين فلقيت منهم بنو اسرائيل بلاء شديدا حتى غلبوهم
على كثير من اراضيهم وسكنوا كثيرا من ديارهم ولم يكن لبني اسرائيل ملك يقاتلهم في سبيل الله تعالى وانما
سالوا الملك لانهم علموا ان كلمة القوم لا تتسق امورهم لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع على القتال
الا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم وفي هذا دليل وجوب الامامة ولهذا فزع اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الى نصب امام وقوله تعالى قال هل عسيتم ان كتب اي قال لهم نبيهم لعلكم اذا بعث الله
تعالى لكم ملكا وفرض عليكم القتال ان تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا وانما قال لهم ذلك لما عرف ما عندهم
من الحرص والجد قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله معناه وما لنا في الا نقاتل اي اي شيء لنا في ترك
القتال يقال هربت ان اقول كذا اي من ان اقول وقيل معناه وليس لنا ان نمتنع عن قتال عدونا في طلب
مرضات الله تعالى وقوله تعالى وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اخرجنا من منازلنا وسبوا
ذرارينا ومعنى الاخراج من الابناء انه لما كان الاخراج من الديار يؤدي الى مفارقة الابناء قالوا
اخرجنا من ديارنا وابنائنا ويجوز ان يكون على وجه الاتباع كما يقال متقلدا سيفا ورمحا و
قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اي لما فرض عليهم القتال تولوا عن الطاعة في القتال الا قليلا منهم
وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقوله تعالى قليلا نصب على الاستثناء المعنى استثنى قليلا منهم تقال
جاء القوم الا زيدا ومعنى والله عليم بالظالمين عالم بالذين ظلموا انفسهم بالمعصية ويعاقبهم
وفي هذا تهديد لمن تولى عن القتال والملأ الجماعة الاشراف من الناس يجتمعون للمشاورة
وجمعه املاء واشتقاقه من ملأت الشيء وفلان مليء به اذا كان مكثرا ومعنى الملأ الذين
يملؤون العين والقلب وقرا اهل عسيتم بكسر السين يقال عسيت ان افعل كذا وعسيت والفتح
افصح قوله عز وجل وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك
علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده

بسطة

بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم المعنى والله تعالى اعلم
قال لهم نبيهم اشمويل عليه السلام ان الله تعالى قد اجابكم الى ما سالتم وجعل لكم طالوت ملكا عليكم قالوا
من اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه يعنون ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في
سبط يهوذا وليس هو من سبط النبوة ولا من سبط المملكة كان من اولاد بنيامين ولم يكن في نسله
ملك ولا نبوة ويقال انه كان دباغا وقيل انه كان يبيع الخمر وقوله تعالى ولم يؤت سعة من المال
اي لم يعط مالا ينفقه علينا كما تفعله الملوك مع قرانهم وخدمهم قال عليه السلام ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة اي اختاره للملك عليكم وزاده بسطة اي فضله في العلم والجسم كان يومئذ
اعلم رجل في بني اسرائيل فرفعه الله تعالى بعلمه وقيل كان عالما بامر الحرب وكان يفوق الناس
بمنكبيه وعنقه وراسه في طولهم الله تعالى ان العلم هو الذي يجب ان يقع به الاختيار وان الزيادة
في الجسم مما يهيب به العدو وقوله تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء اي يعطي ملكه من يشاء
وهو عز وجل لا يفعل الا الحكمة والعدل وقوله تعالى والله واسع عليم اي يوسع على من يشاء من عباده
ويعلم اين ينبغي ان يكون الملك والسعة وانما قيل واسع بمعنى موسع كما يقال اليم بمعنى مولم وقال
معناه واسع الفضل الا انه حذف الفضل كما يقال فلان كبير اي كبير القدر ويقال معناه ذو سعة
كما يقال عيشة راضية اي ذات رضى ورجل تامر ولابن اي ذو تمر ولبن وكما يقال رجل
رامح ونابل واما الاصطفا فهو الافتعال من الصفوة الا ان التاء تبدلت طاء لان التاء مهموسة و
الصاد مجهورة فجعلت التاء طاء لسهولة اللفظ واما اسم طالوت وجالوت وداود فاجتمع فيه
العجمة والتعريف فلذلك لا ينصرف ولو سمي رجل باسم جاموس لانصرف وان كان اعجميا لانه
تمكن في العربية لانك يدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس وفي الآية دلالة ان الامامة
لا تكون ارثا وانما يستحقها الانسان بحالة في نفسه وذكر الجسم في هذه الآية عبارة عن
فضل قوة طالوت لانه في العادة ان من كان اعظم جسما فهو اكثر قوة ولا حظ لعظم الجسم بلا قوة
في امر القتال وهو وبال على صاحبه قوله عز وجل وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن
في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم لنبيهم والله ما نصدقك
ان الله قد بعثه علينا ولكنك انت بعثته علينا ملكا مضارة لنا حين سالناك ملكا فاتنا
باية ان الله تعالى قد بعثه علينا قال لهم نبيهم ان الدلالة على كون طالوت ملكا ان
ياتيكم التابوت الذي اخذه منكم عدوكم وكان ذلك التابوت من عود الشمشاذ الذي يعمل منه
الامشاط مموه بالذهب عليه صفائح الذهب وكانت السكينة في التابوت قال وهي شبه
دابة راسها راس الهرة قال مجاهد وكان لها جناحان من زبرجد او ياقوت ويقال كان
فيها روح وكانت تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه وكان لعينها شعاع اذا نظرت الى انسان
ذعر وقال ابن عباس كانت بنو اسرائيل اذا حضروا القتال قدموا التابوت بين ايديهم
الى العدو واذا انت السكينة في التابوت سمع التابوت انينها فذهب نحو العدو وهم
يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما عصت بنو اسرائيل الانبياء عليهم السلام
سلط الله تعالى عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم على التابوت فدفنوه في مخلاة لهم وكان
اذا تبرز احد منهم عند التابوت اخذه الباسور فلما ابتلاهم الله بذلك عرفوا ان ذلك من
التابوت وقالوا ان آية بني اسرائيل الذي فينا يعنون التابوت هو الذي يفعل بنا هذا الفعل

الألوكة
www.alukah.net

فربطوا التابوت على عجلة وربطوا العجلة على بقرتين ووجهوهما نحو بني اسرائيل فضربت الملائكة جنوبهما
وساقوهما حتى هجموا به على ارض بني اسرائيل فلما راوا التابوت قد جي به اقروا لطالوت بالملك فذلك
قوله تعالى ان ياتيكم التابوت وقد قيل في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اي فيه ما تسكنون به اذا اتاكم
وتطمئن قلوبكم اليه فتقة للحروب وعن علي كرم الله وجهه ان السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه
كوجه الانسان واما قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل انه كان في التابوت رضاض
الالواح لموسى وعصاه من آس وعمامة هرون وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان لبني اسرائيل
في طست من ذهب وقوله تعالى تحمله الملائكة اي تسوقه الملائكة وهذا كما يقال حملت متاعي الى ارض كذا
اذا كنت سببا لحمله وقال بعضهم ارسل الله تعالى ريحا انتزعت التابوت من ايدي الكفار ثم حملته
الملائكة فالقته بين يدي طالوت وهذا بمعجزات الانبيا صلوات الله عليهم اشبه والله تعالى اعلم وقوله
تعالى ان في ذلك لاية لكم في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى ملك عليكم طالوت ان كنتم مصدقين ب
ذلك قوله عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين روى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج طالوت من البلاد بالجنود فسار بهم وهم سبعون الفا
خرجوا معه في حر شديد فاصابهم العطش فسالوا الما فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي
مختبركم بنهر جار وهو نهر الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس معي على عدوي ولم يطعمه
فانه معي على عدوي وقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده استثناء يقرا بضم العين وفتحها فمن
قرا بالفتح فهو مصدر غرفت ومن قرا بالضم فهو مقدار ما علا اليد من المغروف ونظيره الخطوة
بالنصب مصدر وهو برفع الخا مقدار ما يكون بين قدمي الماشي قال الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما
كانت الغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته وقيل ابتلاهم الله تعالى بذلك ليظهر الصادق
من الكاذب في افعاله وكان اشمويل عليه السلام هو الذي اخبر طالوت بهذا الابتلاء لان الله تعالى
لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول الا من نبي واما قوله تعالى
فشربوا منه الا قليلا اي لم يطيعوه الا قليلا وذلك انه لما عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا
في النهر فشربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا وهم ثلثماية وثلثة عشر رجلا كعدة اهل بدر قال
صلى الله عليه وسلم يوم بدر لاصحابه انتم على عدد اصحاب طالوت قال ابن عباس وقتادة و
الربيع من استكثر منهم من الما لم يذهب عطشه واما من لم يشرب منه الا غرفة فانه يروى
ويذهب عطشه واما قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه يقول لما تخطى طالوت النهر
والذين صدقوه فلم يشربوا الا مقدار الغرفة راوا قلتهم قال بعضهم لبعض لا قوة لنا اليوم
بجالوت وجنوده وذهب بعض المفسرين الى ان القوم كلهم جاوزوا النهر ثم ان الذين
خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده واما
قوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله فمعناه يوقنون ويعلمون وقد يسمى العلم ظنا كما
تقدم في قوله تعالى يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل معنى يظنون في هذه الاية يتوهمون انهم يقتلون
في هذه الوقعة لقلة عددهم وكثرة عدد اصحاب جالوت فانه روي انه كان معه ماية الف و
قوله تعالى كم من فئة قليلة معناه كم من فرقة قليلة عددهم قهرت فرقة عددها كثيرة بامر

الله تعالى

الله تعالى وبنصرة الله تعالى والله مع الصابرين في النصرة والمعونة والفصل في اللغة هو القطع
يقال فصل عن المكان اذا انقطع بالمجاوزة والجنود جمع تكثير يقال جند واجناد وجنود واصل ذلك من
الجند وهو الارض الغليظة والنهر والنهر لغتان والطعم الذوق يقال طعمت اطعم طعما واصل الفئة من
قولهم فاوت راس فلان بالسيف فاءه فاوا اذا قطعته بنصفين قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين معنى
الاية والله تعالى اعلم لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي
اصبب علينا الصبر صبا واصل هذا من قولهم افرغت الاناء اذا اخليته وصببت ما فيه وقوله تعالى
وثبت اقدامنا اي ثبتها في اماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا ومعنى وانصرنا على القوم الكافرين اعنا
على قوم جالوت بالقاء الرعب في قلوبهم والبروز في اللغة هو الظهور والابراز الاظهار ويقال
بارز بين الصفين اذا خرج بين الصفين ظاهرا للقتال قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود
جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين في الاية ايجاب لان ذكر الهزيمة
بعد سوال النصر دليل اجابة الدعا كان الله تعالى قال فاستجاب دعاهم فهزموهم باذن الله روى
اصحاب القصص باسانيدهم ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة خرجوا مع طالوت
للقتال فلما ابطا خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل اليهم ابنه داود عليه السلام ينظر ما امرهم ويانيه
بخبرهم فاتاهم وهم في الصفوف وقد برز جالوت وهو يقول هل من مبارز فلم يخرج اليه احد
فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبرز الي بعضكم فقال داود عليه السلام اما فيكم رجل يخرج
الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود عليه السلام الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته
فمر طالوت به وهو يحرض الناس فقال داود عليه السلام ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال
طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف مملكتي قال داود عليه السلام فانا اخرج اليه فاعطاه طالوت
درعه وسيفه فلما خرج في الدرع جرها لان طالوت كان اطول منه فرجع الى طالوت وقال اني
لم اتعود القتال في الدرع ولكني اقاتل بالقلاعة قال له طالوت وهل جربت نفسك في غير هذا
قال نعم وقع الذيب في غنمي فضربته ثم اخذت براسه وجسده وقطعت راسه من جسده
فقال لطالوت ان الذيب ضعيف فهل جربت نفسك في غير هذا قال نعم دخل الاسد في غنمي فضربته
ثم اخذت بلحييه فشققتهما افترى هذا اشد ام الاسد قال لا واخذ داود القلاعة وخرج الى جالوت
فمر بثلاثة احجار فقلن خذنا معك ففينا ميتة جالوت فاخذهن ثم مضى نحو جالوت فلما راه
جالوت قال خرجت الي لتقتلني بالقلاعة كما يقتل الكلب قال له داود عليه السلام هل انت الا مثل
الكلب وكان على جالوت بيضة فيها ثلثماية رطل فقال جالوت اما ان ترميني او ارميك قال داود
عليه السلام بل ارميك ثم اخذ احدى الحجارة الثلث ورمى بها فوقعت في صدره فنفذته
وقتلت بعد ما نفذته خلقا كثيرا وهزم الله تعالى جنوده ثم ان طالوت زوج داود عليه السلام
ابنته واراد ان يدفع اليه نصف مملكته فقال له وزراؤه لو دفعت اليه نصف ملكك صار منازعا
لك في الملك وفسد عليك الملك فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله فهرب داود عليه السلام
وانطلق طالوت في طلب داود عليه السلام حتى اتى على امراة من قدما بني اسرائيل وهي تبكي على داود
عليه السلام فضرب بابها قالت من هذا قال انا طالوت قالت انت اشقى الناس طردت داود النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قتل جالوت وهزم جنوده قال انما اتيتك لاسالك ما توبتي قالت توبتك

في الملزم

شبكة الألوكة www.alukah.net

ان تاتى مدينة كذا و تقاتل اهلها فان فتحتها فهى توبتك وان قتلت فهى توبتك فانطلق طالوت
الى تلك المدينة فقاتل اهلها حتى قتل فاجتمع بنو اسرائيل وتملكوا داود عليه السلام عليهم من بعد
ذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة اى جمع الله له بين الملك والنبوة ولم يجتمع كلاهما لاحد
الا لداود عليه السلام وسليمن عليه السلام واما قوله تعالى وعلمه مما يشاء اى علمه علم الدرع
ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم ومعنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اى لولا دفع الله
تعالى باس المشركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود عليه السلام شر جالوت لفسدت الارض باهلها
لغلبة الكفار ويقال معناه لولا الانبياء عليهم السلام الداعون الى سبيله الناهون عن الفساد
والجبارين الذين ياخذون على ايدى الاشرار لفسدت احوال الناس كما روى في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهايم
رتع لصببت عليهم العذاب صبا وقال الحسن رضى الله عنه يزع الله تعالى بالسلطان اكثر
مما يزع بالقران ولولا السلاطين والامرا المسلطون على الدعارة والعيارين لخرجوا
على اهل الصلاح واستولوا عليهم ومن قرا ولولا دفاع الله الناس فهو من قولهم دافع يدافع
مدافعة ودفاعا والدفع الصرف والهزم الكسر والرد وهزمة الرعد صوت فيه تردد وتشقق
وتهزم السقا اذا يبس وتكسر وانثنى بعضه على بعض واما قوله تعالى ولكن الله ذو فضل
على العلمين اى ذو من عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين قوله عز وجل تلك ايات الله
نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين اى القران بما فيه من اخبار الامم الماضية ايات
ايات الله ينزل بها جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل وانك لمن المرسلين لانك
اخبرت بهذه الايات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها وقيل في معنى هذه الايات
اماتة الله تعالى الالوف في دفعة واحدة واحياؤهم بعد عاينتهم دفعة واحدة واعطاؤه
الملك طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد له الناس ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم
على جالوت واصحابه مع شوكتهم وكثرة عددهم دلالات الله تعالى على قدرته وعلى نبوة انبيائه
صلوات الله عليهم وانك لمن المرسلين لانك قد اعطيت من الايات مثل ما اعطى الانبيا قبلك
وزيادة قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما
اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن و
منهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين نزلنا عليك خبرهم في القران هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على
بعض في الدنيا والعقبى ثم فسر فضيلة كل واحد منهم فقال منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام كلمه
الله تعالى من غير سفير كان بينه وبينه ورفع بعضهم درجات اى اتخذ الله ابرهيم خليلا وسخر لسليمن
الريح والجن والشياطين وعلمه منطق الطير والنمل وقال مجاهد رضى الله عنه اراد بهذه الاية فضيلة
محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل هو
ادريس عليه السلام كما قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ومعنى واتينا عيسى ابن مريم البينات اى
اعطيناه الدلالات على اثبات نبوته من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والانباء عما غاب عنه و
قوله تعالى وايدناه بروح القدس اى قويناه واعناه بجبريل الطاهر عليه السلام حين اراد واقتله حتى
رفعه الله الى السماء وقال الحسن رضى الله عنه الروح جبريل عليه السلام والقدس هو الله عز وجل

فيصير

فيصير تقدير الاية وقويناه بروح الله تعالى وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال روح القدس اسم
الله الاعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيى الموتى واما قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
اى لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلايل كما قال الله تعالى ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى وقال جل ذكره ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وقيل معناه لو شاء الله
تعالى لانزل اية تضطرهم الى الايمان بالله تعالى وتمنعهم عن الكفر كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومعنى ولكن اختلفوا اى شا اختلافهم فاختلفوا ويقال لم
يلجيهم الى الايمان لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والجاء لا يحسن الامع التخلية و قوله تعالى ومنهم
من كفر اى بالكتب والرسل ولو شاء الله لم يقتتلوا مع اختلافهم بان يامر المومنين بالكف عن القتال وبان
يلجيهم جميعا الى ترك القتال ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه
الحكمة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون حث على الانفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى وقيل هو الامر بالزكوة
واما قوله تعالى من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمة لا فدا فيه و قوله تعالى ولا خلة معناه
ليس فيه خلة لغير المومنين واما المومنون تكون لهم خلة كما قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين و قوله تعالى ولا شفاعة اى لغير المومنين واما المومنون فيشفع بعضهم لبعض ويشفع
لهم الانبيا والرسل صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال جل ذكره ولا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاما قراة النصب والرفع في قوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة فالوجه في ذلك
قد تقدم ذكره ومعنى قوله تعالى والكافرون هم الظالمون اى هم الذين ظلموا انفسهم حتى لا خلة ولا شفاعة
وكان عطا رضى الله عنه يقول الحمد لله الذى لم يقل والظالمون هم الكافرون لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم
كافرا قوله عز وجل الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في
السموات وما في الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض
ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ذكر وحدانية الله تعالى وصفته ليعلم ان من
كان بهذه الصفات لا يخفى عليه كفر من كفر به ولا معصية من عصاه فيجازى كل عامل على ما عمل
بعلمه والهدف الاية في نفى معبود الكفار واثبات معبود المومنين واثبات الشىء مع نفى غيره عنه ابلغ
في الاثبات كانه قال الله لا اله الا هو دون غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه ومعنى الحى
القيوم الدايم الذى لا يموت موصوف بالبقاء على الابد وبه حى كل حى واما القيوم فهو القايم بتدبير
الخلق في انشائهم وارزاقهم واعمالهم واجالهم ومجازاتهم على عملهم كما قال الله تعالى افمن هو قايم على
كل نفس بما كسبت وقيل معنى القيوم العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اى يحسنه و
يعلم ما فيه ويقال معنى الحى القيوم الدايم الذى لا يزول يقال فلان حى قايم كما كان ومعنى لا تاخذه
سنة اى لا تاخذه النعاس وهو اسم لا ول ما يخرج في الراس من النوم قبل وصوله الى القلب واما
النوم فهو اسم للذى يصل الى القلب فيستثقل ومعنى هذا انه لا يغفل عن تدبير الخلق فان قيل اليس
معنى نفى النوم بعد ان نفى النعاس قلنا مثل هذا اللفظ انما يكون لنفى قليل النوم وكثيره ونظيره قول
العرب فلان لا يملك قليلا ولا كثيرا وقد ذكر في الخبر ان قوم موسى عليه السلام قالوا له اينام
ربنا قال لهم موسى عليه السلام اتقوا الله تعالى ولا تقولوا مثل هذا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
انى جعلتك واسطة بينى وبين خلقى لتبلغنى عنهم كما تبلغهم عنى خذ بيدك قارورتين مملوتين

لهم ه

تبلغهم ۶

الألوكة
www.alukah.net

ماءً فأخذهما والقى الله تعالى على موسى عليه السلام النعاس فضربت احداهما على الاخرى فاصطكتا
وانكسرتا ثم اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو
اخذني نوم او نعاس لهلكت السموات والارض اسرع من كسر الزجاجتين و قوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض اي هو مالك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماؤه تحت قبضته و
قدرته و قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه جواب عن قول المشركين في اصنامهم هولاء
شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي لا يشفع احد لاحد عند الله
تعالى الا بامره ورضاه كما يشفع المومنون بعضهم لبعض بالدعا وكما يشفع الانبيا صلوات الله
عليهم للمومنين و معنى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما بين ايديهم من امر
الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا وقال مجاهد والسدي على الضد من هذا وقيل يعلم الغيب الذي
تقدمهم والذي يكون بعدهم ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يعلمون الغيب لا مما تقدمهم و
لا مما يكون بعدهم الا بما شاء الله تعالى ان يعلمهم وهو ما انبا به الانبيا صلوات الله عليهم ليكون
دليلا على تثبيت نبوتهم واما قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قال ابن عباس كرسيه علمه
فلا يخفى عليه شيء مما في السموات والارض كما قال الله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقيل معناه
وسعت قدرته التي يمسك بها السموات والارض وقال الحسن الكرسي هو العرش بعينه وقيل بل هو
سرير دون العرش ويقال هو مكان تحلق اسمعه السموات والارض وقال عطاء بن ابي رباح والكلبي ومقاتل
السموات السبع والارضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في ارض فلاة قال الكلبي ومقاتل
يحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر قدماهم
في الصخرة التي تحت الارضين بمسيرة خمسمائة عام وروي عن عبد الله بن مسعود بين كل
سمائين مسيرة خمسمائة عام وبين السما السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي
وبين الما مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الما والله تعالى فوق عرشه يعلم ما انتم فيه ولا
حجة لاهل التشبيه في هذا الحديث لان المراد بمثل هذا اللفظ القهر والقدرة يدل على ذلك ما روي
في بعض الروايات عن ابي هريرة انه وصف الارضين وقال بين كل ارضين مسيرة خمسمائة عام و
لو حفرتم في الارض السابعة لوجدتم الله تعالى ثم وهذا كما قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وقال جل ذكره وهو معكم اين ما كنتم وقال سبحانه وهو الذي في السما اله وفي الارض اله
واما من يزعم من الجهال ان العرش مكان قعوده والكرسي موضع قدميه فقد وصف ربه
بصفة الجبابرة الذين يتعظمون في المجالس والاماكن وهو في الجهل بمنزلة من يزعم ان الكعبة
موضع سكونه فيه والا لم يكن لوصف الكعبة انها بيت الله تعالى معنى وكذلك القول في
المساجد وقد ثبت بدليل العقل ان الله تعالى لا يشبه الاجسام ولا يجوز عليه ما يجوز عليها
من المماسة والمجاورة وكيف يصح ان يكون على العرش والكرسي وهو خالقهما وقد كان ولا هما
ولا يحتاج الى مكان فكيف يتغير فيصير محتاجا الى مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا واما قوله تعالى ولا يؤده حفظهما اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والارض
ويقال ما آدك فهو لي آيد اي ما اثقلك فهو لي مثقل و معنى وهو العلي العظيم العلي عن
الاشباه والامثال وصفات المحدثين عظيم الشان والسلطان والبرهان والقيوم
على وزن فيعول من القيام والقيام على وزن فيعال والاصل قيووم وقيوام الا ان اليا ساكنة
اذا تعقبتها واو متحركة حولت الواو يا وادغمت احدى اليائين في الاخرى والكرسي في اللغة

والكراسة

والكراسة انما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا والكرس ما تلبد بعضه على بعض في
ادبار الغنم ومعاطن الابل ويقال اجعل لهذا الحائط كرسيا اي اجعل له ما يمسكه ويقال للعلما الكراسي
لانهم هم المعتمد عليهم في امر الدين كما يعتمد على السرير وكذلك يقال العلما اوتاد الارض لانهم
قوام الارض وقد روي عن محمد بن الحنفية انه قال لما نزلت اية الكرسي خر كل صنم في دار الدنيا
وخر كل ملك في الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين فضرب بعضهم
على بعض حتى اجتمعوا الى ابليس فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا عنها والى المدينة فبلغهم ان اية
الكرسي قد نزلت وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة اعطاه الله تعالى قلوب الشاكرين واعمال الصديقين وثواب النبيين عليهم
السلام وبسط عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت فيدخلها وقد كثرت الروايات
في فضل هذه الاية وعظم الثواب في قراءتها وبالله التوفيق قوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم اختلف اهل التفسير في هذه الاية على ثلثة اقوال قال السدي
والضحاك ان هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال من
قايل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكان القتال محظورا في اول الاسلام الى ان قامت
عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما عاندوا بعد البيان امر الله تعالى
المسلمين بقتالهم بقوله تعالى اقتلوا المشركين وغيره من ايات القتال وقال الحسن وقتادة
وهو رواية عن ابن عباس ان هذه الاية خاصة في اهل الكتاب ان لا اكراه على الاسلام بعد
ان يؤدوا الجزية فاما مشركوا العرب فلا يقرون بالجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف
والقول الثالث ان معناه من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره
اي لا تقولوا لهم انما اسلمتم كرها فلا اسلام لكم ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان لا اكراه على
الاسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق الذي ليس بمستقيم بما اعطى الله تعالى انبياءه من
المعجزات فلا اكراه على الدين وقوله تعالى لا اكراه لفظه خبر ومعناه النهي ودخول الالف واللام في
الدين لتعريف المعهود ومعنى فمن يكفر بالطاغوت اي من يكفر بما امر الله تعالى ان يكفر به و
يصدق بالله تعالى وبما امر الله به فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا انحلال له من الحجج ولا
انقطاع لها بالشبهة والشكوك والله سميع لما يعتقده الانسان في امر الدين عليم بنيته في ذلك
والغي نقيض الرشد يقال غوى الرجل يغوي غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد وغوي
يغوى اذا خاب قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
والطاغوت ماخوذ من الطغيان زيدت في اخره التا والواو فصار طغووت كما قالوا جبروت
وملكوت ورهبوت ورحموت ثم قلبت عين الفعل من طغووت الى موضع اللام كما
قيل صاعقة وصاقعة فصار طوغوت قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل طاغوت
وهو اسم للاصنام والشياطين وكل ما يعبد من دون الله تعالى واما العروة فهي معروفة وفي
عروة الدلو وغير ذلك يقال عراه يعروه اذا جعل له عروة واعتراه الهم اذا تعلق به الهم وعروة
الحمى وعرواء الرعدة اذا تعلقت به وعروت الرجل اعروه اذا تعلقت بسبب منه وانما شبه
المصدق بالاسلام بالمستمسك بالعروة الوثقى لان الشيء الموثق لا يخشى ابدا بالحبل والتمسك بالايمان
امر حكمي خفي وبالعروة الظاهر جلي فشبه به فان قال قائل اذا كان قوله تعالى لا اكراه

في الدين يقتضي حظر اكراه الذمي على الاسلام فكيف يصح اسلام الذمي اذا اكره على الاسلام مع انه لا يجوز اكراهه على ذلك بعد دخوله في عقد الذمة قلنا لما كان الاسلام لا يختلف حكمه في حال الاكراه والطوع فيمن يجوز اجباره عليه اشبه من هذا الوجه العتق والطلاق وسائر ما لا يختلف فيه جده وهزله فصحح اسلامه ثم اذا اظهر الكفر بعد ذلك اجبر على الاسلام بالحبس ولم يقتل لشبهة انه لم يعتقد الاسلام فان قيل لم تشركوا العرب الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فكيف يصيرون مسلمين بالاكراه على ذلك ومعلوم ان من دخل في الدين كرها فليس بمسلم قيل انما اكرهوا على اظهار الاسلام لا على اعتقاده لان الاكراه على الاعتقاد لا يتصور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله والفايدة في هذا الاكراه ان المكره اذا اظهر الاسلام وان كان غير معتقد لذلك فان سماعه القرآن ومجالسته المسلمين يدعوه الى الاسلام ويوضح عنده فساد اعتقاده فيتحقق اسلامه قوله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون معنى الآية والله تعالى اعلم الله تعالى ولي المؤمنين في نصرهم واظهارهم على مخالفيهم وهدايتهم في اقامة الحجة في دينهم ومتولي جزائهم على حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى والذين جحدوا توحيد الله تعالى اولياؤهم الذين يتولونهم هم الطاغوت ولفظ الطاغوت الوحدان ومعناه الجمع ومعنى يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يكن لهم نور البتة قيل ان المراد به النصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه الى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال اراد به قوما ارتدوا عن الاسلام ويجوز ان اخرانه لولا الطاغوت لكانوا مومنين فلما كان الطاغوت سببا لاباءتهم الاسلام فكان الطاغوت اخرجوهم وهذا كما يقال اخرج فلان ولده من الميراث اي فعل فعلا لو لم يفعله لاستحق ولده الميراث قوله عز وجل الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين المعنى الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذي جادل ابرهيم عليه السلام في ربه وهذا على جهة التعجب للناس في محاجة من حاج ابرهيم في ربه وكلمة الى للغاية كانه تعالى قال هل رايت كالذي حاج ابرهيم او هل انتهت رؤيتك الى من كان كالذي حاج ابرهيم في ربه وهذا كما تقول العرب الم تر الى فلان كيف يصنع اي هل رايت كفلان في صنيعه وقوله تعالى ان اتاه الله الملك اي بان اعطاه الله تعالى الملك واعجب بملكه وسلطانه وهو نمرود بن كنعان اول من تجبر في الارض بادعاء الربوبية فحاجه ابرهيم عليه السلام في توحيد ربه وقيل ان الهاء في قوله تعالى ان اتاه راجعة الى ابرهيم عليه السلام والملك النبوة ووجوب طاعته على الناس وفي قوله تعالى اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اضمار وهو ان نمرود قال لابرهيم عليه السلام من ربك قال ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويحيي الموتى ويميت عند انقضاء الآجال فقال له نمرود انا احيي واميت قال له ابرهيم عليه السلام ايتني ببيان ذلك فاتى برجلين من محبسه وجب عليهما القتل فقتل احدهما واستحيى الآخر فقال هذا قد احييته وهذا قد امته قال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر اي تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجة والله تعالى لا يرشد القوم المشركين الى دينه وحجته فان قيل لم لم يثبت ابرهيم عليه السلام على الحجة الاولى والانتقال منها الى حجة اخرى

في المناظرة غير محمود قيل عنه اجوبة احدها ان ابرهيم عليه السلام كان داعيا ولم يكن مناظرا فما كان يراه اقرب الى الهداية اخذ به والثاني انه روي ان ابرهيم عليه السلام انتقل عن الحجة الاولى بعد الالزام لانه روي انه قال للنمرود انك احييت الحي ولم تحي الميت والانتقال بعد الالزام محمود والثالث ان نمرود كان عالما انما ذكره ليس بمعارضة وكان من حوله من اصحابه يوقنون بكذبه في قوله انا احيي واميت ولكن اراد التمويه على اغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى عليه السلام ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي تواطأتم على هذا المكر مع موسى عليه السلام واظهرتم العجز عن معارضته ثم امنتم به فكان هذا القول تمويها منه على قومه كذلك فعل نمرود في قوله انا احيي واميت فترك ابرهيم عليه السلام اطالة الكلام وعدل الى حجة مسكتة لا يمكنه التمويه في تلك الحجة فان قيل فهلا قال النمرود لابرهيم عليه السلام ان مجيء الشمس هو العادة فقل لربك حتى ياتي بها من المغرب قيل علم بما راى من المعجزات التي ظهرت له انه لو ساله ذلك لاتى به فكان يزداد فضيحة للناس وقيل خذله الله تعالى عن هذا القول فلم يوفق للسؤال والله تعالى يفعل ذلك مع المبطلين لان الذين بعث فيهم ابرهيم عليه السلام كانوا يزعمون ان حوادث العالم من حركات الكواكب السبعة واعظمها عندهم الشمس وكانوا يسمونها الهة وكانوا لا يقرون بالله تعالى وهم لا يختلفون هم وسائر من يعرف سير الكواكب ان للشمس حركتين متضادتين احداهما من المغرب الى المشرق وهي حركتها التي تختص بها بنفسها والاخرى بتحريك الفلك لها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة فقال له ابرهيم عليه السلام انك معترف ان للشمس التي تعبدها وتسميها الها حركة سير ليست هي حركة نفسها بل بتحريك غيرها لها فاني ادعوك الى عبادة من احدث هذه الحركة في الشمس ولو كانت الشمس الها لما كانت مقهورة مجبورة فلم يمكنه دفع هذا الحجاج بوجه من الوجوه وذلك قوله تعالى فبهت الذي كفر والبهت في اللغة هو مواجهة الرجل بالكذب عليه يقال بهت يبهت بهتا وباهت يباهت مباهتة وفي الحديث ان اليهود قوم بهت اي كذبة والبهت الحيرة عند انقطاع الحجة ايضا وفيه لغات بهت وبهت وبهت واجودها بهت بضم الهاء وفي الآية دلالة على ان الله تعالى لا يشبهه شيء وان طريق معرفته ما نصب من الدلايل على توحيده لان انبياء الله تعالى عليهم السلام انما حاجوا الكفار بمثل ذلك ولم يصفوا الله تعالى بصفة توجب التشبيه وانما وصفوه بافعاله واستدلوا بها عليه وبالله التوفيق قوله عز وجل او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير عطف على معنى الكلام الاول لا على اللفظ كانه قال ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية ويقال ان الكاف في هذه الآية زايدة كما في قوله تعالى ليس كمثله شيء روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الآية في عزير بن شرخيا وكان من علماء بني اسرائيل سباه بخت نصر من بيت المقدس الى ارض بابل حين سلطه الله تعالى عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير ذات يوم في ارض بابل على حمار فمر بدير هرقل على شاطئ دجلة فطاف بالقرية فلم يجد بها ساكنا وعامة شجرها حامل فجعل يتعجب من خراب القرية وموت اهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها

الألوكة www.alukah.net

وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه فاخذ شيئاً من التين والعنب وتناول
بعضها وعصر العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في اخرى وفضل
العصير في زق ثم نظر الى القرية فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اى كيف يحيي الله تعالى هذه القرية
بعد خرابها وموت اهلها لم يكن هذا القول منه انكاراً للبعث لكن احب ان يرى كيف يحيي الله
تعالى الموتى ويزداد بصيرة في ايمانه فنام في ذلك الدير فاماته الله تعالى في منامه مائة عام و
اعمى عنه الانس والسباع والطير ثم احياه فنودي يا عزير كم لبثت وكان أُميت في صدر النهار
ثم بعث بعد مائة سنة في اخر النهار فظن ان مقدار لبثه يوم فقال لبثت يوماً فلما نظر الى
الشمس فقال قد بقي منه شيء قال او بعض يوم فنودي بل لبثت ميتاً مائة عام فانظر الى طعامك
من التين والعنب وشرابك العصير لم يتسنه اى لم يتغير طعمها بعد مائة عام ولم يغيرها السنون
فنظر فاذا العنب والتين كما شاهدهما والعصير طرياً ثم قيل وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو
عظام بيض تلوح قد تفرقت اوصاله فسمع صوتاً ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحاً
فاجتمعي فارتعشت العظام وسعى بعضها الى بعض قال فرايت الصلب تسعى كل فقرة منها
الى صاحبتها ثم رايت الوركين يسعيان الى مكانهما والساقين الى مكانهما والوظيفين الى
مكانهما ثم رايت الاضلاع تسعى كل ضلع منها الى فقرته ثم رايت الكتفين يسعيان الى مكانهما
والذراعين الى مكانهما ثم رايت العنق تسعى كل فقرة منها الى صاحبتها ثم جاء الراس الى
مكانه ثم رايت العصب والعروق واللحم التي عليه ثم بسط عليه الجلد ثم ذرى عليه
الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجداً لله تعالى وقال عند ذلك اعلم ان
الله على كل شيء قدير حين تبين له من كمال القدرة البالغة جاريه والموتى في نفسه والبقاء في
العنب والعصير اللذين هما من اسرع الاشيا فساداً وتغيراً ثم شاهد البعث بعد الموت
قال عبد الله بن عباس رضي بعث وهو شاب ابن اربعين سنة على السن التي اميت عليها
وكان ابنه في ذلك الوقت ابن عشرين سنة فصار لابنه مائة وعشرون سنة وللعزير اربعون
سنة فذلك قوله تعالى ولنجعلك اية للناس وقيل في معنى ولنجعلك اية انه رجع الى بني اسرائيل
وهو يقرا التورية كلها عن ظهر قلبه فاملاها عليهم لم يخرم منها حرفاً وكانت التورية قد ذهبت
عنهم فجاءهم رجل من بني اسرائيل فانتسب لهم فعرفوه قال اخبرني جدي انه قال دفنت التورية
يوم سُبينا في خابية في كرم فاروه كرم جده فاخرج التورية فعارضوها بما املاها عزير فما
اختلفا في حرف فعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن الله وقال الحسن وقتادة
والربيع ان القرية المذكورة في هذه الاية هي قرية بيت المقدس بعدما خربها بخت نصر وكان
وهب بن منبه يقول كان المار بهذه القرية ارميا النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق هو
خضر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى خاوية اى خالية لا انيس بها والخوى الفرجة بين
الشيئين يقال خوت الدار اذا خلت وخوى البطن اذا جاع واصله الخلا وقد يقال خوت النجوم
اذا سقطت ولم تمطر وسمي السقف عريشاً لارتفاعه على ارضه كي تحته الظلة من الشجر عريشاً لارتفاعها
على ما تحتها يقال عرشت الكرم تعريشاً وعرشته اعرشه عرشاً اذا اظللته وقد يسمى البيت عريشاً
لارتفاع ابنيته ويسمى السرير عرشاً لارتفاعه عن الارض وعرش الرجل قوام امره ويجوز اسقاط
الهاء من قوله تعالى لم يتسنه في الوصل يقال سانيت مساناة وسانهت مسانهة ولسانهة
وقيل ان الاصل في قوله تعالى لم يتسنه لم يتسنى حذفت الياء للجزم ثم عوضت منها هاء

في

في الوقف وكان في الاصل يتسنو لان تقدير السنة سنوة الا ترى ان جمعها سنوات وتصغيرها
سُنَيْهَة الا ان الواو ترد الى الياء في التفعل والتفاعل كالتراضي والتداعي لان اليا اخف من الواو
ويجوز ان يكون اثبات الهاء في هذا الوقف كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده وذهب بعضهم الى ان قوله
لم يتسنه من اسن الما اذا تغير قال ابو عبيدة لو كان من اسن لكان لم يتاسن وذهب بعضهم الى
ان هذه من قوله تعالى حما مسنون اى متغير وابدلوا النون من يتسنن ياء وهذا كما قالوا في تظننت
وتقضى البازي قال الزجاج لا يجوز ان يكون من حما مسنون لان معنى مسنون مصبوب على سنن الطريق
واما القراءة في قوله تعالى كيف ننشرها من قرا بالراء غير معجمة فمعناه نحييها من النشر يقال نشر الميت
اذا عاش وانشره الله تعالى وانشره اذا احياه ومنه قوله تعالى ثم اذا شاء انشره ومن قرا ننشزها
بالزاي معجمة فمعناه نرفعها ونعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المراة هذه ما
على زوجها ترفعها عن طاعة زوجها وقوله تعالى اعلم ان قرى بقطع الالف اى قال عزير علمت ما
كنت اعلمه غيباً ومن قرا اعلم بغير قطع الالف فالمعنى قال لنفسه اعلم ان الله على كل شيء قدير
فان قيل قوله تعالى حكاية لبثت يوماً او بعض يوم اكان صدقاً منه او كذباً قلنا لم يكن كذباً
لانه اخبر عما عنده كانه قال عندي اني لبثت يوما او بعض يوم ونظيره ما حكاه الله تعالى
عن اصحاب الكهف قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقد كانوا لبثوا
ثلثمائة وتسع سنين ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشي اما الظهر
او العصر قال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لم تقصر ولم انس وكان صلى الله عليه وسلم صادقاً في ذلك لانه اخبر عما عنده وفي ظنه ولهذا
ما عفى الله عز وجل عن الحالف بلغو اليمين على ما تقدم ذكره قوله عز وجل واذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم تقدير هذه الاية الم تر اذ
قال ابرهيم ويقال واذكر اذ قال ابرهيم وعن عبد الله بن عباس رضي في سبب هذه القصة ان
ابرهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها الطيور السماء فتاخذ منها بافواهها
فتاكل ويسقط من افواهها في البحر فتاكل منه الحيتان وتجي سباع البر فتاخذ منه عضواً
عضواً فوقف منه متعجباً وقال اى رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن اى اولم تصدق بانك
احيي الموتى قال بلى صدقت ولكن احب ان اعلم كيف تحيي هذه النفس التي ارى بعضها في بطون
السباع وبعضها في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطيور فذلك قوله ولكن ليطمئن قلبي وهكذا
روي عن مقاتل وقيل معنى ولكن ليطمئن قلبي اى ليسكن قلبي انك اعطيتني الذي سالتك وقيل
انك اتخذتني خليلاً وقال بعضهم لما جرى بين ابرهيم عليه السلام وبين النمرود بن كنعان من
المناظرة ما جرى وقال نمرود انا احيي واميت احب ابرهيم عليه السلام ان يرى صنع الله تعالى
في احياء الاموات فسال الله تعالى ذلك ليزداد عياناً بعد ان كان علمه غيباً واستدلالاً الا ان
الاستدلال تعتريه الشبه والشكوك والضروري الحسي لا تعتريه الشبه فلذلك قال ولكن ليطمئن
قلبي قال الله تعالى فخذ اربعة من الطير قال عبد الله بن عباس رضي فاخذ ابرهيم عليه السلام اربعة
من الطيور النعاين فجزأ كل واحد منهن اربعة اجزاء وجعل راس كل واحد وجناحيه مع رجل اخر
وعجز وبعض ظهره خالف بينهم فجعلهن على اربعة اجبل فدعاهن فطرن في الهواء حتى اجتمع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كل طير على جباله ثم وقعن على الجبال فاتينه سعيا يقول مشيا بسرعة قال وكان هذا قبل ان يولد
لابرهيم عليه السلام وقبل ان تنزل عليه الصحف وكان يومئذ ابن خمس وسبعين سنة وقال
ابو بكر الهذلي اربعة طيور مختلفة الوانها واسماؤها وريشها اخذ الطاووس والديك والحمامة
والغراب فقطع رؤسهن وخلط بين ريشهن ولحومهن ودمائهن اربعة اجزاء على اربعة
اجبال على كل جبل ريش ولحم ودم وعظم ثم نودين بالوحي ايتها العظام المتكسرة واللحوم
المتقطعة والعروق المتمزقة ارجعن باذن الله تعالى فيكن ارواحكن فجعل العظم يثب الى
العظم واللحم الى اللحم ويجري الدم الى الدم ويطير الريش الى الريش حتى سواهن الله تعالى قال
وامسك ابرهيم عليه السلام رؤسهن بيده فجئن يسعين على ارجلهن فعلق عليهن رؤسهن
فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابرهيم اني حين خلقت الارض جعلت بيتي في وسط الارض فاذا
كان يوم القيمة ارسلت من السماء اربعة رياح الشمال والجنوب والدبور والصبا فيجتمع
اجساد القتلى والهلكى من اربع زوايا الارض الى اربعة اركان البيت كما اجتمعت الاربعة
الطيار من اربعة اجبال ثم قال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واما قوله تعالى
فصرهن اليك بكسر الصاد وضمها فمعناه ضمهن ويقال املهن واجمعهن في الصرة وهي في معنى
الجمع والتشديد ويقال قطعهن يقال صار يصور صورا وصار يصير صيرا اذا قطع واذا
امال والصور الميل في العنق وكان الفراء يقول صار يصير مقلوب من صرى يصري في الكسر
ابو العباس السراج ذكره وقال هما لغتان للعرب كجذب وجبذ والمقلوب كقولهم قسي من القوس
لان من حقه تاخير السين فقدم وقيل على معنى القطع ان قوله تعالى اليك متصلة بقوله فخذ اربعة
من الطير كانه قال فخذ اربعة من الطير اليك فصرهن واما قوله تعالى واعلم ان الله عزيز
حكيم اي غالب على كل شيء قهير لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريد لا يفعل الا ما فيه الحكمة
قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد في سبيل الله بقوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا ثم ذكر تعالى ما كان من مسالة قوم من الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يقاتلون
معه اعداءهم فكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم وكثرة عدد اعدائهم ثم عقبه الله تعالى بذكر امور
تدل على وحدانية الله تعالى فيتبين ان الكفر بعد هذه الآيات اعظم واشنع وان الايمان اقوى
واحسن فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وانفقوا في القتال فان النفقة في القتال تكون بسبعمائة
وروي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في شان عثمان ابن عفان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما اما عثمان فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال
علي جهاز من لا جهاز له واشترى بئر رومة وجعلها سبيلا للمسلمين واما عبد الرحمن بن عوف
فكان له ثمانية آلاف فجاء باربعة آلاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي ثمانية آلاف درهم
امسكت نصفها لنفسي ولعيالي واقرضت نصفها ربي درهم دره فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما امسكت وفيما اعطيت وامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه ومعنى الآية والله
تعالى اعلم صفة الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى كصفة حبة القيت في الارض واخرجت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي كما يكون الحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة فكذلك النفقة
تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة ضعفها وقوله تعالى يضاعف لمن يشاء اي كما يضاعف

الله

الله في زرع الزارع الحادث من البذر الجيد في الارض العامرة كذلك يضاعف للمرء الصالح
ثواب صدقته بالمال الطيب اذا وضعه في موضعه ومعنى والله واسع عليم اي واسع الفضل جواد
لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة والفائدة في تخصيص
السبع في الآية ما قالوا ان السبع اشرف الاعداد كما روي عن عبد الله بن عباس انه قال
كادت الاشيا تكون كلها سبعا فان السموات سبع والارض سبع والكواكب السيارة سبعة والبحار
سبعة وايام الاسبوع سبعة وسجود العبد على سبعة اعضاء وجعل الله تعالى للسبع مزية حيث
قال جل ذكره ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو كان يستغفر لهم احدى وسبعين
مرة لكان ايضا لا يغفر الله لهم واجمع اهل التفسير في الذي ان العدة بالمضاعفة
سبعماية مخصصة بالانفاق في الجهاد واما في غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر امثالها
كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون نزل في شان النفقة التي يستحق بها الثواب المضاعف معنا
الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على السائل بان يقول
للسائل اذا وقع بينه وبينه خصومة اعطيتك وقت كذا وكذا واحسنت اليك واغنيتك وما
اشبهه مما ينغص ذلك على السائل فاما قوله ولا اذى اي لا يؤذي السائل ولا يعيره ولا يزجره
بان يقول لمات ابدا في فقر ومن ابلاني بك واراحني الله تعالى منك وما اشبهه وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله تعالى يوم القيمة ولا ينظر اليه
ولا يزكيه وله عذاب اليم واما قوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم اي الذين ينفقون في الطاعة ولا
يمنون ولا يؤذون ثواب عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيما يستقبلهم من اهوال
يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا واصله من القطع يقال مننت الشيء اذا قطعته
ومنه قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ويقال حبل منين اي مقطوع قوله عز وجل
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم معناه قول
كلام حسن ورد جميل ولطف ودعاء للسائل بالسعة وتجاوز عن مطالبة ويقال معنى المغفرة
ستر الخلة على السائل فان المغفرة هي التغطية خير من صدقة اي هذه الاشياء احسن عند الله من
صدقة يتبعها اذى لان الصدقة اذا اتبعها اذى ذهب المال والثواب جميعا قال الضحاك لان تمسك
عليك مالك خير من ان تنفقه ثم تتبعه منا واذى وقوله تعالى والله غني حليم اي غني عن صدقات
العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على الذي يمن بصدقته ونظير هذه الآية قوله عز وجل واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله و
اليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه فتركه صلدا لا يقدرون وابل
على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين بين سبحانه ما لطفه حين مدح
الانفاق الذي خلص من المن والاذى معرضا قبح المن والاذى فيه ثم فضل القول الحسن
على الانفاق المشوب بالمن والاذى ثم صرح الخطاب فقال عز من قائل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقوله تعالى كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا تكونوا في ابطال تلك الصدقة
كالمنافق الذي يتصدق لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب بل خوفا من الناس ورياء لهم

الألوكة
www.alukah.net

الله مؤمن ثم ضرب لنفقة المنافق مثلا فقال جل ذكره فمثله كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب
فاصابه وابل اي مطر كثير شديد الوقع فذهب بالتراب الذي كان على الحجر وبقي الحجر يابسا لا شيء
عليه وقوله تعالى لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي لا يقدر المان بنفقته والمؤذي والمنافق
على شيء من الثواب مما انفقوا كما لا يقدر احد من الخلق على التراب الذي كان على الحجر الاملس
بعد ما يصيبه المطر الشديد ومعنى والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يهديهم حتى يخلصوا
اعمالهم وقيل لا يهديهم بالمثوبة لهم كما يهدي المؤمنين واصل الوابل من الوبيل وهو الشديد
كما قال الله تعالى اخذا وبيلا ويقال وبلت السماء تبل اذا اشتد مطرها والصلد الحجر الاملس الصلب
ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر انه لا يخرج منه شيء ويقال للارض التي لا تنبت شيئا
صلد وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا وفي الاية دلالة ان الصدقة وساير القرب اذا لم تكن
خالصة لوجه الله تعالى لا يتعلق بها الثواب ويكون فاعلها كمن لم يفعل قال الله تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز الاستيجار على الحج و
تعليم القرآن وساير الافعال التي من شرطها ان تفعل على وجه القربة لان اخذ الاجرة عليها يخرجها
من ان تكون قربة بدلالة هذه الايات ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المثبتين مثلا اخر اعلى
من المثل الاول فقال عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله و
تثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها
وابل فطل والله بما تعملون بصير اي صفة نفقة الذين ينفقون اموالهم لطلب رضى الله تعالى
وتصديقا وحقيقة ويقينا في قلوبهم بالثواب ويقال توطينا لانفسهم على الثبوت على طاعة ربهم
ويقال تأملا وتدبرا لا ينفقونها غير موضعها كصفة بستان بمكان مرتفع من الارض اصابها مطر
كثير شديد او رش مثل الرذاذ وهو المطر الدائم الصغار القطر الذي لا يكاد تسيل منه المثاعب كذلك
المنفق لوجه الله تعالى ان كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وان كانت قليلة شيئا بعد شيء فعددها
والله بما تعملون من الريا والاخلاص بصير عالم يجزيكم على قدر نياتكم والربوة والربوة والربوة
والرباوة بمعنى واحد كل ذلك من الربو وهو الارتفاع والمطر على الروابي اشد ونبتها احسن و
ريعها اكثر منه اذا كانت بمكان مستفل كما قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل والاكل والاكل بتسكين الكاف وضمها بمعنى واحد وهو اسم
لما يؤكل والاكل المصدر والجنة لا تعطي في الحقيقة الا انه يطلق مثل هذا اللفظ على التوسع و
المجاز يقال كم تعطي ارضك من الحنطة وكرمك من العصير اي كم يخرج منها وضعف الشيء مثله وضعفا
مثلاه زايدين عليه اي تثمر مرتين واربعا ثم ضرب جل ذكره لنفقة المان مثلا اخر فقال عز وجل
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون وهذا استفهام في الظاهر يقتضي في
الحقيقة تقريرا اي لا يود احدكم كما قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا معنى الاية
ايتمنى احدكم ان يكون له بستان من نخيل وكروم تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها
الانهار له في الجنة من الوان الثمار كلها واصابه الهرم والضعف وله اولاد صغار يعجز
عن الحيلة واصابها يعني تلك الجنة اعصار اي ريح عاصف تهب من الارض بالشدة كالعمود
الى نحو السماء تسميها العرب الزوبعة وسميت اعصارا لانها تلتوي كثوب عصر وقوله تعالى

فيه

فيه نار اي في الاعصار نار فاحترقت يعني احترقت هذه الجنة يقول كما يحرم هذا الشيخ الكبير نفع
بستانه عند افقر ما يكون اليه عند عجزه وعجز اولاده من ان يغرسوا مثل ذلك البستان لا يرد عليه
شبابه وقوته ليغرس غيره ويقيم ويتولى سقيا وعمرا على ذلك فكذلك المان بصدقته
يحرم في الاخرة اجرها عند افقر ما يكون اليه يرى في القيمة اعماله هباء منثورا ولا يؤذن له في
الرجوع الى الدنيا فيتصدق ويكون من الصالحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اي
كهذا البيان الذي بين الله لكم فيما تقدم يبين لكم الدلالات والعلامات لكي تتفكروا فتعتبروا فان
قيل قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من
كل الثمرات على لفظ الاستقبال وقوله تعالى واصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضي على
المستقبل قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان قد ههنا مقدرة معناه وقد اصابه الكبر
فيكون معناه الحال مثل الله تعالى وان كان قميصه قد اي قد قد والثاني ان يود يقتضي ان يكون في خبره
لو كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا ويقتضي ان يكون في خبره ان
كما في هذه الاية ولو للماضي وان للمستقبل ثم قد يستعمل لو مكان ان وان مكان لو ويقام احدهما مقام
الاخر يقول الانسان انا اتمنى لو يكون لي ولد ويقول انا اتمنى ان كان لي ولد فاذا كان معنى التمني
قد يقع على الماضي صح عطف الماضي عليه وفي الذرية قولان احدهما فعلية من ذرأ واصله ذريئة
لان الهمزة اذا كان قبلها حرف مد ولين مد ما قبله فاجتمعت واوان في اخر الكلمة قبلها ضمتان
فتثقل فصيرنا الواوين يائين كما فعلنا في عتو عتيا فلما صارا يائين لانكسار ما قبلها فصار ذرية
والثاني انه من الذر واصله ذرورة كرهنا كثرة التضعيف فقلبنا الراء الاخيرة ياء كما قرئ في
تقضي وتظنى فصار ذروية فحصلنا على ياء وواو والاولى ساكنة فصيرناهما يائين وادغمنا
الاولى في الثانية وكسرنا ما قبلها والضعفا جمع ضعيف كنديم وندما وقوله تعالى
ذرية ضعافا كظريف وظراف وظرفا وكريم وكرام وكرما قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد
معنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تصدقوا من حلال ما
كسبتم من الاموال من جيد ما كسبتم وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض اي من اعشار
الحبوب والثمار وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تعمدوا الى الردي من اموالكم منه تتصدقون
ولستم بقابضيه وقابليه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق فجاء بدون
حقه لم يأخذه منه الا ان يتغامض له عن بعض حقه ويتسامح عن عيب فيه فكيف تعطونه
في الصدقة ويقال معنى قوله تعالى ولستم باخذيه اي لو ان احدكم اهدي له ردي لما الم باخذه
الا عن اغماض وحياء وهذا على قول من يقول ان هذه الاية انما وردت في التطوعات وقد روي
في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة وقال ان لله تعالى
في اموالكم حقا وكان ياتي اهل الصدقة بصدقاتهم فيضعونها في المسجد فيقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم فجاء رجل ذات يوم بعد ما تفرق عامة اهل بعذق من حشف فوضعه في
الصدقة فلما ابصره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بئس ما صنع صاحب الحشف فامر به
فعلق فجعل كل من يراه يقول بئس ما صنع صاحب الحشف فانزل الله هذه الاية وذهب قوم
الى ان معنى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى الا ان تغمضوا فيه على

الألوكة www.alukah.net

هذا التاويل الا ان تترخصوا في تناوله ان كان حراما والاغماض ترك النظر يقال في المثل اغمض وصل
الامر وغمض اي لا تستقص وكن كانك لم تبصره وتقول العرب اغضى فلان على القذى واغمض اذا
لم يعترض على الامر مع كراهته له ومعنى والله اعلم واعلموا ان الله غني حميد اي غني عن صدقاتكم
محمود في فعاله لم يامر بالصدقة عن عوز ولكن بلاكم بما امركم به ليستحق الحمد على ذلك وعلى جميع افعاله
ويقال معنى الحميد الموجب للحمد على طاعته وفي الاية اباحة الكسب واخبار ان فيه ما هو طيب والمكاسب
المكاسب على وجهين احدهما ابدال الاموال وارباحها والثاني ابدال المنافع وقد نص تعالى
على اباحة ذلك كله في مواضع من كتابه نحو قوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا وقوله تعالى
واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم وقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ
احدكم حبلا فياتي الجبل فيحتطب خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وعن عائشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه وعموم هذه الاية يوجب الصدقة في جميع الاموال لان قوله تعالى ما كسبتم يشتمل على انواع الاموال
انواع الاموال وقوله تعالى انفقوا امر وظاهر الامر على الوجوب الا ان الدلالة قد قامت على ان
الصدقة لا تجب الا في اموال مخصوصة وورد الشرع بالايجاب فيها فهذه الاية مجملة في مقدار الواجب
مفتقرة الى البيان يمكن الاحتجاج بها فيما اختلف في وجوبه منها نحو مال التجارة وصدقة
الخيل ووجوب العشر على قول ابي حنيفة في جميع ما يقصد بالزراعة وفي قليل الخارج و
كثيره ولا خلاف بين اهل العلم ان من ادى الاردا عن الاجود في صدقة الابل والبقر و
الغنم ان عليه اداء الفضل وانما اختلفوا في اداء الردي عن الجيد في ذوات الامثال نحو ان يودي
خمسة دراهم زيوف عن خمسة جياد قال ابو حنيفة وابو يوسف لا يحل له ان يفعل ذلك ولكن
اذا فعل فليس عليه فضل يلزمه الاداء لان الجودة لا تتقوم في حقوق الادميين فكذلك في حقوق حق ع
الله تعالى وقال محمد عليه ان يودي فضل ما بينهما لانه لا يربا بين العبد وسيده وفي قوله تعالى
الا ان تغمضوا فيه دلالة جواز اخذ الردي من الجيد في الصرف والسلم وجواز بيع الفضة الجيدة
بالردية وزنا بوزن قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** المعنى والله تعالى اعلم الشيطان يخوفكم الفقر بالنفقة
في وجوه البر وانفاق الجيد من المال ويامركم بالمعصية وهي منع الزكوة وانفاق الردي من
المال في الواجبات وانما سمي منع الزكوة فحشا لان العرب تسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا
ويقال انما سمي بهذا الاسم لما في ذلك من التقاطع فان الغني اذا ترك الانفاق على ذوي الحاجات
من اقاربه وجيرانه ادى ذلك الى القطيعة **وقيل** والله يعدكم اي يعدكم مغفرة لذنوبكم
بالانفاق من خيار المال وفضلا اي خلفا في الدنيا والاخرة والله واسع عليم يوسع الرزق والخلف
والمثوبة ويعلم حيث ينبغي ان تكون السعة **وروي** عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انهما قالا اثنتان من الله واثنتان من الشيطان فمن الله المغفرة والفضل و
من الشيطان الفقر والفحشا قوله عز وجل **يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب** اختلفوا في تفسير الحكمة قال ابن مسعود رضي الله
عنه هي القرآن وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هي علم ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله **وقال** السدي رحمه الله هي النبوة وقال قتادة

رحمه الله

رحمه الله هي الفقه وقال مجاهد وابرهيم رحمهما الله الاصابة والفهم وقال الربيع رحمه الله هي خشية
الله تعالى ويقال هي العلم بوسوسة الشيطان في عدة الفقر والامر بالفحشا وكل هذه الاقاويل محتمل
لان الحكمة في اللغة فعلة من احكام الشيء وهو كل ما تشهد العقول بصحته وتخضع لرفعته
وقيل ومن يوت الحكمة اي من يعط العلم فقد اعطي خيرا كثيرا يصل به الى رحمة الله تعالى لان
نعم الدين اعظم من نعم الدنيا اذ الدنيا فانية ونعم الدين تدوم وتبقى والعلما باقون ما بقي الدهر
اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة **وحكي عن بعض الحكما** رحمه الله انه كان يقول
سمى الله تعالى العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا فينبغي لمن اعطي العلم ان يعرف قدر نفسه ولا
يتواضع لاصحاب الدنيا لدنياهم **وقيل** وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتفكر فكرا يتعظ به
الا ذوو العقول وسمي العقل لبا لانه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها و
الله تعالى اعلم قوله عز وجل **وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله
يعلمه وما للظالمين من انصار** معنى الاية والله تعالى اعلم ما تصدقتم من صدقة او عقدتم
على انفسكم فعل بر مثل صلوة او صدقة او صوم فان الله عز وجل لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي
عليه وليس للمشركين من مانع في الاخرة مما يراد بهم من العذاب فان ناصر الانسان هو الذي يدفع
عنه او يعينه على عدوه ويقال ومعنى وما للظالمين ليس لمن وضع الصدقة في غير موضعها
اما بالريا او بالمن والاذى من ناصر ينصره والهاء في قوله عز وجل يعلمه راجع الى الاسم الذي في
قوله تعالى وما انفقتم من نفقة لانه في تقدير اي شي انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر ثم
ذكر الله عز وجل صدقة السر والعلانية بسوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهما
افضل فقال جل وعز **ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا
فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** معناه ان تظهروا الصدقات
فنعم الشي صدقة العلانية وان تسروها وتعطوها الفقرا فهو خير لكم من العلانية وكلاهما مقبول
منكم ويكفر عنكم من ذنوبكم بقدر صدقاتكم والله بما تعطون من الصدقة عالم يجزيكم به **ذهب**
الحسن وقتادة الى ان الاخفا في كل صدقة افضل مفروضة كانت او تطوعا **وقال** ابن عباس
ان صدقة التطوع اخفاوها افضل ليسلم به من الريا واما المفروض من زكوة الاموال
الظاهرة لا يلحقه الريا ويلحقه بالاخفا تهمة المنع فيكون اظهاره افضل كما في الصلوات الخمس و
الجمعة والاعياد والى هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال افضل صلوة المرء في بيته
الا المكتوبة يدل على صحة هذا القول انه لا خلاف ان العامل اذا جاء قبل ان يودي رب المال
صدقته فطالبه باداها ان الفرض عليه اداوها في هذه الحال **وذهب بعضهم** الى ان الاخفا
في الصدقات كلها كان احسن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يظن بهم
منع الزكوة فاما في زماننا فبخلافه **واما القراة** في فنعما هي بكسر النون والعين وبنصب النون وكسر
العين وبكسر النون وتسكين العين كل ذلك لغات **واما** قوله عز وجل ونكفر من قرا بجزم الرا فلانه
جواب الشرط عطفا على موضع الفا من قوله تعالى فهو كما في قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين
ومن قرا برفع الرا كان عطفا على موضع ما بعد الفا فيكون الفا في حكم الاستيناف لما بعده
كما في قوله عز وجل من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم ويقرا ويكفر بالياء ورفع الرا قوله عز وجل
**ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون**

الألوكة
www.alukah.net

رخصة من الله تعالى في التصدق على فقراء اهل الكتاب والمشركين حين سال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ايجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق على ذوى قراباتنا من غير اهل ديننا قال عبد الله بن عباس اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضا وكانت معه اسما بنت ابي بكر فجاءتها امها قتيلة وجدتها ابو قحافة يسالونها الصلة والعطية فقالت لا اعطيكم شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم لستم على ديني فسالته فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال محمد بن الحنفية كان يكبر على المسلمين التصدق على اليهود والنصارى فامروا بذلك في غير فريضة ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم تحصيل الثواب لهم بان تمنعهم الصدقة لتحملهم على الايمان ولكن الله تعالى يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشاء ممن كان اهلا له وما تنفقوا من مال على بر او فاجر فلانفسكم ثوابه اى ذخره ونفعه عايد اليكم فلا تمنوا به على غيركم ومعنى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اى علم الله عز وجل انكم لا تريدون بنفقتكم الا طلب مرضاة الله عز وجل وان كان المتصدق عليه كافرا وانما وضع الوجه موضع الرضوان لمعنيين احدهما لتحقيق الاضافة لان ذكره يرفع الايهام انه له او لغيره والثاني ان الوجه اشرف الشي فاذا اريد تشريف الشي ذكر بالوجه ومعنى وما تنفقوا من خير اى ما تصدقوا من مال يوف اليكم ثوابه في الاخرة وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم وصدقاتكم وظاهر هذه الاية يقتضي جواز دفع الصدقات الى الكفار الا ان النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكوة بقوله امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم واردها في فقرايكم وذهب الحسن والزجاج في معنى قوله ليس عليك هداهم اى ليس عليك ان تحمل الكفار على النفقة في وجوه البر فيكون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على امتناعهم من الايمان والانفاق قوله عز وجل للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم قيل معناه ما انفقتم من نفقة للفقرا ويقال معناه عليكم بالنفقة للفقرا الذين حبسوا في طاعة الله تعالى اى حبسهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف وهولا اصحاب الصفة حبسوا انفسهم في طاعة الله لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نحوا من اربعماية رجل لم تكن لهم مساكن ولا عشاير كانوا معتكفين في المسجد في صفته قالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله تعالى على الصدقة عليهم فكان الرجل اذا كان عنده فضل اتاهم به ومعنى لا يستطيعون ضربا في الارض الزموا انفسهم تعلم الشريعة وفرض الجهاد فمنعهم ذلك من السفر للكسب بالتجارة فسالهم لا يقدرون على ذلك كما يقال امرني الوالي ان اقيم فما اقدر ان ابرح اى الزمت مقامي طاعة فلا اقدر لا انه لا يقدر على الحركة والضرب في الارض هو السير قال ضربت في الارض ضربا ومضربا اذا سرت فيها وكان السدي يقول احصروا في سبيل الله منعهم الكفار بالخوف منهم فلا يستطيعون تصرفا في الارض يمنع الكفار اياهم عن ذلك وقيل هذا لا يصح لانه لو كان كذلك لقال حصروا بغير الالف واما قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اى يظنهم الجاهل بامرهم وشانهم اغنياء من التعفف لتجملهم باللباس وكفهم عن المسالة والتعفف يذكر ويراد به ترك المسالة كما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله تعالى ومعنى تعرفهم بسيماهم اى تعرفهم انت يا محمد صلى الله عليه وسلم بعلامة فقرهم فيهم جهدا لفاقة ورثاثة الهيئة ورثاثة الحال وقال

في معنى

تعالى

تعالى منه طاعتهم من اصفرار الوجوه وانكسار البدن بقيام الليل وصيام النهار واما قوله عز وجل لا يسالون الناس الحافا فقال ابن عباس معناه الحاحا وعن الحاح اى ليس لهم سوال فيكون الحافا ولذلك لو على هذا القول ليس وجه احدهما قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اى من القناعة ولو كانوا يسالون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنيا والثاني من قوله عز وجل تعرفهم بسيماهم ولو كانوا يسالون لكان يعرفهم بالسوال الا بالسيما واما يسمى الملح ملحفا لانه يلصق بالمسول ويشتمل على وجوه الطلب في المسالة كاشتمال اللحاف ومعنى وما تنفقوا من خير اى من مال فان الله به عليم يجازيكم به وفي الاية دلالة على ان من له ثياب للكسوة وان قيمتها كثيرة يشبه ظاهر حاله احوال الاغنيا لا يمنع ذلك من دفع الزكوة اليه اذا كان عند المتصدق انه فقير لا يملك كمال الزكوة لان الله عز وجل امر باعطا الزكوة ودفعها الى من كان ظاهر حاله يشبه حال الاغنيا وفيها دليل على جواز دفع الزكوة الى الصحيح الجسم لان هولا اصحاب الصفة كانوا من المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الغنى الذي يوجب تحريم الصدقة في الشرع ان يفضل ملكه عن مسكنه وكسوته وخادمه وما يحتاج اليه ما يساوي مايتي درهم وان كان اقل من مايتي درهم حلت له الصدقة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اخذ الصدقة من اغنيايكم واردها في فقرايكم ثم قال وفي مايتي درهم خمسة دراهم وليس فيما دونها شي فجعل الناس صنفين اغنيا وفقرا وجعل الغني من في ملكه هذا القدر لان الصدقة لا تجب على من ملك ما دونه واما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سال الناس عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم قيل يا رسول الله وما ظهر غناه قال ان يعلم ان عند اهله ما يغديهم ويعشيهم وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ونحو ذلك من الاخبار فهو محمول على تحريم السوال يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم الصدقات اذ جاء رجلان يسالانه ان يقسم لهما فرفع راسه اليهما وقال اما انه لا حظ لكما ولو شيتما اعطيتكما فلولا ان المراد بقوله لا تحل حرمة السوال دون جواز الدفع لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم اعطيتكما معنى ولا فايدة قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال عبد الله بن عباس ومقاتل نزلت هذه الاية في امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كانت له اربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل معنى ينفقون اموالهم بالليل والنهار اى يداومون على الانفاق والصدقة قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ينفقون على هذا الوجه حتى نزل فرض الزكوة فمن شا اقتصر على تلك العدة واراد بهذا والله اعلم ان الصدقة لم تكن مقدرة في المال يومئذ ثم صارت مقدرة بنزول فرض الزكوة فمن شا اقتصر على ذلك القدر ومن شا زاد عليه وعن مكحول رضي الله عنه انه قال في هذه الاية هم الذين يرتبطون الخيل عدة في سبيل الله تعالى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنفق على فرسه في سبيل الله عز وجل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها قوله عز وجل الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما بين ما للمتصدق من طيب ماله من عظم الاجر والثواب بين بعد ذلك ما لا يطلب من التجارة وذكر عقوبة اكلة الربا فقال جل ذكره الذين ياكلون الربا اى الذين ياكلونه في الدنيا لا يقومون في الاخرة من قبورهم لعظم بطونهم الا كما يقوم في

الربا الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس اي من الجنون وروي انهم يبعثون يوم القيمة وقد انتفخت بطونهم كلما
قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين قال الحسن رضي الله عنه هذه علامة اكلة الربا يعرفون
بها يوم القيمة وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بانهم قالوا انما البيع مثل
الربا كان الرجل اذا حل ماله طلبه فيقول المطلوب زدني في الاجل كذا وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا
قيل لهم ان هذا ربا قالوا هما سوا الزيادة في اخر البيع بعد الاجل كالزيادة في اول البيع اذا بعت بالنسيئة سواء وليس
الامر على ما توهموه لان الزيادة في الثمن في اول البيع قبل الاجل لا تعاد في الاجل بعد ما صار الثمن في الاصل دينا في الذمة
يكون عوضا عن الاجل والاعتياض عن الاجل باطل واما الزيادة في الثمن في اصل العقد يكون مقابلة المبيع ويجوز
بيع المبيع بثمن قليل وثمن كثير وقد بين الله عز وجل في الاية ان ذلك القول جهل منهم بما وضع الله تعالى من الشريعة
عليه من مصالح الدين والدنيا وان الامر بالشرع لا بالقياس في موضع النص فقال واحل الله البيع وحرم الربا اي احل
الله تعالى الزيادة في اول البيع وحرم الزيادة الاخيرة فمن جاءه موعظة اي نهي وزجر من ربه عن الربا فانتهى
عنه فله ما مضى من اكل الربا قبل النهي ولا اثم عليه في ذلك وامره فيما بقي من عمره الى الله عز وجل ان شاء عصمه
وان شاء لم يعصمه ويقال معنى فله ما سلف لا يصادر بما اخذ من الربا قبل التحريم وامره الى الله في المستقبل في العفو
والتجاوز عنه واما التذكير في قوله جاءه موعظة لان تانيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيرها ويجوز ان ينصرف
الى المعنى كانه قال فمن جاءه وعظ او نهي من ربه عن الربا ومعنى ومن عاد قال بعضهم من عاد الى اكل الربا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون الى ما شا الله تعالى ويقال من عاد بعد النهي الى قوله انما البيع مثل الربا
فاولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون لان مستحل الربا كافر لانكاره اية من كتاب الله تعالى والربا في اللغة
عبارة عن الزيادة ومنه الرابية والربوة من الارض اذا كانت زايدة على ما حولها ويقال اربى فلان على فلان
في القول والفعل اذا زاد عليه فاما الربا في الشرع فهو على ضربين احدهما ربا الفضل وهو الزيادة في احد البدلين
المقدرين من جنس واحد استدلالا بالخبر الوارد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا الى اخر الخبر وهو معروف عند الفقها رحمهم الله
والاخر ربا النسا ولا يكون ذلك الا بالنسيئة في احد البدلين لا اذا كان البدلان من جنس واحد مثل الثوب
الهروي بالهروي واتفقا في قدر الثمنية والمقدرية مثل الحنطة بالشعير كما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم يدا بيد ولا خير فيه نسية والى هذا ذهب اصحابنا
رحمهم الله وكانت العرب تعقد في بعض الدراهم والدنانير الى اجل زيادة على مقدار القرض على ما يتراضون
عليهم ربا ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد ربا وان كان متفاضلا من جنس واحد فاسم الربا شرعي في معنى
اللغة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ان اية الربا من اخر ما نزل من القران وقبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبين لنا كثيرا منه فان من الربا ابوابا لا تكاد تخفى على ذي لب منها السلم في السن وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا فان لم
ياكله اصابه من غباره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده
اذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ويروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الربا بضع وسبعون بابا ادناهن كاتيان الرجل امه واما الخبط في اللغة فهو الضرب على غير
استوا يقال خبط البعير اذا ضرب بيده قال زهير رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطي
يعمر فيهرم وخبط الشجرة ضربها بالعصى ليسقط ورقها والمس الجنون يقال رجل ممسوس اي مجنون
وفلان مس اي جنون قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار
اثيم معناه يهلك الله الربا ويذهب بركته والمحق نقصان الشي حالا بعد حال يقال محقه الله محقه

محقا

محقا فانمحق وامتحق اي هلك ومال الربا ينقص حالا بعد حال الى ان يتلف كله وقيل ان مال اكل الربا
لا يخلو من احد وجوه تلف اما ان ينفقه فيما لا يصلح او يذهب حرقا او يذهب عن ولده ومعنى ويربي
الصدقات يقبلها ويعطي خلفها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الاخرة من واحد الى عشرة الى سبعين
الى سبعماية الى ما شا الله من الاضعاف كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقبل
الصدقات ولا يقبل منها الا الطيبة ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى ان اللقمة
تصير مثل احد ومعنى والله لا يحب كل كفار اثيم اي يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص باكله
واستحلاله وانما قال كفار اثيم ولم يقل كافر ليبين ان مستحل الربا مع كونه كافرا كفار للنعمة والاثيم
المتمادي في الاثم والاثم الفاعل للاثم قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه ان الذين
امنوا بالله وكتبه ورسله وبتحريم الربا وعملوا الصالحات الطاعات فيما بينهم وبين ربهم واقاموا الصلوة
الخمس بما يجب من حق الله عز وجل فيها واعطوا الزكوة المفروضة من اموالهم لهم جزاؤهم وثوابهم في الاخرة
عند ربهم ولا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا اطبقت النار على اهلها وانما جمع الله تعالى
بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحد منها فانما يستحق على جملتها اذ لو كان كذلك
لكان فيه تصغيرا من كل واحد منها ولكن جمع بينها للترغيب في كل واحدة منها وهذا كما قال الله عز
وجل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما الى اخر الاية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد لا لان الوعيد على مجموع هذه الخصال
دون احادها اذ لو كان كذلك لكان فيه توهين كل واحدة منها ولكن جمع بينها ليبين ان الوعيد يلحق
الانسان بفعل كل واحدة منها قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا ان كنتم مومنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نفر من ثقيف مسعود
وحبيب وربيعة وعبد ياليل بني عمرو بن عمير الثقفي كانت لهم ديون على بني المغيرة وكانت بنو المغيرة
يربونهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على اهل مكة وضع الربا كله وكان اهل الطايف قد صالحوا
على ان لهم رباهم على الناس ما حدوه وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يوخذ منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب في اخر كتابهم ان لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين
فلما حل الاجل كتب ثقيف الى بني المغيرة يطلبون رباهم فقالت بنو المغيرة ما بالنا نكون اشقى
الناس وضع الربا عن الناس كلهم وهو علينا خاصة فقالت لهم ثقيف انا صالحنا على ان ربانا لنا
وما كان علينا من ربا فهو موضوع فخاصموهم الى اميرهم وهو عتاب بن اسيد فلم يدر ما ذا يقضي
بينهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فانزل الله تعالى هذه الاية خطابا
لثقيف يعني اخشوا الله تعالى وذروا ما بقي من الربا فانه لم يبق غير رباكم ان كنتم مومنين اي من
كان مصدقا بتحريم الربا فهذا حكمه وفي الاية دليل ان كل ما طرا على عقد البيع قبل القبض ما يوجب
تحريم ذلك العقد اوجب فسخه نحو النصرانيين يتبايعان في الخمر فيسلم احدهما قبل قبض الخمر و
المسلمين يتبايعان في الصيد ثم يحرم احدهما قبل قبض الصيد فانه ينفسخ البيع ولو كان الصيد
والخمر مقبوضين ثم احرما او اسلما لم يبطل البيع لان الله تعالى انما ابطل في هذه الاية من الربا ما لم يقبض
قوله عز وجل فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا
تظلمون ولا تظلمون اي هذه الاية تحتمل معنيين احدهما ان لم تقبلوا امر الله تعالى ولم تقروا بتحريم
الربا ولم تتركوه فاعلموا انكم كما حاربكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي يعذبكم الله تعالى في الاخرة

الألوكة

بالناس وبعدكم رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالسيف والاذن العلم يقال اذن يأذن اذنا اذا
علم ومن قرأ فآذنوا بالمد فمعناه فاعلموا اصحابكم المتمسكين بمثل ما انتم عليه ان من عامل بالربا مستحلاً
له حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى الثاني ان لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول الامر
بتركه فاذنوا بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك لا يوجب الاكفار لان لفظ محاربة
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يطلق على ما دون الكفر كما في اية قطاع الطريق وهذا الحكم في اهل الربا
انما يستقيم اذا اجتمع اهل بلدة او قرية لهم منعة او قوة على المعاملة بالربا وكانوا محرمين له فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم فاما اذا عامل واحد او جماعة قليل عددهم معاملة الربا فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا زجرهم وعزرهم وحبسهم الى ان يظهروا توبتهم وقد روي عن عبد الله بن
عباس وقتادة والربيع بن ابي ... ان الامام يستتيبه فان تاب والا قتله وهذا محمول على ان يفعله
مستحلاً له لانه لا خلاف بين اهل العلم انه ليس بكافر اذا اعتقد تحريمه **ومعنى** وان تبتم فلكم رؤس
اموالكم اي ان رجعتم عن استحلال الربا واقررتم بتحريمه وقيل ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤس اموالكم
التي اسلفتموها في العقد لا تظلمون بطلب الزيادة على اصل المال ولا تظلمون بحبس راس مالكم وفي
قوله عز وجل ولا تظلمون دليل ان المطلوب اذا امتنع من اداء راس المال مع القدرة عليه كان ظالما و
لهذا قالوا ان المديون يحبس في الدين **وقد روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مطل الغني ظلم
وروي انه قال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومعلوم انه لا يستحق الضرب بالاجماع فلم يبق
الا الحبس **قال** عبد الله بن عباس لما نزلت هاتان الايتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عتاب فقرأها على ثقيف فقالوا بل نتوب الى الله عز وجل فانه لا يدان لنا بحرب الله عز وجل و
حرب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم طلبوا رؤس اموالهم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فاخرونا الى ان تدرك الثمار فابوا ان يؤخروهم حتى نزل قوله عز وجل **وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون** معناه ان كان المطلوب ذا ضيق وشدة فاخير
الى سعة ويسار وروي عن ابن عباس وشريح وابراهيم ان الانظار انما يجب في الدين يعني دين الربا خاصة
وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون **وروي** عن ابي هريرة والحسن والضحاك ان ذلك واجب في
كل دين وهذا هو الاصح والله تعالى اعلم لان نزول الاية في راس مال الربا لا يمنع اعتبار ساير الديون به
بالاستدلال والقياس **وذهب** بعض اهل النحو الى ان الرفع في قوله ذو عسرة دليل على انه ابتداء على
معنى وان وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة يقال قد كان الامر اي وقع الامر ولو كان هذا مختصا بالربا
لقال وان كان ذا عسرة بالنصب ويحتمل ان يكون تقديره الرفع وان كان ذو عسرة غريما لكم وفي قراءة ابي
بن كعب رضي الله عنه وان كان ذا عسرة اي كان المطلوب ذا ضيق وشدة **والنظرة** مصدر يقال انظرته
انظره اي بتاخير ومن قرأ فناظره فهو من اسماء المصادر ايضا كما في قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقوله
عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة ومن قرأ ميسرة بضم السين فهو لغة في الميسرة **ومعنى** وان تصدقوا خير
لكم اي ان تصدقوا براس المال فهو افضل لكم ان كنتم تعلمون ثواب من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
تعالى يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله وفي الاية دليل على ان للامام ان يتعرف عن احوال المحبوسين على ما قالوا
ان كل من ثبت عليه حق حبسه الامام فانه يسال عنه بعد شهرين او ثلثة فان كان موسرا تركه في الحبس
ابدا الى ان يقضي الحق وان كان معسرا خلى سبيله • وذكر ابن رستم عن محمد عن ابي حنيفة رحمه الله ان
المطلوب اذا قال انا معسر واقام البينة على ذلك وقال يسال عن حاله قال لا اسال عنه احدا والجواز ان له
مالا اخفاه فاحبسه شهرين او ثلاثة حتى يضجر فيعطي المال ان كان له مال ثم ان لم يظهر له مال خلى سبيله

يستتيبهم

ع

عنه الا ان يكون معروفا بالعسر فلا احبسه **كما روي** ان رجلا اتى عليا كرم الله وجهه بغريمه
وساله حبسه فقال هات بينة على ماله احبسه قال فاني اذا الزمه قال ما صنعك من لزومه
وقال الشافعي يباع على الغريم ما ظهر من ماله ويحبس اذا بقي عليه من الدين شيء فان يحلف اي
بالبينة على اعساره قبلت بينته وحلفه على ذلك بالله ما لك شيء سوى ما ظهر عليك فاذا
حلف منعت غرماءه من لزومه وليس في هذه الاية ما يمنع الملازمة بعد ظهور الاعسار
لان النظرة تقتضي النظر وفي اخراج المطلوب من الحبس مع الملازمة نظر لهما لكي يستوفي
صاحب الحق حقه من كسبه اذا وجد فيه فضلا عن نفقته **وقد روي** عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ابتاع بعيرا من اعرابي بتمر الى اجل فلما حل الاجل اتاه الاعرابي يتقاضاه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتنا وما عندنا شيء فجعل الاعرابي يقول واغدراه فهم عمر
رضي الله عنه ان يضربه فقال صلى الله عليه وسلم دعه فان لصاحب الحق مقالا وفي بعض الروايات
نادى الي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان لصاحب الحق اليد
واللسان وفي قوله عز وجل وان تصدقوا دليل على ان الصدقة افضل من القرض لان القرض يرجع
المال بتاخير الاسترجاع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قرض مرتين صدقة مرة
قوله عز وجل **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**
تحذير من الله عز وجل ان يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في امر الله تعالى
ومخالفته فيما احل وحرم يقول احذروا عذاب يوم ترجعون فيه الى جزاء الله تعالى ويقال الى
ملك الله تعالى فلا يكون لكم يومئذ عليكم نصرة ولا شفاعة **ومعنى** وصف الناس بالرجوع
اليه في ذلك اليوم اي حالهم اخرا وان لا يملك احد ضرهم ولا نفعهم الا الله تعالى يعود الى مثل
ما كان عليه حالهم اولا في بطون امهاتهم كان لا يملك ضرهم ولا نفعهم الا الله ثم بعد البروز في
حال الرضاع والفطام والنشو والبلوغ ملك بعضهم ضر بعض ونفع بعض في ايام الدنيا ثم رجع
الامور كلها الى الله عز وجل في اليوم الاخر وهو يوم القيمة **ومعنى** ثم توفى كل نفس ما كسبت
يوفر على كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في
سيئاتهم قال ابن عباس رضي الله عنه هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القرآن وذلك انه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو واقف بعرفة بقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم ثم نزل بعد ذلك هذه الاية واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال يا رسول الله
ضعها على راس ثمانين ومائتي اية من سورة البقرة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الاية بسبعة ايام قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب و
ليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا
اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله و
الله بكل شيء عليم** روي عن عبد الله بن عباس ان الكتاب كانوا على عهد رسول الله صلى الله

شبكة الألوكة

عليه وسلم قليلا فامر الله الناس في بيعهم وشرائهم بالكتابة المعادلة بينهم وكان يقول اشهد ان السلف
المضمون الى اجل معلوم واخلفت اطول اية من كتاب الله تعالى فتلا هذه الاية وظاهر الاية على
كل دين من سلم او غيره ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما تقدم امر الدين اذ هو من باب المداينة
والمناجزة فذكر الله عز وجل المداينة المباحة وامر بالكتابة ومعنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين
صدقوا بتوحيد الله تعالى اذا تبايعتم بالنسيئة الى وقت معلوم فاكتبوا الدين باجله واشهدوا عليه
كيلا يحدث في نفس احدكم الطمع في مال صاحبه ولا يقع الشك في مقداره والتداين تفاعل من المداينة
وهو فعل الاثنين في سبب الدين وانما قال عز وجل بدين ولا يكون التداين الا بدين لانه قد يكون
بمعنى تجازيتم في الدين وهو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ عن الاشتراك
وجاز ان يكون على وجهة التاكيد كما يقال ضربت ضربا وشتمت شتما ولا فرق بين قولك دينا وبين
قولك بدين كما لا فرق بين قولك كلمت فلانا كلاما وبين قولك بكلام واختلفوا في هذه الكتابة انها
فرض او ندب فذهب ابو سعيد الخدري والحسن والشعبي رضي الله عنهم ان الكتابة والاشهاد على
الديون الآجلة كانا واجبين بهذه الاية ثم نسخا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لا والله ان اية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع وكعب وهذا هو الاصح والله
اعلم لان الامر بالكتابة والاشهاد انما ورد مقرونا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا ولم يثبت تاريخ
بين نزول هذين الحكمين ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شيء واحد وكان المراد بالامر الندب
والفائدة في قوله عز وجل الى اجل مسمى بيان وجوب اعلام الاجل فان جهالة الاجل في البياعات يفسدها
واما قوله عز وجل وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي ليكتب الصك بين المتداينين كاتب بالحق لا يزيد على الحق
على المطلوب ولا ينقص عن حق الطالب ومعنى ان يسأل الكاتب اذا كتب ان يكتب على حد العدل والاحتياط
في كتبه الشروط الصحيحة والتحرز عن العبارات المحتملة للمعاني المشتركة لتخرج الكتابة من اختلاف الفقهاء
ووجوه الاحتمال حتى يحصل بذلك معنى الوثيقة ولذلك قال عز وجل ولا يأب كاتب ان يكتب كما
علمه الله اي لا يمتنع ان يكتب كما الهمه الله تعالى شكرا لما انعم الله تعالى عليه حيث علمه الله عز وجل
الكتابة واحوج غيره اليه فليكتب وقد اختلف السلف رحمهم الله في وجوب الكتابة على الكاتب
قال الشعبي هو واجب على الكفاية كالجهاد ونحو ذلك وقال السدي هو واجب على الكاتب في حال فراغه
وقال الضحاك كانت الكتابة واجبة في ذلك الوقت ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
والصحيح ما تقدم ان الكتابة غير واجبة والاصل على المتداينين فاذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون
واجبة على الاجنبي الذي لا حكم له في هذا العقد ولا سبب له فيه غير ان المتداينين اذا قصدوا الى ما
ندبهم الله تعالى اليه من الاستيثاق بالكتاب ولم يكونوا عالمين بذلك كان على من علم ذلك ان يبينه
لهم وليس عليه ان يكتبه لهم ولكن يبين حتى يكتبوه او يكتبه اجيرا او متبرعا باملاء من يعلمه كما لو اراد
انسان ان يصوم صوم تطوع او يصلي صلوة تطوع ولم يعلم احكامهما كان على العالم بذلك ان يبينه له لان
لان على العلماء بيان النوافل اذا سئلوا كما ان عليهم بيان الفرض واما قوله عز وجل وليملل الذي عليه الحق
اي ليقل على الكاتب حتى يكتب والاملال والاملاء بمعنى واحد مثل التقضض والتقضي والتظنن والتظني
واما قوله عز وجل وليتق الله ربه اي ليخش الله تعالى الذي عليه الحق في الاملاء ولا ينقص من حق الطالب شيئا
وفي هذا اثبات جواز الاقرار وبيان ان كل من اقر بشيء لغيره كان القول قوله في ذلك اذ لولاه لم يكن للوعظ
في ترك البخس معنى كما تقدم ذكره في قوله عز وجل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن واما قوله
تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها ضعيف العقل جاهلا بشروط الاملاء لا يميز تمييزا صحيحا او

صعيفا

اوضعيفا في العقل مثل الصبي والمراة او كبير السن او لا يستطيع ان يمل هو لمرض او خرس او لا يقدر على ذلك
لغيبته فليملل وليه الذي يقوم بامره بالعدل بالحق وقد احتج ابو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله في
اثبات الحجر على السفيه بان الله تعالى اجاز لولي السفيه الاملال عليه في هذه الاية وهذه الاية
مشتركة الدلالة لان في مضمونها جواز مداينة السفيه لقوله عز وجل اذا تداينتم بدين الى قوله عز وجل
فان كان الذي عليه الحق سفيها وهذا حجة لابي حنيفة رحمه الله وانما خالف بين السفيه وبين غيره
في الاملال لنقصان فهمه عما له وعليه على ما تقتضيه شروط الوثيقة وقد قالوا ان المراد بقوله
عز وجل فليملل وليه ولي الدين اي ليكن هو الذي يملي الكتاب حتى يعز به المطلوب الذي عليه الدين
ومن الدليل على صحة هذا القول انه لا خلاف ان اطلاق اقرار ولي المحجور عليه بالسفه لا يجوز الا ان يكون
في مقابلة مال السفيه فعلم ان المراد بهذا ولي الدين والله اعلم واما قوله عز وجل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم اي اشهدوا على الحق شهيدين من رجالكم من الاحرار البالغين المؤمنين دون
الكفار والعبيد وفي الاية ما يدل على هذه الشرائط في الشهود لان اول هذه الاية خطاب للمؤمنين
وقوله تعالى من رجالكم دليل ان البلوغ شرط في الشهادة وفي عطف هذا اللفظ على التداين و
الاملاء دليل ان الحرية شرط في الشهود لان العبد لا يملك المداينة الا باذن المولى واذا اقر بشيء لم يجز
اقراره الا باذن مولاه واما قوله عز وجل فان لم يكونا رجلين اي ان لم يكن الا ان تشهدان رجلين ورجل م
فليشهد رجل وامراتان او رجل وامراتان شهيدان لان وجه قوله عز وجل وامراتان بدل قوله
عز وجل واستشهدوا شهيدين فلولا ان اسم الشاهدين يشترك فيه رجلان او رجل وامراتان جميعا
لم يصح ان يضمر بقوله عز وجل فرجل وامراتان بل كان يجب ان يقول واستشهدوا رجلين فان لم
يكونا فرجل وامراتان الا ترى انه لا يصح ان يقال اعتق رقبة عبدا فان لم يكن فصيام شهرين لان اسم
الرقبة اسم الرقبة العبد والامة جميعا لا يقع على الصيام كما يقع على العبد ويصح ان يقال اعتق رقبة
عبدا فان لم يكن فامة لانه يشترك في اسم الرقبة العبد والامة جميعا وليس شهادة رجل وامراتين من
الابدال التي لا تصح مع القدرة على الاصل مثل قوله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا ونحو ذلك لانه
لا خلاف في جواز شهادة المراتين ورجل مع وجود رجلين فعلم انه لم يرد به اقامة شهادة المراتين
مقام رجل عند عدم الرجلين وانما اراد تسمية الرجل والمراتين شهيدين فيكون ذلك سماعا شرعيا
مع اعتبار فيما امر به بشهادة شاهدين الا فيما قامت الدلالة عليه من الحدود والقصاص
وفي الاية ما يدل على جواز شهادة رجل وامراتين في ابدال المنافع والاعيان نحو الاجرة والمهر وبدل
الخلع والصلح من دم العمد الى اجل لانه دين يتعلق به مداينة لان لفظ الاية يقتضي عقودا اشتملت
على دين من جهة احد البدلين لا من البدلين لان الله تعالى قال اذا تداينتم بدين ولم يقل بدينين وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين بالدين ومعنى ممن ترضون من الشهداء اي ممن ترضون
عدالته وامانته وهذا القيد يدل على ان من الشهود من لا يرضى كان فيهم من يرضى والمرضي من
يجتمع فيه ثلاثة اشياء احدها العدالة واصلها الايمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله
تعالى من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة واداء الامانة والثاني نفي التهمة وهو ان
لا يكون للمشهود له والدا ولا ولدا ولا زوجا ولا زوجة للشاهد وان لا يكون الشاهد شهد
بهذه الشهادة فردت شهادته للتهمة فان شهادة هولاء غير مقبولة لمن ذكرنا وان كانوا
عدولا مرضيين في الحالة والثالث نفي الغفلة وذلك ان لا يكون الشاهد ممن
يلقى فيتلقن ويجوز عليه التزوير فيشهد به فقد روى ابن رستم عن محمد في رجل صوام قوام مغفل
شام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه

يحتمل ان يلقى فياخذه فالا هذا شر من الفاسق في شهادته واما قوله عز وجل ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فمعناه والله اعلم لان تنسى احديهما فتذكرها التي حفظت تقديره لان تذكر الذاكرة الناسية ان نسيت فيكون الجزا مقدما في المعنى وهذا كما يقال ليعجبني ان يسال السايل فيعطى اي يعجبني الاعطا ان سال السايل ويقال اعددت هذا ان يميل الحايط فادعمه وانما اعددته للادعام لا للميل لكن ذكر الميل لانه سبب الادعام كما ذكر الضلال هاهنا لانه سبب الاذكار ومن قرا ان تضل فتذكر بكسر الالف وضم الرا على معنى الابتدا والشرط وموضع تضل جزم بالشرط وجواب الشرط بالفا فمقتضى الرفع وقيل في تفسير القراتين ان امتنعت احدى المراتين عن ادا الشهادة تعظها الاخرى حتى تشهد ومن قرا فتذكر بالتخفيف فالاذكار والتذكير بمعنى واحد يقال اذكرت فلانا وذكرته بمعنى واحد وقيل في معنى التخفيف تجعلها ذكرا اي يقومان مقام رجل واحد وقد اعترض على هذا القول وقيل ان في الاية تعليق الاذكار من النسيان وقد ورد على وفق هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت من ناقصات العقل والدين اذهب بعقول ذوي الالباب منكن فقالت امراة ما نقصان ديننا قال صلى الله عليه وسلم تقعد احداكن شطر دهرها لا تصوم ولا تصلي فقالت ما نقصان عقلنا فقال صلى الله عليه وسلم اقيمت شهادة امراتين منكن مقام شهادة رجل واحد وفي الاية دلالة ان الشاهد وان عرف خطه لا يجوز له ان يشهد على ذلك الا ان يكون ذاكرا للشهادة واما قوله عز وجل ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا اي لا يمتنع اذا دعوا الى اقامة الشهادة عند الحاكم او الحكام واما من قال معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة في الكتاب ذهب الى ان تحمل الشهادة فرض على الكفاية واما قوله عز وجل ولا تساموا اي لا تملوا ان تكتبوا الحق قليلا كان الحق او كثيرا الى محله يقال سامت اسام سامة اذا مللت قال الشاعر

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ۞ ثمانين حولا لا ابا لك يسام ۞

واما قوله عز وجل ذلكم اقسط عند الله اي الكتاب اعدل عند الله احصى للاجل واحفظ للشهادة واقرب الى ان لا تشكوا في مقدار الحق ومقدار الاجل وفي هذا دليل انه لا يجوز اقامة الشهادة الا مع زوال الريب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع واما قوله عز وجل الا ان تكون تجارة حاضرة فاكثر اهل القراة في التجارة الرفع معناه الا ان تقع تجارة حالة يدا بيد فليس عليكم حرج في ترك كتابة في تلك التجارة ومن نصب التجارة فمعناه الا ان تكون المداينة تجارة وفي هذا توسعة من الله تعالى لعباده لان لا تضيق عليهم امر بياعاتهم في الماكول والمشروب والاشيا التي تمس حاجتهم اليها في اكثر الاوقات ويشق عليهم كتابة جميعها واما قوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم فمعناه اشهدوا على حقوقكم اذا بعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات النفيسة وما يتعلق بها من الحقوق لبعضهم على بعض من عيب يوجد او رجوع بالثمن عند الاستحقاق فاما القدر اليسير الذي لم يجر في العادة التوثق بالاشهاد فيه نحو شرا الخبز والبقل والما وما جرى مجرى ذلك فغير داخل في هذا الخطاب واما قوله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد فيحتمل وجهين احدهما لا يضار الكاتب ولا الشاهد الطالب ولا المطلوب اي لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق فتقديره ولا يضارر بفتح الرا الاولى والثاني على فعل ما لم يسم فاعله اي لا يدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه وكذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه للشهادة يضر به ومعنى وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي ان تقصدوا المضارة تعديتم ما نهى الله تعالى عنها فانه اثم وخروج من امر الله تعالى واتقوا في الضرار ولا تعصوه فيما امركم به ويعلمكم الله تعالى ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شيء من اعمالكم عليم يعلم ما تعملون

في

والكتابة والشهادة قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم ۞ معنى الاية والله تعالى اعلم وان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا يكتب الوثيقة بالحق وفي قراة ابن عباس كتابا يعني الصحيفة والدواة فرهان مقبوضة اي الوثيقة رهان يقبضها الذي له الحق من الذي عليه الحق وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا اي ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق فلم يقبض منه شيئا فليؤد الذي اوتمن امانته وهو المطلوب امانته بان لا يغدر ولا يجحد وليتق الله ربه الذي رباه فيما اوتمن عليه ثم حذر الله تعالى الشهود فقال عز من قايل ولا تكتموا الشهادة اي لا تكتموها عند الحكام ولا تمتنعوا من ادايها ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر سريرته واضاف الاثم الى القلب وان كان الاثم هو الكاتم لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب وهذا ابلغ في الوعيد واحسن في البيان لان كاتم الشهادة يلحقه الاثم من وجهين احدهما العزم على ان لا يؤدي والثاني ترك ادايها باللسان وقوله والله بما تعملون عليم اي بما تعملون من كتمان الشهادة واقامتها واداء الامانة والخيانة فيها عالم لا يخفى عليه شيء مما تعملون وتدعون والرهان مصدر راهنت مراهنة ورهانا وقد يقام المصدر مقام الاسم ويقال ان الرهان جمع الرهن كالكباش والبغال والجبال جمع الكبش والبغل والجبل وقال بعضهم ورهن مقبوضة فصلا بين رهان الخيل والرهن في غيرها واختار الزجاج رحمه الله هذه القراة لموافقته المصحف فان المكتوب في المصحف بغير الف وقال ابو عبيد الرهن جمع الرهن كما يقال سقف وسقف وفرس ورد وخيل ورد وقال الكسائي والفرا الرهن جمع الرهان كما يقال ثمر وثمار وثمر وعن مجاهد انه كان يذهب الى ظاهر هذه الاية وكان يكره الرهن الا في السفر ولا خلاف بين فقها الامصار وعلما السلف في جواز الرهن في الحضر وقد روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما الى اجل ورهنه درعه والفايدة في ذكر السفر في الاية ان الاغلب من حال السفر عدم الشهود والكتاب فخص الرهن بحال السفر والله اعلم وفي هذه الاية دلالة ان الرهن لا يصح الا مقبوضا لان الله عز وجل عطف الرهن على الشهادة وجعله قايما مقامها فلما كان استيفا العدد المذكور والصفة المشروطة في الشهود واجبا في ذلك وجب ان يكون حكم الرهن فيما شرط الله عز وجل له من الصفة والثاني ان الرهن وثيقة للراهن بدينه ولو صح غير مقبوض لبطل معنى الوثيقة وكان بمنزلة ساير اموال الراهن وبكونه عند الرهن والدين جميعا وفي الاية دلالة ان الرهن مضمون لانه عطف الامانة على الرهن والشي لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره والحكمة في الامر بالكتاب والاشهاد والرهن والله تعالى اعلم ان هذه الاحكام كلها من مصالح الدين والدنيا لما في ذلك من صلاح ذات البين و نفي التنازع والاختلاف فان المطلوب اذا علم ان عليه شهودا او كتابا او رهنا في يد الطالب قل الخلاف لعلمه ان الخلاف لا ينفعه بل يظهر بذلك كذبه بشهادة الشهود عليه واذا لم يكن كتاب ولا وثيقة وتجاحد المطلوب حمل جحوده الطالب على مقابلته بمثله حتى ربما لا يرضى بمقدار حقه دون الاضرار به في اضعافه فيودي ذلك الى فساد ذات البين وذهاب الدنيا والدين قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ۞ وقد نبه الله سبحانه عباده على هذا المعنى في تحريم الخمر والميسر حيث قال جل ذكره انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر الى اخر الاية ولهذا ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرر وبيع ما ليس عند الانسان والبياعات المجهولة فمن تادب بادب الله تعالى وانتهى الى اوامره حاز صلاح الدنيا والدين كما قال الله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا الى اخر الايات الثلث اشارة الى وجوب حفظ

الألوكة
www.alukah.net

المال والذي هو نصيبه وهو نظير قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقوله
عز وجل ولا تبذر تبذيرا وقوله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه نهى عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال قوله عز وجل لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في كتمان الشهادة وذهب
جماعة من المفسرين الى انها عامة في الشهادة وغيرها ومعنى الاية والله اعلم ان ما في السموات والارض
كلها لله تعالى وكلهم عبيده وفي ملكه يقضي فيهم ما يشاء وان تظهروا الشهادة او تكتموها ويقال ان تظهروا
العمل بالاحكام التي تقدمت في هذه الاية او تسروه فلا تعملوه يجازيكم الله تعالى به في القيمة ويقال يعرفكم
ما تعملون روي عن عائشة في قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا انه العرض من نوقش الحساب عذب
وقوله عز وجل فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قيل في معناه يغفر لمن يشاء لمن تاب من الذنوب ويعذب
من يشاء لمن اصر عليها فانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاولى ان يقال في ظاهر هذه الاية
ويعذب بالجزم فعلى معنى جواب الشرط قوله تعالى والله على كل شيء قدير فيه ان المسلم المذنب اذا مات
قبل التوبة فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء رحمه وان شاء عذبه ومن قرا فيغفر ويعذب بالجزم فعلى معنى
جواب الشرط واما قوله تعالى والله على كل شيء قدير اي الله تعالى على كل شيء من المغفرة والعقوبة قادر
واختلف اهل التفسير في هذه الاية انها محكمة او منسوخة فذهب بعضهم الى ان المراد بالاية ان تظهروا
ما في قلوبكم او تضمروه في قلوبكم يحاسبكم به الله تعالى لكنها نسخت بما بعدها قالوا لما نزلت هذه الاية
شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة قالوا ان الرجل ليحدث نفسه بامر من المعصية ثم لا يعمل بها
او يعمل بها فهما سوا ايواخذنا قال معاوية بن قرة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقولون كما
قال اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل نقول سمعنا واطعنا فنزلت هذه الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فنسخ ما قبله وعن سفين الثوري انه قال بلغني ان الانبيا عليهم السلام كانوا ياتون قومهم بهذه الاية
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحمله فلما عرض على هذه
الامة قبلوه فوضع عنهم بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها واستدلوا على هذا القول بما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا
به وقال بعضهم لا يجوز ان تكون هذه الاية منسوخة لانها خبر من عند الله عز وجل والخبر لا يحتمل
النسخ لانه خلف وبدا وذلك جهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد بالاية اظهار العمل
واخفاؤه وقال مجاهد هذه الاية محكمة في الشك واليقين قال الله عز وجل في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا اي شكا وقال الربيع بن انس هذه الاية محكمة لم ينسخها شيء يعرف الله تعالى عبده يوم القيمة يقول
انك اخفيت في صدرك كذا وكذا وفي ساعة كذا وكذا ثم لا يواخذ المومن واستدل على هذا القول بقوله عز
وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا ويحتمل ان يكون هذا
تاويلا للخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به
انفسها وقيل تاويل الخبر ان هذه الاية انما وردت فيما يواخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى وذلك
الخبر انما ورد فيما يلزم العبد من احكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم
ومن ظاهر هذه الاية قوله عز وجل ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقوله تعالى ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية ويدل على ذلك ان من احب ما ابغضه الله تعالى وابغض ما احبه
الله تعالى كان معاقبا على ذلك وان لم يعمل الا بعلمه وقال محمد بن علي الحكيم في هذه الاية ان الاخفا ان يضمر

على

على السوء ويصر به ثم لا يصل اليه ولا يتمكن منه وهذا القول حسن جدا اختاره جماعة من المفسرين رحمهم الله
قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
وذلك لما سبق في السورة ذكر احكام كثيرة اثنى الله عز وجل على من امن بها وقبلها فقال عز من قائل امن
الرسول بما انزل اليه جميع الاحكام التي انزلها الله تعالى وكذلك المومنون كلهم امنوا بالله تعالى وانما
وحد الله تعالى قوله امن لان لفظ الكل موحد وانما اتى بالايمان بالملئكة لان حيا من خزاعة
كانوا يقولون ان الملئكة بنات الله تعالى عن ذلك وقالت الفلاسفة ان الكواكب هي الملئكة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون ان الملئكة عباد الله ليسوا بنات الله تعالى ولا هم الكواكب
واما قوله عز وجل وكتبه ففيه قراتان احداهما على لفظ الجماعة وقرا حمزة والكسائي وكتابه على
لفظ الوحدان وهي قراءة عبد الله بن عباس ويحتمل ان يكون المراد بلفظ الوحدان جنس الكتاب كما يقال
كثر الدرهم والدينار في ايدي الناس ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران وقوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله معناه قالوا لا نفرق بين احد من رسله اي لا نفعل كما فعل اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا
ببعض ومن قرا لا يفرق بالياء فالمعنى كل امن لا يفرق واما قوله عز وجل وقالوا سمعنا واطعنا اي قالوا
سمعنا قولك واطعنا امرك ويقال معنى اطعنا قبلنا ما سمعنا لان من سمع ولم يقبل قيل هو اصم كما قال
الله تعالى صم بكم عمي ومعنى قوله غفرانك ربنا اي اغفر غفرانك يا ربنا الا انه استغني بالمصدر عن الفعل
في الدعا كما يقال حمدا وشكرا اي احمد حمدا واشكر شكرا وحكي عن الكسائي عن بعض العرب انه كان يقول
في دعائه سبحانك ريحانك وكان يسال الله تعالى الرزق واما قوله تعالى واليك المصير فالمعنى
اليك المصير يعني معترفون بالبعث وهذا كما قال الله عز وجل حكاية عن ابرهيم عليه السلام اني ذاهب
الى ربي سيهدين اي ذاهب الى حيث امرني ربي قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين معناه والله تعالى اعلم لا يكلف الله نفسا فرضا من فروضها من صوم او
صلوة او صدقة او غير ذلك من حيث النفس لا بمقدار طاقتها كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومي ايماء وهذا
ما امر الله عز وجل المريض الذي لا يقدر على الوضوء بالتيمم والشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم بالفدا وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقيل ان هذه الاية واردة مورد البيان لقوله عز وجل
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فغلط بعض الرواة وقال ان هذا ناسخ لما قبله فان قيل هل يجوز للعدل
ان يكلف فوق الوسع قيل هذا خبر من سعة رحمته وعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن نفسه وان كان
لا يتوهم منه الظلم وقد قال قوم لو كلف فوق الوسع كان له ذلك لان الخلق خلقه والامر امره ولكن اخبر
انه لا يفعله وقالوا ان معنى قوله عز وجل الا وسعها الا ما يسعها او دون طاقتها واما قوله تعالى لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت فالمعنى لها ما كسبت من الطاعة وعليها ما اكتسبت من المعصية اي لا
يواخذ احد بذنب غيره كما قال عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا فرق بين كسبت واكتسبت في
اللغة وكان محمد بن علي الحكيم يقول ان الكسب من توحيد القلب لتوحيده من الملكوت والاكتساب
من النفس والنفس من التراب وقيل الفرق بينهما ان الكسب فعل الانسان لنفسه ولغيره والاكتساب
ما يفعله لنفسه خاصة كالقطع والانقطاع فوصف الحسنى بالاكتساب لان وزن لا يعلم ف

الألوكة
www.alukah.net

ومعصيته لا يضر غيره ووصف المحسن بالكسب لان غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة وأما قوله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي ان نسينا طاعتك او اخطأنا في امرك وقال الكلبي والخطأ ان جهلنا او تعمدنا وذهب الى الخطأ الذي هو ضد الصواب لا ضد القصد يقال خطئ اذا تعمد واخطأ اذا سها وقد يقال اخطأ اذا تعمد وقيل معنى الآية ان تركنا امرًا او اكتسبنا خطيئة والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام كما في قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله تعالى وامره فتركهم في العذاب والمراد بنفي المؤاخذة في النسيان لسقوط الاثم في الآخرة فاما حكم الدنيا فلا يرتفع التكليف منه اذا ذكر بعد النسيان كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وتلا قول الله عز وجل واقم الصلوة لذكري وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت وكذلك الخطأ مرفوع الاثم في الآخرة وهو تأويل الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاما في احكام الدنيا فتعلق به الحكم فان الله عز وجل نص على لزوم حكم قتل الخطأ في ايجاب الدية والكفارة وأما قوله عز وجل ربنا ولا تحمل علينا اصرًا كما حملته على الذين من قبلنا اي لا تحمل علينا ثقلًا ويقال عهدًا كما حملته على الذين من قبلنا بني اسرائيل بجرم منهم امرهم بقتل بعضهم بعضًا وحرمت عليهم الطيبات بظلمهم وكانوا مأمورين بقطع موضع النجاسة من الثياب ونحو ذلك من الامور التي كانت ثقلت عليهم واصل الاصر في اللغة العطف ومنه اواصر الرحم لانها تعطفه عليه فالواحدة آصرة يقال له ما يأصرني عليه آصرة ما يعطفني عليه قرابة ولا مودة والاصر حبل يمد على طريق او نهر يحبس به المارة ويمنعون عن النفوذ ليؤخذ منهم المكس والعشر وأما قوله عز وجل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تجهدنا ولا تحملنا ما يشق علينا وهذا كما يقال لا طاقة لي بهذا الامر ولا اطيق كلام فلان اي لا احمله الا بمشقة وهذا هو معنى هذه الآية لا ان الله تعالى يكلف احدا شيئا لا يكون ذلك في قدرته قال الله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ومعلوم ان اسماعهم كانت صحيحة قال الشاعر انك ان كلفتني ما لم اطق ۞ ساءك ما سرك مني من خلق ۞ ويقال معناه لا طاقة لنا به اي لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العذاب وأما قوله تعالى واعف عنا اي اعف عنا من ذلك كله ويقال اترك عنا العقوبة ومعنى العفو الترك وقوله عز وجل اغفر لنا اي استر لنا ذنوبنا وعيوبنا وارحمنا اي انعم علينا بالجنة والثواب ويقال معنى الآية واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من الغرق اي لا تفعل بنا ما فعلت ببعض من تقدمنا من الامم وقوله تعالى انت مولانا اي ولينا وناصرنا ومتولي امورنا ثم سأل عز وجل ذكره بعدما سموه باسم المولى ما يسأل من المولى من النصرة قالوا فانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم في اقامة الحجة واظهار الدين كما وعدتنا روي عن عبد الله بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه اذا ختم هذه السورة قال آمين وعن الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة غيرهم ان قوله تعالى آمن الرسول الى آخر السورة كان في قصة المعراج وهو رواية عن ابن عباس حتى قال بعض المفسرين ان جميع القرآن نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم الا قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فانه سمع ليلة المعراج قالوا لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج الى سدرة المنتهى قال له جبريل عليه السلام اني لم اجاوز هذا المكان ولم يؤمر بالمجاوزة احد غيرك فامض انت قال فمضيت حتى انتهيت الى ما اراد الله تعالى فاشار جبريل عليه السلام ان سلم على ربك فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات قال الله عز وجل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال عليه

القذف

السلام

السلام فاردت ان يكون لامتي حظ في السلام فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل عليه السلام واهل السموات كل واحد منهم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يشرك امته في الكرامة والفضيلة فقال عليه السلام والمؤمنون كل آمن بالله الى آخر الآية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا الى آخر السورة قالوا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه بهذه الآيات ليعلم امته بذلك او يعلمهم كيف يدعون الله تعالى وعن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فانهما يجيئان يوم القيمة كالغمامتين او كالغيايتين او كفرقين من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ثم قال تعلموا البقرة وآل عمران فان اخذهما بركة وتركهما حسرة انه قال ولا تستطيعهما البطلة يعني السحرة وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة البقرة وآل عمران جعل له يوم القيمة جناحان يطير بهما على الصراط كالبرق السورة التي يذكر فيها آل عمران مدنية وهي مائتا آية لا اختلاف في جملتها

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه انا الله اعلم ويقال هو قسم اقسم الله بان الله عز وجل واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في اول سورة البقرة ومعنى الحي الدائم الذي لا بداية له اي الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت قال محمد بن اسحق والربيع ان نيفا وثمانين آية من اول هذه السورة نزلت في نصارى نجران حين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاجوه في امر عيسى عليه السلام فانزل الله عز وجل هذه الآيات وفي قوله عز وجل الله لا اله الا هو الحي القيوم بيان ان الله تعالى المختص باستحقاق العبادة لتفرده بالاقتدار على ما يجب به العبادة وتفرده بفعل ما يستحق به العبادة واكثر القراء في قوله تعالى الم على فتح الميم وللفتح وجهان احدهما انه لما كانت الميم بعدها ساكنة استثقلوا فيها السكون فحركوها الى الفتح لان ذلك اخف من الكسر والضم والثاني انه القى عليها فتحة الهمزة من الف الله وهذا جائز في الهجاء وان كان لا يجوز مثله في الكلام الموصول من حيث ان حروف الهجاء مبنية على الوقف فيكون ما بعد كل حرف منها كالمبتدإ والالف من قوله عز وجل الله الف وصل تسقط في درج الكلام ومن قرأ بتسكين الميم فعلى اصل حروف الهجاء انها مبنية على الوقف والسكون قوله عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان اي نزل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن بالصدق والعدل ويقال لاقامة امر حق ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما تقدمه من التورية والانجيل وسائر كتب الله تعالى في الدعاء الى توحيد الله تعالى وبيان اقاصيص الانبياء صلوات الله عليهم والامر بالعدل والاحسان وسائر ما لا يجري فيه النسخ وقوله تعالى وانزل التورية والانجيل من قبل اي انزل التورية جملة على موسى عليه السلام والانجيل جملة على عيسى عليه السلام من قبل القرآن بيانا للناس من الضلالة وانزل الفرقان قيل ان المراد به لم يكن غير القرآن واعاد ذكره لبيان انه يفرق بين الحق والباطل ومتى اختلفت فوايد الصفات على موصوف واحد لم يكن ذكر الصفة الثانية تكرارا بل يكون الثانية في حكم المبتدأ لان لكل صفة فايدة ليست للاخرى والصفة الاولى تفيد ان من شأنه ان يكتب والصفة الثانية تفيد ان من شأنه ان يفرق بين الحق والباطل وقيل

ان كل كتاب لله تعالى فهو فرقان والفرقان من الاية والله تعالى علم ان الله تعالى قد حكم في جميع
الكتب المنزلة ان عبادة غيره حرام فاعلموا الحكمة ان اقررتم بالاهتدى وقوله عز وجل مصدقا لما
من الكتاب وفيه بيان ان الله تعالى بشر الانبيا صلوات الله عليهم في كتبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اليهود والنصارى كما صدقوا بالتوراة والانجيل فعليهم ان يصدقوا بالقران الذي يصدقهما
وانما قيل لما مضى بين يديه ولما خلف لان ما مضى يتقدمك به وكانه بين يديك تنظر اليه وما لم
يات بعد فانك لا تستقبله على كانه بعد خلفك لا تبصره ومعنى التوراة في اللغة الضيا
والنور وقال البصريون اصلها وورية على وزن فوعلة مثل الحوقلة والدوقلة من ورى الزند وورى
لغتان اذا خرجت ناره ولكن الواو الاولى قلبت تا كما قالوا التولج اصله وولج من ولج اذا دخل وقلبت الواو
الاولى تا كيلا تجتمع واوان في اول الكلمة فصار تورية ثم قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها الا ان
تفعلة لا يكاد يوجد وقال الكوفيون التورية تورية على وزن تفعلة قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها الا ان تفعلة لا يكاد يوجد في الكلام وقال بعضهم اصله تورية على وزن تفعلة فنقل من الكسر
الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة قال الزجاج هذا ردي لانهما توقية وتوقاة و
توصية وتوصاة والانجيل افعيل من النجل وهو الاصل سمي بهذا الاسم على معنى انه اصل العلوم والحكم وقيل
انه من نجلت الشي اذا استخرجته واظهرته فمعناه انه مستخرج منه علوم وحكم قوله عز وجل ان
الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه مع ما قبله ان في كتب الله تعالى
ما يدل على صدق قولك فمن جحد بايات الله تعالى وهي العلامات الهادية اليه الدالة على توحيده فاولئك
لهم عذاب شديد والله عزيز غالب امره لا يمنعه الاحد منعه من يريد عذابه ذو انتقام اي ذو نقمة
ينتقم من عصاه ثم حذرهم من التلبيس والاستتار بالمعصية فقال عز وجل ان الله لا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السما اي الذي لا يخفى عليه شي مما في الارض والسما لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم يحصي كل
ما يعملون فيجازيهم في الاخرة وفايدة تخصيص الارض والسما وان كان الله لا يخفى عليه شي بوجه من
الوجوه لان ذكر الارض والسما اكبر في النفس واهول في الصدر فذكره على الوجه الاهول اذ كان الغرض
به التحذير ثم احتج على ذلك على الخلق في علمه بالسر والعلانية بتصويره الانسان وساير الحيوان في
ارحام الامهات اي ليس يقدر احد ان يخلق من الما المهين الضعيف في قعر الرحم المظلم على هذا الخلق
المحكم الصنعة العجب التدبير والبنية الا العالم بكل شي من السر والعلانية فقال عز وجل هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم اي يخلقكم في الارحام كيف يشا
من لون وطول وقصر وعظم وصغر وذكورة وانوثة وحسن ودمامة ثم فعل كل ذلك بالحكمة وقوله
تعالى لا اله الا هو لتاكيد ذكر المدلول الذي دل عليه الكلام الاول اي لا مصور لا خالق الا هو ومعنى
العزيز الحكيم المنيع في سلطانه لا يغالب ولا يمانع المحكم في تدبيره وقضايه في عباده وافعال الله تعالى
كلها شاهدة بانه الواحد القديم العالم القادر الذي ليس كمثله شي لا يوصل الى معرفته الا بالاستدلال
بصنايعه وعجايب تدبيره اذ ليس بمحدود فيدرك بالابصار ويحوى بالخواطر والافكار فلو لم يكن
واحدا وكان معه اله غيره لكان اذا اراد هو تصوير ولد ذكرا واراد الاله الاخر تصويره انثى
لم يكن وجوده على الصورة التي اراد هو تصويره عليها باولى من وجوده على الصورة التي اراد الاخر تصويره
عليها ولو لم يرد واحد منهما الا ما اراد الاخر لكان كل واحد منهما عاجزا وضده لا يقدر على شي
دون موافقة غيره وفي هذه الاية حجاج للنصارى من وجه اخر وهو انهم كانوا يدعون ربوبية
عيسى عليه السلام لولادته بلا والد وكانوا يقولون انه ابن الله فاعلم بطل هذه العلة فبين الله تعالى ان ولادة

عيسى

عيسى عليه السلام بلا والد ليس باعجب من احيا النطفة وخلقها ذكرا او انثى وكيف يشا في قدرة على مثل هذا فقد
على خلق بشر لا من تراب وبالله التوفيق قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من
عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان معنى الاية هو الذي انزل
عليك القران منه ايات واضحات بينات بالحلال والحرام لم تنسخ هي اصل الكتاب الذي نزل عليك وهو ام في
التورية والانجيل والزبور وكل كتاب نحو قوله تعالى في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
ومعنى واخر متشابهات اي ومنه ايات اخر اشتبهت على اليهود مثل الم والر والمر والمص على ما ذكرنا
من قصتهم في ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم اول سورة البقرة فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق وقصد
الهدى وهم اليهود فيتبعون ما اشتبه عليهم من امر الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغا
الفتنة يعني طلب الكفر والشرك والاستقامة على ما هم عليه وابتغا تاويله اي طلب تفسير منتهى ما كتب الله
تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم من الاكل ليرجع الملك الى اليهود وما يعلم تفسير منتهى ما كتب الله عز وجل
لهذه الامة من الاكل الا الله تعالى وعن الربيع بن انس رحمه الله تعالى وروح منه قال انهم قالوا حسبنا
فانزل الله تعالى هذه الاية ان هذه الاية نزلت في وفد نصارى نجران لما حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم في
المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله تعالى وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنا
ان النصارى صرفوا قوله كلمة الله الى ما يقولون من قدم عيسى عليه السلام مع الله تعالى وصرفوا قوله تعالى
وروح منه الى انه حي منه قديم معه كروح الانسان وانما اراد الله عز وجل بقوله وكلمته ان الله تعالى انما
صيره بشرا بكلمة منه وهي قوله تعالى كن فكان وسماه روحه لان الله تعالى خلقه من غير اب بل امر جبريل
عليه السلام فنفخ في جيب مريم عليها السلام فهو روح من الله تعالى اضافه الله عز وجل الى نفسه تشريفا
له كبيت الله وسما الله وارض الله تعالى وقيل سماه روحا لانه كان يحيي به الموتى كما سمي القران روحا بقوله
عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا من حيث ان فيه حيوة الناس في امر دينهم فصرف اهل الزيغ
قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه الى مذاهبهم الفاسدة طلب الكفر والضلال ولم يردوا المعنى
اللفظ الذي اشتبه عليهم ويشبهوه على انفسهم الى الاية المحكمة وهي قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب فعلى هذا يكون معنى قوله وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم تاويل جميع المتشابه حتى يترتب
علم المتشابهات كلها الا الله وقال الزجاج المحكم ما اعترف به اهل الشرك مما اخبر الله تعالى من انشا الخلق
وجعله من الما كل شي حي وما خلق تعالى من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح والمتشابه ما تشابه عليهم من
امر البعث ابتغا الفتنة وهي افساد ذات البين في الدين والحرب وابتغا رجع المتشابه وعاقبة امره ولا يعلم احد
متى البعث الا الله ومن الدليل على صحة هذا التاويل انه تعالى حكى اقرار المومنين بالبعث من بعد فقال عز من قايل
حكاية عنهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه قال والتاويل المصير والعاقبة يقال فلان تاول الاية
اي نظر الى ما يؤول اليه معناها وقال العلما المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وهي رواية
اخرى عن ابن عباس وانما سمي الناسخ محكما لانه ثابت الحكم والعرب تسمي البنا الوثيق محكما والعقد الوثيق
الذي لا يمكن حله محكما وسمي المنسوخ متشابها من حيث اشبه المحكم في التلاوة وخالفه في ثبوت الحكم فيشتبه
على التالي حكمه في ثبوته او نسخه وقد انكر اليهود النسخ حيث قالوا يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى
فالقصد من هذه الاية في كل مزاحم في المتشابه لباطل وعن هذا قال بعض المفسرين المحكم مثل سورة الاخلاص
والمتشابه مثل قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى الذي يحتمل استوا الجلوس واستوا الملك على ما يملك

الألوكة
www.alukah.net

بالاقتدار والاستيلاء ونحو قوله تعالى لما خلقت بيدي وغير ذلك من الاي التي يحتاج الى تاويلها في الابانة عنها ويقال
المحكم نحو قوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والمتشابه مثل قوله تعالى
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم قال جل ذكره وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال عز من قائل
فقضاهن سبع سموات في يومين فظن من لا معرفة له ان العدد ثمانية ايام ولم يعلم ان اليومين الاولين داخلان في
الاربعة التي ذكرها الله عز وجل من بعد كما يقول القائل سرنا من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرنا الى الكوفة في خمسة
عشر يوما واراد دخول العشرة في ذلك **وقال** ابن زيد المحكم هو الذي لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه كقصة
موسى عليه السلام وقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين ولفظ الاية يحتمل جميع هذه
الاوجه ولولا احتمال لفظها لما تاول اهل التاويل الاية عليها وقد سمى الله تعالى جملة القران محكما حيث قال جل ذكره الر كتاب احكمت
اياته فوصفه بالاحكام في لزوم العمل به وسماه كله متشابها في اية اخرى حيث قال عز من قائل الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والتصديق ووصف في هذه الاية بعض القران بانه
محكم وبعضه بانه متشابه واراد بالمحكم هاهنا ما لا يحتمل الا وجها واحدا وبالمتشابه ما يحتمل وجوها
شتى وفي مضمون هذه الاية ما يقتضي وجوب رد المتشابه الى المحكم لانه تعالى قال في صفة المحكمات هن ام
الكتاب وام الشي التي منها ابتداوه واليها مرجعه فتسميه المحكمات اما يقتضي بنا المتشابه عليها ورده
اليها ثم وصف جل ذكره متبعي المتشابه من غير حمله له على معنى المحكم بالزيغ في قلوبهم بقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ واعلم ان هولاء يبتغون الفتنة وهي الكفر والضلال وقد اختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى وما يعلم تاويله الا
الا الله والراسخون في العلم فمنهم من جعل تمام الكلام بعد قوله عز وجل والراسخون في العلم وجعل الواو التي في قوله
والراسخون في العلم للجمع كقول القائل لقيت زيدا وعمرا وما جرى مجراه لان حقيقة الواو للجمع الا ان يقوم دليل
الاستيناف ونظيره ما قال الله عز وجل في شان قسم الفي ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول
الى ان قال والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا فكذلك قوله والراسخون في العلم يقولون معناه والراسخون
في العلم يعلمون تاويل ما نصب الله تعالى لهم الدلالة عليه من المتشابه ويعلمهم يقولون ربنا امنا به فيروى
عن ابن عباس وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يعلمونه قائلين امنا به قال ابن عباس وانا ممن يعلم تاويله
لقول الله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ومنهم من جعل
تمام الكلام عند قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله وفي قراة عبد الله بن مسعود ويقول الراسخون في
العلم امنا به وهو مروي ايضا عن عبد الله بن عباس وعمر بن عبد العزيز ولا يبعد ان يكون للقران تاويل استاثر الله
تعالى بعلمه دون خلقه لانا لا نعلم مراد الله تعالى وحكمته في جميع اوامره ونواهيه غير انه الزمنا العمل بما انزله
ولو طالبنا بما لا سبيل لنا الى معرفته ولو عنى بما علم ما غاب عنا من وقت قيام الساعة ونحو ذلك لا اخله
عز وجل بما فيه المصلحة لنا وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما اعلمنا نعلم بعلمنا الا لمصلحتنا ونصنا فنعرف
بعده جميع ما انزله الله عز وجل والتصديق بذلك كله ما علمنا منه وما لم نعلم **وقد روي** عن ابن جريج
ان المتشابهات لا يجد سبيل لاحد الى معرفته كوقت نزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام
الساعة وعلم ما في الارحام وعلم الامور المتوقعة **ومعنى** وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ بالقران الا
ذووا العقول من الناس **فان قيل** كيف قال جل وعز هن ام الكتاب فوحد الام ولم يقل هن امهات الكتاب مع
ان الايات جمع **قيل** فيه قولان احدهما انه قال ذلك على جهة الحكاية على قصد الجواب كانه قيل ما ام الكتاب
فقال جل ذكره هن ام الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره والثاني ان الايات المحكمات بمجموعها
اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله كما قال جل ذكره وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل
ايتين لانه جعلهما اية واحدة **فان قيل** لم انزل الله عز وجل في القران المتشابه وهلا جعل جميعه محكما فكان

لايحتاج

لا يحتاج الى رد المتشابه الى المحكم **قيل** لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس على الخبر واشتغلوا عن النظر والاستدلال
فكان لا يحصل لهم العلم عند ذلك بصحة الامور والحوادث فجعل بعض القران محكما وبعضه متشابها ليكون
ذلك داعيا لهم الى النظر والاستدلال بالادلة التي اقامها الله تعالى الموجبة في العقول ولولا ذلك لم يظهر فضل العالم المجتهد
الذي يرد المتشابه على المحكم على غير المجتهد وبالله التوفيق **قوله** عز وجل **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا**
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب معطوف على قوله عز وجل كل من عند ربنا معناه يا
ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد اذ ارشدتنا وبصرتنا دينك الحق ويقال معناه لا تتعبدنا بما يكون سببا لزيغ
قلوبنا معناه لا تكلفنا الشدائد فيعصي الانسان عند تكليف الشدائد كما قال عز وجل فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم **ومعنى** وهب لنا اعطنا من عندك نعمة ويقال لطفا تثبت به قلوبنا على
الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير ونعمة وقوله عز وجل انك انت الوهاب اي انت المعطي [illegible] في
الوهاب الذي من سنته وعادته الاعطا والهبة **قوله** عز وجل **ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب**
فيه ان الله لا يخلف الميعاد معناه يقولون ربنا انك تجمع الناس باجمعهم بعد الموت للجزاء يوم لا
ريب فيه اي لا يرتاب فيه ولا شك لوضوحه وهو يوم القيمة وهذا اقرارهم بالبعث والنشور وقوله عز
وجل ان الله لا يخلف الميعاد يجوز ان يكون حكاية عن الموحدين على معنى انك لا تخلف الميعاد ويجوز ان يكون
هذا اخبارا عن الله تعالى والميعاد ما وعده الله تعالى من البعث والحساب والميزان والجنة والنار قوله
عز وجل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا واولئك هم وقود النار**
قيل ان المراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم ويقال المراد بهم نصارى نجران ويقال عامة الكفار ومعنى لن تغني
عنهم اموالهم لا تدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيا من عذاب الله عز وجل في الدنيا والاخرة وسمي المال
غنى لانه يدفع عن صاحبه الفقر والنوايب فاخبر الله عز وجل ان اموال هولاء الكفار واولادهم لا تنفعهم
ولا تجيرهم من العذاب لانه لا يقبل منهم فدا ولا شفاعة بل يصيرون الى النار وتتقد بابدانهم وتشتعل بهم
وان الوقود بنصب الواو ما يوقد به النار وهو الحطب وهذا بيان ان اهل النار يحترقون في النار احتراق
الحطب لا كما يحترق الانسان بنار الدنيا فان نار الدنيا تشتعل في الحديد من الانسان ولا تاخذه كما
تاخذ الحطب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن قرا وقود بضم الواو فهو مصدر وقدت
النار وقودا كما يقال وردت ورودا وولج ولوجا فيكون المعنى ولكن هم ذووا وقود النار واعاد ذكر الله
تعالى الاموال والاولاد في الاية لان اكثر الناس يدخلون النار لاجل المال والولد فاخبر الله تعالى ان شيا
من ذلك لا ينفع في الاخرة كما نفع احدهم لاجل المال والولد ويكون هذا القول تبعا للمومنين قوله
عز وجل **كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد**
العقاب يقول عادة هولاء الكفار في الكفر والتكذيب بالحق كعادة ال فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود كذبوا بكتبنا ورسلنا فعاقبهم الله تعالى بكفرهم وشركهم والله شديد العقاب اذا عاقب
معاقبه شديد على الدوام والتابيد لا كعقوبة اهل الدنيا **والداب** في اللغة العادة ويقال داب يداب
دابا ودوبا اذا اعتاد الشي ومرن عليه وقد يذكر الداب بمعنى الاجتهاد ويقال داب في كذا اذا اجتهد فيه
والمعنى على هذا القول اجتهاد هولاء الكفار في كفرهم وتظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم كاجتهاد ال فرعون
على موسى عليه السلام والكاف من اول هذه الاية في موضع الرفع لانه خبر الابتدا على التقدير الذي تقدم ذكره
ان داب هولاء مثل داب ال فرعون **قوله** عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى**
جهنم وبئس المهاد معناه والله تعالى اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون ستهزمون وتقتلون وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبئس الفراش النار من قرا ستغلبون بالتا

الألوكة www.alukah.net

فعلى معنى ترونهم خطاب لليهود ومن قرأ بالياء فمعناه يرونهم انهم سيغلبون ولهذه الآية قصتان احداهما
روي عن عبد الله بن عباس وقتادة قالا لما اهلك الله عز وجل قريشا يوم بدر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهود بسوق قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فابوا وقالوا لسنا كقريش
الاغمار الذين لا يعرفون القتال ولو حاربتنا لعلمت انا الناس رجالا ونعرف البأس والشدة فانزل الله تعالى
هذه الآية والثانية ما قاله الكلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود هذا و
الله النبي الامي الذي بشر به موسى عليه السلام نجده في التوراة بنعته وصفته فارادوا اتباعه فقال بعضهم
لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ قالوا لا والله ما هو به لقد تغيرت حالته وصفته وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد
فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى ابي سفيان بمكة فوافقوهم على ان تكون كلمتهم
واحدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل ان هذا الخطاب لجميع الكفار ولا تنافي بين الامرين وفي هذه الآية
دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب ثم بان صحة ما انبأ به ولا يتفق مثل ذلك على الاتفاق صدق ع
مع كثرة ما اخبر به من الغيوب في الامور المستقبلة ووجد مخبرها على ما اخبر به من غير خلف وذلك لا يكون
الا من عند الله عز وجل العالم بالغيوب [illegible] قوله عز وجل قد كان لكم
آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان
في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول قد كان لكم ايها اليهود ويقال ايها الكفار في فرقتين [illegible] يوم بدر فرقة تقاتل في
طاعة الله عز وجل وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وفرقة اخرى
كافرة وهم مشركوا مكة تسعمائة وخمسون رجلا وقوله تعالى ترونهم مثليهم رأي العين من قرأ ترونهم بالياء
فالمعنى ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين وعلم المسلمين ان المشركين ستمائة ونيف لانهم
يعلمون المشركين كما وعدهم الله بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قلل الله تعالى المسلمين في اعين
المشركين والمشركين في اعين المؤمنين حتى اقتتل الفريقان كما قال جل ذكره واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الكفار خ
ويقللكم في اعينهم ثم قذف الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب حتى انهزموا بكف من تراب اخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورماه في وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم شاهت الوجوه وذهب بعضهم في معنى هذه الآية ان المشركين
كانوا يرون المسلمين مثلي ما هم عليه ومن قرأ ترونهم بالتاء فهو خطاب اليهود يعني ترون كفار مكة [illegible] والمؤمنين
رأي العين وقوله تعالى والله يؤيد بنصره من يشاء اي يقوي ويشدد بعونه من يشاء ان في ذلك في غلبة المؤمنين
المشركين مع قلة المؤمنين وشوكة المشركين وعلمهم ان ليس للمؤمنين [illegible] لعبرة لاولي الابصار في الدين لذوي
بصائر القلوب ويجوز ان يكون معناه ان في ذلك لعبرة لمن ابصرهم يومئذ وفي قوله تعالى فئة قراءتان من
قرأها بالرفع فعلى معنى احداهما فئة تقاتل في سبيل الله ومن قرأ بالخفض فعلى طريق البدل من فئتين تقديره في فئة
تقاتل في سبيل الله وفي اخرى كافرة كما قال الشاعر وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رماها الدهر بالحدثان ○ فاما التي صحت فازد شنوءة ● واما التي شلت فازد عمان ●
وقد روي البيت الاول برفع رجل صحيحة وكلاهما جائز وبالله التوفيق قوله عز وجل زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و
الانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب بين الله تعالى بهذه الآية
ان ما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها هو الذي يمنعهم من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدعوهم اليه
والمعنى والله اعلم حسن للناس حب اللذات ولم يرد بالشهوات نفس الشهوة فان الشهوة توقان النفس
وميل الطبع فكان المعنى حب المشتهيات وقد فسره الله عز وجل بقوله من النساء والبنين فاما القناطير

المقنطرة

المقنطرة فقد اختلف اهل التفسير في معناها فمن قائل ان القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وآخر انه ثمانية
الاف مثقال من ذهب وفضة وقال الف ومائتا مثقال وعن الحسن البصري انه قال القنطار دية احدكم
وجملته انه كالكثير من المال واما المقنطرة فقال بعضهم القناطير ثلاثة والمقنطرة المضعفة وقيل
القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وقيل المقنطرة هي المكملة كما يقال الف مؤلفة وبدرة مبدرة
وقال الفراء هي الاموال المنضدة بعضها فوق بعض والقنطرة في اللغة عقد الشيء واحكامه ومن
ذلك تسمى الجسور القناطر واما الخيل المسومة فهي الرواعي الحسان والسوم في اللغة على وجهين
احدهما من السوم وهو الرعي يقال اسمت الماشية وسومت اذا ارعيت كما يقال اكثرت وكثرت واذكرت وذكرت
والثاني من السيما وهي العلامة من الاوضاح والغرر التي تكون في الخيل واما الانعام فهي جمع النعم واسم النعم
اكثر ما يستعمل في الابل خاصة وقد يقع على سائر المواشي من البقر والغنم والحرث الزرع وقيل في الحكمة في تقديم
ذكر النساء في الآية ان فتنتهن عامة تحمل الرجل على قطع ارحام الآباء والامهات وجمع المال من الحلال والحرام قال
صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء ثم ذكر فتنة البنين لان حبهم يحمل الرجل على جمع
المال دون قطع الرحم ثم ذكر فتنة الذهب والفضة لانها عامة في الملوك والتجار واصحاب العقود ثم ذكر فتنة الخيل
لانها خاصة في الملوك واصحاب السلطان ثم ذكر فتنة اهل البوادي وهي الانعام ثم ذكر فتنة اهل القرى وهي الحرث
ثم زهد في كل ذلك حثا على الصدقة وتحريضا على سبيل الخير فقال جل ذكره ذلك متاع الحيوة الدنيا اي هذا
الذي ذكرت مع عظم الاحسان فيه الى الخلق متاع اي شيء يستمتع به في الدنيا ثم يزول ويفنى والله عنده حسن
المآب اي حسن المرجع والمنقلب للمؤمنين وهو الجنة الباقية ثم اعلم الله عز وجل ان ما اعد للمؤمنين في الآخرة
خير من بقية الدنيا فقال عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد معناه و
~~الله اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم~~
الله اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم اخبركم بخير من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك والكبائر و
الفواحش فلا يشتغلون بالزينة عن طاعة الله تعالى عند ربهم جنات بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها
انهار الماء والعسل والخمر واللبن خالدين فيها مقيمين آمنين ليست كمثل الحياة الدنيا تزول احيانا وتنقطع
احيانا بل تكون جارية ابدا وقوله تعالى وازواج مطهرة اي ونساء مطهرة في الخلق والخلق ورضوان من
الله اكرم مع ذلك رضا الله تعالى وهو من اعظم النعم قال الله في موضع آخر ورضوان من الله اكبر وقوله تعالى
والله بصير بالعباد عالم باعمالهم وثوابهم واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله عز وجل قل أؤنبئكم قال بعضهم
منتهى الاستفهام عند قوله عز وجل بخير من ذلكم وقوله عز وجل للذين اتقوا عند ربهم استيناف كلام وقال
بعضهم منتهى الاستفهام عند قوله تعالى عند ربهم وقوله تعالى جنات استيناف كلام على تقدير الجواب كانه
قيل ما ذاك الخير فقيل هو جنات وهذا كقوله عز وجل قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وقرأ
ورضوان من الله بضم الراء وهو لغة قيس وتميم واما الكسر فهو لغة عامة العرب ويجوز في العربية جنات
بالخفض بدلا من الخير قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
معناه للمتقين الذين يقولون يا ربنا اننا صدقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا خطايانا
وادفع عنا عذاب النار وموضع الذين على هذا التقدير خفض ويجوز ان يكون موضعه رفعا على معنى يكون مار
هم الذين يقولون ربنا فان قيل ما معنى سؤال هؤلاء المغفرة من الله تعالى مع ان الله عز وجل قد اخبر عنهم بانهم
اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم ومن كون هذه حاله لا يقع منه الذنب وان وقع كان صغيرة والصغائر تقع
مغفورة قيل عنه جوابان احدهما ان التوبة عن الصغائر واجبة وان كانت تقع مغفورة كما اخبر الله
عز وجل عن ابرهيم عليه السلام بقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وان كانت خطيئته وقعت

الألوكة

مفعول فيه ان التوبة عن الصغائر واجبة لما فيها من اظهار الرغبة في المغفرة والثاني ان هذا القصد
على وجه الاستكانة والخضوع ومسالة ما يعلم من حاله ان الله تعالى يفعله وهذا كما اخبر الله تعالى عن الملائكة
بقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وان كان الله تعالى يغفر لا محالة للذين تابوا واتبعوا سبيله
قوله عز وجل الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار في محل الخفض
بدلا من الذين يقولون ويجوز ان يكون الذين يقولون مع ما بعده بدلا من العباد وذهب بعضهم الى ان الصابرين
نصب للمدح ومعنى هذه الاية الصابرين على طاعة الله والشدائد والمصائب والصادقين في ايمانهم واقوالهم
وافعالهم فان الصدق قد يقع في الفعل كما يقع في القول يقال صدق فلان القتال وصدق في الحملة اي حقق ويقال
في ضده كذب فلان في القتال والحملة ومعنى والقانتين القائمين بعبادة الله عز وجل والمنفقين اموالهم
في طاعة الله تعالى وقوله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال قتادة اراد به المصلين بالاسحار وقال انس بن
مالك اراد به السائلين المغفرة بالاسحار وهو نحو قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون وقال الحسن مدوا صلواتهم الى وقت السحر ثم كان بعدها الاستغفار وعن ابرهيم بن حاطب
عن ابيه قال سمعت صوتا في اخر المسجد سحرا يقول الهي دعوتني فاجبتك وامرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي
فنظرت فاذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر تقول العرب جئتك اعلا
السحر يريد به اول السحر وهو اول ادبار الليل الى طلوع الفجر الصادق والصلوة والاستغفار في ذلك الوقت افضل
لان صاحبه اقرب الى المنجح والروس كما قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقد مدح الله تعالى
اهل هذه الصفة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى اخر الاية قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال محمد بن السائب الكلبي رضي الله عنه لما ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام فقال احدهما لصاحبه حين نظر الى المدينة
ما اشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم قالا له انت
محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا انت احمد قال صلى الله عليه وسلم نعم قالا فانا نسالك عن شهادة ان انت
اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك قال صلى الله عليه وسلم سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله تعالى
فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم شهد الله انه لا اله الا هو الى اخر الاية فاسلم الرجلان وصدقا برسول
الله صلى الله عليه وسلم واما معنى الاية قال ابو عبيدة رحمه الله معنى شهد الله قضى الله تعالى ويقال اخبر الله
تعالى وحقيقة الشهادة ان العالم ما هذه من العلم اي علم الله وبين ويقال معناه شهد الله تعالى بما خلق من الخلائق
انه لا اله الا هو اي خلق من الخلق ما شهدت خلقته كل احد على وحدانيته لمن تدبر ذلك وقوله تعالى والملائكة
اي شهدت الملائكة بهذه الشهادة لما عاينت من عظم قدرته واولوا العلم يشهدون بما شهد الله تعالى
به وملائكته بما تبين لهم من دلايل وحدانيته وتوحيده وفي هذا بيان فضل اهل العلم وروي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال من شهد لله تعالى بالتوحيد فهو من اولي العلم وقوله عز وجل قائما بالقسط
اي بالعدل يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة ونصب قائما على الحال من قوله تعالى شهد
وقيل قوله تعالى لا اله الا هو ويجوز وقوع الحال المؤكدة على الاسم في غير الاشارة يقول انه زيد معروفا وهو الحق
مصدقا فان قيل ان الحال وصف هيئة الفاعل وذلك فيما يقبل التغيير فهل يجوز من الله تعالى ان يزول
عن قيامه بالقسط قيل هذا على مذهب الكوفيين لازم لانهم يسمون على لفظ القطع يعنون بالقطع قطع المعرفة
الى لفظ النكرة فاما عند البصريين فالحال حالان حال ياتي بعد الفعل يجوز عليه التغيير وحال ياتي بعد الاسم
لا يجوز عليه التغيير وهذا من ذلك وكذلك قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا واما تكرار لا اله الا هو في الاية
فلتاكيد الكلام في الرد على النصارى نصارى نجران ان المستحق للعبادة من كان على هذه الصفة لا المسيح

ومن

ومن جانبه ومعنى العزيز الحكيم الغالب المنيع ذو الحكمة في امره وسلطانه قوله عز وجل ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله
سريع الحساب معناه ان الدين المرضي عند الله تعالى الاسلام ويقال معناه ان الطاعة عند الله الاسلام والدين
في اللغة الجزاء ثم سميت الطاعة دينا لانها سبب الجزاء واما الاسلام فهو الدخول في طاعة الله تعالى فيما امر به و
دعى اليه اصله من السلم وهو الانقياد على السلامة يقال اسلم اذا دخل في السلم كما يقال اشتى اذا دخل في الشتاء
واربع اذا دخل في الربيع ومن قرا ان الدين بالنصب فمعناه شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله
الاسلام ويجوز في العربية انه لا اله الا هو بالكسر على معنى ان الشهادة في معنى القول وما بعد القول مكسور
على الحكاية وعن سعيد بن جبير انه قال كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من احياء العرب
صنم او صنمان فلما نزلت هذه الاية شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام اصبحت تلك الاصنام
كلها وقد خرت سجدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه من قرا شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام
وقال استودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة جيء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل
عبدي عهد الي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
اي لم يترك اليهود والنصارى الاسلام ولم يتسموا باليهودية والنصرانية الا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم
حسدا بينهم روي ان اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام وسمى اصحابه مسلمين
حسدت اليهود مشاركتهم في الاسم فسموا انفسهم يهودا فكانوا يسمون مسلمين ويسمون يهودا فغيرت
النصارى اسمهم وسموا انفسهم نصارى وقيل معنى البغي هو طلب الاستعلاء بغير حق وقوله تعالى ومن يكفر
بايات الله اي بمحمد نبيها صلى الله عليه وسلم والقران فان الله سريع المجازاة كما قال جل ذكره وما امر الساعة
الا كلمح البصر وهو اقرب ويقال معنى سريع الحساب العريف العاملين بلا احتياج في حفظه الى اثبات
وتذكر قوله عز وجل فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ااسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
قال الكلبي معناه فان خاصموك في الحجة قالوا انما اليهودية والنصرانية نعت ودينا الاسلام
فقل اخلصت طاعتي وعملي لله تعالى ويقال معناه اخلصت قصدي بالعبادة لله تعالى يقول
الرجل لاخر وجهي اليك اي قصدي اليك ويقال مر فلان على وجهه اي على قصده ويقال معناه سلمت
نفسي لله تعالى كما في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه معناه الا هو وكذلك قوله عز وجل ويبقى
وجه ربك معناه الذات وقال الزجاج معنى الاية فان حاجوك بالحجة فاحتج عليك باتباعك امر
الله تعالى الذي هم اجمعون مقرون بانه خالقهم وقد جاء الى ما قد اقروا به وارائهم الدلالات والايات
بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ومن اتبعني اي كذلك ومن اتبعني والاصل في هذا اثبات
اليا واخره لكن حذف اليا للتخفيف واستغنيت بكسرة النون دليلا على الياء وقوله تعالى وقل للذين
اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى والاميين مشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت فان اخلصوا
فقد اهتدوا من الضلالة وان تولوا عن الاسلام وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت اليهود عزير بن
الله فانما عليك بالرسالة عن الله تعالى وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن وبمن
لا يؤمن لا يفوته شيء من اعمالهم الى مجازاتهم عليها فان قيل في الاية عطف من اتبعني وهو ظاهر على المضمر في
قوله عز وجل اسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر قيل انما لا تعطف اذا لم يكن بين الكلامين
فاصل فاما اذا دخل بينهما فاصل جاز عطف المظهر على المضمر الا ترى انه لا يجوز ان يقول اسلمت وزيد
ولو قلت اسلمت بانشراح الصدر وطيب النفس ومن جاءني كان جائزا في الكلام واما الاستفهام

الظاهر

وقوله عز وجل أأسلمتم يتضمن التهديد والامر بالقبول كما يقول الرجل لاخر بعد ما يامره بالامر اقبلت
والامر اسلم يكون ذلك سوالا بالوعيد يتضمن الامر بالقبول قال الكلبي رحمه الله لما نزلت هذه الاية
ذكر ذلك لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى بن مريم كلمة من الله تعالى
وروح منه قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه ابن
الله قال الكلبي فذلك حين تولوا عن الاسلام واعلنوا عنه فانزل الله عز وجل قوله عز وجل إن الذين يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب أليم معناه ان الذين يجحدون اعلام الله تعالى التي بينها لهم واما قوله عز وجل ويقتلون النبيين ففي
اضافة قتل الانبيا صلوات عليهم الى هولا الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما
رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين وذلك كما يقال الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم فيما تلون
النبيين بغير حق روى قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام والثاني ان هولا قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهموا
بقتله كما قال الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم فيما تلون النبيين
بغير حق روي عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
اشد عذابا يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم رجل قتل نبيا عليه السلام او قتل رجلا امر بالمعروف و
نهى عن المنكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا في اخر النهار من ذلك اليوم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فمعناه اخبرهم بعذاب وجيع
يخلص وجعه الى قلوبهم واما دخول الفاء في قوله فبشرهم بعذاب اليم وان كان خبر ان لا يجاب بالفا لا يقال ان
زيدا فقايم فلان ان في اول هذه الاية موصول بالذين والذي يوصل فيكون صلته بمنزلة الشرط والجزا يجاب
بالفا فان قيل هل يقتل نبي حتى يكون هذا بغير حق قيل المقصود من هذه الاية انهم قتلوا الانبيا الذين
صحت نبوتهم عليهم السلام فلم يكن القتل حقا اذ النبي عليه السلام لا يقتل بحق قط فاما اذا كان كاذبا فهو
متنبي وقتله حق وفي الاية دليل على جواز انكار المنكر مع خوف القتل روى ابو حنيفة رحمه الله عن عكرمة عن ابن
عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند
سلطان جائر فقتله قوله عز وجل أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين
اي اهل هذه الصفة بطلت حسناتهم فلا يستحقون الحمد والثنا وولاية المومنين عليها في الدنيا ولا يستحقون
الثواب عليها في الاخرة وما لهم من ناصرين من مانعين يمنعونهم من العذاب اذا نزل بهم قوله عز وجل
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون قال الكلبي وذلك ان رجلا وامراة من اشراف اهل خيبر من اليهود فجرا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون لهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة في امر الرجم فاحدوا
بهما ورفعوا امرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم وقال بعضهم جرت علينا يا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فمن اعلمكم بها قالوا ابن صوريا وهو يسكن
فدك فارسلوا اليه فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود
قال كذلك يزعمون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من التورية فيه اية الرجم دله على ذلك ابن سلام
فقال لابن صوريا اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن سلام اليه فرفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فقال من البينة فان

كانوا عدولا رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم
المحصنين الزانيين من اليهود فرجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله
تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذين اعطوا حظا
من علم التورية وقوله عز وجل يدعون الى كتاب الله قال ابن عباس والزجاج هو التورية دعي اليها
اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة الكتاب لله وان فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن و
قتادة اراد به القران فانهم دعوا الى القران لموافقته للتورية في اصل الديانة واما قوله عز وجل ليحكم بينهم
قال بعضهم معناه ليحكم بينهم في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال في امر ابراهيم عليه السلام ودينه ويقال
في حد الزنا لانهم ابوا على ذلك وقوله عز وجل ثم يتولى فريق منهم اي يعرض جمع كثير منهم عن الداعي وهم معرضون
عن العمل بالمدعو اليه فينظر اهو حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا وانما قال معرضون بعد ذكر التولي لان
الانسان قد يعرض عن الداعي ويتامل ما دعاه الداعي اليه فينظر اهو حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا وانما
دعوا اليه قوله عز وجل ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما
كانوا يفترون يقول ذلك الاعراض والتكذيب بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
يعنون الاربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل عدد ايام الدنيا سبعة ايام ومعنى وغرهم
في دينهم غرهم افتراوهم على الله تعالى انه لا يعذبهم الا اياما معدودات ويقال غرهم افتراوهم انهم قالوا
نحن ابناء الله واحباوه قوله عز وجل فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون معناه كيف يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم بعد الموت لجزاء يوم القيمة يوم لا شك فيه
واعطيت كل نفس جزا ما عملت من خير او شر تاما وافيا وهم لا ينقصون من حسنة ولا يزادون على سيئة وحد
بيان الكيف ونقل هذا استعمل في الكلام يقول الرجل كيف اكرمك وانت لم تزرني فكيف اذا زرتني
يريد فكيف يكون اكرامي لك اذا زرتني قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير
قال ابن عباس رضي الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان يكون له ملك فارس والروم واني يكون له ذلك هم اعز وامنع من ان يدخل محمد صلى الله عليه وسلم في
ارضهم او يغلب على بلادهم فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال في وجه اتصال هذه الاية وما قبلها ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لما قال لليهود قالوا لا نتبعك فان النبوة والملك لم يزل في اسلافنا بني اسرائيل فانزل الله هذه
الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا الله يا مالك الملك فاما زيدت الميم في اللهم لانها بدل عن يا التي في
اوله التي هي اداة النداء الا ترى انه لا يجوز في الاختيار ادخال الميم لا يقال يا اللهم لكما يقال في النداء اللهم اغفر
لي ولهذا لا يجوز الجمع بين الميم في اخره وبين يا في اوله لانه لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض وانما شددت الميم
لانها عوض من حرفين فان النداء حرفان هذا اختيار سيبويه والخليل رحمهما الله وقال الفراء معنى قوله
اللهم يا الله أم بخير اي اقصد بخير طرحت حركة الهمزة على الهاء كما يقال ويل ام فلان وويل امه والمعنى
النداء كثر للتخفيف قال ولا يذكر يا اللهم في النداء الا في الشعر كما قال الشاعر
وما عليك ان تقولي كلما * صليت او سبحت يا اللهم ما * اردد علينا شيخنا مسلما * وانشد قطرب
اني اذا ما معظم الم * اقول يا اللهم يا اللهما وقد انكروا على الفراء هذا القول وقالوا انه لا يصح الا في
ضرورة الشعر واختلف اهل التفسير في معنى مالك الملك قال بعضهم معناه مالك كل ملك وهذه صفة لا
يستحقها احد غير الله تعالى ويقال معناه مالك امر الدنيا والاخرة وقال مجاهد اراد بالملك ههنا
النبوة وقيل ان هذا لا يصح لانه قال وتنزع الملك ممن تشاء والله تعالى لا ينزع النبوة من احد ولا يجوز ان ينزع لانه

لا يحتاج الى اداء الرسالة الا من يعلم من حاله انه يؤدي الرسالة على الوجه وانه لا يغير ولا يبدل لانه عالم بعواقب الامور
ومعنى تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء ان تعطيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه وهذا كما تقال
خذ ما شئت واترك ما شئت اي خذ ما شئت ان تأخذ واترك ما شئت ان تتركه وقوله تعالى وتعز
من تشاء وتذل من تشاء ظاهر المراد ومعنى بيدك الخير بيدك النصر والفتح والفيء والغنيمة وغيرها من خير
الدنيا والآخرة وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من خير او شر لانه انما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة
انما تقع في الخير لا في الشر وفي ذكر احد الامرين دليل على الآخر كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وقوله
تعالى انك على كل شيء قدير اي على كل شيء من الاعطاء والمنع والعز والاذلال قادر قوله عز وجل تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب
معناه تدخل من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات وتدخل
النهار في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات فما نقص من احدهما
دخل في الآخر هذا قول اكثر اهل التفسير وقال بعضهم معناه تذهب بالليل وتجيء بالنهار وتذهب بالنهار وتجيء
بالليل واما قوله وتخرج الحي من الميت قال عبد الله بن عباس وقتادة والضحاك معناه تخرج الحيوان من النطفة
وهي ميتة والنطفة من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وزاد بعضهم في هذا فقال هو
السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والعالم من الجاهل والجاهل من العالم وفي
قوله عز وجل وترزق من تشاء بغير حساب اي بغير مقدار ولا تقدير يقال فلان ينفق بغير حساب اي ينفق
بالسعة ولا يحسب ما ينفق وقد تقدم تفسير هذا من وجوه اخر وبالله التوفيق قوله عز وجل لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين كانوا مع اظهارهم الايمان يتولون اليهود ويأتونهم باخبار
المؤمنين رجاء الظفر لهم على المؤمنين فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكفار فقال عز من قائل لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء اي ان كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار اولياء من دون المؤمنين وهذا نهي معناه
ومعنى النهي على الجزم لكن كسرت الذال لالتقاء الساكنين وفي قوله عز وجل من دون المؤمنين بيان ان المكان
المرتفع في الولاية مكان المؤمنين وهذا كما تقال زيد دون عمرو يراد به انك ارفع منه في الشرف ولا يراد به الارتفاع
والاستفال في المكان ويقال من دون المؤمنين اي من غير المؤمنين وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك اي ولاية الكفار
فليس من الله في شيء اي في ولاية ولا دين كما قال في آية اخرى ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ان ولي الكافر راض
بكفره والرضا بالكفر كفر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تتراءى ناراهما
وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان يحصل المؤمن في ايدي الكفار يخاف على نفسه فيداهنهم فيرضيهم بلسانه
وقلبه مطمئن بالايمان ... ذلك كما روي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله اخذ رجلين من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم ثم دعا
بالآخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال اني اصم فاعاد عليه السؤال ثلاثا
فاجاب في كل مرة بمثل هذا الجواب فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا
المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بالفضيلة فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله تعالى فلا تبعة عليه
وقرأ بعضهم تقية وقرئ تقاة بالفتح والامالة وكلها لغات ومعناها واحد وقوله تعالى ويحذركم الله
نفسه اي يخوفكم عقوبته وذكر النفس لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد او صولة الاسد وافتراسه دون
عينه وقال الزجاج معنى نفسه اياه وانما خاطب الله تعالى العباد على قدر علمهم وعقلهم ومعنى قوله عز وجل

تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم حقيقة ما عندي ولا اعلم حقيقة ما عندك وقوله عز وجل والى
الله المصير زيادة في الايعاد وتذكير بالمعاد اي فتعلمون ما فعلتم عند مرجعكم اليه قوله عز وجل قل ان تخفوا
ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير
معناه قل ان تسروا ما في قلوبكم من التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم والعداوة للمؤمنين وتظهروا بالشتم
والطعن والحرب يعلمه الله عز وجل فيجازيكم عليه وانما ذكر الصدر مكان القلب لانه مشتمل على القلب قال الله
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله عز وجل ويعلم ما في السموات وما في
الارض اي لا يخفى عليه شيء من عمل اهل السموات واهل الارض فلا يغرنكم الاخفاء فان الاخفاء والابداء عنده
سواء والله على كل شيء من عمل السر والعلانية وجزاء كل قادر قوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رءوف بالعباد اول هذه الآية منصرف الى قوله ويحذركم الله نفسه كانه قال ويحذركم
الله نفسه يوم تجد وقيل معناه والى الله المصير يوم تجد وقوله تعالى محضرا اي تجده حاضرا مكتوبا
في ديوانه لا ينقص فيه وقوله عز وجل وما عملت من سوء اي والذي عملت من سوء تتمنى ان يكون بينه وبين
ذلك اجلا طويلا بعيدا ما بين المشرق والمغرب ليته لم يعمل وقد تعبر العرب عما لا يكون بالبعد تقول هذا
الذي تقول فلان بعيد اي ليس بكلام يحتاج اليه وفي هذا الموضع ومعنى والله رءوف بالعباد رحيم بالمؤمنين
خاصة هكذا قال عبد الله بن عباس وقيل ان اول هذه الآية عدل واوسطها تهديد وتخويف و
آخرها رافة ورحمة وعن الحسن انه قال من رحمة الله عز وجل ان حذركم نفسه قوله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
روي انه لما نزلت الآيات المتقدمة قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وانما نزل الله تعالى مثل هذه الآيات
في اعدائه لا في احبائه وارادوا بقولهم نحن احباؤه انا نعبده ونحبه كما يقع اسم الصديق على كل واحد من
المتصادقين فانزل الله تعالى هذه الآية والمحبة في الحقيقة هي الارادة وهو ان تريد نفع غيرك فيقع
مراده في نفعك اياه واما العشق فهو افراط المحبة في هذا المعنى واما المحبة للطعام والملاذ فهو شهوة
وتوقان النفس الى مشتهياتها كلها فاما محبة العباد لله عز وجل فالله عز وجل تستحيل عليه المنافع
فلا يصح ان يراد بمحبته هذه الطريقة لكن يراد بمحبته اعظامه واجلاله وطاعته ومحبة رسله واوليائه
ومحبة الله تعالى اياهم اثابته اياهم على طاعته وانعامه عليهم وثناؤه ومغفرته لهم فمعنى قوله عز
وجل ان كنتم تحبون الله اي ان كنتم تقصدون طاعة الله والرضا بشرائعه فاتبعوني على ديني
يحببكم الله حبا ويغفر لكم ذنوبكم في اليهودية والله غفور رحيم وروي انه لما نزلت هذه الآية
عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود فقال عبد الله بن ابي بن سلول السلولي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله تعالى ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام وقالت
اليهود يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فانزل الله عز وجل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين معناه ان كنتم تحبون الله كما
تزعمون فاطيعوه ودلالة الصدق طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان علامة حب
الله تعالى طاعته قال الشاعر تعصي الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمري في الفعال بديع *
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع * وكان ابو سهل الانماطي يقول علامة
حب الله عز وجل ان يكون العبد دائم الفكرة كثير الخلوة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا
نودي ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا الا الله عز وجل ولا يرجو الا اياه ولا

يرجو الحذا غيره وايضا قوله تعالى فان تولوا اي ان لم يفعلوا ما تدعوهم اليه من اتباعك وطاعة امرك فقد
كفروا اي فهم اعداء الله تعالى ان الله لا يحب الكافرين لا يغفر لهم ولا يثني عليهم فلما نزلت هذه الاية
قال اليهود نحن ابنا ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية قوله عز وجل
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين معناه والله تعالى اعلم ان الله انما
اصطفاهم على عالمي زمانهم لاتباعهم امره وان ادم عليه السلام كما لا ينفع اولاده المشركين كذلك سائر
الانبيا صلوات الله عليهم لا ينفعونهم والاصطفا هو الاختيار وهو افتعال من الصفوة اي جعلهم
صفوة خلقه وصفوة الله تعالى هم الذين لا دنس فيهم بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الفعل وفي
الصفوة ثلث لغات صَفوة وصُفوة وصِفوة واختلفوا في آل عمران في هذه الاية فقال بعضهم اراد بآل عمران
موسى وهرون وقال بعضهم اراد مريم قوله عز وجل ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
يقال ولد او اولاد او اولاد الاولين للاخر والاخر من الاول والله سميع لقولهم عليم بهم ومجاز الضرورة وقوله
عز وجل ذرية نصب على البدل وقيل على الحال اي اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض واما اشتقاق
الذرية فقد تقدم ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم قال ابو عبيدة اذ زايدة في الكلام وكذلك في سائر
الاي وقال جماعة من النحويين معناه واذكر اذ قالت ويقال قوله اذ قالت امراة عمران راجع الى قوله تعالى وآل
عمران اي اصطفاهم اذ قالت ويقال هو راجع الى قوله سميع عليم وكان اسم امراة عمران حنة وهي ام مريم
وجدة عيسى وكانت لها ابنتان احدهما ايشاع وهو عمران بن ماثان وبينه وبين عمران ابي موسى عليه
السلام الف وثلثمائة سنة وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي اوجبت لك على نفسي ان
اجعله عتيقا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحررون اولادهم اي يعتقونها عن اسباب الدنيا يجعلون الولد
خالصا لله تعالى لا ينتفعون به ولا يستعملونه كما ينتفع الوالد بولده ولم يكونوا يحررون الا الغلمان وكان
المحررون سكان بيت المقدس يتعهدونه ويكنسونه فاذا بلغوا خيروا فان احبوا اقاموا في البيت وان
احبوا ذهبوا والمحرر الخليص يقال طين حر اي خالص وتحرير الكتاب خلاصه من الفساد والاضطراب و
قوله عز وجل فتقبل مني انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي والخالص التقبل هو اخذ الشي على الرضا يقال اي تقبل نذرها
تقبل الامير هدية فلان اي اخذها على الرضا واصل ذلك من المقابلة فسمي الاعتداد بالشي فيما يقابل الجزاء
تقبلا قوله عز وجل فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
وذلك انها كانت تظن وقت النذر ان ما في بطنها ذكر فلما ولدت جارية اشفقت ان لا
يقبل منها فقالت رب اني وضعتها انثى اي ولدتها جارية وكان هذا القول منها على وجه الاعتذار لان حق
الانثى اضعف وعقلها انقص وكانوا لا يحررون النسا لخدمة البيت لما يلحقهن من الحيض والنفاس يقول
الله عز وجل والله اعلم بما وضعت وقرا بعضهم وضعتُ حكاية عن قول المراة واما قوله تعالى وليس الذكر
كالانثى فهو من قول المراة معناه ليس الذكر كالانثى في خدمة البيت لان الانثى عورة لا تصلح لما يصلح له الذكر
وقوله تعالى واني سميتها مريم اي خادم الرب بلغتهم وقوله تعالى واني اعيذها بك اي امنعها بك وولدها ان
كان لها ولد من الشيطان الرجيم اي المرجوم وهو المطرود من رحمة الله تعالى روي ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا وللشيطان طعنة في جنبه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان
الا مريم وابنها عليه السلام قال ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
وفي الاية دليل جواز تعليق النذر بالخطر والاوقات المستقبلة وصحة النذر مع الجهالة لان امراة عمران كانت لا

تدري

تدري ان ما في بطنها ذكر او انثى ودليل ان للام ضربا من الولاية في تسمية الولد وتاديبه وتعليمه ومثل هذا النذر
من الانسان في ولده ان ينشئه على عبادة الله تعالى وطاعته وتعليمه الفقه والقرآن وعلوم الدين نذر صحيح في
شريعتنا قوله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب معنى الاية والله تعالى اعلم استجاب الله دعاها وقبل نذرها وجعل مريم صوامة
وقوامة رباها الله تربية حسنة وانما ذكر مصدر تقبلها بلفظ القبول لان في التقبل معنى القبول وذكر لفظ النبات
على المعنى ايضا لان في انبات الله نباتا واما قوله عز وجل وكفلها زكريا اي ضمها للقيام بامرها قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار باصبعيه ومن قرا وكفلها بالتشديد وزكريا بالنصب فمعناه ضمها
الله تعالى الى زكريا وضمنه القيام بامرها روي ان امراة عمران لما دعت بهذا الدعا المذكور في الاية المتقدمة
لفتها في خرقة ووضعتها في بيت المقدس فتنافس فيها الاحبار ايهم يكون عنده فقال زكريا عليه السلام
انا احق بها خالتها امراتي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع
عليها باقلامنا فتكون عند من يخرج سهمه فاخذوا الاقلام التي كانوا يكتبون بها كتاب الله عز وجل
فكانوا سبعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر سلوان فقالوا نطرح اقلامنا مع هذه الجرية فمن صعد قلمه
فعلى الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فطرحوا اقلامهم مع الجرية فلما بلغت المبلغ الذي
سفلت اقلامهم جميعا وصعد قلم زكريا فعلى الجرية فضمها زكريا الى نفسه واسترضع لها فلما بلغت المبلغ
الذي يصلح للبيت بنى لها محرابا وغرفة من البيت وجعل باب الغرفة في وسط الحائط لا يصعد اليها الا بالسلم
فكان يغلق عليها الباب لا يدخل عليها احد غيره فكانت اذا حاضت اخرجها الى منزله فتكون عند خالتها
واذا طهرت ردها الى البيت فذلك قوله عز وجل وكفلها زكريا وايضا قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب قال بعضهم اراد بالمحراب المسجد وكانت مساجدهم تسمى المحاريب كما في قوله عز وجل اذ تسوروا
المحراب ويقال ان المحراب في اللغة هو الموضع العالي المقدم الشريف ومن ذلك سمي امام المسجد محرابا وهو
مفعال من الحرب لانه يحارب على قلبه وقيل هو موضع محاربة الشيطان ويقال ان المحراب موضع الحريبة وهي
المال وايضا قوله تعالى وجد عندها رزقا كان يجد عندها فاكهة الشتا والخريف في القيظ وفاكهة
القيظ في الشتا فقال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا فانه لا يدخل عليك احد غيري فقالت هو من عند
الله اتاني به جبريل عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول تكلمت مريم في المهد ولم تلقم ثديا قط
وانما كان ياتيها رزقها من الجنة وايضا قوله تعالى ان الله يرزق من يشا بغير حساب قد تقدم تفسير قوله
عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا
المعنى والله تعالى اعلم عندما راى زكريا امر الله تعالى في مريم طمع ان الذي ياتي مريم بالفاكهة في الشتا يصلح له
عقره وجبره فدعا الله عند ذلك وقال رب هب لي اي اعطني من عندك ذرية طيبة اي ولدا صالحا انك
سميع الدعا سامع الدعا ومجيبه والاصل في هنالك وهنال اقرب الظرف والمكان يقال رايته هنا ورايته
هناك والفصل بينهما ان هنا اقرب من هناك وهناك اقرب من هنالك وفيه معنى الاشارة كقولك هذا وذاك
وذلك ودخول اللام فيه لتاكيد التعريف ولا موضع للكاف من وجوه الحركات لان فيه خطابا قوله
عز وجل فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين معناه والله اعلم ناداه جبريل عليه السلام
وهو قائم يصلي في المسجد ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى كما قال جل ذكره في اية اخرى يبشرك بغلام اسمه يحيى وقوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم كان يحيى اول من صدق وشهد انه كلمة الله وروحه

في حريبة الرجل ماله الذي يحترب به

الألوكة www.alukah.net

وكان اكبر من عيسى بستة اشهر وفي بعض الروايات ان مريم دخلت على خالتها بعدما حملت بعيسى عليه السلام فوجد
ما في بطن خالتها وهو يحيى لما في بطنها فقالت لها خالتها انت حين اتيتنا حملت خير الناس واخبرت زكريا بذلك
فقال لها اما اني لا احسبني على ابنة اختك وانما احسبني على نفسي اذ لم يكن يصعد اليها احد غيري وانما قوله عز وجل
وسيدا فالسيد الحقيقة من تلزم طاعته ويجب على الناس الاقتداء به في العلم والحلم والعبادة والتقى
وانما قوله وحصورا فالحصور الذي لا ياتي النساء يحصر نفسه عما يكون من الرجال ويقال عن شهوات الدنيا
كلها وقد يسمى كاتم السر حصورا والذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك واصله من الحصر
وهو الحبس وسمي الحصير حصيرا لانه دخل بعضه في بعض والنسج وحبس بعضه على بعض وذهب بعضهم الى ان
الحصور هو الذي لا شهوة له والاول اولى لان الثاني من اضافة عيب النقص اليه ولان هذا الثناء والصفة تستعمل
حالة الاختيار كما يقال اكول وشروب وظلوم ونحو ذلك وقوله عز وجل ونبيا من الصالحين اي نبيا من
المرسلين ويقال معناه وكان من الصالحين نبيا لان من الصالحين من ليس بنبي والصالح الذي يؤدي ما افترض
الله عليه ويؤدي حقوق الناس اليهم وانما ذكر الملائكة بلفظ الجمع في اول هذه الاية فعلى معنى انه اتاه
النداء من هذا الجنس وهذا كما يقال فلان ركب السفن وانما ركب سفينة واحدة لكن يراد بقولهم ركب السفن
جعل ركوبه في هذا الجنس ومن قرا فناديه بلفظ التانيث فعلى معنى الجماعة ومن قرا ان الله بالكسر اي وقالت له
الملائكة ان الله وقراءة التشديد في يبشرك من البشارة ومن قرا يبشرك بالتخفيف فهو من قولهم بشرت الرجل
وبشرته اذا فرحته يقال بشرت فلانا ابشره وبشرته اذا اخبرته بخبر سرور وبشر الرجل يبشر اذا فرح و
انما سمي يحيى لانه كان في علم الله تعالى ان يقتل شهيدا والشهداء احياء عند ربهم قوله عز وجل قال رب
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قيل في تفسير هذه الاية
قال زكريا لجبريل عليهما السلام حين سمع البشارة يا سيدي كيف يكون لي غلام وقد ادركني الهرم وامراتي
عاقر لا تلد فقال له جبريل عليه السلام مثل ذلك يفعل الله ما يشاء اي الذي يشاء وقال بعضهم اراد زكريا يا رب
الله عز وجل اي قال يا رب كيف يكون لي غلام قال الكلبي رضي الله عنه كان زكريا ابن سبعين سنة وكانت امراته قريبة
والسن منه وقال الضحاك رضي الله عنه كان هو ابن مائة وعشرين سنة فان قيل كيف قال زكريا انى يكون لي
غلام فاستبعد ان يعطيه الله ولدا على كبر السن من امراته عاقر بعد ما بشرته الملائكة بذلك قيل لم يكن
هذا القول على جهة الاستبعاد ولكن من شان من بشر بما يهوى ان يحمله فرط سروره به على الزيادة في
الاستكشاف والاستثبات كما يقول الانسان اذا راى شيئا من الامور العظيمة كيف كان هذا على جهة
الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا الشك في القدرة وكذلك اذا راى من وهب مالا عظيما لرجل قال كيف
سمحت نفس فلان بهبة هذا المال كله يريد بذلك الاستعظام دون الاستنكار وهو عالم بانه قد وهب
وقيل في معنى قوله تعالى انى يكون لي غلام اي على اي حال يكون الولد ايردني الله تعالى وامراتي الى حال الشباب
ام على هذه الحالة ويقال معناه ايرزقني الله من امراتي هذه او من امراة اخرى شابة فقيل له كذلك الله يفعل
اي كما انت عليه يفعل الله تعالى الذي يشا وروي ان جبريل عليه السلام حرك سعفة يابسة فاهتزت السعفة
ثم قال جبريل كذلك الله يفعل ما يشا اي كما ان السعفة اليابسة يفعل الله ما يشا فان قيل كيف قال في هذا
الموضع بلغني الكبر وقال في موضع اخر وقد بلغت من الكبر عتيا وهل يجوز ان يقول الانسان بلغني البلد كما يقول بلغت
البلد قيل هذا جائز في هذا الموضع ولا يجوز في البلد لان الكبر كالطالب للانسان لاتيانه عليه بحدوثه فيه و
الانسان كالطالب للكبر لوجوده اياه بمرور السنين والاعوام عليه واما البلد فلا يكون طالبا للانسان كما يكون
الانسان طالبا للبلد قوله عز وجل قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا و
اذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار اي قال زكريا يا رب اجعل لي علامة اذا حملت امراتي عرفت ذلك

منها

منها اراد بهذا القول ان يتعجل له السرور قبل ظهور الولد بالولادة وروي ان جبريل عليه السلام لما بشر زكريا
بالولد اتى الشيطان فوسوس لزكريا عليه السلام ان النداء الذي سمعه نداء الشيطان فقال رب اجعل لي اية
قال ايتك الا تكلم الناس وعلامة حدوث حمل امراتك ان لا تطيق الكلام مع احد من الناس ثلاثة ايام
من غير خرس الا اشارة بالعينين والحاجبين واليدين وقيل ان الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة
بصوت والرمز والايماء واللغة الحركة والتحرك وقوله عز وجل واذكر ربك كثيرا اي في هذه الايام
الثلاثة وسبح بالعشي والابكار اي صل غدوا وعشيا كما يقال فرغت من سبحتي اي من صلاتي
وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من التوحيد والتمجيد والتنزيه من كل سوء وقال بعضهم اراد
بالتسبيح التسبيح المعروف فيما بين الناس قال الحسن جعل اية زكريا ان امسك لسانه عن الكلام مع
الناس من غير خرس ولا حدوث افة به فكان لا يمكنه ان يتكلم مع الناس وكان يمكنه ان يذكر الله تعالى
ويقرا كلامه وكان هذا معجزة عظيمة لانها انما كانت معجزة له في نفسه دون غيره من الناس فان غيره
من الناس كان اذا راه يتكلم بذكر الله عز وجل ولا يتكلم مع الناس كان لا يمكنه ان يعلم انه ممنوع من الكلام مع
الناس ولكان يظن انه ممتنع من الكلام مع الناس بنفسه وفي ذكر الايام الثلاثة في هذه الاية وذكر ثلاث ليال
سويا في اية اخرى في هذه القصة دليل ان احد العددين اذا ذكر على لفظ الجمع اريد مثله معه من العدد
الاخر في الاحكام الا ترى انه لما اختلفت الايام والليالي في كل واحد منهما بالذكر قال الله تعالى سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فاما عند الاطلاق اذا ذكر احد العددين على وجه الجمع في العقود والنذور دخل معه
مثله من العدد الاخر قوله عز وجل واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين معطوف على اذ قالت امراة عمران والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده
على نحو ما تقدم ذكره ومعنى ان الله اصطفاك اي اختارك لطاعته وعبادته وطهرك من الكفر بالايمان
كما قال الله عز وجل ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اراد طهارة الايمان والطاعة
وقد سمى الله عز وجل الكفر نجاسة في قوله عز وجل انما المشركون نجس وقيل معنى وطهرك اي من الادناس
كلها من الحيض والنفاس وغيرهما وقوله عز وجل واصطفاك على نساء العالمين اي اختارك على نساء عالمي
زمانك بولادة عيسى عليه السلام بشرا من غير اب فان قيل كيف يجوز ظهور الملائكة لمريم وذلك
معجز لا يجوز ظهوره على غير نبي ومريم لم تكن نبيا كما قال الله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم
قيل انها وان لم تكن نبيا فان ذلك كان في وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجز في زمان الانبياء
عليهم السلام لغيرهم ويكون ذلك معجزا لهم وقال بعضهم كان ذلك ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
كما كان الشهب وتظليل الغمامة وكلام الذئب ارهاصا لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز
وجل يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين قال سعيد بن جبير معنى اقنتي
اخلصي العبادة لربك وقال قتادة معناه ادومي الطاعة لربك وقال مجاهد معناه اطيلي القيام في
الصلاة وهذا القول لا احسن الوجوه لان الامر لان الله تعالى عطف الامر بالركوع والسجود على ذلك
والقيام والركوع والسجود كلها اركان الصلاة ولذلك لم يكن هذا موضع بحث عند اهل العلم لانه امر
بالصلاة وقيل في قوله عز وجل واركعي مع الراكعين امرها بالصلاة في الجماعة مع الاحبار في بيت المقدس
لانها كانت خادم المسجد وفي الاية دليل ان الواو لا توجب الترتيب لان الركوع مقدم على السجود في المعنى
وقد قدم السجود في هذه الاية دليل ان الواو لا توجب الترتيب لان الركوع مقدم على السجود في اللفظ قوله
عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون يقول ما قصصناه عليك يا محمد

الألوكة

صلى الله عليه وسلم من امر زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار ما غاب عنك نرسل جبريل عليه السلام
به اليك وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم اذ يطرحون اقلامهم في النهر على الجرية ايهم يضم مريم للقيام بامرها
وما كنت عندهم اذ يختصمون في امرها التربية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالاقلام القداح وهي
السهام سميت اقلاما لانها تقلم اي انها تبرا كالقلم والقلم المقلوم وفي اخبار الله عز وجل النبي صلى الله عليه
وسلم بانبا الغيب دليل نبوته لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا ومثل هذه الاخبار لا تعلم الا باحد وجوه
اربعة اما بالمشاهدة او بقراة الكتب وبالتعلم من قرا الكتب وعرف تلك الاخبار او بالوحي من جهة الله عز
وجل وقد سقطت وجوه الثلثة عن النبي صلى الله عليه وسلم فثبت انه كان بالوحي من جهة الله عز وجل قوله عز
وجل اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين معناه والله تعالى اعلم واذكر اذ قالت الملئكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعني عيسى بن مريم سماه الله تعالى كلمة لانه كان بكلمة من الله تعالى القاها الى
مريم ولم يكن بحرث والد وقال بعضهم سمي كلمة لان الناس كانوا يهتدون به في اديانهم كما يهتدى بالكلام
وقال بعضهم ذكره الله تعالى في كتب من قبل فكانت الكلمة هو ما ذكر في الكتب من حديثه وهذا كما يقول الانسان
لغيره اذا خرج الامر موافقا لقوله قد جا كلامي واما قوله تعالى اسمه المسيح فانما ذكره بلفظ التذكير لان معنى
الكلمة معنى الولد فلذلك لم يقل اسمها والله اعلم وقد اختلفوا في تسميته مسيحا روي عن عبد الله بن عباس
انه قال المسيح الممسوح بالبركة وذهب الى ان المسيح فعيل بمعنى مفعول وقال بعضهم سمي مسيحا بمعنى الماسح
كان يمسح ذوي العلل فيبرون وقيل لانه كان يمسح الارض سياحا ولا يستقر وقال الكلبي المسيح الملك الذي لا
حاجة له الى احد من المخلوقين وروي عن عيسى عليه السلام انه كان يقول الشمس صلاي والقمر سراجي وبقول
البرية طعامي بيتي حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب ولا مال يسرق اصبح ولا غدا لي وامسي
ولا عشا لي وانا من اغنى الناس واما عيسى فهو معرب واصله من ايشوع بالسريانية واشتقاقه في كلام
العرب انه فعلى من العيس وهو بياض الابل وقيل من العوس وهو من السياسة الا ان الواو قلبت يا لانكسار ما قبلها
وقوله عز وجل وجيها في الدنيا والاخرة اي ذا قدر ومنزلة في الدنيا عند اهلها وفي الاخرة عند ربه والوجيه
الذي لا يرد قوله يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه اذا صار بحيث لا ترد مسالته وقوله عز وجل
ومن المقربين اي من المقربين الى ثواب الله عز وجل في جنة عدن وهي الدرجة العليا والتقرب الى الله عز
وجل التقرب الى ثوابه قوله عز وجل ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين معناه ويكلم الناس
في مضجع الرضاع ويكلم كهلا بعدما دخل في السن ومن الصالحين اي من المرسلين وقال الكلبي اراد بالمهد
الحجر وكل ما مهد فهو مهد روي في الخبر ان مريم لما ولدت عيسى ذهب بهما يوسف ابن يعقوب
من ماثان الى الغار فكانا في الغار اربعين يوما حتى انقضت مدة نفاسها وهو ابن اربعين يوما قالوا يا مريم لقد
جئت شيئا فريا فكلمهم وجيها قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ مبلغ
الغلمان الذين يتكلمون فكان يتكلم ويعلم ما لا يعلمه احد فان قيل الكلام في حال كونه في المهد مما
يعجب الناس به واما الكلام من الكهل فليس بعجيب فكيف ذكره الله تعالى في القران قيل ذكر الكلام في الكهولة
بشارة لمريم في ان عيسى عليه السلام يعيش الى وقت الكهولة وقيل اراد به انه يكلم في حال الكهولة بعد نزوله
من السما لقتل الدجال وقيل اراد بالكلام في المهد براة امه مما رماها اليهود واراد بالكلام في الكهولة
ابطال ما ادعاه النصارى من كونه الها لانه كان طفلا ثم صار شابا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة
لا يجوز ان يكون الها والكهل في اللغة هو الذي جاوز حد الشباب ولم يبلغ حال الشيخوخة يقال اكتهل النبات
اذا قوي واشتد وقيل ان الكهل هو الذي يكون ابن اربع وثلثين سنة قوله عز وجل قالت رب انى يكون

لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
معناه قالت مريم لجبريل عليه السلام يا سيدي كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر بالنكاح ولا بالسفاح
وكان القول منها على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره وقال
بعضهم اراد بهذا القول ان تعرف انه يكون لها ولد قبل ان يمسها بشر او بعد ان يمسها بشر فاجابها
جبريل عليه السلام قال كذلك الله يخلق ما يشاء اي كما قلت لك ويقال كما انت يخلق الله ما يشاء ان
يكون لك ولد من غير ان يمسك بشر وقوله عز وجل اذا قضى امرا اي اذا اراد شيئا ويقال اذا حكم بتكوين
شي فانما يقول له كن فيكون كما اراده الله عز وجل وهذا اخبار عن سرعة كون مراد الله عز وجل
لانه لا يكون في وهم العباد شي اسرع من كن فيكون وانما ذكره بلفظ الامر لانه ادل على القدرة وقال
بعضهم هذه كلمة جعلها الله عز وجل علامة لحدوث امر من الامور وبالله التوفيق قوله عز وجل
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية
من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
معطوف على قوله ويكلم الناس ويقرا ونعلمه بالنون عطفا على قوله عز وجل نوحيه اليك والمراد
بالكتاب الزبور وغيره من الكتب التي انزلها الله عز وجل على انبيائه صلوات الله عليهم سوى التورية
والانجيل وقيل اراد بالكتاب الكتابة والحكمة الفقه وهو فهم المعاني فاما قوله عز وجل والتورية
والانجيل قيل علمه الله التورية في بطن امه والانجيل بعد خروجه هذا ايضا من الحكمة الا انه عز وجل
ذكرها تفخيما لامرهما كما قلنا في قوله عز وجل من كان عدوا لله وملئكته وقوله عز وجل ورسولا
الى بني اسرائيل اي نجعله رسولا بعثه الى بني اسرائيل قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتي وقال
بعضهم قوله عز وجل رسولا عطف على وجيها ومن قرا اني قد جئتكم بالكسر فعلى الاستئناف ثم فسر الله تعالى
الاية بقوله عز وجل اني اخلق لكم معناه ومن قرا اني اقدر لكم من الطين واصور كهيئة الطير فانفخ فيه
في الطين كنفخ النائم فيصير طيرا يطير بين السما والارض بامر الله عز وجل ويقرا طائرا الا ان هذا احسن
لان الطائر يراد به الحال اي يقوم ويطير وطيرا يراد به انه يصير طيرا من الطير وقوله عز وجل وابرئ
الاكمه والابرص اي اصحح الذي ولد اعمى والابرص ايضا واحيي الموتى باسم الله الاعظم باحيائهم واخبركم
بما تاكلون غدوة وعشية وبما تدخرون من غدائكم لعشائكم ومن عشائكم لغدائكم ويجوز ان يكون معنى ما
تاكلون معنى الذي تاكلون والذي تدخرون ويجوز ان يكون ما مع ما بعده بمنزلة المصدر كانه قال باكلكم
وادخاركم ان في ذلك لاية لكم اي ان فيما اتيت لكم لعلامة لكم في نبوتي ان كنتم مصدقين بالله عز وجل
لان من صدق بالله عز وجل وعلم انه حكيم لا يظهر المعجزة على من يكذب ويعترض عليه وانما يظهرها على
من يكون نبيا وقيل ان معنى ان كنتم مؤمنين اي من كان مؤمنا فهذا حكمه ان يتبع المعجزة ويقبلها روي
ان عيسى عليه السلام لما دعاهم الى الله عز وجل بدعوى هذه المعجزات قالوا له اخلق لنا خفاشا سالوه ذلك
لان الخفاش من اعجب الطيور بغير ريش وله ثدي لا يبيض ويحيض طلبوا منه ذلك متعنتين فاخذ
طينا وجعل منه خفاشا ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض فقالوا هذا سحر فقال ابرئ الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله فقالوا ان ابرا الاكمه والابرص يفعله الاطبا وانا نذهب الى جالينوس
اخبروه بامر عيسى عليه السلام فقال ان الذي ولد اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص الذي لو غرز لا يخرج
منه الدم لا يبرا بالعلاج وان كان من يحيي الموتى فهو نبي فجاؤا باكمه وابرص فمسح عليهما فبرئا فقالوا
هذا سحر فان كنت صادقا فاحيي الموتى فاحيى رجلا يقال له ابن العازر لصديق له انه قد مات فذهب مع اصحابه

الألوكة www.alukah.net

وقد دفن وأتى عليه أيام فدعا الله عز وجل فقام بإذن الله عز وجل وذكره يقطر فعاش وولد له وأحيى ابن العجوز مرّ به يحمل على سريره فدعاه فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله وبقي وولد له وأحيى ابنة العاشر ماتت وأتت عليها ليلة فدعا الله تعالى لها فعاشت وبقيت وولدت فقالوا إنك تحيي من كان موته قريبًا ولعلهم لم يموتوا وإنما أصابتهم سكتة فأحيِ لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله تعالى فخرج من القبر فقال له عيسى عليه السلام من أنت قال سام بن نوح عليه السلام قال من أنا قال عيسى بن مريم روح الله وكلمته قال كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب قال سمعت صوتًا أجب روح الله فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسي من هول ذلك قال فهل تسأل الله عز وجل أن تعيش معنا قال لا فإن مرارة النزع لم تذهب من حلقي بعد وكان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوه فإنه نبي عليه السلام ومات مكانه فآمن به بعض القوم وكذبه بعضهم وقالوا هذا سحر فأخبرنا بما أكلنا وادخرنا فكان يقول يا فلان أنت أكلت كذا وادخرت كذا ويا فلان أنت أكلت كذا وادخرت كذا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهمّ الكافرون بقتله ورفعه الله عز وجل إلى السماء قوله عز وجل ومصدقًا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون معناه والله أعلم وجئتكم مصدقًا لما بين يدي أي أتيت بالتوراة وأحكامها وصدقتها ويقال عني بالتصديق أن التوراة البشارة بي فإذا خرجت فقد صدقت ذلك ولا يجوز أن يكون ومصدقًا عطفًا على رسولا إذ لو كان كذلك لقال ومصدقًا لما بين يديه وقوله عز وجل ولأحل لكم عطف على معنى مصدقًا كما يقال جئتك معتذرًا ولأعتذر ومعناه ولأحل لكم أي لأرخص لكم بعض الذي حرم عليكم لأنه كان في التوراة أشيا محرمة حلل عيسى عليه السلام بعضها وهو العمل في يوم السبت وشحوم البقر والغنم وسائر ما حرم عليهم بظلمهم فأما أن يكون أحل لهم القتل والسرق والزنا فمحال وكان أبو عبيدة يذهب في هذا إلى أن معناه ولأحل لكم كل الذي حرم عليكم أحباركم لا ما حرمته أنبياؤكم عليهم السلام وكان يستدل في عبارة الكل بالبعض بقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه كل النفوس وقال الزجاج لا يجوز أن يذكر البعض عبارة عن الكل لأن بعض الشيء جزء منه قال ومعنى قول لبيد أو يعتلق يعني نفسي حمامها لأن نفسه بعض النفوس وهذا كلام يستعمله الناس يقول القائل بعضنا يعرفك يريد أنا أعرفك قال وإنما جاءهم عيسى بتحليل بعض ما حرم عليهم من الطيبات بظلمهم وأما قوله عز وجل وجئتكم بآية من ربكم أي لم أحل لكم شيئًا مما حرم عليكم من غير برهان بل أتيتكم بعلامة نبوتي فاتقوا الله فيما آمركم وأنهاكم وأطيعون فيما أبينه لكم قوله عز وجل إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم حكاية قول عيسى عليه السلام أي قال لهم إن الله ربي وربكم خالقي وخالقكم فاعبدوه أي وحدوه هذا الذي أدعوكم إليه صراط مستقيم طريق واضح لا عوج فيه من سلكه أداه إلى الحق قوله عز وجل فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون معناه والله أعلم لما علم عيسى عليه السلام منهم الكفر والقصد إلى قتله قال من أعواني مع الله تعالى ووضع إلى في هذا موضع مع لأن إلى الغاية ومع للانضمام فتقارب اللفظان وهذا كما يقال الذود إلى الذود إبل معناه الذود مع الذود إبل وقال الزجاج معنى من أنصاري إلى الله من يضيف نصرته إلى نصرة الله فإن من نصرني فقد نصر الله وقال الحسن معناه من أنصاري في سبيل الله ويقال معناه من أنصاري لله كقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي

إلى الحق

إلى الحق معناه من يهدي للحق بدليل أنه عقبه بقوله قل الله يهدي للحق وقوله عز وجل قال الحواريون نحن أنصار الله أي قال المخلصون في النصرة والتصديق نحن أعوان دين الله تعالى معك صدقنا بتوحيد الله تعالى واشهد يا عيسى بأنا مسلمون فأنا أشهد بأنك على ذلك والإحساس هو العلم من جهة الحاسة واختلف أهل التفسير في الحواريين قال بعضهم المخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريّ من أمتي أي هو من خاصتي وكان الحواريون لعيسى عليه السلام اثني عشر رجلًا من أصحابه مكان العشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سموا حواريين من الحور وهو الخلوص فقال عين حوراء إذا اشتد بياض بياضها وخلص واشتد سواد سوادها وخلص ومنه يقال دقيق حُوّارى للذي لم يبق فيه الألباب وقال بعضهم سموا حواريين من الحور وهو البياض إلا أنهم اختلفوا في بياضهم قيل كانوا قصارين يبيضون الثياب فقال لهم عيسى عليه السلام وقال ألا أدلكم على تطهير أنفع من هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر أنفسنا عن الذنوب فتابعوه على ذلك وقيل كانوا بيض الثياب وقيل كانوا بيض القلوب من الفساد وقيل كانوا ملوكًا وقال بعضهم كانوا صيادين قال لهم عيسى عليه السلام ألا أدلكم على اصطياد أنفع من هذا قالوا بلى قال تعالوا حتى نصطاد أنفسنا من نزغات إبليس فتابعوه كلهم كأنهم ذهبوا في هذا إلى اشتقاقه من الحور الذي هو الرجوع ومنه سمي المحور محورًا لأنه راجع إلى المكان الذي زال منه وقيل لأنه بدورانه يصقل حتى يبيض وأما ما روي في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور فمعناه من الرجوع والخروج من الجماعة بعد أن كنا فيها يقال كار عمامته إذا لفها على رأسه وحارها إذا نقضها قوله عز وجل ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أي قالوا يا ربنا صدقنا بما أنزلت من الإنجيل على عيسى عليه السلام واتبعنا عيسى عليه السلام فأثبت أسماءنا في جريدة المصدقين لأنبيائك عليهم السلام الذين شهدوا بصدق الأنبياء فيما قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين معناه والله تعالى أعلم مكر الكفار الذين لم يؤمنوا بقصدهم قتل عيسى عليه السلام والمكر هو الاحتيال في تدبير الشر وقوله تعالى ومكر الله أي جازاهم الله تعالى على ما تقدم لأن الجزاء على المكر يسمى مكرًا كما في الاعتداء والسيئة والاستهزاء وقوله عز وجل والله خير الماكرين أي هو أفضل الصانعين حين جازى الكفار على فعلهم وخلص المكروه به وذلك أن اليهود كانوا قد أجمعوا على قتل عيسى عليه السلام وهرب منهم إلى بيت فدخل البيت ورفعه جبريل من الكوة إلى السماء فقال ملك اليهود واسمه يهوذا لرجل خبيث منهم يقال له ططيانوس [خ ططيانوس] ادخل عليه البيت فاقتله فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام عليه فلما خرج رأوه على شبه عيسى عليه السلام فحسبوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عليه السلام وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى عليه السلام وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضًا قال الضحاك وأما المسيح فقد كساه الله عز وجل الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة قوله عز وجل إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون أي هذه الآية متصل بقوله عز وجل خير الماكرين ويقال معناه واذكر إذ قال الله عز وجل يا عيسى وفي الآية تقديم وتأخير [بعض] معناه إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك أي مميتك بعد الإنزال إلى الأرض وقال بعضهم معنى متوفيك أي قابضك إلي من بين الكفار ومكرهم يقال توفيت من فلان كذا إذا استوفيته وقوله عز وجل ومطهرك من الذين كفروا أي مخرجك من بين أظهرهم فإنهم كانوا أرجاسًا وكان تطهير عيسى عليه السلام منهم إزالته عن رفقتهم فإن التطهير إزالة الأنجاس عن الثوب والبدن وقال الربيع معنى

معنى متوفيك وفاة نوم لا وفاة اماتة اي قابضك الله عز وجل في حالة نومه الى السماء وقوله ورافعك الي اي الى
سمائي وجعل الرفع الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء وقال بعضهم معناه ورافعك الى كرامتي كما قال ابرهيم
عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي فانه كان يذهب الى الشام واما قوله عز وجل وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا فمعناه جاعل الذين صدقوك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك قال بعضهم اراد
به فوقهم من العزة والغلبة لا ترى يهوديا حيث كان الا اذل من النصارى قالوا وهذا يدل على انه لا يكون
لليهود ملك كما هو للنصارى وقال بعضهم اراد بفوق الذين كفروا فوقهم في الحجة والبرهان
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين اتبعوا عيسى عليه السلام هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم الذين
صدقوه في جميع ما قال ومعنى ثم الي مرجعكم الى مرجع الكفار والمؤمنين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين قوله عز وجل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة و
ما لهم من ناصرين معناه اعاقبهم عقوبة شديدة في الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الاخرة
بالنار وما لهم من مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله عز وجل واما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين اي الذين صدقوا وعملوا
الصالحات يكمل لهم ثواب اعمالهم والله لا يرحم الظالمين ولا يغفر لهم قوله عز وجل ذلك نتلوه عليك
من الايات والذكر الحكيم معناه والله تعالى اعلم اي ما جرى من القصص نزل به عليك يا محمد صلى الله
عليه وسلم يتلوه عليك جبريل عليه السلام بامرنا واضاف التلاوة الى نفسه من حيث حصلت بامره
ويقال معنى نتلوه نلقيه اليك به وحقيقة التلاوة اظهار الكلمة على جهة الحكاية يقال انشد فلان كتاب
وتلاه علينا فلان وقوله عز وجل من الايات اي من علامات نبوتك ومما فيه عبرة لمن اعتبر وبصيرة
لمن تبصر وقوله عز وجل والذكر الحكيم اي ومن القران ذي الحكمة في التاليف والنظم وسماه
حكيما لانه عما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة ويقال معنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول
ويقال المراد بالذكر الحكيم اللوح المحفوظ قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان وفد نصارى
نجران السيد والعاقب والاسقف وغيرهم من علمائهم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم بل يمنعكم من الاسلام
ثلث اكلكم الخنزير وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد فقالوا ارنا خلقا من غير اب وقالوا في احيا
عيسى عليه السلام الموتى دليل ان الله عز وجل اتخذه ابنا فانزل الله عز وجل قوله ان مثل عيسى عند الله
يقول صفة خلق عيسى عليه السلام بلا اب كصفة خلق ادم عليه السلام خلقه من غير اب اي صور
الله ادم عليه السلام من تراب من غير اب ولا ام ثم قال تعالى لادم كن فكان واراد الله عز وجل بهذه
الاية ان كون الولد من غير اب ليس باعجب من كون الانسان بغير اب وام وقد خلق الله ادم عليه
السلام من تراب من غير اب وام وفي هذه الاية دليل على صحة القياس لانه لو لم يصح القياس لم يكن الله تعالى
يحتج به وفيها دليل لجواز قياس الشي على الشي من وجه دون وجه لان الله عز وجل انما شبه عيسى عليه
السلام بادم عليه السلام في كونه من غير اب لا في كونه من غير ام ولا في خلقه من التراب فان قال قايل
هلا قال الله عز وجل كن فكان فان ادم عليه السلام قد انقضى كونه وقد اخبر عنه بالمستقبل قيل ان الفعل
الماضي منقطع والمضارع متصل ومن ذلك كما يقال في الاصول ان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه فعل كذا وكان فعل فانه لا يقتضي التكرار وما روي انه كان يفعل كذا فانه على التكرار دون الانقطاع
ثم فعل الله تعالى يجري على المهلة ويحدث على التدريج التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج

الا ترى

الا ترى انه عز وجل خلق السموات والارض في ستة ايام وكذلك تدبت الحيوة في ادم عليه السلام على
التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج كان يبدو شيا فشيا فاخبر الله عز وجل عن
ذلك بفعل دايم قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكن من الممترين ابتدا هذه الاية رفع على
خبر مبتدا محذوف معناه الذي انباك به هو الحق والصدق في امر عيسى عليه السلام فلا تكن
من الممترين اي من الشاكين قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كلهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك في امر عيسى عليه السلام قط وهذا كما قال الله عز وجل يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء وقال بعضهم معناه لا تكن ايها السامع لهذا النبا من الشاكين واراد به كل
من كان من المكلفين قوله عز وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين معنى الاية والله تعالى اعلم فمن خاصمك في امر عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من البيان
فان عيسى عليه السلام لم يكن الله ولا شريكه فقل تعالوا معشر النصارى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
ليخرجوا الى فضاء الارض وانفسنا وانفسكم اي ونخرج نحن بانفسنا وانتم بانفسكم ثم نبتهل اي نلتعن والبهلة
اللعنة يقال بهلة الله اي لعنه وباعده ويقال معنى نبتهل نجتهد ونتضرع في الدعا على الكاذب من
الابتهال وهو التضرع والاجتهاد وطلب الشي بترفق الابتهال فقال الحل ذلك فنجعل لعنة الله على
الكاذبين اي نقول لعنة الله في امر عيسى عليه السلام على الكاذبين وقد روي انه لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ان الله عز وجل امرني ان اباهلكم ان لم
تقبلوا فقالوا يا ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فخلا بعضهم
ببعض البعض فقال السيد للعاقب قد والله علمت ان الرجل نبي مرسل ولئن لاعنتموه ليستاصلنكم
وما لاعن نبي قوما قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وان انتم لم تتبعوه وابيتم الا الف دينكم فوادعوه
وارجعوا الى بلادكم فلما كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفرين اهله لم يخلف احد
البيت خرج وجه بهم ادعوا محتضنا حسنا اخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي على اثره وعلي بينهم
رضوان الله عليهم فابوا ان يلاعنوه وانقادوا وقبلوا الجزية يؤدونها اليه في كل سنة فقالوا اصالحنا
يا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نرجع الى بلادنا وابعث معنا رجلا عدلا يقضي بيننا في امورنا القضايا
ونعطيه من اموالنا فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفي حلة الف في صفر والف في رجب
وقال لهم وان كان كون باليمن عنتهم بثلثين درعا وثلثين رمحا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا والمسلمون ضامنون
لها حتى نردها عليكم وكتب لهم كتاب الامان والصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما كتب محمد صلى الله عليه وسلم لنجران وكل صفرا وبيضا وسوادا ورقيق فاضلا عليهم ترك ذلك كله
على الفي حلة في كل صفر الف حلة وفي كل رجب الف حلة ثمن كل حلة اوقية وما زادت الحلل على الاواق
فبحساب وما نقص من درع حلوا او خيل او ركاب فبحساب وعليهم عارية ثلثين درعا وثلثين
فرسا وثلثين بعيرا اذا كان كيد باليمن ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد صلى الله عليه وسلم
على انفسهم وملتهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير من حقوقهم ولا يغير
اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون من بلادهم ولا يعشرون ولا يطا ارضهم
جيش ومن سال منهم حقا فله النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن اكل الربا من ذي قبل فذمتي منه
بريئة لا يوخذ منهم رجل بظلم اخر لهم جوار الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا حتى ياتي
الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم شهد الشهود ابو سفين بن حرب وغيلان بن عمرو

الألوكة
www.alukah.net

وما لك بن عوف وغيرهم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاذ بن جبل رضي الله عنه
ليقضي بالحق فيما بينهم ورجعوا الى بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو باهلوني لاضطرم
الوادي عليهم نارا ولم يبق نصراني ولا نصرانية الى يوم القيمة وفي بعض الروايات قال لو التعنوا
لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم وفي هذا الخبر ان امتناعهم من المباهلة لم يكن الا لعلمهم
ان الحق مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يعلموا ذلك لباهلوه حتى كان يظهر بطلان قوله صلى الله
عليه وسلم في الحال قوله عز وجل إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله
لهو العزيز الحكيم يقول هذا الذي جئناك به من الحجج والآيات لهو الخبر الحق بان عيسى عليه
السلام لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه والقصص هو الخبر الذي يتلو بعضه بعضا من قولهم قص فلان
اثر فلان اذا اتبعه وقوله تعالى وما من إله إلا الله اي ما اله الا الله واحد بلا ولد ولا شريك وما اعطى
الله عز وجل عيسى عليه السلام من المعجزة التي عجز عنها المخلوقون لا يخرجه من العبودية لله عز وجل
وان الله هو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به ودخول من في قوله ما من اله الا الله لتوكيد النفي
في جميع ما ادعاه المشركون الهة وقوله عز وجل وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن
به ذو الحكمة في خلق عيسى عليه السلام من تراب وفي امره ان لا نعبد الا الله عز وجل قوله عز وجل
فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين يقول ان اعرضوا عما اتيت به من البيان فان الله عالم
بالمفسدين يجازيهم على ذلك ثم دعاهم الله عز وجل الى التوحيد فقال عز وجل قل يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون معناه قل يا محمد صلى الله
عليه وسلم يا اهل الكتاب هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم وفي سواء ثلث لغات سواء وسوى
وسوى ولا يمد منها الا المفتوح ويقال معنى الى كلمة سوا اي الى كلمة ذات سواء اي مستوية بيننا وبينكم ثم
فسر الكلمة فقال هي من قابل ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا اي ان لا نشرك به احدا من المخلوقين
اربابا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي نرجع الى المعبود بأمر الله عز وجل وان عيسى عليه
السلام بشر كالناس فلا نتخذه ربا وسمى الله تعالى هذه الالفاظ كلمة لان معناها يرجع الى شيء
واحد وهو كلمة العدل لا اله الا الله تقول العرب للكلام الذي فيه شرح قصة وان طال
كلمة يقال انشدنا كلمة فلان اي قصيدة وذهب بعض المفسرين الى ان معنى ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله تعالى كما قيل في تفسير قوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله اي اطاعوهم في معصية الله وعن عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وفي عنقي صليب من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم الق هذا
الوثن عنك واحلق شعر الكفر عن رأسك فقلت يا رسول الله ما كنا نعبدهم فقال صلى الله عليه وسلم أليس كانوا
يحلون لكم فتأخذون بقولهم ويحرمون عليكم فتأخذون بقولهم فقلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم
هو ذاكم وقوله عز وجل فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون اي ان ابوا التوحيد فقولوا انتم
اشهدوا بانا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما اتتنا به الانبياء صلوات الله عليهم من قبل الله تعالى
ثم ذكر الله تعالى خصومة اهل الكتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم انا مسلمون على دين ابرهيم
فقال عز وجل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده
أفلا تعقلون قال الكلبي وذلك ان اليهود والنصارى اجتمعوا في بيت مدراس اليهود وكل فريق يقول
ان ابرهيم عليه السلام منا وعلى ديننا فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقض بيننا اينا اولى

براهيم عليه السلام ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين منكم بريء من دين ابرهيم عليه السلام ان ابرهيم
عليه السلام كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فانزل الله تعالى هذه الآيات يقول يا ايها
اليهود والنصارى لم تخاصمون في ابرهيم عليه السلام ودينه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
افلا تعقلون اليس لكم ذهن الانسانية فتعلمون ان اليهودية ملة محرفة عن شريعة موسى عليه
السلام وان اليهود سموا بهذا الاسم لانهم من ولد يهوذا والنصرانية ملة محرفة عن شريعة عيسى عليه السلام وسمي
نصارى لانهم من قرية بالشام يقال لها ناصرة ويقال معنى قوله عز وجل افلا تعقلون افلا تتفكرون
فتنظرون انه ليس في التوراة والانجيل ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا فان قيل ليس في نزول
التوراة والانجيل بعد ابرهيم عليه السلام ما يدل على انه لم يكن ابرهيم عليه السلام على اليهودية ولا على النصرانية
ولم يرد ذلك فيحتمل ان يدل نزول القرآن بعده على انه لم يكن على الاسلام [illegible]قيل ان اهل الكتابين جميعا كانوا
قد اتفقوا على وصف ابرهيم عليه السلام بانه مسلم الا ان اليهود ادعوا ان ذلك الاسلام كان يهودية
والنصارى ادعوا انه كان نصرانية فوضعوا ما لم يكن في الكتابين وعلمنا دعينا انه كان مسلما لم يدع
اكثر من ذلك ثم كتابنا نصفه بالاسلام كما بين الله تعالى هذه الآية قوله عز وجل ها أنتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون
معناه والله تعالى اعلم وانتم يا هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى خاصمتم فيما لكم به علم وهو امر نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابكم فلم تخاصمون فيما ليس لكم به علم وهو امر ابرهيم عليه
السلام والله يعلم دين ابرهيم وشأنه وانتم لا تعلمون وقيل ان الهاء في ها انتم تنبيه وانتم اسم المخاطبين
وهؤلاء اشارة اليهم كأنه يقول انتبهوا انتم الذين حاججتم وزعم الاخفش ان الاسم استفهام
التوبيخ تحولت الهمزة الاولى هاء كقولك هرقت واهرقت قوله عز وجل ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين تكذيب من الله تعالى
للفريقين في قولهم ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا ومعنى ولكن كان حنيفا مسلما
اي مائلا عن اليهودية والنصرانية مخلصا مستسلما لامر الله عز وجل وما كان مع المشركين على دينهم
والحنيف هو المائل من كل دين سوى الاسلام نسبة بالاحنف الذي يكون صدور قدميه مائلة من جهة
الخلقة قوله عز وجل إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله
ولي المؤمنين قال الكلبي وذلك ان رؤساء اليهود كانوا يقولون والله يا محمد صلى الله عليه وسلم
لقد علمت انا اولى بدين ابرهيم وما بك الا الحسد لنا فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها ان احق الناس
بولاية ابرهيم عليه السلام للذين اتبعوه في دينه في زمانه ولم يغيروا ولم يبدلوا وهذا النبي محمدا
صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا اصحابه الذين اتبعوه والله ولي المؤمنين في النصر والمعونة ثم ذكر الله تعالى
دعوة كعب بن الاشرف واصحابه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم
اليهودية فقال عز من قائل ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا
أنفسهم وما يشعرون معناه تمنت جماعة من اهل الكتاب ان يهلكوكم بادخالكم في الضلال وما يرجع
وبال ضلالهم الا على انفسهم وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه
صلى الله عليه وسلم على فعلهم قوله عز وجل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله و
أنتم تشهدون معناه يا اهل الكتاب لم تجحدون محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن وانتم تعلمون في كتابكم
انه نبي مرسل ويقال وانتم تشهدون بما يدل على صحة هذه الآيات من كتب الانبياء صلوات الله عليهم والاصل
ولم تكفرون لما تكفرون اي لاي شيء تكفرون حذفت الالف من لم للتخفيف وفتحت الميم دليلا على سقوط

الألوكة alukah.net

الالف وعلى هذا لم تقولون وفيم تجيئون وعمّ تسألون قوله عز وجل يا أهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون معناه لم تخلطون الحق بالباطل ولبس الشيء بالشيء
خلط احدهما بالآخر وذلك لانهم اقروا ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضه ويقال معناه لم تخلطون
صفة محمد صلى الله عليه وسلم بصفة الدجال ولم تكتمون الحق وانتم تعلمون ان محمدا والاسلام حق في كتابكم
وقيل معنى لم تلبسون لم تغطون الحق بباطلكم يقال لبست على فلان الامر لبسا اذا اعميته عليه ويقال لبست
الثوب لبسا والبسة اللبسة ومعنى تغطية الحق بالباطل تحريفهم التوراة والانجيل وتأويلهم على غير وجهه
ثم ذكر تعالى حيلة كعب بن الاشرف واصحابه في تحويل القبلة فقال عز وجل وقالت طائفة من أهل
الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
معناه ان قالوا لسفلتهم صدقوا بالقبلة التي صلى المسلمون اليها صلاة الصبح وهي قبلة بيت المقدس ولا تجحدوا
القبلة التي صلوا اليها آخر النهار وهي الكعبة لعلهم يرجعون الى قبلتكم وقال بعضهم ان علماء اليهود قالوا
فيما بينهم كنا نخبر اصحابنا باشياء انها في محمد صلى الله عليه وسلم فان نحن كذبنا بها كلها اتهمنا اصحابنا
ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ليتوهموا انا صدقنا فيما صدقنا ونريهم انا نكذب فيما ليس عندنا ويقال انهم
اتوا النبي في صدر النهار فقالوا انك انت الذي خبرنا في التوراة انك مبعوث ولكن انظرنا الى العشي لننظر في
امرنا فلما كان العشي اتوا الانصار فقالوا لهم كنا اعلمناكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي هو مكتوب
في التوراة الا انا نظرنا في التوراة فاذا هو من ولد هرون عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل
بن ابرهيم عليه السلام فليس هو النبي الذي هو وانما فعلوا ذلك لعل من يرى منهم يرجع لان مثل هذا يكون عند ناسه
اقرب … الى الشك … المسلمين ووجه الشيء اوله يقال لاول الثوب وجه الثوب ويقال وجه الشيء
اشرفه واعلاه واشرف النهار اوله قوله عز وجل ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى
هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم حكاية قول كعب بن الاشرف واصحابه قالوا لليهود لا تصدقوا
الا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى الى قبلتكم نحو بيت المقدس واما قوله عز وجل قل ان الهدى هدى الله قال
بعضهم هذا كلام معترض بين كلامي اليهود ويجوز دخول العارض بين الكلامين اذا احتيج اليه
كما دخل في قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى
اول الكلام فقال عز من قائل اولئك لهم جنات عدن وكذلك قوله تعالى قل ان الهدى هدى
الله عارض ثم عاد الى كلام اليهود فقال عز من قائل ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي قالوا لا تصدقوا
ان يعطى احد من الكتاب والعلم مثل ما اعطيتم فصار تقدير الاية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم مثل ما اعطيتم وان يحاجكم احد عند ربكم الا من كان مثلكم على دين اليهودية
قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فلا تنكروا ان يؤتيه غيركم
وقال بعضهم ليس في الاية تقديم وتأخير ومعناه قالت اليهود لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل يا محمد
ان الهدى هدى الله فلا تجحدوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او ان يحاجكم احد عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء اي النبوة والكتاب والهدى بقدرة الله تعالى يعطيه من يشاء والله واسع عليم
اي واسع الفضل والمقدرة عليم بمن هو من اهل الفضل وذهب الفراء والكسائي الى ان معنى او يحاجوكم
معنى حتى على جهة التأكيد كما يقال لا نفعل كذا او تقوم القيامة اي حتى تقوم القيامة ويراد
به لا نفعله اصلا قوله عز وجل يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعني يختص
بدينه الاسلام من يشاء ويقال يختص بالنبوة من يشاء والله ذو المن العظيم على من اختصه بالاسلام والنبوة

قوله

قوله عز وجل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار
لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
في الآية دليل وبيان ان اهل الكتاب فيهم امانة وفيهم خيانة فمنهم من ان تبايعه بمال كثير يؤده صحيحا
يؤده اليك بلا عناء ولا تعب ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا بعد عناء وتعب وقال الضحاك
هو فنحاص بن عازورا اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الاستحلال
والخيانة منهم لقولهم ليس علينا في مال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا امام كانوا يستحلون ظلم من
خالفهم ويقولون على الله الكذب يقولون لم يجعل الله علينا في كتابنا حرمة لحرمتنا وهم يعلمون ان
الله عز وجل قد انزل عليهم في كتابهم الوفاء واداء الامانة لمن ائتمنهم وخالطهم قوله عز وجل بلى
من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين يقول ليس الامر كما يزعمون لكن من اتم عهد الله الذي
عاهده الله تعالى في التوراة واتقى ظلم الناس في ترك الوفاء ونقض العهد فان الله يحب المتقين لنقض
العهد وترك الوفاء قوله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا
خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيما كان بين امرئ القيس وعبدان بن
الاشوع من الخصومة في ارض علا عليها امرؤ القيس فاستحلفه عبدان فهم بالحلف فنزلت هذه الاية
فامتنع ان يحلف واقر لعبدان بحقه ودفعه اليه وعن الشعبي انه قال نزلت هذه الاية في رجل نفق
سلعته باليمين الفاجرة ويقال نزلت هذه الاية في اليهود لكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم و
صفته ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يختارون على عهد الله عوضا يسيرا من الدنيا اولئك لا
نصيب لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله تعالى بكلام خير ورحمة وهذا كما يقال فلان لا يكلم فلانا ولا ينظر
اليه يراد بذلك انه غضبان لا يكلمه الا بالسوء ويقال معنى الاية لا يسمعهم الله تعالى كلامه كما
يكلم اولياءه بغير سفير ومعنى ولا يزكيهم اي لا ينسبهم الى الزكوة ولا يثني عليهم خيرا ولهم مع هذه الاحوال
عذاب مؤلم وجيع قوله عز وجل وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون روي ان جماعة من اليهود اولي الفاقة والفقر قدموا المدينة من
الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الاشرف فقال اتعلمون انه نبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعم وما تعلمه
انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله فقال كعب بن الاشرف لقد حرمكم الله خيرا كثيرا
كنت اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله تعالى فقالوا … حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ونعتا سوى نعته ثم انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلموه وسألوه ثم رجعوا الى كعب
فقالوا كنا نرى انه رسول الله فاذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا
واخرجوا الذي كتبوه فنظر اليه كعب ففرح ولان لهم واعطاهم وخلع عليهم ثم بعث الى كل واحد منهم بثمانية
اذرع من الكرابيس وخمسة اصوع من الشعير فنزلت الاية والمعنى وان من اهل الكتاب طائفة
يحرفون الكتاب ثم يقرؤن ما حرفوه لتظنوا ايها المسلمون ان ذلك من التوراة وما هو من التوراة و
يقولون هو من عند الله نزل وما هو من عند الله نزل ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك
الحرف من التوراة وهم يعلمون انهم يكذبون وليّ اللسان هو العدول عن الصدق والصواب واصله
من الفتل يقال لويت العود اذا فتلته ولويت الدابة اذا فتلتها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليّ
الواجد ظلم وليّ الحبل هو ان تعدل به عن وجه الاستواء قوله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه

الألوكة

الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا
ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وذلك انه لما كثرت دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم اياهم الى الاسلام وقامت عليهم الحجج قالوا ان هذا الرجل يريد ان نتعبده ونعبده كما سأل عيسى عليه
السلام من قومه حتى عبدوه فكذبهم الله عز وجل في قولهم بهذه الاية ومعناها ما كان لبشر من الانبيا
مثل عيسى وعزير وغيرهما ان يعطيه الله تعالى الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لي اي لا يجتمع لاحد النبوة والقول للناس كونوا عبادا لي وليس هذا على وجه النهي ولكنه على
وجه التنزيه لله عز وجل انه لا يختار نبيا يقول مثل هذا القول للناس ويجوز ان يكون على الوجه هذا ه
التعظيم للانبيا صلوات الله عليهم فانه من اعطي النبوة علم انه ليس له ان يدعو الا الى عبادة الله عز وجل و
قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين اي ولكن يقول كونوا ربانيين علما عاملين بتعليمكم الكتاب للناس و
بما كنتم تدرسون لانفسكم ومن قرا تعلمون بنصب التا والتخفيف فمعناه بعلمكم وبدرسكم وانما قيل
للفقها ربانيون لانهم يربون العلم اي يقومون به وزيدت الالف والنون للمبالغة كما يقال رجل لحياني
ولذي الجمة الوافرة جماني وقيل معناه قال يقال رجل ربي وربابي عالم عامل معلم لان العالم انما يقع
ان يقال له عالم اذا كان له منفعة من علمه يعمل عليه فاما اذا لم يعمل به فهو والجاهل سوا وقيل ان الربانيين
منسوب الى الرب جل وعز قوله عز وجل ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون اي لا يامركم النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لا يامركم الله تعالى ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وذكر الملائكة لان خزاعة كانت تقول الملائكة بنات الله تعالى ومن قرا برفع الرا من قوله
تعالى ولا يامركم فعلى الابتدا ومن نصب الرا فعلى النسق من قوله عز وجل ان يوتيه الله الكتاب وقوله
تعالى ايامركم بالكفر استفهام بمعنى الانكار اي ان الله عز وجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس
الى الاسلام فكيف يدعوهم الى الكفر بعد ان كانت فطرتكم على الاسلام ويقال بعد ان كنتم مقرين بالتوحيد
قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين المعنى واذكر لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم القصة حين اخذ الله
العهد على كل رسول عليه السلام ان يومن بسائر الرسل عليهم السلام وياخذ الميثاق من قومه على الايمان
بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يومنوا الذي يخرج من بعده وعلى نصرته وقوله تعالى لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق من قرا لما اتيتكم فيكون ما في موضع الشرط وجوابه لتومنن به ودخول اللام في الشرط
والجواب للتاكيد كما في قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وكما يقال لئن جئتني
لاكرمتك ويقال هذه لام القسم كانه استحلفهم والله لتومنن به واخذ الميثاق في معنى التحليف لان
الحلف وشبهه وموضع ما من قوله تعالى لما اتيتكم نصب بقوله اتيتكم كانه قال الذي اتيتكموه من كتاب قال د
وقرا بعضهم لما اتيناكم لان عظيم الشان قد يعبر عن نفسه بلفظ الجمع ومن قرا لما اتيتكم بكسر اللام فعلى معنى
اخذ الله تعالى الميثاق لاتيانه الكتاب والحكمة وصرف الكلام من الخبر الى الخطاب كانه قال واذ اخذت
وقوله تعالى قال اقررتم اي قال الله تعالى للانبيا اقررتم بما امرتكم به واخذتم على ما قلت لكم عهدي
واصري والعهد الثقيل يكنى به عن العهد لما فيه من الثقل ولفظ الاخذ يحتمل وجهين احدهما
قبلتم على ذلك عهدي والثاني اخذتم العهد بذلكم على اممكم يقال فلان اخذ بيعة فلان اذا قبل بيعته
ويقال اخذ بيعته اذا اخذها على غيره له وقوله عز وجل قالوا اقررنا اي قالت الانبيا صلوات الله عليهم
اقررنا بالعهد لنومنن به ولننصرنه قال الله عز وجل فاشهدوا اي يشهد بعضكم على بعض بذلك ويقال

معنى

معنى فاشهدوا وابينوا لمن يكون بعدكم لان الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي قال تعالى وانا معكم من الشاهدين
اي انا من الشاهدين عليكم وعلى اممكم وقيل في معنى فاشهدوا اي قال الله عز وجل للملائكة فاشهدوا واعلم انهم و
شهادة الله تعالى للانبيا بنبوته امر بتوقيرهم بالايات المعجزات قوله عز وجل فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم
الفاسقون فمن اعرض بعد اخذ الميثاق على النبيين وعلى اممهم فاولئك هم الفاسقون في الكفر اي الخارجون
الى الفحش من انواع الكفر فان الكفر منه ما هو اصغر ومنه ما هو اكبر قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون معناه والله اعلم ابعد هذه الدلائل
الجلية يبغون غير دين الله عز وجل في امر النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون دينا سوى ما عهد الله تعالى اليهم قال
الكلبي وذلك انه لما قال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم حين اختلفوا في دين ابراهيم عليه السلام كلا الفريقين منكم بري
من دين ابراهيم عليه السلام قالوا والله لا نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى وله
اسلم من في السموات والارض اي له اخلص وخضع قال الكلبي اما اهل السموات ومن ولد في الاسلام من اهل الارض
فاسلموا طائعين ومن ابى قوتل حتى يقاتل في الاسلام كرها يجابهم في السلاسل ويكرهون على الاسلام وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل وقال قتادة في معنى
قوله صلى الله عليه وسلم وله اسلم اي استسلم بعضهم قبل روية الباس وبعضهم بعد روية الباس وقال بعضهم معناه
وله اسلم من في السموات والارض لا اقرار له بالالهية كما قال الله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال
الزجاج معناه ان كلهم خضعوا لله من جهة ما فطرهم عليه لانه لا يمتنع ممتنع من جبلة جبل عليها ولا يقدر على تغييرها
احب تلك الجبلة او كرهها لا يمكنه التخلص من حكم الله عز وجل في الحيوة والبلايا ومعنى واليه يرجعون كلاهما انما
الى جزائه يرجعون في الاخرة فبادروا الى التوبة ولا تطلبوا غير ذلك ويقرا يبعثون ويرجعون كلاهما انما على المغايبة
وانما نصب طوعا وكرها لانه مصدر وضع موضع الحال كما يقال جئت ركضا وعدوا اي راكضا وماشيا
قوله عز وجل قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له ان يقول عن نفسه وعن امته امنا بالله وهذا كما يخاطب
رئيس المومنين بان يقول عن نفسه وعن قومه ومعنى لا نفرق بين احد منهم اي لا نفرق بين الرسل في الايمان بهم ولا نفعل
كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون اي مخلصون في الطاعة والتوحيد قوله عز وجل ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية
وما بعدها الى قوله عز وجل اولئك لهم عذاب اليم في عشرة رهط امنوا ثم رجعوا عن الاسلام فلحقوا
بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد وغيرهم ونجم الحرث وارسل الى اخيه
الجلاس بن سويد المسلم اني قد ندمت على ما صنعت فسل لي نبي الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة والا اذهب في
الارض فنزلت هذه الايات ومعنى هذه الاية من يطلب دينا غير دين الله الاسلام فلن يقبل منه ما اقام عليه اي لن
يثاب ولن يثنى عليه ويقال معنى لن يقبل منه ان المرتد لا يقبل منه الا الاسلام او السيف ولا يقر على الكفر بالجزية
فان هذه الاية نزلت في المرتدين وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اي من المغبونين بترك منزله في الجنة
واختيار منزله في النار قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين معناه كيف يهدي الله قوما كفروا بالله
تعالى بعد ايمانهم به وقوله تعالى وشهدوا عطف على قوله عز وجل ايمانهم دون قوله تعالى كفروا وقد يعطف
الفعل على المصدر كما يقول اعجبني ضرب زيد وان غضب فصار تقديره الاية كفروا بعد ان امنوا وبعد ان شهدوا
ان الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم حق وجاءهم البينات دلالات صدقه ونبوته فكيف يستحقون هداية

الألوكة
www.alukah.net

وهذا

الله عز وجل كما يقال كيف احسن الى فلان وقد اتى عليه الكبر فلم يعرف حق نعمتي ومعنى والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد المشركين من لم يكن اهلا لذلك فان قيل ظاهر هذه الاية يقتضي ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله تعالى وان الظالمين لا يهديهم الله تعالى وكثير من المرتدين اسلموا ومن الظالمين تابوا قيل معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم فاذا جاهدوا او قصدوا الرجوع الى الحق وفقهم كما قال جل ذكره والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل معنى قوله تعالى كيف يهدي الله قوما اي كيف يرحمهم وينجيهم من العقوبة قوله عز وجل اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يقول اهل هذه الصفة جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اي عذاب الله واللعنة من الله الابعاد بالمكروه و اما لعنة الملائكة والناس فدعاؤهم على الكفار ان يبعدهم من رحمته فان قيل كيف قال الله تعالى والملائكة والناس اجمعين ومن الناس من يوالي الكافر ويواليه ولا يلعنه قيل فيه جوابان احدهما انهم في الاخرة يلعن بعضهم بعضا والثاني ان الله تعالى كتب في الدنيا في قلوبهم اللعن على الظلمة وكل جاحد وامر وقوله تعالى خالدين فيها اي مقيمين في اللعنة وقيل فيما اوجبته اللعنة وهو العذاب لا يهون عليهم ولا يؤجلون حين نزل بهم قوله عز وجل الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم استثناء من قوله عز وجل عليهم لعنة الله ومعناه الا الذين تابوا من الكفر والشرك من بعد ارتدادهم واصلحوا اي لم يكتفوا بمجرد الايمان وقيل اصلحوا اعمالهم وقيل اصلحوا امرا افسدوه من الناس ممن صحبهم فان الله غفور متجاوز عنهم رحيم بهم بعد التوبة قال عبد الله بن عباس انها نزلت للحرث بن سويد ارتد ولحق بمكة في التوبة ارسل اخوه الجلاس اليه ان الله عز وجل فرض عليكم التوبة فارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فرجع وتاب من صنيعه وقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه فبلغ ذلك اصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون فان بدا لنا الرجعة اليه ذهبنا كما ذهب الحرث فنقبل توبتنا فانزل الله تعالى قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون يعني ان الذين كفروا بالله والرسول بعد تصديقهم ثم ازدادوا كفرا بمقامهم بمكة لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون عن الاسلام وفي هذه الاية دليل ان هؤلاء لم يكونوا يحققون التوبة لانه قال واولئك هم الضالون وكانت هذه الاية خاصة في قوم علم الله انهم لا يتوبون الا عند حضور الموت ومات جميعهم كفارا ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز ان يكون معنى لن تقبل توبتهم اي التوبة التي يتوبون حين الموت وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية وما قبلها نزلت في اليهود لانهم كانوا مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه شاهدين له بالنبوة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فانزل الله عز وجل هذه الايات ومن ان توبتهم في وقت ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه غير مقبولة منهم لانهم كفروا بعد ايمانهم وازدادوا كفرا قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين معنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لاحدهم في الاخرة ملء الارض ذهبا فافتدى به لن يقبل منه كما روي في الخبر انه يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به من هذا العذاب فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر عليك من هذا فلم تفعل وقوله تعالى اولئك لهم عذاب اليم اي اهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع في الاخرة ليس لهم من مانع يمنعهم من العذاب والملء بفتح الميم الفعل والملء بكسرها مقدار ما يملا به الشيء يقال اعطني ملء هذا او مقدار ما يملؤه وهذا كما يقال رعيت رعيا والرعي الراعية وقوله تعالى ذهبا نصب على تمييز لانه تبيين حمل مبهمة كما في قوله عز وجل انا اكثر منك مالا واعز نفرا وقيل على تمييز عدد مبهم كما يقال عشرون درهما وعشرون معطا منهم كما يقال عندي ملء زق عسلا واما دخول الواو في قوله عز وجل ولو افتدى به فذهب بعضهم الى ان الواو زائدة وانكر الزجاج رحمه الله فقال ان فائدة الواو تعميم النفي لوجود القبول ولو لم يكن الواو لاوهم الكلام

المقدار والتمييز

ذلك

ذلك لا يقبل في الافتداء ويقبل على غير وجه الافتداء قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة حتى تتصدقوا مما تحبون من الاموال وقيل معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول هذه الاية منسوخة نسختها اية الزكوة وذهب اكثر اهل التفسير الى ان المقصود من هذه الاية الحث على الصدقة صدقة النفل والفرض بابلغ وجوه الترغيب لان قوله عز وجل مما تحبون يدل على المبالغة فيه ليكون ذلك دليلا على صدق نية المتصدق كما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم ان تنفق المال على حبه وهو صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر واشترى ابن عمر رضي الله عنهما جارية كان يحبها فلما ملكها اعتقها ولم يصب منها فقيل له اعتقتها بعد ان كنت تهواها ولم تصب منها فقال رضي الله عنه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يشتري اعدال السكر فيتصدق بها فقيل له هلا تصدقت بثمنه فقال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وعن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال باتفاق المحبوب يصل العبد الى محبوبه والمراد بذلك نيل الكمال وهو نيل اعلا منازل القرب وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه اراد به نفي حقيقة المسكنة لا نفي اصل المسكنة وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء اي ما تتصدقوا من مال فان الله به عليم ويجازيكم عليه يجزيكم على ذلك في الاخرة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لبيان ان النفقة مقبولة من المؤمنين وان كانت الفدية مردودة على الكفار في الدنيا والاخرة قوله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى هذه الاية كل الطعام الحلال اليوم ما سوى الميتة والدم ولحم الخنزير كان حلالا لبني يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التورية على موسى عليه السلام الا الطعام الذي حرمه يعقوب على نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك انه عليه السلام كان يمشي الى بيت المقدس فلقيه ملك من الملائكة وهو خلف الانعام فظن يعقوب عليه السلام انه لص فعالجه ليصارعه فكانا في ذلك حتى اضاء الفجر فغمز الملك فخذ يعقوب عليه السلام فهيج به عرق النسا فصعد الملك الى السماء وجاء يعقوب يعرج حتى لحق الانعام فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه وتضجرا فاقسم ان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه على نفسه فشفاه الله عز وجل من ذلك فحرم احب الطعام والشراب اليه وكان لحوم الابل والبانها واسبق ولذلك بسببه فذلك قوله عز وجل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية فلما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم لليهود ما الذي حرم اسرائيل على نفسه قالوا كل شيء نحرمه اليوم على انفسنا فانه كان حراما على نوح عليه السلام فهلم جرا حتى انتهى الينا وانت يا محمد صلى الله عليه وسلم واصحابك تستحلونه وادعوا ان ذلك مسطور في التورية فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتورية فاتلوها اي اقرؤها هل تجدون فيها تحريم لحوم الابل والبانها وهل تجدون فيها تحريم كل ذي ظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما حرم الله عز وجل عليكم من الطيبات بعد نزول التورية بظلمكم وبغيكم كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فلم ياتوا بالتورية خوفا من الفضيحة لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سبحانه قوله عز وجل فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون اي من اختلق على الله الكذب بان يقول عليه ما لم ينزله في كتاب من بعد ذلك يقول من بعد قيام الحجة عليه فاولئك هم الظالمون لانفسهم وفي هذا اعظم دلالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب ولم يجالس اهل الكتاب فلم يكن يعرف سرائر كتب الانبياء صلوات الله عليهم

دهوه

الألوكة www.alukah.net

المتقدمين لانا نعلم الله عز وجل وقد اخبرهم ان ما قالوه ليس في كتابهم وامرهم بان ياتوا بالتوراة ولو لم يكن في كتابهم حجة النبي صلى الله عليه وسلم لكان يمكنهم اظهار كذبه باسهل الوجوه وهو ان ياتوا بالكتاب بعينهم فان قيل كيف كان من اسرائيل تحريم هذه الاشيا على نفسه والتحريم والتحليل انما يكون بحسب المصالح والانسان لا يعلم موقع المصالح قيل يحتمل انه كان اذن له في تحريم تلك الاشيا على نفسه مصلحة له كما انه اذن لنا في الاجتهاد في الاحكام وكان ما يعلمه من الاجتهاد مصلحة لنا قوله عز وجل قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فاتبعوا ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها وافعلوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت وما كان من المشركين اي لم يكن ابرهيم عليه السلام على دين المشركين ولم يفعل كما فعله اليهود وادعاهم ان عزيرا ابن الله ولا كمقالة النصارى ان المسيح ابن الله وهذه الاية حجة على اليهود في انكارهم نسخ الشريعة وقولهم ان ذلك لا يجوز من حكمة الله عز وجل انه قال تحريم يعقوب عليه السلام الطعام على نفسه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون بيان ان من انبيا الله صلوات الله عليهم من كان يحرم من احب الاطعمة عنده لحق الله عز وجل فكونوا امثاله في الايثار على انفسكم بالانفاق وطاعة الله سبحانه فان قيل هل يجوز لنا تحريم الاشيا على انفسنا كما جاز لاسرائيل قيل لا لانه لم يوذن لنا في التحريم كما اذن لاسرائيل على انه لا يمتنع ان يكون انما حرمها على نفسه باليمين واحدنا يمكنه تحريم المباحات على نفسه باليمين لانه قد اذن لنا بالحنث في الايمان وبالتكفير ولم يكن قد اذن لهم بالحنث والكفارة قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين روي عن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعن الحسن البصري رضي الله عنه انهما قالا معناه ان اول بيت وضع لعبادة الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابرهيم عليه السلام كما قال الله عز وجل واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الى ان قال واذن في الناس بالحج قالا ولم يرد به انه لم يكن قبل الكعبة بيت مبني لانه كان قبل بنا الكعبة بيوت مبنية واما بنا بيت المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل بناه سليمن بن داود عليهما السلام وقد يقال اول لما لا اخر له يقول الرجل هذا اول قدومي مكة وربما لا يقدم بعد ذلك ولهذا قالوا لو قال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق في الحال وقال مجاهد وقتادة وجماعة رحمهم الله ان اول بيت وضع في الارض كان هو الكعبة ولم يكن قبله بيت مبني قال الكلبي رضي الله عنه كان آدم عليه السلام حين اخرج من الجنة بنى الكعبة فطاف بها فلما كان زمن طوفان نوح عليه السلام وهو [illegible] رفعها الله عز وجل الى السما السادسة بحيال موضع الكعبة وهو البيت الذي بناه ابرهيم عليه السلام وهو البيت المعمور يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوها قط قبله وروي في بعض الاخبار ان الله تعالى اهبطه من السما وهو من ياقوت حمرا وكانت الملائكة تحجها قبل آدم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكعبة كانت خشفة على وجه الما فدحيت الارض من تحتها واختلف المفسرون رحمهم الله في بكة فقال الزهري بكة موضع المسجد ومكة هو الحرم كله وسمي المسجد بكة لان البك هو الزحمة في اللغة يقال بك اذا زحم فسمي المسجد بكة لان الناس يكونون فيه اي يزدحمون للطواف وفي هذا بيان انه لا يجوز الطواف خارج المسجد لان الله عز وجل خص المسجد بكونه موضع الزحمة في الطواف وقال ابو عبيدة بكة اسم لبطن مكة ومكة هو المعروفة وقال مجاهد بكة ومكة واحد ابدلت الباء من الميم كما يقال ضربة لازم ولازب وسميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة ما من جبار قصدها الا وقد قصمه الله عز وجل كاصحاب الفيل وغيرهم وقيل سميت بكة لاجتماع الناس من كل افق يقال امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيا وقوله عز وجل مباركا نصب على الحال التقدير الذي استقر بمكة ثابت الخير والبركة لان البركة هي ثبوت الخير ونموه يقال برك بروكا وبركا اذا ثبت على حاله وقوله عز وجل وهدى للعالمين معناه انه بيان ودلالة للعالمين على الله عز وجل باهلاك الله عز وجل كل من قصده من الجبابرة كما قال الله عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس

آدم

من حولهم

من حولهم وباستئناس الطيور فيه بالناس وباستشفا الطير اذا مرض بالبيت وبان لا تعلوه طير اعظاما له وبامحاق ما يرمى فيه من الحجار في كل سنة فلولا ان ما يقبل منها يرفع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال ولولا ذلك لكان يجب ان يكون قد اجتمعت هناك من الحجارة مثل الجبال وباجتماع الكلب مع الظبي هناك فلا ينفر الظبي من الكلب ولا يعدو عليه الكلب وكل هذا لا يكون الا من جهة الله عز وجل ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق الجنة وبالله التوفيق قوله عز وجل فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين معناه فيه علامات واضحات ومن ما تقدم ذكره ومقام ابرهيم عليه السلام ايضا والاية في مقام ابرهيم عليه السلام ان قدميه دخلتا في حجر صلد بقدرة الله عز وجل صار الحجر في اللين كالطين حتى ساخت قدماه فيه ثم عاد حجرا صلدا ليكون ذلك دلالة على صدق نبوته عليه السلام وقوله عز وجل ومن دخله كان امنا قال الحسن عطف الله عز وجل قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم او عاذ اليه وان كان جانيا واجرى العادة بذلك في الاسلام وكان يقول في الايات البينات ان مقام ابرهيم عليه السلام اية ومن دخله كان امنا اية ولله على الناس حج البيت اية وفي قراة ابن عباس رضي الله عنهما فيه اية بينة مقام ابرهيم وذهب اكثر المفسرين الى ان قوله تعالى ومن دخله كان امنا على لفظ الخبر ومعناه الامر وهو امرنا ان نؤمن من جنى في غير الحرم ثم لجا اليه واما قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فمعناه القصد والذهاب الى الكعبة ويقرا حج البيت بكسر الحا وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل كما يقال ضربت فلانا راسه اي ولله الحج على من استطاع من الناس سبيلا اليه والاستطاعة في ظاهر اللغة ان يمكنه بلوغ مكة باي وجه امكنه والى هذا ذهب الحسن وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وقال مالك رحمه الله لو قدر على المشي اليه لزمه وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاستطاعة في هذه الاية فقال السبيل الى البيت الزاد والراحلة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لزوم فرض الحج مخصوص بالركوب دون المشي وان من لا يمكنه الوصول اليه الا بالمشي الذي يشق ويعسر فلا حج عليه وهكذا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبه اخذ اكثر الفقها رحمهم الله حتى شرطوا مع الزاد والراحلة نفقة الاهل الى ان يرجع وان لا يحول بينه وبين الحج عدو واما قوله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين فمعناه من انكر فريضة الحج فلم يره واجبا فان الله غني عن من حج وعن من لم يحج لانه لم يتعبد الناس بالعبادات لحاجته اليها وانما تعبدهم بها لعلمه بمصلحتهم فيها وقد روي انه لما نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركي العرب فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الحج فحجوا فلم يقبله الا المسلمون فانزل الله عز وجل قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ادرك حج الاسلام فلم يحج فلم تمنعه حاجة ظاهرة ولا امام ظالم ولا مرض حابس حتى يموت على ذلك فليمت على اي حال شا يهوديا او نصرانيا فهو على طريق التهديد والتغليظ لا يكون المومن يهوديا ولا نصرانيا ولا يجوز الحكم بالاكفار باخبار الاحاد وتاويل الخبر انه لم ير الحج فرضا عليه وقد وجد الاستطاعة فليمت على اي دين شا والله اعلم ولا حجة في هذه الاية لمن احتج بها ان الاستطاعة قبل الفعل بمقتضى الاية لان المراد بالاية والله اعلم استطاعة الاحوال والاسباب فاما استطاعة الافعال فلا تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى لم تكفرون بالحج وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران والله عالم بما تعملون وانما قال في هذا الموضع قل

الألوكة
www.alukah.net

يا اهل الكتاب وقال من قبل يا اهل الكتاب لانه عز وجل خاطبهم اولا على جهة التلطف في استدعائهم الى
الايمان ثم اعرض عن خطابهم ثانيا اهانة لهم وامر نبيه بخطابهم فقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون
نزلت في قوم من اليهود كانوا يدعون عمارا واصحابه رضي الله عنهم الى اليهودية وكانوا يسعون في احيا الضغاين
التي كانت بين الاوس والخزرج في الجاهلية وكانت قد ماتت في الاسلام ومعنى الاية قل يا محمد صلى الله عليه وسلم
لم تصرفون من آمن عن دين الله تعالى وعن الطريق التي هي الوصلة الى رضوان الله من الاسلام والحج وغير ذلك تطلبون
لها ميلا يقال بغيت كذا اي طلبته له وابتغيت بمعنى الافتعال على طلبه ويقال في الامر والدين عوج بكسر العين وكل
شي منتصب ما كالحائط والجدار والعصا عوج بفتح العين وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما وانتم شهداء بتقدم
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبكم والثاني وانتم عقلاء كما في قوله تعالى والقى السمع وهو شهيد وقوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون تهدد لهم على الكفر اي لا يخفى على الله شي مما تعملون من الجحد والكتمان قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
قال بعض المفسرين هذا خطاب للاوس والخزرج يقول ان تطيعوا طايفة من اليهود في احيا الضغاين
التي كانت بينكم بالعصبية والحمية الجاهلية يصرفوكم الى الشرك والكفر بعد تصديقكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقال بعضهم معنى الاية ان تطيعوا رؤسا اهل الكتاب فيما يغيرون من صفات النبي صلى الله عليه
وسلم ولبسوها عليكم يردوكم كفارا قوله عز وجل وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم معناه على اي حال يقع منكم الكفر و
دلايل توحيد الله تعالى ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرا عليكم وهو القرآن ومعكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبين لكم الايات وهذا على طريق التعجب والاستبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله
عز وجل ومعنى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم اي من يستمسك بدينه ويمتنع به عن غيره
فقد ارشد الى طريق قايم يرضاه الله تعالى وهو الاسلام قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون معنى الاية يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم
والقرآن اطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الاسلام حتى لا يدرككم الموت الا وانتم مسلمون قال الكلبي رضي الله عنه
حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى قال فلم تطق العباد ذلك وشق
عليهم فانزل الله عز وجل قوله فاتقوا الله ما استطعتم فصار اشدا هذه الاية منسوخا به والى هذا ذهب
قتادة ومقاتل والقتيبي وجماعة من المفسرين وقال بعضهم لا يجوز ان يكلف الله عباده ما لا يطيقون و
ليست هذه الاية منسوخة وانما معناها اتقوه فيما يحق عليكم ان تتقوه فيه وهو ما فرض الله عز وجل في
كتابه في مواضع شتى ولو كانت هذه الاية منسوخة لكان في ذلك اباحة بعض المعاصي وذلك لا يجوز و
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وطاوس رحمه الله ان هذه الاية محكمة غير منسوخة واجاز
بعض المفسرين النسخ من وجه آخر بان الله عز وجل لو كلف عباده ان يتقوه حق تقاته واجبا في حالة
الامن والخوف جميعا ولم تكن التقية مباحة في حال الخوف ثم صارت التقية مباحة بقوله فاتقوا الله ما
استطعتم واسمعوا واطيعوا وقوله عز وجل الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد يقول الرجل لا استطيع
كذا اي لا اشق عليه كما قال الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا واراد بذلك مشقته عليهم والتقاة في
الاصل وقاة من الوقاية ابدلت التاء من الواو كما قالوا التخمة وهي من الوخامة وتجاه وهي من الوجاهة
والتراث من الوراثة قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من

النار

النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون معناه تمسكوا بدين
الله وقال الزجاج المراد بالحبل القرآن الذي عهده الله الى عباده وهو الحبل الذي يتمسك به للنجاة قال بعض الحكما
ان مثل من في الدنيا كمثل من وقع في بير فيها من كل نوع من الآفات لا يمكنه الخروج منها ولا النجاة من آفاتها
الا بحبل وثيق وكذلك الدنيا دار محنة فيها من كل الآفات ولا سبيل الى النجاة منها الا بالتمسك بحبل
وثيق وهو كتاب الله عز وجل ومعنى ولا تفرقوا اي تناصروا في دين ولا تتفرقوا فيه واحفظوا منة
الله تعالى عليكم اذ كنتم اعداء في الجاهلية يقتل بعضكم بعضا ويستبيح كل غالب ما غلب عليه فجمع تعالى بين قلوبكم
بالاسلام الحافظ للانفس والاموال الا بحقها فصرتم بنعمة الله اخوانا في الدين وذلك انه كان بين الاوس والخزرج
قبل الاسلام ماية وعشرين عاما حتى كادوا يتفانون فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فعظم بمكة
آمن به الاوس والخزرج وهم بالمدينة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وقعت الالفة بين الاوس و
الخزرج وزالت العداوة التي كانت في الجاهلية بينهم فالتقى رجلان من الانصار احدهما من الاوس والاخر
من الخزرج فقال الخزرجي اما والله لولا الاسلام وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم علينا وعليكم لاستعبدنا
ابناءكم وقتلنا اباكم فقال الاوسي قد والله تاخرنا عنكم زمانا من الدهر فعظكم حتى ادخلناكم دوركم فهلا
وعلمتم ما تقولون فاستبا فانكر الله تعالى بذلك فنادى يا للخزرج فاجتمعت الخزرج الى اصحابهم وفزعت
الاوس الى اصحابهم واخذوا السلاح وتقدم بعضهم الى بعض فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار
اليهم في اناس من المهاجرين وهو راكب على حمار قال جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه فما كان من طالع
يومئذ اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا فاومى الينا بيده فكففنا ووقف
بيننا على حمار له فقرا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الى قوله عز وجل اولئك لهم عذاب عظيم
فالقى الفريقان السلاح واطفاوا الحرب فلم يكن في الارض شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه و
سلم بعد نزول الاية ومشى بعضهم الى بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعانق بعضهم بعضا
يبكون فما رايت اكثر باكيا من يومئذ ولا رايت يوما افظع اوله ولا احسن آخرا من يومئذ وقال الحسن
رضي الله عنه هذا خطاب لجميع العرب فانه كان بينهم عداوة وطوايل وقتال وكان يغير بعض القبايل على
بعض فازال الله عز وجل ذلك عنهم بجمعهم على الاسلام واما قوله عز وجل وكنتم على شفا حفرة من
النار فكونهم يقعون فيها لو ادركهم الموت على الكفر فانقذكم منها اي خلصكم الله تعالى من النار والحفرة
بالنبي صلى الله عليه وسلم وشفا الشي في اللغة حرفه وهو مقصور يكتب بالالف وتثنيته شفوان وجمعه
اشفا ويقال اشفى فلان على كذا اي اشرف عليه واما قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم آياته اي مثل
هذا البيان الذي تلي عليكم يبين الله تعالى لكم الايات الدلالات والحجج في الاوامر والنواهي لكي تهتدوا من الضلالة
وتكونوا على رجا الهداية والله الموفق قوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون معناه لتكن منكم جماعة يدعون الى
الصلاح والاحسان ويامرون بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساير الطاعات الواجبة وينهون
عن الكفر والشرك وساير ما لا يعرف في شريعة ولا سنة واولئك هم المفلحون الناجون من السخط و
العذاب وانما قال ولتكن منكم ولم يقل ولتكونوا جميعكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين لان الغرض من ذلك وقوع المعروف وزوال المنكر لا الامر يرجع الى
الناهي والامر فاذا زال المنكر صار كانه لم يقع منكر قط وليس كالصلوة والصوم وساير فروض الاعيان لان تلك
الفروض انما يحملها يرجع الى الفاعل لتلك الافعال ويجوز ان يكون المراد بالامة في الاية العلما الذين يحسنون
ما يدعون اليه وقال بعض المفسرين ان معنى الاية لتكونوا كلكم لكن من هاهنا دخل للتوكيد وتخصيص

هذه

الألوكة
www.alukah.net

المخاطبين من سائر الاجناس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه فاجتنبوا الاوثان فانها رجس لان المراد به اجتنبوا بعض الاوثان دون بعض ثم النهي عن المنكر على مراتب اولها الوعظ والتخويف فان لم ينته بذلك لم يجز للساعي ان يتعدى عنه الى ما فوقه من الايدي والنعال ثم بالسوط ثم بالسلاح والقتال لان المقصود زوال المنكر فاما اذا كان الناهي عن المنكر خائفا على نفسه فقد روى ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل ان كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ثم قال جل ذكره لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود الى قوله تعالى فاسقون ثم قال صلى الله عليه وسلم كلا والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم فتقسرنه على الحق قسرا افبين النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرط النهي عن المنكر ان يكون من لا يجالس المقيم على المعصية ولا يعاشره ويطعمه ثم قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم معناه ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا في اديانهم وصاروا فرقا وشيعا من بعد ما جاءهم العلامات في امر محمد صلى الله عليه وسلم واولئك لهم عذاب عظيم على تفرقهم واختلافهم ثم اخبر بوقت ذلك فقال عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تقدير الاية والله تعالى اعلم عذاب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهو يوم القيمة تشرق وجوه الذين يسجدوا في الدنيا لله عز وجل مخلصين له بالتوحيد فتصير وجوههم كالثلج بياضا والشمس ضياء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون فاما قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم فجوابه محذوف لان في الكلام دليلا عليه المعنى فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وهذا كما في قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فاما قوله عز وجل بعد ايمانكم فذوقوا قال بعضهم معناه بعد ايمانكم يوم الميثاق ويقال هو خطاب لاهل الردة قوله عز وجل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون يقول واما المومنون الذين ابيضت وجوههم في الاخرة ففي جنة الله تعالى صاروا اليها برحمته هم فيها مقيمون دائمون وفي الاية بيان ان العبد لا ينال الا برحمته وان اجتهد الجهد في طاعته قوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين اي هذه حجج الله نزل بها جبريل عليه السلام نقرؤها عليك بالصدق وما الله يريد ظلما للخلق والاثر اعلم الله عز وجل ان من يعذبه باستحقاق بعذبه لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور معناه جميع ما في السموات والارض من الخلق عبيد الله تعالى ومخلوقوه ومرزوقوه فلا يريد ظلمهم فان يلغ غناه هذا المبلغ لا يحتاج الى الظلم والى الله ترجع عواقب الامور في الاخرة ولو قال واليه ترجع الامور لكان حسنا لكن اعادة ذكر الله تعالى للفخامة والتوكيد وليكون قوله عز وجل والى الله ترجع الامور مستقلا بنفسه قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون خطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته لان الشرط في الخيرية ما هو المذكور في الاية فمن اراد ان يكون من الصالحين فليات بهذه الشرائط ومعنى الاية والله اعلم كنتم فيما تقدمت البشارات في كتب الله

محمد (?)

المقدم

المقدمة افضل اهل دين وملة وانصح الناس للناس قال الحسن رضي الله عنه نحن اخر الامم واكرمها على الله عز وجل ويقال معنى كنتم اي كنتم عند الله في اللوح المحفوظ وقيل كنتم مذ كنتم ويجوز ان تكون لفظة الكون زائدة كما في قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما وقوله عز وجل تامرون بالمعروف صفة لهذه الامة بالوفاء يقول تامرون بالتوحيد واتباع الشريعة وتنهون عن الشرك والظلم لا يظلمون من خالفهم من غيرهم ومعنى وتومنون بالله توحدون الله عز وجل بالايمان ويقال معناه توحدون الله عز وجل بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم لان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى لانه يزعم ان المعجزات التي اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم اتى بها من ذات نفسه فجعل غير الله تعالى يفعل فعل الله عز وجل وايات الانبياء صلى الله عليهم لا يقدر عليها الا الله عز وجل وفي هذه الاية ما يدل على هذا التاويل وهو قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب معناه لو صدق اليهود والنصارى مع ايمانهم بالله بايمانهم بنبيه صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم من الاقامة على دينهم منهم المومنون عبد الله بن سلام واصحابه وسائر من اسلم من اهل الكتاب واكثرهم الفاسقون الخارجون عن امر الله عز وجل وهم الذين لم يسلموا منهم وفي الاية صحة اجماع الامة لان الله عز وجل مدحهم بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يستحقون من الله عز وجل صفة مدح الا وهم قائمون بحق الله عز وجل غير ضالين ولانه تعالى اخبر انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمعروف ما امر الله تعالى به والمنكر ما نهى الله تعالى عنه فاقتضت الاية ان ما امرت به فهو معروف وما نهت عنه فهو منكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة قوله عز وجل لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون معناه لن يصلوا الى ضرر لكم معشر المسلمين الا ان يوذوكم باللسان بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلثة وبالبهت والتحريف وان يخرجوا الى قتالكم يعطوكم الادبار منهزمين ثم لا يمنعون من سيوفكم ورماحكم ايامهم وفي الاية دلالة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود ان قاتلوا لم ينصروا وكان كما اخبر اذ يهود المدينة كلهم من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر لم يثبت احد منهم لحرب المسلمين قط ولم يقتل بعضهم وانهزم الكل ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انكم معشر المسلمين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واذا انكرتم على اليهود فلم يقبلوا لم يضروا لما نهيتم ولا تجيبوا وقاتلوهم فانهم يولون الادبار قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون معناه الزمت وجعلت عليهم مذلة القتل والسبي بما وجدوا اخذوا وضربت النبي على الشيء الزامه اياه يقال فلان ضرب الضريبة على عبده اذا الزمها اياه ومن ذلك سمت الضريبة ضريبة ومعنى الا بحبل من الله الا ان يعتصموا بعهد الله وهو الاسلام وقوله عز وجل وحبل من الناس اي عهد وامان وعقد ذمة من المسلمين وقوله عز وجل وباءوا بغضب من الله اي انصرفوا بغضب ووجبوا من الله عز وجل ومعنى وضربت عليهم المسكنة فجعل عليهم زي الفقر والبوس حتى صار وامر ذلك الى ما لا يبلغه اهل ملة بعد ان كانوا ذوي عز ويسار ومنعة فيرى الرجل منهم عليه البوس والمسكنة وانه لغني ولم يبق لليهود منعة في موضع من المواضع وفي هذا ايضا دلالة صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك بانهم كانوا يكفرون اي ذلك الذل والغضب عليهم من الله عز وجل بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وبعيسى وقتلهم الانبياء صلوات الله عليهم بغير حق وعصيانهم ومجاوزتهم الحد وفي هذا بيان ان الله عز وجل لم يعاقبهم هذه العقوبة الغليظة من غير سبب الا ما فعلوه لعظم ما كسبوه فان الله عز وجل لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب

فاعلوا (?)

الألوكة
www.alukah.net

أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وذلك ان الله عز وجل لما ذكر في الآيات المتقدمة من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن قال من عز من قائل ليسوا سواء أي ليس الفريقان سواء وهذا وقف تام ثم استأنف عز وجل قوله من أهل الكتاب لبيان افتراق الفريقين في الطريقة فقال عز من قائل من أهل الكتاب أمة قائمة عادلة مستقيمة مهتدية وقال الأخفش معناه ذو أمة قائمة أي ذو طريقة قائمة قال والأمة الطريقة من قولهم أممت الشيء اذا قصدته ومعنى يتلون آيات الله يقرؤون القرآن في ساعات الليل ومعنى وهم يسجدون قال بعضهم يصلون قالوا وهذا أوضح لان القراءة لا تكون في الركوع ولا السجود وانما ذكرت الصلاة باسم السجود لان السجود نهاية ما فيه من التواضع قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد به صلاة العتمة ويقال اراد به ما بين المغرب الى العشاء الآخرة وقال بعضهم معنى في قوله عز وجل وهم يسجدون عطف السجود المعروف على قراءة القرآن فكأنه قال وهم مع ذلك يسجدون واختلف أهل اللغة في واحد الآناء فقال بعضهم إنًا مثل معًا وأمعاء وقال بعضهم إنْي مثل نِحْيٍ وأنحاء قوله عز وجل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين قال عبد الله بن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة معه رضي الله عنهم قال أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا فانزل الله عز وجل هذه الآية الى آخرها وان نزلت فيهم فهي حق كل مسلم ان يكون على هذه الصفات ومعنى هذه الآية يصدقون بالله وبالبعث بعد الموت ويأمرون باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن اتباع الجبت والطاغوت ومخالفة محمد صلى الله عليه وسلم ويبادرون الى الطاعات والاعمال الصالحة فاولئك من المؤمنين المخلصين وهم ابو بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم قوله عز وجل وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين اي ما تعملوا من طاعة فلن تجحدوه يعني تجزون به وتثابون عليه لان الكفر هو الستر وستر الخير انما يكون بترك الجزاء عليه ومعنى والله عليم بالمتقين عالم باعمالهم وثواب اعمالهم ومن قرأ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فهو راجع الى قوله عز وجل الصالحين قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون معناه ان الذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن لن تنفعهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا مما نزل بهم من عذاب الله عز وجل وأولئك اهل النار هم فيها مقيمون دائمون قوله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون معناه مثل ما ينفق اليهود في اليهودية على رؤسائهم وعلمائهم وما ينفق اهل الاوثان على اصنامهم في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم واهلاكهم مال انفسهم كمثل ريح فيها برد شديد ويقال الصر صوت لهب النار التي تحرق الزرع اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بمنع حق الله عز وجل عليهم فيه فاهلكته اي احرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشيء في الدنيا كذلك من ينفق في غير طاعة الله تعالى لا ينتفع بنفقته في الآخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في الدنيا يقول الله عز وجل وما ظلمهم الله عز وجل باهلاك زرعهم ولكن انفسهم يظلمون بمنع حق الله عز وجل فيه وقال بعضهم معنى الآية مثل اهلاك الله عز وجل نفقة هؤلاء في هذه الحيوة الدنيا لوضعهم لها في غير حقها كمثل اهلاك ريح فيها صر اصابت زرع قوم زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقت الزراعة فاهلكته الريح لوضعهم ذلك في غير موضعه والله اعلم قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت

نزلت هذه الآية في الانصار كانوا قد ظاهروا اليهود حتى صار كان بينهم نسب وكانوا يواصلونهم ويعاطفونهم حتى كان الرجل من الانصار يتزوج فيهم فيجاورهم على قصد وكانت اليهود يحدثونهم بمثل ذلك فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم والاسلام وآمن الانصار ابغضتهم اليهود وكان الانصار يخالطونهم ويشاورونهم كما كانوا يفعلون قبل الاسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم وبينهم فنهى الله عز وجل الانصار بهذه الآية وما بعدها ومعنى الآية أيها المؤمنون لا تتخذوا دخلاء من غيركم يعني اليهود وبطانة الرجل خاصته واهل سره الذين يستبطنون امره سموا بذلك على جهة التشبيه ببطانة الثوب الذي يلي جلد الانسان في القرب وحرف من في قوله تعالى من دونكم للتبيين اي لا تتخذوا الذين هم اسافل وارذل بطانة وقوله عز وجل لا يألونكم خبالا اي لا يبقون غاية ولا يتركون الجهد في الفساد ونصب بعضكم على بعض يقال ما ألوت في الحاجة جهدا اي ما قصرت ويقال لم آلُهُ في هذا الامر الوا والخبل والخبال الفساد يقال فلان مخبل الرأي اي فاسد الرأي ويقال فلان مخبل اي مجنون ويقال معنى ودوا ما عنتم اي تمنوا ما اثمتم بربكم والعنت واللغة المشقة يقال اكمة عنوت اي طويلة شاقة المسلك ومعنى قد بدت البغضاء من افواههم قد ظهرت العداوة من السنتهم بالشتم والطعن وما يضمرون في قلوبهم من القتل لو ظفروا بكم اعظم مما اظهروا لكم ومعنى قد بينا لكم الآيات اخبرناكم بما اخفوا وابدوا بالدلالات والعلامات ان كنتم تعقلون الفصل بين العدو والولي قوله عز وجل ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور معناه انتم يا هؤلاء تحبون اليهود بمصاهرتكم ومظاهرتكم ولا يحبونكم لدينكم وتؤمنون بالتوراة والانجيل وسائر كتب الله عز وجل ولا يؤمنون هم بذلك كله واذا لقوكم يعني منافقي اهل الكتاب قالوا آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم انه رسول صادق فيما يقول واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم اطراف الاصابع من الغيظ الحنق عليكم وهذا مثل ضربه الله عز وجل من شدة عداوة اليهود للمؤمنين ومن صبر على مكايدهم لان المغتاظ من الشيء الاسف على ما فاته من مراده منه يعض انامله من الغيظ وقوله عز وجل قل موتوا بغيظكم ليس على طريق الايجاب لانه لو كان على طريق الايجاب لماتوا كلهم من ساعتهم كما قال الله عز وجل في موضع آخر فقال لهم الله موتوا ولكن اللفظ من هذه الآية على صيغة الامر والمراد به الخبر معناه تموتون بغيظكم ولن تبلغوا اماتتكم من قهر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ومعنى ان الله عليم بذات الصدور عالم بما في القلوب من البغض والعداوة وغير ذلك قال الفراء في قوله عز وجل ها أنتم أولاء ان العرب اذا جاءت الى اسم مكني قد وصف بهذا جعلته بين ها وذا فيقول للعرب ها أنا ذا وها هو ذا فيكون معنى ها أنتم أولاء ها أنتم الذين تحبونهم ويحبونكم بمعنى الصلة واولاء اسم موصول وكسرت الهمزة الاخيرة من اولاء لسكونها وسكون الالف التي قبلها وقال بعضهم ها اشارة وانتم خطاب ابتداء واولاء في تقدير الخبر وتحبونهم حال كأنه قال انتبهوا يا هؤلاء لحالكم تحبونهم قوله عز وجل إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط معناه ان اصابتكم نعمة بالالفة والغلبة على الاعداء والغنيمة والخصب تسؤهم تلك الحسنة يعني اليهود وان تصبكم محنة من جهة اعدائكم او جدب ونكبة يفرحوا بها وان تصبروا على اذى المنافقين من اليهود وتتقوا معصية الله عز وجل لا يضركم اخبالهم لا يغلبكم في الهلاك ان الله بما يعملون محيط اي احاط علمه وقدرته باعمالهم والمحيط بالشيء هو المطيف بالشيء من جميع جوانبه وقوله عز وجل ان تمسسكم بغير الادغام لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم بالادغام لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين جائز حسن ومن قرأ لا يضركم بفتح الراء فلان الفتح اخف الحركات ومن كسر فلالتقاء الساكنين واما الضم

اي اتخذكم الغيظ ... الموصوف

الواو

فعلى اصل الكلمة تقديره ولا يضركم كيدهم وقد تضم العرب حرف الفاء وتزيدها زيادة كما قال الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان * ومن قرا لا يضركم فهو من الضير والضير [والضير]
والضر بمعنى واحد قال الله عز وجل قالوا لا ضير وقال عز من قائل وانا مسنا الضر قوله عز وجل
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم معناه واذكر اذ اصبحت
من عند اهلك من المدينة تهيئ للمؤمنين مواضع للحرب لقتال المشركين يوم احد وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان راى في المنام بعد ما سمع باتيان المشركين وجمعهم للقتال ان عليه درعا حصينة فاولها المدينة
وكره الخروج اليهم وامر بتهيئة المقاعد للقتال الى ان ياتيهم المشركون فقال رجال من المسلمين اخرج
بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم لا يرى عدو الله انا جبنا عنهم فلم يزل بهم حتى خرج وكان
ذلك في شوال في العام المقبل الذي كان قبله وقعة بدر وقوله عز وجل والله سميع عليم اي سميع
لقول المنافقين عليم بما فيهم وبما يصيب المسلمين في هذه الحرب وهذا قول اكثر المفسرين رحمهم الله
قالوا نزلت هذه الاية في خروج احد وقال الحسن ومجاهد رضي الله عنهما نزلت الاية في يوم
الاحزاب وكل واحد من الموضعين قريب من المدينة قوله عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال اكثر المفسرين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج الى احد رجع عبد الله بن ابي المنافق بثلث الناس بعد خروجهم للحرب فقصدت فرقتان
بنو حارثة وبنو سلمة ان يجبنا فيرجعا فثبت الله عز وجل قلوبهما حتى لم يرجعا وذلك قوله عز وجل اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا ومعنى والله وليهما اي ناصرهما وحافظ قلوبهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
في امورهم وفي الاية دليل ان همّ الطائفتين كان همّ خطرة لا همّ عزيمة لان الله عز وجل مدحهما بقوله
والله وليهما وفي قوله عز وجل همت طائفتان منكم ان تفشلا دليل ان الفشل لم يكن واقعا منهم بعد
قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون معناه ولقد
اعانكم الله ببدر وانتم قليل في العدد وذلك ان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كان عدد
المهاجرين سبعة وسبعين رجلا وعدد الانصار مائتين وستة وثلاثين وكان امير المؤمنين علي
كرم الله وجهه صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم وكان سعد بن معاذ صاحب راية الانصار وكان
عدد الكفار تسعمائة ونيفا ومعنى فاتقوا الله اطيعوه فيما يامركم به لعلكم تشكروا النعم التي انعمها عليكم
واختلفوا في تسمية بدر بهذا الاسم قال بعضهم هو اسم الماء الذي هناك ونسب المكان اليه وقال
بعضهم هو اسم موضوع لذلك المكان لا على جهة النسبة الى احد كسائر اسامي البلدان والامصار وروي
ان وقعة بدر كانت على راس تسعة عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو اليوم
السابع عشر من رمضان والله تعالى اعلم وبالله التوفيق قوله عز وجل اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يوم احد بعد انصراف عبد الله بن ابي بثلث الناس سبعمائة رجل وكان المشركون ثلثة الاف رجل
فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين
من السماء قال الله عز وجل بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين معناه ان تصبروا مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وتتقوا مخالفته وياتوكم
اهل مكة من وجههم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة معلمين بالصوف الابيض ويقال
بالصوف الاحمر في نواصي الخيل واذنابها اي يرسلهم الله عز وجل من السماء معلمين بهذه العلامة
ويجوز ان يكون معنى مسومين مرسلين من الاسامة وهي الارسال ومن قرا مسومين بكسر الواو فلانهم سوموا

خيولهم

خيولهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملائكة قد تسومت وقال قتادة كانت على الملائكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق قال
ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد ارخوها على اكتافهم او بين اكتافهم وسيماهم يوم حنين
عمائم خضر مرخيها على اكتافهم او بين اكتافهم قال ولم يصبر المؤمنون يوم احد للقتال الا قليل منهم
ولو صبروا لنزل عليهم الملائكة وانما وعدهم الله عز وجل ولكنهم لم يصبروا فلم ينزل عليهم الملائكة واما الفور
فقد يكون فور الابتداء وقد يكون فور الغضب وهو غليانه مثل فور القدر ومعنى الفور هاهنا مستعار من حدة
حمي العدو وحرارته قوله عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم معناه ما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم ولتسكن قلوبكم حتى
تثبتوا لاعدائكم ثم قال وما النصر الا من عند الله اي ان الله عز وجل وان امدكم بالملائكة وقوى قلوبكم فليس النصر
بكثرة العدد وقلته ولكنه يكون من عند الله تعالى المنيع في سلطانه الحكيم في امره وفي الاية بيان ان الانسان
لا يستغني في حال من الاحوال عن الله وان كثرت عدته واجتمع ماله وعلم ان الحق معه قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الملائكة لم تباشر القتال الا يوم بدر فاما فيما سوى ذلك فانها تحضر الصف وتكثر ولا
تقاتل وذهب بعض المفسرين الى ان الملائكة لم تقاتل البتة ولم يبعثوا الا للبشارة اذ لو بعثوا للاعانة لكان
ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط حيث ادخل جناحه تحت مدائنهم الاربع وبلغ
جناحه الى الارض السابعة فاقتلعها من اصلها ورفعها الى السماء ثم جعل عاليها سافلها وذهب بعضهم
الى ان الملائكة كانوا يقاتلون وكانت علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم حتى قال ابو جهل لعنه
الله لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه انت تقتلني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبك دابته وان اجتهدت
قالوا وقد جعل الله عز وجل اولئك الملائكة مجاهدين الى يوم القيامة فكل عسكر من المسلمين صبر واحتسب
كانت معهم الملائكة قوله عز وجل ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين
معناه نصركم ليقتل ويستاصل جماعة من الذين كفروا او يغيظهم بذلك او يهزمهم فيرجعوا منقطعين عن
امالهم والكبت هو الوهن في القلب فيصرع المرء على وجهه لاجله يقال كبته لذلك والمكبوت المهموم و
الخائب المنقطع عما يامل ولا يكون الخيبة الا بعد انقطاع الامل واليأس قد يكون بالامل وبعدمه قوله
عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وذلك انه لما شج النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته وقيل سبعون رجلا من اصحابه رضي الله عنهم وهو يمسح
الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا وهو يدعوهم الى ربهم وهموا ان يلعنهم و
يلعن الذين انهزموا مع عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الاية ينهاه عن اللعن ويبين ان فلاحهم
ليس اليه وانه ليس اليه من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وهذا قول ابن عباس رضي
وقتادة ويقال ليس لك من الامر شيء ليس لك من النصر شيء كانه متصل بقوله وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم فاما قوله تعالى او يتوب عليهم قال بعضهم هذا متصل بقوله عز وجل او يكبتهم وقوله
تعالى ليس لك من الامر شيء معترض بين الكلامين كما يقول القائل رايت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون
قوله فاعلم معترضا بين الكلامين من غير ان يمنع اتصال احدهما بالاخر وقال بعضهم معنى او يتوب
عليهم حتى يلطف لهم لطفا يتوبون عنده او يعذبهم وقد يكون او بمعنى حتى كما يقال لالزمنك او
تقضيني حقي يراد بذلك حتى تقضيني حقي وقال الضحاك ومقاتل رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم رهطا من قراء اهل الصفة وكانوا سبعين رجلا بعثهم الى عصية ورعل وذكوان
يدعوهم الى الاسلام فخرجوا اليهم فقتلوهم فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

اربعين صباحا في صلوة الغداة فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي الى اخر الاية قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم معناه جميع ما في السموات وما في الارض من الخلايق كلهم عبيد الله وفي ملكه يغفر لمن يشاء الذنب الكبير اذا تاب و يعذب من يشاء على الذنب الصغير اذا اصر على ذلك والله غفور رحيم في قبول توبتهم وتاخير العذاب عنهم وانما ختم الله تعالى هذه القصة بالغفران والرحمة على معنى انه وان كان على التعذيب قديرا لكن الغالب على امره وما يريد بخلقه الرحمة والمغفرة وسئل ابن المسن رحمه الله فقيل له كيف يعذب الله عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال سعة رحمته لا تغلب حكمته ان لا تكون رحمته برقة القلب كما تكون الرحمة من الادميين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اهل الطايف كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل زادوا في المال وزادوا في الاجل فنهاهم الله تعالى عن ذلك في الاسلام ومعنى اضعافا لا تاكلوا اضعاف ما اتيتموهم لا تاخذوا الا المثل ومعنى مضاعفة لا تضعفوا المال في الزيادة في الاجل واخشوا الله تعالى في الربا ولا تستحلوا لكي تنجوا من العذاب في الاخرة وصارت هذه الاية عامة في جميع الناس وانما اعاد تعالى تحريم الربا بعد ما كان ذكره في سورة البقرة لتاكيد التحريم بتصريح النهي عنه ويجوز ان يكون المراد باية الربا في سورة البقرة ربا النسيئة والمراد بهذه الاية في هذه السورة ربا الفضل وان اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال النهي عن حال الجاهلية في الربا بالنهي عن حال الجاهلية والكفر قوله عز وجل واتقوا النار التي اعدت للكافرين معناه اخشوا النار في اكل الربا التي اعدت او خلقت للكافرين قبل ايمانه بالله عز وجل وتحريم الربا فان قيل اذا كانت النار معدة للكافرين فكيف يعذب بها غير الكافرين قيل ما يدوم تخصيص الكافرين بالذكر انهم هم المقصودون باعداد النار لهم وقد يدخلها غير الكافرين على طريق التبع وهذا كما قال عز وجل في ذكر الجنة اعدت للمتقين وان كان الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا للمتقين وقال بعضهم معنى الاية واتقوا النار في استحلال الربا فان من احل الربا فهو كافر ويقال معناه اتقوا الربا فانه يخاف نزع الايمان من اكله ومن الذنوب ما يخاف منه نزع الايمان كما روي ان رجلا كان عاقا لوالديه فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر على ذلك حتى جاءت امه ورضيت عنه ويروى ان رجلا لقن كلمة التوحيد فكان يقول ده دوازده يستر ده قوله عز وجل واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معناه اطيعوا الله والرسول في تحريم الربا لكي ترحموا فلا تعذبوا قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين معناه بادروا الى ما يوجب لكم ما كلف ومن ادى جميع ما كلف ستر ذنوبه وحط عنه العقاب وقيل سارعوا الى الاعمال الموجبة للمغفرة من ربكم وهو التوبة فان التوبة باليقين توجب المغفرة لان التايب يكون مؤديا جميع ما كلف ومتى ادى جميع ما كلف ستر ذنوبه وحط عنه العقاب وقرئ سارعوا بغير الواو على سبيل الابتداء لا على وجه العطف وانما اختلفت القراة لاختلاف المصاحف فان في مصاحف اهل المدينة واهل الشام مكتوب بغير واو وفي مصحف عثمن ومصحف اهل العراق مكتوب بالواو فاتبع كل قوم مصحفهم واما قوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنان اربع جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الماوى وجنة الفردوس وجنة النعيم وفي كل جنة منها جنات عدد نجوم السما وقطر المطر كل جنة منها في العرض والسعة لو الصقت السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض منها وفي الاية على ان طولها يزيد على السموات والارض لان طول الشي يزيد على العرض في العادة وذهب بعض المفسرين

الى انه ليس المراد بهذه الاية التقدير لكن المراد انها اوسع شي رايتموه حتى قال اسماعيل السدي رحمه الله لو كسرت السموات والارض فصرن خردلا كان بكل خردلة لله تعالى جنة عرضها السموات والارض ومعنى اعدت للمتقين خلقت للمتقين الشرك والمعاصي فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين النار قيل ان الله عز وجل خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيان اذا كان احدهما عاليا والاخر سافلا فلا يمتنعان لانهما يوجدان في مكانين متغايرين ويجوز ان تكون الجنة في السما وهو العرض من السما فان العرش اعظم من السما وهو فوق السموات لذلك لا يمنع مثله في الجنة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا السوال فقال سبحان الله اذا جا النهار فاين ذهب الليل ومعنى هذا الجواب والله اعلم المعارضة لاسقاط السوال اي كان الله عز وجل قادر على ان يخلق ضيا فيذهب بالليل الذي هو الظلمة فكذلك هو قادر على ان يخلق للنار موضعا سوى الجنة عرض السموات والارض قوله عز وجل الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين اول هذه الاية نعت للمتقين ومعناه الذين يتصدقون في حال اليسر والعسر ويقال في سر المسلمين وفي جهرهم ولا يمنعهم ضراؤهم وما يهمهم وفي حال اسارهم على انفسهم وان كان بهم خصاصة وذلك لان الذي يدعو الى البخل بالمال احد امرين اما السرور بالمال او الخوف من قلة المال فبين الله تعالى ان المتقين ينفقون على الدوام لا يمنعهم قلة المال ولا كثرته عن الانفاق واما قوله عز وجل والكاظمين الغيظ فمعناه الذين يكفون غيظهم بيوم ويدالي الى اجوافهم يقال كظم البعير على جرته اذا ردها في حلقه فلم يجتر ويجوز ان يكون معنى الكظم الحبس والشد يقال كظمت القربة اذا ملاتها ثم شددت راسها على الامتلا والغيظ هو انتقاض الطبع مما يكره هكذا روي عن قتادة رضي الله عنه ولهذا لا يجوز الغيظ على الله تعالى وان كان يجوز عليه الغضب لان الغضب هو ارادة العقاب واما قوله عز وجل والعافين عن الناس فمعناه الذين يعفون عن المذنبين من الاحرار والمملوكين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه ملا الله قلبه رجا الله تعالى من الحور العين حيث شا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفا رجل عن مظلمة قط الا زاده الله تعالى بها عزا ولا نقصت صدقة من مال قط فتصدقوا ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وان اكرم الناس من اعطى من لا يرجوه واوصل الناس من وصل من قطعه واعظم الناس عفوا من عفى عن قدرة واما قوله عز وجل والله يحب المحسنين فمعناه يثني على المحسنين الى الناس ويرضى عملهم وقد روي عن عيسى عليه السلام انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذاك مكافاة وانما الاحسان ان تحسن الى من اسا اليك وبالله التوفيق قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون متصل بقوله عز وجل والعافين عن الناس وقوله عز وجل والله يحب المحسنين ما بين دخل بين كلامين ويقال قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة كلام مبتدا جوابه اولئك جزاوهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين رجلين مسلمين انصاري وثقفي فخرج الثقفي بالقرعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الانصاري يتعهد اهل الثقفي فيقوم على الباب فيسالهم عن حاجتهم فان كانت لهم حاجة عملها والا انصرف فاقبل يوما فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل عليها حتى انتهى اليها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى وادبر وقال لا اجد لتوبتي من معصيتي الا ان اسيح في الجبال اوب واتعبد وخرج يسيح في الجبال فلما رجع المسلمون من غزاتهم لم ير الثقفي اخاه فاخبرته امراته بفعله فخرج الثقفي في طلبه يسال عنه في الرعاة والجبال والغار

الألوكة
www.alukah.net

حتى ذكر عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي فقال يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعل الله عز وجل يجعل لك مخرجا فاقبل معه حتى قدم المدينة فسال اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا الا توبة لك ما نعلم ان الله عز وجل يغار للغازي في سبيله ما لا يغار للمسوفي الجالس في بيته فقام
على باب النبي صلى الله عليه وسلم فقعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المذنب المذنب فاذن له فدخل فسال ورد
عليه الصلوة والسلام مثل ما رد اصحابه رضي الله عنهم فخرج يسيح في الجبال الاثم على حجر ولا مدر ولا سهل ولا حارة
لا تجرد يجرح عليه حتى اذا كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبته
فنزلت هذه الاية ومعناها والذين اذا فعلوا كبيرة او ظلموا انفسهم بفعل الصغيرة مثل النظرة واللمز والغمز والقبلة
ذكروا معاصيهم بين يدي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعقابه وقيل المعنى ذكروا الله ذكروا اسم الله
تعالى فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا وقوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله معناه ليس احد يقدر على ان يغفر
الذنوب الا الله عز وجل وهذا اعتراض دخل بين كلامين ذكره الله عز وجل على وجه التنبيه ليشتد الرغبة في طلب
المغفرة من جهة الله عز وجل وقوله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من
المعصية اي ندموا عليها فان الاستغفار باللسان من غير ندامة القلب توبة الكذابين ومعنى وهم يعلمون
اي يعلمون انها معصية لله عز وجل فاصرار الرجل على الخطيئة كان اثمها موضوعا عنهم وهذا مثل ان
يتزوج امة او اخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك او اشترى جارية فوطئها ثم استحق الجارية كان اثم ذلك
موضوعا عنه قوله عز وجل **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار**
خالدين فيها ونعم اجر العاملين معناه اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط العقاب
عنهم وبساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين آمنين فيها ونعم اجر التائبين في التوبة
وضع عنهم ما كان مكتوبا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته مكتوبة على بابه اجدع انفك
او اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة واكتفى منهم بالندم والاستغفار قوله عز وجل **قد خلت من**
قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين معناه قد مضت من قبلكم
سنن وهي الطرائق في الخير والشر وقيل معناه قد مضت من قبلكم سنن الهلاك في المكذبين رسلنا صلوات
الله عليهم فسافروا في الارض فانظروا كيف صار اخر المكذبين بالرسل والكتب اي تعظوا بالاثار التي بقيت منهم
في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد وسبا وغيرهم وقال بعضهم اراد بالسير في الارض قراة القران
اي اقروا القران فاعتبروا بعاقبة وتفكروا الى ما صار عاقبة المكذبين فان من قرا القران فكانه سار في
الارض قوله عز وجل **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** معناه هذا القران
بيان للناس من الضلالة وهدى من العمى وذهب المتقين من العوا حتى والبيان في اللغة كل ما يظهر به المعنى
للمتقين والهدى بيان طريق الرشد دون طريق الغي والموعظة ما يدعو الى فعل الحسنة من ترغيب او
ترهيب وخص المتقين في الاية لان فايدة الهدى والبيان راجعة اليهم قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا**
تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين عايد الى ما تقدم ذكره من حديث حرب احد
ومعناه لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا على ما اصابكم من القتل والهزيمة وانتم الاعلون في الحجة ويقال وانتم
الغالبون في العاقبة ان كنتم مصدقين بوعد الله عز وجل بالنصر قال بعض المفسرين هذا خطاب لاصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما خرجوا على عهده في عسكر الا ظفروا وما خرج واحد منهم بعد النبي صلى الله عليه
وسلم الا ظفر وقال بعضهم هذا خطاب لعامة المؤمنين معناه ان صفة المؤمن المخلص ان يثق بالله عز
وجل كما نصرهم يوم بدر وفي مواطن كثيرة ويقال ان قوله عز وجل ان كنتم مؤمنين متصل بقوله عز وجل ولا
تحزنوا وقوله وانتم الاعلون اعتراض بين الكلامين بوعد مؤكد قوله عز وجل **ان يمسسكم قرح فقد مس**

القوم

القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين
ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان يمسسكم قرح من حرب احد فقد مس القوم اهل مكة قرح مثله وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا يوم بدر من المشركين سبعين واسروا سبعين وقتل يوم احد من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون ويجوز ان يكون المراد بالمثل في الاية المماثلة في اصل المس لا في صفات
الفعل واما القراة في القرح بنصب القاف وضمها فهما لغتان ومعناهما واحد وهو الجراحة والمها يقال قرح الرجل
اذا جرح وقال بعض اهل اللغة القرح بالنصب عين الجراحة وبالضم المها واما قوله عز وجل وتلك الايام نداولها
بين الناس فمعناه تلك الايام نصرفها بين الناس فنجعلها تارة لفريق وتارة عليهم والدولة هي الكرة لفريق بنيل المراد
ومن ذلك يقال الايام دول بين الله عز وجل المعنى الذي لاجله يداول الايام بين المؤمنين والكفار فقال عز من
قايل وليعلم الله الذين امنوا ومعناه ليرى من يقيم على الايمان ممن لا يقيم فيظهر المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض
وقال الزجاج معناه ليعلم الله تعالى علم مشاهدة بعد ما كان علمه علم غيب لان العلم الذي يعلمه الله عز
وجل قبل وقوع الشي لا يجب به المجازاة ما لم يقع واذا وقع هذا العلم كان التغيير حاصلا في المعلوم لا في العلم لا
في العالم كما ان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه ثم اذا جاء فانما يعلمه اليوم ثم اذا انقضى فانما يعلمه امس ويكون التغيير حاصلا
في المعلوم لا في العلم واما الواو في قوله تعالى وليعلم فلانه عطفه على خبر محذوف تقديره وتلك الايام نداولها
بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله تعالى المؤمنين متميزين من المنافقين **واما** قوله عز وجل ويتخذ منكم
شهداء فمعناه ولكي يتخذ منكم شهداء يكرمهم بالشهادة وقال بعضهم معناه ويجعلكم شهداء على الناس على
معاصيهم لاجلاله لكم وتعظيمكم ثم قال عز من قايل والله لا يحب الظالمين اي لا يصل الله تعالى ذلك الى الظالمين فانه
لا يحب الظالمين وفيه بيان ان الله عز وجل لا ينصر الكفار على المسلمين اذ النصرة تدل على المحبة والله عز وجل لا يحب
الكفار ولكن قد ينصر المسلمين في بعض الاوقات على الكفار وفي بعض الاوقات يكل المسلمين الى حولهم وقوتهم
لذنب كان حصل منهم واما جعل الله تعالى الدنيا متقلبة لكي لا يطمئن مسلم اليها لتقلبها ولكي يبقى للاخرة التي يكون
نعيمها الى الابد قوله عز وجل **وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين** معطوف على قوله تعالى ويتخذ منكم
شهداء معناه وليمحص الله المؤمنين من الذنوب يقال محصت الشي امحصه محصا اذا خلصته من العيب ومحص
الحبل محصا اذا ذهب عنه الوبر لكثرة العمل فصار املس ورجل محص وملص واملص بمعنى واحد
ومعنى ويمحق الكافرين اي يهلكهم لانهم يحتجون فيخرجون للحرب مرة اخرى فيستاصلهم وهذا تاويل مداولة
الايام والله اعلم قوله عز وجل **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم**
الصابرين معناه اظننتم معشر المؤمنين ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله عز وجل جهاد المجاهدين ولا صبر
الصابرين واقعا منكم مشاهدة وهذا استفهام بمعنى الانكار لظنهم وحسابهم وقد يقول الرجل لمن يعاتب
عليه لم يعلم الله تعالى ذلك مني يريد لم اعمله وقوله الرجل لما يفعل معناه لم يفعل انضم اليه حرف ما وانما في جواب
المستقبل يقال لن يفعل ولا يفعل وقرا الحسن رضي الله عنه ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على قوله عز وجل
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم واما قراة النصب فهو نصب على الصرف صرف اخر الكلام عن اوله على تقدير
وان يعلم الصابرين وهذا قول الكوفيين واما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع وهذا كما **قال الشاعر**
لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم ۞ اي لا يكن منك النهي عن خلق مع اتيانك
مثله ويقال لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك الجمع بينهما قوله عز وجل **ولقد كنتم تمنون**
الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون قال عبد الله بن عباس وذلك انه لما اخبرهم الله عز وجل
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة والثواب والجنة رغبوا في ذلك
وقالوا اللهم ارنا قتالا لعلنا نستشهد به فنلحق باخواننا في الجنة فاراهم الله عز وجل ذلك يوم احد فلم يلبثوا

مع نبيهم صلى الله عليه وسلم واخبروا الامر بما الله تعالى منهم ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل
بعضهم وجرح بعضهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر
من قبل ان تنظروا اليه يوم احد فقد رايتموه يومئذ وانتم تنظرون الى السيوف فيها الموت وهذا تعيير
لهم بفشلهم عند الحرب مع صدق رغبتهم في الشهادة وذكر الزجاج ان معنى تمنون الموت تمنون القتال
الذي هو سبب الموت قال ومعنى وانتم تنظرون وانتم بصراء كما يقال رايت كذا وكذا وان لم يكن في عينك علة و
استدل على هذا بقوله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى اخر الاية قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين نزلت هذه الاية حيا لا العذر المعتذرين من المنهزمين يوم احد سمعنا صوتا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فلذلك انهزمنا وذلك ان مصعب بن عمير كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قتل ظن قاتله انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنادى قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم ويقال ان ابليس لعنه
الله نادى في الناس بذلك ومعنى الاية ما محمد صلى الله عليه وسلم الا رسول كمن تقدمه من الرسل صلوات الله
عليهم قتل بعضهم ومات بعضهم افان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل وطاعة الله تعالى رجعتم الى دينكم الكفر وقلتم
لو كان نبيا لما قتل وهذا توبيخ لمن ترك القتال على الدين وبيان ان الانبيا عليهم السلام لا يبقون ابد الدهر واما
قوله عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا معناه من يرجع الى دينه الشرك فلن ينقص من ملك الله تعالى
وسلطانه شيئا وانما يضر نفسه وسيجزي الله المومنين المجاهدين وانما سمي الارتداد انقلابا على العقبين لان الرجوع
الى قبح الاديان كالانقلاب على العقب فهو اقبح ما يكون في المشي والتنكل بالنفس وسمي المطيع شاكرا لان الطاعات
كلها شكر لله عز وجل على نعمه قوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
معناه ما كانت نفس لتموت الا بامر الله تعالى كتب الله عز وجل كتابا الى اجل لا يزيد ولا ينقص وهذا تحريض للمومنين
على القتال لا تتركوا الجهاد خشية الموت والقتل فانهم لن يعجلوا قتلكم وانما هو من اذن الله تعالى لملك الموت في
قبض الارواح عند انتهاء الاجال والاجل الوقت المعلوم وقوله عز وجل كتابا مصدر منصوب بدليل
على فعل محذوف سابق وهو من التوكيد قوله عز وجل كتاب الله عليكم بعد قوله حرمت عليكم امهاتكم و
كذلك قوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شيء ومعنى ومن يرد ثواب الدنيا من يرد بعمله المدحة والريا
نعطيه حظه المقسوم له في الدنيا من غير ان يكون له حظ في الاخرة وقد فسر الله عز وجل في اية اخرى وهي قوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ويقال معنى هذه الاية من اراد بالجهاد ثواب الدنيا
لم يحرم حظه من الغنيمة واما قوله عز وجل ومن يرد ثواب الاخرة فمعناه ومن يرد بعمله ثواب الاخرة نعطه
مضاعفا ما يستحق من التوفيق في الدنيا ومعنى وسنجزي الشاكرين سنجزي المطيعين قال بعضهم يريد بهم الجنة
في الاخرة وقال بعضهم لا يحرمهم الدنيا بارادتهم ثواب الاخرة كما قال عز وجل من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه قوله عز وجل وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين معناه كم من نبي قاتل معه جماعات كثيرة فما فتروا لما
اصابهم في طاعة الله وما جبنوا عن قتال عدوهم وما خضعوا لعدوهم والله يرضى عمل الصابرين
على قتال عدوهم لدين الاسلام وفي كاين ثلاث لغات كاين بتشديد الياء على وزن كعين وكائن على وزن وكاين
عليه ايكم واصل هذه الكلمة كاف التشبيه واي الاستفهام وان الشرط وحروف الافراد تؤدي معاني فاذا
ركبت ادت معاني خلاف الاول وهذا مثل لولا ولوما وهلا كلمات تقتضي التحريض عند التركيب وكانت
قبل التركيب تؤدي غير ذلك المعنى وفي قاتل ثلاث قراآت قاتل على معنى قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه

بجمع ربع

فما فتروا

كاي

ربيون

ربيون والثاني قتل على معنى قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويوقف عليه والثالث قتل معه ربيون وقف عليه على معنى قتل معه
الربيون المجاهدون معه قال الحسن رضي الله عنه لم يقتل احد من الانبياء صلوات الله عليهم قط في معركة ولو
وقف على قتل لادى الى ان نبيا قتل في معركة وعلى هذا يكون معنى فما وهنوا اما وهن من بقي منهم وهذا كما يقول الرجل
قتلنا وبنو فلان وهو لم يقتل وانما يريد بذلك قتل قومه واما ربيون فهو جمع ربية والربية الواحدة عشرة
الاف ويقال هو جمع ربي وهو العالم التقي الصابر منسوب الى الرب جل وعز كما يقال الهي واما كسر الراء فكما يقال
المنسوب الى امس امسي بكسر الهمزة وكما يقال للمنسوب الى الدهر دهري بضم الدال والوهن انكسار الحد بخوف
الخوف ونحوه والضعف نقصان قوة البدن والاستكانة الخضوع واظهار الضعف وهي افتعال من السكون
قوله عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين حكاية قول الربيين من اتباع النبيين صلوات الله عليهم المتقدمين
ومعناه ما كان قولهم عند لقائهم عدوهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغاير والكباير ومعنى الاسراف
في اللغة مجاوزة الحد بارتكاب الذنوب العظام ومعنى وثبت اقدامنا ثبتها للقتال بتقوية قلوبنا واعنا
على القوم الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم وهلا قلتم ايها المومنون كما قال الربيون وهلا فعلتم كما فعلوا
ويقرا قولهم في هذه الاية بالرفع على تقدير انه اسم كان والخبر ما بعد الا والاكثر في الكلام ان يكون الاسم ما
بعد الا فينتصب قولهم لخبر كما في قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا وقوله ما كان حجتهم الا
ان قالوا ونحو ذلك قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين
معناه فاعطاهم الله النصر والغنيمة وان الحسنى في الدنيا والجنة في الاخرة والله يحب المومنين المجاهدين
وفي الاية دلالة انه قد يجوز اجتماع الدنيا والاخرة لواحد وعن علي كرم الله وجهه انه قال من طلب الدنيا اضر
باخرته ومن طلب الاخرة اضر بدنياه وقد جمعهما الله لاقوام قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين معناه ان تطيعوا اليهود والنصارى فيما يقولون
لكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا لما ظهر عليه المشركون يصرفوكم الى دين الشرك فتنصرفوا مغبونين
الى دينكم الاول قوله عز وجل بل الله مولاكم وهو خير الناصرين معناه بل الله وليكم وناصركم وهو
خير الناصرين من الكفار لانه لا احد الا يقدر ان ينصركم نصره ولا ان يدفع كيد فاعله وعند نصره لا يوثر فعل غيره
ومن قرا بل الله نصبه بفعل معناه بل اطيعوا الله عز وجل قوله عز وجل
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بشارة من الله عز وجل واسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين بشارة من الله عز وجل
واسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد ومعنى الاية سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب المخافة
عقوبة لهم باشراكهم بالله شيئا لم ينزل الله به كتابا فيه عذر وحجة لهم ومصيرهم في الاخرة النار وبئس
مقام الظالمين النار في الاخرة واصل السلطان القوة وسلطان الملك قوته والتسليط على الشيء التقوية
عليه وانما سميت الحجة سلطانا لانه يقع على قمع الباطل وقهر المبطل واصل الكلمة في الرعب بضم العين لان
ان اكثر القرا يقرون بتسكين العين لاستثقال الضمتين وفي الاية دلالة صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر بالقاء الرعب في قلوب المشركين فكان كما اخبر كما روي في الخبر ان ابا سفيان صعد جبلا
يوم احد ثم نادى اعل هبل اعل هبل فاستاذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ان يجاوبه فاذن له فنادى
عمر رضي الله عنه بل الله اعلى واجل فقال ابو سفيان يوم بيوم وحنظلة بحنظلة فقال عمر لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان نشدتك يا ابن الخطاب امحمد صلى الله عليه وسلم في الاحياء فقال
عمر اي والله يسمع كلامك فقال ابو سفيان ان الموعد بيننا وبينكم بدر هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

سنقذف في ...

لا سواء ...

الله

قل بدر الصغرى وهو موضع يسمى بدر الصغرى وكانت وقعة احد على ثلث سنين من الهجرة وبدر الصغرى
على اربع سنين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى على الموعد ورعب الكفار ولم يجاسروا على
الحضور ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب حتى ان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر قوله عز وجل
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما
اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا
عنكم والله ذو فضل على المؤمنين معنى الاية والله تعالى اعلم لقد انجزكم الله تعالى وعده الذي وعده لكم بالنصر
على عدوكم يوم احد ان تصبروا وتتقوا وذلك انه لما صاف رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم
احد جعل عبد الله بن جبير الانصاري مع خمسين من الرماة على ما يلي قبل خيل المشركين خلف المسلمين لئلا يأتيهم
المشركون من خلفهم وقال لهم اذا رايتموهم قد قتلونا او قتلناهم فلا تبرحوا من مكانكم فلما هزم الله تعالى المشركين
وراى الرماة الناس من المسلمين يقعون في الغنائم ظنوا ان من اخذ شيئا فهو له فتركوا ما امرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واقبلوا على النهب الا عبد الله بن جبير وثمانية من اصحابه رضي الله عنهم فخرج خالد بن الوليد
مع مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل ذلك الشعب وكان هو يومئذ مشركا فقتلوا من بقي من الرماة و
دخلوا خلف فئة المسلمين وتفرق المسلمون ورجع المشركون فحملوا حملة رجل واحد فصار المسلمون من بين قتيل
وجريح ومنهزم فذلك قوله عز وجل اذ تحسونهم باذنه تستأصلونهم قتلا واول الحرب بامره وعلمه حتى
حتى اذا فشلتم يقول جبنتم من عدوكم واختلفتم في الامر الذي امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات
على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم الله عز وجل من النصرة على عدوكم قال بعض المفسرين جواب اذا فشلتم
هاهنا مقدر كانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رايتم من القتل والبلاء وقال بعضهم الواو في قوله عز و
جل وتنازعتم زائدة كما في قوله عز وجل حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال امرؤ القيس • فلما اجزنا ساحة
الحي وانتحى • معناه انتحى قال سيبويه متى امكن ان لا يجعل حرف من كتاب الله عز وجل ملغى فهو اولى من غيره
ومعنى منكم من يريد الدنيا من الرماة من يريد الدنيا وهم الذين وقعوا في الغنائم ولم يثبتوا عند المركز وقوله
عز وجل ثم صرفكم عنهم اي صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة قيل ان المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر وقيل
معنى صرفكم اذن لكم في الانصراف عنه لما بقي الباقون من المسلمين وهم قلة لم يمكنهم الثبات للعدو فصاروا ماذونين
بالانصراف غير مامورين بالقتال حينئذ ومعنى ليبتليكم ليعاملكم معاملة المبتلين بان يجازيكم على ما يظهر
من عملكم لا على ما يعلمه فيكم وقيل معناه ليبتليكم اولياؤنا واضاف الابتلاء الى نفسه على جهة التفخيم للاولياء
كما قال ان الذين يؤذون الله والمراد به اولياء الله عز وجل وقوله عز وجل ولقد عفا عنكم اي لم يعاقبكم عند
ذلك فلم يهلككم جميعا والله ذو فضل على المؤمنين ومن عليهم بالعفو والتجاوز وفي الاية دلالة ان النصر
من الله عز وجل في جهاد العدو مضمن باتباع امره والاجتهاد في طاعته وعلى هذا جرت العادة اي عادة الله عز
وجل في نصر المسلمين على اعدائهم ولهذا حين كان المسلمون من الصدر الاول لا يقاتلون الا للدين فرض الله عز وجل
على عشرين الا يفروا من مائتين كما قال الله عز وجل وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وكان
عدد المسلمين وسلاحهم يومئذ اقل فنصرهم الله عز وجل يوم بدر اكفاء المشركين وكان المشركون شاكين
في السلاح فقتل المسلمون منهم ما شاؤوا واسروا ما شاؤوا ثم لما خالط المسلمين بعد ذلك من لم يكن لهم
مثل بصائرهم خفف الله تعالى عن الجميع فقال عز من قائل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ومعلوم انه لم يرد ضعف قوى الابدان ولا عدم السلاح لان قوى ابدانهم
كانت باقية وكان عددهم اكثر وسلاحهم اوفر وانما اراد به انه خالطهم من ليس له قوة البصيرة مثل الاولين
فالمراد بالضعف هاهنا ضعف النية واجرى الجميع مجرى واحدا في التخفيف اذ لم يكن من المعطية متميز وي

البصائر

البصائر منهم بانهاضهم واسماعهم من اهوال نعف اليقين قوله عز وجل اذ تصعدون ولا تلوون على احد
والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير
بما تعملون راجع الى قوله عز وجل ولقد عفا عنكم لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب
ما بينه بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد ومعناه اذ تبعدون هربا في الارض بالهزيمة والاصعاد السير في
مستوى الارض يقال اصعد فلان من مكة الى موضع كذا وقرا الحسن رضي الله عنه اذ تصعدون بفتح التاء والعين
والصعود هو الارتقاء الى المكان المرتفع قال وقد كانوا يصعدون الجبل هاربين وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يلتفت اليه منهم احد حتى اتوا اعلى الجبل ولا تنافي بين القراءتين لانه كان يومئذ في المنهزمين صاعد
ومصعد ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي اولا ثم صعدوا الجبل ولا تلوون على احد لا تعرجون ولا تقيمون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقيم بعضكم على بعض والرسول يدعوكم في اخراكم اي من خلفكم وذلك انه لما
انهزم المسلمون لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين ابو بكر وعلي
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد وثمانية من الانصار ومعنى فاثابكم غما بغم جازاكم غما متصلا
بغم فاحد الغمين الهزيمة وقتل اخوانهم والثاني اشراف خالد بن الوليد عليهم في خيل المشركين من فم الشعب فدعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد وتلك في هذه البلدة والغمان يتلو الاخر
الغمان غمهم عما انهم الله عز وجل وقال بعضهم الغم الاول هو القتل والجراح والثاني انهم سمعوا بان النبي
صلى الله عليه وسلم قتل فانساهم الغم الاول وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي اذا اتاكم غم النبي صلى الله
عليه وسلم انسيتم له كل غم من فوت الغنيمة ووجود الهزيمة وقيل معناه اذا من ناحية القوم عليه واعتاد ذلك لم يحل
حزنه ولا اسفه على ما يفوته من الدنيا وقال الزجاج معنى اثابكم غما بغم جازاكم غما بما غممتم به النبي صلى الله عليه
وسلم بمفارقة المكان الذي امركم بحفظه وقيل ان قوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم متصل بقوله عز وجل ولقد عفا
عنكم ومعنى والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم من اغتمام المسلمين وشماتة المنافقين قوله عز وجل ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور
وذلك انه لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثرهم وقال انظر فان هم
اجتنبوا الخيل وركبوا الابل فهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة فخرج علي رضي الله
عنه في اثرهم فاذا هم ركبوا الابل وقادوا الخيل قالوا قد اجتمعنا للحراب ثانيا فرجع علي كرم الله وجهه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره عن حالهم وعما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم عازمون الانصراف
الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى الله عز وجل عليهم النوم فما بقي منهم احد
الا ضرب ذقنه صدره الا معتب بن قشير واصحابه الذين كانوا يشكون في امر محمد صلى الله عليه وسلم لما علم الله عز
وجل من باطنهم خلاف ما عليه المؤمنون فمنعهم ما اعطى المؤمنين حتى ترددوا في انفسهم وساء الظن بربهم
يبيتوا من فزع وشكوا في سابق وعده وصادق عهده ومعنى الاية ثم انزل عليكم من الغم الذي كنتم فيه امنا
وقوله تعالى نعاسا بدل من الامنة اي امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا ينام ومن هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه
النعاس في الصلاة من الشيطان وفي القتال من الرحمن وقوله عز وجل يغشى طائفة منكم من قرا يغشى بالياء كانت
نعتا للنعاس ومن قرا بالتاء كان نعتا للامنة وهذا كما قوله عز وجل الم يك نطفة من مني يمنى بالياء والتاء
الاية والمراد بالطائفة التي يغشاهم النعاس في هذه الاية اهل الصدق واليقين وقوله تعالى وطائفة قد

اهمتهم انفسهم رفع بالابتدا وهذه الطائفة هم المنافقون معتب بن قشير واصحابه اهمتهم انفسهم
يقال لكل من خاف وحزن في غير موضع الحزن والخوف اهمته نفسه ومعنى يظنون بالله غير الحق يظنون ان لا ينصر
الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كظنهم في الجاهلية ويقال كظن الجهال وهم المشركون
واما قوله عز وجل يقولون هل لنا من الامر من شيء فيه وجهان احدهما هل نطمع ان يكون لنا شيء من الظفر والدولة
والثاني لو كان الامر الينا ما خرجنا ولكنا اخرجنا الى القتال مكرهين قل لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك
لله عز وجل من نصب قوله تعالى كله جعله توكيدا للامر ومن رفعه جعله اسما مستانفا خبره لله وقوله تعالى يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك اي المنافقون يسرون ويضمرون في قلوبهم ما لا يظهرون لك بالسنتهم يقولون سرا
لو كان لنا من النصر والدولة شيء وكان دين محمد صلى الله عليه وسلم حقا ما قتل اصحابنا ها هنا اي باحد ويقال معناه
لو لم نخرج الى الحرب [illegible] ما قتلنا واما قوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم معناه قل للمنافقين لو تخلفتم انتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل الى المكان المنكشف من
مصارعهم ومواضع قتلهم لا محالة لنفوذ قضاء الله عز وجل ويقال معناه لو كنتم في بيوتكم لما اخطاكم ما كتب
عليكم ويقال معنى الاية لو كنتم ايها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال وهم المؤمنون المخلصون
الى موضع القتال صابرين محتسبين واما قوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم فهو معطوف على قوله عز وجل
ليبتليكم ومعناه وليختبر ويظهر ما في قلوبكم باعمالكم لانه علمه غيبا فيعلمه مشاهدة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم
يبين ما في قلوبكم ويذهب نفاق من كان منكم والله عليم بما في القلوب من الخير والشر قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
ان الله غفور حليم معناه والله تعالى اعلم ان الذين انهزموا منكم معشر المؤمنين يوم التقى جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وجمع ابي سفيان واصحابه انما استزلهم الشيطان عن اماكنهم ببعض ما كسبوا و
هو مفارقة المكان الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ولقد عفا الله عنهم حين لم يستاصلهم
ويقال في معنى الاية ان هؤلاء لم يتولوا على جهة المعاندة والفرار من الزحف ولكن اذكرهم الشيطان خطاياهم
التي كانت منهم فكرهوا لقاء الله تعالى الا على حالة يرضونها ولذلك عفا الله عنهم وهذا قيل ان الشيطان اذا لم
يقدر ان يوسوس الى الانسان بالاعمال الى المعصية وسوس اليه بان يريه شيئا طاعة ومعنى ان الله غفور حليم
يغفر لهم ذنوبهم لم يعجل بالعقوبة عليهم وروي ان رجلا من الخوارج اتى عبد الله بن عمر فساله عن عثمان رضي الله عنه
اكان هو في الخمسين الذين هربوا يوم احد فقال نعم قال اشهد يوم بدر فقال لا فقال اشهد بيعة الرضوان فقال لا
فولى الرجل [illegible] فدعا له ابن عمر يقصه عثمان رضي الله عنه قال له ارجع واجلس فرجع وجلس فقال له ابن
عمر اما يوم بدر فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على ابنته ام كلثوم يمرضها فانها كانت مريضة مرضت
يوم هزم المسلمون الكفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في الغزو وعثمان في تكفينها بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودفنها والصلوة عليها فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جعل اجره كاجرهم وسهمه كسهمهم واما
بيعة الرضوان فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيساره على يمينه فقال هذا عن عثمان وعلمنا ان ضرب يسار
النبي صلى الله عليه وسلم على يمينه خير مما قال من ضرب يمين غيره على يمينه واما يوم احد فقد ذكر الله عز وجل العفو
عنهم بقوله عز وجل ولقد عفا عنكم فقام الرجل خزيان ناكسا راسه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير
خطاب للمؤمنين المخلصين معناه لا تكونوا كما في اهل النفاق عبد الله بن ابي واصحابه قالوا لاخوانهم اذا سافروا
في الارض تجارا مسافرين فماتوا من سفرهم ذلكما وكانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في

علمه م

صوابه عفا الله عنهم

الغزو

والغزو وانما قال اذا ضربوا وحرف اذا يستعمل في الاستقبال وانما يستعمل في الماضي حرف اذ لان الغرض من هذا اللفظ
بيان شان المنافقين هذا ابدا فيما مضى وفيما يستقبل وهو نظير قول القائل ان فلانا اذا حدث صدق اي ان
ذلك عادته ابدا والغزى جمع غاز كما يقال ضارب وضرب وراكع وركع وقد يجمع الغازي على غزاة كما يقال قاض
وقضاة ويجمع على غزاء كما يقال صائم وصوام واللام في قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لام العاقبة
والتقدير ليصير عاقبة امرهم الى ان يجعل الله تعالى ما ظنوا حزنا يتجدد في اجوافهم وقوله والله يحيي ويميت
تحذير عن التخلف عن الجهاد خشية الموت والقتل لان الاحياء والاماتة الى الله عز وجل في الحضر والسفر وحال
القتال وغير حال القتال وقوله عز وجل والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية قوله
عز وجل ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معناه
لو قتلتم في طاعة الله او متم فيها لمغفرة الله عز وجل ورحمته خير لكم مما يجمعون من الاموال وانما قال ذلك وان
كان هذا معلوما لان من الناس من اثر الجموع الدنيا على الجهاد في سبيل الله لخشية القتل فبين الله عز وجل
ان ما يحصل من الثواب والمغفرة على الجهاد خير مما تورثون وتاثمون في الجموع الدنيا ومن قرا يجمعون بالياء فعلى الخبر
معناه خير لكم ايها المؤمنون مما يجمع المنافقون من الدنيا قوله عز وجل ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
معناه لئن متم على فرشكم او قتلتم في الغزو فالى الله ترجعون في الاخرة اي كيف ما دارت الحال فان مصيركم الى الله عز
وجل ولان تصيروا الى الله بالقتل الذي تستحقون عليه العوض خير من ان تصيروا اليه بالموت الذي لا تستحقون
عليه العوض وهو نظير قول امير المؤمنين علي كرم الله وجهه • فان تكن الابدان للموت انشئت • فقتل
امرء بالسيف في الله افضل • واللام في لئن لام القسم وتصلح ان تكون للابتداء والتاكيد واللام في لمغفرة جواب
القسم ويصلح ان يكون مؤكدا لجواب الشرط ويقرا متم بكسر الميم ايضا وهي لغة من مات يمات ومات يموت قوله
عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
فبرحمة عظيمة من الله تعالى لنت لهم حتى صار لينك لهم سببا لدخولهم في الدين لان النبي صلى الله عليه وسلم •
كان يامر بالحج والبراهين مع لين وخلق عظيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا
اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولكن شرقوا او غربوا وفي الاية منة على المؤمنين اذ
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بهم واما حرف ما في قوله عز وجل فبما رحمة من الله صلة وتوكيد
عند اكثر اهل العلم لا يمنع الباء من عملها وقال بعضهم معناه فبشيء رحمة من الله تعالى وكذا قالوا في فبما نقضهم
ميثاقهم فبشيء نقضهم قال الزجاج لو قرئ فبما رحمة من الله برفع رحمة على معنى فبما هو رحمة من الله جاز ولكن
لا يقرا بها لان القراءة سنة متبعة واما قوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب معناه لو كنت يا محمد صلى الله
عليه وسلم خشنا في القول سيء الخلق قاسي القلب لتفرقوا من حولك فلم تر منهم احدا ولكن الله تعالى جعلك
سهلا سمحا طلقا لطيفا لينا بارا رحيما والفظاظة الجفوة في القول واصل الفظ الغلظ كما يقال ضب ناصله
ضبث [illegible] من فرق نزق ورجل فرق [illegible] وسمي ما الكرش فظا لغلظ مشربه واما قوله
عز وجل فاعف عنهم معناه تجاوز عنهم في الجريمة التي تكون بينك وبينهم وكانوا عصوا النبي صلى الله عليه
وسلم في الانهزام وترك المركز وترك الاجابة لدعوته اذ رجعوا فندب الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
العفو عنهم بالثناء عليه في حسن خلقه وقوله تعالى واستغفر لهم معناه واستغفر لهم الله عز وجل في الذنب
الذي يكون منهم واما قوله تعالى وشاورهم في الامر فمعناه اذا اردت ان تعمل عملا مما لم يكن عندك فيه وحي
فناظرهم واعمل بتدبيرهم ومشورتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن مشاورتهم وانما كان
صلى الله عليه وسلم استشارهم لان الله عز وجل انما امر بالمشاورة ليقتدي به الامة وليكون فيه تطييب

ان م

قال ه

جعل م

رجل ضب عاشق مشتاق
وقد ضبيت يا رجل بالكسر
ضبب والله اعلم

الألوكة
www.alukah.net

لتعز بن المومنين ويرفع لاقدارهم ويثنى عليهم بحسن رايهم ويقال ان في المشورة رد الملامة لانه يقول فعلت
بمشورتكم وعن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما شقي عبد قط بمشورة
وما سعد باستغنا برايه ومعنى المشورة في اللغة اظهار الراي يقال شرت الدابة اشورها اذا امتحنتها
وعرفت هيئتها في السير ويقال شرت العسل واشرته اذا اخذته من موضع النحل ويقال فلان حسن الصورة والشورة
اي حسن الهيئة واللباس والشوار متاع البيت فاما قوله عز وجل فاذا عزمت فمعناه اذا عزمت على شي فثق
بالله وفوض اليه ولا تتكل على المشورة وفي هذا دليل ان الله عز وجل انما امر بالمشورة فيما لم يكن عنده وحي لان
العزيمة فيما فيه الوحي لا بد ان تكون سابقة على المشورة وذهب بعض الناس الى ان الله عز وجل انما امر نبيه صلى
الله عليه وسلم بمشورتهم في امور الدنيا خاصة وهذا بعيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من دنياه على
القوت والكفاف لا يلتفت الى الفضل فيه وانما كان يشاور اصحابه في امر الحروب التي تشترك فيها الاراء كما روي انه نزل
في غزاة بدر موضعا فقال له الحباب بن المنذر ان كان نزولك ها هنا بوحي من الله فسمعا وطاعة وان كان رايا
فالراي مشتركة فقال صلى الله عليه وسلم لا بل رايي فقال ان ما بالقرب من ها هنا الموضع كيس فالانتقال من ها هنا
احسن فانتقلوا ونزلوا مكانا اخر وجعلوا حوض الما وراء انفسهم وكذلك شاور النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في
اسارى بدر وسنذكر تلك القصة في موضعها ان شا الله تعالى واما قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين تحريض للمسلمين
على التوكل وقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المومنون معناه ان ينصركم الله تعالى على عدوكم فلا غالب لكم من العدو مثل يوم بدر وان يخذلكم
بان يكلكم الى انفسكم ويرفع نصره عنكم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم من عدوكم من بعد خذلانه اياكم وبالله فليتوكل
المومنون في النصر وقوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون معناه وذلك انهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم يوم احد
حين وقعوا في عسكر المشركين ياخذون الغنايم فظنوا ان من اخذ شيا تركه واياه وان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقسمهم
كما لم يقسم يوم بدر ولهذا ترك الرماة المركز ووقعوا في الغنايم وعن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما
انهما قالا نزلت الاية في قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله تعالى
هذه الاية ما كان لنبي ان يخون اصحابه فيستاثر بشي من الغنيمة على وجه الغلول وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
بالذكر بيان انه لم يكن ليقدم على الخيانة مع النبوة اذ الخيانة من النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من خيانة
غيره فكان تخصيصه بالذكر وان كانت خيانة غيره محرمة كما قال الله عز وجل فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وان كان الرجس من الاوثان وغير الاوثان محرما وقيل فايدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا لم يكن له ان يخون
وهو المتبوع فكيف يكون لاحد ممن يتبعه ان يخون ومن قرا ان يُغل بضم اليا فمعناه ان يُنسب الى الغلول
كما يقال فسقت فلانا اي لا ينبغي لاصحابه ان يخونوه وقيل معنى يُغل يوجد غالا كما يقال احمدت فلانا اي
وجدته حامدا ويقال معناه لم يحرم النبي صلى الله عليه وسلم ان يستاثر عنه شي من الغنايم ان كان النبي صلى الله عليه
وسلم هو القاسم للغنيمة بين الغانمين ومعنى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يخن ويات بما خان يوم القيمة
كما روي في الخبر انه يمثل له ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه حتى اذا انتهى اليه
حمله على ظهره فاذا انتهى الى الباب سقط عنه الى اسفل جهنم ويرجع فياخذه ولا يزال ذلك دابه الا ان شا
الله ويقال ياتي بما غل اي يوخذ بجزايه يوم القيمة واما قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت
معناه توفى كل نفس جزا ما عملت من الخير والشر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم
والغلول في اللغة اخذ الشي في الخفية ومنه الغل وهو الما الذي يجري في اصل الشجر والغل الحقد والغلالة
الثوب الذي يلبس تحت الثياب ويقال تغللت بالغالية وغلفتها اذا جعلتها في اصول الشعر وعن عبادة بن

الصامت

الصامت انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير من المغنم ثم تناول سنام البعير فاخذ وبرة
منه فقال ايها الناس ان هذه من غنايمكم فادوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك فان الغلول عار
على اهله ونار وشنار يوم القيمة وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ وبرة فقال لا يحل لي من
غنايمكم مثل هذه الا الخمس والخمس مردود فيكم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سُئل بوادي
القرى لمن الغنيمة فقال لله خمسها واربعة اخماسها للجيش قيل وهل احد احق بها من احد فقال صلى
الله عليه وسلم لا ولا السهم تستخرجه من جنبك لست احق به من اخيك المسلم وفي التغليظ في الغلول
اخبار كثيرة وردت في غير الطعام والعلف فاما في الطعام والعلف فقد وردت في اباحة ذلك من الغنيمة
اخبار مستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم روي عن عبد الله بن
ابي اوفى انه قال اصبنا طعاما يوم خيبر فكان الرجل ياخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف وعن عبد الله
بن المغفل انه قال وجدت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت لا اعطي احدا منه شيا اليوم فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله
وماواه جهنم وبئس المصير استفهام بمعنى تقرير حال الفريقين يقول ليس من اتبع رضوان الله وترك الغلول
من الغنيمة كمن استوجب سخط الله باخذ الغلول والحرام ويقال معنى باء بسخط من الله اي رجع بسخط الله تعالى
ونقمته وجعل نفسه مباة السخط وقيل في معنى الاية افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله كمن باء بسخط منه
بالفرار من الجهاد وقوله عز وجل وماواه جهنم وبئس المصير راجع الى من باء بسخط الله عز وجل اي بئس النار المصير
صار واليه ولفظ بئس يستعمل في الشر كما يستعمل نعم في الخير قوله عز وجل هم درجات عند الله والله بصير
بما يعملون معناه ان الذين يتبعون رضوان الله تعالى ذوو درجات رفيعة والاخرون ذوو دركات
خسيسة فان لاحد الفريقين درجات في الجنة وللاخر دركات في النار كما روي في الخبر ان اهل الجنة ليرون
اهل عليين كما يتراءون الكوكب الدري في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما معناه زادا وقد قال تعالى ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولا يكون الاسفل الا لما له اعلا واوسط وذهب بعض المفسرين الى ان
هذه الاية خاصة في المومنين اي هم طبقات بعضهم ارفع من بعض في الجنة وهذا كما يقال هم كذا وكذا
منزلة اي هم اهل كذا وكذا من البيوت ومعنى والله بصير بما يعملون اي عالم بمن يغل وبمن لا يغل قوله عز وجل لقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين معناه لقد انعم الله عز وجل على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى من العرب معروف النسب معروفا بالصدق والامانة وكان يسمى
الامين قبل الوحي ويقال بعثه الله عز وجل من جنس بني ادم ولم يبعثه من الملايكة لان الرسول اذا كان من جنسهم كان
تعلمهم منه اسهل عليهم وقرئ في الشواذ من انفسهم بنصب الفا يعني من اشرفهم نسبا لان العرب افضل من العجم
وقريش افضل العرب وبنو هاشم افضل قريش فجعل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وقوله تعالى
يتلوا عليهم اياته يقرا عليهم القران بما فيه من اقاصيص الامم السالفة وهو امي لم يقرا الكتب ولم يتعلم ويزكيهم
يطهرهم من الشرك والذنوب وياخذ منهم الزكوة التي تطهرهم بها يقال للعامل الصدقات مصدق لانه ياخذ
الصدقة ويقال معنى يزكيهم يشهد لهم بالزكاة ومعنى ويعلمهم الكتاب والحكمة يعلمهم القران والفقه وان
كانوا من قبل ان ياتيهم محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال اي عن الهدى وخطا بين وهذا كما يقول الرجل لقد
علمتك وادبتك وان كنت من قبل في غاية من الجهل قوله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شي قدير قيل ان الواو في اولما واو الابتدا
الاية وان الف الاستفهام دخلت عليها فبقيت مفتوحة على هيئتها وهذا كما يقول القايل افلان يقول كذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

فيجاب وهو من يقول ذلك ومعنى الاية أولما اصابتكم مصيبة يوم احد قد اصبتم مثليها يوم بدر اي قتلتم يوم
بدر سبعين منهم واسرتم سبعين وقتل منكم يوم احد سبعون ولم يوسر منكم احد قلتم من اين اصابنا هذا ونحن
مسلمون قل يا محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند انفسكم لخلافكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج عن المدينة
وقد كان امركم بالمقام فيها ليدخل عليكم الكفار فتقتلوهم في ازقتها ويقال هو من عند انفسكم اي ما اصابكم هذا من
عند انفسكم بمعصية الرماة بتركهم ما امرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ان الله على كل شيء من النصر وغيره
قادر قوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
معناه وما اصابكم معشر المسلمين يوم احد يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين فبعلم الله عز وجل وقضائه و
ارادته وقد يسمى العلم اذنا كما قال الله عز وجل واذان من الله ورسوله اي اعلام من الله تعالى ورسوله ويقال اراد بالاذن
التخلية بين المؤمنين والكفرين والا فالله تعالى لا يأذن في المعصية ولكن لما كان الاذن هو الاطلاق بكلام سمي
التخلية باسم الاذن واما قوله عز وجل وليعلم المؤمنين لا يجوز حمله على ظاهره لان ظاهره يقتضي حدوث
علم الله عز وجل لم يكن العلم بذلك ويراد به المعلوم كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك فينا ويكون
معنى قوله عز وجل وليعلم المؤمنين وليرى الله ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويرى المنافقين بفشلهم
وقلة صبرهم على ما نزل بهم في ذات الله عز وجل وقيل معنى وليعلم المؤمنين وليعرف اولياء الله تعالى المؤمنين
متميزين من المنافقين الا ان الله عز وجل اضاف العلم الى نفسه تعظيما لاوليائه واما قوله عز وجل وقيل لهم
تعالوا قاتلوا في سبيل الله فقد روي ان عبد الله بن ابي واصحابه لما رجعوا الى المدينة قبل القتال قال لهم عبد الله
بن جبير تعالوا الى احد وقاتلوا في طاعة الله تعالى او ادفعوا عن انفسكم وحريمكم ويقال معنى ادفعوا كثروا سوادنا
حتى يدفع القوم بكثرتكم قال المنافقون لا يكون قتال اليوم ولو نعلم ان يكون قتال لكنا معكم يقول الله عز وجل
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي كانوا قبل هذا القول عند المؤمنين اقرب الى الايمان بظاهر حالهم
حتى هتكوا سترهم واظهروا ميلهم الى الكفر فصاروا في ذلك اليوم اقرب الى الكفر وقوله تعالى اقرب لا يقتضي ان يكون
لهم نصيب من الايمان كما يقول الرجل لخصمه انا احق منك واصدق وان لم يرد به ان يجعل لصاحبه نصيبا في
الصدق واما قوله عز وجل يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم كناية عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وذكر الافواه على معنى التاكيد لان الرجل يقول بالحاجب وبالاشارة ونظير هذا قوله عز وجل يكتبون الكتاب
بايديهم وقوله عز وجل يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والمعنى والله اعلم بما يكتمون اي الله تعالى اعلم منهم
بانفسهم بما يخفون من الشرك قوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا
قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه هم الذين قالوا لاخوانهم من المنافقين
بالمدينة وقعدوا هم بانفسهم عن الجهاد لو اطاعنا المسلمون الذين خرجوا الى القتال ما قتلوا في الغزو وقل لهم
يا محمد صلى الله عليه وسلم فادفعوا الموت عن انفسكم ان كنتم صادقين في مقالتكم لو لم يخرجوا الى القتال ما قتلوا
لانه كان يجوز ان يدخل عليهم العدو فيقتلوهم في قعر بيوتهم قال الفقيه ابو الليث رحمه الله سمعت بعض
المفسرين رحمهم الله يقول لما نزلت هذه الاية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين قوله عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وجابر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها

وتأوي

وتأوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم وما اعد الله عز وجل
لهم من الكرامة قالوا يا ليت اخواننا علموا ما اعد الله تعالى لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا
عند اللقاء ولم يجبنوا في الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله الى اخر الايات الثلاث قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الله عز وجل
لهم ما تشتهون فيقولون ما نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء الا انا نقول في الثالثة ربنا نحب
ان ترد ارواحنا في اجسادنا فنقتل فيك مرة اخرى قال وارواح اهل الكفر في اجواف طير سود تغدو وتروح
على النار وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا اقبل العبد الى العدو في سبيل الله تعالى اطلعت
عليه زوجتاه من الحور العين فقالتا اللهم وفقه وسدده فاذا ادبر قالتا اللهم اعف عنه وتجاوز عنه
فاذا اقبل باهى الله عز وجل به ملائكته فيقول انظروا الى عبدي يبذل نفسه ودمه ابتغاء مرضاتي فتقول
الملائكة يا ربنا لا نذهب فتنصره فيقول لهم خلوا عن عبدي فطالما سهر ونصب في طلب النصر ابتغاء
مرضاتي احب لقائي واحببت لقاءه فيقاتل حتى يقتل فتنزل اليه زوجتاه من الحور العين حتى يستريح وتمسك
السماء وتحييه الملائكة وتبشره بالجنة والكرامة ثم تمسح غبار وجهه فيجعل الحور على ظهره احسن على حسن
نعلم ذكره ومعنى الاية ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم الشهداء المقتولين في طاعة الله عز وجل انهم
اموات بل هم احياء عند ربهم يرزقون التحف فرحين بما اعطاهم الله عز وجل من رزقه ويطلبون السرور
بقدوم من لم يقدم عليهم من اخوانهم فيقولون ليت اخواننا قتلوا كما قتلنا فنالوا من الثواب ما نلنا وقال
السدي رضي الله عنه يرفع الى الشهيد كتاب فيه خبر من يقدم عليه من اخوانه فيتعجل السرور بذلك كما
يتعجل الانسان بقدوم غائب له فيتعجل السرور به قبل قدومه وقال معنى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم اي يستبشرون بان لا خوف على اخوانهم الذين ماتوا بعدهم من المؤمنين وانهم لا يحزنون في الاخرة
ويقال معنى يستبشرون باخبار الله عز وجل اخوانهم الذين لم يقتلوا بما لهم من الكرامة ويستبشرون ايضا
ان لا خوف عليهم وقد اختلف المفسرون في قوله عز وجل عند ربهم قال بعضهم معناه بحيث لا يملك ضرهم
ولا نفعهم الا الله عز وجل ولم يرد به اثبات المسافة والمكان لان المسافة والمكان لا يجوزان الا على الاجسام
وقال بعضهم معناه بل احياء في علم ربهم وليسوا باموات كما يحسبونهم وهذا نظير قول القائل هذا
عند فلان كذا اي في علم فلان وجميع هذا الذي ذكرناه وهذه الاية دليل ان الشهداء احياء في الحال الا ان
معناه انهم يبعثون ويحيون في الاخرة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم في الفضل من المؤمنين لان في هذا
التاويل الاخير ابطال تخصيص الشهداء وحمل ظاهر اللفظ على المجاز دون الحقيقة وقال بعضهم معنى الاية
لا تحسبهم امواتا في دينهم بل احياء في دينهم كتب اجورهم قوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين معناه يستبشرون بنعمة الله وما اعد الله تعالى لهم من الكرامة
ويستبشرون ان الله تعالى لا يضيع ثواب الموحدين ومن قرا وان الله بالكسر فعلى الابتداء وفي حرف ابن
مسعود والله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا يؤيد قراءة الكسر وبالله التوفيق قوله عز وجل الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم يجوز ان يكون
اول هذه الاية في موضع الخفض على النعت للمؤمنين والاحسن ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره للذين
احسنوا ومعنى الاية الذين اجابوا الله تعالى بالطاعة والرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج الى بدر الصغرى
من بعد ما اصابهم الجراح للذين احسنوا منهم الميعاد واتقوا سخط الله تعالى ومعصيته ثواب وافر في الجنة قال
ابن عباس رضي الله عنهما وذلك انهم لما عدوا يوم احد تواعدوا ان يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر
الاجل لم يأت المشركون فلقي ابو سفيان نعيم بن مسعود وكان يخرج الى المدينة للتجارة فقال اذا اتيت المدينة

الألوكة www.alukah.net

يخوفهم كيلا يخرجوا ولك عشر من الابل ان ردهم فلما قدم نعيم المدينة وكان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريدون موافاة ابي سفيان قال لهم بئس الرأي رأيتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد
تريدون ان تأتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم عندا اللطيمة اما ان الرجل الواحد منهم يطيق عشرة منكم انا و
الله ما يفلت منكم الا الشريد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج اليهم وتثاقلوا فلما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي منكم احد فمضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه نحو من سبعين رجلا حتى انتهوا الى بدر فلم يخرج اليهم ابو سفيان ولم
يلقوا بها احدا من المشركين فتسوقوا من السوق حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قول الله عز وجل الذين استجابوا لله
والرسول قوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل معناه الذين قال لهم نعيم بن مسعود ان ابا سفيان واصحابه
قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا تخرجوا اليهم فزادهم هذا القول تصديقا ويقينا وجراءة على القتال كما قال الله
عز وجل في اية اخرى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الى اخر
الاية ومعنى وقالوا حسبنا الله ثقتنا بالله ومعنى الكافي الله عز وجل اي هو الذي يكفينا امرهم ونعم الناصر
والحافظ وانما ذكر في الاية والله اعلم نعيم بن مسعود بلفظ الناس لان الواحد قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى
الجنس وهذا كما يقال فلان يخرج من البحر وراى انسانا واحدا خرج فلان من البحر وراى الناس وراه الناس
ويقول الرجل سمعت الناس يقولون كذا وان كان سمع من واحد ولهذا قالوا من حلف وقال ان كلمت الناس فعبدي
حر وكلم رجلا واحدا حنث ويجوز ان يكون قول نعيم فشا في المدينة فكان الناس يقول بعضهم لبعض ان
الناس قد جمعوا لكم قوله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم معناه فانصرفوا باجر من الله عز وجل وفضل وهو ما تسوقوا
من السوق ويروى انهم اشتروا ادما وزبيبا واشياء غير ذلك بسعر رخيص فربحوا على ذلك ومعنى لم
يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراحة واتبعوا رضوان الله تعالى في الخروج الى المشركين والله ذو من عظيم بدفع
المشركين عن المؤمنين قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مؤمنين قال بعضهم اراد بالشيطان نعيم بن مسعود وكل عات متمرد فهو شيطان ويقال معنى الاية
ذلك التخويف من عمل الشيطان ووسوسته واما قوله يخوف اولياءه قيل ان معناه يخوف المنافقين ومن لا
حقيقة له ولا ايمان له فلا تخافوا المشركين في الخروج اليهم وخافوني في القعود عن الجهاد ان كنتم مصدقين بما
اعلمتكم اني انصركم والقي الرعب في قلوب الكفار وقيل معنى يخوف اولياءه اي من اوليائه لان التخويف يتعدى
الى مفعولين كما قال الله عز وجل في موضع اخر لينذر باسا شديدا اي ببأس شديد يدل عليه قوله عز وجل فلا
تخافوهم دليل ان هذا القول الثاني هو الاصح وذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل الذين استجابوا لله الى اخر
هذه الايات الاربع نزلت في حرب احد وذلك انه لما رجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة
قال صلى الله عليه وسلم رحم الله تعالى قوما انتدبوا لهؤلاء المشركين ليعلموا انا لم نستأصل فانتدب قوم من اصابتهم
الجراح في ذلك اليوم فتبعوا اهل المشركين حتى كشفوهم عن القتلى بعد ذلك مثلوا بحمزة وقد كانوا هموا بالمثلة بقتلى المسلمين
فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانهزموا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتلى المسلمين ودفنهم بدمائهم فلقي
اناس من العرب وقدموا وابا سفيان ومن معه بموضع يسمى حمراء الاسد فقالوا المسلمين تركناهم متاهبين للرجوع
الى المدينة لقتالكم فلما سمعوا ذلك قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
بالمسير اليهم فلما صاروا الى حمراء الاسد وهو على ثمانية اميال من المدينة لم يروا المشركين هناك فانصرف المسلمون
الى المدينة بنعمة من الله عز وجل وهو كفاية الله عز وجل لهم شرهم ورجع لم يلقهم منهم شر ولا ضر قالوا وسمى

الله

الله تعالى هذه الكفاية فضله لئلا يعتقدوا في هذه النعمة انها استحقوها باعمالهم وفي قوله عز وجل ذو فضل عظيم
بيان انه عز وجل يتفضل عليهم من بعد بنعيم الدنيا والاخرة وبالله التوفيق قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم
معنى الاية والله تعالى اعلم ولا يحزنك يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين يبادرون الى الجحود والتكذيب وهم اليهود كانوا
يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكان يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم ويقال هم مشركوا قريش كانوا
يكذبونه وكان الناس يقولون لو كان حقا لاتبعه اقرباؤه وكان يشق ذلك عليه ويقال نزلت هذه الاية في قوم
ارتدوا عن الاسلام فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأمن ان يضره ردتهم فامنه تعالى من ذلك بقوله انهم لن يضروا
الله شيئا اي لم ينقصوا شيئا من ملك الله تعالى وسلطانه يريد الله الا يجعل لهم حظا نصيبا من الجنة في الاخرة
وقال محمد بن اسحق يريد الله ان لا يجعل لهم الا احباط ثواب اعمالهم بما استحقوه من جرائمهم وقال الحسن رضي الله
عنه معناه يريد فيما حكم من عدله وحكمه ان من اختار الكفر على الايمان فلا حظ له في الاخرة وقوله تعالى ولهم
عذاب عظيم ظاهر المراد قوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم معناه ان الذين اختاروا الكفر على الايمان لم ينقصوا من ملك الله عز وجل وانما اضروا بانفسهم حيث
استوجبوا لانفسهم العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة فان قيل لم اعاد قوله عز وجل لن يضروا الله شيئا
وما الفائدة فيه قيل ان المراد به في الاية الاولى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به في الاية الثانية بيان
ان مضرة كفرهم لاحقة بهم قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما
نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين من قرأ ولا تحسبن بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى والمنافقين ان املاءنا لهم خير لهم من ان يموتوا كما مات
شهداء احد ويقال معناه ولا تحسبن املاءنا لهم لخير يريد نفع منهم انما املاؤنا لهم الهوان تكون عاقبة امرهم
ان يزدادوا بذلك معصية على معصية ولهم عذاب مهين يهانون فيه ويقال ان المراد بالذين كفروا مشركوا قريش
كان الله تعالى قال ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اصابوا من الظفر يوم احد خير لانفسهم وانما كان ذلك
ليزدادوا معصية فيزداد عقوبتهم ويجوز وقوع فعل الحسبان على الاسم ويراد به ما بعده لان الحسبان
يتعدى الى مفعولين كقولك حسبت زيدا منطلقا فيكون تقدير الاية لا تحسبن املاءنا للذين كفروا ان ذلك خير لهم
وهذا كما قال الشاعر فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما معناه ما
كان هلك قيس هلك واحد ومن قرأ انما نملي لهم بالكسر في الموضعين فلان الحسبان ليس بفعل حقيقي فيبطل عمله
مع ان كما يبطل عمله مع اللام تقول حسبت لعبد الله منطلق ويجوز ان يكون ما في قوله عز وجل انما نملي لهم
خيرا بما ذا وصلة وتقديره ذلك ولا تحسبن ان املاءنا خير لهم ومنهم من جعل ما في هذا الموضع اسما لكنها على
الانفصال اي لا تحسبن ان الذي نملي لهم خير لهم والاملاء في اللغة اطالة المدة والملاوة الحين من الدهر والملوان
الليل والنهار ونظير اللام من قوله عز وجل ليزدادوا اثما قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
وقد يقول الرجل للاخر ما ازادك وعظي الا شرا وما كان وعظي الا وبالا عليك اذا كان لا يقبل موعظته ومن قرأ لا
يحسبن بالياء فمعناه لا يظنن الكفار ان املاءنا خير لهم قوله عز وجل ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال عبد الله بن عباس وذلك ان قريشا
من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم فيمن خالفك انه من اهل النار واذا ترك دينا واتبع
دينك فهو من اهل الجنة فاخبرنا عن هذا من هو واخبرنا من ياتيك ومن لا ياتيك فانزل الله تعالى
هذه الاية ومعناها لم يكن الله ليترك من كان في علمه السابق انه يؤمن على ما انتم عليه من الكفر حتى يميز الكافر

هذه قوم العاقبة

الألوكة www.alukah.net

والمنافق من المؤمن المخلص وما كان الله ليطلعكم ويوقفكم يا اهل مكة على من يصير منكم مومنا قبل ان يومن ولكن الله
يصطفي من يشا للنبوة والرسالة فيوحي اليه ما يشا لان الغيب لا يطلع عليه الا الرسل صلوات الله عليهم يوحي من الله
عز وجل ليقيموا البرهان على ان ما اتوا به من عند الله تعالى وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ومعنى فامنوا بالله ورسله صدقوا بالله ورسله وقوله عز وجل وان تومنوا
وتتقوا اي تصدقوا وتتقوا الشرك والمعصية فلكم ثواب عظيم في الجنة ومن قرا يميز بالتخفيف وفتح اليا فهو
من الميز وهو الفرق ويسمى العاقل مميزا لانه يفرق بين الحق والباطل واصل الاجتبا الجمع كان الله عز وجل
يخلص رسوله صلى الله عليه وسلم لنفسه حتى يكون له باجمعه وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية نزلت في
المنافقين فانهم اظهروا الاسلام واسروا الكفر وصلوا مع المومنين فسال المخلصون من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين الله تعالى بين الفريقين ويطلعهم على سراير المنافقين فانزل الله عز وجل
هذه الآية ومعناها ان الله تعالى لا يترك المومنين على ما انتم عليه ايها المومنون بظاهر الحال حتى يظهر نفاق
المنافقين بالدلايل التي تظهر منهم من تخلفهم عن الجهاد وتثبيطهم المخلصين عنه وما كان الله ليجعل لكم علامة
تعرفون بها حقيقة ما في قلوب المنافقين ولكن الله يصطفي من رسله من يشا فيطلعه على الغيب وقوله عز وجل
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما
بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير من قرا
ولا تحسبن بالتا فمعناه لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم بخل الذين يبخلون بما اعطاهم الله تعالى من فضله من المال
فيمنعون ذلك من حق الله تعالى والزكوة والجهاد وساير وجوه البر الذي اوجب الله تعالى عليهم لا تظنن ذلك
خيرا لهم وانما حذف ذكر البخل في اول الآية لان المضاف اليه قد يذكر ويراد به المضاف كما في قوله عز وجل
واسال القرية ولان الفعل المذكور بقوله عز وجل يبخلون يدل على البخل وهو كقول القايل اذا نهي السفيه جرى اليه
وخالف والسفيه الى خلاف واما هو في قوله عز وجل هو خيرا لهم للفصل ويسميه الكوفيون العماد ومعنى
بل هو شر لهم يعني بخلهم شر لهم وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سيلزمون يوم
القيمة ما بخلوا به من الزكوة ونفقة الجهاد كهيئة الطوق في اعناقهم وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي كنز احدكم شجاعا اقرع له
زبيبتان فيتطوق في عنقه يلدغ بلحيته ويقول انا الزكوة التي بخلت بي في الدنيا ومن قرا ولا يحسبن
باليا فالفعل للباخلين كانه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه
الآية اليهود بخلوا ببيان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اولى والبخل الناس من بخل بعلمه ومعنى سيطوقون
على هذا القول سيطوقون وزره وماثمه كقوله عز وجل يحملون اوزارهم على ظهورهم والاظهر ان هذه الآية
في بخل المال والبخل في اللغة منع الحق الواجب لذلك يعد ذما فيما بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم واي دا
ادوا من البخل وانما منع الفضل فلا يكون بخلا ولو جعل ذلك بخلا لكان صاحب المال العظيم لا يتخلص من البخل
الا باخراج ماله كله من ملكه واما قوله عز وجل ولله ميراث السموات والارض فهو تحريض على الانفاق ومعناه
يموت اهل السموات واهل الارض كلهم من الملائكة والجن والانس ولا يبقى الا الله عز وجل واذا كانت الاموال لا تبقى
للناس فلا يحملوا مع انفسهم الى قبورهم فلا احد يمنعهم ان ينفقوها في الوجوه التي امرها الله عز وجل فيستوجبون
بها الحمد والثواب وانما سمى الله تعالى هذا ميراثا والاملاك في الحقيقة كانت لله عز وجل قبل الخلق لانه خاطب
الخلق على قدر عقولهم وهم يسمون ما يخلص للحي من الميت ميراثا فلذلك ذكر بلفظ الميراث والله تعالى اعلم وقوله
تعالى والله بما تعملون خبير اي عالم بمن يودي الزكوة ومن يمنعها وهذا تاكيد للوعد والوعيد لا نه اذا علم جازى

المحسن

المحسن على احسانه والمسي على اساته قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق نزلت هذه
الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه قالوا
حين نزل قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ارى اله محمد صلى الله عليه وسلم يستقرض منا فانا
اذا فهو فقير ونحن اغنيا وانما قالوا ذلك تلبيسا على سفلتهم وطعنا في النبوة على انه لو كان عز وجل هو الذي بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو القادر على كل شي لم يكن ليستقرض وكانوا يجهلون وانفسهم ان لفظ الاقراض لطف
في الاستدعا الى الانفاق وانما سمى الله عز وجل الصدقة قرضا من حيث ان المقرض يرد عليه ماله ويبقى له
الشكر وكذلك الله عز وجل يرد على المتصدق ضعف صدقته ويبقى له الثواب ومعنى سنكتب ما قالوا
سنكتب الكرام الكاتبون عليهم بامرنا قولهم ذلك وقتلهم الانبيا بغير جرم منهم ويقال معنى سنكتب سنحفظ
واجرى على اللفظ اسم الكتابة لان الكتابة انما يكون للحفظ ويقرا سيكتب على فعل ما لم يسم فاعله وقتلهم الانبيا
بضم اللام ويقول باليا وفي هذا زجر اليهود عن المعصية فانهم اذا علموا ان ما يعملونه مكتوب في المصاحف
والصحف يقرونه في الآخرة على رؤس الاشهاد كانوا ابعد من المعاصي في الدنيا لو تفكروا ومعنى ونقول ذوقوا
عذاب الحريق يقول لهم يوم القيمة ذوقوا العذاب المحرق ويقال الذي يوئس من العفو ذق ما انت فيه
اي لست بمتخلص منه وقيل ان النار لا تذاق ولكن لما كانت وجوه الكفار تغشى عند رؤيتها اطلق اسم
الذوق عليها لان الدوا اذا ذيق والكن تبيقت الكراهة والبغض وجه ذايقه قوله عز وجل
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد معناه ذلك العذاب بما قدمتم
على الكفر والتكذيب وقتل الانبيا صلوات الله عليهم وانما اضاف الى اليد على وجه الصلة لان اكثر الاعمال
يكون باليد واما قوله وان الله فمعناه وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا جزاء حسب ما
كان خيرا فعل العبد او شرا وليس لاحد ان يقول اذا لم يكن الله ظالما اصلا فلم لا ذا نفى ان يقول ظلاما لان الفايدة
في هذا اللفظ بيان ان العذاب الذي يتوعد الله عز وجل ان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه
على حد عظمه قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا امرنا الله في التورية ان لا نصدق رسولا يزعم انه من عند
الله تعالى حتى ياتينا بقربان فتجي نار من السما لها دوي وحفيف تاكل القربان كما كان في زمن موسى وزكريا ويحيى
وغيرهم من الانبيا صلوات الله عليهم السلام فكان هذا القول كذبا منهم على الله عز وجل وما علا لا لهم
ومدافعة في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لا احتجاجا صحيحا فاحتج الله عليهم بقوله عز وجل قل قد جاءكم
رسل من قبلي اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاءكم رسل من قبلي بالعلامات الواضحات المعجزات وبالذي
قلتم من القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في مقالتكم وكانوا قتلوا زكريا ويحيى وجماعة من الانبيا صلوات
الله عليهم وزعموا انهم قتلوا عيسى عليه السلام قوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير معناه فان نسبوك يا محمد صلى الله
عليه وسلم الى الكذب فلست باول رسول كذب لقد كذب نوح وهود وصالح وغيرهم من الانبيا صلوات
الله عليهم جاءوا بالعلامات الواضحات وبالزبر والزبر جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت
اذا كتبت وزبرت اذا قرات وقيل ان الزبور هو الكتاب الذي يكثر فيه تكرار الزواجر وهو ماخوذ من الزبر
يقال زبرت الرجل اذا زجرته واما الكتاب المنير فهو الكتاب المبين للحلال والحرام قوله عز وجل
كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة

للفظ عزم

الألوكة www.alukah.net

فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله عز وجل
كل من عليها فان قالت الملئكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الاية ايقنت الملئكة بالهلاك ومعنى
كل من عليها فان قالت الملئكة هلك اهل الاية كل نفس ذايقة الموت اي ذايقة الموت وانما توفون جزا اعمالكم
تماما يوم القيمة اي لا تغتروا بتنعم الكفار ولا تحزنوا لشدايد المومنين فان كلا الفريقين ينفرقون فلا
بوس يبقى ولا نعيم في الدنيا وليست الدنيا دار جزا على الاعمال وانما الاخرة هي دار الجزا لان نعيم الدنيا مكدر
لا يصفو وان عجل للمومنين بعض النعيم فذلك لا يكون الا مشوبا بهموم الدنيا وانما توفي الله عز وجل جزا الكل
في الاخرة على اتصال ودوام ومعنى فمن زحزح عن النار بوعد عن النار وادخل الجنة فقد نجا وسعد
في الجنة يقال لكل من نجا من هلكه او لقي ما يغتبط به فاز وسمي المفازة مفازة مع انها مهلكة على سبيل
التفاول كما سمي اللديغ سليما والاعمى بصيرا واما قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال ابن
عباس متاع الغرور مثل القدر والسكرجة والقوارير متاع في الدنيا ثم يذهب ويفنى كذلك الحيوة الدنيا و
يقال ان متاع الغرور ما يغتر الانسان في الحال ويمنيه الاماني ثم يوقعه في الهلكة وكان التاجر يجلب من
متاع الغرور وهو ما يسارع اليه الفنا مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الجبر كذلك ينبغي
ان يهرب من الدنيا الفانية الى متاع الاخرة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم سجيناه بثوب وجلسنا حوله نبكي فاتانا ات نسمع صوته ولا نرا شخصه فقال السلام عليكم
ورحمة وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال كل نفس ذايقة الموت وقرا الاية الى اخرها ثم قال
ان في الله تعالى خلفا من كل هالك وعزا من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من
من حرم الثواب قال فتحدثنا انه جبريل عليه السلام قوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الجنة في الاية المتقدمة اي عقبها بما يدعوا اليها وتوجبها
فقال لتبلون في اموالكم ومعناه لتختبرن بالنقص والمصايب في الاموال وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع وقيل ان المراد
بالابتلا في بعض الدين مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه ويقال للواحد من المذكرين لتبلين وللاثنين لتبليان
وللجماعة لتبلون ويقال للمراة لتبلين بكسر الياء وللاثنتين لتبليان وللجماعة النسا لتبلينان زيدت الالف لاجتماع النونات
واما قوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فمعناه ولتسمعن من الذين اعطوا التورية والانجيل
وسائر كتب الله عز وجل وهم اليهود والنصارى ومن مشركي العرب كلام اذى كثيرا اما من اليهود فقولهم عزير ابن الله
وقولهم ان الله فقير ونحن اغنيا ونحو ذلك ومن النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وثالث ثلاثة ومن الذين اشركوا
قولهم الملئكة بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاذى ما يكره
الانسان ويغتم به ومعنى ولن تصبروا على اذى الكفار وتتقوا معصية الله عز وجل فان ذلك من عزم الامور في ان تصبروا الخ
خيرها والعزم في اللغة توطين النفس على امر من الامور قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه ورا ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبيس ما يشترون معناه وقد اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبينن الكتاب بما فيه من نعت محمد صلى
الله صلى الله عليه وسلم وصفته للناس ولا يخفون شيا من ذلك ومن قرا ليبيننه بالياء فعلى الحكاية فلانهم غيب
رموا به خلف ظهورهم ومن قرا بالتاء فعلى المخاطبة التي كانت واخذ الميثاق اي قال لهم لتبيننه وقوله عز وجل فنبذوه ورا ظهورهم
يقال للذي يترك الشي ولا يعبا به جعل ذلك الامر خلف ظهره ومعنى واشتروا به ثمنا قليلا اختاروا بكتمان
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته عرضا يسيرا من الماكل والهدايا التي كانت تحمل اليهم من رؤسائهم وبيس ما
يختارون الدنيا على الاخرة وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهما المراد بهذه الاية كل من اوتي علما فكتمه قوله عز

وجل

وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم في الاية قولان احدهما انها نزلت في اليهود كانوا يقولون نحن اهل الصلوة و
الصوم والكتاب الاول والعلم الاول يريدون الفخر والمدح والسمعة والريا لكي يثنى عليهم ويحمدهم فعلهم على ما
يفعلون من بيان صفة كتابهم والثاني انها نزلت في المنافقين كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويتخلفون [illegible]
ويأتون بالاعمال اليه يحبون ان يحمدوا ويمدحوا على ذلك واما قوله عز وجل فلا تحسبنهم فمعناه فلا تظننهم يا محمد
صلى الله عليه وسلم بمفازة اي بعيدين من العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة وتكرار لا تحسبن في هذه الاية
لطول القصة كقول الرجل لا تظنن زيدا اذا جاءك وحدثك كذا وكذا فلا تظننه كاذبا ويجوز ان يكون خبر لا
تحسبن الاول مضمرا تقديره لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين وان
ذلك خير لهم ومن قرا بما اوتوا فمعناه بما اعطوا من الدنيا ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا من النفقة و
الصدقة قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير معناه ولله خزاين
السموات والارض فخزاين السموات المطر وخزاين الارض النبات ووجه اتصال هذه الاية بما سبق ان في هذا
تكذيبا لليهود في قولهم ان الله فقير وبيان ان من كان مالك السموات والارض فهو قادر على الانتقام من
الكفار والاثابة للمومنين وعلى كل شي من الاشيا وبالله التوفيق قوله عز وجل ان في خلق السموات و
الارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب معناه ان في خلق السموات بما فيهما من الشمس والقمر والنجوم
والارض بما فيها من الجبال والشجر والنبات والدواب واختلاف الليل والنهار في المجي والذهاب واللون لعلامات
واضحات لذوي العقول من الناس على توحيد الله عز وجل وذلك ان تعاقب الاعراض المتضادة في السموات و
الارض مع استحالة وجودها عارية منها والاعراض محدثة دليل على حدوث السموات والارض لان الاجسام
اذا لم تخل من الاعراض مثل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق لم يكن الاجسام سابقة للاعراض وما لم
يسبق المحدث فهو محدث ويستدل بحدوثها على ان لها محدثا لاستحالة وجود حادث لا محدث له ويدل
من ذلك الى ان محدثها قديم لان محدث الاجسام لو كان محدثا لاحتاج الى محدث اخر فكان يتسلسل الى
ما لا نهاية له ويستدل من خلق السموات والارض الى ان محدثها حي عالم قادر سميع بصير ومن ذلك [illegible]
لا يشبه الاجسام ولا شيا من الاشيا فانه لو اشبهها لم يخل ان يشبهها من جميع الوجوه او من بعضها فان اشبهها
من جميع الوجوه فهو محدث مثلها وان اشبهها من بعض الوجوه فواجب ان يكون محدثا من ذلك الوجه لان
حكم المتشابهين واحد من حيث اشتبها فوجب ان يتساويا في حكم الحدوث من ذلك الوجه وان يجوز
على كل واحد منهما ما يجوز على الاخر من التغير والزيادة والنقصان وفي مجي الليل والنهار على التعاقب
على مقدار معلوم حتى ان منقوص النهار في كل صيف يكون على مقدار زيادة الشتا الماضي دليل على ان الذي
يأتي بهما عالم لا يسهو ولا يغفل عن شي قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
عذاب النار جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا بيان لصفة اولي
الالباب وقوله عز وجل قياما وقعودا قولان احدهما ان المراد بذلك الذكر المطلق اي يذكرون الله تعالى
في جميع احوالهم لان الانسان لا يكون الا على احدى هذه الحالات الثلث لا ثاني الناس والثاني ان المراد بالذكر
الصلوة اي لا يدعون الصلوة فحضرا او مرضوا يصلون قياما ان استطاعوا وجلوسا ان لم يستطيعوا قياما
ومضطجعين ان لم يستطيعوا جلوسا ومعنى ويتفكرون في خلق السموات والارض يتفكرون في عظم شانهما
وما فيهما من الايات والعبرات قايلين ربنا ما خلقت هذا الخلق للباطل والعبث بل خلقته دليلا على
وحدانيتك وصدق ما اتت به انبياوك سبحانك تنزيها لك وبراة لك من ان يكون خلقهما باطلا فادفع عنا
عذاب النار وقيل لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وهذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جت على التطويل في دلالات الله عز وجل وزجر عن الاتكال على التقليد قوله عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ابن دعا اولي الالباب ومعناه يا ربنا انك من تدخل النار يوم القيمة فقد اهنته واذللته ويقال اوقفته موقفا يستحيي منه واسم الخزي يحمل الفضيحة ويحمل الحيا وفي تفسير قتادة انك من تخلد في النار فقد اخزيته ومعنى وما للظالمين من انصار مالهم من مانع يمنعهم مما يراد بهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار معناه والله اعلم يقولون ربنا اننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى الايمان بان آمنوا بربكم فاجبنا المنادي واجبنا اليه وامرنا به وعن محمد بن كعب القرظي انه قال المنادي كتاب الله عز وجل يدعو الناس كلهم الى الشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما وضع اللام موضع الى لان اللام للغرض الذي هو الغاية والى للغاية فيجوز ان يوضع احدهما موضع الاخر ومعنى فاغفر لنا ذنوبنا اي اغفر لنا الكباير وما دون الكباير وكفر عنا ما كنا في الجاهلية هكذا قال الكلبي وقيل ان الذنوب والسيئات بمعنى واحد وقيل انما جمع بين اللفظين لان المغفرة قد تكون ابدا وتكفير السيئات انما يكون بطاعات اعظم منها وهو نظير احباط الطاعة بالمعصية ومعنى وتوفنا مع الابرار اي اجعل ارواحنا مع ارواح الانبيا والصالحين الذين كانوا قبلنا ويقال هذا دعا الاستعاذة من شر احوال الزمان كقول يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين والابرار يجوز ان يكون جمع بار كما يقال صاحب واصحاب ويجوز ان يكون جمع البر كما يقال جد واجداد وثوب واثواب وعن الحسن رضي الله عنه ان البر هو الذي لا يؤذي الذر قوله عز وجل ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد معناه ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك ولا تخذلنا ولا تعذبنا يوم القيمة انك لا تخلف ما وعدت من الجنة والثواب للمومنين فان قيل ما فايدة الدعا لانجاز الوعد مع العلم بان الله عز وجل منجز وعده قيل فايدته التعبد والخضوع والخشوع له ورفع الحاجة اليه في عموم الاحوال وقيل معناه واجعلنا من اهل استحقاق ثوابك لا من يستحق عقابك وانصرنا على الكفار كما وعدتنا قوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب معناه فاجابهم ربهم باني لا احبط عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم اولياء بعض في الدين لا اخر من الاول والاول من الاخر والذين هاجروا من مكة الى المدينة واخرجوا من اوطانهم واوذوا في طاعتي وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لاكفرن عنهم ذنوبهم ولادخلنهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار جزاء من عند الله وقوله عز وجل ثوابا نصب على المصدر معناه لاثيبنهم ثوابا كما في قوله الله عز وجل كتاب الله عليكم وقوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شي والله عنده حسن الجزاء للموحدين المطيعين ومن قرا وقتلوا بالتشديد فعلى معنى التكثير والمبالغة وتقطيع الاعضا ومن قرا وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير فلان الواو لا توجب الترتيب ويجوز ان يكون معناه وقتل بعضهم وقاتل بعضهم كما يقال قتلنا اي قتل منا قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد ابتدا هذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اصحابه كانه قال لا يغرنك ايها السامع ذهاب اليهود ومجيئهم وتجاراتهم ومكاسبهم في الارض منفعة يسيرة في الدنيا تنقطع وتفنى ثم مصيرهم

الى جهنم

الى جهنم وبئس الفراش النار ويقال انما كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغتر بشي لتحذير الله عز وجل له عن الاغترار بشي وتاديبا اياه فحسن الخطاب له قوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار تقدير هذه الاية مع ما قبلها والله اعلم لا يعجبك يا محمد صلى الله عليه وسلم تقلب ولك الكفار ونعيم الدنيا بل ما اعطي المتقون في الاخرة افضل وان الذين اتقوا ربهم وحدوه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه لهم بساتين من تحت شجرها ومساكنها الانهار مقيمين فيها نزلا اي رزقا وثوابا لهم وهذا نصب على التفسير كما يقال هذا الشي هبة لك او صدقة ويجوز ان يكون نصبا على المصدر على معنى انزلوا نزلا ويقال جعل ذلك لهم نزلا والنزل ما يهيا للنازل من كرامة وبر وطعام وشراب وتلقي ومنظر حسن كما جرت العادة به في ايصال النزل الى الضيف ومعنى وما عند الله خير للابرار اي ما عند الله تعالى من الجزاء والثواب خير للصالحين مما لهم في الدنيا ثم اخبر الله عز وجل عن حال من آمن من اهل الكتاب وخشوعهم ومنعهم عن ان يشتروا بايات الله ثمنا قليلا فقال عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب معناه وان من اهل الكتاب لمن يصدق بالله والقران والتوراة والانجيل والزبور وساير كتب الله عز وجل وهم عبد الله بن سلام واصحابه خاشعين لله اي ذليلة انفسهم لله عز وجل لا يشترون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران عرضا يسيرا كما فعله روسا اليهود اولئك لهم ثوابهم عند ربهم وان الله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع لا يؤخر جزاء اعمالهم يوم القيمة لطول الحساب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه يا ايها الذين اقروا بتوحيد الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم اصبروا على اداء الفرايض واجتناب المحارم وصابروا اعداءكم في الجهاد ومصابرة العدو ملاقاته وصبرهم على مكروههم بالصبر عليهم في مقابلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط والمرابطة ان يربط كل واحد من الفريقين خيولهم في الثغر ليعده صاحبه ويقال معنى المرابطة ان يربط كل واحد من القايلين للقتال صاحبه ويقال معنى المرابطة المحافظة على الصلوات كما روي في الخبر هو انتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط واصل الربط في اللغة الشد والرباط الحبل الذي يشد به ثم اكد الله عز وجل هذه الطاعات بالتقوى فقال عز من قايل واتقوا الله لعلكم تفلحون اي اتقوا الله في كل ما امركم به ولا يكن كدكم الجهاد فقط لكي تكونوا على رجا الفلاح وانما غيب عنهم ما امرهم ليكونوا حذرين وجلين فان ابن ادم اذا امن طغا وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه انه قال في معنى هذه الاية اصبروا عن المعاصي وصابروا مع الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة لكي يبلغوا مواقف اهل الصدق فانها محل الفلاح وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على الصراط والله الموفق سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية عند البصريين وست وسبعون عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله قال ابن عباس رضي الله عنهما قد يكون يا ايها الناس عاما وقد يكون خاصا لاهل مكة وهو في هذا الموضع عام لجميع الناس ومعنى اتقوا ربكم اخشوا واطيعوا ربكم وانما ابتدا الله عز وجل هذه السورة بالموعظة لان الامر بالاشيا والنهي عن الاشيا انما ابتدا الكلام بالوعظ كان ذلك انجع في السامعين ثم احتج اذكر بما يدل على انه واحد وان حقه سبحانه ان يتقى فقال عز من قايل الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلقكم

سورة النساء

www.alukah.net

جميعا من نفس ادم عليه السلام وحدها وانما انث النعت على اعتبار اللفظ دون المعنى وهذا كما قال الشاعر
ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • فقال ولدته اخرى وان اراد به ذكرا
لان لفظ الخليفة مؤنث واما من الله تعالى علينا بان خلقنا من نفس واحدة لان ذلك اقرب الى ان
يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا في القرابة والاخوة الى اصل واحد واما
قوله عز وجل وخلق منها زوجها فمعناه خلق من نفس ادم عليه السلام زوجها حوا خلقها من ضلع
من اضلاعه اليسرى وهو القصيرى بعدما القى عليه النوم فلم يوذه ولو اذاه ما عطف عليها ابدا وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردت ان تقيمها
كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج واما قوله عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا
معناه نشر وفرق من ادم وحوا خلقا كثيرا من الرجال والنسا وقوله تعالى جل ذكره واتقوا الله الذي تسالون
به اي اتقوا معاصي الله بحفظه الذي فرضه عليكم وحقيقة الاتقا ان تجعل بينك وبين الشي الذي تتقيه
حاجزا يحجز بينك وبينه والفايدة في اعادة الامر بالتقوى ان الثاني لبيان ان حقه عز وجل ان يتقى
لانكم تسالون به ومعنى تسالون اي يسال بالله بعضكم بعضا من الحوايج والحقوق يقول الرجل للرجل
انشدك بالله واسالك بالله ومن قرا بالتشديد السين فلادغام التا في السين لقرب مخرجهما
ومن قرا بالتخفيف فلان التا الثانية حذفت لاجتماع التائين واما قوله عز وجل والارحام ففيه
قراتان من قرا بالنصب فمعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقد روي في الخبر ما يوافق ما ورد به
التنزيل قال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا الله الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي
من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من شي
مما اطيع الله تعالى فيه باعجل ثوابا من صلة الرحم وما من شي مما يعصى الله فيه باعجل عقوبة من البغي و
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وعن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان الهبة لذي الرحم المحرم تقع قربة لله
تعالى فلا يصح الرجوع فيها كما لا يصح الرجوع في الصدقة • واما من قرا والارحام بالخفض فمعناه تسالون
بالله وبالرحم وهو قولهم اسالك بالله وبالرحم قال الزجاج رحمه الله استقبح النحويون نسق اسم الظاهر
على المضمر المجرور لا يقولون مررت بك وزيد وبه وزيد الا مع اظهار حرف الخفض مع المظهر يقولون
بك وبزيد قال المازني الاسم الثاني في العطف شريك الاول فكما لا يصلح ان يقال مررت بزيد وبك
وكذلك لا يقال مررت بك وزيد وقد جا عطف المظهر على المضمر في الشعر قال الشاعر
فقد كنت من قبل تهجونا وتشتمنا • فاذهب فما بك والايام من عجب • واما قوله عز وجل ان الله
كان عليكم رقيبا فمعناه ان الله كان حفيظا لاعمالكم ومن ذلك سمي الحافظ للانسان رقيبا وقال
بعضهم معنى رقيبا عليم والعلم والحفظ متقاربان لان العليم بالشي حافظ له قوله عز وجل وآتوا
اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا
معناه والله تعالى اعلم واعطوا اليتامى اموالهم بالانفاق عليهم في حال الصغر وبالتسليم اليهم بعد
بلوغ الحلم قال مقاتل نزلت هذه الاية في رجل من غطفان كان في يده مال لابن اخيه فلما بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه
العم فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اطعنا الله واطعنا الرسول
صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بقي
الوزر وقد انفقه في سبيل الله عز وجل فقال اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر على الوالد وقيل انما سمى الله عز وجل
البالغ في الاية يتيما وهو بعد البلوغ ليس بيتيم استصحابا للاسم الاول كما كان الكفار يسمون النبي صلى الله عليه وسلم

يتيم

يتيم ابي طالب واما قوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب فمعناه لا تتبدلوا اموالكم الحلال وتاكلوا
الحرام من اموال اليتامى وعن مجاهد وابي صالح انهما قالا معناه لا تعجل رزقك الحلال حراما تتعجله بان تستهلك
مال اليتيم فينفقه او تعرض فيه لنفسك او تكسبه وتعطيه غيره فيكون ما تاخذ من مال اليتيم خبيثا حراما وتعطي
مالك الحلال ولكن اتوهم اموالهم باعيانها وفي هذا دليل انه لا يجوز لولي اليتيم ان يستقرض مال اليتيم ولا ان يستبدله
من نفسه قال ابو حنيفة رحمه الله الا ان يكون في بيعه مال اليتيم من نفسه خير ظاهر لليتيم فيجوز حينئذ
لقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقيل في معنى قوله ولا تتبدلوا الخبيث ولا تجعلوا الزايف بدل
الجيد والمهزول بدل السمين واما قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم فمعناه لا تاكلوا اموالهم مضمومين
الى اموالكم وذلك انهم كانوا يخلطون اموال اليتامى باموالهم حتى تصير شيا عليهم ثم كانوا ينفقونها مع اموالهم
ويتجرون عليها ويستبدون بتلك الارباح ومعنى انه كان حوبا كبيرا اثما عظيما قال الحسن حوبا بالحبش
والحوب في اللغة زجر الابل يقال حاب يحوب حوبا وحوبا وحابا وسمي الاثم حوبا لان صاحبه ذلك منا
يزجر عنه وحكى الفرا عن بني اسد انهم كانوا يقولون الحائب للقائل قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النسا صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شي
منه نفسا فكلوه هنيا مريا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك انه
لما نزل قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية خاف الناس في اموال اليتامى ان لا يعدلوا
فكانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرهم وكانوا يتزوجون من النسا ما شاوا فنزلت هذه
الاية ومعناها ان خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا في النسا اذا اجتمعن عندكم ان لا تعدلوا بينهن فتزوجوا
ما حل لكم من النسا ولا تنكحوا الا ما يمكنكم امساكهن مثنى مثنى وثلث ثلث واربع اربع ولا تزيدوا على الاربع
الحرائر وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون في صدقاتهن و
سائر ما يجب لهن من حقوق النكاح وكان الرجل يرغب في اليتيمة التي في حجره لمالها وجمالها ولا يقسط في
صداقها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال عز من قايل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني في نكاح اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من غيرهن اي اذا وقع منكم حيف في حق البالغات كان طلب رضاهن وتطييب انفسهن
بتزوجهن امكن وقال مجاهد رضي الله عنه معناه ان تحرجتم في ولاية اليتامى ايمانا وتصديقا فتحرجوا من الزنا
فانكحوا الطيب من النسا والاقساط في اللغة العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا جار قال صلى الله
عليه وسلم المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيمة وقال الله تعالى واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لان ما مع الفعل بمنزلة المصدر كانه قال فانكحوا الطيب
يعني الحلال من النسا وقوله عز وجل مثنى وثلاث ورباع بدل ما طاب لكم وهو مما لا ينصرف لان مثنى
معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلاث معدول عن ثلاثة وهو على لفظ التانيث وذهب بعض
من شذ عن الاجماع من جملة الروافض الى احلال تسع نسوة واستدل بهذه الاية وليس ذلك بشي لا يقال
مثنى وثلث ورباع الا ويراد به على التفريق ولا يعتبر احد مثنى وثلاث ورباع عن تسعة وقد روي
عن قيس بن الحرث انه كان عنده ثمان نسوة فلما نزلت هذه الاية امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمسك
اربعا ويفارق اربعا وقال صلى الله عليه وسلم لغيلان حين اسلم وعنده عشر نسوة امسك منهن اربعا وفارق
سايرهن واما قوله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فمعناه ان خفتم الا تعدلوا في القسمة والنفقة بين
النسوة الاربع التي احل الله تعالى لكم فتزوجوا امراة واحدة لا تخافون الميل في امرها واقتصروا على الاما حتى
لا تحتاجوا الى القسم بينهن وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا اي التزوج بالواحدة والاقتصار على [illegible]

الألوكة
www.alukah.net

اليمين اقرب الى ان لا تعيلوا ولا تجوروا والعول الميل والجور وغير الحق ومنه العول في الفرائض لانه مجاوزة مخرج الفرائض ويقال للبكا الشديد العويل وانما سمي قال معنى الا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وهذا القول يحكى عن الشافعي رحمه الله فقد قيل انه خطأ في اللغة لانه لا يقال لكثرة العيال عال يعول وانما يقال اعال يعيل اذا صار ذا عيال وفي الاية ما يبطل هذا التاويل وهو قوله عز وجل او ما ملكت ايمانكم لان اباحة كل ما ملكت اليمين ازيد في العيال من اربع نسوة وعن طاوس انه قرا ذلك ادنى ان لا تعيلوا بالياء من العيلة يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر واما قوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن نحلة فقد ذهب الكلبي الى ان هذا خطاب للاولياء كان الولي اذا زوج امراة فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كانت غريبة حملوها على بعير الى زوجها لا يعطيها من مهرها غير ذلك البعير وقال مقاتل واكثر اهل التفسير على ان هذا خطاب للازواج كان الرجل يتزوج المراة فلا يعطيها مهرها فيتفق ان يكون ويرضى وهذا هو الاصح ومعنى الاية اعطوا النساء مهورهن وهي جمع الصدقة وقوله عز وجل نحلة اي عطية من الله عز وجل للنساء حيث جعل المهر لهن ولم يوجب عليهن شيئا من الغرم مع كون الاستمتاع مشتركا بينهن وبين الازواج يقال نحلت الرجل نحلة ونحلا اذا اعطيته ويقال نحل الجسم اذا رق ويجوز ان يكون النحل سمي نحلا لان الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها وعن هذا قالوا ان في كون المهر عطية من الله تعالى للنساء بيان ان المراة لا تقدر على دفع المهر عن نفسها عند وجود سبب وجوبه وان كان يمكنها الابراء عنه والهبة بعد الوجوب كالميراث الذي لا يقدر الوارث على دفعه عن نفسه في الابتدا وان كان يمكنه ان يهب بعد وجوبه وان يبرئ عنه ان كان دينا وقيل معنى نحلة ديانة يقال فلان ينتحل كذا وكذا اي يدين به واما قوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اي ان احللن لكم عن شيء من المهر وقوله عز وجل نفسا نصب على التمييز لانه اذا قيل طبن لكم لم يعلم في اي صنف وقع الطيب فكانه قال فان طابت انفسهن بهبة شيء من المهر فكلوا الموهوب لكم هنيئا لا اثم فيه مريئا لا ملامة فيه والهني والمري لغتان على فعيل من هنؤ ومرؤ وهنئ ومرئ اذا صار سايغا كظريف من ظرف وسميع من سمع يقال هناني الطعام ومراني واذا افردوا قالوا امراني ولا يقال اهناني ومنه التهنية بالخير وقيل ان مراني مستقبل انه ستهضم واخذ معنيته وامراني يراد به قد انهضم وحمدت مغبته واصل الهني من الهنا وهو ان تطلى البعير بالقطران يقال هنات البعير اهناه هناء وهناء وعن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال اذا كان احدكم مريضا فليسال امراته درهمين من مهرها حتى تهبه له بطيبة نفسها فليشتر بذلك عسلا ويشربه مع ماء المطر فقد اجتمع الهني والمري والشفا والماء المبارك يعني ان الله عز وجل سمى المهر هنيئا مريئا اذا وهبته المراة لزوجها وسمى العسل شفا وسمى المطر ماء مباركا فاذا اجتمعت هذه الاشيا رجا له الشفا قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا معناه والله تعالى اعلم ولا تعطوا الجهال بمواضع الحق وهم النساء والصبيان اموالكم التي جعلها الله تعالى قوام امركم ومعيشتكم اي جعلكم تقومون عليها قياما اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لم ينبغ له ان يسلط واحدا منهما على ماله الذي هو قوام امره ومن قرا قيما فمعناه التي جعل الله لكم قيمة للاشيا فبها تقوم اموركم وعن عمر رضي الله عنه انه قال من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا واصل السفه في اللغة خفة الحلم وسمي الفاسق سفيها لانه لا وزن له عند اهل العلم والدين ويسمى ناقص العقل سفيها لخفة عقله ومعنى وارزقوهم فيها اطعموا النساء والاولاد واكسوهم من اموالكم وقولوا لهم قولا معروفا اي عدوهم عدة حسنة نحو ان يقول الرجل سافعل كذا ان شاء الله عز وجل ويقال معناه علموهم امر دينكم وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اي لا تعطوهم اموالهم واستدل بقوله عز وجل وارزقوهم فيها

واكسوهم

واكسوهم على ذلك قال وانما اضاف الله عز وجل اموال السفهاء الى الاولياء لانهم الذين يقومون فيها وقيل لانهم خلطوا اموالهم باموال انفسهم فاضاف الكل اليهم وهذا كما قال الله عز وجل ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا اي تقتلون الجنس الذي هو جنسكم قوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا معناه واختبروا اليتامى في عقولهم وفي ديانتهم وتدبيرهم اسباب انفسهم حتى اذا بلغوا مبلغ النكاح وهو الحلم وفي هذا دليل جواز الاذن للصبي في التجارة لانه حتى غاية مذكورة بعد الابتلا ومعنى فان انستم منهم علمتم ووجدتم منهم صلاحا في عقولهم وحفظا لاموالهم فادفعوا اليهم اموالهم التي عندكم هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب الشافعي رحمه الله الى ان معنى الرشد الصلاح في العقل والدين والقول الاول هو الاصح لان قوله رشدا مصدر منكر ولا خلاف ان الفاسق اذا كان حافظا لماله لم يحجر ماله عنه وانما الايناس في اللغة فهو الاحساس فيكون المراد بالاية الاحساس بما يدل على الرشد ومنه الانس خلاف الجن لانهم يونسون هم واما قوله عز وجل ولا تاكلوها اسرافا وبدارا اي لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق والاسراف مجاوزة الحد في الزيادة وقوله وبدارا يعني مبادرة كبرهم اي لا تبادروا الى اكل اموالهم مخافة ان يكبروا فياخذوا اموالهم منكم واما قوله عز وجل ومن كان غنيا فليستعفف اي ليتورع بغناه عن مال اليتيم ولا ينقص شيئا من ماله وقوله عز وجل ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قال عمر بن الخطاب وسعيد بن جبير وعبيدة السلماني معناه ان كان فقيرا فلياخذ من مال اليتيم على جهة القرض مقدار الحاجة فاذا ايسر رده عليه وهكذا روى الطحاوي عن ابي حنيفة رحمه الله وقال مكحول وعطا بن ابي رباح وقتادة ان لولي اليتيم ان ياخذ من مال اليتيم قدر ما يستر عورته ويسد جوعته لا على جهة القرض وعن ابن عباس ان رجلا جاء اليه فقال ان في حجري اموال اليتامى افتاذن لي ان اصيب منها فقال ان كنت تبغي ضالتها وتهنا جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير مضر بالنسل ولا ناهك في الحلب وعنه في رواية اخرى ان معنى فلياكل بالمعروف في هذه ان ياكل من مال نفسه بالمعروف حتى لا ياكل من مال اليتيم شيئا وروى محمد في كتاب الاثار عن ابي حنيفة عن رجل عن ابن مسعود انه قال لا تاكل من مال اليتيم قرضا ولا غيره قال هو قول ابي حنيفة وروى بشر بن الوليد عن ابي يوسف انه قال لا ياكل من مال اليتيم اذا كان مقيما فان خرج الى تقاضي دين لهم او ضياع لهم فله ان ينفق ويكتسي ويركب فاذا رجع رد الثياب والدابة الى اليتيم وعن ابي يوسف في رواية اخرى ان قوله فلياكل بالمعروف يجوز ان يكون منسوخا بقوله عز وجل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فحاصل هذه الروايات ان الاصح على مذهب اصحابنا انه ليس لوصي اليتيم ان ياكل من ماله قرضا ولا غير قرض الا ان يضطر الى شيء منه فياخذ بالضرورة ثم يرد اذا وجد لان الوصي هو الذي ادخل نفسه في الوصية وضمن القيام بها على غير بدل فهو كالمستبضع ولو كان ما ياخذه اجرا لعمله لكان لا يفترق الحال بين ان يكون الوصي غنيا او فقيرا ولا خلاف بين اهل العلم انه لا يجوز له ان ياخذ من ماله ان كان غنيا ولهذا فرقوا بين ما ياخذه ولي اليتيم وبين ارزاق القضاة والمفتين من اهل العلم لان اولئك يعطى لهم لا اخذ مع الغنا وهو شيء جعله الله عز وجل لهم ولكل من قام بشيء من امور الاسلام لانه لو لم يجعل لهم ذلك في بيت مال المسلمين لم يتفرغوا لشيء من امور انفسهم وليس ما ياخذونه على طريق الاجرة لان ما يفعلونه فرض عليهم ولا يجوز الاخذ للاجرة على شيء من الفروض وقد كان النبي صلى الله

الألوكة www.alukah.net

عليه وسلم سهم من الخمس ولا يجوز ان يقال انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ الاجر على شيء من الدين كيف وقد قال الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وسُئل عبد الله بن مسعود عن قوله عز وجل أكالون للسحت أهو الرشا قال لا ذاك كفر انما هو هدايا العمال واما قوله عز وجل فادفعوا اليهم اموالهم اي بعد بلوغهم وايناس الرشد منهم فاشهدوا عليهم وثيقة لكم وكفى بالله حسيبا شهيدا ومجازيا لكم في الآخرة الآن الاشهاد فيما بين الناس من احكام الدنيا والحسيب بمعنى المحاسب والحسيب فعيل من الحساب في العدد والحسيب في الكفاية وانتصاب الحسيب على القطع يريد وكفى بالله الحسيب حسيبا قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وذلك ان العرب كانت لا تورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن المال وحاز الغنيمة فاعلم الله سبحانه ان حق الميراث للرجال والنساء قال عبد الله بن عباس توفي اوس بن ثابت الانصاري وترك ثلث بنات له وترك امرأة يقال لها ام كحة فقام رجلان من بني عمه قتادة وعرفطة وكانا وصيين له فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من المال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوس بن ثابت توفي وترك ثلث بنات وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند قتادة وعرفطة ولم يعطياني ولا بناتي شيئا من المال وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن رأس فقال عليه الصلاة والسلام ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله عز وجل الي فيهن فرجعت الى بيتها فانزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها للرجال نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا معلوما مقدرا جعل ذلك افرضا لهم فلما نزلت هذه الآية ارسل عليه السلام الى قتادة وعرفطة ان لا تفرقا من مال اوس شيئا فانه قد انزل الله عز وجل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر كم يبين الله عز وجل لهن فنزل بعد ذلك قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم الى قوله وذلك الفوز العظيم فلما نزلت آية المواريث وبيان قسمتها ارسل عليه الصلاة والسلام الى قتادة وعرفطة ان ادفعا الى ام كحة الثمن من جميع المال وادفعا الى بناتها الثلثين قوله عز وجل واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا معناه والله اعلم واذا حضر قسمة المواريث ذوو قرابة الميت في الرحم واليتامى من ذوي الحاجة والفقراء فاعطوهم شيئا من المال قبل القسمة وقولوا لهم قولا معروفا اي عدوهم عدة حسنة وقيل اعتذروا اليهم عند قلة المال وقولوا لهم كلاما يكون اكثر من ذلك قال الحسن وابراهيم النخعي كانوا اذا اقتسموا العين اي الذهب والفضة اعطوا من حضر القسمة من الاقرباء الذين لا يرثون ومن اليتامى والمساكين واذا بلغوا الى قسمة الدواب والرقيق والارضين قالوا لهم ارجعوا بورك فيكم فهو معنى قوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا وعن سعيد بن جبير انه قال هذه الآية يتهاون الناس بها قال وهما وليان احدهما يرث وهو الذي امر ان يرزقوهم ويعطوهم ابعاضا والآخر لا يرث وهو الذي امر ان يقولوا لهم قولا معروفا فان يقال لهم هذا المال لقوم غيب او لايتام صغار ولسنا نملك ان نعطي منه شيئا واذا حضر الغيب وبلغ الصغار امرناهم ان يعرفوا حقكم ويتبعوا فيه وصية ربهم فهذا هو القول المعروف وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيه روايتان احداهما ان هذه الآية محكمة غير منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة السلماني انه ذبح للاقرباء شاة من اموال اليتامى واعطاهم وقال الحسن تكون من مالي لولا هذه الآية وقرأ عليهم الآية وعن ابن سيرين انه فعل مثل ذلك ايضا والرواية الاخرى عن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد بن المسيب

والسدي

والسدي وابن مالك وابي صالح وقيل هذه الآية في انفاذ وصاة الميت في هؤلاء وقال زيد بن اسلم هذا شيء امر به الموصون يجعل لمن لا يرث من قرابته صلة وكذلك لليتامى والمساكين [illegible] على الوجوب والاستحباب في حق الورثة الحضور البالغين ولو كانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك واستحقاقه لهؤلاء كما نقلت المواريث لعموم الحاجة الى ذلك واما الذين قالوا ان هذه الآية منسوخة فالمراد به عندهم نسخ الوجوب بآية المواريث وخبر عبيدة السلماني محمول على ان الورثة كانوا بلغوا الحلم فذبح الشاة من جملة المال باذنهم قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان الناس قبل نزول هذه الآية اذا حضروا ميتا قالوا للمريض اوص لفلان بكذا ولفلان بكذا فلا يزالون كذلك حتى يذهب عامة ماله فيبقى عياله بغير شيء فكره الله تعالى ذلك وانزل هذه الآية وانتهى الناس عن ذلك بعد نزولها وصارت الوصية الى الثلث لا يزاد عليه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على سعد بن عبادة يعوده فقال سعد يا رسول الله اني ذو مال وليس لي وارث الا ابنة افاوصي بالثلثين قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير وانك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية خطاب لمن يتصرف في اموال اليتامى وامرهم ان يعاملوا فيها بالواجب معناه وليخش الذين يخافون الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلوا في اموال اليتامى الا ما يحبون ان يفعل باولادهم من بعد موتهم والقول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد وهو مأخوذ من سد الخلة قوله عز وجل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا نزلت هذه الآية في حنظلة بن الشمردل كان يأكل مال اليتيم ويحرمه ظلما ومعنى الآية الذين يأكلون اموال اليتامى بغير حق انما يأكلون في بطونهم حراما وسمي الحرام نارا لان الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى ان اجوافهم يملئ نارا في الآخرة قال السدي من اكل مال اليتيم ظلما بعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من جوفه واذنيه وعينيه وانفه كل من رآه عرفه انه اكل مال اليتيم ظلما ومعنى وسيصلون سعيرا سيدخلون النار في الآخرة ويلزمونها والصلا ملازمة النار للاحراق والتسخين والانضاج يقال صلي يصلى صلا ومنه قولهم اصطلى بالنار اذا دفئ بها ومن قرأ وسيُصلون بضم الياء فعلى فعل ما لم يسم فاعله والسعير النار المسعورة الموقودة يقال كف خضيب اي مخضوب ولا شبهة في ان الوعيد المذكور في هذه الآية راجع الى كل من اكل شيئا من مال اليتيم ظلما او اتلف عليه شيئا من ماله لان الضرر الذي يرجع الى اليتيم لا يختلف في حقه بين الاكل والاتلاف وانما ذكر الاكل لان الاكل هو المعظم فيما يبتغى من التصرف وفي الآية دليل ان من اخذ من مال اليتيم بمضرة من ضرب اليتيم فهو داخل في هذا الوعيد قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان المال للصبي وكانت الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الآية فنزلت هذه الآية فصار ذلك منسوخا بهذه الآية ومعنى الآية يفرض الله تعالى عليكم في اولادكم لان الوصية من الله

الألوكة www.alukah.net

عز وجل فرض فلا الله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم
علينا ومعنى للذكر مثل حظ الانثيين للذكر الواحد من الاولاد مثل نصيب الابنتين في الميراث فاذا خلف الرجل
ابنا وابنتين كان للابن النصف وللابنتين النصف وان خلف ابنا وبنتا فللابن الثلثان وللبنت
الثلث وان كان الاولاد جماعة فلكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم واسم الولد يتناول ولد الرجل لصلبه
حقيقة ويتناول من كان من صلب بنيه مجازا فاذا كان للميت ولد لصلبه حمل اللفظ على الحقيقة وان لم
يكن له ولد لصلبه حمل على من كان من صلب بنيه مجازا واما ولد البنات فلا يعدون من ولده في النسبة والتعصيب
ولكنهم من ذوي الارحام وانشد القيسي بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد وعلى
هذا قال اصحابنا فيمن اوصى لولد فلان ان ذلك لولده لصلبه فان لم يكن ولد لصلبه فهو لولد ابنه ولا
يدخل اولاد البنات في هذه الوصية على اظهر الروايتين فاما قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فمعناه
ان كانت الاولاد نساء اكثر من اثنتين ليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة قال صلى الله
عليه وسلم ما ابقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر واما قوله عز وجل وان كانت واحدة من قرا واحدة
بالنصب وهو الاجود فتقديره وان كانت المولودة واحدة ومن قرا واحدة بالرفع فعلى معنى وان
وقعت مولودة واحدة من اصحاب المواريث فلها نصف ما ترك الميت من المال واما بنات الابن فهن
بهذه المنزلة اذا لم يكن للميت بنات الصلب فان قال قائل لم اعطيتم الابنتين الثلثين وفي الاية
ايجاب الثلثين لاكثر من الابنتين قيل له في فحوى الاية دليل بيان فرض الابنتين لان اول هذه الاية
يقتضي في اول العدد وهو ذكر وانثى ان للابنة الواحدة مع الابن الثلث فاذا كان لها مع الذكر الثلث
كانت باخذ الثلث عند عدم الذكر اولى فاحتجنا الى بيان حكم ما فوق الابنتين فلذلك نص على حكم ما
فوقهما يدل عليه انه اذا كان للابن الثلثان وللابنة الثلث دل ان نصيب الابنتين الثلثان
عادلا لان الله تعالى جعل للذكر مثل حظ الانثيين وجواب اخر ان الله عز وجل جعل للاخت من الاب والام
النصف في اخر هذه السورة كما جعل للابنة الواحدة النصف في هذه الاية وجعل للاختين هنالك
الثلثين فاعطينا الابنتين الثلثين قياسا على الاختين في تلك الاية واعطينا جملة الاخوات الثلثين
قياسا على البنات في هذه الاية ولا خلاف بين اهل العلم ان للابنتين الثلثين الا شيئا روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه جعل للابنتين النصف كنصيب الواحدة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
اعطى ابنتي سعد بن الربيع حين قتل شهيدا الثلثين من ماله وامهما الثمن وجعل الباقي لعمهما واما قوله ولده
عز وجل لكل واحد منهما السدس مما ترك الميت من المال ان كان له ولد او لابنه وهذا بيان ما يستحقه
الابوان مع الولد بالفرض لا بيان جميع ما يستحقانه بالميراث مع الولد فانه قد يزيد ميراثهما على ذلك
الا ترى ان الميت اذا ترك ابنة وابا فللابنة النصف والباقي للاب فاذا ترك ابنة واما فللابنة النصف
وللام السدس ويكون الباقي ردا عليهما على قدر سهمهما واذا ترك ابنة وابوين فللابنة النصف و
للابوين السدسان ويكون الباقي ردا لهما بالفرض وبقي السدس يستحقه الاب بالتعصيب وان كان
الولد ذكرا فللابوين السدسان بحكم النص والباقي للابن لانه اقرب تعصيبا من الاب وفي هذا بيان انه
اذا كان مع الاولاد ذوو سهام نحو الابوين والزوج والزوجة اعطوا حتى اخذوا سهامهم كان الباقي بعد
السهام بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين ولهذا قالوا ان الاناث من اصحاب الفرائض اذا اختلطن
بالذكور صرن عصبة وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان الولد يحجبون الام من الثلث الى السدس
وان لم يرثوا نحو ان يكونوا كفارا او مملوكين او قاتلين لان الله عز وجل لم يفرق في هذه الاية بين الولد الكافر

والمسلم

المسلم وقال عمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم للام الثلث وما بقي فللاب وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة
الميت وحملوا الاية على ولد يحوز الميراث اذ لا خلاف بينهم ان ابن الميت اذا كان كافرا لم يحجب ابا الميت وقال
لم يشك في قول ابن مسعود رضي الله عنه لم يحجب الولد الكافر الام دون الاب وظاهر قوله تعالى لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد يقتضي حجب كل واحد منهما عما زاد على السدس واما اذا اجتمعت الابنة
وابنة الابن فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى للابنة
بالنصف ولابنة الابن بالسدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت من الاب والام ولهذا قالوا ان الاخت
من الاب والام مع البنات عصبة وكذلك الاخت من الاب اذا لم يكن للميت اخت لاب وام اما اذا كان للميت
ابنتان وابنة ابن فلا ميراث لابنة الابن الا ان يكون معها ابن ابن في درجتها او اسفل منها فيكون الثلث
الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين في قول عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما يحكى عن
ابن مسعود رضي الله عنه واما قوله فابن فلابن الابن خاصة وحكم الاخت من الاب والام مع الاخت
من الاب كحكم الابنة مع ابنة الابن واما قوله تعالى فان لم يكن له ولد فمعناه ان لم يكن للميت ولد ذكر ولا
انثى ولا ابنه ولد وورثه ابواه فلامه الثلث مما ورثاه ويكون الباقي للاب بقوله وورثه ابواه واما
قوله فان كان له اخوة اي للميت فلامه السدس مما ترك الميت وما بقي فللاب لقوله عز وجل وورثه
ابواه ونظير هذا قول الرجل هذه الدار لفلان ولفلان منها السدس لفلان فان الباقي يكون للاخر وفي الاية
دليل ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس واقل الاخوة ثلثة لان الجمع الصحيح لا يكون اقل من ثلثة ولا
خلاف ان الحجب يقع بثلثة من الاخوة والاخوات وان ذلك لا يقع بالواحد ثم قال عامة الصحابة ان حكم الاثنين
في هذا حكم الثلاثة لان العرب تسمي الاخوين اخوة والاثنان في حكم الميراث بمنزلة الثلثة كما في الابنتين
والاختين فكذلك في الحجب وعن قتادة رضي الله عنه انه قال انما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب
لانه يقوم بنكاحهم والنفقة عليهم دون الام وذهب جماعة من الصحابة الى ان الجد ابا الاب يحجب الاخوة
لانه يقوم مقام الاب اذا لم يكن الاب في الاحيا وفي الاية دليل ان الابن وابن الابن يحجبان الاخوة لانهما
اقرب تعصيبا من الاب فكانا اولى بحجب الاخوة والاخوة والاخوات من الاب محجوبون بالاخ للاب والام
وقال ابن عباس حكم الاثنين من الاخوة والاخوات في حجب الام كحكم الواحد فاذا كانوا ثلثة حجبوا
الام من الثلث الى السدس وكان السدس لهم دون الام والباقي للاب وفي رواية اخرى عنه انه لا يكون
السدس للاخوة الا ان يكونوا اخوة للام دون الاب وكان من مذهبه انه لا يورث من الجدات الا
واحدة وهي ام الام تقوم مقام الام فترث السدس تارة والثلث اخرى وروي ان جدة جاءت الى ابي
بكر رضي الله عنه وطلبت ميراث حافدها فقال لها ابو بكر لا اجد لك في كتاب الله عز وجل شيئا فقام
المغيرة بن شعبة وشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الجدة ام الام السدس فقال ابو بكر
معك شاهد اخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد مثل شهادته فاعطاها ابو بكر الصديق رضي الله عنه السدس
وبهذا الخبر اخذ اصحابنا رحمهم الله وقالوا ان الجدة والجدتين والثلث مشتركات في السدس اذا كن
متساويات الا الجدة الفاسدة وهي ام اب لام واما قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين
معناه ان هذه القسمة بعد تخلص المال عن الدين وبعد امضاء الوصية من الثلث ان كان الميت
اوصى بها ومن قرا يوصي بكسر الصاد فعلى اضافة الوصية الى الميت فان قيل كيف ذكر الله تعالى الوصية قبل
الدين والدين مقدم على الوصية قيل ان كلمة او لا توجب الترتيب ولكنها توجب تاخير قسمة الميراث في
هذه الاية عن احدهما اذا انفرد وعن كل واحد منهما اذا كان احدهما مضموما الى الاخر فكانه قال من بعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لحد هذين فاذا كان كذلك لم يعرف بالآية وجوب البداية باحدهما عند اجتماعهما في التركة واحتيج
في معرفة ذلك الى دليل آخر وقد روي عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى
بالدين قبل الوصية وهذا شيء قد اجمعت الامة عليه حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما
بالنا نقدم افعال العمرة على افعال الحج وقد قال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فقال رضي الله عنه كما
تقدمون الدين على الوصية وقد قال الله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين واما قوله عز وجل آباؤكم
وابناؤكم فمعناه ان المذكورين في الآية آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا و
الآخرة اما في الدنيا فقد يكون الولد اكثر نفعا للوالد وقد يكون الوالد اكثر نفعا للولد واما في الآخرة فان
كان الاب ارفع درجة سأل الله عز وجل ان يرفع ابنه اليه فيرفع وان كان الولد ارفع درجة سأل الله عز وجل
ان يرفع اباه اليه فيرفع وفي هذا جواب طعن الملحدين عن قول بعضهم هلا كان الرجل اولى بالميراث لكونهم قوامين
على النساء الضعاف وعن قول آخرين منهم لم جاز تفضيل الذكر على الانثى في قسمة الميراث والانثى اولى
بالزيادة لعجزها عن التصرف وقعودها عن الحيلة فبين الله تعالى في آخر هذه الآية انه جل ذكره فرض
الفرائض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع فوضعتم الاموال
على غير حكمة وقيل معنى لا تدرون لا يدري احدكم ايهما اقرب وفاة فينتفع ولده بماله ام الوالد اقرب وفاة
فينتفع والده بماله واما قوله عز وجل فريضة من الله نصب على الحال والتوكيد من قوله يوصيكم ومعنى ان الله
كان عليما حكيما اي لم يزل كان عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين قسمة المواريث على الحكمة قال سيبويه
كان القوم شاهدوا علما وحكمة فخوطبوا على قدر عقولهم فقيل لهم ان الله كان عليما حكيما اي كان
ذلك لم يزل على ما شاهدتم وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان معناه كان الله عليما بالاشياء قبل خلقها
حكيما فيما يقدر من تدبيرها وقيل ان الخبر عن الله عز وجل في هذه الاشياء بالماضي كالخبر بالاستقبال
والحال لان الاشياء عنده تعالى على حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن قوله عز وجل ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم
معناه والله اعلم ولكم يا معشر الرجال نصف ما ترك نساؤكم ان لم يكن لهن ولد ذكرا او انثى منكم او من
غيركم ولا لابنائهن ولد فان كان لهن ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منكم او من غيركم فلكم
الربع مما تركن من المال من بعد وصية يوصين بها او دين اي من بعد قضاء دين عليهن او امضاء وصية
اوصين بها من الثلث واما قوله عز وجل مما تركتم فمعناه وللنساء الربع مما تركتم ايها الازواج من المال
ان لم يكن لكم ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منهن او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من المال
من بعد قضاء دين عليكم او امضاء وصية اوصيتم بها من الثلث وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
يقول اذا كان للميت زوجة او زوج وابوان كان للام ثلث المال كاملا ويقول لا اجد في كتاب الله عز
وجل ثلث ما بقي واما عامة الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجعلون فرض الباقي من الزوجين بعد موت
الآخر استحقاقا على كل الابوين ويجعلون للام ثلث ما بقي من المال بعد فرض الباقي من الزوجين
واما قوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ففيه قراءتان من قرأ يورث بنصب الراء فقد يعني يورث

متكللا

مُتَكَلِّلًا كلالة قال ابن عباس الكلالة ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وعن ابي بكر وعمر وجابر وقتادة
والزهري رضي الله عنهم ان الكلالة اسم لما عدا الوالد والولد والظاهر ان هذا الاسم في اللغة من كلالة
النسب واحاطته وسمي الاكليل اكليلا لاحاطته بالرأس فيكون معنى الآية يورث بكلالة النسب والوالد
والولد خارجان من ذلك لانهما طرفان للرجل وهما اصل النسب وعموده الذي ينتهي اليهما فمن معنى الاحاطة
فهما وراء هذا وان كلالة النسب من الجوانب وينقطع اطرافه ومن قرأ يورث بكسر الراء جعل الكلالة مفعولا
ومن حق المفعول ان يكون منصوبا والهاء في الكلالة تأنيث الجمع وقوله تعالى او امرأة عطف على قوله تعالى وان
كان رجل يورث معناه وان كان رجل او امرأة يورث كلالة وقوله تعالى وله اخ او اخت لا خلاف بين
الامة ان المراد بالاخ والاخت في هذه الآية الاخ والاخت من الام دون الاب فلكل واحد منهما السدس
مما ترك الميت من المال وفي قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او
اخت لام ولهذا قالوا ان الاخ والاخت للام لا يرثان مع الولد وولد الابن ولا مع الاب والجد ابي الاب
ولو خلينا وظاهر آية الكلالة في آخر هذه السورة لكنا نقول ان الاخت من الاب والام لا ترث
مع ابنة الصلب ولكنا تركنا الظاهر بالخبر المروي عن عبد الله بن مسعود على نحو ما تقدم ذكره في الآية
التي قبل هذه الآية وذهب بعض المفسرين الى ان الكلالة اسم للميت وصفة له ودخول الهاء في ذلك كما يقال
علامة ونسابة قالوا والكلالة مصدر من كل يكل كلالة اذا اعيا فيكون معنى الآية يورث على بعد وكلال
واعياء من النسب ويقال يورث وهو كالمعيي لبعد جانب الصعود ولا جانب الهبوط وقد يقام المصدر
مقام الاسم وروى طاوس عن ابن عباس ان الكلالة من عدا الولد وكان يورث الاخوة من الام مع
الاب واما اخرج الولد من الكلالة لانه بعض الميت واما ابو الميت فليس بعضه فصار كالاخ من الاب
والام واما قوله عز وجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث معناه ان كانت الاخوة للام
اكثر من واحد فهم كلهم سواء في مقدار الثلث لا يفضل الذكر على الانثى ولا يزاد الاخوة من الام على الثلث
شيئا وان كثروا وقوله عز وجل من بعد وصية يوصى بها او دين اي من بعد قضاء دين على الميت
او امضاء وصية ان كان اوصى بها واما قوله عز وجل غير مضار نصب على الحال معناه يوصي بها الميت
غير مضار في حال وصيته بان يزيد على الثلث ويفضل بعض الورثة على بعض بوصية نفسه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث الا ان يجيزها
الورثة واما قوله عز وجل وصية من الله نصب على المصدر والتوكيد ومعنى والله عليم حليم بما دبر من هذه
الفرائض حليم حلم عن من عصاه بان اخره وقبل توبته فلا يغترن احد بامهال العاصي فانه سبحانه في
الآخرة وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم فيما اذا ضاقت الفرائض وزادت على المال فروي ان عمر
رضي الله عنه اول من اعال الفرائض وقال ارى ان اقسم المال عليكم بالحصص يعني يضرب كل ذي حق بمقدار حقه
كالديون * الديون في التركة اذا كانت التركة لا تفي بديون كلهم * وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما
وعن علي كرم الله وجهه انه سئل عن ابنتين وابوين وامرأة فقال صار ثمنها تسعا وعن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما انه كان ينكر العول ويقول ينظر الى اشد اصحاب الفرائض فريضة فيبدأ
بالنقص عليه قال وهم البنات والاخوات يتغيرن فرضهن بمخالطة البنين والاخوة قال عطا سمعت
ابن عباس يقول ان الذي احصى رمل عالج عددا لم يجعل في مال قسمة نصفا ونصفا وثلثا يعني اذا كان
للميت زوج واخت لاب وام واخ واخت لام قال لهذا النصف ولهذه الاخرى النصف فاين موضع
الثلث قال عطا فقلت له ان هذا لا يغني عنك ولا عني شيئا لو مت او مت قسم ميراثنا على ما عليه
القوم من خلاف رايك قال ان شاؤوا فلندع ابناءنا وابناءهم ونساءنا ونساءهم وانفسنا وانفسهم ثم نبتهل فنجعل

[illegible]

لعنة الله على الكاذبين فما جعل الله في مالٍ نصفًا ونصفا وثلثًا واختلف الصحابة رضي الله عنهم
في مسألة المشتركة وهي ان تخلف الميتة زوجها وامها واخوتها لامها واخواتها لابيها وامها فقال علي
وابن عباس وابي بن كعب وابو موسى الاشعري رضي الله عنهم للزوج النصف وللام السدس وللاخوة
من الام الثلث وسقطت الاخوة والاخوات من الاب والام وبهذا اخذ اصحابنا رضي الله عنهم وقالوا
ان العصبة لا يرثون الا ما بقي من اصحاب الفرائض واستدلوا باجماع الصحابة كلهم على ان الميتة لو تركت زوجًا
وامًا واخا لام واخوة واخوات لاب وام ان للزوج النصف وللام السدس وللاخ من الام السدس وما
بقي فللاخوة والاخوات من الاب والام للذكر مثل حظ الانثيين لا يدخلون مع الاخ للام في نصيبه وكان
قول عمر رضي الله عنه مثل ما ذكرنا حتى احتج الاخوة من الاب والام فقالوا له يا امير المؤمنين لنا ابٌ
ليس لهؤلاء ولنا ام كالهم فان كنتم حرمتمونا بابينا فورثونا بامنا كما ورثتم هؤلاء بالام ولحسبوا
ان ابانا كان حمارًا السنا والصنا من رحم واحد فقال عمر رضي الله صدقتم فاشرك بينهم وبهذا اخذ
مالك والشافعي رضي الله عنهما والله اعلم قوله عز وجل تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم معناه والله اعلم هذه فرايض
الله تعالى التي امركم بها في المواريث وامر اليتامى والحدود هي الامكنة التي لا ينبغي ان تجاوز وقيل معناه تفصيل
الله عز وجل بين فروضه والحد هو الذي يفصل بين الشيئين ومنه حد الجدار وقوله عز وجل ومن يطع
الله ورسوله اي من يعمر حدود الله عز وجل وحدود رسوله صلى الله عليه وسلم في امر المواريث وغيرها يدخله
بساتين تجري من تحت شجرها الانهار وقيل انه يعني بالبر والبا والقرب الى العمل الاية وقوله عز وجل خالدين
فيها نصب على الحال اي يدخلهم مقدرين للخلود فيها كما يقال مررت برجل معه باز صايدًا به غدا اي
مقدرًا للصيد به غدا ومعنى وذلك الفوز العظيم تلك النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة قوله عز وجل
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين معناه والله
اعلم ومن يعص الله ورسوله في قسمة المواريث فلم يقسمها وذلك ان المنافقين كانوا لا يعطون النساء
والصبيان الصغار من قسمة المواريث شيئا ندخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين قوله عز وجل
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وجماعة من المفسرين في معنى هذه الاية ان النساء اللاتي يزنين من حرايركم من الثيبات
المحصنات فاطلبوا عليهن اربعة منكم من الشهود من احراركم من المسلمين العدول فان شهدوا عليهن
بالزنا فاحبسوهن في البيوت وهي السجون بيوت معروفة في المدينة حتى يتوفاهن الموت في الحبس او يجعل
الله لهن سبيلا مخرجا من الحبس قبل الموت وفي هذه الاية دليل ان القاضي لا يقضي بعلم نفسه في الحدود
وانما يقضي بالاقرار او بالشهادة لان الله عز وجل اثبت الفاحشة في اول الاية ثم امر باستشهاد اربعة
من الشهود واللاتي جمع على غير لفظ الواحدات واما اللواتي فجمع على القياس كالفاعل والفواعل قوله عز
وجل واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا
رحيما قال ابن عباس رضي الله عنهما البكر والبكر اللذان لم يحصنا اذا اتيا بالزنا فاذوهما بالسب
والتعيير باللسان فقولوا لهما زنيتما وفجرتما وانتهكتما حرمات الله تعالى وقيل يعني باللذين ياتيانها البكرين
لانهما لم يحدا وارادا بالاذى الضرب بالنعال ومعنى فان تابا من الزنا واصلحا العمل بعد التوبة
فاعرضوا عنهما لا تسبوهما ولا تعيروهما ان الله عز وجل لم يزل متجاوزًا عن التائبين رحيما
بهم بعد التوبة ويجوز ان يذكر كان في مثل هذا الموضع على وجه الصلة كما قال الشاعر

فكيف

فكيف اذا حللت ديار قوم ۞ وجيران لنا كانوا كرام ۞ اراد وجيران كرام والتي كان في الشعر
واما الحد المذكور في هاتين الايتين فكان مشروعا في اول الاسلام حين كان التعيير في الناس عن محل
الحد وكان الزانيان يعيران الا المراة المحصنة فانها كانت تحبس في البيوت لا تروج ولا تخلية عقوبة
لها الى ان تموت او يجعل الله لها سبيلا ثم نسخ هذا الحكم بما روي عن عبادة ابن الصامت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وكان هذا النسخ نسخ القران بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر
عندنا بقوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لان ظاهر تلك الاية
تقتضي ان الجلد بيان لجميع الحكم المتعلق بالزنا اذ لو جعل ذلك كذلك لكان قصورًا في البيان في موضع
الحاجة ونسخ جلد الزاني الثيب المحصن بحديث ماعز ان النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لولا ان الناس يقولون زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله عز وجل لكتبت
على حاشية المصحف ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله عز وجل ويتوب الله على
من تاب وقال الشافعي رحمه الله جلد الثيب المحصن منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعند
داود ومن تابعه من اصحاب الظاهر ليس شيء منهما منسوخا ومن الفقهاء من يقول ان خبر عبادة ليس
بناسخ للقران لان الله عز وجل اوجب الامساك في البيوت الى غاية وخبر عبادة ورد في بيان تلك
الغاية واما من جعل هذا الخبر ناسخا للاية فعلى معنى ان فيه ازالة حكم الاية بالخبر وهذا هو معنى
النسخ فان قيل لو كان الرجم منقولا من جهة الاستفاضة الموجبة للعلم لما انكرته الخوارج باسرها
قيل ان الخوارج لم تكن يوافقها المسلمون ولا نقلة الاحاديث وانفردوا عنهم ورد والاخبار
من ليس على مقالتهم وهذا لا يوجب قطع التواتر الا ترى ان فرائض صدقات المواشي ثابتة ۞
بالنقل المستفيض ولا يعرفها الا فقيه قد سمعها او صاحب مواشي تكثر بلواه بوجوبها وذهب
بعض المتاخرين من اهل التفسير ان المراد بقوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم المراة
تزني بالمراة وبحبسهن للحبس ان يقضي الله تعالى لهن لمن يزوجهن ويقوم عليهن قال والمراد
بقوله عز وجل واللذان ياتيانها منكم الرجل يزني بالرجل وكان الحسن يقول ان الاية الثانية وان
كانت متاخرة من الاية الاولى في التلاوة وهي انما نزلت قبلها وهي منسوخة بالجلد فاما كان
حد الزاني في الابتدا الاية الثانية فصار منسوخا بالحبس في البيوت ثم صار الحبس منسوخا بالجلد
بالجلد والاذان ياتيانها منكم كناية عن الفاحشة والتصريح بذكر الفاحشة في الاية الاولى
ولا يجوز ان يسبق ذكر الكناية عن المكني عنه قوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما معناه انما
التجاوز من الله تعالى يقبل الله تعالى توبتهم للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل ان
ينزل بهم سلطان الموت لا في وقت المعاينة فاولئك يقبل الله تعالى توبتهم وكان الله عليما
بحال التوبة حكيما حكم بقبول التوبة وقد اتفق اهل التفسير انه لا يجوز ان يكون معنى الجهالة المذكورة في
الاية ان لا يكون الرجل عاقلا او لا يعلم ان ذلك سيئة فان ذلك ليس بذنب او لو يكن الرجل معرضا
ثم اختلفوا في معنى الجهالة قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل ذنب
اذنب العبد فهو جهالة وجهالة فيها وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وانما سميت المعصية جهالة وجهلا لفعلها وقيل الجهل فاعلها بما يكون عليه من المضرة في
فعلها وما يكون من قدر العقاب عليها فان الانسان وان كان يعلم استحقاق العقوبة على المعصية

الألوكة
www.alukah.net

ولا يعلم كنهها وتفصيلها كما يعلم استحقاق الثواب على الطاعة ولا يعلم تفصيله ويقال معنى الجهالة اختيار اللذة الفانية على الباقية وهذا تشبيه بالجاهل في الذم وقلة التحفظ والتحرز كما قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ومعلوم ان الانبياء صلوات عليهم لا تعلق المعصية وعن هذا قال بعض اهل التفسير ان معنى الجهالة في هذه الاية انه يجهل المعصية وانما سمي جهالة لان المؤمن لا يقصد بالمعصية مخالفة الله تعالى ولكنه يعرض نفسه للعقوبة ويحملها على الخطر وذهب بعضهم الى ان معنى الجهالة ان يكون عاصيا وان جهل ان ذلك ذنبا اما بتاويل او اعراض عن النظر مع التمكن من العلم بذلك والتحرز منه قالوا وانما دخل المتعمد للذنب في هذه الاية لان التوبة من العمد اوجب من التوبة عن ذنب المتاول وانما سمى الله تعالى ما قبل معاينة اسباب الموت قريبا لان كل ما هو آت قريب لان الاجل آت من المنية وكل وقت وساعة وكل ما يكون هذا صفته فهو موصوف بالقرب وروي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال ان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال ان الساعة لكثير من تاب قبل ان يغرغر بنفسه تاب الله عليه وعن الحسن رضي الله عنه انه قال لما اهبط ابليس الى الارض قال بعزتك لا افارق ابن ادم ما دام الروح في جسده قال الله عز وجل وعزتي لا احجب التوبة عن عبدي ما لم يغرغر بنفسه قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما معناه وليس قبول التوبة للذين يعملون المعصية مقيمين عليها حتى اذا عاين احدهم اسباب الموت الشرف والنزع ومعاينة ملك الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون على الكفر اولئك خلقنا وهيانا لهم عذابا موجعا وهي النار التي هي مصيرهم اليها وذهب الربيع الى ان المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكافرين المجاهرين بالكفر على المنافقين وانما حالة المعاينة فلا يعلمها الحاضرون للميت وانما يعلمها من حضرته تلك الحالة وانما لم يقبل التوبة عند المعاينة لانه يصير عند ذلك ملجا الى فعل الحسنات وترك القبائح ومن يكون بهذه الصفة لا يكون مكلفا لانه لا يستحق المحمدة على فعله ولا المذمة واذا زال عنه التكليف ارتفع عنه التوبة ولهذا لا يكون اهل الاخرة مكلفين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال عبد الله بن عباس كانوا في الجاهلية واول الاسلام اذا مات رجل له امراة وله ولد من غيرها او وارث غير الابن القى ثوبه عليها فورث نكاحها بالصداق الاول يقول انا ولي زوجك فورثتك فان كانت جميلة امسكها ودخل بها وان لم تكن جميلة طول عليها العدة ومنه فاتت كبيشة بنت معن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس بن الاسلت توفي وورث نكاحي ابنه حصن بن ابي قيس وقد اضر بي وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يخلي سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى ياتي فيك امر فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا اذا قرؤوا وصدقوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء جبرا واما قوله عز وجل ولا تعضلوهن فمعناه والله تعالى اعلم اذا لم يكن لكم حاجة في صحبتهن فلا تمنعوهن تخلية سبيلهن حتى يفتدين ببعض مالهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال الحسن وابو قلابة والشعبي هو الزنا اذا اطلع الرجل منها على زنية حل له ان يحبسها ولا يطلقها حتى تفتدي

بما اعطاها

بما اعطاها من المهر فيخلعها على ذلك وقال ابن عباس والضحاك وقتادة ان الفاحشة في هذه الاية النشوز واذا نشزت حل له ان ياخذ منها الفدية ومن قرا مبينة بكسر الياء فمعنى مبينة خبثها وقوله وعاشروهن بالمعروف امر للازواج بعشرة نسائهم بالجميل وهو ان يوفيها حقها من المهر والنفقة والمبيت وترك اذاها بالكلام الغليظ والاعراض منها والعبوس في وجهها بغير ذنب منها وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا فيه بيان الخيرة ربما كانت العبد في الصبر على ما يكرهه يقول لعلكم ايها الازواج ان تكرهوا شيئا من صحبتهن اياكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزق لكم منهن اولادا فتطيب بعد ذلك الالفة والموافقة وينقلب لكراهة الفة والنفرة محبة ويقال المراد بالخير الكثير ما يستفيده الزوج من اجر الاخرة وثوابها وحسن الذكر على تكلف الانفاق عليهن ويقال معناه عسى ان يقضي الله عز وجل بالفراق على وجه جميل فيستبدل المراة من هو خير لها منه ويستبدل بها من هي خير له منها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق معنى هذه الاية وهو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابغض الحلال الى الله جل ذكره الطلاق وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا معناه والله اعلم ان اردتم تخلية المراة واردتم الرجال ان يستبدل مكانها اخرى واعطيتم احداهن قنطارا اي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار في ال عمران فلا تاخذوا منه شيئا اي اذا لم يكن من المراة فاحشة من نشوز او زنا فلا تاخذوا منه شيئا مما اعطيتموها اتاخذونه بهتانا اي ظلما واثما مبينا ذنبا ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي يتحير من بطلانه ومن ذلك سمي الكذب العظيم بهتانا لانه ما بهت به مخبره ويتحير المكذوب عليه لعظمه واصل البهت التحير قال الله عز وجل فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته وانما سمى الله تعالى اخذ المهر منها بغير حق بالبهتان لان الزوج لما استعمل المكر والخداع واخذ ما اعطاها صار في الوزر بمنزلة من يكذب ويوهم ان الذي قاله حق قوله عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه كيف تستحلون اخذ شيء مما اعطيتموهن وقد وصل بعضكم الى بعض قال ابن عباس الافضاء كناية عن الجماع وقال جماعة من اهل التفسير اذا كان معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر العدة ويكون وعن زرارة بن اوفى انه قال قضى الخلفاء الراشدون المهديون انه من اغلق على امراة بابا وارخى سترا فقد وجب المهر والعدة وذكر الفراء ان الافضاء هو الخلوة وان لم يقع دخول كانه ذهب الى ان الافضاء ماخوذ من الفضاء وهو المكان المتسع الذي ليس فيه بنا ولا حاجز يمنع ادراك ما فيه فسميت الخلوة افضاء لوصول الزوج بها الى جميع ما يقصده من الوطء والدخول في موضع لا مانع فيه من ذلك والمراجعة فيها على مفاعلة من اللغة واما قوله عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه اخذن منكم عهدا وثيقا وهو ذكر المهر في النكاح ويقال هو ما اشترط الله تعالى للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان يقال للناكح في صدر الاسلام الله عليك لتمسكن بمعروف او لتسرحن باحسان وفي الاية دليل ان الفرقة اذا وقعت بعد الدخول بوجه من الوجوه اما من قبل المراة او بمعنى من جهة الزوج انه لا يسقط شيء من المهر قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا روي انهم كانوا بعد نزول قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها واذا رضيت المراة امسكها وارثها برضاها على حكم النكاح واذا سخطت ردها فحرم الله تعالى ذلك عليهم بهذه الاية ومعناها لا تتزوجوا ما تزوج اباؤكم من النساء وقال الا

الألوكة www.alukah.net

نطاؤا من وطي اباؤكم واسم النكاح يقع على العقد والوطء جميعا وهو في اصل اللغة الجمع بين الشيئين
تقول العرب انكحنا الفرا فسنرى اي جمعنا بين حمار الوحش والاتان فسنرى ما يحدث منهما و
هذا مثل يضربونه في الامر يتشاورون فيه ويجتمعون عليه ثم ينظرون الام يصير وكان الشيخ ابو
الحسن الكرخي يقول ان قوله ما نكح اباؤكم المراد الوطء دون العقد لان حقيقة لفظ النكاح للوطء
انه لا يحصل الا بالعقد الا ان العقد انما يسمى نكاحا مجازا لانه سبب يختص باباحة الوطء ويتوصل
به اليه كما يسمى الشيء باسم غيره اذا كان منه بسبب او مجاورا له قال فلما كان كذلك وجب تحريم امراة الاب اذا
لم يكن وطئها بغير هذه الاية وقد اختلف اهل العلم في ثبوت حرمة المصاهرة في الزنا ولا خلاف بينهم
ان الوطء بالشبهة وبملك اليمين مع عدم النكاح يوجب من الحرمة ما يوجبه عقد النكاح وانه لا يحل
للابن من الجواري ما وطئهن ابوه ولا ما مسهن ابوه بالشهوة في ملك اليمين واما قوله عز وجل الا ما
قد سلف فمعناه سوى ما قد سلف في الجاهلية من نكاح منكوحة الاب كان ذلك معفوا لكم
لا تؤاخذون به وهذا استثناء منقطع لان الماضي لا نهي عنه ولا تحريمه وهذا كما يقال لا تلق
فلانا الا ما لقيت يراد بذلك لكن ما لقيت لا لوم عليك فيه وقد تاول بعض اهل التفسير الا ما قد سلف
على ان المراد به الا ما قد تزوجتموهن قبل نزول الاية فامسكوها وهذا خطا لم يروا ان النبي صلى الله
عليه وسلم اقر احدا على نكاح امراة ابيه وان كان في الجاهلية ولو كان اقر احدا على ذلك لنقل و
استفاض واما قوله عز وجل انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فذهب الزجاج الى انه لا يجوز
ان يجعل كان زايدة في هذا الموضع لانها لو كانت زايدة لم تنصب خبرها كما لم تنصب في البيت
الذي تقدم وجيران لنا كانوا كرام ولكن المعنى ان نكاح امراة الاب كان فاحشة فيما سلف
لانهم كانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي فاعلم
الله عز وجل ان هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض
عن امر قبيح ركبه صاحبه والفاحشة اسم لما يرتفع ذكره بقبحه فيما بين الناس وذهب غيره من اهل التفسير الى
ان المراد بالاية انه فاحشة بعد نزول التحريم لان مثل هذا لا يسمى فاحشة الا بعد قيام حجة
السمع عليهم بتحريمه ولم تقم الدلالة على ان حجة السمع كانت قائمة عليهم من جهة الرسل المتقدمين
ولا يمتنع ان يكون لفظ كان عاملا في الخبر وان لم يتعلق فيه معناه ويكون نصب الخبر باللفظ دون المعنى
واما قوله عز وجل وساء سبيلا وهو تاكيد التحريم وبيان ان نكاح امراة الاب طريق سوء يؤدي ٢٣
الى جهنم وساءت مصيرا نص على التحريم وبالله التوفيق قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين
الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
حرم الله عز وجل من النساء اربعة عشر صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب وتلا هذه
الاية ثم قال والسابعة في قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف والمراد بالامهات
وهذه الاية تحريم نكاح الامهات ولا خلاف ان الجدات وان بعدن محرمات لان اسم الامهات
يشملهن كما ان اسم الاباء يتناول الاجداد وان بعدوا فلو جاز حمل اللفظ الواحد على الحقيقة و
المجاز جميعا حرم الجميع بالاية وحمل الاية على الحقيقة خاصة حرم الجدات ونساء الاجداد بالاجماع
واما قوله وبناتكم فمعناه نكاح بناتكم واسم البنات يتناول الاولاد وان سفلن وقوله واخواتكم يشتمل

على

على الاخوات من الاب والام ومن الاب ومن الام واما وعماتكم فهن اخوات الاباء وخالاتكم اخوات الامهات
وقد دخل في هذا تحريم عمات الاب والام وخالات الام والاب لان اسم العمات والخالات يتناولهن فاما
بنات العمات وبنات الخالات فلا يسمين عمات ولا خالات فلا يدخلن في التحريم واما بنات الاخ والاخت
فقد افردهن الله عز وجل بالذكر لان اسم الاخوات لا يتناولهن كما يتناول اسم البنات بنات الاولاد فنص الله
عز وجل على تحريمهن وهؤلاء السبع من المحرمات من جهة النسب بنص التنزيل ثم ذكر عز وجل تحريم الرضاع
فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وفي هذا بيان ان اسم الامومة والاخوة يثبت بالرضاع لانا لو جعلنا قوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم بمنزلة قول القائل وامهاتكم اللاتي اطعمنكم وكسونكم لبطل فائدة قوله اللاتي
ارضعنكم لان في ابتداء الاية تحريم الامهات على الاطلاق وامهات الرضاع عطف على ذلك وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لا رضاع بعد الفطام وقال عليه السلام تحرم الرضعة والرضعتان من اللبن ما عم الحولان
الكاملان وعن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس جاء يستاذن عليها بعد نزول اية الحجاب
وكان عمها من الرضاعة قالت فابيت ان اذن له حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليلج عليك فانه
عمك فقلت انما ارضعتني المراة ولم يرضعني الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ليلج عليك فانه عمك وكان ابو القعيس
زوج المراة التي ارضعت عائشة رضي الله عنها وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل له امراتان
ارضعت هذه غلاما وهذه جارية هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وفي
هذا اشارة الى ان اللبن حصل من ماء الرجل والمراة كما ان الحمل منهما وفي الفحل خلاف بين اهل العلم هل يوجب
التحريم ام لا يوجب والاكثر على انه يوجب التحريم ثم ذكر الله عز وجل تحريم الصهر فقال عز من قائل وامهات
نسائكم قال ابن عباس وعطاء وسعيد بن جبير رضي الله عنهم ان ام المراة مبهمة تحرم على زوج ابنتها بنفس
العقد واما قوله عز وجل وربائبكم اللاتي في حجوركم فمعناه وبنات نسائكم من غيركم والربيبة المربوبة
سميت ربيبة لان زوج المراة هو الذي يربيها في العادة كما يقال قتيل بمعنى مقتول وقد يسمى زوج المراة
ربيبا بمعنى الرب كما يقال شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر وروي عن علي كرم الله وجهه ان الربيبة
اذا لم تكن في حجر زوج الام وكانت في بلد اخر ثم فارق الزوج الام بعد الدخول انه جاز له ان يتزوجها
الا ان هذه الرواية لم تثبت ولم يقبلها اهل الحديث ولا خلاف اليوم بين اهل العلم ان ربيبة زوج المراة
ابنتها وكونها في حجره لا يكون شرطا في تحريمها عليه الا ان الله عز وجل ذكر الحجور في هذه الاية على عادات
الناس ان الاعم الاكثر ان زوج الام هو الذي يربي ابنتها فخرج الكلام على وفق العادة دون الشرط وهذا
كقوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ومعلوم ان المعتكف لا يحل له الجماع وان كان
قد خرج من المسجد لحاجة الا ان الغالب من حال العاكف ان يكون في المسجد فقرنه بذكر المسجد واما
قوله عز وجل من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسائكم وعلى قوله
وامهات نسائكم فشرط الدخول بالنساء في المسالتين في ثبوت التحريم المذكور في الاية على معنى ان الله عز
وجل عطف حكما على حكم وعقبهما بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر بن غياث وغيره
الا ان هذا لا يصح لان قوله عز وجل وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها وقوله عز وجل وربائبكم بما فيه من
شرط الدخول جملة اخرى مستقلة بنفسها فلم يجز بناء احدى الجملتين على الاخرى ولو جعلنا شرط الدخول
راجعا الى الاول لخصصنا عموم اللفظ الاول بلا دليل ثم قال اهل العربية ان لفظ نسائكم من قوله وامهات نسائكم
مخفوض بالاضافة وقوله من نسائكم مخفوض بحرف الجر فلا ينصرف الشرط الاول الى الثاني فان من قال الاخر مررت
بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات لا يكون هذا النعت الا لنساء زيد لان كل واحد من لفظي النساء

الألوكة www.alukah.net

معمول لها أبدا على حدة فلو صرف النعت لهما لصار معمولا لعاملين وأما قوله عز وجل فإن لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم فإن لم تكونوا دخلتم بنسائكم فلا حرج عليكم في تزوج الربائب إذا طلقتم أمهاتهن
قبل الدخول أو ماتت أمهاتهن قبل دخول الزوج بهن روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
أنه كان يقول لا تحرم أم المرأة بنفس العقد فلما قدم المدينة كلمه في ذلك عمر وعلي رضي الله عنهما
فقالا إنها مبهمة فرجع إلى قولهما وأما قوله عز وجل وحلائل أبنائكم فمعناه ونكاح نساء أبنائكم
الذين من أصلابكم وإنما سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحل معه في الفراش فيكون هذا الاسم من
الحلول ويقال سميت حليلة لأنها محللة له أي حلال وأما أمة الابن فلا تسمى حليلة له ولا
تحرم على الأب ما لم يطأها الابن وقوله عز وجل من أصلابكم ليس هو على ما ظن بعض الناس أن شرط
الصلب في هذه الآية لإخراج امرأة الابن من الرضاع عن التحريم بل امرأة الابن من الرضاع بمنزلة
امرأة الابن من الصلب في الحرمة وإنما شرط الله تعالى وهو أعلم كون الابن من صلبه لإخراج امرأة
الابن من التبني من التحريم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد ما فارقها
زيد تكلم فيه المشركون وقالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم تبنى هذا ثم تزوج امرأته وكانوا يجعلون
الابن المتبنى بمنزلة الابن من الصلب في الميراث والحرمة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وأما قوله عز وجل وأن تجمعوا بين الأختين فهو في موضع الرفع
ومعناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين وهذا يقتضي تحريم الجمع بينهما في النكاح وصورة الجمع
أن يتزوج الرجل الواحد الأختين معا أو يتزوج أختين في عقدين ثم لا يدري أيتهما كانت هي الأولى
وأما إذا تزوج امرأة ثم تزوج بعد ذلك أختها وهو يعلم فالثانية فنكاح الثانية حرام لأن الجمع
حصل بالثانية دون الأولى ومن الجمع أيضا أن يجمع بين وطء الأختين في ملك اليمين وقد كان في
هذا خلاف بين السلف ثم زال وحصل الإجماع على التحريم روي أن رجلا سأل عثمان رضي الله عنه عن الجمع
بين وطء الأختين في ملك اليمين فقال حرمتهما آية يعني هذه الآية وأحلتهما آية يعني قوله إلا ما
ملكت أيمانكم وأما أنا فلا أفعله فخرج الرجل من عنده فلقي عليا كرم الله وجهه فذكر ذلك له فقال
لو أن لي من هذا الأمر شيئا لجعلت على من فعل ذلك نكالا فغلب الفقهاء جهة التحريم على جهة الإباحة
الإباحة ومن الجمع بين الأختين أيضا أن يتزوج إحداهما والأخرى معتدة منه في طلاق بائن أو رجعي لأن
ذلك جمع بينهما في [illegible] النسب ووجوب النفقة والسكنى وذلك حكم من أحكام النكاح كما أن الجمع
في الوطء حكم من أحكام النكاح وذهب بعض أهل العلم إلى أن المعتدة إذا كانت معتدة من طلاق بائن أو
ثلاث حل للرجل أن يتزوج أخت معتدته هو والله أعلم وأما قوله إلا ما قد سلف فمعناه إلا ما مضى في
الجاهلية فإنه معفو لكم إذا اجتنبتم عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما
حرم الله تعالى من النساء إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين لأن الله تعالى قال في هذين الفصلين إلا ما قد
سلف وقوله عز وجل إن الله كان غفورا رحيما معناه أنه غفور رحيم لا يؤاخذكم بما كان منكم قبل
التحريم وقد ألحق الفقهاء بالجمع بين الأختين ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنكح المرأة
على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها الخبر إلا أن منهم من عول على هذا الخبر
فقال هو خبر تلقته الأمة بالقبول تجوز الزيادة بمثله على الكتاب ومنهم من قال هو مفهوم من تحريم
الجمع بين الأختين لأنهما شخصان لو قدرنا أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحل النكاح بينهما من الطرفين
فكانا في معنى الأختين وبالله التوفيق قوله عز وجل والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم

به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة
إن الله كان عليما حكيما أول هذه الآية عطف على الآية المتقدمة المعنى وحرم عليكم
ذوات الأزواج اللاتي أحصن بالأزواج إلا ما ملكت أيمانكم أي إلا ما أفاء الله عليكم من السبايا
روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من
المشركين فتأثم المسلمون من وطئهن وقالوا لهن أزواج في دار الحرب فأنزل الله تعالى هذه الآية فنادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة
ولا يجوز أن يقال سبايا أوطاس كن وثنيات ولم يحللن للمسلمين لأن الوثنية إذا عرض عليها
الإسلام فأسلمت حلت للمسلمين إذ وقعت الفرقة بينها وبين زوجها وذهب بعض الصحابة وهو أبي
بن كعب وابن عباس وجابر وغيرهم إلى أن الأمة إذا خرجت من ملك مولاها إلى ملك رجل آخر حرمت
على زوجها بأي سبب خرجت حتى روي عن عبد الله بن عباس أنه قال طلاق الأمة بيت طلاقها
وبيعها وهبتها وميراثها وسبيها وصدقتها وأنكر عمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم
هذا القول وقالوا إنما نزلت هذه الآية في السبايا خاصة بدليل ما روي أن عائشة رضي الله عنها
اشترت بريرة وأعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عبدا أسود يسمى
مغيثا وعن عبد الله بن مسعود في المشتراة روايتان وروي عن عبد الله بن عباس في رواية أخرى مثل
قول عمر وعلي رضي الله عنهم وقال مالك والشافعي إذا سبيت المرأة بانت من زوجها سواء كان معها
زوج أو لم يكن إسنادا إلى ظاهر قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم ولا يخلو أمر إرادة الله تعالى في المعنى
الموجب للفرقة في المسبية من أحد وجهين إما اختلاف الدارين أو حدوث الزوجين أو حدوث
الملك في المرأة بالسبي ولما ذكر الله تعالى آية المحرمات في سورة الممتحنة ورفع الجناح عن نكاح المهاجرات
علم أن المعنى الموجب للفرقة في المسبية تباين الدارين ولو كان قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم على ظاهر
العموم لكان يقع الفرقة بحدوث الملك بالشراء ونحوه وقد وافقنا الخصم على نفي وقوع الفرقة بذلك
وأما قوله عز وجل كتاب الله عليكم فمعناه هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب الله
منصوب على التوكيد أي كتب الله عليكم في الكتاب هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب
كتابا ويجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر أي الزموا كتاب الله وقيل إن العامل فيه عليكم المحذوفة
دون المذكورة تقديره عليكم كتاب الله أي تمسكوا بكتاب الله عليكم وأما قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم
فمعناه حل لكم ما سوى المحرمات ومن قرأ أحل بالنصب فهو نسق على قوله كتاب الله عليكم ومن قرأ
بضم الهمزة وكسر الحاء فهو معطوف على قوله حرمت عليكم أمهاتكم وقوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم معنى
أحل لكم نكاح ما سوى المحرمات أن تطلبوا بأموالكم ناكحين أعفاء عن الزناة وفي هذا دليل أن بدل البضع لا
يجوز إلا أن يكون مالا وما يستحق به تسليم مال ولهذا قال أصحابنا إن تعليم القرآن لا يجوز أن يكون
صداقا لها عند أبي حنيفة ولو جاز ذلك لجاز التزوج على تعليم الإسلام وذلك باطل بالإجماع وكذلك
خدمة الزوج لا يكون إلا صداقا عند أبي حنيفة وأبي يوسف وفي تقدير الصداق خلاف بين أهل
العلم روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال لا مهر أقل من عشرة دراهم وهكذا روي مرفوعا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبه أخذ أصحابنا وقال مالك أقل المهر ربع دينار وقال الشافعي يجوز بقليل المال
وكثيره وأصل الإحصان في اللغة من المنع ومنه سمي الحصن حصنا لأنه يمنع من العدو ومنه الدرع
الحصينة أي المنيعة والحصان بكسر الحاء الفحل من الأفراس لمنعه راكبه من الهلاك والحصان بالفتح
العفيفة من النساء لمنعها فرجها من الفساد قال حسان في عائشة رضي الله عنها

www.alukah.net

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل وأما الاحصان في القرآن فيقع
على معان مختلفة منها النكاح كما في اول هذه الآية ومنها الحرية كما في قوله عز وجل والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومنها الاسلام كما في قوله عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات معناه اذا اسلمن ومنها العفة كما في قوله عز وجل والذين يرمون المحصنات
ويتعلق بالاحصان الشرعي حكمان احدهما ايجاب الحد على قاذف المحصنة ويعتبر في ثبوت احصان
المقذوف العفاف والحرية والاسلام والعقل والبلوغ فلا يجب الحد على قاذف المجنون والصبي والزاني
والكافر والعبد ... والاخر هو الاحصان الذي يتعلق به الرجم اذا زنى ويعتبر في ثبوت ذلك الاحصان
الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والنكاح الصحيح مع الدخول بالمراة وهما جميعا على هذه الصفة
فان عدم شيء من هذه الخصال في الزاني لم يجب عليه الرجم واصل السفاح من سفحت الما اذا صببته
ومنه سفح الدم والدمع ويسمى اسفل الجبل سفحا لانه موضع مصب الما وانما سمي الزنا سفاحا
لانه يسفح الما باطلا من غير ان يتعلق بذلك الما حكم ثبوت النسب ووجوب العدة وساير
احكام النكاح واما قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن روي عن ابن عباس وعطا وسعيد
بن جبير رضي الله عنهم ان معناه فما انتفعتم بنكاح الذي ابيح لكم منهن فاعطوهن اجورهن
وريضة من الله لهن عليكم والفرض ما يكون والمراد الايجاب من الله عز وجل ولهذا لا يجوز اسقاط
المهر في ابتدا العقد وعن ابن عباس في رواية اخرى ان المراد بالاستمتاع الاستمتاع بالنكاح و
بالمتعة الى اجل وروي عنه انه سئل عن المتعة اسفاح ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قيل فما هي قال
المتعة كما قال الله تعالى قيل هل لها من عدة قال نعم عدتها حيضة قيل هل يتوارثان قال لا وروي
عن ابن عباس انه رجع عن القول بالمتعة وقال عند موته اللهم اني اتوب من قولي بالمتعة وقولي في الصرف
قد رايتم درهمين بدرهم يدا بيد وعن عمر رضي الله عنه انه خطب حين ولي فقال ايها الناس ان الله
احل لنا المتعة ثلثا ثم حرمها وانا اقسم بالله تعالى لا اجد من تمتع الا رجمته الا ان ياتي باربعة يشهدون
انه صلى الله عليه وسلم احلها بعد ان حرمها وعنه ايضا انه قال لا اوتى برجل تزوج بامراة الى اجل
الا رجمته بالحجارة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان المتعة كانت رخصة لاصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم في غزاة شكوا فيها العزبة ثم نسختها اية النكاح وانما سمى الله تعالى المهر اجرا لانه بدل
عن المنافع كما يسمى بدل منفعة الدار والدابة اجرا ومن هذا استدل ابو حنيفة رحمه الله
ان من استاجر امراة ليزني بها فزنى بها فلا حد عليه وجعل قول الرجل لها استاجرتك بمنزلة
قوله امهرتك وقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يدل على سقوط حد الزنا في الاجارة واما
قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة معناه لا اثم عليكم فيما تراضيتم
به من الزيادة والنقصان في المهر بعد الفريضة وابتدا النكاح وفي هذا دليل جواز الحاق
الزيادة بالعقد خلاف ما قاله زفر والشافعي رحمهما الله ان الزيادة تكون هبة مبتداة لا
تملك الا بالقبض فان قيل لو لحقت الزيادة بالمهر بعد النكاح لتنصف بالطلاق قبل الدخول
قيل ما لا يكون مسمى في نفس العقد يسقط بالطلاق قبل الدخول وان كان لاحقا بالعقد
قبل الطلاق كمهر المثل يجب بعد الدخول او الموت ويسقط بالطلاق قبل الدخول ومعنى ان
الله كان عليما حكيما ان الله عليم بما يصلح امر العباد حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه قوله عز وجل
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن

بالمعروف

بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم ان المراد بالطول الغنا والسعة ومعنى
الاية ومن لم يستطع منكم غنى وقدرة اي من لم يجد ما لا يتزوج به الحراير فليتزوج مما ملكت ايمانكم ان
لم يتزوج بعضكم ولا يد بعضكم من ايمانكم وقال جابر بن زيد وربيعة وابرهيم النخعي ان المراد بالطول الهوى
اي من لم يقدر منكم على نكاح الحراير لهوى اي عشقا بامة من الايما لا يتبع قلبه لتزويج الحرة فليتزوج
بالامة التي يهواها من الايما المومنات ومعنى والله اعلم بايمانكم اي هو اعلم بحقيقة الايمان وانتم تعرفون
الظاهر وليس عليكم ان تحثوا عن الباطن بعضكم من بعض في الدين ويقال بعضكم من بعض في النسب
لكلكم ولد ادم عليه السلام وانما قال ذلك لان العرب كانت تطعن في الانساب وتفخر بالاحساب
وتعير بالهجنة ويسمى ابن الامة الهجين فاعلم الله عز وجل ان الامة في جواز نكاحها كالحرة بذلك
وقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن اي انكحوا الولايد باذن مواليهن واعطوهن مهورهن
يعني باذن اهلهن بالمعروف اي مهرا غير مهر البغي وهو ان يكون عشرة دراهم فما فوقها محصنات
يعني العفايف قرا الكسائي وحده محصنات بكسر الصاد حيث كان هذا اللفظ في القرآن الا قوله
عز وجل والمحصنات من النسا وهكذا روى حفص بن سعد عن ابن كثير وقرا الباقون كلهم بفتح
الصاد في جميع القرآن وقوله عز وجل غير مسافحات اي غير زوان معلنات بالزنا ولا متخذات
اخدان اي اخلا في السر وذلك ان اهل الجاهلية كان فيهم زوان بالعلانية لهن رايات معروفة
وبعضهن اتخذن اخدانا في السر حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا
ويستحل ما خفي منه فنهى الله عز وجل من نكاح الفريقين جميعا وقوله عز وجل فاذا احصن
قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه اي الايما اذا اسلمن وتزوجن ومن قرا فاذا احصن بضم الهمزة
فمعناه اذا زوجن واحصن بالازواج فان اتين بفاحشة يعني الزنا فعليهن نصف حد الحراير
خمسون جلدة لان الحراير من اهل الخطاب اذا لم يكن احصانهن بالنكاح والدخول فيه والاسلام
كان حدهن في الزنا جلد مائة فاذا كمل فالحد الرجم والمراد بهذه الاية تنصيف الحد لان الرجم لا
نصف له وكان يقول ان الامة لا يجب عليها الحد اذا زنت وان اسلمت حتى تتزوج وقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومعنى اذا احصن بالفتح اسلمن وجعل عليها الحد اذا اسلمت
وزنت وان لم تتزوج وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه قال الحسن رضي الله عنه تحصنها الاسلام
وتحصنها التزوج وذهب عامة الفقها رحمهم الله الى ان الاسلام والتزوج لا يكونان شرطا
في وجوب حد الجلد على الامة فانها وان لم تكن محصنة بالاسلام والتزويج انتم عليها نصف
حد الحرة اذا زنت واستدلوا بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن فقال صلى الله عليه وسلم ان زنت فاجلدوها
ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير فان قيل فما
فايدة شرط الاحصان في قوله عز وجل فاذا احصن والامة تجد حد الزنا سوا كانت محصنة
بالاسلام والزوج او لم تكن قيل فايدة ذكر احصان الايما في الامة ان حد الحرة يختلف بالاحصان
وعدم الاحصان وكان يجوز ان يتوهم متوهم ان حد الامة يختلف ايضا بالاحصان بالاسلام
والزوج كما يختلف حد الحرة بذلك فاوجب الله ذلك الحد بالجلد في الحالة التي يجب فيها
الرجم على الحرة ليعلم ان الايما لا مدخل لهن في الرجم والله اعلم ومعنى ذلك لمن خشي العنت منكم

الحد

الألوكة
www.alukah.net

لا تزوج الاماء والرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشي الزنا منكم ويقال لمن خشي الضرر في الدين
والدنيا منكم وان تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم وانما قال ذلك لان ولد الامة يكون رقيقا لمولى الامة ولانه
استخدامها في الحاجات وبين ايدي الرجال والاجانب واما قوله عز وجل والله غفور رحيم فمعناه
غفور لما اصبتم من المحرمات بعد ما تركتموها بعد التوبة رحيم لا يعجل بالعقوبة على المذنبين والطول في
اللغة ماخوذ من الطول الذي هو خلاف القصر لانه ينال بالغنا معالي الامور كما ينال بالطول ما لا ينال بـ
القصير ومن ذلك التطول وهو الافضال بالغنا ويقال طال فلان على فلان يطول طولا اذا كان له فضل
عليه في القدر واصل الفتى في اللغة الشاب والفتاة الشابة الا ان الامة تسمى فتاة عجوزا
كانت او شابة لان الامة لا توقر توقير الحرة الكبيرة والاخدان جمع الخدن والخدين والخدن الصديق
والعنت في اللغة المشقة الشديدة ويسمى الزنا بهذا الاسم لان الذي يعمله يلقى الاثم العظيم في الاخرة
ويقام عليه الحد في الدنيا وقد تعلق اصحاب الشافعي رحمهم الله بظاهر هذه الاية فقالوا اذا كان عند الرجل
من المال مقدار ما يمكن ان يتزوج به الحرة فلا يجوز له ان يتزوج الامة قالوا ولا يجوز للمسلم ان يتزوج بالامة
اليهودية ولا النصرانية ولا يجوز للحر ان يتزوج اكثر من امة واحدة لان خوف العنت يزول بنكاح امة
واحدة قالوا ويجوز ان يتزوج على الحرة لان هذه الاية خطاب للاحرار لان الله تعالى قال من ما ملكت ايمانكم
وليس في هذه الاية عند اصحابنا رحمهم الله على طريق الشرط ولكن معناها من لم يبسط الله تعالى له في الرزق
فليتزوج مما قسم الله وليعقد ادون النكاحين ان لم يقدر على اعلاهما كما قال الله تعالى لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وكما قال عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة وفي
قوله عز وجل من فتياتكم المؤمنات بيان ان الامة المؤمنة خير من الحرة الكتابية ولو كان جواز نكاح
الامة للحر معلقا بحال الضرورة وخوف العنت لكان الحر اذا تزوج حرة على الامة يبطل نكاح الامة ولا
خلاف ان نكاح الحرة اذا طرا على نكاح الامة لا يبطل نكاح الامة وعن ابي يوسف رحمه الله انه تاول
هذه الاية على ان وجود الطول هو كون الحرة على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تنكح الامة على الحرة وتنكح الحرة على الامة وهذا تاويل صحيح لان كل من لا يكون عنده حرة فهو غير مستطيع
للطول لهذا لان القدرة على المال لا توجب له ملك الوطء الا بعد وجود النكاح والله اعلم قوله عز وجل
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
معنى الاية والله اعلم يريد الله ان يبين لكم ما تحتاجون الى معرفته من الحلال والحرام وكيفية الطاعة
ويبصركم طريق الذين من قبلكم من اهل التوراة والانجيل ويدلكم على طاعة كما دل من قبلكم ويقال يعرفكم طريق
الذين من قبلكم من اهل الصلاح والفساد لتقتدوا بالصالحين ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم ما كان منكم
في الجاهلية والله عليم بما فعلتم ومن يتوب منكم حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه وقد اختلف اهل النحو في اللام
التي في قوله عز وجل ليبين لكم فقال بعضهم معناها ان يبين لان الارادة والامر لا يكونان الا للمستقبل وقال
بعضهم اللام مع ما بعده في حكم المصدر والمعنى ارادة الله عز وجل ليبين لكم وكذلك وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي امرنا بالاسلام لرب العالمين ويقال في معنى الاية يريد الله تعالى ما يريد ليبين لكم وامرنا ما امرنا لنسلم لرب
العالمين وكذلك في قوله عز وجل يريد لكم اي يريد لكم ما يريد فكم قوله عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما معناه والله يريد ان يدلكم
على ما يكون سببا لتوبتكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والمبطلون ان تعدلوا عن القصد والصواب
وتخطئوا خطأ عظيما وانما سمي المبطل متبعا للشهوات لان اتباعه للشهوة من غير ان يرجع الى الحق فوقع
في الباطل وقال السدي اراد بالذين يتبعون الشهوات اليهود والنصارى ويقال اراد به اليهود خاصة

وقال

وقال مجاهد اراد به الزناة واللفظ عام في الجميع قوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا معناه يريد الله ان يسهل عليكم بوضع اوزاركم وحط ذنوبكم و
خلق الانسان ضعيفا لا يستطيع الصبر عما يهواه ويقال يعني ضعيفا اسير الشهوة وفي الاية
بيان ان الله عز وجل انما خفف في تكليف العباد لضعفهم واراد بالضعف ان يضعف الرجل عن احتمال
خلاف هواه لكثرة دواعيه الى الشهوة واللذة لا ان يكون ضعيفا في الخلقة لان الضعيف في الخلقة
والقوة اذا قويت دواعيه الى الطاعة صار في حكم القوي والقوي في الخلقة والالة اذا ضعفت دواعيه
الى الطاعة صار في حكم الضعيف قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما
معناه يا ايها الذين صدقوا بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم لا ياكل بعضكم مال البعض بالظلم وشهادة
الزور ويمين الفاجرة والربا والقمار وغير ذلك وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة استثناء منقطع لان
المستثنى خلاف جنس المستثنى منه لا يدخل الحلال في ذكر الحرام حتى يستثنى منه فيكون معنى الا لكن كانه
قال لكن كلوا ما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم ومن قرا تجارة بالنصب فمعناه الا ان تكون الاموال تجارة
ومن قرا بالرفع فمعناه الا ان تقع تجارة وقيل ان معنى قراءة الرفع اولى لانها ادل على الانقطاع من الاولى
روي انه لما نزلت هذه الاية امتنع الناس عن اكل الاموال بالهبة والهدية والضيافة ونحوها
فانزل الله عز وجل الاية التي في سورة النور ليس على الاعمى حرج الى قوله عز وجل ان تاكلوا من بيوتكم
او بيوت اباءكم واما قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم فمعناه لا يقتل بعضكم بعضا فانكم اهل دين
واحد ولكم كنفس واحدة كما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمنون كلهم كنفس
واحدة اذا اشتكى عضو تداعى سائر الاعضاء بالحمى والسهر وفي بعض الروايات المؤمنون كالبنيان
يشد بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله عز وجل فسلموا على انفسكم ويقول العرب قتلنا ورب الكعبة
اي قتل بعضنا وقال بعض المفسرين معنى قوله ولا تقتلوا انفسكم لا يقتل الرجل نفسه عند الضجر والغضب
ويقال معناه ولا تقتلوا انفسكم لطلب المال وهو ان يحمل نفسه على الغرر والمؤدي الى التلف وربما يتعدى ذلك
الى سبب القتال فيصير هو سببا الى قتل نفسه ومعنى ان الله كان بكم رحيما اي لا يرضى منكم قتل بعضكم بعضا
ولا اكل المال بالباطل فيرجع ضرره عليكم في الدين والدنيا قوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا معناه اي من ياكل المال بالباطل ويقتل النفس بغير
عدوانا اي بغير حق عمدا وجورا بغير حل والعدوان ان يعدو عن ما امر به والظلم ان يضع الشيء في غير موضعه
يعني اذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف ندخله في الاخرة النار وكان التعذيب على الله سهلا ليس
لا يمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما معناه ان تتركوا كبائر الذنوب جانبا
نكفر عنكم الصغائر كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة والكبائر ما كبر
وعظم من الذنوب قال ابن عباس رضي الله عنهما هي كل شيء سمى الله تعالى فيه النار او عقابا او شيئا نزل
فيه حد في الدنيا وروي ان رجلا اتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال اني اصبت ذنوبا فاحب ان تعد
الكبائر فعد عليه سبعا فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واكل الربا واكل مال
اليتيم وقذف المحصن واليمين الفاجرة قال طاوس رحمه الله قيل لابن عباس رضي الله عنهما ما الكبائر
السبع قال هي الى السبعين اقرب منهن الى السبع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الكبائر

الألوكة www.alukah.net

الا انها الاياس من روح الله والقنوط من رحمة والامن من مكر الله والشرك بالله **وقال** مقاتل رحمة
الله الكباير ما نهى الله تعالى عنه في اول هذه السورة الى اخر هذه الاية وقيل لا كبيرة مع
الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وليس في الحقيقة ها هنا حد يفصل به بين الصغاير والكباير
ولا تحسين في الحكمة توقيف العباد على الصغاير لانه يكون في ذلك اغرا بالصغاير من حيث ان الانسان
اذا علم ان الصغاير تقع مغفورة ارتكبها ولم ينته عنها وليس المراد بالاخبار الواردة في هذا الباب
قصر الكباير على ما هو مذكور فيها **فان قيل** اذا لم يكن بين الامرين حد يفصل بينهما فكيف يجوز تعليق
تكفير الصغاير باجتناب الكباير **قيل** ان الله عرفنا جميع المعاصي ونهانا عنها وخذرنا عن ركابها
فلا يحصل الوثوق باجتناب الكباير الا بالتحرز عن جميع الذنوب وهذا كالرجل يخفي واحدا عن واحد
من العشرة بغير عينه لا يحصل له التحرز عن ذلك الواحد الا بالتحرز عن جميع العشرة وقوله مدخلا يقرا
بضم الميم وفتحها فمن قرا بضم الميم فهو اسم موضع الادخال من ادخل يدخل وهذه القراة مطابقة اللفظ
لانه يقال ادخل مدخلا ومن قرا بالفتح فهو موضع الدخول قوله عز وجل **ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله
ان الله كان بكل شي عليما** قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية يتمنى الرجل مال اخيه ولا
شيا مما الغير ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة للرجال حظ من الاجر بما اكتسبوا
من العمل الصالح وللنسا حظ من الاجر بما عملن من العمل الصالح واسالوا الله من رزقه ان الله لم
يزل بكل شي من اعمال الرجال والنسا عالما قال الكلبي رضي الله عنه وفيها وجه اخر قال الرجال
ان الله فضلنا على النسا في الدنيا فلنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاعمال
ولهن اجر واحد كما فضلنا عليهن في الميراث فقالت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ونسوة
معها ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فانزل الله عز
وجل هذه الاية يقول ان المراة تجزى بحسناتها عشر امثالها كما يجزى الرجل **وعن** جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه اذ اقبلت امراة
حتى قامت على راسه صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله انا وافدة النسا اليك ليس من امراة يبلغها
مسيري اليك الا اعجبها ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل رب النسا ورب الرجال
وادم عليه السلام ابو الرجال وابو النسا وحوا عليها السلام ام الرجال وام النسا وبعثك الله عز وجل
الى الرجال والى النسا فالرجال اذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم احيا عند ربهم يرزقون وحين
واذا خرجوا فلهم من الاجر مثل ما قد علمت ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الاجر من شي
فقال صلى الله عليه وسلم اقري النسا مني السلام وقولي لهن ان طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل
ما هنالك وقليل منكن يفعله ● ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان بدا اكثر المعاصي من القتل
والظلم واخذ مال الغير بغير حق ونحو ذلك انما يكون التمني ولما ذكر الله تعالى من قبل ما يحرم ويحل من
النسا والاموال وغيرها بين ما يكون ثوابا لاهل الدين فيما يتمنون ويسالون فحرم ان يتمنى امرو نفس
ما فضل الله به البعض على البعض وهو ان يتمنى ان يزول نعمة غيره اليه وهو الحسد المذموم الذي حرم
الحط الله تعالى فيما شاهده من فضل غيره عليه لان هذا التمني لا يقدر على نقل النعيم من غيره الى نفسه
واذا تمنى ذلك فانما يتمنوا ان ينقله الله عز وجل اليه والقادر على نقله هو القادر على ابتدا التفضل عليه
بعطاياه وكرمه ولو علم الله عز وجل ان مصلحة هذا المتمني في اعطائه ما اعطى الاخر لاعطاه
لانه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما يمنع لحكمة اما المصلحة له في الحال او لعطية اكثر من ذلك في ثاني الحال والى

هذا

هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه انه قال لا يسام الرجل على
سوم اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه فالطلب من تمنى ان يحصل له ما قد حصل لغيره وفي ملكه ومن
التمني المذموم ان يتمنى ما يستحيل وقوعه مثل ان تتمنى المراة ان تكون رجلا او تمنى خلافه او ما يجده او
نحوها من الامور التي لا تكون واما التمني المباح فهو ان يتمنى الرجل ان يكون له مثل ما لغيره من غير ان يريد
زوال النعمة من غيره كما روى الزهري عن سالم عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه انا الليل والنهار ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به
انا الليل والنهار قوله عز وجل **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شي شهيدا** قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما اراد بالموالي العصبة في هذه الاية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسموا المال بين
اهل الفرايض فما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ومعنى الاية لكل ميت جعلنا موالي مما ترك وهم
الوالدان والاقربون ويقال معناه لكل شي مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي ورثة يرثونه
واقرب العصبات عند الفقها الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم كل من يتصل قرابته بالاب مثل
الجد والاخ من الاب والام ثم من الاب ثم الاعمام وابناوهم وان تعددوا يقدم في ذلك الاقرب فالاقرب
واخر العصبات موالي العتاقة ثم عصبته يكونون عصبة العبد المعتق واولاده ولا خلاف
في ولا يتصل نسبه بالميت الا من جهة النسا انه ليس بعصبة والمولى هذه تعاسير المعتق والمعتق
والولي والاولى بالشي وابن العم والناصر والجار والحليف لان الكل يرجع الى القرب وهو كل من يليك
اما في القرابة او النصرة والحماية او النعمة وكل من والاك في المحبة فهو مولى لك وقد يسمى مالك العبد
مولى لانه يليه بالملك والتصرف **واختلفوا** اهل العلم في ميراث المولى الاسفل من الاعلى في باب العتاقة
قال عامتهم لا يرث المولى الاسفل من الاعلى **وحكى** ابو جعفر الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث الاسفل
من الاعلى **وروى** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه الى غلام المعتق قال ابو جعفر فليس هذا الحديث معارضا
لما وجب ثبات حكمه وتاويل هذا الخبر والله اعلم انه يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعه اليه لا على وجه
الميراث ولكن لحاجته وفقره لانه كان مالا لا وارث له وكان سبيله الصدقة **واما** قوله والذين
عاقدت ايمانكم روي عن ابن عباس انه قال كان الرجل في الجاهلية اذا احب ظرف الرجل ووجب
في خلقه عاقده وحالفه وقال انت اخي ترثني حرمتي حرمتك ودمي دمك وثاري ثارك فيكون
له كبعض ورثته في ماله يرثه مثل نصيب احدهم الا ان ينقص نصيبه عن السدس لكثرة الورثة
فيعطى السدس خاصة لا ينقص منه شي فلما نزلت اية المواريث قام رجل من اهل العقد فقال
كان الرجل منا يا رسول الله يتبع الرجل فيصيب من ماله شيا فعلوا ثم مع ولده وقد انزل الله
تعالى اية المواريث ولم يذكرنا بشي فنزلت هذه الاية ثم نسخت بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ويقال ان المراد بهذه الاية اصحاب الوصايا وما لهم من الحق ثلث مال الميت لا
يزادون عليه ويقال المراد بها الزوج والمراة والاشبه بظاهر الاية ان يكون نازلة في اثبات
المواريث لان قوله عاقدت ايمانكم يقتضي معاقدة الحلف بين اثنين لان ظاهر الاية يقتضي نصيبا
كان معلوما عندهم وليس معنى قول ابن عباس ان هذه الاية منسوخة نسخ حكمها من الاصل
ولكن معناه تقديم ذوي الارحام على اهل العقد وهو بحدوث ابن لمن له اخ لا يخرج الاخ
من ان يكون من اهل الميراث للحليف وهذا قال الصحابة الا ان الابن اولى منه كذلك اولوا الارحام

الألوكة
www.alukah.net

اولى من الحليف فاذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف ولهذا قال اصحابنا فيمن اسلم
على يدي رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره ان ميراثه له ولهذا قالوا ان من اوصى
بجميع ماله ولا وارث له صحت الوصية لاهل الوصية ولا الموالاة يختلفان من وجه وهو ان
الموالاة لا يتعلق به شي من المال مع العصبة والرحم والوصية يتعلق بها وجوب مقدار ثلث
المال ومعنى ان الله كان على كل شي شهيدا اي لم يزل كان شاهدا على كل شي من اعطاء النصيب و
منعه وقوله عز وجل **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا
من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان
عليا كبيرا** قال ابن عباس نزلت الاية في امراة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع وهو احد
النقباء لطمها لطمة فنشزت عنه واستعدت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ في اللطمة والشجة والجراح فنزل
جبريل عليه السلام بهذه الاية ومعناها والله اعلم الرجال مسلطون على ادب النساء بالحق والقيم
والقوام كل من يقوم على الغير فيما يحتاجه ويقال هذا قيم المراة وقوامها قال الشاعر
الله بيني وبين قيمها · يفر مني بها واتبع · وقوله عز وجل بما فضل الله بعضكم على بعض اي جعل الله
عز وجل ذلك للرجال لفضلهم على النساء في العقل والراي وبانفاقهم اموالهم في المهور والنفقات النساء
فالصالحات قانتات اي المحسنات مطيعات لله في امر ازواجهن وقيل قائمات بحقوق ازواجهن
واصل القنوت مداومة الطاعة ومعنى حافظات للغيب يحفظن في فروجهن واموال ازواجهن
في حال غيبة ازواجهن ويدخل في حفظ المراة لغيب الزوج ان تكتم عليه ما لا يحسن اظهاره مما يقف
احد الزوجين على الاخر وقوله عز وجل بما حفظ الله اي بحفظ الله عز وجل اياهن من معاصيه وتوفيقه
لهن ويقال بما حفظهن الله في مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية **واما** قوله
عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن فمعناه ان النساء اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن
وقد يجوز ان يوضع الخوف موضع العلم لان خوف الشي انما يكون للعلم بموقعه كما قال ابو محجن الثقفي
ولا تدفنني بالفلاة فانني · اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها · والنشوز الرفع عن الصاحب
ماخوذ من النشز وهو المكان المرتفع والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الاية ان يكون ذلك على الترتيب
المذكور فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكن الاستدراك بالاسهل
والاخف لا يصار الى الاثقل فالاولى ان يبدا الزوج فيقول لها وجدتك ناشزة اتقي الله وارجعي الى
فراشي فان اطاعته والا سبها سبا هينا قال ابن عباس رضي الله عنهما والهجر الكلام الفاحش يقال
هجر الرجل يهجر اذا هذى واهجر الرجل في منطقه هجرا واهجارا اذا تكلم بقبيح وقال الحسن وقتادة قوله
واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا يقرب فراشها ولا ينام معها قال الله تعالى قرن قوله واهجروهن
بقوله في المضاجع ويقال فلان يهجر اذا باعده واذا لم ينفعها الوعظ هجرها وجها في المضجع فان — هجرت
كانت تحب زوجها شق عليها الهجران وان كانت تبغضه وافقها ذلك فكان دليلا على ان النشوز
من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شائن كما يؤدب الرجل ولده ويكون ذلك
موكولا الى رايه واجتهاده على ما يرى من المصلحة فيه ولهذا قيل ان هذا الضرب يتقيد بشرط السلامة

لان الضرب

الضرب ربما يبغض ويزيد في الفساد وربما يكون طريقا الى الصلاح فالاولى ان يضربها بالنعل واللطم
ضربتين او ثلاثا على حسب ما يراه ويقال معنى واهجروهن شدوهن ماخوذ من الهجار وهو ما يشد
به البعير يقال هجر الرجل البعير يهجره هجرا اذا جعل له هجارا **ومعنى** فان اطعنكم اي فيما تلتمسون منهن
فلا تطلبوا عليهن عللا ولا تكلفوهن الحب لكم فانهن لا يملكن ذلك ان الله كان عليا علا فوق كل شي
كبيرا ولا شي اكبر منه اراد بالعلي العلو في القدرة والقهر لا علو المكان واراد بالكبير الجلال والعظمة
لا كبر الجثة تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيرا وقيل في تلفيق هذا اللفظ بما سبق كان الله عز
وجل يقول اي مع علوي وكبريائي نصحت عبادي بالطاعة ولا اخذهم بالحب الذي لا غاية بعده فان
كان عبادي من يبغضه علي ولا يخلص حبه لي كل الاخلاص وقد روي في الخبر انه لما شكى الرجال
نساءهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بالضرب اصبح بباب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون امراة
يشكون ازواجهن فاقبل على اصحابه بعد الصلوة فقال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردتم اقامتها
كسرتموها وان رفقتم استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله قوله عز وجل **فان خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله
كان عليما خبيرا** معناه وان علمتم ايها المؤمنون بعد العظة والهجران تباعدا بين الزوجين عن الحق وهو ان يكون
كل واحد منهما في شق على حدة في الخلاف الذي بينهما ولم يدر من ابتدا منهما النشوز فابعثوا عدلا ذا
راي وعقل من اهل الزوج وعدلا من اهل المراة يختار الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فيخلو حكم
الزوج به فيقول له اخبرني ما في نفسك اتهواها ام لا فانا لا ادري ما اقول وما افعل حتى ادري ما تريد
فان قال انا اهواها فاكتسي معاشرتي وعظها وارضها عني علم ان الزوج ليس بناشز وان قال لا حاجة
لي فيها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل حكم المراة بالمراة ثم
يلتقي الحكمان فيصدق كل واحد لصاحبه فيما سمع فيقبلان على الزوج ان كان ناشزا فيقولان
له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم على امراتك ويعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلان بالمراة ان كانت
هي الناشزة فذلك قوله ان يريدا اصلاحا اي الحكمين ذا راي وعقل ونصيحة الف الله تعالى بين الزوجين
ويقال وفق الله تعالى بين افواه الحكمين ان الله كان عليما بامر الحكمين خبيرا بنصيحتهما ويقال عليما
بما فيه صلاح الخلق خبيرا بذلك **وذهب** بعض اهل العلم الى ان الحكمين اذا رايا ان يفرقا بينهما وكذلك اذا
راى الحاكم ان يفرق فعل اذا وقع الاياس عن زوال الشقاق واعتبروا ذلك بالعنة وعلى اصل الشافعي رضي الله
عنه بالتفريق باعسار الزوج عن نفقة المراة فاما عند اصحابنا رضي الله عنهم فليس للحكمين ان يفرقا
الا ان يكونا وكيلين في الخلع من الجانبين ويرضى الزوج بتفريقهما لانه لا خلاف ان الزوج لو اقر بالاساءة
اليها لم يجبر على طلاقها قبل حكم الحكمين وكذلك لو اقرت المراة بالنشوز لم يجبرها الحاكم على الخلع ولا
على رد المهر وكذلك بحكم الحكمين واسم الحاكم يتناول كل من نصبه السلطان لامور المسلمين والحكم
كل من يحكم للخصمين فيما بينهما لتحري الصلاح بما يرجعان فيه اليه وليس في هذه الاية دليل جواز
تفريق الحكمين لان ارادة الاصلاح تقتضي ارادة الالفة لا ارادة الفرقة بغير رضى الزوجين **وعن** عبيدة
السلماني ان رجلا وامراة اتيا عليا كرم الله وجهه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي كرم الله
وجهه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال فابعثوا حكما من اهله وحكما ان يريدا اصلاحا يوفق الله — من اهلها
بينهما ثم قال للحكمين هل تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا
ان تفرقا فقالت المراة رضيت بكتاب الله عز وجل فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كرم الله وجهه
كذبت والله لا تنفلت مني حتى ترضى كما رضيت هي وفي اخر هذا الخبر بيان ان فرقة الحكمين لا تكون الا برضى

الألوكة
www.alukah.net

الزوجين والله اعلم قوله عز وجل **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** معناه والله اعلم وحدوا الله واطيعوه ولا تعبدوا معه غيره فان ذلك بعد عبادته واحسنوا بالوالدين احسانا ويقال معناه استوصوا بالوالدين احسانا وقد يذكر المصدر المنصوب على تقدير فعل محذوف يدل عليه الحال كما يقال عمرا ضربا اي اضربه وصبرا اي اصبر يقول الله عز وجل فضرب الرقاب ومعناه الامر واما قوله وبذي القربى معناه احسنوا بذوي القرابة وباليتامى والمساكين والاحسان المذكور في الاية على وجوه منها المواساة للفقير منهم اذا خاف عليه الضرر الشديد من الجوع او العري ومنها حسن العشرة وكف الاذى عنه والمحاماة دونه ممن يحاول ظلمه وكل ما يكون من مكارم الاخلاق ويدخل في ذلك حسن قيام الاوصياء على اليتامى في اموالهم **واما** قوله عز وجل والجار ذي القربى معناه ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان وهو الجار المسلم وجار له حق وهو الجار الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب الذي هو من قوم اخر لا قرابة بينك وبينه ويقال ان الجار ذي القربى هو الذي يقاربك في الجوار بقربه ويعرفك والجار الجنب هو الجار القريب المتباعد والجنب في اللغة البعيد واما الصاحب بالجنب فهو الرفيق في السفر والمنقطع الى الرجل رجاء خيره وبره ويقال الزوجة ويقال هو جار الرجل في البيت الواحد وما اوجب الله تعالى من حق الجوار الشفعة لمن بيعت دار الجنبه وفي ذلك خلاف بين اهل العلم واختلفوا ايضا فيمن اوصى لجيرانه قال ابو حنيفة رحمه الله هو لجيرانه الملاصقين لداره وقال صاحباه هو لهم ولغيرهم من الجيران من اهل المحلة قربوا او بعدوا بعد ان يجمعهم مسجد واحد من مساجد الجماعة **واما** قوله عز وجل وابن السبيل قال مجاهد والربيع بن انس هو المسافر ومعناه صاحب الطريق كما يقال للطير ابن الماء وقال قتادة والضحاك هو الضيف ينزل عليك وسمي ابن السبيل لان الضيف كالمختار الذي لا يقيم والضيافة ثلثة ايام وما زاد فهو صدقة وقال الشافعي رحمه الله هو الذي يريد السفر ولا نفقة له **واما** قوله عز وجل وما ملكت ايمانكم فهم الخدم احسنوا اليهم ولا تكلفوهم الا ما يطيقون فانهم لحم ودم وخلق امثالكم **وعن** انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمماليك حتى ظننت انه سيجعل له مدة اذا انتهى اليها عتق وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت ان احفي فمي وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لن يناموا ليلا وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم قال انس رضي الله عنه جعل صلى الله عليه وسلم يغرغر بهذه الكلمة في صدره وما يفيض بها لسانه **ومعنى** ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي لا يرضى عمل من يختال في مشيه ويفخر على الناس بكبره والفخر من الاختيال وضرب من الخيلاء وسميت الفاختة فاختة لانها تصوت اذا انفردت خالية وقيل انما ذكر المختال في هذه الاية لان المختال يانف من ذوي قرابته اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر بيان انه كان مامورا بان يقول هذا القول لانه قال ذلك لا على جهة الفخر الا ترى انه روي في الخبر وفي خبر اخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى عليه السلام واراد بهذا القول ان يقال على وجه المفاخرة قوله عز وجل **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** يجوز ان يكون اول هذه الاية في موضع النصب بدلا من قوله مختالا فخورا

ويكون نصبا على الذم على معنى اعني الذين يبخلون ويحتمل ان يكون رفعا بالاستيناف وعلى اضمار هم الذين يبخلون قال عبد الله بن عباس وابن مسعود ان المراد بالاية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم بامر النبي صلى الله عليه وسلم وامروا قومهم بالبخل وهو الكتمان ويقال كانوا لا يعطون من اموالهم شيئا ويامرون الناس بذلك ويعتادون الاخذ والمنع وقال بعضهم ان الاية عامة في كل من بخل بما في يده من المال وكتم ما اعطاه الله من النعم لا يخرج زكوته فعلى هذا يكون المراد بالكافرين اليهود واخر الاية كافري النعم دون الكفار بالله عز وجل فاما على التاويل الاول فالمراد بالكافرين اليهود والبخل منع الواجب وفيه قراتان من قرا بضم الباء فهو كالجود والنجح ومن قرا بالنصب فهو كما يقال عطش يعطش عطشا وحزن حزنا قوله عز وجل **والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا** نزلت في المنافقين الذين كانوا يراءون الناس في الانفاق ولا يتصدقون في السر ويقال ان المراد بالاية مشركو مكة انفقوا على الناس وقت خروجهم الى حرب بدر وفي الاية بيان ان المنفق رياء والسمعة لا يكون خيرا من البخيل واما قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا فمعناه من يفعل ما يدعوه اليه الشيطان ويسول له فهو قرين الشيطان يغويه في الدنيا ويكون قرينا معه في السلسلة في النار قوله عز وجل **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما** معناه اي شيء عليهم ويقال ما الذي عليهم لو صدقوا بالله واليوم الاخر وتصدقوا مما رزقهم الله من الاموال وما فرض الله تعالى عليهم من الصدقة وكان الله بهم عليما اي لا يفوت وفي الاية بيان انهم انما كفروا وساءوا اختيار انفسهم وقلة تاملهم مع قدرتهم على الايمان لانه لا يحسن ان يقال لمن لا يقدر على الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا كما لا يحسن ان يقال للمريض ماذا عليك لو كنت صحيحا ولا ان يقال للفقير ماذا عليك لو كنت غنيا ولا يقال لاهل النار ماذا عليكم لو خرجتم من النار قوله عز وجل **ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما** معناه ان الله لا ينقص من جزاء الاعمال الزكية مثقال حبة صغيرة وهي اصغر النمل هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل الظلم الانتقاص والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشيء ومن ذلك يسمى ما يوزن به الدينار مثقالا لانه يعادله في الثقل والذرة ماخوذة من قولك ذررت الشيء اذا بددته مسحوقا ولذلك قيل ايضا ان الذرة ما يظهر من شعاع الشمس **واما** قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها من قرا حسنة بالنصب فعلى تقدير وان تك الفعلة حسنة ومن قرا بالرفع فعلى معنى وان تقع حسنة قال الضحاك اراد بالحسنة التوبة ومن لم يكن له الا حسنة واحدة مقبولة غفر الله له ويقال معناه اذا زاد على سيئاته مثقال ذرة من الحسنة يضاعفه الله عز وجل حتى يجعل مثل احد ويوجب له الجنة ويعطيه من عنده الزيادة على ما يستحقه من جزاء عمله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله عز وجل **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال خمس ايات في سورة النساء احب الي من الدنيا وما فيها ولقد علمت ان العلماء اذا مروا بها عرفوها وهي قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله وقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك **واما** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وهو ان المنفق اذا ارتبط عليه ثواب ذرة من نفقته فما الذي يمنعه من الانفاق اذا نظر وتفكر فيما يوجبه الراي والعقل قوله عز وجل **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** معناه والله اعلم كيف يصنع الكفار وكيف يكون حالهم يوم القيمة اذا جئنا من كل جماعة بنبيها عليه السلام شهيدا عليهم وجئنا بك شهيدا يا محمد

الله عليه وسلم على هؤلاء الانبياء بعث اليهم شهيدا انه يشهد لمن صدق بالتصديق وعلى كل من كذب بالتكذيب
واما حذف الجواب في الاية لما تقدم ان الحذف في هذا الموضع في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا
حذفت الجواب ذهبت النفس في الجواب الى كل مذهب واذا اثبت الجواب كان الجواب مقصورا على
المذكور ونظير هذا قوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يقل
لكان هذا القران لكي تذهب النفس فيه الى كل مذهب والفايدة في ذكر الشهدا يوم القيمة ان الانسان
تصور صدق انه اذا عمل بالمعصية شهد بها الانبيا على روس الاشهاد يوم القيمة كان ذلك اردع له وازجر
عن فعلها كما اذا علم ان معه ملكين يكتبان عليه ما يفعل وانه يحتاج الى ان يقرا به يوم القيمة على روس
الاشهاد وانه اذا اوقر بذلك شهدت عليه جوارحه كان ذلك ازجر له واكف من ان يفعل ما
يستحيي في الاخرة من مثل ذلك الفعل وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما قرا هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمع الناس على ان الانبيا صلوات
الله عليهم يشهدون على اهل عصرهم واختلفوا في شهادتهم على من بعدهم من اهل عصرهم فقال بعضهم
يشهدون عليهم وعلى من بعدهم وقال بعضهم لا يشهدون الا على اهل عصرهم واستدلوا بما حكى الله
عز وجل عن عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
فاخبر انه انما يكون شهيدا عليهم مدة مقامه فيهم ثم بعد ذلك لم يكن له علم بهم قوله عز وجل
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا معناه يوم وقوع
الشهادة يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول ان الارض تسوى بهم فيبقى عليها اهل الجمع قال ابن
عباس رضي الله عنهما يودون انهم لم يكتموا الله حديثا وذلك حين يغفر الله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال ويقول للبهايم والطيور والوحوش كوني ترابا فيرى ذلك اهل الكفر ويرون ما اكرم الله به
اهل الجنة يقول بعضهم لبعض هلموا فلنقل انا اسلمنا والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك
فيختم الله على السنتهم وياذن لجوارحهم بالكلام فتشهد عليهم عند ذلك فيقولون يا ليتنا
كنا ترابا ويتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كذبوا في قولهم ما كنا مشركين وهذه
الرواية المروية عن ابن عباس محمولة على ان البهايم تصير ترابا يوم القيمة بعد ان توفى اعواضها
ويستوفى بعضها من بعض ولهذا قالوا انه لا يحسن من الله تعالى ان يبيح لنا استعمال البهايم وذبحها
وايلامها الا لامر يعادون ان يعوضها الاعواض لان ايصال الالم الى الغير لا لدفع مضرة ولا لمنفعة بالمفعول
به يكون ظلما وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ينصف الجما من القرنا
وعن الحسن رضي الله عنه انه قال ان اهل الاخرة يكونون في ثلثة مواضع في موضع لا يسمع كلامهم
الا همسا كما اخبر الله عز وجل عنهم ما كانوا مشركين والله وفي موضع ينكرون ما فعلوا من المعاصي
والكفر ظنا منهم ان ذلك ينفعهم كما حكى الله تعالى عنهم ما كنا نعمل من سوء والله ربنا ما كنا
مشركين وفي موضع يعترفون بما فعلوا من الكفر والمعاصي وذهب بعض اهل التفسير الى ان قوله عز
وجل ولا يكتمون الله حديثا كلام مستانف غير داخل في التمني ومعناه انهم لا يقدرون على
كتمان شي مما عملوه لظهور ذلك عند الله ولا يفيد كتمانهم لان ذلك لا ينكتم عند الله قالوا وحمل هذا
على الاستيناف اولى لان الكتمان عمن هو اعلم بالامر من الكاتم محال وانه لا فايدة لهم في الكتمان لان
الكاتم انما يكتم الشي لئلا يطلع عليه وهذا لا يتصور في الاخرة انهم لم يكفروا ويخبرون على ما
توهموا لا انهم يقصدون الكتمان وذلك لا يخرجهم من ان يكونوا كذبوا كما قال الله عز وجل انظر
كيف كذبوا على انفسهم لان من اخبر عن شي توهمه فقطع القول في خبره ولم يكن المخبر به على ما توهمه

كان

كان ذلك كذبا مثل ان يقول زيد في الدار وهو يتوهم ان زيدا في الدار وقال بعضهم ان الكفار
يقولون ما كنا مشركين على جهة الذهول فاذا تذكروا يقولون هذا القول عند ذلك لا على
جهة الاخبار عن انفسهم بذلك وقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي كيف اوجبوا العقاب على انفسهم
فانه فعل الكذب اوجب فاما تعرفت هذه الاقاويل من مسئلة وهي ان اهل الاخرة هل يجوز عليهم فعل
القبيح ام لا فقال بعضهم يجوز واستدل بهذه الايات وقال بعضهم لا يجوز لان اهل الاخرة اذا راوا
اهوال الاخرة وما ادى بهم فعل القبيح في الدنيا الى العقاب في الاخرة صاروا ملجئين الى ترك
القبايح بانفسهم ولان التمكين من فعل القبيح في غير دار التكليف يؤدي الى اباحة فعل القبيح وذلك لا يجوز
من الله عز وجل والله اعلم يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من
الغائط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
ان الله كان عفوا غفورا روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في جماعة
من اكابر الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ثم ياتون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيصلون معه فنهاهم الله عز وجل عن ذلك ومن تاول الاية على هذا الطريق لا تقربوا موضع الصلوة
وهو المسجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وتابعوا امامكم في الصلوة وهو خطاب لمن لم يبلغ به
السكر الى حد لا يفهم الكلام كله لان الذي لا يفهم شيئا من الكلام لا يصح ان يخاطب وقد حمل ابو
يوسف ومحمد وجماعة من اهل العلم حد السكران مختلطا بكلامه ولا يعلم ما يقول واما منعوا من
المساجد اذا دخلها السكران من يكون على هذه الصفة لاحترام المسجد ولا يامن ان يكون منه ما
يكون يلوث به المسجد فيصان المسجد كما يجنب الصبي والمجنون وقوله عز وجل ولا جنبا الا عابري
سبيل اي لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مجتازين وذلك ان من الصحابة
من كانت بيوتهم في المسجد وكان لا يمكنهم الخروج من بيوتهم من حيث الا ثم او الى المسجد فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجهوا بيوتهم الى غير المساجد فقال وجهوا هذه البيوت الشارعة
الى غير المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب وقال بعضهم هو ان يتيمموا في بيوتهم ثم يعبروا في
المسجد ثم اخذوا الماء وخرج واغتسل وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الجنب يجوز له العبور في المسجد
بغير التيمم ولا يجوز له اللبث والاقامة فيه وقال مقاتل نزلت هذه الاية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون
الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قبل التحريم فحضرت الصلوة المغرب فقدموا رجلا منهم فقرا قل
يا ايها الكافرون وقال اعبد ما تعبدون وحذف لا في جميع السورة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعنى
الاية على هذا القول لا تقربوا نفس الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقرؤن اي لا تتعرضوا للسكر عند الصلوة
ولا يكن منكم شرب تصيرون منه الى حال السكر عند الصلوة لا عن فعل الصلوة لان كون الانسان جنبا او
محدثا لا يوجب سقوط فرض الصلوة عنه وقد روي عن ابن عباس في رواية اخرى انه قال كانوا
لا يشربونها بعد نزول هذه الاية عند الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها وعن عمر رضي الله عنه انه
قال بعد نزول هذه الاية اللهم ان الخمر تضر بالعقول والاموال فانزل فيها امرك فنزل الوحي باية
المايدة واما قوله عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل فمعناه لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين
لا تجدون الما فتيممون وتصلون هكذا روي عن علي كرم الله وجهه والتيمم وان كان يبيح الصلوة
فانه لا يرفع الجنابة لانه متى قدر على الما بعد التيمم يعود الى ما كان عليه من قبل من حدث او جنابة وقال
بعضهم معنى الا عابري سبيل الا ان يكون مسافرا لا يجد الما ولا ترابا نظيفا يصلي في الوقت ثم يعيد بعد

الألوكة www.alukah.net

ذلك وهو قول ابي يوسف في المحبوس في المصر والوجه ما ذكرنا انفا وقيل ان حمل الاية على نفس
الصلوة اولى من حملها على موضع الصلوة لان حملها على المسجد عدول له عن حقيقة اللفظ الى المجاز وفي نسق
الاية ما يدل على ان المراد به حقيقة الصلوة وهو قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون وليس للمسجد قول يسقط
يمنع من دخوله للقدرة عليه عند السكر وفي الصلوة قراءة يختل بالسكر وظاهر قوله ان المراد بالاية حقيقة
الصلوة ويحتمل ان يكون فائدة النهي عن الصلوة مع السكر وجوب اعادتها في حال الصحو اذا فعلوها في حال
السكر واستدل ابو حنيفة من الاية على ان حد السكر الموجب للحد ان لا يعرف السماء من الارض والرجل
من المراة لان السكران الذي لا يدري ما يقول يبلغ به السكر الى هذا المبلغ وهذا يسقط عنه خطاب
اداء الصلوة كما يسقط عن الصبي الذي لا يعقل والمجنون والنائم فاما الذي يدري ما يقول فلا يتناوله
النهي عن فعل الصلوة وقال الضحاك المراد بالاية سكر النوم خاصة وفي هذا حمل اللفظ على المجاز لان
الذي يغلبه النوم لا يسمى سكرانا على الحقيقة والسكر ماخوذ من السكر وهو سد الشق يقال
سكرت النهر اسكره اذا سددت شقه وسمي السكر سكرا لانه يسد مواضع المعرفة واما
قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر معناه ان كنتم مرضى يخاف الضرر من استعمال الماء بان يكون الرجل
كسيرا او جريحا او صاحب قروح او جدري يخاف برد الماء واذاه او كنتم على سفر مسافرين او جاء احد منكم
من الغائط معناه وجاء احد منكم من الغائط لان الغائط ليس من جنس السفر والمرض فان المرض والسفر سبب لاباحة
التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لايجاب الطهارة فعلم ان المراد به وجاء احد منكم من الغائط والغائط
واصل اللفظ هو المكان المطمئن من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمئن لقضاء الحاجة وجعل هذا
اللفظ كناية عن ذلك يقال جاء من الغائط اذا رجع عنه وقوله او لامستم النساء قال امير المؤمنين
علي وابن عباس رضي الله عنهم معناه او جامعتم النساء وقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما اراد به اللمس
باليد وكانا لا يبيحان للجنب التيمم وكانا يقولان انه لا يصلي وان لم يجد الماء شهرا ويحتمل ان يكون المراد بالملامسة
الفاحشة وهو ان يضاجع المراة ولا ثوب بينهما وقوله عز وجل فلم تجدوا ماء معناه لم تقدروا على استعمال
الماء وقد يذكر الوجود ويراد القدرة على استعمال الماء فان كان عنده من الماء ما يمنع او يعطش لو توضأ به فهو كعادم الماء
في الحكم ويحتمل ان يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا الى قوله او على سفر دون قوله وان كنتم مرضى لان حالة المرض
ليس الاغلب فيها عدم الماء ولكن يغلب فيها الضرر وحالة السفر يغلب فيها عدم الماء وهكذا روي
عن ابن عباس وابن مسعود وقال الحسن رضي الله عنه قوله فلم تجدوا ماء راجع الى المريض والمسافر جميعا
اما المريض فلا يجد الماء اذا لم يجد من يناوله اياه واما المسافر فعند لا يجد الماء بنفسه وقوله فتيمموا صعيدا
طيبا [illegible] معناه فتعمدوا واقصدوا ترابا طاهرا ويقال ان الصعيد
ما يتصاعد على وجه الارض وهو فعيل بمعنى فاعل لان ما يكون صاعدا على وجه الارض يكون
اقرب الى الطهارة من المكان المنخفض وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او صخرة
لا تراب عليها لان الله تعالى قال فتصبح صعيدا زلقا واذا كان على الصخرة تراب لا تكون زلقا وهذا
جوز ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله التيمم من صخرة لا غبار عليها ويقال انما سمي وجه الارض صعيدا
لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم معناه فامسحوا
وجوهكم وايديكم بعد ضرب الايدي على الصعيد الطيب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وذهب داود ومن تابعه من اهل الظاهر
ان التيمم ان يمسح اليدين الى الرسغين اذ لو كان ذلك الى المرفقين لذكره في الاية كما ذكر في اية الوضوء
وفي الاية دليل على ان المراد بقوله او لامستم النساء الجماع دون اللمس باليد لان الله تعالى قال في اول الاية

ولا جنبا

ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا فبين حكم الجنب عند وجود الماء وبين عند عدم الماء حكم الطهارة
من الحدث وهو التيمم ولا يجوز ان يقع بيان حكم الجنب عند عدم الماء ويبين حكم المحدث مع ان المقصود
باول الاية بيان حكم الجنب عند وجود الماء فعلم ان المراد بقوله او لامستم النساء الجماع ليكون ذلك بيانا لحكم
ليكون ذلك لحكم الجنب عند عدم الماء ومعنى ان الله كان عفوا غفورا متفضلا عليكم بتسهيل الاوامر و
تخفيفها لانه نقلكم من الوضوء الى التيمم عفوا متجاوزا عنكم بفضله بهذه الطاعات المسهلة ذنوبكم
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اصابته الجنابة على عهده فسال اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا لا نجد لك رخصة في التيمم وانت واجد للماء فاغتسل فمات فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله هلا سالوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم
باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا قال عبد الله بن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة
بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ياخذون الرشا على كتمانهم ذلك بعدما اوتوا
العلم به ومعنى الرؤية هو العلم ويقال الم تخبر والاصح ان الرؤية اذا كانت مقرونة بالى كان معناها
المشاهدة والمعاينة كما يقال الم تر الى زيد ما اكرمه ويراد بذلك التعجب من رؤية مثله في الكرم
وقوله ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ويريدون ان تضلوا انتم طريق الهدى كما ضلوا هم
بانفسهم وكذلك البيع ورافعا وغيرهم من احبار اليهود كانوا ياتون عبد الله بن ابي ومالك
بن الدخشم يامرونهم بترك الاسلام ومعنى والله اعلم باعدائكم اي هو اعرف بهم يعلمكم ما هم عليه
وفي قوله تعالى وكفى بالله وليا اعلام من الله ان عداوة اليهود لا تضر المسلمين اذ ضمن النصرة والولاية
ومعنى الباء اي اكتفوا بولاية الله ونصرته قوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون له سمعنا قولك ويقولون في انفسهم وعصينا امرك وقوله عز وجل من الذين هادوا راجع
الى قوله والله اعلم باعدائكم على جهة التبيين للاعداء كما يقال هذا الثوب من القطن او من الكتان
على جهة تبيين اصله ويجوز ان يكون هذا استيناف كلام معناه من الذين هادوا قوم يحرفون كلام
الله عز وجل وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواضعه فاستغنى بذكر الصفة عن الموصوف
كما قال الشاعر: وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغي العيش اكدح * يعني تارة
يموت فيها واما قوله عز وجل واسمع غير مسمع فمعناه انهم كانوا اذا كلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء قالوا له اسمع وقالوا في انفسهم لا اسمعت ولا سمعت ويقال معنى غير مسمع غير مجاب
الى شيء مما تدعو اليه وكانوا يقولون راعنا يوهمون انهم يريدون بهذا القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد
وكانوا يريدون بذلك اللفظ السب بالرعونة بلغتهم ويقال كانوا يقولون هذه الكلمة على وجه التكبر
والتجبر كما يقول المتكبر لغيره افهم كلامي واسمع قولي وكانوا يقولون ارعنا سمعك ونارعك كلامنا ومثل
هذا مما لا يخاطب به الانبياء صلوات الله عليهم انما يخاطبون بالاجلال والاعظام وقوله عز وجل
ليا بالسنتهم اي كانوا يلوون السنتهم بالسب والتعيير والطعن في الدين واللي في اللغة الفتل
يقال لويت العود اذا فتلته ولويت الغريم اذا ماطلته لان ذلك يفتله وقوله عز وجل ولو انهم قالوا

سمعنا واطعنا معناه لو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك لان مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا واسمع وانظرنا اسمع قولك وتفهم كلامك مكان قولهم واسمع غير مسمع لكان خيرا لهم في الدين واصوب مما يقولون ولكن لعنهم الله خذلهم وابعدهم من رحمته مجازاة لكفرهم فلا يومنون الا ايمانا قليلا لا يعتد به ان يسموا به مومنين وقيل لا يومنون الا قليلا منهم وهم عبد الله بن سلام ومن تابعه قوله عز وجل

يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا

معناه يا ايها الذين اعطوا علم التورية صدقوا بهذا القرآن الذي انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لما معكم من التوراة من قبل ان نمحو آثار الوجوه عنها اي بخسف العين والانف وغير ذلك من آثار الوجوه فنحولها الى الاقفية فيمشون القهقرى ورواية لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله ابن سلام من الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت اري ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وقيل معنى نردها على ادبارها نجعل وجوههم على هيئة اقفيتهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما مسخنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا قضاؤه كائنا لا شك فيه فان قيل كيف قال الله عز وجل من قبل ان نطمس وجوها واوعدهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ثم لم يومنوا ولم يقع الطمس قيل يحتمل ان يكون هذا وعيدا لهم على ترك جميعهم الاسلام وقد آمن منهم جماعة بعد هذه الاية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبة واسيد بن ثعلبة واسيد بن عبيد وغيرهم ويحتمل ان يكون المراد بالاية الطمس في الاخرة وسيفعل الله ذلك بهم في الاخرة ويقال قبل الشي لا يقتضي وجود ذلك الشي لا محالة كما في قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ولهذا قالوا ان من قال لامراته انت طالق قبل قدوم زيد انها تطلق في الحال قدم زيد او لم يقدم وذهب الحسن رحمه الله الى معنى من قبل ان نطمس وجوها نصرف وجوه القلوب عن الهدى ونردها الى الضلالة الدائمة مجازاة لما هم عليه من العناد فيضلون ضلالا لا يومنون معه ابدا قوله عز وجل

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

قال عبد الله بن عباس لما قتل الناس يوم احد وقد جعل لوحشي ان هو قتل حمزة ان يعتق فلم يوف له فلما قدم مكة ندم على صنيعه الذي صنعه هو واصحابه معه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا من الدخول معك الا انا سمعناك تقول اذ كنت عندنا بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله عز وجل ويخلد فيه مهانا وقد دعونا مع الله الها آخر وزنينا وقتلنا النفس فلولا هذه الاية لاتبعناك فنزل الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية الى وحشي واصحابه فلما قرؤه كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الاية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية فبعث بها اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوها اوسع مما كان قبلها فدخل هو واصحابه في الاسلام فقال عليه السلام لوحشي كيف قتلت حمزة فاخبره فقال غيب وجهك عني فاني لا اقدر على النظر اليك فلحق بالشام وفي خلطه الخمر وروي عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كان اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا له انه من اهل النار حتى نزلت قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن هذه الشهادات وقيل ان هذه الاية مستثناة على جميع ما في

القرآن

القرآن من الوعيد ومعنى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يغفر ما دون الشرك من الذنوب كلها لمن سبقت له المشية بالمغفرة من الله تعالى يغفرها له بفضله ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله وفي هذا ابطال قول من يقول ان في الوعيد يغفر ان المعاصي احبط اعمالا دائما يكون الاغراء بالقطع على غفرانها واما الارجا على غفرانها بالمشية لم يكن في ذلك اغراء بها ولكنه يوقف العبد بين الخوف والرجا وهكذا يجب ان يكون صفة المومن ولا يصح قول من يقول انه لا يصح ان الله تعالى يغفر المعصية لبعضهم دون بعض لان فيه محاباة وليس من الله تعالى ولا من احد ما يوجب المحاباة وذلك ان الله عز وجل يتفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على الانسان ولا يتفضل على غيره بمثل ذلك ومعنى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي من يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا عظيما غير مغفور له والافترا والاختلاق متقاربان في المعنى الا ان معنى افترى قطع كذبا وهو افتعال من الفرية وهي القول الزور واصلها من قولهم فرى الاديم اذا قطعه ومعنى اختلق اي قدر كذبا من الخلق الذي هو التقدير قوله عز وجل

الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في بحري بن عمرو ومرحب بن زيد اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما طائفة من اليهود باطفالهم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم هل على اولادنا هولاء من ذنب قال لا فقالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فهولاء الذين زكوا انفسهم برؤها من الذنوب وزعموا انهم ازكيا يقول الله عز وجل بل الله يزكي من يشاء وفي الاية بيان ان الله عز وجل لا يزكي احدا من غير استحقاق وانما يزكي بما توجب الحكمة التزكية له لانه لا يختار احدا من دون استحقاق التزكية ومعنى ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون من جزاء ما يستحقونه قدر الفتيل والفتيل ما يفتل بين اصبعيك من الوسخ اذا مسحت احديهما بالاخرى وقال الحسن رحمه الله الفتيل ما في بطن النواة وشقها من لحائها والنقير النقرة التي تكون في ظهر النواة والقطمير ما التف عليها من لحائها قوله عز وجل

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا

معناه انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يختلق اليهود على الله الكذب وكفى بما يفعلونه اثما بينا اي كفى هو في الاثام وهذا اللفظ انما يستعمل على جهة المبالغة كما يقال كفى بفلان لك صديقا وكفى بفلان لك عدوا قوله عز وجل

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ركب كعب بن الاشرف في سبعين راكبا من اليهود فيهم حيي بن اخطب وجدي بن اخطب ومالك ابن الصيف وغيرهم فاتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله ففعلوا فقال ابو سفيان ويحكم يا معشر اهل الكتاب انشدكم بالله اينا اقرب الى الهدى والحق انحن ام محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فانا نعمر هذا المسجد ونسقي الحاج ونفادي الاسير ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد صلى الله عليه وسلم قطع ارحامنا واتبعه شرار الحجيج بني غفار فنحن اهدى ام هو فقالت اليهود لا بل انتم اهدى منهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها الم تخبر يا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الم ينته علمك الى الذين اعطوا نصيبا من الكتاب اي علما بالتورية وما فيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وقيل الجبت الكهنة والطاغوت الشياطين وقيل الجبت الصنم والطاغوت مترجم الصنم لهم عن الصنم على لسانه وقيل الجبت كلمة

شبكة الألوكة www.alukah.net

الحبشة والطاغوت بلغة العربية وهذا لا يصح لا ان يكون لغة العرب موافقة للغة الحبشة في ذلك
وقال اهل اللغة كل معبود سوى الله تعالى فهو جبت وطاغوت وهذا غير خارج عن اقاويل اهل التفسير
ومعنى ويقولون للذين كفروا اي اليهود يقولون للمشركين انتم يا هولاء اصوب دينا وطريقا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا بيان شدة عناد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان المسلمين
كانوا يصدقون بكثير مما كانوا عليه اليهود والمشركون كانوا لا يصدقون باصل دين اليهود فزعم اليهود
ان الذين لم يصدقوا بشي من الكتب وعبدوا الاصنام اهدى طريقا من الذين يصدقونهم في كتبهم المنزلة من الله
عز وجل قوله اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا معناه
اولئك الذين خذلهم الله وابعدهم من رحمته ومن يبعده الله من رحمته فلن تجد له مانعا يدفع عذاب
الله تعالى عنه ويقال معنى فلن تجد له نصيرا اي لا تجد ينصره غير الله مع خذلان الله عز وجل
ولا تجد كان اولياوهم بنصر ونفعهم قوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون
الناس نقيرا وذلك ان اليهود كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا على غاية البخل فقال
الله عز وجل ام لهم نصيب من الملك وهذا تلته معان احدها ان ام تكون معادلة فترجع الى الالف
في الريب الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب والثاني ان تكون معادلة لالف مقدرة كانه قال
الهم نصيب من النبوة ام لهم نصيب من الملك والثالث ان تكون منقطعة ومعناها الهم
نصيب من الملك كما في قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه
ومعنى فاذا لا يوتون الناس نقيرا لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا الناس مقدار النقير
وهذا على طريق التمثيل اي انهم يبخلون بالقليل الذي لا شي اقل منه وقوله عز وجل لا يوتون في
موضع نصب كما يقول الرجل لاخر انا اكرمك فيجيبه اذا اكرمك بنصب الميم تقديره اذا اكرمني
فعلي ان اكرمك وقال بعضهم النقير ما تنقره باصبعك من درهم او غيره ماخوذ من النقر وهو النكت
ومنه سمي المنقار منقارا لانه ينكت في الارض ويسمى الصوت نقيرا لانه ينكت فيه بالصوت قوله عز
وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما معناه بل يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على ما
اعطاه الله تعالى من النبوة ويقال حسدته اليهود على ما احل الله تعالى له من النساء وقالوا لو كان نبيا
لشغلته النبوة عن النساء وقال قتادة اراد بالناس العرب بان جعل الله تعالى النبوة فيهم ومعنى
فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة فقد كانت النبوة والكتاب في اله وهم ال ابرهيم عليه
السلام وقوله عليه السلام وقوله عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو سليمن بن داود عليهما السلام وكان لسليمن سبعمائة امراة مهرية وثلثمائة سرية وكان لداود عليه
السلام مائة امراة والحكمة في كثرة تزويج الانبيا صلوات الله عليهم والله اعلم ان الذي لا يتحرج
بالنظر الى ما لا يحل له كانت شهوته اغلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان
تزنيان والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه قوله عز وجل فمنهم من امن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا معناه من اليهود من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من اعرض
عن الايمان به ويقال معناه منهم من امن بهذا الخبر عن داود وسليمن عليهما السلام فيما اعطيا من الله
عز وجل ومنهم من كذب وكفى بجهنم سعيرا وقودا لمن كفر به اي ان صرف الله عز وجل عن اليهود بعض
العذاب في الدنيا مثل طمس الوجوه ونحوه فان بعضهم فقد اعتد لهم عذاب جهنم في الاخرة
قوله عز وجل ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما معناه ان الذين كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران سوف ندخلهم نارا ويقال معنى سوف نصليهم نشويهم من قولهم
شاة مصلية اي مشوية ومعنى كلما نضجت جلودهم كلما احترقت جلودهم جددنا لهم جلودا
غيرها بيضا كالقراطيس وذلك انهم كلما احترقوا خبت عنهم النار ساعة ثم يزيد سعيرا ويبدلوا
خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار تحرقهم فهذا دابهم فيها ابدا قال الحسن رضي الله عنه
بلغني انها تنضج كل يوم سبعين الف مرة وفي قوله عز وجل ليذوقوا العذاب بيان ان العذاب يكون
كالمبتدا عليهم في كل حال لا كمن يستمر به الشي فان الذي يستمر به الشي ان كان ذلك الالم لم يجد في الحالة
الثانية مثل ما وجد في الاولى وان كان لما فاته بالفة ولا يكون حاله كحال من يحل به ذلك في الابتدا
ومعنى ان الله كان عزيزا حكيما عالما في امره لا يملك احد منعه من انزال وعيده واحكمه فيما حكم
للكفار من النار وقد طعنت الزنادقة في تبديل جلود المذنبين وقالوا في هذا تبديل الجلد الذي اذنب
وعصى بالجلد الذي لم يكن اذنب وهذا خطا منهم وغلط لان الجلد الثاني هو الاول لكن جدده الله عز وجل
ويعيده الى الحالة الاولى فيكون الجلود جلدا واحدا والاحوال عليها متغايرة كما يقول الرجل صنعت من
خاتمي خاتما اخر فهو وان غير الصوغ فاصل الفضة واحدة وكما ان الانسان اذا اتخذ من القميص قباء
فقد يقول له غيره حين تغير لباسك الاول وليس انما الجلد بعد النضج الا كانشا الجلد الذي بلي بالعفن
وذهب بعض المتكلمين الى ان الانسان هو الروح اللابس لهذا البدن وليس الجلد بالم وانما يالم الانسان
الذي كان في الشخص بسبب الجلد الثاني والثالث كما بالم الجلد الاول وقال بعضهم اراد بالجلود السرابيل
وهذا لا يصح لان القميص لا تسمى جلودا ولان النضج انما يستعمل في الجلد واللحم دون الثياب والاصح هو
الجواب الاول كثيرا بين الله عز وجل مصير المومنين فقال عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا معناه والذين صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم
سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها مياه الانهار مقيمين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة في الخلق وندخلهم ظلا دايما وهو ظل الاشجار والقصور ظلا لا حر معه ولا برد وليس
كل ظل يكون ظليلا واسم الظل يقع على ما وقعت عليه الشمس وما لا تقع عليه الشمس ولا يكون
الفي الا ما تقع عليه الشمس وفي الخبر المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام فلا يقطعه وهي شجرة الخلد قوله عز وجل ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا روى عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة اتى البيت ليدخله فسال
عن المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة فارسل اليه فاتاه فقال هات المفتاح فقال عمه العباس بن عبد
المطلب بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لي السدانة مع السقاية فقبض عثمان
يده مخافة ان ياخذه منه فيدفعه الى عمه العباس فقال عليه السلام هات المفتاح يا عثمان فمد
يده ليعطيه فاعاد العباس مقالته فقبض عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن
بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فلم يجد من دفعه بدا عند ذلك فقال هاك الامانة يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بامانة الله عز وجل فاخذ عليه السلام المفتاح ففتح الباب فلما اراد ان يدخل البيت اذ هو بصورة
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والكبش في الحائط واذا الاصنام في ايديهما فقال قاتل الله المشركين ما لابرهيم

الألوكة www.alukah.net

والقداح فامر بالصور فمحيت بالما ومكث في البيت ما شا الله ان يمكث فلما خرج وطاف بالبيت ثلثة اشواط او اربعة اشواط نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الاية ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها فدعى عثمن بن طلحة فدفع اليه المفتاح وقرا عليه الاية فصارت الاية عامة للناس كلهم ولما هاجر عثمن الى المدينة دفع المفتاح الى اخيه شيبة فهو في عثمن وصار المفتاح في ولد شيبة الى اليوم كان اهل السير ذلك المفتاح كان امنه بعد فتح مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له نقله من بدعتى الى غيره فكيف بعد ذلك فيما يلزم رده من الامانات وقيل اذا كان في يدكن بوقوعه بامانته وامانته وكان اهلا لذلك لم يمتنع ان يلزم اقرار بعد الفتح كما يلزم اقرار المرء على نفسه وماله اذا اسلم على ذلك فيدخل هذا في جملة الاية واما قوله عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فهو خطاب للائمة ومعناه ويامركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل او بالحق وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به اى نعم الذى يامركم الله عز وجل به من اداء الامانة والحكم بالحق ان الله كان سميعا لمقالة العباد بصيرا بامانة عمر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا معناه يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى اطيعوا الله فيما امر واطيعوا الرسول فيما بين وقيل اطيعوا الله في الفرايض والرسول في السنة واما قوله واولي الامر منكم روى عن ابن عباس وجابر وجماعة من التابعين انهم الفقها والعلما في الدين وعن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول ابي هريرة ان اولي الامر ولاة المسلمين وقال الكلبي ومقاتل هم امرا السرايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية امر عليهم وامرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه ولا تنافي بين القولين لجواز انهما مرادان بالاية لان الامرا يلون امر تدبير الجيوش وقتال العدو والعلما يلون حفظ الشريعة وما يجوز وما لا يجوز فامر الله تعالى الناس بطاعتهم والقبول منهم ما داموا عدولا مرضيين وعن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال حق الامام ان يحكم بالعدل ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك وجب على المسلمين ان يطيعوه لان الله عز وجل امرهم باداء الامانة والعدل ثم امر الناس بطاعتهم وبهذا استدل بعض المفسرين على ان الاظهر من الاية ان المراد بها العلما لان امر الامرا انما تجب طاعتهم من حيث امر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وامرهم لا لامر يرجع اليهم واما العلما اذا استدلوا من الكتاب والسنة او اجمعوا في حادثة من الحوادث على شيء فان ذلك يضاف اليهم وصار وافيه منزلة الكتاب والسنة وفي قوله عز وجل فان تنازعتم في شيء دليل على ان معناه ان اختلفتم في شيء من الحلال والحرام والشرايع والاحكام ردوه الى ادلة الله تعالى والى ادلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الرد لا يكون الا بالاستدلال والاستخراج من القياس لان الموجود في نص الكتاب اذا علم وعمل به لا يوصف بانه رد الى الكتاب وانما يقال هو اتباع للنص وعند اهل الاصول كيفية الرد الى الكتاب والسنة والى دلائل احكام الحوادث وفي قوله عز وجل ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر بيان ان القصد للخلاف كفر وان الايمان اتباع الكتاب والسنة والاجماع وهذه الاية جامعة لبيان اصول الفقه ومعنى ذلك خير واحسن تاويلا رد الاختلاف الى الله عز وجل والرسول خير من الاصرار على الاختلاف واحسن عاقبة لكم وقيل احسن تاويلا من تاويلكم الذي تتاولونه من غير رد الى الكتاب والسنة وعن عمر رضي الله عنه انه قال الرجوع الى الحق خير من التمادي بالباطل قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا معناه الم تخبر يا محمد عن الذين يزعمون انهم صدقوا بالقران الذي انزل اليك وبما انزل من قبلك من الكتب وهم

ذكره

من ثم

المنافقون

المنافقون يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى كعب بن الاشرف وكان يسمى الطاغوت وقد امروا في كتاب الله عز وجل ان يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان ان يضلهم عن الهدى ضلالا بعيدا عن الحق وذلك انه كان بين رجل من المنافقين وبين يهودي خصومة وكانت تلك الخصومة في حكم الاسلام على المنافق وفي حكم اليهود على اليهودي فقال اليهودي للمنافق انطلق بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم ليخاصمك وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك جا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصما اليه فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال لا ارضى بيني وبينك ابو بكر فحكم ابو بكر رضي الله عنه لليهودي فقال بيني وبينك عمر رضي الله عنه فصارا الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي اني اختصمت انا وهذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمني اليك فجئت معه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما رويدا حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخرج السيف ثم خرج اليهما وضرب به المنافق حتى برد وذهب اليهودي هاربا فشكى اهل المنافق عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم انت الفاروق قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا قال ابن عباس رضي الله عنهما اختصم الزبير بن العوام وثعلبة بن حاطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر بينهما فقضى للزبير فجاء رجل عنده وقيل على المقداد بن الاسود وهو رجل من فقال لمن كان القضا فقال لثعلبة فقال قضى لابن عمته الزبير ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتظنون تهمة ثم يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا في حيوة موسى بن عمران فقال لنا اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا في طاعة الله عز وجل سبعين الفا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس وكان معهم اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله عز وجل في شان ثعلبة ولية شدقه واذا قيل لهم تعالوا اي قيل للمنافقين هلموا الى التحاكم الى ما امر الله عز وجل في كتابه والى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينكم رايت المنافقين يعرضون عن حكمك اعراضا والصدود في اللغة هو الاعراض يقال صد يصد صدودا اذا اعرض عنه وصد يصد صدا اذا صرف غيره عن الشيء والله اعلم قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا معناه والله اعلم فكيف صنعهم من ندم او جزاء وقيل كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة بقتل صاحبهم وظهر نفاقهم بما فعلوا من رد حكم النبي صلى الله عليه وسلم ولي الشدق ثم جاءوك معتذرين يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا تسهيلا عليك كيلا تستثقل خصومنا وتوفيقا بين الخصوم بالتماس ما يقرب التوسط دون الحمل على مر الحكم وقيل معناه ما اردنا بالمحاكمة الى كعب بن الاشرف الا احسانا الا احسانا الى من يحل الان وتوفيقا بين المسلمين والكفار يقول الله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا معناه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والله عز وجل يعلم ما في قلوب الناس انهم منافقون وانهم لا يغنيهم كتمانهم مع علم الله تعالى ذلك منهم وقوله عز وجل فاعرض عنهم اي اعرض عن عقوبتهم في الدنيا وقيل اعرض عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك بلسانك و اعلمهم انهم ان عادوا الى مثل ذلك عمهم العقوبة والقتل ومعنى القول البليغ ان يبلغ صاحبه بعبارته كنه ما في قلبه يقال بلغ الرجل بلغ بلاغة فهو بليغ وبلغ القول فهو بليغ اذا بلغ الغرض البارع قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما معناه وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع ذلك الرسول بامر الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بمطالبة الحكم الى الطاغوت
جاؤك ايها الرسول فاستغفروا الله وتابوا اليه واستغفر لهم الرسول بعد ذلك لوجدوا الله قابلا
للتوبة رحيما بهم بعد التوبة قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما معناه ليس الامر كما يزعم المنافقون انهم على ذكر
نفسه فقال عز من قائل فلا وربك لا يؤمنون لا يستحقون اسم الايمان ولا يكونون مؤمنين عند الله تعالى
حتى يحكموك فيما وقع بينهم من الاختلاف بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي لا يضيق صدورهم من قضيتك
ويقال لا يجدوا في انفسهم شكا في حكمك ويسلموا تسليما انقيادا للحكم وقضائك انقيادا وفي الاية
دلالة ان من لم يرض بحكم واحد من احكام الله عز وجل او شك في اية من اياته كان ذلك كفرا منه ولذلك
حكمت الصحابة بارتداد من امتنع من اداء الزكاة وقتلهم وسبى ذراريهم وقال بعضهم معنى تكرار لا في اول
هذه الاية تاكيدا للنفي ومثله يستعمل في كلام الناس والمشاجرة في اللغة المخاصمة اخذت من الشجر
لتشبكها المخصومة في دخول بعض الكلام في بعض كالاشجار في التفاف بعضها الى بعض قوله
عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا نزلت في قول ثابت
بن قيس اما والله ان الله تعالى ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت وكان
ثابت من القليل الذين استثناهم الله عز وجل في الاية ومعنى الاية لو انا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني اسرائيل
ان اقتلوا انفسكم وامرناهم ان يخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم ولم يفعله الا قليل منهم مع علمه بوجوب
ذلك عليهم ورفع القليل على البدل من الواو والمعنى ما فعله الا قليل منهم ومن قرا قليلا بالنصب كان نصبا
على الاستثناء على معنى استثني قليلا منهم قالوا وانما يجوز هذا في النفي فاما في الاثبات فلا يجوز فعلوه الا
قليل منهم بالرفع لان الفعل لا يكون مضافا الى القليل ولا يكون القليل بدلا من الواو قال الله عز وجل فشربوا
منه الا قليلا منهم واما حرف لو في اول هذه الاية فهو موضوع في اللغة ليمتنع به الشيء لامتناع غيره
تقول لو جاءني زيد لجئته تريد بذلك ان مجيئي امتنع لامتناع مجيء زيد وحق لو ان يليها الفعل الا ان ان
الشديدة يقع بعدها لان ان في اللغة تنوب عن الاسم والخبر تقول ظننت انك عالم اي ظننتك عالما
وظننت علمك وكذلك تنوب عن الاسم والفعل كما نابت عن الاسم والخبر فالمعنى في لو انا كتبنا
عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم واما قوله عز وجل ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا ففيه اربعة اوجه
احدها ضم النون في ان والواو في او لانهما اذا حركتا الى الكسر وقع خروج من الكسر الى الضم وليس في كلامهم
فعل فاستثقلوا ذلك فضموها والثاني كسرهما جميعا لالتقاء الساكنين والثالث كسر الاولى وضم الثانية
لان الكسرة في الواو مستثقلة والرابع بضم الاولى وكسر الثانية وهو ضعيف لان في الواو ثقلا وفي الضمة
ثقلا اخر فعدل عن الضمة الى الكسرة واما قوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به فمعناه لو فعل
المنافقون ما يؤمرون به من الرضى بحكمك لكان خيرا لهم من المحاكمة الى غيرك واشد تثبيتا لقلوبهم
على الصواب لان الحق يبقى والباطل يذهب ويتلاشى ويقال معنى التثبيت البصيرة تؤدي الى سكون النفس
واعتقاد الجهل يؤدي الى الحيرة والشك قوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
اي اذا لو فعلوا ما امروا به لاعطيناهم من عندنا ثوابا جزيلا في الجنة يصغر عنده كل ما سواه قوله عز وجل
ولهديناهم صراطا مستقيما قال بعضهم ولفعلنا بهم من اللطف ومن الطاعات ما يلزمون به
الصراط المستقيم كما قال الله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم ولهديناهم في الاخرة

الى طريق الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا معناه من يطع الله والرسول فيما
يدعوا اليه ويامر به فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير وجهه ولونه ونحل جسمه فقال عليه
السلام ما غير لونك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي من مرض ولا وجع غير اني لم ارك فاشتقت
اليك واستوحشت فذكرت الذي نزل بي من اجل ذلك واذكر الاخرة واخاف ان لا اراك هنالك فانك
ترفع مع النبيين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون
احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين واما قوله والصديقين فهم اصحاب الصدق
والصديق افضل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسمى المداوم على التصديق بما يوجبه الحق صديقا
ويقال في معنى الصديق المصدق في اعماله واما الشهداء فهم الذين استشهدوا في سبيل الله ويقال
سموا شهداء لقيامهم بشهادة الحق وهذا هو معنى دعاء المؤمنين اللهم ارزقنا الشهادة وانما يقال
للمقتول في الحرب شهيدا على التشبيه بالشهيد لشهوده ما يسالهم ويصبرون عليه واما الصالحون فهم
الذين استقامت احوالهم بحسن اعمالهم والصالح هو المقوم لحسن عمله ولهذا يجوز وصف الله تعالى
بالمصلح ولا يجوز بالصالح لانه يقوم بتدبير عباده فان قيل كيف يكون المطيعون لله سبحانه والرسول
صلى الله عليه وسلم مع النبيين ودرجة الانبياء في الجنة في اعلى عليين قيل ان الانبياء عليهم السلام وان
كانوا في الجنة في اعلى عليين فان غيرهم من المؤمنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برؤيتهم
فيصلح في اللفظ ان يقال انهم معهم واما قوله وحسن اولئك رفيقا فمعناه حسن الانبياء ومن معهم
رفقاء في الجنة او ما احسن رفقتهم فيها فذكر الرفيق بذكر التوحيد لانه نصب على التمييز كما في قوله عز
وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وكما يقال فلان احسن الظن قوما ويجوز ان يكون معنى حسن
اولئك حسن كل واحد من اولئك رفيقا كما قال الله عز وجل ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا وفي
اصل الرفيق في اللغة ان يرافق صاحبه في المنزل او السفر ماخوذ من الرفق في الامر قوله عز وجل
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما معناه ذلك المن من الله على المطيعين وكفى بالله عليما بهم وباعمالهم
ومجازاتهم بما يستحقونه من ثواب وكرامة والفضل اصل في اللغة هو الزيادة على المقدار الا انه كثر
استعماله في النفع وافعال الله عز وجل كلها فضل وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار
ما يستحقه من عمله كما يفعل الناس بل يزيده زيادة كثيرة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
فانفروا ثبات او انفروا جميعا معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا الله ورسوله خذوا حذركم من
عدوكم بالاسلحة والدواب والرجال ولا تخرجوا متفرقين ولكن انفروا جماعات جماعات سرية
سرية كما يامركم النبي صلى الله عليه وسلم لجهاد عدوكم او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم
ان اراد الخروج ويجوز ان يكون معنى الحذر السلاح مما يطلب به الحذر والتقوى وفي اللغة النفر
يقال نفر ينفر نفورا ونفر الى الله عز وجل اذا فزع اليه والنفر الجماعة التي تفزع الى مثلها وواحد الثبات
ثبة وتجمع ثبة ثبون وانما جمعت بالواو والنون لان الواو والنون جعلتا عوضا من حذف الحرف
وتصغير ثبة ثبية وكذلك عزة وعضة كما قال الله عز وجل عضين وعزين وثبة الحوض وسطه
حيث يثوب الماء واشتقاق الثبة من قولهم ثبيت على فلان اذا جمعت ذكر محاسنه قوله عز وجل
وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا معناه وان منكم

الألوكة www.alukah.net

اظهر الايمان ليتثاقلن على الجهاد ويتخلفن وهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واصحابهما من المنافقين الذين
كانوا يشاركون المسلمين في ظاهر الاسلام كانوا ينتظرون هلاك المسلمين وهزيمتهم ويتثاقلون عن الجهاد
يقال ابطأ الرجل اذا تأخر عن العمل باطالة المدة وبطأ الرجل اذا ثقل واللام التي في لمن لام ان واللام التي
في ليبطئن لام القسم كانه قال وان منكم لمن احلف والله ليبطئن ومعنى فان اصابتكم مصيبة اي ان اصابكم
نكبة او قتل او هزيمة قال هذا المبطئ قد منّ الله علي اذ لم اكن معهم حاضرا فيصيبني ما اصابهم
قوله عز وجل ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما معناه ولئن اصابكم معشر المؤمنين ظفر ودولة وغنيمة ليقولن هذا المبطئ
يا ليتني كنت معهم في الغزو فاصيب حظا وافرا وغنائم كثيرة واما قوله عز وجل كان لم تكن بينكم وبينه مودة
قال بعضهم هو معترض بين التمني وما قبله وتقديره ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما كان لم تكن بينكم وبينه مودة اي تمنى ان ينال المال من غير ان يريد الجهاد والقتال
ويعود قول الممنوع عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان ممتنعا بنفسه ويجوز على هذا التاويل
حمل الاية على النظم الذي ورد الكتاب به وقال بعضهم موضع قوله كان لم تكن بينكم وبينه سابق
على هذه الاية وهو متصل بقوله تعالى قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اي صلة في الدين ومعرفة في الصحبة كانه لم يعاقدكم على ان يجاهد معكم ثم امر الله عز وجل كل
من عقد عقد الايمان بالقتال فقال عز وجل فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما معناه ليقاتل في سبيل
الله ورضاه الذين يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة وهم المؤمنون ويقال قوله عز وجل فليقاتل
خطاب للمبطئين ومعنى يشرون الحيوة الدنيا يختارون الحيوة الدنيا على الاخرة وهذا اللفظ من
الاضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت ثم ذكر الله تعالى المجاهدين في الاخرة
فقال عز من قائل ومن يقاتل في سبيل الله اي في الجهاد الذي هو طاعة الله فيقتل هو او يغلب ويظفر
على العدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا في الجنة وسمى الله الثواب عظيما لانه جل كرمه
تام من العبد على الايمان وقد يكون ثمن الشيء مثله ويكون وسطا من الايمان وفي الاية بيان ان المؤمن
اذا غلب العدو لا ينتقص ثوابه عند غلبته على ما اصاب من الظفر والغنيمة ونظير هذه الاية
قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني الظفر في الدنيا والشهادة في الاخرة قوله عز
وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
معناه اي شيء لكم ايها المؤمنون في ترك الجهاد واجتماع الاسباب الموجبة الحرص عليه وقوله لا تقاتلون
في موضع النصب على الحال كانه ما لكم تاركين القتال كما قال الله عز وجل في اية اخرى فما لهم عن
التذكرة معرضين وقوله تعالى والمستضعفين في موضع الخفض باضمار في ومعناه وفي شان
المستضعفين او في نصرة المستضعفين ويجوز ان يكون معناه وعن المستضعفين اي الذب عن
عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة ويلقون فيها اذى كثيرا من المشركين
وهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وغيرهم كانوا اسلموا بمكة فاراد عشايرهم
من اهل مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ان يفتنوهم عن الاسلام يقول الله عز وجل
ما لكم لا تقاتلون المشركين في خلاص هؤلاء الضعفاء الذين يسالون الله عز وجل ويقولون ربنا اخرجنا
اي خلصنا من هذه القرية يعنون مكة الظالم اهلها الكافر اهلها واجعل لنا ربنا من عندك حافظا

يحفظنا

يحفظنا من اذاهم واجعل لنا من عندك مانعا يمنعنا منهم فاستجاب الله تعالى دعاءهم وجعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم حافظا وناصرا فتح مكة على يديه واستعمل هو عليهم عتاب بن اسيد
فكان عتاب بن اسيد ينصف الضعيف من الشديد وذهب الزجاج الى ان الظالم وهذه الاية
نعت للقرية قال وانما وحد الظالم لانه صفة تقع موقع الفعل تقول مررت بالقرية الصالح
اهلها تريد بذلك التي صلح اهلها وقال الفراء هو نعت للاهل فلما عاد الاهل على القرية كان فعل ما
اضيف اليها بمنزلة فعلها كما تقول مررت بالرجل الواسع داره والحسن شانه ونحو ذلك
قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا في الاية بيان ان المؤمنين يقاتلون عن بصيرة
والكفار يقاتلون عن شبهة ومن يقاتل عن بصيرة يكون اقوى قلبا واشد واقرب الى النصر ممن
يقاتل عن شبهة لان شدة الحرص على القتال تقوى بالبصيرة ومعنى الاية الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران يقاتلون في طاعة الله بامر الله والذين كفروا ابو سفيان واصحابه يقاتلون في
طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المؤمنون قرنا الشيطان ان مكر الشيطان وصنيعه بالوسوسة
الى اوليائه ان الظفر يكون لهم كيد ضعيف وانما دخل على هذا اللفظ كان ليتبين ان صفة
الضعف لازمة له وانه منذ كان ضعيفا يخذل اولياءه كما خذلهم يوم بدر حيث قال لهم اني
بريء منكم اني ارى ما لا ترون قوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
قال ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم نزلت هذه الاية في قوم من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد
بن الاسود وغيرهم استاذنوا من النبي صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين كانوا بمكة فامرهم حين . قبل الهجرة .
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف وقال اني لم اومر بقتالهم بعد وفي رواية الروايات كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لو اذنت لنا ان نعمل معاول نقاتل بها المشركين فقال صلى
الله عليه وسلم كفوا ايديكم عن المشركين عن ضربهم وقتالهم واقيموا الصلوة اتموا الصلوات
الخمس بمواقيتها واعطوا زكوة اموالكم يقول الله عز وجل فلما فرض الله عليهم بالمدينة الجهاد اذا
فريق منهم طائفة منهم وجماعة يخشون الناس يخافون قتال اهل مكة كخوفهم من عذاب الله بل
اشد خوفا منهم من خوفهم من الله وكلمة او في هذا الموضع لابهام الامر على المخاطب لا للشك اذ
الشك لا يجوز على الله سبحانه وهذا كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز
ان يكون او في هذا للتخيير والاباحة كقولك جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت خشيتهم من الناس
بخشيتهم من الله كنت مصيبا فان شبهتها باشد من ذلك كنت مصيبا لان خشيتهم من الناس قد
بلغت مبلغ خشيتهم من الله وزيادة واما قوله عز وجل وقالوا ربنا اي فقالوا يا ربنا لم اوجبت علينا
الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنون الموت قال الحسن رضي الله عنه لم يقولوا هذا كراهة امر الله
ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك كما يدخل الجبن على الرجل وقال بعضهم انما قالوا هذا لانهم ركنوا الى
الدنيا واثروا نعيمها على القتال واما قوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه
وسلم منفعة الدنيا يسير منقطع وتفنى الجديد منها الى البلى والشباب منها الى الهرم والانقضا
وانما قل نعمة منها من يطلبها ويفرح بها ويرغب اليها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

www.alukah.net

انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها واما قوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى فمعناه وثواب الاخرة خير وافضل لمن اتقى المعاصي ولا تظلمون من اعمالكم من الجزاء الذي تستحقون مقدار الفتيل نقيرا ولا تظلمون مالنا على المحاطة وقد تقدم تفسير الفتيل وبالله التوفيق قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا معنى الاية والله اعلم اينما تكونوا معشر المؤمنين المخلصين والمنافقين في بر او بحر او حضر او سفر يدرككم الموت وان كنتم في حصون حصينة محكمة من الحديد وغيره مرتفعة الى عنان السماء اي انكم وان شويتم وامرتم بترك القتال فان اجالكم اذا جاءت موت لا تحزنون منه وذهب [illegible] الى ان البروج قصور باعيانها في السماء ويقال هي الابنية على رؤوس السور وهي في الجملة ماخوذة من الظهور يقال تبرجت المراة اذا اظهرت زينتها ومنه البرج سعة العين رجل ابرج اذا كان واسع العين واما المشيدة فيجوز ان يكون معناها من التشييد وهو الحصن ويجوز ان يكون معناها المطولة المرتفعة شاد الرجل بناءه يشيد شيدا وشادا اذا رفعه وطلاه بالشيد فاما في الذكر فيقال اشدت بذكر فلان لا غير اذا رفعت من ذكره واما قوله عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من الله فهو حكاية قول المنافقين واليهود كانوا يقولون ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة وذلك قوله عز وجل وان تصبهم حسنة اي يصبهم خصب ورخص سعر وتتابع امطار يقولوا هذه من فضل الله علينا وان تصبهم قحط وجدوبة وشدة وغلاء سعر يقولوا هذه من شؤم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كما قال الله عز وجل في شان موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه يقول الله عز وجل قل كل من عند الله اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم الحسنة والسيئة كلها بقضاء الله وتقديره فما لهؤلاء المنافقين واليهود لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى والفقه في اصل الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الفتوى واستدل بعض المفسرين على ان المراد بقوله عز وجل من قبل اذا فريق منهم يخشون الناس المنافقون دون المخلصين وقال الحسن رضي الله عنه المراد بالحسنة في هذه الاية الظفر والغنيمة وبالسيئة القتل والهزيمة كانوا اذا غلبوا قالوا هذه رضي الله من عند الله واذا غلبهم العدو قالوا هذه خطاؤك وتدبيرك قوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا اختلف المفسرون في المخاطب بهذه الاية فالاكثرون هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها عامة الناس كما قال عز من قائل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقال ابن قتادة المخاطب بها وبالمراد هذه الاية الانسان كانه قيل ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي خصب ورخص سعر وغنيمة فالله عز وجل هداك اليها واعانك ووفقك عليه وما اصابك من قحط وجدوبة ونكبة وهزيمة وكل امر تكرهه فمن نفسك اي اصابك ذلك بما كسبت تقتضاه عليك كما قال جل ذكره في اية اخرى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من خدشة عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عز وجل اكثر وقال بعض المفسرين بين هذه الاية وبين التي قبلها اضمار تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانه يستحيل ان يامر الله عز وجل باضافة الحسنة والسيئة الى امره وقضائه وفي اية لم يبلوها بانه يفرق بينهما بعد ان ذم قوما على التفرقة في الاولى فكيف يجوز ان يذم على الجمع في الاية الثانية ومثل هذا الاضمار كثير وقرئ في الشواذ فمن نفسك اي الكل من الله فمن انت

ونفسك

ونفسك حتى يضاف اليك شئ غير ان القراءة سنة متبعة فلا يقرا الا بما نص به الرواية فاما قوله عز وجل وارسلناك للناس رسولا فمعناه من نعمة الله تعالى عليك ارسالنا اياك رسولا اليهم وكفى بالله شهيدا اي شاهدا لك بالرسالة والصدق ويقال يشهد على مقالة القوم ان الحسنة من الله والسيئة من عندك قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في المنافقين كانوا يقولون يا رسول الله صلى الله عليك وسلم امرك طاعة فمرنا بما شئت نفعله فاذا امرهم بالامر او نهاهم عن الشيء خالفوه وغيروا ما قال لهم فانزل الله تعالى هذه الاية وما بعدها فيهم ومعنى الاية من يطع الرسول فيما يامره وينهاه فقد اطاع الله لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر بما امر من عند الله ومن تولى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا اي ليس عليك الا البلاغ وما ارسلناك عليهم مسلطا تجبرهم على الايمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فانك مبلغ وانا العالم باسرارهم وهذه الكلمة من اخر هذه الاية منسوخة نسختها اية السيف قوله عز وجل ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا معناه ان المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم امرك طاعة وقولك متبع فاذا خرجوا من عندك يا محمد صلى الله عليه وسلم غير جماعة من المنافقين الامر الذي تامرهم به على وجه التكذيب والتدبير بخلاف ما يقول يقال لكل امر قضي بالليل بيت [illegible] باسكان التاء وادغامها في الطاء لقرب مخرجها وهذا مما يستقبح به وانما لم يقل بيتت لان كل تانيث غير حقيقي يجوز تغييره بلفظ التذكير وقرا بعضهم بيت طائفة منهم باسكان التاء وادغامها في الطاء لقرب مخرجهما وهذا مما يستقبح في الفعل لان الفعل الماضي مبني على الفتح ومعناه والله يكتب ما يبيتون يحفظ عليهم ما يغيرون من امرك ويقال ينزل اليك في كتابه فاعرض عنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعاقبهم ويقال لا تسم المنافقين باعيانهم اي استر عليهم الى ان يستقيم امر الاسلام وثق بالله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا ثقة وحافظا والوكيل هو العالم بما يفوض اليه من التدبير قوله عز وجل افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا معناه افلا يتفكرون في القران يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وان احدا من الخلائق لا يقدر على مثله فيعلمون انه حق وانه من عند الله والتدبر في اللغة هو النظر في دبر الشيء وعاقبته يقال دبر القوم اذا هلكوا ودبر واذ ولوا امرهم ويسمون الحال دبرا لانه يعقب ما ينتفع به ويسمى المال الكثير دبرا لانه يبقى للاعقاب وقوله عز وجل ولو كان من عند غير الله معناه لو كان هذا القران من عند النبي صلى الله عليه وسلم او كان يعلمه بشر على ما قاله الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والاختلاف على ثلاثة اوجه اختلاف تناقض وهو ان يدعو احد الشيئين الى فساد الاخر واختلاف تفاوت وهو ان يكون بعضه بليغا وبعضه مرذولا ساقطا وهذان الضربان من الاختلاف منفيان عن القران وهو احدى دلالات اعجاز القران لان كلام البلغاء والفصحاء اذا طال مثل السور الطوال من القران لا يخلو من ان يختلف اختلاف التفاوت والثالث اختلاف تلاؤم وهو ان يكون الجميع متلائما في الحسن كاختلاف وجوه القراءات ومقادير الايات والاختلاف بين الناسخ والمنسوخ وهذا الاختلاف غير منفي عن القران وفي الاية دليل على بطلان قول من يقول انه لا يجوز تفسير القران الا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو كان الامر على ما قالوا لم يكن التدبر في القران اصلا اذ لا يمكن التدبر فيه الا بمعرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة صحة القران وانتفاء الاختلاف عنه وهذا يوجب انه لا يعلم واحد منهما وفي الاية دليل بطلان التقليد في اصول الدين اذ لو جاز التقليد فيها

www.alukah.net

لم يكن للامر بالتدبر للقران معنى قوله عز وجل وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا قال بعض المفسرين أراد بأول الآية المنافقين كانوا إذا أتاهم خبر من أمر السرايا الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة وغنيمة أو أتاهم عنهم خبر نكبة وهزيمة افشوا ذلك الخبر واظهروه ليحدث بخبر الظفر من يتقي أن يحذر من الكفار وتقوى بخبر الهزيمة قلب من كان يتقي نكبة المسلمين منهم وقال بعضهم أراد به ضعفة المسلمين في الرأي كانوا إذا بلغهم خبر افشوه يقول الله عز وجل ولو ردوه إلى الرسول أي تركوا أمر العسكر والسرايا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر من المؤمنين وهم أبو بكر وعمر وعثمن وعلي وأكابر الصحابة رضي الله عنهم حتى يكونوا هم الذين يفشون لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم وأكابر الصحابة أن ذلك صحيح أم فاسد وعلى تدبير مكايد العدو والخروج إلى الجهاد من الإقدام في حالة والإحجام في أخرى وعلموا أن ذلك هل ينبغي أن يذاع ذلك الخبر أو لا يذاع وقد تقدم تفسير أولي الأمر أنهم أمراء السرايا أو الفقهاء ولا تنافي بين القولين لأن الأمراء هم الذين يملكون الأمر والنهي والعلماء الذين يجب على الناس الرجوع إليهم في الحوادث وإن كانوا لا يملكون الإلزام ه والاستنباط في اللغة الاستخراج وأصل ذلك النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما يحفر يقال أنبط الحافر إذا بلغ الماء ومنه تسمية الأنباط بذلك لأنهم كانوا أصحاب معرفة باستخراج المياه وأما قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فمعناه لولا ما أنزل الله تعالى عليكم من القرآن وبين لكم من الآيات على لسان نبيه عليه السلام لاتبعتم الشيطان إلا قليلا إذ كان قليل منكم يهتدي من الكفر مثل زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة والمراد بالفضل في هذا الفضل الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن لا عموم الفضل والرحمة لأن الذين يؤمنون بغير الكتاب والرسول لا يخلو إيمانه من فضل الله ورحمته وقال بعضهم في الآية تقديم وتأخير والمعنى أذاعوا به إلا قليلا من الخبر لم يذيعوه أو إلا قليلا من المنافقين لم يذيعوه وقال بعضهم المعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا قال وليس هذا استنباط نظر وتفكر ولا يعرفه إلا القليل من الناس إنما هو استنباط خبر والأكثر يعرف الخبر إذا أخبر به وأما القليل المبالغ في التلاوة لا يعلم ما يخبر به من أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى بدر الصغرى حين كان أكثر الصحابة يكرهون ذلك كراهة شديدة فخرج في سبعين راكبا حتى أتى موسم بدر الصغرى فكفى الله عنه بأس العدو ولم يكن قتال وانصرف هو وأصحابه فذلك قوله عز وجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا اختلفوا في الفاء أول هذه الآية قال بعضهم هو جواب قوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله وقال بعضهم هو جواب قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله أي شيء لكم في ترك القتال فقاتل في طاعة الله بالجهاد لا تؤاخذ إلا بفعل نفسك وليس عليك ذنب غيرك وحرض المؤمنين على القتال أيضا لعل الله أن يمنع منك قتال الكفار وعسى من الله تعالى واجب لأنه في اللغة الإطماع وإطماع الكريم لا يكون إلا إنجازا وقوله عز وجل والله أشد بأسا معناه هو أشد قوة وأشد عقوبة من أهل مكة وإنما سميت العقوبة تنكيلا لأنها تفعل ما يوجب النكول الذي هو الامتناع من الشيء ومنه النكول عن اليمين والنكول عن الأمر قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى الآية من يصلح بين اثنين يكن له أجر وثواب من ذلك الإصلاح ومن يمشي بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها وعقوبتها ويقال معناه من يوحد ويأمر بالتوحيد يكن له أجر من ذلك ومن يشرك ويأمر بالشرك يكن له وزر من ذلك ويقال الشفاعة الحسنة هي

الدعا

الدعاء للمؤمنين والشفاعة السيئة هي الدعاء عليهم فإن اليهود كانوا يدعون على المؤمنين فتوعدهم الله عز وجل بذلك وأصل الشفاعة في اللغة ضم الشيء إلى مثله وهو أن يصير الإنسان شفع صاحبه في معنى من المعاني في جهاد أو مسألة خير شيئا ما بفعل أو قول وإن كان استعمال هذا اللفظ في العرف وطلب الخير أكثر في العرف والعادة وأما الكفل فهو النصيب مأخوذ من قولهم اكتفلت البعير إذا أدرت على سنامه أو موضع من ظهره كساء وسمي ذلك كفلا لأنه يستوعب الظهر كله وإنما ذكر النصيب بلفظ الكفل على مقابلة الأول ليكون أبلغ في الحسن والجودة وأحط في البلاغة وأما قوله عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا فمعناه مقتدرا أعطانا بالحسنة والسيئة وأنشدوا للزبير بن عبد المطلب • وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت على مساءته مقيتا • أي مقتدرا وقال الزجاج المقيت الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ لأنه مشتق من القوت يقال قت الرجل أقوته قوتا إذا حفظت نفسه بما تقوته ويقول اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه ولا فضل فيه على قدر اتصال هذه الآية بما قبلها أن الآية التي قبلها تحريض على القتال وفي هذه الآية بيان أن للمحرض بفعله وقوله نصيبا من الأجر والثواب قوله عز وجل وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا قال ابن عباس أراد بالتحية السلام ومعنى الآية على هذا القول وإذا سلم عليكم أحد فأجيبوا التحية بأحسن منها وهو أن يزيد في التحية فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يعني بذلك المسلم عليه والملكين الحافظين معه بأبلغ التحية وقوله عز وجل أو ردوها معناه أو أجيبوا بمثل الذي سلم عليكم وقد روي أن رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقام الرجل الأول فقال سلمت عليك فلم تزدني على وعليكم وزدت هذين فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لم تترك من السلام شيئا فرددته عليك وهذان تركا منه شيئا فزدتهما وفي هذا الخبر بيان أن منتهى السلام وبركاته وفي الآية دليل أن السلام سنة ورد السلام واجب فقد قال أصحابنا رحمهم الله أن رد السلام فرض على الكفاية إذا سلم الرجل على جماعة فرد واحد منهم أجزأ عنهم إلا في رواية أبي يوسف أن الرد واجب على كل واحد منهم وأما قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير فالمراد بذلك والله أعلم الاستحباب وإفشاء السلام ليكون أعظم في الثواب الخبر وهذه الآية محمولة على ما إذا كان المحيي مسلما فأما إذا كان المحيي كافرا فلا يزيد المسلم عليه في جوابه على قوله وعليك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبتدئوا اليهود بالسلام فإن بدؤكم فقولوا وعليكم وتأويل هذا الخبر أن يزيد عليه المسلم عليه بقوله ما يحل أن يدعو به للكافر من البقاء والصحة في الدنيا دون نعيم الآخرة ولهذا لا يقال لهم ورحمة الله لأن رحمة الله عز وجل لا تليق بالكفار وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى قوله وإذا حييتم بتحية إذا أهدي إليكم هدية فكافئوا بأفضل منها أو بمثلها وإنما حملوا الآية على هذا التفسير لأن معنى التحية في اللغة الملك على ما قيل في التحيات لله أن معناها الملك لله وكانوا يقولون قبل الإسلام حياك الله أي ملكك الله ثم أبدلوا هذا اللفظ بالسلام بعد الإسلام وأقيم السلام مقام قولهم حياك الله ومن هذا التفسير استدل فقهاؤنا رحمهم الله على صحة قولهم فيمن وهب لغير ذي رحم محرم منه أن له الرجوع فيها ما لم يعوض عنها كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الواهب أحق بهبته ما لم يثب منها فإذا حمل الآية على الهبات أولى لأن عين السلام لا يتصور رده وأما قوله عز وجل إن الله كان على كل شيء حسيبا فمعناه مجازيا يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه يقال حسبك هذا أي اكتف بهذا وقوله عز وجل عطاء حسابا أي كافيا ما يشتهي

الألوكة www.alukah.net

الحساب في المعاملات حسابا لانه يعلم ما فيه كفاية ولحرفيه زيادة على المقدار ولا نقصان عنه ثم وحد
الله تعالى نفسه لبيان انه لا اله غيره مجازي على الاعمال فقال عز وجل **الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى**
يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا معناه هو الله لا اله في الارض ولا في السماء
غيره واللام في ليجمعنكم لام القسم كانه قال الله ليجمعنكم في الحيوة والموت وفي قبوركم الى يوم القيمة ويقال معناه
ليجمعنكم ايها المخاطبون الى جمع يوم القيمة وسمي هذا اليوم بهذا الاسم لان الناس يقومون للحساب يومئذ
ويقال لانهم يقومون من قبورهم ومعنى لا ريب فيه لا شك فيه انه كائن لوضوح الحجة في كونه وقوله عز وجل
ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفي اي ليس احد اوفى من الله وعدا ولا اصدق منه قولا اذ لا
صادق الا وقد يوجد خبره بخلاف مخبره وقتا من الاوقات الا الله عز وجل فمن اصدق منه حديثا وانما
كان الله سبحانه اصدق حديثا لعلمه بقبح الكذب وغناه عن فعله ولا يكون الكذب الا لتحمل نفعه او لجلب
منفعة او لدفع مضرة والله سبحانه غني عن العالمين قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فئتين والله**
اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قال ابن عباس رضي
الله عنهما هاجر اناس من قريش فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا ثم ندموا فقالوا
للمسلمين انا قد اجتوينا المدينة فنخرج ونتنزه قصة قوم خرجوا فجعلوا يتحولون منقلة ثم منقلة حتى تباعدوا
من المدينة ثم ادلجوا فاصبحوا وقد قطعوا ارضا بعيدة من الارض فلحقوا بمكة وكتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا على ما فارقناكم عليه من التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا اشتقنا الى ارضنا
واجتوينا المدينة ثم انهم ارادوا ان يخرجوا في تجارتهم الى الشام فاستبضعهم اهل مكة وقالوا انتم على دين
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان لقوكم فلا باس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين الى الشام فبلغ ذلك
المسلمين فقالت طائفة منهم نقاتلهم فانهم على دينا وقالت طائفة سبحان الله كيف نقاتل قوما على ديننا
فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها اي شيء لكم من الاختلاف في امر المنافقين حتى صرتم فيهم فرقتين
من محل لاموالهم ومحرم لاموالهم والله تعالى ردهم الى الكفر وضلالهم بما كسبوا من معاصيهم السيئة ونفاقهم وخبث
نياتهم وانما انتصاب قوله فئتين على الحال بقول ما لك قائما اي مالك انتصبت قائما اي لم قمت في هذه
الحالة قائما ومعنى اتريدون ان تهدوا من اضل الله اتريدون معشر المخلصين ان ترشدوا من خذله الله عن
دينه وحجته ومن يضلل الله اي يخذله الله عن دينه الاسلام فلن تجد له طريقا الى الحجة ويقال معنى
اتريدون ان تهدوا اتريدون ان تقولوا ان من اضلهم الله فهم مهتدون ومن نسبه الله سبحانه
الى الضلالة فلن تجد له هاديا باسمه مومنا وهذا كما يقال من جرحه الحاكم فلا سعيه تعديل غيره
قوله عز وجل **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا**
في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
معناه والله اعلم تمنى المنافقون والكفار ان تكفروا انتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران كما كفروا فتكونون
انتم معهم في الكفر سواء ولا تتخذوا منهم احبابا حتى يهاجروا في طاعة الله سبحانه فان اعرضوا عن الايمان
والهجرة فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم احدا حبيبا في العون والنصرة
ولا معاونا وهذه الاية محمولة على حال انما كانت الهجرة فرضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا بريء
من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل لم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما
ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم فتح مكة
لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله عز وجل قوله عز وجل **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق**

او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
صح اول هذه الاية استثناء لمن اتصل من الكفار بقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما
اراد بالقوم الاسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي واصحابه على ان
لا يعينوه ولا يعينوا عليه فمن وصل اليهم والتجأ بهم بالانساب او بالاحلاف من الجوار فلهم مثل ما لهم ويقال
اراد بالوصول ان يدخل احد من سائر الكفار في عهد الاسلميين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قريش من الموادعة فدخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانة في عهد قريش
واما قوله عز وجل او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فمعناه او يصلون الى قوم جاءوكم ضاقت صدورهم
ان يقاتلوكم مع قومهم او يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج ولو شاء الله لسلط قوم هلال بن عويمر
وبني مدلج عليكم فلقاتلوكم اذا قاتلتموهم طالبين لهم فان اعتزلوكم يقول ان تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم
ان استسلموا وخضعوا بالصلح والوفاق فما جعل الله لكم عليهم سبيلا حجة في القتال والحصر في اللغة الضيق
ومنه الحصر في القراءة لانه ضاق عليه المذاهب فلا يتوجه لقراءته ومنه المحصر في حبس وهو قال اهل الفقه
معنا او جاءوكم حصرت صدورهم او جاءوكم قد حصرت صدورهم لان حصرت لا يكون حالا الا بقد قالوا
ويجوز ان يكون حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كانه قال او جاءوكم ثم اخبر بعد فقال حصرت صدورهم
ان يقاتلوكم وفي الشواذ او جاءوكم حصرة صدورهم واما اللام التي في قوله لسلطهم فهي جواب لو واللام
ان هذه الاية الثانية التي في فلقاتلوكم تكرار والفاء عطف بمنزلة الواو وقد روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما منسوخة نسختها اول سورة التوبة واراد بها ان معاهدة المشركين وموادعتهم منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم لان الله عز وجل اعز الاسلام واهله فلا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او
السيف بهذه الاية وقد امر الله تعالى في اهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله وهم صاغرون فلا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر
من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا عن قتالهم وخافوا على انفسهم وذراريهم
جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر الموادعة كان بسبب فاذا زال السبب
ويلقوا اليكم السلم زال الحظر قوله عز وجل **ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى**
الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا معناه ستجدون قوما اخرين يظهرون لكم الصلح
يريدون ان يامنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها ويامنوا من قومهم بالكفر في السر كلما دعوا الى الشرك رجعوا
فيه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم اسد وغطفان كانا حاضري المدينة وكانا تكلما بالاسلام
واقرا بالتوحيد وكانا غير مسلمين كان الرجل منهم يقول له قومه لم اسلمت وبم امنت فيقول امنت بهذا
العود وبهذا العقرب وبهذه الخنفساء يريدون به الاستهزاء فاذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ذلك بهذه الاية
وقوله عز وجل فان لم يعتزلوكم اي ان لم يتركوا قتالكم ولم يستسلموا لكم في الصلح ولم يمنعوا ايديهم عن قتالكم
فخذوهم واسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واولئكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة
في القتال معهم ومن الناس من يقول ان هذه الايات منسوخة ويجوز للمسلمين ترك قتال من لا يقاتلهم من الكفار
ومن قال بهذا القول سفيان الثوري وابن شبرمة وهو قول الشافعي لان هذه الايات تقتضي حظر قتال من
كف عن قتالنا من الكفار ولا نعلم احدا من الفقهاء حظر قتال من اعتزل عن قتال المشركين وانما الخلاف

الألوكة
www.alukah.net

وجواز تركه فقال لهم فقد حصل الاتفاق منهم جميعا على نسخ حظر القتال. قوله عز وجل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما معنى الاية والله اعلم ما كان لمؤمن في حكم الله تعالى وامره ان يقتل مؤمنا بغير حق وقال معناه ما كان له فيما سلف كما ليس له الان وقال بعضهم ان اللام مقدمة على موضعها تقدير الاية ما كان مؤمن ليقتل مؤمنا وهذا كما قال الله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد تقديره ما كان الله ليتخذ من ولد وكقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تقديره ما كنتم لتنبتوا شجرها واما قوله عز وجل الا خطأ يجوز ان يكون استثناء صحيحا على معنى الا ان يكون وقوع القتل منه على وجه الخطا وهو ان لا يكون قاصدا قتله فيكون مرفوع الاثم والعقاب وقال بعضهم هذا استثناء صحيح بمعنى الاباحة قتل المؤمن خطأ في بعض الاحوال وهو ان يجد المسلم مسلما عليه سيما المشركين وبحال بين حربهم فيظنه مشركا فيجوز له قتله وهو خطا وقيل ان هذا لا يصح لان الاباحة لا يتصور في قتل الخطا كما لا يتصور فيه النهي لان الحالة التي لا يعلمها الانسان لا يجوز ان يتعلق بها حكم الحظر والاباحة وقال بعضهم هذا الاستثناء ليس من الاول معناه الا ان يخطئ المؤمن فيكون خطاؤه ما ذكر الله عز وجل في هذه الاية ونظير هذا الاستثناء قول الله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقول الشاعر وقفت فيها اصيلانا اسائلها ● اعيت جوابا وما بالربع من احد ● الا اواري لايا ما ابينها ● والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد ● واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فيه فقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي حين اسلم بمكة وخاف اظهار الاسلام فخرج هاربا الى المدينة فخرجوا في طلبه واحتالوا عليه فردوه الى اهله وكان فيمن رده الحرث بن يزيد فحلف عياش ان لا يلقاه خاليا الا قتله ثم ان الحرث اسلم بعد اسلام عياش فبينما عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله ولم يكن شعر باسلامه فقيل له انه قد اسلم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه القصة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم نزلت في ابي الدرداء حين قتل اعرابيا خطأ واما قوله عز وجل ومن قتل مؤمنا خطأ فمعناه ومن قتل من غير قصد بان قصد غيره فاصابه او قتله على ظن انه مباح الدم فعليه عتق رقبة من ماله وعليه وعلى عاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول ولم يذكر في الاية من عليه الدية من القاتل او العاقلة وقد اتفق الفقهاء على وجوب دية الخطا على العاقلة بالاخبار الواردة في هذا الباب وهذه الدية المخففة تلزم القاتل عند اصحابنا رحمهم الله وهو احد من يحمل العقل كاحد العاقلة لان العاقلة امرت بالدخول معه فيها على جهة المواساة من غير ان يلزمهم ذنب جنايته كما امرت الاقارب بصلة الارحام بكل وجه امكنهم لاصلاح ذات البين وكما اوجب الله تعالى الصدقة في مال الاغنياء للفقراء على وجه المواساة وكذلك امرت العاقلة بحمل الدية عن قاتل الخطا من غير اجحاف بهم ولانه يلزم كل واحد منهم ثلثة دراهم او اربعة ويجعل في اعطياتهم اذا كانوا من اهل الديوان مؤجلة في ثلث سنين وان لم يكن القاتل من اهل الديوان فعلى قبيلته تضم الى اقرب القبائل اليها حتى لا يؤدي الى الاجحاف بالعاقلة وان لم يكن للقاتل عشيرة جعلت الدية في بيت مال المسلمين في ثلث سنين حتى لا يؤدي الى هدر الدم واما قوله عز وجل الا ان يصدقوا معناه الا ان يتصدق اولياء المقتول فيتركوا الدية واما قوله عز وجل فان كان من قوم عدو لكم معناه وان كان المقتول خطأ من قوم حرب لكم فقتل في دار الحرب وهو ممن اسلم في دار الحرب ولم يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة ولم يذكر الدية لان دم المقتول لا قيمة له اذا لم يحرز نفسه بدار الاسلام وليس هو في صلح المسلمين وقال انما لم يذكر الدية لكيلا تسلم الى اهل الحرب

دية

دية يتقوون بها علينا وهذا القول يقتضي ان الدية واجبة الا انها لا تعطى اليهم وفي وجوب هذه الدية خلاف بين اهل العلم واما قوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه وان المقتول خطأ من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد او صلح فعلى القاتل وعاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله وبرسوله والفرائض واعادة ذكر المؤمنة لانه لو لم يعده لكان يتوهم متوهم انه لما وجب في قتل المؤمن رقبة في مثل صفته يجب ايضا في قتل الكافر رقبة في مثل صفة المقتول وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين معناه فمن لم يجد رقبة مؤمنة فعليه صيام شهرين متواليين لا يفرق بين صيامهما وقوله عز وجل توبة من الله اي اعلموا انما امركم الله به للتوبة ليتوب الله تعالى به عليكم وهذا نصب على ما يقال فعلت كذا حذارا من الشر اي للحذر من الشر ويجوز رفع توبة على اضمار ذلك وانما سمي الكفارة توبة لان قاتل الخطا كان عاصيا في سبب القتل من حيث انه لم يتحرز وان لم يكن عاصيا في نفس القتل وقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف من الله تعالى حيث لم يقتصر في الكفارة على الرقبة كما في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي خفف عليكم ومعنى وكان الله عليما حكيما بكل شيء حكيما فيما امركم به من الدية والكفارة

علم

عليما

قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل عليه السلام معه رجلا من بني فهر قال له ائت بني النجار فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام ان تدفعوه الى مقيس بن صبابة فيقتص منه فان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله والله لا نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاعطوه مائة من الابل وانصرفا راجعين نحو المدينة وبينها وبين المدينة قريب فوسوس الشيطان مقيسا وقال له اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك تكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه وقتله وركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع ● فادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع ● فنزلت الاية وقتل مقيس يوم فتح مكة ومعنى الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي قتلا مستحلا له ويقال متعمدا قتله لايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها باستحلاله وكفره وغضب الله بقتله غير قاتل الجنة ولعنه باعده من رحمته واعد له في جهنم عذابا عظيما [illegible] على الله عز وجل بقتل نفس بغير حق وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى ان هذه الاية عامة في كل قاتل عمد وكان يقول جميع الذنوب يمحوها الله تعالى بالتوبة الا تعمد قتل المؤمن فانه لا توبة له وعامة الفقهاء على خلاف هذا القول يقولون بالتوبة في جميع الذنوب ثم ان لم يتب القاتل فيه قولان اما اصحاب الوعيد يقولون بخلوده في النار لا محالة واهل السنة يقولون جزاؤه الخلود لو جازاه الله به ولكنا لا نقطع بمجازاته بالخلود في النار لا محالة وقد ثبت بالدلائل الاخر ان الله تعالى يعامل عباده بالفضل فان شاء عفى عن القاتل بقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان شاء عاقب القاتل الا على الخلود لانه جعل ذكره سمى القاتل بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وليس في هذه الاية ان الله تعالى يعاقب القاتل المؤمن بالتخليد بالنار اذ هو كما يقول الامير من فعل كذا فعقوبته كذا فان الوعيد لا يكون منه خلف ولا كذب وذكر الغضب في الاية وجهان احدهما ان يريد الله تعالى ان ينتقم من القاتل والثاني ان معناه معنى الذم فيكون ذمه تعالى اياه غضبت منه عليه والغضب نقيض المحبة والرضا واللعن الطرد والابعاد

مؤمنا

الألوكة www.alukah.net

العقوبة

من الخير على جهة العقوبة وهذا لا يجوز لمن لا يستحق كالأطفال والبهائم وأما وصف عذاب الآخرة بالعذاب
العظيم فإنه لا عذاب أعظم منه وقد يكون في المستحقين للعذاب من يعد الله تعالى الانتقام بالعذاب
منه ولا يطرده وقد يكون من يطرده ولا يعد له عذابا عظيما وأما قاتل العمد فيستحق هذه العقوبات
الثلاث واختلف أهل العلم في تفسير القتل العمد الذي يتعلق به وجوب القصاص قال أبو حنيفة
رحمه الله هو ما تعمدت القتل بسلاح أو ما يجري مجرى السلاح في تفريق الأجزاء وقال أبو يوسف ومحمد وجماعة
غيرهما إن الاعتبار في هذا بالقصد إلى القتل بكل شيء يقتل في الغالب سواء كانت الآلة سلاحا أو لم تكن
وإنما اقتص من القاتل لأن ذلك جزاء في الدنيا وفيما بين المقتول وبين القاتل باقية في الآخرة لأن الولي وإن قتله
فإنما أخذ حق نفسه للتشفي ودرك الغيظ فأما المقتول فلم يكن له في القصاص منفعة وبالله التوفيق
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله
كان بما تعملون خبيرا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في مرداس بن نهيك كان مسلما
لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا كلهم وأقام الرجل في
غنمه في عاقول من الجبل فلما جاءهم يكبرون نزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغشاه أسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا من ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال أسامة استغفر لي يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف بلا إله إلا الله قالها ثلاثا ثم استغفر له بعد ثلاث وأمره أن يعتق رقبة ومعنى
الآية يا أيها الذين آمنوا أقروا وصدقوا بالله ورسوله إذا خرجتم مسافرين في طاعة الله فميزوا الكافر من المؤمن
بالدلائل والعلامات ولا تعجلوا بالقتل حتى يتبين لكم ومن قرأ فتثبتوا بالثاء فمعناه تثبتوا في أمر من يظهر لكم
الإسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم الانقياد والمتابعة وأسمعكم كلمة الإسلام لست مؤمنا فتقتلوه
تطلبون بترك إسلامه اغتنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة يعطيكم الله تعالى في الدنيا عليها ويعطيكم
أخذها ومن قرأ الإسلام بالألف فمعناه لا تقولوا لمن سلم عليكم وحياكم لست مؤمنا والتسليم من علامات الإسلام
ويجوز أن يكون معنى الإسلام السلم قوله عز وجل كذلك كنتم من قبل أي كنتم آمنين من قبل الهجرة بتكلمة
الإسلام فكيف تقتلون بعد سماع كلمة الإسلام ويقال معناه كنتم تقتلون وتؤخذ أموالكم قبل الهجرة فمن الله عليكم بتوفيق
الإيمان والهجرة فتبينوا ولا تخيفوا أحدا ما مكنتم منه مثله وإنما أعاد لفظ التبيين بيان أن المجازي عليم
بما يفعله العباد ولذلك عقبه عز وجل بقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا أي كان عليما بما تعملون من القتل وغير
ذلك ويجازي روي عن جندب بن سفيان أنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه بشير من سرية بعثها فأخبره
بالفتح وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى إذ لحقت رجلا بالسيف فلما أحس
أن السيف واقعه قال إني مسلم إني مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال يا نبي الله إنه قال
ذلك تعوذا قال ألا شققت عن قلبه فنظرت أصادقا هو أم كاذبا قال لو شققت عن قلبه ما كان يعلمني ما في قلبه
إلا بضعة من لحم قال فلا أنت قتلته لا ما في قلبه علمت ولا لسانه صدقت قال يا رسول الله استغفر لي فقال لا
أستغفر لك قال ثم مات الرجل فدفنوه فأصبح على الأرض ثم دفنوه فأصبح على وجه الأرض ثلاث مرات فلما
رأى ذلك قومه استحيوا وخزوا وحملوه فألقوه في شعب من الشعاب فقال صلى الله عليه وسلم أما إن الأرض
لتقبل من هو أعظم منه ولكن الله عز وجل أراد أن يريكم حرمة الدم قوله عز وجل لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين

في الآية بيان ثواب المجاهدين ومعناها لا يستوي في الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المؤمنين
لا لعلة الذين لا مرض بهم ولا زمانة ولا عذر يمنع من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله عز وجل بالإنفاق من
أموالهم والخروج بأنفسهم روي أنه نزل أولا لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن
أم مكتوم الأعمى فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله عز وجل بالجهاد وحال الناس على ما ترى فهل لي من رخصة
والله لو استطيع الجهاد لجاهدت فنزل قوله غير أولي الضرر ومن قرأ غير بالنصب فهو كالنصب على الاستثناء كأنه (الضرر)
قال إلا أولي الضرر كما يقال جاءني القوم غير زيد ويجوز أن يكون نصبا على الحال أي لا يستوي القاعدون في حال
صحتهم والمجاهدون وهذا كما يقال جاءني زيد غير مريض أي صحيحا ومن قرأ بالرفع فهو على الرفع واستثناء الإثبات
من النفي ويجوز أن غير صفة للقاعدين وإن كان أصل غير أن يكون صفة للنكرة المعنى لا يستوي القاعدون و
الذين هم غير أولي الضرر والمجاهدون في الفضل والثواب وإن كانوا كلهم مؤمنين ونظير الصفة قولك جاءني
رجل غير فصيح أو غير طويل واختيار بعض القراء قراءة الرفع لأن معنى الصفة على لفظ غير أغلب من معنى الاستثناء
واختار بعضهم قراءة النصب لأن قوله غير أولي الضرر إنما نزل بعد نزول قوله لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله على حسب ما تقدم ذكره فيكون معنى الاستثناء به أليق وقوله تعالى
فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم معناه فضلهم الله تعالى بالجهاد وطاعته على القاعدين عن الجهاد
فضيلة ومنزلة وكلا الفريقين المجاهد والقاعد وعدهم الله الحسنى يعني الجنة بالإيمان وقيل في هذا دليل أن
الجهاد فرض على الكفاية لأنه لو كان فرضا على الأعيان لم يجز أن يكون القاعد غير موعود بالحسنى وقوله تعالى
وفضل الله المجاهدين أي فضلهم على القاعدين عن الجهاد بغير عذر ثوابا حسنا في الجنة وقوله أجرا انتصب
على التفسير وقال الأخفش هو نصب على المصدر بمعنى أجرهم الله تعالى أجرا والفائدة في تكرار لفظ التفضيل
أن في الأول بيان تفضيل من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي آخر الآية بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل
فيه المجاهد بالمال والنفس والمجاهد بالمال دون النفس وبالنفس دون المال قوله عز وجل درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما معناه فضائل من الله تعالى في الدرجات والجنة
وهذا بدل من قوله أجرا وصفة له وهي في موضع النصب ويجوز رفع درجات على إضمار ذلك وعن ابن محيريز
أنه قال فضل الله المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للجواد المضمر وأما قوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما فمعناه كان الله غفورا لذنوب من جاهد رحيما أن سوى في وعد الحسنى من لم
يجاهد مع من جاهد وقال الحسن كان الله غفورا رحيما قبل أن يخلق العباد وأراد بهذا أنه كان من شأنه الرحمة
كما قال من صفات الله عز وجل باعث ووارث لأن من شأنه أن يبعث الخلق وأن يرثهم وفائدة دخول لفظ
كان ليستدل به أنه لم يزل في المغفرة والرحمة لأنه لو قال والله غفور رحيم دل ذلك على أن هذا من صفاته ولم
يدل على دوام المغفرة فإن قيل كيف ذكر التفضيل بدرجات وذكر التفضيل في الآية الأولى بدرجة قلنا
قال بعضهم في الدرجة في الآية الأولى الفضيلة والكرامة والثناء وذكر الدرجات في الآية الثانية درجات
الجنة وهي منازل في النعيم بعضها أعلى من بعض وذكر المغفرة لبيان خلوص نعيمهم عن الكدر كما روي في الخبر
أن الله تعالى ينسيهم في الجنة ما كان منهم من الذنوب والمباحات لا يلحقهم الحياء وذكر الرحمة لبيان أن
الله تعالى أعطاهم ذلك النعيم العظيم على جهة النعمة مع ما يضاف إليه من الفضل بالزيادة والنعمة وقال
بعضهم أراد بالتفضيل في الدرجة في الآية الأولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من أصحاب العذر وأراد بالآية
الثانية تفضيل المجاهدين على القاعدين بلا عذر لهم قوله عز وجل إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه قال نزلت هذه الآية في قوم من المنافقين من اهل الاوثان خرجوا مع المشركين الى بدر فلما راوا قلة المؤمنين
قالوا وهم مع المشركين غر هؤلاء دينهم فقتلوا يومئذ وعامتهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم
وقالت لهم لم اخرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة قالوا كنا مستضعفين في الارض ومعنى الآية ان الذين توفاهم الملائكة
اي تقبض ارواحهم عند الموت وقيل تقبض انفسهم ردوا انفسهم عند خروجهم من القبور لحشرهم الى النار وانما حذفت
التا الثانية من توفاهم لاجتماع التائين ويجوز ان يكون معنى توفاهم تقبض ارواحهم على المعاصي وذكر الفعل لان
تانيث اللفظ ليس تانيث حقيقي وقوله عز وجل ظالمي انفسهم نصب على الحال والمعنى توفاهم في حال ظلمهم لانفسهم
بالشرك والمعاصي والاصل ظالمين الا ان النون حذفت تخفيفا فاذا هي ثابتة في المعنى فيكون هذا في معنى النكرة وان
اضيف الى المعرفة كما في قوله عز وجل هديا بالغ الكعبة اي بالغا الكعبة وقوله عز وجل قالوا فيم كنتم اي قالت الملائكة
على جهة التوبيخ لهم على التخلف عن الهجرة اي في اي الفريقين كنتم فيم ذا كنتم واين كنتم عن الهجرة قالوا كنا مستضعفين في ارض
مكة اي في ايدي الكفار قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة اي المدينة كانت امنة ساكنة فتهاجروا
اليها وهذا دليل انه لا عذر لاحد في المقام على المعصية في بلده فاخرجوا منها الى غيرها وقوله عز وجل فاولئك
ماواهم جهنم اي اهل هذه الصفة مصيرهم ومنزلهم جهنم وساءت مصيرا اي ساء المصير اليها واختلفوا في خبر ان الذين توفاهم
فقال بعضهم خبره فيم كنتم اي قالوا لهم فيم كنتم ولهم مصيرا الا انه حذف لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم خبره قوله فاولئك
ماواهم جهنم وقوله عز وجل **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا** استثناء من قوله فاولئك ماواهم جهنم وقيل من قوله قالوا فيم كنتم قال ابن عباس رضي الله
عنهما انا ممن استثنى الله يومئذ وكنت غلاما صغيرا ومعنى هذه الآية والله اعلم الا من صدق في انه مستضعف
من الشيوخ والولدان والنساء لا يجدون نفقة الخروج الى المدينة ولا يمكنهم الخروج اليها ولا يعرفون من طريق
ما جروا قوله عز وجل **فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** اي اهل هذه الصفة من
المستضعفين لعل الله يتجاوز عنهم وعسى من الله تعالى كلمة اطماع لانه للترجية والاطماع وما امر الله تعالى ان يرجى
من رحمته فهو بمنزلة الواقع وكذلك لفظ يا ارحم الراحمين والعابد في ذكر هذا اللفظ ان يكون العبد بين الخوف والرجا
واما قوله عز وجل وكان الله عفوا غفورا فمعناه كان الله لم يزل عفوا عن عباده غفورا لهم قبل ان يخلقهم
هكذا روي عن الحسن قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما** معناه
ومن يخرج في سبيل الله الذي امر الله تعالى بالهجرة فيه وهو سبيل المدينة يجد في الارض متحولا كثيرا واصل المراغم ما اشتق
من الرغام وهو التراب يقال على رغم فلان اي على الذل وكرهه وارغم الله انف فلان اي الصقه بالتراب وسمي التراب
رغاما لانه ذليل يمتهن لمن اراد ... فيكون المراغم الذلول المنبسط كما قال الله تعالى هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا والذلول والمراغم متقاربان في المعنى ويجوز ان يكون المراغم ما يرغم من يمنعه عن الهجرة يقال راغمت فلانا
اي اذا هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه ومن هذا قال بعضهم في معنى مراغما كثيرا مهاجرا كثيرا والمهاجر المقام
وهو الموضع الذي يهاجر الرجل اليه من غيره وقوله عز وجل وسعة قال السدي معناه مطلبا للرزق وحقيقته
انه يجد في المواضع التي يمكنه اظهار الدين فيها سعة وقال قتادة سعة في اظهار الدين وانما قال ذلك لما كان
يلحقهم من الضيق من جهة الكفار في اظهار دينهم وقوله تعالى ومن يخرج روي عن ابن عباس ... قوله تعالى
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال
والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل فاني لاجد حيلة والله لا ابيت ليلة بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير فاتوا به
التنعيم فادركه الموت بها فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون لو بلغ الينا لتم اجره فانزل

الله تعالى

تعالى قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي من يخرج من منزله مهاجرا قومه
واهله ووطنه الى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت في الطريق فقد وجب ثوابه على الله تعالى الى ما وعد
وعده وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما به في الاسلام روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء قوله عز وجل **واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا**
ولما كان الله تعالى لما امر بالجهاد والهجرة اتبعه حكم المجاهد فيما يأتيه من الصلاة فقال عز من قائل واذا ضربتم
في الارض اي سافرتم فيها لان الخروج الى الصحراء والقصد الى القرية القريبة لا يسمى ضربا في الارض وقوله فليس عليكم
جناح اي ليس عليكم حرج ومأثم في ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا في انفسكم وفي دينكم ان
الكافرين كانوا لكم ظاهري العداوة معكم يبتغون عنتكم ... لكم وفي هذه الآية ذكر القصر من الصلاة بشرطين
واجمعت الامة ان اصل القصر لا يتعلق بهما وان كل واحد منهما مؤثر في القصر مع تأثير فتأثير السفر في القصر
في العدد في الصلوات الرباعية يردها السفر الى الشطر وهو عام في السفر غير مختص على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
وتأثير الخوف في القصر في اركان الصلاة اذا خاف ان قام في الصلاة ان يراه العدو وخاف ان نزل عن الدابة
ان يدركه العدو كان له ترك القيام وان يومي على الدابة بخفض راسه للركوع والسجود فيحتمل ان حرف العطف
مضمر في قوله ان خفتم كانه قال وان خفتم ان يفتنكم العدو فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة وقال
الحسن رحمه الله صلاة السفر ركعتان فاذا قام الحرب فركعة وهذا اللفظ يقتضي القصر الذي هو غاية والقصر يتعلق
بشرطين على مذهبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان المراد بالآية قصر العدد والاركان جميعا في حالة واحدة
وروي ان رجلا سال عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال انقصر وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما
عجبت منه حتى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
صدقة الله علينا يقتضي اسقاط الفرض عنا وقوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته دليل ان القصر عزيمة لا رخصة
لان ظاهر الامر على الوجوب ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المسافر اذا صلى الظهر اربعا ولم يقعد في الثانية قدر
التشهد فسدت صلاته كمصلي الفجر اذا صلاها اربعا قوله عز وجل **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة
اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** روي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد
الله رضي الله عنهم انهما قالا لما راى المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر وهو
يؤمهم ندموا على تركهم الاقدام على قتالهم فقال بعضهم دعوهم فان بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم واولادهم
يريدون صلاة العصر فاذا رايتموهم قاموا اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهذه الآية واطلعه على قصدهم ومكرهم وعن هذا كان اسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه حين رأى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلع على ما كان بين المشركين من قصدهم والتشاور فيما بينهم ومعنى الآية والله اعلم واذا كنت يا محمد
صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين في الغزو فابتدأت في تأدية الصلاة صلاة الخوف فلتقم طائفة منهم معك
في الصلاة وليأخذوا اسلحتهم معهم في صلاتهم لان ذلك اهيب للعدو واذا سجدت الطائفة التي معك وصلت
ركعة واحدة فلينصرفوا الى المصاف وليقفوا بازاء العدو ولتأت طائفة اخرى وهم الذين كانوا بازاء
العدو ولم يصلوا معك الركعة الاولى فليصلوا معك الركعة الاخرى وليأخذوا اسلحتهم معهم في الصلاة ولم يذكر

الألوكة www.alukah.net

في الاية لكل طايفة الا ركعة واحدة وفي صلوة الخوف خلاف بين اهل العلم ذهب بعضهم الى انها غير مشروعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن ابي يوسف وهو قول الحسن بن زياد لان في هذه الاية ما يدل على كون النبي صلى الله عليه وسلم شرطا في اقامة صلوة الخوف ولانها انما جازت للنبي صلى الله عليه وسلم ليستدرك الناس فضيلة الصلوة خلفه لان امامة غيره ما كانت تقوم مقام امامته وذهب اكثر اهل العلم الى ان صلوة الخوف مشروعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وان الخطاب في الاية وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالايمة بعده يقومون مقامه كما في قوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم ونحو ذلك من الايات ثم اختلف هولاء في كيفية صلوة الخوف فقال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يجعل الامام الناس طايفتين فتقف طايفة بازاء العدو وتقوم طايفة مع الامام مستقبلي القبلة فيصلي بالطايفة التي معه ركعة وسجدتين ثم تنصرف هذه الطايفة الى وجه العدو وتجي الطايفة الاخرى فيصلي بهم الامام ركعة وسجدتين ويتشهد ويسلم ثم ترجع هذه الطايفة الى وجه العدو بغير سلام ولا كلام وتاتي الطايفة الاولى فتقضي الركعة الثانية وحدانا بغير قراءة فاذا سلموا وقفوا بازاء العدو وجاءت الطايفة التي صلت مع الامام الركعة الثانية فيقضوا الركعة الاولى وحدانا بقراءة ولا يصلون وهم يقاتلون لان النبي صلى الله عليه وسلم فاتته ثلث صلوات يوم الخندق وحكى ابو سليمن الجوزجاني عن ابي يوسف اذا كان العدو في وجه القبلة وقف الامام وجعل الناس خلفه صفين فافتتح بهم الصلوة جميعا فيصلي بهم ركعة فاذا سجد سجد معه الصف الاول ووقف الثاني يحرسهم فاذا رفعوا روسهم من السجود سجد الصف الثاني وتاخر الاول وتقدم الصف الثاني فركع بهم جميعا ثم يرفعون روسهم ويسجد الصف المقدم سجدتين والصف المؤخر يحرسهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين لانفسهم ثم يتشهد الامام ويسلم بهم جميعا وهكذا قاله ابن ابي ليلى وقال مالك يجعل الامام الناس طايفتين فيصلي بطايفة ركعة وسجدتين ثم ينتظر الامام حتى يصلوا بقية صلاتهم ويسلموا ويصيروا الى وجه العدو وتاتي الطايفة الاخرى فيصلي بهم ركعة وسجدتين ويسلم ويقومون فيتمون صلاتهم ويصلون قال الشافعي مثل ذلك الا انه قال في الطايفة الاولى يتمون اذا صلى الامام بهم ركعة وسجدتين ان ينووا الخروج من صلوة الامام وقال في الطايفة الاخرى لا يسلم بهم الامام ولكن ينتظر حتى يقوموا فيتموا صلاتهم ثم يسلم بهم وانما وقع هذا الاختلاف لاختلاف الاخبار الواردة في هذا الباب روى علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بالطايفة الاولى ركعة وبالطايفة الاخرى ركعة كما ذكر الله عز وجل في الاية ثم جاءت الطايفة الاولى وذهبت الطايفة الثانية الى موضع العدو حتى قضت الطايفة الاولى الركعة الثانية وسلمت ثم رجعت الى وجه العدو وجاءت الطايفة الثانية فقضت الركعة الاولى وسلمت فكانت لكل طايفة ركعتان وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال ابو يوسف وروى صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال الشافعي رضي الله عنه فدلت هذه الاخبار على جواز الجميع وانما يقع الكلام في الاولى والاقرب الى ظاهر القران وظاهره يشهد للرواية التي رواها علي كرم الله وجهه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا معه لان في قوله عز وجل فلتقم طايفة منهم معك دليلا على ان الامام لا يصلي بالطايفتين جميعا معا وفي قوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورايكم دليل ان الطايفة الاولى تنصرف عقيب السجود وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا تنصرف الطايفة الاولى الا بعد تمام الصلوة وفي قوله تعالى ولتات طايفة اخرى لم يصلوا دليل ان الطايفة الثانية تاتي وهي غير مصلية وعند ابي يوسف تقف معه في الابتداء وتصلي بعض الصلوة مع الامام ثم تتقدم الى موضع الصف الاول وهذا كله اذا امكنهم اقامة الصلوة بالجماعة فاذا لم يمكنهم اقامتها بالجماعة لقيام القتال وكثرة العدو صلى كل واحد منهم صلوة نفسه على حسب امكانه اما الى القبلة او الى غير القبلة ان لم يمكنه التوجه الى القبلة وان كان راكبا او موميا ايماء كما قال الله

عز وجل

عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا واما قوله عز وجل ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فمعناه تمنى الكفار ان تضعوا اسلحتكم وامتعة الحرب فيميلون عليكم ميلة واحدة قال ابن عباس رضي الله عنهما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربا وبني انمار فهزمهم الله عز وجل فنزل صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي الى الوادي حتى قطعه فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لاصحابه قتلني الله ان لم اقتل محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه وبيده السيف فقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شيت فاهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف وقال من يمنعك مني يا غورث قال لا احد قال اتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله واعطيك سيفك قال لا ولكني لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فرجع الى اصحابه فقالوا ليلنا [?] رايناك قايما بالسيف على راسه ما منعك منه قال الله اهويت ولكن لا ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي [illegible] فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم بالقصة وانزل الله تعالى عليه هذه الاية ومعنى قوله عز وجل ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر لا حرج عليكم معشر الغزاة ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى من جراح او غيره ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله خلق وهيا للكفرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار في الاخرة قوله عز وجل **فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** معنى الاية والله اعلم فاذا فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله بالتعظيم والتحميد في الاحوال كلها قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله وقوله عز وجل فاذا اطمانتم فاذا رجعتم من سفركم وزال حكم الخوف والمرض فاقيموا الصلوة اتموها باركانها ركوعها وسجودها وسائر شروطها ان الصلوة كانت على المؤمنين فرضا موقتا او وقتها وقيل منجما اذا انقضى نجم اي وقت جاء نجم وقيل معلوما وهو صلوة المسافر ركعتان وللمقيم اربع ركعات ثم حث جل ذكره المؤمنين على طلب الكفار وقتالهم فقال عز وجل **ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما** معناه لا تضعفوا في طلب الكفار وقتالهم لما اصابكم من الجراحات يوم احد ان تكونوا تالمون اي ان كان لكم صارف من الحرب وهو انكم تالمون من الجراح فلهم مثل ذلك من الصارف عن الحرب ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم وهي انكم ترجون من الثواب والنصر من الله عز وجل ما لا يرجون الكفار وكان الله عليما بمصالحكم حكيما فيما امركم به قوله عز وجل **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخاينين خصيما** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان فكان الدرع في جراب فيه دقيق وفي الجراب خرق فانتثر الدقيق من المكان الذي سرقه الى باب منزله فقطع به انه هو السارق فخبى الدرع الى زيد بن السمين اليهودي واودعه اياه ثم سار الى قومه فاعلمهم انه لما اتهم بالدرع اتبع اثرها الى عند اليهودي وان اليهودي سارقها فجا قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اهل لسان وبيان فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعذره عند الناس فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعذره ويضرب اليهودي فانزل الله تعالى الاية ومعناها انا انزلنا اليك الكتاب يا محمد صلى الله عليه وسلم القران امرا بالحق ويقال انزلناه بالحق الذي فيه لتحكم بين الناس بما علمك الله ولا تكن يا محمد لطعمة وقومه معينا قوله عز وجل **واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما** معناه تب الى الله من همك بالهم اليهودي ان تضربه ان الله كان غفورا لمن يستغفره رحيما بالتايبين قوله عز وجل **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما**

ازلخه وجع الظهر

وهن ص

الدرع م

شبكة الألوكة www.alukah.net

معناه ولا تخاصم عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ورمي اليهودي بها ان الله لا يحب من كان مكتسبا للاثم فاجرا بالكذب
ورمي البريء والجدال والمجادلة في اللغة شدة الخصومة وهي محاولة لكل واحد من الاثنين ان يميل صاحبه
الى رايه ومذهبه والجدل شدة الفتل ويسمى الصقر اجدل لانه من اشد الطيور قوة والاختيان افتعال من الخيانة
وانما قال يختانون انفسهم وان كانوا خانوا غيرهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم
الا نفسه وانما قال خوانا ولم يقل خائنا لعظم امر الخيانة ويقال لئلا يتوهم متوهم ان الخيانة اليسيرة توجب زوال
المحبة واما الاثيم فهو منقول من الاثم وهو ابلغ من اسم الفاعل كالسميع والعليم قوله عز وجل يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون
محيطا معناه يستخفي قوم طعمة اي يستترون من الناس وهم يعلمون انه سارق ولا يستترون من الله اي لا يمكنهم
الاستخفاء منه فانه يراهم وعلمهم عند الله ظاهر قال الضحاك وذلك انه لما سرق طعمة الدرع فاتخذ حفيرة في بيته
فجعل الدرع تحت التراب ويقال معنى ولا يستخفون من الله ولا يكون الخائن حياء من الله عز وجل والاخفاء
من العباد ان يفعلوا الشيء سرا والاختفاء من الله ان لا يفعله البتة وقوله عز وجل وهو معهم اي مشاهد لافعالهم
وانما عبر عن ذلك بهذا اللفظ لان من يكون مع الانسان يكون مشاهدا لافعاله وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول اي يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله عز وجل وهو اتفاق قوم طعمة على ان يرمى طعمة
اليهودي بالسرقة ويحلفانه لم يسرقها فتقبل يمين طعمة لانه على دين الاسلام ولا تقبل يمين اليهودي وقوله في مقالة
قوم طعمة واما قوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا فمعناه وكان الله بما يعملون من اعمالهم محيطا عالما لا
يفوته شيء من افعال العباد كما لا يفوت المحيط بالشيء وبالله التوفيق قوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في
الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا قال الضحاك وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم اراد ان يقطع طعمة في السرقة بعد هذه الايات فجاء قومه شاكين في السلاح فجادلوا عنه وهربوا
به فانزل الله عز وجل هذه الاية ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم ومعنى هذه الاية انتم يا قوم طعمة خاصمتم النبي صلى
الله عليه وسلم عن طعمة وعن خيانته في دار الدنيا وفي حرف ابي جادلتم عنه وقوله فمن يجادل الله اي من يخاصم الله
عالم الغيب والشهادة يوم يؤخذ فيه بالحقائق ام من يكون عليهم وكيلا يتوكل لهم ويصلح امرهم ويحفظهم من عذاب
الله يومئذ ولقد دخلت ها التنبيه في اول هذه الاية مرتين على طريق التوكيد اذ من شان العرب ان يدخل الاسم
المبهم بين التنبيه وبين الاسم للمبالغة في الخطاب يقال ها انت الذي فعلت كذا وانما كنت انت الذي فعلت فذكر
انت والذي للتاكيد ويقال معنى ها انتم هؤلاء على تحريم ما تقدم ذكره من قبل ثم ندب الله عز وجل المذنب الى التوبة
فقال عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
معناه ومن يعمل عملا يسوء به غيره نحو السرقة والقتل والسب والقذف ويظلم نفسه نحو الكذب واليمين
الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرائض ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للمستغفرين التائبين رحيما بهم
بعد التوبة وانما شرطت التوبة لان الاستغفار باللسان لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل تبت واسات ولا
اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالسوء الكبيرة وبظلم النفس الصغيرة وفايدته
بيان ان الكبيرة تغفر بالاستغفار والصغيرة لا تحتاج الى الاستغفار وعن علي كرم الله وجهه انه قال
كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله به ما شاء واذا سمعته من غيره حلفته عليه
وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضا ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى
الا غفر الله له وتلا هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية قوله عز وجل ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه وكان الله عليما حكيما معناه من يعمل معصية فانما عقوبة معصيته على نفسه وكان الله لم
يزل عليما بكل ما يكون حكيما فيما حكم من القطع على السارق والكسب في اللغة هو الفعل الذي يجر به صاحبه الى

نفسه

نفسه منفعة او يدفع عن نفسه مضرة وهذا لا يجوز في صفات الله عز وجل كما انه لا يجوز المنافع و
المضار عليه وقيل وروي انه لما نزلت هذه الاية عرف قوم طعمة انه هو الظالم فاقبلوا عليه وقالوا تب الى الله وائت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب من الذنب فقال لا والذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فنزل قوله عز وجل
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا معناه والله اعلم من يعمل
معصية بغير عمد او يعملها متعمدا ثم يرم بما فعل بريئا فقد استوجب عقوبة البهتان برميه غيره بشيء لم
يفعله واثما مبينا اي ذنبا بينا ظاهرا وقيل انما قال خطيئة او اثما لان الله عز وجل سمى بعض المعاصي خطايا
وبعضها اثاما فاعلم الله عز وجل ان من كسب معصية يقع عليها اسم الخطيئة او الاثم ثم يرم به من لم يعمله فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما معناه ولولا فضل الله عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة و
الاسلام ورحمته بارسال جبريل عليه السلام اليك بالقران الذي فيه خبر ما غاب عنك لقصدت جماعة
من قوم طعمة ان يخطئوك ويحملوك على ان تحكم بما هو غير واجب في الباطن وان تبرئ الخائن من غير
حقيقة وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اي وما يكون اضلالهم الا على انفسهم ولا ينقصونك
شيئا مع عصمة الله تعالى اياك وانزل الله تعالى عليك القران ومعرفة الحلال والحرام وعلمك بالوحي ما لم تكن
تعلم وكان من الله عليك عظيما بالنبوة والاسلام وفي هذه الايات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن
غيره في اثبات حق او نفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان
احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجود السرقة في يد انسان لا يوجب الحكم بها عليه قوله عز وجل لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما معناه والله اعلم لا خير في كثير من اسرار قوم طعمة فيما
يدبرون فيما بينهم الا نجوى من امر بصدقة فيتصدق بها ويجوز ان يكون الا من امر استثناء ليس من الاول
على معنى لكن فيكون موضع من امر نصبا على الاضمار والاول موضع خفض وذهب الزجاج الى ان النجوى
في اللغة ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال ومعنى نجوت الشيء اذا خلصته والقيته
يقال نجوت الجلد عن البعير اذا القيته ونجوت الوتر واستنجيته اذا خلصته واصل ذلك من النجوة وهي
المكان المرتفع من الارض واما قوله او معروف فمعناه او امر بمعروف ويسمى البر كله معروفا لان
العقول تعترف به وتقبله ويروى ان رجلا من اهل البادية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليك يا رسول الله فقال عليه السلام وعليك السلام فقال الرجل انا معشر اهل البادية فينا الجفاء فعلمني
كلمات ينفعني الله بهن فقال ادن ثلاثا فدنا فقال اعد علي فاعاد فقال اتق الله ولا تحقرن من المعروف
شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه منبسط ولو ان تفرغ من فضل دلوك في اناء المستقي وان امرؤ سبك بما يعلم
فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله تعالى جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى قال
الرجل فما سببت بعده شيئا لا شاة ولا بعيرا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة واول اهل
الجنة دخولا اهل المعروف وصنائع المعروف تقي مصارع السوء واما قوله عز وجل او اصلاح بين الناس فالمراد
به الاصلاح بين المتخاصمين واصلاح ذات البين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بافضل درجة من الصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات
البين هي الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين واما قوله عز وجل ومن يفعل ذلك فمعناه
البر والاصلاح والصدقة لطلب رضاء الله تعالى لا الرياء والسمعة فسوف نؤتيه في الاخرة ثوابا وافرا

في الجنة ثم ارسل الله عز وجل في طلبه وهرب الى مكة حتى قام من القطع او الفضيحة قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
معناه ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله عز وجل ويتبع دينا غير
دين المؤمنين وهو دين اهل ملة نوله في الاخرة جزاء ما تولى في الدنيا ويقال نتركه الى ما اختاره لنفسه في الدنيا في
لا نتولى الله نصره ومعونته ونلزمه دخول جهنم في الاخرة وساءت جهنم مصيرا لمن صار اليها روي في الخبر
طعمة اقام على الكفر بمكة فنقب بيت رجل فسقط عليه حجر من البيت فنشب فيه ولم يستطع ان يدخل ولا يخرج حتى اصبح
فاخذوه فقال بعضهم لبعض انه قد [illegible] وعزم بكم فاتركوه فخرج مع قوم من التجار نحو الشام فسرق بعض
متاعهم وهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة قوله عز وجل ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا قال عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في وحشي قاتل حمزة على ما تقدم ذكره ومعنى الاية والله اعلم ان الله تعالى
لا يغفر شرك المشرك بعد ان مات بغير توبة لان التائب عن الشرك لا يكون مشركا وقوله عز وجل ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء اي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اهل الاسلام بغير توبة لان الله تعالى قال في ذلك بقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويقال قالوا يغفر الشرك بالتوبة وهذه الاية لانه قيده بالتوبة في اية اخرى وهي قوله عز
وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله فان قال قائل ان الكافر الذي لا يشرك
مع الله شيئا خارج عن قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به او داخل فيه قلنا ان كل كافر مشرك بالله
لان اليهود تقول عزير بن الله والنصارى تقول المسيح بن الله ويقال ان من كذب نبيا من الانبياء فقد زعم
ان الايات التي اتى بها النبي ليست من عند الله فجعل ما لا يكون الا لله لغير الله فيصير مشركا وذهبت المعتزلة
الى ان المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مغفرة الصغائر لاهل الاسلام بغير توبة منهم اذا اجتنبوا الكبائر
وزعموا ان قوله لمن يشاء مبهم مردود الى سائر الايات الواردة في الصغائر والكبائر وقوله عز وجل ومن يشرك
بالله اي من يشرك مع الله شيئا فقد ذهب عن الهدى والصواب ذهابا بعيدا او الغاية وقوله بعيدا اي
الاذهاب عن نعيم الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا وان
يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يعبد اهل مكة من دون الله الا الاصنام والاوثان وسماها باسم الاناث لانهم
سموها باسماء الاناث اللات والعزى ومناة فعبدوها مع اعتقادهم نقصان مرتبة الاناث عن الذكور لان
الاناث من كل جنس ارذله ويقال الا اناثا الا امواتا لان الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن الاناث يقال هذه الاحجار
تعجبني ويقال ان الموات من الحيوانات كالاناث من الذكور في نقصان المرتبة وقال الضحاك المراد بالاناث الملائكة
فانهم كانوا يسمون الملائكة بنات الله وقوله عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يريدون
بتوجههم العبادة الى الاناث الا عبادة الشيطان وهذا اصح الجوابين من قول من يقول ان في هذه الاية
نفي العبادة الا للاصنام وفي اخرها اثبات عبادتهم لغير الاصنام ومعنى المريد العاتي الخارج عن الطاعة وسمي
مريدا لتعريه من الخير يقال شجرة مرداء اي لا ورق عليها وغلام امرد اذا لم يكن بعارضيه شعر قوله عز وجل لعنه
الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اراد به الشيطان ابعده الله من رحمته
الى معاقبه بالحكم له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال كيف يصح قول من قال لعنه الله وهو في الدنيا
لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله تعالى في كل حال لانه لا يعتد له بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار وقوله وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا معناه وقال ابليس لاتخذن من عبادك حظا معلوما والفرض في اللغة القطع
ومنه الفرضة وهي الثلمة تكون في النهر والفرض في القوس ما يشد فيه الوتر والفريضة في العبادات الامر المحتوم
القطع ويجوز ان يكون معنى مفروضا افترضه على نفسه ويقال الفرض الكرم يقال الطين لا يسمو له في القيمة [illegible]

له

قوله عز وجل من [illegible]

له ومن له سهم في الغنيمة من ضلاله وكلما اطيع فيه المرء [illegible] له قوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم ولا
مرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله فقد خسر خسرانا مبينا حكاية عن قول ابليس ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم طول البقاء في الدنيا وان
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويقال ولامنينهم الاماني الباطلة الداعية الى العصيان ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام وهي البحيرة التي كانوا يفعلونها نسكا وعبادة للاوثان والبتك والتبتيك القطع واما قوله
ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يغيرون دين الله تعالى وكان عكرمة يقول
اي تغيير خلق الله الخصا قال مجاهد كذب عكرمة انما هو دين الله فان الله عز وجل خلق الانعام للركوب
والاكل وقد حرموها على و خلق الشمس والقمر حجرة للناس فعبدها المشركون فغيروا خلق الله واستشهدوا
على هذا القول بقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وعلى هذا قالوا كل من
كفر فقد غير خلق الله وعن عبد الله بن مسعود انه قال المراد تغيير خلق الوشم ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله اي من يتخذه ناصرا من دون الله فقد غبن غبنا ظاهرا الا انه خسر الجنة والنعيم الذي فيها قوله عز وجل
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا معناه يعدهم ان لا جنة ولا نار ويمنيهم طول
البقاء في الدنيا [illegible] على الاخرة وما يعدهم الشيطان الا باطلا والغرور ايهام النفع فيما
فيه ضرر قوله عز وجل اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معناه اهل هذه الصفة
مستقرهم جهنم ولا يجدون منها معدلا ولا مخلصا يقال حاص يحيص حيصا وحاض يحيض حيضا
بالضاد المعجمة اذا عدل عن الشيء عدولا قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا معناه والذين
صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها
وغرفها انهار الماء والخمر والعسل واللبن مقيمين في الجنة الى الابد وانما جمع بين الايمان والطاعة ليبين بطلان
توهم من توهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا ينفع الطاعة مع الكفر وليبين
استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين وقوله وعد الله نصب على المصدر ومعناه وعد الله
هذا لهم حقا كائنا ومن اصدق من الله قيلا اي ليس احد اصدق قولا ووعدا وانما خرج مخرج الاستفهام
لانه لا يحسن جوابه الا بالنفي قوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ليس ثواب الله تعالى بامانيكم فان ليس يقتضي اسما وقد تقدم
ما يدل على اضمار الثواب وهو قوله عز وجل سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار واختلفوا في المخاطبين
بهذه الاية قال بعضهم ان المخاطبين بها عبدة الاوثان اي ليس الثواب باماني عبدة الاوثان ولا اماني
اهل الكتاب والمراد بالسوء الكفر وذلك ان وثنيا قال لن نبعث ولن نعذب واهل الكتاب قالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقال بعضهم ان المخاطب بها المسلمون اي ليس بامانيكم معشر المسلمين
الا [illegible] بعد الايمان ولا اماني اهل الكتاب ان لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
من يعمل معصية يجز بها ولا ينفعه تمنيه ان يجاوز عنه ولا يجد له من دون الله وليا ينفعه ولا مانعا
يمنع العذاب روي انه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
الفلاح بعد هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب
الست تصيبك اللاواء قال بلى قال فهو ما تجزون به وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه
الاية شق ذلك على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا فكل ما يصيب
المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها وروي عن ابي بن كعب وعائشة رضي الله عنهما انهما

شبكة الألوكة www.alukah.net

والاهوال في الصغائر فان الصغائر يستحق عليها مضرة منقطعة يمحص بكفرها بالامراض والاحزان ومصايب
الدنيا قوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا معناه ومن يعمل من رجل او امراة وهو مصدق بالثواب والعقاب فاولئك يدخلون
الجنة في الاخرة ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير فان قيل كيف قال ولا يظلمون نقيرا
وكان معلوما للناس ان الله عز وجل لا يظلم احدا قيل فائدة اللفظ بيان انه لا ينقص من جزاء اعمالهم مقدار
نقير لعصيان ولا ذلك ظلما والله لا يظلم الله تعالى احدا قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا معناه اي احد احكم واصوب طريقة
وسيرة ممن اخلص عمله وطاعته لله عز وجل وهو محسن في الاعتقاد والقول فيما بينه وبين ربه واتبع دين ابرهيم
مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام وقيل معنى الحنيف المستقيم في سلوك الطريق الذي امر بسلوكه وسمي
الاعرج حنيفا تفاؤلا ومعنى المحسن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الايمان فاجاب فقيل
ما الاسلام فاجاب فقيل ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما قوله واتخذ
الله ابرهيم خليلا ففيه وجهان احدهما الاصطفاء بالمحبة والاختصاص بالاسرار دون من ليس له تلك المنزلة
والثاني من الخلة وهي الحاجة فخليل الله المحتاج اليه المنقطع بحوايجه الى الله دون غيره وقد سمي الفقير خليلا كما
قال زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم فاذا اريد به الوجه الاول جاز ان يقال
ابرهيم خليل الله والله خليل ابرهيم واذا اريد به الوجه الثاني لم يجز ان يوصف الله عز وجل بانه خليل ابرهيم
وجاز وصفه بانه خليل الله وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابرهيم خليلا
لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان
ابرهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق وكان يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فبعث غلمانه
الى خليل له بمصر يسأله الميرة فقال الخليل لو كان ابرهيم اراد لنفسه لاحتملنا ذلك ولكنه يريد للناس وقد
دخل علينا ما دخل على الناس فرجع رسل ابرهيم صلوات الله عليه وقالوا فيما بينهم لنستحيي ان نمر بالناس بابل
فارغة فملؤوا الاحمال سهلة فاتوا ابرهيم وسارة نايمة فاعلموه بذلك فاهتم ابرهيم عليه السلام لمكان الناس
ببابه فغلبته عيناه فنام فاستيقظت سارة فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى فاختبزوا
فانتبه ابرهيم عليه السلام فشم رائحة الطعام فقال لها من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري
فقال عليه السلام لا بل من عند خليلي السماوي فيومئذ اتخذه الله خليلا فان قال قائل لم كان دينه احسن
الاديان قيل لان احسن اعمال العباد طاعة الله تعالى على حدود الاخلاص لما فيها من استحقاق الجزاء على
من يوثق بجزائه من رب لا ينقص ملكه من المجازاة ولا يخاف عليه الفوت ودينه ابلغ الاديان في طاعة
الله تعالى على حد الاخلاص فان قيل لم كان اتباع ملة ابرهيم اولى من اتباع ملة غيره من الانبياء مثل موسى وعيسى
وغيرهما صلوات الله عليهم قيل لان الفرق كلهم متفقون على فضيلته ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو
الى الحنيفية دون اليهودية والنصرانية فان قيل نبينا في ملة ابرهيم بعينها او غيرها قيل اصل الملة واحد
وهو ملة ابرهيم عليه السلام وفي ملة نبينا الزيادة في ملته يرشد قوله عز وجل ولله ما في السموات
وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا معناه ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وانما قال
هذا لتبيين ان ابرهيم مع كونه خليل الله تعالى عبد له وانه لم يتخذه خليلا لحاجته اليه ولكن اتخذه خليلا لجزاء
على عمله فان الحكمة تقتضي مجازاة المحسن على احسانه وقال بعضهم انما قال لله ما في السموات لانه لما امر الناس بطاعته حثهم
على الطاعة بما يوجب الرغبة فيها من كونه مالكا للسموات والارض واما قوله عز وجل وكان الله بكل شيء
محيطا فمعناه وكان الله لم يزل قادرا على كل شيء عالما بكل شيء من كل وجه فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته

قوله عز

١٦٢

قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى
بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في ام
كجة امراة اوس بن ثابت وبناتها منه لما اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ان بني عمهن اوس اخذا عيينة بن
حصن الفزاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قد ورثت لبنات و
النساء والصغار ولم يكن يورث الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الاية وبقي
الميراث بعد نزول قوله يوصيكم الله في اولادكم الى قوله ان الله كان عليما حكيما قبل نزول فرض الزوجات الخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه في ميراث ام كجة امراة المتوفى فانزل الله هذه الاية ووعدهم ان
يفتيهم في ميراث الزوجات فافتاهم في ذلك بقوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى اخر الاية ومعنى الاية
والله اعلم يسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم الفتيا في امر النساء وما يجب لهن من الميراث قل الله يبين لكم ما يفتي
والذي يقرا عليكم في كتاب الله عز وجل من اول هذه السورة يفتيكم ويبين لكم ما سالتم عنه في بنات ام كجة اللاتي
لا تعطونهن ما فرض لهن من الميراث وهو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم واما قوله عز وجل وترغبون ان تنكحوهن
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم معناه وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن
ولا تعضلوهن نصيبهن من الميراث ليرغب فيهن غيركم وذلك ان بني اعمام تلك البنات كانوا اولياءهن وكانوا
لا يعطونهن حقهن من الميراث ويرغبون ان يتزوجوهن وعن عائشة والحسن رضي الله عنهما انهما قالا معناه
وترغبون ان تتزوجوهن لجمالهن ولا تعطونهن ما اوجب الله تعالى لهن من الصداق وفي كلا القولين دليل على جواز
نكاح الاولياء اليتامى واما قوله عز وجل والمستضعفين من الولدان فمعناه وفي المستضعفين من الولدان في
ميراث اليتامى وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط معناه وفي ان تقوموا لليتامى في اموالهم وحقوقهم
بالعدل وما تفعلوا من خير في امر اليتامى والصغار والضعاف فان الله كان به عليما يجزيكم على ذلك كله وقد
اختلف اهل الاعراب في موضع قوله وما يتلى عليكم فذهب اكثرهم الى انه في موضع الرفع وتقديره وما يتلى عليكم
في الكتاب يفتيكم وقال بعضهم هو في موضع الخفض تقديره وفي ما يتلى عليكم في الكتاب الا ان هذا الوجه
اضعف من الاول لانه لا يصح عطف الظاهر على المضمر في حال الجر من دون اعادة حرف الجر لا يقال مررت به
وزيد الا باعادة حرف الجر به وبزيد قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا روي ان هذه الاية نزلت في ابنة محمد بن مسلمة وقيل وجها سعد بن
الربيع وهي شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج عليها شابة اثرها عليها فشكت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت ومعناها وان علمت امراة من زوجها ترفعا عنها لبغضه اياها او اعراضا بوجهه عنها لاثاره غيرها
عليها فلا حرج على الزوج والمراة ان يصالحا بينهما صلحا معلوما بتراضيهما وهو ان يقول لها الزوج انك امراة
قد دخلت في السن وانا اريد ان اتزوج عليك امراة شابة واوثرها عليك في القسمة لها فان شئت وهبتي
نصيبك من القسم فان رضيت والا سرحتك بالاحسان وتزوجت اخرى فان رضيت حل للزوج ذلك
كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه طلق امراته سودة فسالته لوجه الله عز وجل ان يراجعها
ويجعل ايامها لعايشة رضي الله عنها ففعل ومثل هذا الصلح لا يصح الا ان المراة الكبيرة لو ابت بعد ذلك
الا المقاسمة على السوا او ذلك لها الا ان يرضيها الزوج بعد ذلك اما تخييرا او وجها اخر على ما تقدم ذكره
وذهب بعض المفسرين الى ان الزوج والمراة لو اصطلحا على ان اعطاها الزوج مالا معلوما حتى تترك له بعض
ايامها او تنقص من نصيبها لصاحبتها جاز وهذا لا يصح لان اسقاط الحق والاعتياض عن الاسقاط مع وجود

الدمامة قبح الوجه ه

كانوا لا يورثون الا الرجال ه

شبكة الألوكة www.alukah.net

السبب الموجب للتسليم وهو العقد اطلاقا فان المراة اذا ابرت زوجها عن تسليم العيد المهر او ابرا المشتري البايع
عن تسليم البيع او اخذ عوضا عن الامتناع من التسليم فذلك احلال لا يجوز تراضيهما عليه وقرا بعضهم ان يصلحا
بينهما صلحا من الاصلاح وقوله عز وجل والصلح خير معناه والصلح خير من الاقامة على النشوز وقيل الصلح
خير من الفرقة واما اقيم الخوف في اول هذه الاية مقام العلم لان خوف النشوز لا يكون الا وقد بدا منه شي
واما دخول حرف الشرط على الاسم فانه على احد المقدرين اما التقدير بفعل مضمر يليه المظهر الذي بعده كانه
قال وان خافت امراة خافت من بعلها نشوزا وحذف الفعل الاول لتفسير الثاني اياه ونظيره في المنصوب
زيدا ضربته تقديره ضربت زيدا ضربته واما على التقديم والتاخير كانه قال وان خافت امراة من بعلها
نشوزا ونظير هذا قوله عز وجل ان امرؤ هلك وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك وهذا لا يكون
الا في الفعل الماضي كما يقال ان الله عز وجل مكني فعلت كذا وكذا فاما في الفعل المستقبل فيقبح ان يفرق
بين ان التي للجزاء وبين لفظ الاستقبال فيقال ان امراة تخف لان ان تجزم المستقبل فلا تفصل بين العامل والمعمول
واما قوله عز وجل واحضرت الانفس الشح معناه جبلت الانفس على الشح فتمنع المراة الكبيرة نفسها من الرضا
بدون حقها وترك بعض نصيبها من الرجل لغيرها ويشح الرجل بنصيبه من الشابة فيمنعه من توفير نصيب الكبيرة
من القسم عليها وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا معناه وان تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم عن النسا فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والجور عالما لا يغير عليكم الحسن والسيئ فيجزيكم على ذلك قوله عز وجل ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما معناه ولن تقدروا ان تسووا بين
النسا ولو اجتهدتم في المودة كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم
ان هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني بما لا املك واراد به المودة في المحبة وقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل
معناه لا تميلوا الى الشابة بالفعل كل الميل فتتركوا العجوز بغير القسمة كالمحبوسة لا ايم ولا ذات بعل وفي قراءة ابي
وتذرها كانها محبوسة وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت له امراتان فمال الى
احديهما جا يوم القيمة واحد شقيه مايل وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا معناه وان تصلحوا ما افسدتموه
باوراط الميل وتتقوا العقوبة فيه فان الله كان غفورا لما سلف من الظلم منكم عليهن رحيما لكم بعد التوبة
قوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
معناه والله اعلم ان الزوج والمراة اذا افترقا خوفا من ترك حقوق الله سبحانه التي اوجبها عليهما اغنى الله كلا
من سعته من رزقه الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وكان الله واسعا لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج
الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان وقيل معناه وكان الله واسع الملك جواد الا يعجزه شي ذا حكمة فيما
يحكم من الفرقة بين الرجل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول وفي هذه الاية بيان ان رزق العباد
على الله تعالى وان ما يجريه على ايدي عباده فهو المسبب والمستحق عليه الحمد قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا معناه ان لله
ملك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماؤه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء لا ان الذي يضمن
به من الرزق بسبب الاضافة اليها حاجته وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
اولهم اهل التوراة في التوراة واهل الانجيل في الانجيل واهل كل كتاب في كتابهم واياكم اي وصيناكم يا امة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتابكم ان اتقوا الله واطيعوه في امر اليتامى والنساء واحكامهم وفي هذه بيان ان
الزام الله تعالى عباده التقوى عموم لا خصوص فيه اذ الزمكم ما الزم ساير الامم قبلكم مصلحة لكم وان تكفروا فالي

تجدوا

بعها وصية الله سبحانه فلم تعملوا بها فان لله ما في السموات من الملايكة وما في الارض من الجن والانس وساير
الخلق وكان الله غنيا عن عبادتكم لا تضره كفر من كفر منكم ولا ينفعه طاعة من اطاع منكم حميدا محمودا في ايه وفي
خلقه وملكته وعباده حمد قوم ام لم يحمدوه وقيل الحميد المالي وحكمته ولطاعته قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا تنبيه بعد تنبيه كانه عز وجل نبههم عن غفلتهم بانه حفيظ
على اعمالهم كي يحفظوا ولا يسهوا ويبادروا الى امره واجتناب ما نهى الله عز وجل وليس شي من هذه الالفاظ تكرارا في كتاب
الله عز وجل ولكن كل واحد منها مقرون بفايدة جديدة والفايدة في اعادة قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض الثنا الامر بالاتكال على الله عز وجل والثقة به وتفويض الامر اليه ولذلك عقبه
بقوله وكفى بالله وكيلا اي حافظا لاعمالكم كفيلا بارزاقكم قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس
وياتي باخرين وكان الله على ذلك قديرا معناه ان الله سبحانه كما يملك الوجوه من السموات والارض يملك
ايضا الاستبدال فافنا الخلق وانشا اخرين وقيل هو خطاب للكفار لانه تعالى قال من قبل وان تكفروا
فكانه قال ان يشا يهلككم ايها الكفار ويات بقوم اخرين اطوع منكم وكان الله على اهلاككم وخلق
غيركم مكانكم قادرا وذكر لفظ كان لبيان انه لم يزل كان قادرا على كل شي لا انه حدث له قوة لم تكن وفي الاية
تخويف لكل من كانت له ولاية او رياسة فلا يعدل فيهم كان يحتسب او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس
ان يذهبه الله تعالى ويهلكه ويأتي بغيره خيرا منه قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر عظم سلطانه وسعة
ملكه وقدرته اراد ان يرغبهم فيما عنده من ثواب الاخرة ويحذرهم من عقابها كي ينقطعوا اليه بالكلية
فقال من كان يريد ثواب الدنيا اي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فليعمل لله ولا يقتصر على طلب
الدنيا فان ثواب الدنيا واصل الى البر والفاجر والمومن والكافر ولكن ليطلب طلب الاخرة التي لا تنال الا بالعمل
وكان الله سميعا للكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الاية تهديد للمنافقين المرائين من الناس وجاء
في الحديث ان في جهنم واديا تتعوذ منه جهنم في كل يوم اربعماية مرة اعد للقرا المرائين وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال نية المومن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته وليس من مومن
يعمل عملا الا سارت في قلبه نيتان فان كانت الاولى لله سبحانه فلا تهدنه الاخرى وقيل ان المراد بهذه الاية
مشركوا العرب كانوا يقرون بالله سبحانه خالقهم ويزعمون ان يقربهم الى الاصنام ليقربوهم الى الله سبحانه
زلفى ويعطيهم الله عز وجل من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فاعلم الله عز وجل ان خير الدنيا في الاخرة عنده قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان
بما تعملون خبيرا ابتدا فصل ذكره عز وجل في هذا الموضع لاشتماله على تمام الوصايا وانفاذ الشهادات والاحكام
معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا بالله ورسله قوموا بالعدل وقولوا الحق ويجوز ان يكون معنى القوام بالقسط
استعماله العدل على حسب ما يجب من انصاف الانسان من نفسه وانصاف كل مظلوم من ظالمه ومنع كل ظالم
من ظلمه يقال فلان يقوم بهذا الكتاب او بحسنه وبهذا الامر اي يمكنه التصرف فيه ولفظ القوام لا
يكون الا لمن الفه والقسط والاقساط العدل ويقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط
الرجل يقسط قسوطا اذا جار قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا وقال واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي الجايرون وقوله عز وجل شهدا لله انتصب لاحد اوجه ثلثة
احدها انه خبر ثان كما يقال هذا حلو حامض والثاني على الحال كما يقال هذا زيد راكبا والثالث على انه صفة
لقوامين فان قوامين نكرة وشهدا نكرة والنكرة ينعت بالنكرة ومعنى شهدا لله اي اشهد والحق لله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على ما كان من قريب وبعيد وكل ما كان الوصول الى القسط فيه من طريق الشهادة كاقيموا الشهادة لله
على الظالم بحق واما قوله ولو على انفسكم فمعناه قولوا الحق ولو على انفسكم والشهادة على النفس اقرار والاقرار
والشهادة يجتمعان في المعنى وقوله او الوالدين والاقربين معناه او على والديكم او على قراباتكم وفي هذا بيان ان
شهادة الابن على الوالد لا يكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع من الشهادة على ابويه لان في الشهادة عليهما بالحق
منعا لهما عن الظلم وقوله ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله احق بالغني والفقير
من عباده من احدكم بوالديه وقراباته واحرى وارأف فاقيموا الشهادة لله لا تميلوا في الشهادة رحمة للفقير ولا
تقصدوا اقامتها لاحتمال الغني الغني عندكم اي لاجل غنى المشهود له حرمة ونظير هذا قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما فقال ان ترده عن ظلمه لان ذلك نصره مثل ذلك
قوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك
ويقال معناه لا تتبعوا الهوى ان لا تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا ويقال كراهة ان تعدلوا او
هذا كما قالوا في قوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا عن الحق الى الهوى وقوله
وان تلووا او تعرضوا من قرا تلووا بواوين فمعناه ان تماطلوا في اقامة الشهادة وتعلكوا اللسان لتفسدوا
الشهادة او تعرضوا عن اقامة الشهادة ماخوذ من لوى فلان دينه يلويه ليا اي دافع ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ومن قرا تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه
ان تقيموا الشهادة او تعرضوا قال الفراء اصل تلوا تلووا بالهمزة من لاى يلأى لأيا اذا ابطأ فطرحت الهمزة
ونقلت حركتها الى اللام وقوله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي لا يخفى عليه شيء مما تعملون من كتمان
الشهادة واقامتها ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالاية القاضي يتقدم اليه
الخصمان فيعرض عن احدهما او يدافع وامضاء الحق او لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع
ان يكون المراد بالاية القاضي والشاهد وعامة الناس لاحتمال اللفظ الجميع وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد الحق هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى السلطان والخصومة ليقطع
بذلك حقه وايما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس هو له عليه فلا ياخذنه فانما اقطع له
قطعة من نار جهنم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا والمخاطبون بهذه الاية ثلاثة اقوال احدها انهم المؤمنون امروا
بالاقامة على الايمان والثبات عليه كما في تفسير قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه والثاني
ان المراد بها اليهود والنصارى كانه قيل يا ايها الذين امنوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله
عليهم امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من عند الله لانكم امنتم بالمتقدمين من الانبياء صلوات الله
عليهم للايات التي كانت معهم فعليكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من حيث امنتم بهم فعليكم الايمان
بنبوته قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا معه
اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى وعزير والتوراة ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد وبالرسل كلهم صلوات
الله عليهم اجمعين وبكل كتاب كان من قبل فقالوا لا نفعل فانزل الله تعالى هذه الاية والثالث ان المراد بهذه الاية
المنافقون كانه قيل يا ايها الذين اقروا بالسنتهم بالايمان في الظاهر صدقوا بقلوبكم في الباطن وقوله عز وجل

ومن يكفر بالله وملائكته معناه من يجحد بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
فقد اخطأ خطأ بعيدا عن الحق والصواب وهذا تحذير عن الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فان
من كفر بهذه الاشياء الخمسة كلها قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اختلف المفسرون في هذه الاية على قولين احدهما ان المراد
بها اليهود قال الكلبي امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا
بعد عزير بالمسيح عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقال مقاتل امنوا
بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعد ما رفع عيسى عليه
السلام الى السماء ثم اقاموا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويقال امنوا بموسى عليه السلام
ثم كفروا بعده بعيسى عليه السلام ثم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفروا به بعد
ما بعث ثم اقاموا على كفرهم وقال قتادة امن اليهود بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعبادة العجل
ثم امنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم و
يقال ان يهود المدينة لما بلغهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة اقروا انه نبي مبعوث ثم كفروا
بدر به بعد مقدمه المدينة ثم اقروا وطائفة منهم حين ظفر يوم ثم جحدوا يوم احد وكانت يهود
المدينة تفعل مثل هذا تشكيكا للمسلمين كما قال الله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون والثاني ان المراد بهذه
الاية المنافقون قال الضحاك نزلت هذه الاية في شان ابي عامر الراهب الذي بنى مسجد الضرار امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر ثم امن ثم كفر ثم مات على كفره وقيل يجوز ان يكون معناه امن ثم كفر
ثم امن ثم كفر او ما فوق ذلك اظهر الايمان وابطن الكفر ثم امن ثم كفر ثم ازداد كفرا وقوله عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم معناه ما داموا على كفرهم وقوله ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام
ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم وقال الزجاج معناه فلا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم لان الله
عز وجل يضل الظالم وفي الاية دليل ان المرتد متى تاب قبلت توبته لان الله عز وجل حكم بايمانه متى اظهر
الايمان مرة بعد اخرى ولم نؤاخذ باعتبار حقيقة ما في القلوب لانا لا نتوصل الى ذلك ولهذا قال ابو
حنيفة رحمه الله اني استتيب الزنديق كما استتيب المرتد فان تاب خليت سبيله وان ابى
قتلته وبه قال ابو يوسف زمانا فلما راى ما يصنع الزنادقة يتوبون ويعودون قال ارى ان اتي
بزنديق ان امر بضرب عنقه ثم ولا استتيبه وان تاب قبل ان اقتله خليته وفي رواية عن ابي يوسف انه
قال الامام ان علم انه قد تاب حبسه حتى اعلم توبته وذكر الشيخ ابو الحسن الكرخي ان المرتد اذا عاد الى الردة
المرة الثالثة استتيب فان ابى قتل وان تاب ضرب ضربا وجيعا دون الحد وحبس حتى يعرف صدق
توبته ويرى عليه اثر الخشوع وعن ابي حنيفة رحمه الله انه قال اقتل الزنديق سرا فان توبته لا تعرف
وهذه رواية اخرى رواها ابو يوسف عنه في اماليه فان قيل ان الله عز وجل لا يغفر كفرهم واحدة
فما الفائدة في قوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا امن غفر له كفره فاذا كفر بعد
ايمانه لم يغفر له كفره الاول وهو مطالب بجميع كفره قوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
معناه خوف المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه ومن يكون على سبيلهم اليوم القيمة بان لهم عذابا
وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما قال في هذا الموضع عذابا اليما وقال في موضع اخر بعذاب
اليم لا تشبه الفواصل وان كان كل واحد من اللفظين في معنى الاخر لان اواخر الايات في هذا
الموضع على سبيلا ونصيرا فقال اليما ولما كانت في الموضع الاخر على حريق وبعيد قال عذاب اليم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونظير هذا قوله في موضع رب هرون وموسى لكون اواخر الايات على الياء وفي موضع اخر رب موسى
وهرون لكونها على الواو والنون وكذلك قوله والليل اذا يسر وقوله الكبير المتعال بغير يا في اخر
على مواضعه ما قبله لان اتفاق الفواصل ينبغي في الايات كاتفاق القوافي في الابيات الا ان الامر
في الابيات القوافي والمعاني تابعة لها والامر في كلام الله تعالى المعاني والفواصل تابعة للمعاني وانما
ذكر البشارة في موضع العذاب فعل بمعنى جعل الهم في موضع البشارة العذاب تقول العرب تحيتك
الضرب وعتابك السيف ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال عز وجل الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا معناه هم الذين يتخذون اليهود
احبا في العون والنصرة من دون المؤمنين المخلصين الموحدين وهذا دليل انه لا يجوز للمؤمنين الاستعانة
بالكفار على غيرهم من الكفار اذا كانوا متى ظهروا كانت الغلبة للكفار وكان حكم الكفر هو الغالب لان الله
عز وجل اذا ذم قوما على فعل كان ذلك الفعل قبيحا لا يجوز لاحد من الناس فعله الا ان تقوم الدلالة
عليه وقوله عز وجل ايبتغون عندهم استفهام بمعنى الانكار اي كيف يطلبون عند الكفار العزة وهم
اذلاء في حكم الله عز وجل وقوله فان العزة لله جميعا معناه فان القوة والمنعة لله جميعا فمن اراد ان يطلب
العز فليطلبه من الله عز وجل لانه المتفرد بجميع من له العزة من خلقه فجميع العزة له ولانه لا يعتد بعزة احد
مع عزة الله سبحانه لصغرها واحتقارها في صفة عزته فلا يجوز اطلاق العزة الا لله عز وجل واصل العزة
من الشدة ثم نقلت عنها الى القوة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز وعز الشيء اذا قل لانه يشتد مطلبه
ويعز على ان افعل كذا اي يشتد علي وعازه في الامر اذا شاده واستعز على المريض اذا اشتد وجعه وشاة
عزوز اذا كانت تحلب بشدة لضيق احاليلها والعزيز القوي المنيع قوله عز وجل وقد نزل عليكم في
الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا معناه وقد نزل عليكم
في القران في سورة الانعام بمكة ان اذا سمعتم ايات القران يجحد بها ويستهزا بها فلا تجلسوا معهم حتى يكون
خوضهم في كلامهم في حديث غير القران اراد بقوله وقد نزل عليكم قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقوله عز وجل انكم اذا مثلهم معناه ان جالستموهم راضيا
بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بايات الله فانتم مثلهم في الكفر لان الرضا بالكفر والاستهزاء بايات الله عز
وجل كفر ومن جلس معهم ساخطا لذلك لحالهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون معنى
قوله عز وجل انكم اذا مثلهم اي في اصل العصيان وان لم تبلغ معصية المؤمنين معصية الكفار وهذا اذا
لم يكن جلوس المؤمن معهم لاقامة فرض او سنة فاما اذا كان جلوسه هناك لاقامة عبادة وهو ساخط
لتلك الحال لا يقدر على تغييرها فلا باس بالجلوس كما روي عن الحسن رضي الله عنه انه حضر هو وابن سيرين
جنازة وهناك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن رضي الله عنه فقال ان كنا متى راينا باطلا تركنا
حقا اسرع ذلك في ديننا ولم يرجع وقال ابو حنيفة رحمه الله في الرجل يكون في الوليمة فيحضر هناك اللهو واللعب
انه لا ينبغي له الخروج وقال قد ابتليت بهذا مرة وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم
جميعا اي يجمعهم في جهنم مجازاة لاجتماعهم في الدنيا للاستهزاء فمن شان الا يكون معهم في جهنم فلا يكون
معهم في الدنيا ثم زاد في نعت المنافقين فقال عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من
المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا معناه الذين
ينتظرون بكم الدوائر ويراعون احوالكم والمتربص الذي هو المتوقع لاسبابه ويسمى المحتكر متربصا لتوقعه غلاه

السعر

١٢٠ السعر وقوله عز وجل فان كان لكم فتح من الله معناه ان كان لكم ظفر ودولة وغنيمة قال
المنافقون الم نكن معكم على دينكم فاعطونا من الغنيمة وان للكافرين نصيب ظهور على المسلمين قال
المنافقون الم نغلب على امركم بالموالاة لكم الم نطلعكم على سرهم ونكتب اليكم ونخبركم عنهم بما كانوا نعلمكم
من اخبارهم ونجبنهم عنكم فالله يقضي بين المؤمنين والمنافقين والكفار يوم القيامة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا قال بعضهم لن يجعل الله لليهود على المؤمنين ظهورا ويقال ان المراد بالسبيل
الدولة الحجة ولن يجعل الله للكافرين من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا ولا في الاخرة ويقال
معنى السبيل الدولة الدائمة ويقال معناه لا يدخل الكافرون الجنة فيقولون للمؤمنين ما اغنى عنكم نعيمكم في
الدنيا ونحن بكفرنا بعد ان تساوينا في الجنة فيكون لهم على المؤمنين بذلك السبيل والاستحواذ في
اللغة هو الاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال الشاعر
يحوذهن وله حوذي ويروى يحوزهن وله حوزي فمن قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ
يستحيذ ومن قال احوذ كما يقال احوذت واطيبت بمعنى اجدت واطبت قال على الاصل استحوذ
وهذا مثل استوق الجمل واستصوبت رايه وقوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا معناه ان المنافقين
يخادعون اولياء الله باظهارهم الايمان وابطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماءهم ويشاركوا المسلمين
في غنائمهم وجعل الله مخادعة اوليائه مخادعة له كما قال الله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقوله عز وجل وهو خادعهم اي مجازيهم جزاء اعمالهم كما قال جل ذكره يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الى اخر الاية ووجه اخر ان المنافقين يعملون
عمل المخادع لما لك بما يظهرون من الايمان ويبطنون خلافه وهو يعمل بهم عمل المخادع بما امر به
من قبول ايمانهم مع علمه بابطان كفرهم وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة معناه واذا قاموا لما يكون
الى الصلوة قاموا متثاقلين لا يريدون بها وجه الله سبحانه ولا ياتون الصلوة الا رياء ولا دواعي
لهم اليها الا مراياة الناس خوفا منهم ولا يصلون لله الا قليلا رياء وسمعة ولو كانوا يريدون
بذلك القليل وجه الله عز وجل لكان كثيرا ولكنهم لم يريدوا بذلك وجه الله عز وجل فلم
يتقبل منهم قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا اول الاية نصب على الذم معناه مترددين بين كفر السر وايمان العلانية ليسوا
من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار
ومن يخذله الله عز وجل عن الهدى فلن تجد له يا محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا وطريقا الى الهدى
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا معنى الاية والله اعلم لا تفعلوا ايها المؤمنون كما يفعله المنافقون
ويقال معناها يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون لا تتخذوا اليهود احبا في العون والنصرة
من دون المخلصين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة بوجوب العقوبة عليكم في الدنيا
والاخرة والسلطان في اللغة عبارة عن الحجة يقال للامير سلطان يراد به انه ذو الحجة وتقول العرب
قضى عليك السلطان تريد بذلك حجة الوالي وقد يقال قضى عليك السلطان ويراد به البرهان في
الاحتجاج قال الله عز وجل لولا ياتون عليهم بسلطان بين وقال حكاية عن سليمان عليه السلام او لياتيني
بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالسلطان المبين
في هذه الاية العذاب المبين ويقال معناه اتريدون ان تسلطوا عليكم عذابا بموالاة الكفار قوله عز وجل

امن
العزة
هذا
العلانية

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا اخبار عن منازل المنافقين في الاخرة
انهم يكونون في الطبق الاسفل من النار وهي الهاوية لكفرهم وخيانتهم النبي صلى الله عليه وسلم مع ابطان الكفر
قال ابو عبيدة جهنم ادراك اي منازل كل منزلة منها درك ومن قرا الدرك بتسكين الرا فهو لغة واكثر
القرا على فتح الرا والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كل ما كان من درجات الجنة اعلى فثواب من فيه اعظم
وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسيل ابن مسعود رضي الله عنه عن الدرك الاسفل
فقال توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها وقوله عز وجل ولن تجد لهم نصيرا اي لن تجد لهم مانعا
يمنع العذاب عنهم والمنافق في اللغة ماخوذ من النفق وهو السرب اي يستتر بالاسلام بجحدهم كما يستتر
الرجل بالسرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعا
واذا طلب من القاصعا خرج من النافقا والنافقا والقاصعا والراهطا والداما جحرة اليربوع فان قال
قايل ما وجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم
في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من عذاب بعض الا ترى ان البيت الداخل في الحمام يجتمع
فيه اناس ويكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وبعضهم اخف اذى لكونه ابعد
منه وكذلك قد يجتمع القوم في القعود في الشمس ويكون الصفراوي منها اشد واكثر من اذى السوداوي
قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما معناه الا الذين تابوا من النفاق واخلصوا العمل فيما بينهم وبين ربهم
وتمسكوا بتوحيد الله ودينه ويقال امتنعوا بالطاعة من الضرر في العاجل والاجل واخلصوا دينهم
لله اي توحيدهم وعملهم لله حتى لو ادلك خالصا من شوب الريا وطلب عوض من الدنيا على ما هو سبيل
القرب فلا تعمل الا لوجه الله تعالى فاولئك مع المؤمنين في الجنة والثواب لا يضرهم النفاق السابق
اذا تابوا منه واخلصوا وقوله وسوف يؤت الله المؤمنين في الجنة كلمة ترجية واطماع وهي
من الله سبحانه ايجاب لانه جل ذكره اكرم الاكرمين ووعد الكريم ايجاب ويحتمل ان يكون قوله وسوف
يؤت الله المؤمنين كناية عن جميع المؤمنين يعطيهم الله الثواب الوافر في الجنة من تقدم منه الكفر
ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به بيان زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق واما
حذف اليا من قوله يؤت الله في الكتابة فعلى اتباع اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها وكذلك
الواو من قوله سندع الزبانية وقوله عز وجل يوم يدع الداعي قوله عز وجل ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الدرك
الاسفل من النار اعلم ان المنافقين هم الذين اوقعوا انفسهم فيها واستحقوها بعظم ذنبهم لجمعهم
بين كفر السر وخديعة المؤمنين وانه ليس في حكمة الله سبحانه تعذيب من شكر وامن وانما في
حكمته ان يجزي كل عامل بما عمل فذلك قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم اي ما حاجته الى تعذيبكم
ايها المنافقون ان وحدتم في السر وصدقتم في ايمانكم ويقال معناه ان شكرتم نعم الله وامنتم بكتبه
ورسله وكان الله عند ذلك شاكرا اي مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بالثواب يضعف لمن
يشا واحد الى العشرة الى سبع مائة الى ما شا الله من الاضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة
الواصلة اليه مع ضرب من التعظيم والشكر من الله عز وجل شكرا تشبيها بشكرنا الذي هو في
مقابلة ابتداء انعامه وتفضله علينا وتوفيقه ايانا على طاعته ونظير هذه الاية قوله تعالى قل ما
يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم اي ما يصنع بعذابكم ان دعوتموه قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما روي عن عبد الله بن عباس وقتادة ان معناه لا يحب

الله الجهر

الله الجهر بالدعا بالشر على احد الا ان يظلم فيدعوا على ظالمه فلا يعاقب على ذلك وهو ماذون له وان يشكوا
ظالمه ويدعوا عليه ويقال قوله الا من ظلم استثنا منقطع معناه لكن المظلوم يجهر بظلامته شكيا
وفي تفسير الحسن رضي الله عنه لا يحب الله الشتم والانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر من ظالمه بما يجوز
له الانتصار به في الدين ونظيره قوله عز وجل وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز للرجل
اذا قيل يا زاني ان يقابل بمثل ذلك او بنوع من انواع الشتم وقال مجاهد نزلت هذه الاية في الضيف اذا لم
يضف ومنع حقه فقد اذن له ان يشكوا والضيافة ثلاثة ايام وقيل ان هذا التاويل محمول على وقت كانت
الضيافة ثلثة ايام واجبة في ذلك الوقت ومن قرا الا من ظلم بنصب الظا فمعناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما
واعتداء وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقوله عز وجل وكان الله سميعا عليما معناه سميعا لدعا
المظلوم عليما بعقوبة الظالم ويقال سميعا لجميع المسموعات عليما بجميع المعلومات ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله عز وجل لما اباح للمؤمنين الجهر على المنافقين بالسوء بعد العلم بنفاقهم لاظهار فضيحتهم حرم
على المؤمنين فيما سوى ذلك الا ان يكون استغاثة من مظلوم يشكوا ظالمه قوله عز وجل ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا معناه ان تظهروا خيرا او تسروه او تعفوا
من مظلمة ظلمتم بها فان الله كان عفوا قديرا والعفو كثير العفو من غير حصر والقدير والقادر بمعنى واحد
او الله عز وجل اقدر على العفو بان يعفو عن عباده مع قدرته على الانتقام فالاولى ان تعملوا طريقة الحكم
وقيل في معنى هذه الاية ان تردوا جوابا حسنا او تسكتوا عن الظالم ولا تحقدوا او تجاوزوا عن ظلمه فان الله
عز وجل يعفوا عن المظلوم ذنوبه فان عفو الله عز وجل عنكم معاصيكم اكثر من عفوكم عمن ظلمكم وفي تفسير
الكلبي ان من عمل حسنة كتبت له عشر ومن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة قوله عز وجل ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا قال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الاية في اهل الكتابين من اليهود
والنصارى امنت اليهود بموسى عليه السلام والتورية وكفرت بعيسى عليه السلام والانجيل وامنت النصارى
بعيسى عليه السلام والانجيل وكفرت بموسى عليه السلام والتورية وكلهم كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء والقران فاعلم الله عز وجل انه ليس بين الايمان بالبعض والكفر بالبعض دين
يتخذ لك طريقا قوله عز وجل اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا معناه اهل هذه الصفة هم الكافرون حقا البتة وقوله جل ذكره حقا نصب على
المصدر للتاكيد كما تقول زيد اخوك حقا اي يحق ذلك حقا والفايدة في قوله حقا بيان ان
ايمانهم بالبعض لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم ويقال ان اهل الشرك داخلون في هاتين
الايتين لانهم يفرقوا بين الله ورسله اذ يقرون بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم وينكرون الرسل وقوله
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر المعنى قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما وذلك ان الله عز وجل
لما ذكر في الاية التي قبل هذه الاية حكم الذين امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا بالبعض واوعدهم على
ذلك العذاب المهين بين في هذه الاية حكم المؤمنين الذين امنوا بالله وجميع رسله ولم يفرقوا بين احد
منهم في الايمان والتصديق ووعدهم الاجر العظيم والمغفرة والرحمة وفي تسمية الله عز وجل الثواب
اجرا دليل انه مستحق لان ذلك حكم الاجر قوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا

شبكة الألوكة www.alukah.net

عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا معناه يسألك يا محمد صلى الله عليه وسلم
كعب بن الاشرف وجماعة اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى عليه
السلام وهو حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقوله تعالى فقد سألوا
موسى عليه السلام بعد ما راوا الايات اعظم من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة منكشفة ظاهرة وهم
السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله سبحانه سألوه ان يروا ربهم رؤية يدركونها بابصارهم
في الدنيا وقال ابو عبيدة معنى الاية قالوا جهرة ارنا الله فجعل جهرة صفة لقولهم قال لان الرؤية لا تكون الا جهرة
وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم معناه اخذتهم النار عقوبة لهم بسؤالهم موسى عليه السلام
ما لم يستحقوه وقوله ثم اتخذوا العجل يعني الذين خلفهم موسى عليه السلام بمصر واستخلف عليهم هرون
عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم الايات البينات الدالة على توحيد الله عز وجل وفي هذا بيان جهل اليهود
وتعنتهم وعنادهم واي جهل اعظم من عبادة العجل الذي لا يعقل بعد ظهور المعجزات وثبوت الايات البينات وقوله
عز وجل فعفونا عن ذلك اي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جناياتهم وجرائمهم ولم نستأصلهم وذلك
ليدلك على سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته ومنته وبين ذلك انه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله
عز وجل وفي هذا منع من القنوط واستدعاء الى التوبة وقوله عز وجل وآتينا موسى سلطانا مبينا معناه
اعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهي اليد والعصا وقوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا
غليظا معناه ورفعنا فوقهم الجبل باقرارهم بالله عز وجل وبنبوة موسى عليه السلام وذلك
حين ابوا قبول التوراة فرفع الله عز وجل فوقهم الطور فقبلوها وخروا سجدا فرفع الله تعالى الطور
عنهم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب اي قلنا لهم مع هذا ايضا ادخلوا باب اريحا اذا دخلتموها
خاشعين لله متخضعة اصلابكم فدخلوا زحفا وبدلوا ما قيل لهم وقيل اراد بالباب الذي عبدوا فيه العجل
امرهم الله تعالى ان يدخلوه بعد توبتهم من عبادة العجل ساجدين لله عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل
حقا موضوعا في موضع الباطل المحق وقوله عز وجل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت معناه وقلنا
لهم لا تعتدوا في السبت معناه وقلنا لهم مع هذا ايضا لا تصطادوا الحيتان في يوم السبت ومن قرا لا تعدوا
بتشديد الدال فاصله لا تعتدوا وادغمت التاء في الدال واقيم التشديد مقامه والقراءة بالتخفيف من عدا
يعدو وعدوا وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي اقرارا وتوثقا شديدا فابوا الا مضيا
على المعصية وخروجا من الطاعة واستخفافا بامر الله تعالى وهذا كله مما يعزي الله به محمدا صلى
الله عليه على مخالفة اليهود وتكذيبهم اياه يقول هؤلاء بقية اولئك الذين عددت عليك بعض اعمالهم
الخبيثة يجترئون على الانبياء والايات بعد قيام الحجة عليهم فهم لا يؤمنون الا قليلا قوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا معناه فبنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التوراة
وبجحدهم بالقرآن والانجيل وبما في التوراة من نعت الاسلام وصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبقتلهم الانبياء
صلوات الله عليهم بلا جرم وبقولهم قلوبنا غلف اي في اوعية فهي صلى الله عليه لا تعي شيئا يقول الله تعالى بل
طبع الله عليها بكفرهم معناه ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم على كفرهم فلا يؤمنون
الا ايمانا قليلا لا يحق ان يسموا به مؤمنين وذلك انهم امنوا ببعض الرسل والكتب دون البعض قال الحسن
رضي الله عنه في هذا تقديم وتاخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم الا قليلا فلا يؤمنون المراد بالقليل عبد
الله بن سلام ومن تابعه واما دخول ما في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لغا وهي لا معنا لها الا التاكيد كانه

قال

قال فبنقضهم العهد حقا وجواب قوله فبما نقضهم مضمر في الاية تقديره ذلك فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلناهم او لهذه الاية ذم على الكفر ومن ذمه الله عز وجل على الكفر فقد لعنه ويقال الله الجالب
للشيء وقوله فبما نقضهم قوله عز وجل من بعد فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله عز وجل
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وجوابهما جميعا قوله حرمنا عليهم طيبات والطبع والختم
نظيران في اللغة ومن قرا بل طبع بادغام اللام في الطاء وكذلك بل تؤثرون في قوله بل تؤثرون فلقرب مخرج الحرفين
والاولى ان لا تدغم لانهما من كلمتين وقد تقدم تفسير الختم في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم وقال الحسن
رضي الله عنه ان الكافر اذا لج في الكفر والعناد حدا معلوما طبع الله تعالى على قلبه عقوبة على عناده من
غير ان يمنعه الطبع عن الايمان او ان يسلب قدرته عليه وقال بعضهم الطبع علامة يجعلها الله عز وجل
في قلب الكافر الذي يعلم الله تعالى انه لا يؤمن لتدل به الملائكة على كفره فيتركوا موالاته والاستغفار له
من غير ان يحول بين صاحبه وبين الايمان واستدلوا عليه بانهم لو كانوا ممنوعين عن الايمان بخبر قلوبهم
عليه لكانوا صادقين في قولهم قلوبنا غلف فيستحقون المدح على صدقهم والتقرير دون الذم والنكير
واستدلوا عليه بقوله عز وجل فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال بعضهم انما ذكر الله الطبع على جهة الذم تشبيها لقلوبهم
بالمطبوع عليها بمنزلة قوله صم بكم عمي فهم لا يرجعون واستدلوا عليه بقوله عز وجل فلا يؤمنون الا قليلا
ولو كانوا ممنوعين عن الايمان لم يؤمن منهم الا قليل ولا كثير قوله عز وجل وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما عطف على ما تقدم ومعناه وبجحدهم بعيسى عليه السلام والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
ورميهم مريم بالبهتان وهو الزنا العظيم وذلك ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال بعضهم
لبعض قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فسمع ذلك عيسى عليه السلام فقال
اللهم رب خلقتني فلم اتقحم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله لعيسى
عليه السلام ومسخ ذلك الرهط خنازير وكانوا من امة يوسف بن يعقوب بن ماثان قوله عز وجل
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا روي عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك انه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى عليه السلام خنازير فزعت
اليهود لذلك وخافت دعوته فاجتمعت كلمتهم على قتله فثاروا اليه ليقتلوه فهرب منهم ودخل بيتا في سقفه
روزنة فرفعه جبريل عليه السلام الى السماء وامر يهوذا ملك اليهود رجلا يقال له ططيانوس ان يدخل البيت
فيقتله فدخل البيت فلم يجده فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج الى اصحابه قتلوه وهم
يظنون انه عيسى عليه السلام ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم ان وجهه لوجه عيسى وجسده
جسد صاحبنا فقالوا ان كان هذا عيسى عليه السلام فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى عليه
السلام فاشتبه عليهم واختلفوا فيه ثم بعث الله عليهم ططس بن اسبيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة
عظيمة فذلك قوله عز وجل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم معناه واعترافهم بقتلهم اياه وقوله
تعالى رسول الله قول الله تعالى خاصة لا قول اليهود كانت اليهود تقول قتلنا عيسى ابن مريم قال الله تعالى
رسول الله اي يعنون الذي هو رسول الله وهذا رد على الفريقين من اليهود والنصارى اذ اليهود تقول هو زنا
والنصارى تقول هو الله وتقول هو ابن الله فرد الله تعالى على الفريقين وقوله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه
معناه ما قتلوا عيسى عليه السلام ولا صلبوه ولكن القى الله على ططيانوس شبه عيسى عليه السلام فقتلوه
ورفع عيسى عليه السلام الى السماء فذلك قوله ولكن شبه لهم وذكر الحسن رضي الله عنه ان عيسى عليه السلام

كان قال للحواريين ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويدخل الجنة فقام رجل من الحواريين فقال انا يا رسول الله فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلم فقتل وصلب ورفع الله عيسى عليه السلام الى السماء فقالت اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقال بعضهم • وذلك ان يهوديا قال لليهود انا ادلكم على عيسى عليه السلام وكان رجلا منافقا فجاء بهم الى البيت الذي كان به عيسى عليه السلام فلم يجدوا عيسى عليه السلام والقي شبهه على ذلك اليهودي وطرد العامة عن نفسه فقتل اليهودي ولطخ وجهه بالدم ثم صلبه فكان الناس يرونه من بعيد مصلوبا ملطخا بالدم وكان الناس قد فقدوا عيسى عليه السلم فكان بمنزلة اليقين في انه عيسى عليه السلم واما قوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل ومعناه هم النصارى اختلفوا في قتل عيسى عليه السلام فقال بعضهم قتل الاب وقال بعضهم قتل الابن وقال بعضهم قتل الناسوت ودون اللاهوت وقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لم يحكوا ذلك على حقيقة لكن يتبعون الظن فيظنون انهم قتلوا عيسى عليه السلم وهذا استثناء منقطع ليس من الاول لانه مخالف للعلم وقوله عز وجل وما قتلوه يقينا معناه لم يقتلوه حقا ولا يقينا وهذا كما يقال خرج فلان من البلد يقينا ولم يخرج فلان بيقين ويقال معناه ما قتلوه يقينا لم يستيقنوا بقتله بل اشتبه الامر عليهم فيه فان قال قائل كيف يجوز ان يكونوا كلهم كذبة مع كثرتهم ومشاهدتهم ولئن جاز مثل هذا ليجوزن في سائر الاخبار المتواترة فتبطل الثقة بالاخبار قيل ان المتواتر هو الذي يقع العلم بصحته ولا فرق بين ان يقع العلم بالمخبر وبين ان يعلم غيره انه على خلاف ما قالوه واذا صح ذلك فلا بد ان يحمل الامر على ان القوم كلهم قد قتلوا جمعا يسيرا كان يجوز عليهم الكذب فوقع ذلك الخبر اليسير على ما سمع مع علمهم انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام وكذلك اختلفوا بعده فرق فيهم فقيل على نحو ما تقدم ذكره قوله عز وجل بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما معناه بل رفعه الله الى السما وانما سمي ذلك رفعا اليه لانه رفع الى موضع لا يملك فيه احد شيئا الا الله تعالى وهذا كما يسمى رجوع الناس الى المحشر يوم القيمة رجوعا اليه وقد قال الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله واراد بذلك الهجرة الى المدينة وقال في قصة ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين واراد بذلك الذهاب الى الشام بامر الله وعن الحسن رضي الله عنه انه قال انما سمي رفع عيسى عليه السلام رفعا اليه لانه موضع عرشه وسرير ملكه ومتعبد ملائكته يطوفون به كما سميت الكعبة بيت الله تعالى لانها متعبد الناس يطوفون بها وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما قد ذكرنا معناه غير مرة وفائدة ذكرها هاهنا بيان قدرة الله سبحانه على نجاة من شاء وبيان حكمته فيما فعل وصنع وحكم وبالله التوفيق قوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر اختلاف اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام بين بعد ان هذا الشك سيزول عن كل كتابي فقال وان من اهل الكتاب معناه ما من احد من اهل الكتاب الا ان يؤمن بعيسى عليه السلم قبل ان يموت الكتابي يعني اذا عاين اليهودي امر الاخرة وحضرته الوفاة ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالت يا عدو الله اتاك عيسى بن مريم عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه ويقول للنصراني اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه ويقال معنى قوله قبل موته قبل موت عيسى عليه السلام وذلك حين ينزل من السما ليقتل الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا ويؤمن به وقد روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسيح جاء فمن لقيه فليقرئه السلام وروي انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته ينزل على ثنية جبال بيت المقدس وفي يده عصا من حديد فيمكث في الارض اربعين سنة اماما مهديا يدق الصليب ويريق الخمر ويقتل الخنزير ويذهب الجزية والملة ويكون الدين واحدا ثم يموت ويصلي عليه هذه الامة ويدفن في الارض و

ذكر

ويذكر الحسن رضي الله عنه ان عيسى عليه السلم اذا نزل في اخر الزمان فيقالوا له تقدم يا رسول الله وصل صلوة الصبح فيقول لا ينبغي لاحد ان يتقدم على هذه الامة فيصلي خلف رجل منهم ويقال ان المراد بقوله ليؤمنن به محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به اهل الكتاب في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الاول اصح لان الاية في قصة عيسى عليه السلام وقوله عز وجل ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي يشهد عيسى عليه السلام على نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى بانهم عبدوه بغير حق وعلى اليهود بانهم كذبوه ويقال معناه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وللامة بالتصديق قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه بظلم اليهود وبغيهم حرمنا عليهم اشيا كانت حلالا لهم في التورية منها لحوم الابل والبانها والشروب من الشحوم وكانوا اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم طعاما طيبا فلم يكونوا يتعلمون من هذا تحريم الله لحوم الابل والبانها والشروب وذلك بعد نزول التورية كما قال الله عز وجل في اية اخرى ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه وبسبب منعهم الناس عن دين محمد وهو الاسلام قوله عز وجل واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما معناه وبسبب اخذهم الربا وقد نهوا عن ذلك في التورية وبسبب اكلهم اموال الناس بالباطل واخذ الرشا في الحكم وحلفنا وهيانا للكافرين منهم عذابا وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما خص الكافرين بالذكر ليبان ان من يؤمن من الذين هادوا غير داخل في هذا الوعيد وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود والله ما حرم الله تعالى علينا شيئا كان حلالا في الاصل وهذا الذي حرم علينا كان حراما على ادم عليه السلام ومن بعده وانت يا محمد صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك فانزل الله عز وجل قوله عز وجل لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما معناه لكن الثابتون المبالغون من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام واصحابه وسموا بهذا الاسم لثباتهم في العلم وتحرزهم فيه لا يضطربون ولا يميل بهم الشبه بمنزلة الشجرة الراسخة عروقها في الارض وغير الراسخ يضطرب وينتقل من اعتقاد الى اعتقاد ومن مذهب الى مذهب بقليل من الشبه تعترض له بمنزلة الشجرة التي لم ترسخ عروقها في الارض تحركها الريح الضعيفة من الرياح وتميلها من جانب الى جانب وتكسرها مرة وتقلعها مرة اخرى وقوله عز وجل والمؤمنون يؤمنون معناه والمؤمنون من غير اهل الكتاب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون بما انزل اليك من القرآن وما فيه من تحريم هذه الاشيا عليهم بظلمهم ويصدقون بما انزل من قبلك على سائر الانبيا من الكتب وقوله عز وجل والمقيمين الصلوة يجوز ان يكون معناه يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلوة فيكون قوله والمقيمين نسقا على قوله بما انزل اليك ويجوز ان يكون نصبا على المدح على معنى اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة كما يقال جاني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدايد ويقال مررت بزيد الكريم وبزيد الكريم بنصب الكريم ورفعه قال الشاعر • وهي خرنق بنت هفان القيسية •

لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وافة الجزر • النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد الازر •

ومن عادة العرب الانتقال في اثنا الخطاب من الرفع الى الخفض ومن الخفض الى الرفع • كما ينتقل من المخاطبة الى المعاينة ومن المعاينة الى المخاطبة كما قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة واشباه ذلك وذهب بعض اهل النحو الى ان قوله والمقيمين نسق على الها والميم من قوله منهم معناه ومن المقيمين الصلوة يؤمنون وقيل ان هذا روي خطا من الكاتب

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا ينسق على المضمر المجرور الا في ضرورة الشعر ولان المقيمين الصلوة داخلون في قوله تعالى والمؤمنون
وذهب بعض الجهال الى ان هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الامام عثمن رضي الله عنه ورووا
ان عثمن رضي الله عنه لما نظر في المصحف قال ارى فيه لحنا وستقيمه العرب بالسنتها وعن عايشه رضي
الله عنها انها قالت ثلثه احرف في المصحف غلط الكاتب قوله عز وجل والمقيمين وقوله تعالى والصابيون
والنصارى وقوله عز وجل ان هذان لساحران وهذا بعيد عند اهل العلم لا يجوز ان تترك اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيا في القران يصلحه غيرهم لانهم حماة الدين والقدوة في الشرايع والاحكام وقوله
عز وجل والمومنون بالله واليوم الاخر معناه والمصدقون بالله وبالبعث بعد الموت اوليك سنعطيهم
ثوابا وافرا في الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمن واتينا داود زبورا في الاية بيان ان حال محمد صلى الله عليه وسلم فيما اوتي من الايات الدالة
على صدقه ونبوته كحال من مضى من الرسل والمعنى الذي اوجب الايمان بهم وبما انزل عليهم يوجب الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية انا انزلنا جبريل عليك بهذا القران كما اوحينا الى نوح فامرناه بالاستقامة
على التوحيد ودعوة اليه وكما اوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا والى عيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن
واعطينا داود زبورا والزبور هو الكتاب ماخوذ من الزبر وهو الكتابة ومن قرا بضم الزاي معناه الكتب
على الجمع فان قيل كيف قدم الله عز وجل في هذه الاية ذكر عيسى عليه السلام على ذكر ايوب ويونس وهرون
وسليمن وداود عليهم السلام وقد كان بعدهم قيل ان الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره عليه السلم في
الذكر لا يوجب تقديمه في الخلق والارسال ثم الفايدة في تقديمه في الذكر الرد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي
نسبه وقدمه الله تعالى في الذكر لان ذلك ابلغ في كبت اليهود وفي تبرئته مما رمي به ونسب اليه فان قيل فكيف
قال واتينا داود زبورا ولم يقل واتينا عيسى الانجيل قلنا اخبار الله تعالى بانه اعطى داود الزبور لا ينفي اعطا
غيره كتابا اخر والغرض من الاية بيان ان داود عليه السلام كان مخصوصا بفضيلة اعطا الزبور كما خص
عيسى عليه السلم باعطاء الانجيل في اية اخرى قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما يجوز ان يكون اول هذه الاية عطفا
على انا اوحينا اليك كانه قال انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك ويجوز
ان يكون قوله ورسلا منصوبا بالفعل الذي بعده كانه قال وقد قصصنا رسلا عليك تقول رايت زيدا
وعمرا اكرمته ومعنى قصصناهم سميناهم لك في القران وعرفناك قصتهم وارسلنا رسلا لم نسمهم لك
امرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق اليه وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قلت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كم كانت الانبيا صلوات الله عليهم وكم كان المرسلون قال كانت الانبيا صلوات
الله عليهم مائة الف واربعة وعشرين الفا وكان المرسلون ثلثمائة وثلثة عشر وعن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال بعث على اثر ثمانية الاف من الانبيا صلوات الله عليهم منهم اربعة الاف في بني اسرايل
وعن كعب الاحبار انه قال الانبيا صلوات الله عليهم الفا الف ومايتا الف وخمسة وعشرون الفا والمرسلون
ثلثمائة وثلثة عشر وفي تفسير الكلبي ان الله تعالى لما انزل هذه الاية وقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس قالت اليهود فيما بينهم ما نرى محمدا صلى الله عليه وسلم يرينا انزل الله عز وجل على موسى عليه السلم
ولقد اوحي اليه كما اوحي الى النبيين من قبله فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد ذكر نبيا وذكرنا وفضله بالكلام عليهم وفايدة تخصيص موسى عليه

السلام

السلام بالكلام مع انه تعالى كلم غيره من الانبيا انه عز وجل ذكر كلمه من غير واسطه وكلم غيره من
الانبيا صلوات الله عليهم بالوحي على لسان بعض الملايكة وقوله عز وجل تكليما يدل على انه كلمه كلاما
من كلام الله عز وجل اياه على معنى الوحي اليه على سبيل التوسع في الكلام كما في قوله عز وجل ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم وكما قال جل ذكره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق لان ما كان من طريقه طريق الوحي والمجاز
لا يتاكد بالمصادر وفي الاية ما يدل على غاية من الجودة والفصاحة لان الله تعالى اجمل ذكر جماعة من الانبيا
صلوات الله عليهم في الاية التي قبل هذه ثم خص داود عليه السلام بالزبور ثم اجمل ذكر جماعة من الرسل ثم خص
موسى عليه السلام بالكلام ولما اخر في الذكر قرن ذكره بفضيلة اخص من فضيلة تشهير داود عليه السلم
بالزبور وتشهير موسى عليه السلم انه كليم الله تعالى قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما معناه ارسلنا هولاء رسلا مبشرين بالجنة
لمن اطاع الله ومخوفين بالنار لمن عصا الله لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد ارسال الرسل
اليهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وقوله عز وجل وكان
الله عزيزا حكيما ظاهر المعنى وفايدة ذكرها بيان قدرة الله عز وجل على ان يقص على النبي صلى الله عليه
وسلم اخبار من قبله من الرسل كلهم ولكنه قص بعضهم دون بعض على ما اوجبه الحكمة وعلم من المصلحة
ويقال معناه انه قادر على انجاز الموعود على السنة الرسل حكيم في ارسال الرسل فان قيل قوله عز وجل لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل هل يدل على انه لولا الرسل لم يجب على احد شي ولم يستحق احد ثوابا
ولا عقابا قيل لا يدل على ذلك لان الله عز وجل لو لم يرسل الرسل واعطى كل خلقه من العقل ما يعرفون
الله تعالى به كان ذلك عدلا منه لكن ارسل الرسل فضلا وزيادة في الحجة عليهم وبيانا لما يختص وجوب
معرفته بالرسل من الشرايع والسمعيات دون ما يجب معرفته بادلة العقول قوله عز وجل لكن الله
يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قال عبد الله
بن عباس وذلك ان روسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سالنا اليهود عن نعتك
وصفتك فزعموا انهم لا يعرفونك في كتابهم فاتنا بمن يشهد لك ان الله عز وجل بعثك الينا
رسولا فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها لكن الله يشهد بما انزل اليك انه لم يشهد غيره
وانزل قوله قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فشهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
تبيين امره بالمعجزات التي اعطاه ويجوز ان يكون القران المنزل شهادة منه جل ذكره من حيث كان
القران معجزا يدل بنفسه على النبوة وفي قوله عز وجل انزله بعلمه ثلثة اوجه احدها انزله على علم منه
بانك اهل لان انزله عليك وعلم من يقبل ومن لا يقبل كما قال جل ذكره الله اعلم حيث يجعل رسالته والثاني
انزله بمعلومه اي علم ما فيه من الاحكام وما يحتاج اليه العباد من امر دنياهم ودينهم ثم انزله والثالث
انه هو الذي انزل عليك من عنده لم يبدل ولم يغير بل وصل اليك كما كان في اللوح المحفوظ وقوله والملايكة
يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بان الذي شهدت به حق ويجوز ان تكون شهادة الملايكة
بحمل المعجز وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا معناه اكتفوا بالله شهيدا في شهادته ان لم تشهد اليهود
بما في كتابهم قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا معناه ان الذين جحدوا وحدانية الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم والقران وصرفوا الناس
عن دين الله وطاعته فقد اخطاوا واخطا بعيدا عن الهدى والصواب بين الله تعالى في هذه الاية
ضلالتهم في الدنيا ثم بين في الاية التي بعدها عقوبتهم في الاخرة فقال عز وجل ان الذين كفروا وظلموا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على

شبكة الألوكة www.alukah.net

الله يسيرا معناه ان الذين كفروا بما يجب الايمان به وظلموا انفسهم بكفرهم لم يكن الله ليتجاوز عنهم ما داموا
على كفرهم ولا ليوفقهم الى طريق الاسلام لكن يتركهم الى طريق جهنم وهو الكفر ويقال يعني ولا ليهديهم
طريقا ولا ليرشدهم في الاخرة الى طريق غير طريق جهنم كما في قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله عز وجل خالدين فيها ابدا اي مقيمين دائمين فيها الى الابد وكان ذلك التخليد والتعذيب على الله يسيرا
هينا قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما خطاب لعامة الخلائق قد جاءكم الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد والقران من عند ربكم فصدقوا بالله ورسوله وما جاء به
من عنده يكن خيرا لكم من الكفر والتكذيب قال الفرا انتصب قوله خيرا لانه متصل بالامر وهو من صفته
تقديره هو خير لكم فلما سقط هو اتصل بما قبله وهو معرفة انتصب وعلى هذا قوله عز وجل انتهوا خيرا
لكم وقال الخليل والبصريون انما انتصب قوله خيرا لانك اذا امرت بفعل دخل في معناه ائت خيرا لك واذا
نهيت عن فعل دخل في معناه ائت ما هو خير لك قال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام قال وهذا انما
تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك واذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنتهوا
خير لكم وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تكفروا فاعلموا انكم
لله فان لله ما في السموات والارض والثاني وان تكفروا فان الله غني عنكم لكونه مالك السموات والارض وقوله
عز وجل وكان الله عليما حكيما اي لم يزل كان عليما بخلقه لمن يؤمن ولمن لا يؤمن حكيما في امره حكم
بالاسلام على عباده قوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له
ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل
نجران وهم النسطورية الذين يقولون ان عيسى ابن الله والملكانية الذين يقولون عيسى هو الله والمرقوسية
الذين يقولون ثالث ثلثة ويقال هم الملكانية ومعنى الاية يا اهل الكتاب لا تجاوزوا الحق في الدين
فتفرطوا فيه والغلو الذي مجاوزة الحد فيه وقد غلت النصارى في امر عيسى عليه السلام حتى جاوزوا به
منزلة الانبياء فجعلوه الها ويقال ان الاية خطاب لليهود والنصارى لان اليهود ايضا غلوا في امر عيسى عليه
السلام حتى جاوزوا منزلته من اهل الطهارة فجعلوه لغير رشدة وقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق معناه
لا تصفوا الله عز وجل الا بالحق والحق ان يقال انه واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد وان يوصف بجميع
صفاته العليا وينزه عن القبائح والنقائص وعن جميع صفات المحدثين وقوله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله معناه ليس المسيح الا رسول الله لان انما يقتضي تحقيق المذكور ونفي ما سواه كقوله تعالى انما الله
اله واحد وكان قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ردا على اليهود والنصارى وفي قوله عيسى ابن مريم بيان انه
لا يجوز ان يكون الها اي كيف يكون الها وهو ابن مريم امة الله وكيف يكون الها وامه قبله والله عز وجل هو
القديم الذي لم يزل وفي قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم ثلثة اوجه احدها ما روي عن الحسن وقتادة
رضي الله عنهما انه كان بكلمة من الله عز وجل وهو قوله كن فيكون فكان لا على سبيل ما اجرى العادة به من حدوث
الولد من الذكر والانثى جميعا والثاني انه يهتدى به كما يهتدى بكلمة الله والثالث ما تقدم من البشارة
به في الكتب المتقدمة التي انزلها الله تعالى على انبيائه وفي قوله عز وجل وروح منه اربعة اقوال احدها ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناها امر من الله عز وجل جاءها جبريل عليه السلام والنفخ لما امره الله
تعالى فنفخ في جيب درعها ودخلت تلك النفخة بطنها فخلق الله تعالى عيسى عليه السلام بنفخة جبريل عليه

السلام والنفخ في اللغة يسمى روحا كما قال ذو الرمة فقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقتته لها
قيتة قدرا اي بنفخك والثاني سماه الله تعالى روحا لانه كان يحيي به الناس والدين كما يحيون
بالارواح والثالث انه روح من الارواح اضافها الله عز وجل الى نفسه تشريفا له كما يقال بيت الله والرابع
انه كالروحانيين وهم الملائكة في الطهر والرفعة وقوله عز وجل فامنوا بالله ورسله معناه
صدقوا بوحدانية الله عز وجل وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا الهتنا ثلثة اب وابن وروح تذهب
انتهوا عن هذه المقالة وتوبوا الى الله عز وجل هو خير لكم من الاصرار على الكفر وقوله عز وجل انما الله اله واحد
معناه ما الله الا اله واحد سبحانه ان يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء اي تنزيها له عن ان يكون له ولد له
ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه وفي قبضته ويستحيل ان يكون المملوك ابنا للمالك
اي لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذه الاية قوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا ويجوز ان يكون قوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض بيان ان احتياج
الولد لتشييد الفاعل بفعله وذلك لا يجوز وقوله عز وجل وكفى بالله وكيلا معناه اكتفوا بربوبيته
وكفايته ووكالته فلا ولد ولا شريك سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله عز وجل لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في وفد نجران اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فناظروه في عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا لا تقل
هكذا فان عيسى عليه يانف من هذا القول فنزلت تكذيبا لقولهم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله اي
لن يانف ولن يتعظم عن الاقرار بعبودية الله تعالى واصل الاستنكاف في اللغة ماخوذ من قولك نكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك من خديك ويقال بحر منكوف اذا كان نزيرا فعلى هذا يكون معنى
يستنكف لن يمتنع ولن ينقبض من عبودية الله تعالى وقوله عز وجل ولا الملائكة المقربون معناه ولن يستنكف
الملائكة المقربون عن عبوديته وانما خص الملائكة المقربين بعد عيسى لان النصارى كانت تقول في عيسى
انه ابن الله وبنو مليح كانوا يقولون الملائكة بنات الله فرد الله عز وجل على الفريقين جميعا وقال الحسن معنى
الاية لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الذين هم افضل من المسيح عبدا لله وكان
يستدل على ان الملائكة افضل من الادميين بهذه الاية وبقوله عز وجل لا يعصون الله ما امرهم و
قوله عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا من يانف ويمتنع من توحيده وطاعته ويتعظم عن الايمان به ولا يأتمر بامره
ويستكبر فسيجمعهم اليه جميعا المستنكف والمستكبر والمقر المطيع الى مجازاة الله عز وجل لان الحشر
لا يكون الا للخلايق كلهم ثم فصل الله جزاء كل فقال عز وجل فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا
اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا معناه اما الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم فيوفر عليهم جزاء اعمالهم في الجنة ويزيدهم
من عطاياه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين انفوا وامتنعوا وتعظموا
وامتنعوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فيعذبهم عذابا اليما وجيعا ولا يجدون لانفسهم
سوى الله قريبا ينفعهم ولا مانعا يمنعهم من النار قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا خطاب للناس كلهم بان قد جاءكم برهان من ربكم وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الله برهانا لظهور معجزاته وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا

الألوكة www.alukah.net

مبينا معناه انزلنا اليكم القران وسماه نورا مبينا لان النور هو الذي يبين الاشيا حتى ترى والقران
يبين الاشيا كلها يعرفون من يوالون ومن يعادون وما يحلون وما يحرمون وما ياخذون وما يعطون
قوله عز وجل فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم بالله
اليه صراطا مستقيما معناه فاما الذين صدقوا بوحدانية الله عز وجل وتمسكوا بدينه وكتابه
وسالوا العصمة منه عن معاصيه فسيدخلهم رحمة في الاخرة في جنته والكرامات التي اعد الله
فيها لاوليائه ويعرفهم في الدنيا سبيل الهدى وهو الاسلام ويثبتهم على ذلك فيدين الاية يهديهم في الدنيا
ويرحمهم في الاخرة ولم يذكر اضداد المعتصمين بالله لدلالة الحال قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم
يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
نزلت هذه الاية في جابر بن عبد الله حين جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اخوات فما لي
من ميراثهن فانزل الله هذه الاية ومعناها ويسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم الله عز
وجل في الكلالة قل الله يفتيكم يبين لكم حكم الكلالة وقد تقدم تفسير الكلالة في اول هذه السورة
وقوله عز وجل ان امرؤ هلك معناه ان هلك امرؤ كما قلنا وان امراة خافت من بعلها وقوله عز وجل وله
اخت اراد به الاخت من الاب والام او من الاب لانه جل ذكره ذكر حكم الاخت من الام في قوله عز وجل وان
كان رجل يورث كلالة على ما سبق ذكره وقوله عز وجل فلها نصف ما ترك معناه للاخت من الاب والام
نصف ما ترك الميت من المال وما بقي فللعصبة وان لم يكن للميت اخت لاب وام وله اخت لاب فالاخت
من الاب تقوم مقام الاخت من الاب والام وان كان للميت اخت لاب وام واخت لاب فللاخت
من الاب والام النصف وللاخت من الاب السدس تكملة الثلثين وما بقي فللعصبة وظاهر هذه الاية
يقتضي ان الاخت لا ترث مع الابنة وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الا ان سائر الصحابة جعلوا
الاخت من الاب والام او من الاب عصبة مع البنات وتاولوا الاية على قولهم ان في الاية بيان حكم ميراث
الاخت ان لم يكن للميت ولد وليس فيها نفي ميراثها ان كان له ذلك الا ترى ان الاخ يرث مع الابنة وقد قال
الله عز وجل وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقوله عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الميت
وحكم الثلث من الاخوات حكم الثنتين كما في البنات وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونساء معناه
ان كانت الورثة اخوة من اب وام او من اب ذكورا واناثا فللذكر مثل نصيب الانثيين لكل اخ سهمان ولكل
اخت سهم يبين الله لكم قسمة المواريث لئلا تخطئوا في قسمتها وقد يحذف لا في الكلام ويراد ثباتها كما
في قوله عز وجل والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ويقال في القسم والله ابرح قاعدا اي لا ابرح ويذكر لا ويراد
طرحها كما في قوله لا اقسم وقوله عز وجل ما منعك الا تسجد وذهب البصريون الى ان معنى قوله ان تضلوا
كراهة ان تضلوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في قوله عز وجل واسال القرية وقال الفرا
موضعه نصب بنزع الخافض وقوله تعالى والله بكل شيء عليم ظاهر المعنى وفائدة ذكره هاهنا بيان
كونه عالما بما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم يبين لهم كل ما يحتاجون اليه
على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة النسا اعطي من الاجر كمن اشترى ذا رحم فاعتقه وبرئ من الشرك وكان في مشية
الله عز وجل من الذين يتجاوز عنهم وبالله التوفيق سورة المائدة مدنية الا قوله عز وجل سورة المائدة
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فان هاتين الايتين نزلتا بمكة بعد الفتح

وحكمها

سورة المائدة

وحكمها حكم المدينة لانها نزلت بعد الهجرة وعدد ايات هذه السورة مائة وعشرون اية عند
الكوفيين واثنان وعشرون عند الحجازيين وثلث وعشرون اية عند البصريين بسم الله الرحمن الرحيم
سورة المائدة ١٧٦ يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى هذه الاية
يا ايها الذين صدقوا بالله ورسوله اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم او حرم عليكم وفي
رواية اخرى ان معناها اتموا العقود التي بينكم وبين المشركين لا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم و
هكذا روي عن الضحاك وقتادة وابن جريج وجماعة من المفسرين وعن الحسن رضي الله عنه ان معناها اوفوا
بعقود الدين يعني اوامر الله عز وجل ونواهيه قال وكل امر وكل نهي عقد ويقال معناها اوفوا بالعقود
التي تعقدونها على انفسكم من نذر او يمين ويقال بالعقود التي يعقدها بعضكم على بعض على ما يوجبه
الدين نحو عقد البيع والاجارة والنكاح والشركات ولا تنافي بين هذه الاقوال لان كل هذه العقود مما
يجب الوفاء بها وحقيقة العقد الجمع بين الشيئين بما يعسر حل احدهما عن الاخر ومنه العقدة يقال
عقدت الحبل اذا شددت بعضه الى بعض والعقد اوكد من العهد يقال عهدت الى فلان كذا
اي الزمته ذلك واذا قلت عاقدته او عقدت عليه فتاويله الزمته ذلك باستيثاق والوفا والايفا
القيام بما يوجبه العقد على شروطه واما قوله احلت لكم بهيمة الانعام فمعناه رخصت لكم الانعام
نفسها واضاف البهيمة الى الانعام كما يقال مسجد الجامع وباب الحديد ونفس الانسان والانعام في اللغة
تشتمل على الابل والبقر والغنم كما قال الله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا الى ان قال ثمانية ازواج
من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى ان قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويدل على ذلك قوله تعالى
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم ذكر بعد الانعام الخيل والبغال والحمير
فقال عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فدل على ان اسم الانعام لا يتناول هذه الاشيا الثلثة
واسم البهيمة في اللغة يتناول كل حي لا يميز لاستبهام علمه اي استغلاقه ويقال دخلت في هذه الاية اباحة الظبا الجواب ه
وبقر الوحش وحمار الوحش لانها تعرف بالتمييز من الاهلية وهذا ما استثنى الله الصيد في حالة الاحرام في اخر
هذه الاية حيث قال غير محلي الصيد وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد معناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في
هذه السورة من الميتة والدم والموقوذة والمتردية وغيرها وموضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثنا ويجوز ان يكون
موضعه رفعا كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا معناه غير الله وقوله عز وجل غير محلي الصيد نصب
على الحال من الكاف التي في قوله احل لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي غير ان تستحلوا كما يقال جا زيد
راكبا وجاء غير راكب ويقال هو نصب من قوله اوفوا كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي غير ان
تستحلوا قتل الصيد وانتم محرمون اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احل لكم وحرمه عليكم غير
محلي الصيد وانتم محرمون وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد معناه يقضي على عباده بما يشاء من التحريم والتحليل
على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وهو اعرف بصلاح خلقه وبما يصلحهم قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب
اختلف المفسرون في الشعائر قال عبد الله بن عباس اراد به المناسك كلها لا تستحلوا مخالفة شيء منها
ولا تتجاوزوا مواقيت الحرم غير محرمين حقوقها قال وذلك ان الانصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة
وكان اهل مكة لا يخرجون الى عرفة فامر الله تعالى ان لا يتركوا شيئا من امور المناسك وقال الحسن رضي الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنه شعائر الله دين الله اي لا تحلوا اي دين الله تعالى ما لا يحله الله عز وجل ويقال هي حدود الله في فرايض الشرع والشعاير في اللغة المعالم والشعيرة هي كل ما جعل علما لطاعة الله عز وجل والاشعار الاعلام ومنه اشعار البدن ومنه المشعر الحرام وقوله تعالى ولا الشهر الحرام واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم كلها وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم الا انه ذكر باسم الجنس كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر اراد به جنس الانسان ولذلك استثنى المطيع بقوله تعالى الا الذين امنوا وكان الواجب في ابتداء الاسلام ان لا يحاربوا في الاشهر الحرم كما قال الله عز وجل قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وعلى هذا كانت العرب ثم نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم واما قوله سبحانه ولا الهدي فمعناه لا تحلوا الهدي لا تذبحوه قبل محله ولا تنتفعوا به بعد ان جعلتموه لله ولا تمنعوه ان يبلغ البيت والهدي اسم لما اهدي الى مكة كما قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة وواحد الهدي هدية مثل جدي وجدية وقوله عز وجل ولا القلائد معناه لا تحلوا القلائد التي تكون في اعناق الهدايا اي تقطعوها قبل الذبح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها وخطامها ولا تعط الجزار منها شيئا ويقال عنى بالقلائد ذوات القلائد كانه عز وجل بين ان الهدايا المقلدة وغير المقلدة حرام وذلك انهم كانوا يقلدون البدن وهي الابل والبقر والغنم ولا يقلدون الغنم وقوله عز وجل ولا امين البيت الحرام معناه ولا تستحلوا القتل والغارة على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية وردت في شريح بن ضبيعة اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال انت محمد النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال الى ما تدعو اليه قال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امرا ارجع اليهم واستامرهم فان قبلوا قبلت ثم انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح لاهل المدينة فاستاقها واتى بها الى اليمامة ثم خرج بعد ذلك نحو مكة بعد تجارة عظيمة في حجاج بكر بن وائل من اهل اليمامة وهم مشركون وكانت العرب تغير في الجاهلية بعضهم على بعض فاذا كانت الاشهر الحرم امن الناس بعضهم بعضا فاذا سافر احدهم في غير الاشهر الحرم نحو مكة قلد هديه بالشعر والوبر ومن لم يكن معه هدي قلد راحلته ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يامنون بذلك فاذا رجعوا من مكة جعلوا شيئا من لحاء شجر الحرم في عنق الراحلة فيامنوا بذلك فلما سمع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بخروج شريح واصحابه من اهل اليمامة الى مكة اراد اهل السرح من اهل المدينة ان يغيروا على شريح واصحابه فاستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله يبتغون فضلا في موضع نصب على الحال معناه قاصدين طالبين رزقا بالتجارة ورضوانا اي رضى من الله تعالى قال الحسن رضي الله عنه معنى رضوانا اي يرضى الله عنهم فيصلح لهم معيشتهم ويصرف عنهم العقوبات في الدنيا اذ كانوا لا يقرون بالبعث ويجوز ان الله عز وجل انما ذكر قوله ورضوانا لانه قال امين البيت الحرام على الاطلاق ولم يتعرض لذكر الكفر من يرجون في مواضع ان الله لا يرضى عن القوم الكافرين ثم نسخ الله بعد ذلك حرمة تعرض المشركين بقوله قاتلوا المشركين كافة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا ومعناه اذا احللتم من احرامكم فاصطادوا في الحلال ان شئتم وهذا اللفظ امر ومعناه الاباحة لان الامر اذا تعقب النهي كان معناه رفع الحظر كما في قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقد مضت السنة ان من رمى جمرة العقبة يوم النحر فقد حل له الصيد والطيب وكل شيء الا النساء فاذا طاف بالبيت طواف الزيارة حلت له النساء وقوله عز وجل ولا يجرمنكم

وتصدقوا بها بعد الذبح

شنان

شنان قوم معناه لا يحملنكم ويقال لا يكسبنكم يقال فلان جريمة قومه اي كاسبهم ومن قرا شنان بتحريك النون فهو مصدر مثل الغليان والطيران ونحو ذلك يقال شنئته شنانا اي ابغضته فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم بان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على ان تظلموهم وتجاوزوا الحد في المكافاة وموضع ان تعتدوا نصب لانه مفعول وان صدوكم مفعول له كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم لصدهم اياكم ومن قرا شنان بتسكين النون جعله اسما مثل العطشان والسكران فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم وعداوة قوم ومن قرا ان صدوكم بالكسر جعله شرطا والنصب اجود لان الصد كان وقع من الكفار قبل نزول هذه السورة واما قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى معناه تحاثوا وتعاونوا على الطاعة وترك المعصية قال ابو العالية البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه فظاهره يقتضي وجوب المعاونة على الطاعة والتعاون تفاعل من المعونة وظاهر الامر على الوجوب وقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان معناه لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم وقوله تعالى واتقوا الله معناه اخشوا الله واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه شديد وانما ذكر الله سبحانه العظة في اول هذه السورة لانه جل ذكره اراد ان يذكر في هذه السورة وايضا من الاوامر والنواهي فابتدا بالعظة ليكون الخطاب الطف والامر احمد والتكليف انجع كما ابتدا في اول سورة النساء بالعظة قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم معنى الاية والله اعلم حرم الله تعالى عليكم الميتة اي لا تحل ولا تحرم سواه والميتة اسم لكل ذي روح فارقه الروح حتف انفه والمراد بالدم الدم المسفوح كانوا يجعلون الدم في المباعر ويشوونها وياكلونها ودخول الالف واللام في الدم دليل ان المراد به الدم المسفوح الذي حرمه الله تعالى باية اخرى وهي قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او دما مسفوحا لان الالف واللام للمعهود وقوله عز وجل ولحم الخنزير معناه وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه بخلاف ما يوكل لحمه من الحيوانات وفائدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وسائر لحوم السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير واعتادوا اكله واولعوا به ما لم يعتادوا اكل غيره وقيل فائدته ان مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة عينه مع حرمة اكله ولحم الخنزير مخصوص بهذا الحكم وذلك ان سائر الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا يفسد الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به معناه وحرم عليكم ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله عز وجل وذلك انهم كانوا يذبحون الذبائح لاصنامهم يتقربون بذبحها اليها فحرم الله عز وجل كل ذبيحة يتقرب بذبحها الى غير الله ولذلك قال الفقهاء ان الذابح لو سمى النبي صلى الله عليه وسلم مع الله عز وجل فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة ولا فرق بين ان يذكر مع اسم الله غيره كائنا من كان وبين ان يسمي عليها غير اسم الله تعالى في ذلك تحرم الذبيحة لانه قد اهل عليها لغير الله وذكر القاضي الامام ابو عاصم العامري محمد بن احمد رحمة الله عن اصحابنا ان سلطانا لو دخل بلدا فذبح الناس الذبائح تقربا اليه بذبحها واراقة دمها لم يحل تناول شيء منها لانه قد اهل بها لغير الله وتقرب بذبحها الى غير الله وكان يفرق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل للضيف يعني ان صاحب الضيف انما يتقرب الى الضيف باللحم دون اراقة الدم الا ترى انه لو ذبح الشاة باسمه وبين يديه ولكن يقربها اليه لم يكن لحم

تحثوا

متقربًا بها اليه فعلم ان التقرب الى الصنم انما يحصل بتقديم اللحم دون اراقة الدم فاما ما يذبح لاجل
الامرا عند دخولهم البلاد انما يتقربون اليهم بالذبح واراقة الدم دون اللحم فان اللحم لا يحمل الى الامرا
ولا يرجع اليهم شي من منافعه فلذلك افترق الامران وكان يحكى عن بعض المشايخ ان هذه المسالة
وقعت ببعض بلاد ما وراء النهر فاختلف فيها فقهاؤها فكتبوا الى ائمة بخارى فافتوا بتحريمها واما قوله
عز وجل والمنخنقة فمعناه حرم عليكم اكل لحم المنخنقة وهي التي تختنق بحبل او شبكة او يخنق بعضها
بعضا فتموت من غير ذكاة وقوله عز وجل والموقوذة معناه المضروبة بالخشب حتى تموت يقال
وقذت واوقذت اذا ضربت حتى تشرف على الهلاك ولفظ التحريم مضمر في كل شي من المحرمات
المذكورات في هذه الاية ويتضمن ذلك تحريم ما يعتاد من افعال المكلفين في هذه الاشيا لان
لفظ التحريم اذا اضيف الى الاعيان اريد تحريم ما يعتاد فيها من التصرفات ويدخل في ذلك تحريم
الاكل والبيع والتمليك والانتفاع بها من جميع الوجوه الا ما خصه الدليل ولذلك حمل قوله تعالى حرمت
عليكم امهاتكم على تحريم النكاح دون تحريم غيره اذ النكاح هو التصرف المعتاد في النسا فانصرف
اللفظ اليه واما قوله والمتردية فهي التي تتردى من جبل او سطح او في بير فتموت قبل الذكاة والتردي هو
السقوط ماخوذ من الردى وهو الهلاك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا رميت رميتك من
جبل فلا تاكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام التردي واذا وقعت في ماء فلا تاكل فانك لا تدري
اسهمك قتلها ام الما فصار هذا الكلام اصلا في كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر
والاخر مبيح انه يغلب جهة الحظر على جهة الاباحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام
بين وبينهما امور مشتبهة ودع ما يريبك الى ما لا يريبك الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار
الحلال مخافة الربوا وقوله عز وجل والنطيحة معناه التي تنطح حتى تموت فان لفظ الفعيل قد يكون بمعنى
الفاعل وقد يكون بمعنى المفعول واذا تناطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضا في النطاح فهي حرام لان
وقوله عز وجل وما اكل السبع معناه ما اكل منه السبع وهو فريسته اذا افترس السبع صيدا فاكل
منه لم يوكل الباقي وقوله الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته مما اكل منه السبع فذكيتم فان ذلك
يحل لكم واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة ويحتمل ان يكون قوله الا ما ذكيتم استثناء راجعا
الى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع فانها كلها في الحكم بمعنى واحد وعن الحسن
رضي الله عنه انه كان يقول في هذه الجملة اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها
فذكها وكل وشرط اكثر اهل العلم في اباحة اكلها بالذكاة ان تكون حيا بها وقت الذكاة اكثر
من حيوة المذبوح فان كانت بهذه الصفة اثرت الذكاة في اباحتها والا فلا والذكاة في اللغة تمام الشي
يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والذكا في السن تمام السن وهو النهاية في الشباب ومنه
قولهم جري المذكيات غلاب والذكا في الفهم هو ان يكون فهما تاما سريع القبول واما قوله عز
وجل وما ذبح على النصب فمعناه وحرم عليكم ما ذبح على النصب وهي جمع النصب وهي الحجارة كانوا
ينصبونها فيعبدونها ويعبدون من دون الله ويقربون لها الذبائح والفرق بين النصب والاصنام ان الصنم اسم لما كان
على صورة الانسان والنصب ما لا نقش له ولا صورة ولكنه يعبد والوثن ما كان منقوشا في الحائط لا شخص
له وقوله وان تستقسموا بالازلام معناه وحرم عليكم الاستقسام هو طلب القسم بالازلام وهي القداح
التي كانوا يجيلونها عند العزم على السفر يقتسمون بها لحم الجزور على ما تقدم ذكره في قوله عز وجل يسالونك
عن الخمر والميسر وقال الحسن رضي الله عنه كانوا يحملون السهام فاذا اراد الرجل ان يخرج الى سفر اجال السهم

بدع

بدع وكان مكتوبًا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فان خرج الذي عليه امرني ربي قال قد
امرت بالخروج ولا بد لي من ذلك فيخرج فان كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن
ينقب ظهر بيته منه يدخل ومنه يخرج الى ان يتفق له الخروج وان خرج الذي نهاني ربي قال قد نهيت
عن الخروج ولا ينبغي ما نهى الله عز وجل عن ذلك وعلى هذا يجوز ان يكون معنى الاستقسام طلبهم في
الخروج والجلوس في قسم الرزق والحوائج ويجوز ان يكون معناه طلب القسم وهو اليمين كانوا يلزمون انفسهم
بهذه الازلام ما يلزمونها بالقسم واليمين لا يخالفونها كما لا يخالفون القسم وظاهر هذه الاية يقتضي ان
العمل على قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا او اخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول في علم الغيب
الا الله عز وجل ومعنى الفسق الخروج من الطاعة وقوله ذلكم اشارة الى ما تقدم ذكره من المعاصي
والحرام واما قوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الفتح
يئس الكفار يومئذ من رجوع المسلمين الى دينهم بما ظهر من علو الاسلام والمسلمين على سائر الاديان وقال
بعضهم اراد به يوم حجة الوداع وقال الحسن اراد باليوم جميع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعصره
كما يقال كانت حادثة كذا في يوم فلان ويراد به عصره وزمان مملكته ويقال في المثل السائر يوم لنا
ويوم علينا ويراد به الزمان ويقال كان الناس فيما مضى من الزمان على امر كذا فاما اليوم فعلى خلافه
ويقول الرجل قد تبين لي اليوم من حال فلان خلاف ما علمت ويريد به الحال واما قوله عز وجل فلا تخشوهم
واخشون فمعناه ليكن خوفكم لله وحده دونهم وحول الله عز وجل الخوف الذي كان يلحقكم منهم باظهار
الاسلام ويقال معناه لا تخشوهم باظهار تحريم ما كانوا يستحلونه واسرعوا الى ترك اظهار المحرمات واما قوله
عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفات يوم عرفة والناس وقوف رافعو ايديهم بالدعا وبركت ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الاية قال ولم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام وعاش النبي صلى الله عليه
وسلم بعدها احدى وثمانين يوما ثم قبضه الله عز وجل الى رحمته فقالت اليهود لو نزلت علينا هذه الاية
لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال ابن عباس لقد نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة ومعنى الاية والله
اعلم اليوم اكملت لكم شرايع دينكم من بيان الحلال والحرام وبينت لكم جميع ما كنت اريد ان ابينه
لكم في الازل فاما دين الله عز وجل فلم يزل كاملا لا نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد باكمال الدين اظهاره
على سائر الاديان بالنصرة والغلبة وقوله اليوم نصب على الظرف كما يقال الان وفي هذا الزمان وقوله
عز وجل واتممت عليكم نعمتي معناه اتممت عليكم منتي باظهار الدين حيث لم يحج معكم مشرك ويقال
معناه اتممت لكم الاحكام الى ان بينت كلها نعمة بيان الفرائض ويقال في ادخال الجنة وقوله عز وجل
ورضيت لكم الاسلام دينا معناه اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها دينا فمن دان بالاسلام فقد استحق
ثوابي ورضائي والدين اسم لجميع ما تعبد الله تعالى به خلقه وامرهم بالاقامة عليه وهو الذي امر ان يكون
ذلك عادتهم والذي به يجزون فان الدين في اللغة العادة والدين الجزا وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة
غير متجانف معناه من دعته الضرورة الى اكل شي مما حرم الله تعالى عليه في مجاعة غير مائل الى اثم اي
زايد على ما يسد رمقه فان الله غفور رحيم اباح ذلك رحمة منه وتسهيلا على خلقه والمخمصة مشتق
من الخمص وهو شدة ضمور البطن والمتجانف من الجنف وهو الميل فان قيل ما معنى قوله عز وجل في
اخر هذه الاية غفور رحيم ولا خلاف ان المضطر الى اكل الميتة لا يلحقه الاثم بذلك الاكل قيل معناه
اذا بلغت رافته من عباده ان يغفر لهم معاصيهم وينعم عليهم فكيف لا يرخص لهم في هذا الاكل وقد

اليوم اكملت لكم دينكم

اضطر الى اكل الميتة ونحوها ... بذلك قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما
أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب روى عن ابن عباس انه قال انه لما نزل
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة جاء عدي بن حاتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لنا
كلابا نتصيد بها فتاخذ الظبا والبقر فمنها ما ندرك ذكاته ومنها ما لا ندركه وقد حرم الله
عز وجل الميتة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم اي شي
رخص لهم من الصيد وغيره قل رخص لكم المباحات يقال هذا المال يطيب لفلان ولا يطيب
لفلان اي يحل ولا يحل قال الله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النسا معناه ما حل لكم من
النسا وكل شي لم يات تحريمه في كتاب او سنة فهو من الطيبات وقال بعضهم اراد بالطيبات
المستلذات والمشتهيات وهو عام اريد به غير ما تضمنه الاية المتقدمة تحريمها وقوله وما
علمتم من الجوارح مكلبين معناه واحل لكم صيد ما علمتم فحذف ذكر الصيد لان في الكلام
دليلا عليه والجوارح الكواسب مثل الكلب والفهد والصقر والبازي وسائر ما يصطاد به الصيد
قال الله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم ويقال معنى الجوارح الجارحات بانياب ومخلب
وقوله عز وجل مكلبين معناه اصحاب تعليم الكلاب للاصطياد كما يقال مؤدب اي صاحب
التاديب وقال الحسن معناه مضرين على الصيد والكلب الضرية يقال كلب كلب اي ضري بالناس
ومن قرا مكلبين بنصب اللام فمعناه من الكواسب المعلمين وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم معناه كلوا ما حفظن لكم بعد قتلهن اياه وهو ان لا ياكل الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم
الصيد على صاحبه قال عبد الله بن عباس تعليم الكلب ان يضربه حتى يترك الاكل وتعليم البازي ان
يدعوه فيجيبك ويقال معنى وما علمتم لاباحة الانتفاع بالكلاب وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم لاباحة صيدها وقوله واذكروا اسم الله عليه معناه على الارسال كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله عز وجل فكل وان اكل منه فلا تاكل
فانه انما امسك على نفسه وفي بعض الروايات وان شاركه كلب اخر فلا تاكل انما سميت على
كلبك ولم تسم على كلب غيرك وذهب بعض اهل العلم الى ان معنى الامساك في هذه الاية ان يحفظ
الكلب الصيد حتى يجي صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم وجده صاحبه بعد ذلك ميتا
لم يحل اكله كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما اصميت ودع ما انميت
قيل ان الاصما ما رايت والانما ما توارى عنك واختلف اهل العلم في حد التعليم قال ابو حنيفة رحمه الله
ليس فيه حد موقت وانما يرجع في ذلك الى اهل الصنعة فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك والا
فلا لان الاصطياد للكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس وليس في معرفة كون الانسان بصنعته
متقدما حد يوقف عليه ولكن يرجع في كل صنعة الى اهلها وقال ابو يوسف ومحمد وكثير من الفقها
اذا دعي الكلب ثلاث مرات على الولا فاجاب وارسل فاسترسل واخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما
لان التعليم لا يحصل بالمرة الواحدة ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل الحد الفاصل بين القليل والكثير الثلث التي هي
اقل الجمع الصحيح وما زاد لا غاية له فوجب قصر الحكم على الثلث والله اعلم وذهب بعض المفسرين في معنى
قوله فاذكروا اسم الله عليه ان المراد به التسمية عند الاكل وقوله عز وجل واتقوا الله معناه اخشوا الله
في تناول المحرمات ان الله سريع الحساب فحسابه سريع وحقيقة الحساب في اللغة الاخذ بما لك والاعطا
ما عليك قوله عز وجل اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم

حل

١٧٩

حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن
محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
معناه والله اعلم الان تمم الله لكم بيان الحلالات وهو كل ما لم يذكر في المحرمات وسمى
الحلال طيبا لان الحلال لا يكون الا بهذه الصفة كما ان الحرام لا يكون الا خبيثا ويقال اراد بالطيبات في الاية
المتقدمة غير الاشجار التي لا تكون مالك لها وكل ما يملك بالاخذ بدليل انه عطف عليها الصيد في تلك
الاية واراد بالطيبات في هذه الاية الذبايح وكل ما يستباح بملك اليمين بدليل انه عطف عليه قوله وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم اي ذبايح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد بالطعام ها هنا الذبايح
ان ما سوى الذبايح من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سوا كانت لاهل الكتاب ولغيرهم فبان ان المراد به
الذبايح لان ذبايح غير اهل الكتاب من الكفار لا تحل للمسلمين كما روي عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وقوله
عز وجل وطعامكم حل لهم معناه وذبايحكم حل لهم اي يحل لكم ان تطعموهم وذلك لان الحلال والحرام
والفرايض يعتقد على اهل الشريعة وانما قال هذا للاعلام ليتبين ان حكم الطعام في هذا الباب يخالف حكم النكاح
وفلك وحكم الذبايح بخلاف حكم المناكحة وقوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات قال الحسن رضي الله عنه
المراد به الحراير والعفايف منهن وتقدير الاية واحل لكم نكاح المحصنات من المؤمنات والكتابيات وقد
استدل بعض الفقها بظاهر هذه الاية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز له نكاحهن
بظاهر قوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن وبدليل حل ذبايحهن وانما خص الله عز وجل المحصنات بالاباحة
نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الاية خرجت مخرج الامتنان والمنة في نكاح الحراير العفايف اعظم
والنعمة فيهن اتم يدل ذلك انه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والامة المومنة وان كان في الاية تخصيص
المحصنات من المومنات والافضل لمن اراد النكاح ان لا يعدل عن نكاح الحراير العفايف المومنات مع
القدرة عليهن وان عجز عن نكاحهن فالمختار له ان لا يعدل عن نكاح الحراير الكتابيات مع القدرة عليهن
وذلك ان نكاح الامة يودي الى ارقاق الولد لان الولد يتبع الام في الرق والحرية ولا ينبغي لاحد ان يختار
رق ولده كما لا ينبغي له ان يختار رق نفسه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ايما عبد تزوج حرة فقد
اعتق نصفه يعني ولده وايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه يعني ولده ومن الدليل على ان المراد بالاية
بيان الاختيار قوله اذا اتيتموهن اجورهن ولا خلاف في الامة ان اعطا مهورهن ليس بشرط في جواز
نكاحهن ولكنه امر مستحب مندوب اليه معروف عليه وقوله عز وجل محصنين غير مسافحين معناه
ناكحين غير زانين معلنين بالزنا ولا متخذي صديقات للزنا سرا قال الحسن كان بعض اهل الجاهلية يزني
بكل من وجد من النسا وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويعيب الزنا علانية فبين الله عز وجل
بهذه الاية حرمة الزنا في السر والعلانية وقوله عز وجل ومن يكفر بالايمان روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان الله عز وجل لما رخص للمسلمين في نكاح الكتابيات قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي ديننا لما
لم يحل للمسلمين تزوج نسائنا وقال المسلمون كيف يتزوج الرجل منا المراة من اهل الكتاب وهي كافرة
لا على ديننا فانزل الله عز وجل قوله ومن يكفر بالايمان معناه من يجحد شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال من يجحد بالايمان بهذه الاحكام المذكورة وهذه
الايات فقد بطل ثواب عمله فهو في الاخرة من المغبونين غبن منزله ونفسه وصار الى النار لا يغني
عن الامة الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية كما قال عز وجل
ذكره في اية اخرى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط الى اخر الاية واصل الحبوط في اللغة

ماخوذ من الحبط وهو ان الذي يصيب الابل من كلا يستوخمه ويستوبله ولا يوافقه فينتفخ عند ذلك
بطونها من غير شبع ولا ري ولا سمن لذلك الكافر يظن ان له عملا يستحق به الثواب ولكنه
يبطل عليه ثواب عمله فلا يكون له شي من الثواب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون • روى عن عبد الله بن عباس وزيد بن
اسلم وجماعة من اهل التفسير ان معنى الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانما اضمر ارادة القيام لان
صحة قيام الصلوة بالطهارة فلا يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة ونظيره قوله عز وجل فاذا قرأت
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت قراءة القران ويقال اذا سافرت فاركب و
اذا دخلت على الامير فتأهب يراد به اذا اردت ذلك وظاهر الاية يقتضي ان القيام الى الصلوة يكون سببا
لوجوب الطهارة ولا خلاف بين السلف والخلف ان الطهارة لا تجب بسبب القيام الى الصلوة الا انه روي
عن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما كانا يتوضان عند كل صلاة ويقرآن هذه الاية ويحتمل انهما كانا
يفعلان ذلك ندبا واستحبابا فان تجديد الطهارة لكل صلاة مستحب وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضأ فهو على وضوئه ما لم يحدث وقال لا وضوء الا من حدث فثبت
ان في الاية اضمارا اخر وصار تقدير الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم و
هو نظير قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر
وقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية معناه فحلق فعليه فدية وقال بعضهم معنى
قوله واذا قمتم الى الصلوة فقمتم من نومكم الى الصلوة وقال على هذا ان النوم والاضطجاع حدث يوجب
الوضوء ويقال معناه اذا قمتم من نومكم عند الصباح وقوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم يشتمل على احكام منها
ان الغسل اجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك ام لم يوجد والوجه ما يواجهك من الانسان
وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن وان امر الماء على ظاهر وجهه جاز وان
لم يصل الى اصل شعره ولا يلزمه ايصال الماء الى ما استرسل من شعر اللحية وخرج من حد الوجه لانه لا يحاذي موضعا
لا يجب غسله في الوضوء فلا يجب غسل الشعر الذي يحاذيه كالذوائب وظاهر الاية يقتضي ان المضمضة والاستنشاق
غير واجبين في الوضوء لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن ولا يتعلق بداخل العين بالاجماع واختلف
اهل العلم في تخليل اللحية في الوضوء منهم من لا يامر به ولا يراه سنة ومنهم من يجعله سنة لما روي عن انس رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضأ خلل اصابعه في لحيته كانها اسنان المشط وقوله عز وجل
وايديكم الى المرافق معناه واغسلوا ايديكم مع المرافق هكذا قاله علماؤنا رحمهم الله الا زفر فانه ذهب الى ظاهر الاية
وقال ان حرف الى للغاية والغاية لا تدخل في الحكم كما في قوله عز وجل ثم اتموا الصيام الى الليل وكما يقال بعت منك
من هذا الحد الى هذا الحد فان الحدين لا يدخلان في البيع واما عامة اهل العلم قالوا ان الى تذكر بمعنى مع كما
في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم معناه مع اموالكم ويقال الذود الى الذود ابل اي مع الذود فاذا
احتمل اللفظ الغاية واحتمل معنى المقارنة صار بمعنى المجمل فكان موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روي انه عليه السلام كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه فصار فعله بيانا للمجمل والمجمل
[illegible]ب وقوله عز وجل وامسحوا برءوسكم اختلف اهل العلم في مقدار وجوب المسح ذهب مالك
الى ان مسح جميع الراس واجب وقال ان ظاهر الاية يقتضي الجميع دون البعض لانك اذا قلت مررت بزيد

حمله

حمله لا بعضه وقال اصحابنا رحمهم الله ان الباء قد تذكر ويراد به التبعيض كما يقال اخذت بزمام
الناقة ومسحت براس اليتيم فاذا احتمل اللفظ التبعيض واحتمل الصاق الفعل بالمفعول به كان مجملا
فوجب الرجوع فيه الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه توضأ ومسح على ناصيته والناصية
هي الربع المقدم من الراس ومعلوم بانه كان لا يترك بعض الواجب فثبت ان الفرض مقصور على
على هذا المقدار الا ان الافضل ان يمسح جميع الراس ليخرج عن الفرض بيقين وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه توضأ ومسح جميع راسه واحسن الاقوال اقربها الى الاحتياط واوفقها للكتاب
والسنة واجماع الامة قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فكان
الاحسن والاحوط ان يجتهد المكلف في كل طاعة بفعلها على اختلاف العلماء فيقيم الطاعة
على وجه لا يختلف فيه احد من العلماء والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وهذا النوع من الاحتياط لا يختص بمسح الراس بل يجري في جميع الفرائض والطاعات
وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الواجب في مسح الراس مقدار ما يتناوله الاسم ومن اصحابه من يقدر الفرض ان عم ح
بثلاث شعرات وهذا بعيد لان فعله متعسر وفاعله لا يسمى ماسحا لراسه ولا براسه واختلف اهل
العلم في عدد المسح قال علماؤنا رحمهم الله الافضل ان يمسح جميع راسه مرة واحدة وروي عن الحسن عن ابي
حنيفة رحمه الله ان مسح راسه ثلاث مرات بماء واحد كان سنة وقال الشافعي رحمه الله الافضل
ان يمسح ثلاثا بثلاث مياه واقرب هذه الاقوال الى موافقة الاخبار ما ذكرنا اولا فانه روي عن جماعة
من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح راسه مرة واحدة وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الوضوء ثلث ثلث الا المسح فاما مسح الاذنين فهو سنة بلا خلاف في ذلك بين اهل العلم وانما
اختلفوا في كيفية مسحهما فقال اصحابنا يمسح ظاهرهما وباطنهما مع الراس بماء واحد كما روي في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح براسه واذنيه بماء واحد وفي بعض الروايات ومسح راسه
واسكن سبابتيه اذنيه ثم قال الاذنان من الراس وقال الشافعي رحمه الله هما عضوان منفردان
يمسحا ثلثا بثلث مياه وقال بعض الفقهاء يغسل ظاهرهما وهو ما يلي الوجه مع الوجه ويمسح باطنهما
وهو ما يلي الراس مع الراس واما مسح الرقبة لم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل انه لما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يمسح مقدم راسه ومؤخره وكذلك يفعله الناس وقال بعض
القوم ان المقصود من مسح مؤخر الراس الرقبة وقد ورد في الشواذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيمة واما قوله عز وجل وارجلكم ففيه قراءتان من قرا بفتح اللام
كانت الارجل على هذه القراءة معطوفة على الوجه واليدين فيجب غسلهما ومن قرا بخفض اللام كانت الارجل
معطوفة على الراس والظاهر يقتضي مسحهما الا انه يحتمل ان المراد بذلك المسح على الخفين فان الماسح على
الخفين يسمى ماسحا على الرجلين كما يقال قبل فلان رجل الامير وضرب فلان على رجل فلان ويراد بذلك
الخف ويحتمل ان يكون الارجل معطوفة على الراس في الاعراب منفصلة عنها في الحكم فيكون خفضها
على طريق المجاورة والاتباع كما يقال جحر ضب خرب بخفض الخرب وان كان نعتا للجحر وكما في قوله عز وجل
وحور عين فمعناه وهم حور عين وقد ورد في اشعار العرب ذلك في كثير من المواضع فاذا احتملت
قراءة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع الى فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه داوم على غسل رجليه واتفقت الامة
على فعله ولم ينقل عنه المسح الا شاذا من جهات ضعيفة وروي عنه عليه السلام انه قال خللوا اصابعكم
قبل ان تخللها نار قليل نكباها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للاعقاب من النار وروي عن عمر وجماعة

شبكة الألوكة www.alukah.net

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضأ مرة مرة وغسل رجليه وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة
الا به ثم توضأ مرتين مرتين وقال هذا وضوء من ضاعف الله له الاجر مرتين ثم توضأ ثلثا ثلثا
قال هذا وضوئي ووضوء خليل الله ابراهيم ووضوء الانبياء قبلي فمن زاد وازداد فقد تعدى وظلم
وذهبت الروافض الى ان الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبرا شاذا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه وحملوا قراءة النصب في قوله تعالى وارجلكم على ان معناها
المسح ايضا كما قال الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا ويقال مررت بزيد وعمرا ورادوه
وتقديره ومنهم من خير بين المسح والغسل لاختلاف القرائتين ومعلوم بان الطهارة مما تعم
البلوى به ويحتاج الناس كلهم الى معرفته فلا يجوز الرجوع في ايجابها ونفيها الى اخبار الاحاد
وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال في الاية تقديم وتاخير معناها اغسلوا وجوهكم وايديكم
وارجلكم وامسحوا برؤسكم رواه واصل عنه وفي تفسير الحسن رضي الله وفي الاية دليل على ان المراد بطهارة
الرجلين غسلهما لانه تعالى حد في الرجلين الكعبين كما حد اليدين الى المرفقين والخلاف بين علمائنا
في الكعبين كالخلاف في المرفقين والكعبان هما العظمان الناتيان في جانبي الرجلين ماخوذ من الكعب
وهو النتوء يقال جارية كاعب اذا خرج ثديها وكذلك كعوب الرمح وروى هشام عن محمد ان الكعب
معقد الشراك من القدم والصحيح ان محمدا انما قال ذلك في المحرم انه قال يقطع خفيه اسفل من الكعبين قال
والكعب هاهنا معقد الشراك من الرجل فنقل ابن هشام ذلك الى الطهارة ولا خلاف في الكعب في الوضوء
بين علمائنا الثلثة انه داخل في غسل الرجلين وقوله عز وجل وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان كنتم جنبا
واردتم القيام الى الصلوة فاغتسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل جنب ورجلان جنب وقوم
جنب كما يقال رجل رضى وامراة رضى وقوم رضى وقوله فاطهروا بمعنى التطهر الا ان التاء ادغم
في الطاء لقرب مخرجيهما من طرف اللسان واصول الثنايا العليا اذا ادغمت التاء في الطاء سكن اول
الكلمة من تطهروا فزيدت لها الف الوصل للابتداء ولفظ الاطهار يقتضي تطهير جميع البدن في
الاغتسال من الجنابة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا
البشر وهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المضمضة والاستنشاق واجبان في غسل الجنابة وقوله عز وجل وان
كنتم مرضى يعني مرضا يضركم او غيره فلم تطيقوا غسلها من الاشيا او كنتم مسافرين وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط
معناه او جاء احد منكم من قضاء الحاجة لانه لا خلاف ان المريض والمسافر اذا لم يكونا محدثين لا يلزمهما الوضوء
ولا التيمم وقد يذكر حرف او بمعنى الواو كما في قوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله عز وجل
او لامستم النساء او جامعتم النساء فلم تقدروا على ما تتطهرون به من الجنابة والحدث فاقصدوا ترابا
نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه كما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التيمم ضربتان ضربة للوجه
وضربة لليدين الى المرفقين واختلف اهل العلم في قوله منه قال ابو يوسف معناه التبعيض كانه قال امسحوا
بوجوهكم وايديكم من بعض الصعيد وهو التراب وقال ابو حنيفة ومحمد معنى من هاهنا ابتداء الغاية اي فانقلوا
اليد بعد وضعها على الصعيد الى الوجوه والايدي من غير ان تخللهما ما يوجب الفصل وقوله عز وجل ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات ضيقا في الدين وانما يريد بذلك
تطهيركم من الذنوب والاحداث والجنابة كما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول
قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه ويديه
الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه وان قام الى الصلوة

او على سفر معناه وان كنتم مرضى

صح

رفعه تعالى بها درجة وان قعد قعد سالما وقوله وليتم نعمته عليكم قال الحسن رضي الله عنه بادخال
الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه بجواز التيمم لكم بالتراب في حال عدم الماء لكي تشكروا
نعمة الله عليكم في رخصته لكم وتخفيفه في التكليف عليكم فان قال قائل واذا قرئت الاية بقرائتين والله تعالى
قال بهما او باحدهما قيل ان كان لكل قراءة معنى غير معنى القراءة الاخرى صار القرائتان بمنزلة الايتين وكان
المراد كلاهما فان القرائتان بمعنى واحد فالله عز وجل قال باحدهما ولكن رخص ان يقرا بالقرائتين جميعا والله اعلم
قوله عز وجل وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ معناه واحفظوا انعم الله عليكم وانما ذكر النعم بلفظ النعمة لانه ذهب به
مذهب الجنس يقال الجملة من الماء ماء والجملة من قطع الارض ارض ومثله في اللغة كثير وقوله عز وجل وميثاقه الذي
واثقكم به معناه عهدكم الذي عاهدكم به وقال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما اراد به الميثاق الذي اخذه
الله عز وجل على ذرية آدم عليه السلام حين اخرجهم من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى وقال السدي رحمه
الله اراد بالميثاق هاهنا مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما امر به او نهى عنه في
حالتي العسر واليسر والرضا والكره وهذا القول اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل ذكرهم الميثاق وهم
لا يحفظون الميثاق الذي واثقهم به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام كالذر وقيل اراد بالميثاق
العهد الوثيق الذي اخذه الله عز وجل على جميع عباده في اوامره ونواهيه بسمعهم وقلوبهم واشهدهم على انفسهم
بقول الله عز وجل بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا وقوله عز وجل واتقوا الله معناه واخشوا عقاب الله في نقض
الميثاق ان الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الوفاء والنقض وذات الصدور ما تضمنته
الصدور وهي القلوب ويقال معنى ذات الصدور عليم بمعاني الصدور وانما لم يقل بذوات الصدور ليبين
ان علمه محيط بكل واحد من المعاني على جهة التفصيل قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ معناه والله اعلم كونوا قوامين بامر الله قائلين له مبينين عن دين الله بالحق
والعدل والقوام فعال من القيام وقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم معناه لا يحملنكم بغض الكفار على ترك
العدل فيه مكافاة لما سلف منهم ويقال معناه لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ما له عندكم
من الشهادة ولا عداوة المشهود عليه على اقامة الشهادة عليه بغير حق وقوله اعدلوا معناه اعدلوا في
جميع افعالكم واقوالكم وتصرفاتكم واحوالكم وفيما لكم وفيما عليكم فان العدل اقرب الى التقوى اي هو اقرب
الى التقوى وانه متعين ويقال ان المراد بالتقوى هاهنا الرضا من جهة الله عز وجل ويقال معناه هو
اقرب الى التقوى من عذاب الله عز وجل وقوله تعالى واتقوا الله معناه اجتنبوا عذاب الله تعالى ان الله عليم
بما تعملون من الخير والشر والعدل والجور فيجزي الله تعالى بثواب من عمل بطاعته وعقاب من كفر به قوله تعالى
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ معناه وعد الله الذين صدقوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم هذا تمام الكلام يقال وعدت
الرجل يراد بذلك وعدته خيرا واوعدت الرجل يراد بذلك اوعدته شرا فكان قوله وعد الله دليلا على
وعد الخير ثم فسر ذلك الخير فقال لهم مغفرة اي تكفير وتغطية لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الاخرة
ويجوز ان يكون قوله عز وجل لهم مغفرة في محل النصب وان كان مرفوعا في اللفظ فيكون تقدير الاية وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم مغفرة واجرا عظيما ويجوز ان يكون ذلك في موضع الرفع على
تقدير لهم مغفرة فيما وعدهم واجر عظيم قوله عز وجل وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ معناه الذين جحدوا وكذبوا بدلائل امرنا اولئك اصحاب النار الموقدة والجحيم من

كما سمعه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اسماء جهنم فانما سماهم اصحاب الجحيم لانها تصحبهم ويصحبونها ولفظ المصاحبة يقتضي اللزوم كما
يقال اصحاب العلم واصحاب السلطان وبالله التوفيق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تسعة وعشرين
رجلا سرية الى بني عامر بن صعصعة وامر عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان طريقهم على بني
سليم فنزلوا عليهم بعث بنو وكانوا يومئذ صلحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامر السرية ان ينزلوا على
بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم الى بني عامر واخبروهم بامر القوم وقتلهم فارتحل المسلمون من عند بني
سليم الى عند بني عامر فاضل اربعة منهم بعيرا لهم فاستاذنوا اميرهم ان يطلبوا بعيرهم ثم يلحقون بهم فاذن
لهم فتخلفوا وسار المنذر ومن بقي معه حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا بالسلاح فالتقوا ببئر
معونة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل المنذر ومن معه جميعا فاصبح الاربعة وطلبوا بعيرهم فاصابوه
واتبعوا اصحابهم فلقيتهم امة من بني عامر فقالت من القوم امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
انتم قالوا نعم رجاء ان تسلم قالت فان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الما فقال احد الاربعة ما ترون
قالوا نرى ان نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر قال الحكمي والله لا تعد ثني من عدا
اصحابي ارجعوا فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم من السلم قالوا فامهلنا حتى نتغيب عنك فلم حتى
اذا تغيبوا صعد الجبل واشرف على اصحابه فاذا هم مقتولون واذا المشركون قعود يتغدون فاعد
بسيفه فقاتل حتى قتل ومضى الثلثة المدينة حتى مشوا فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من
المدينة فقالوا لهما من انتما قالا من بني عامر قالوا هذان من الذين قتلوا اخواننا فاقبلوا عليهما
فقتلوهما واخذوا اسلبهما ثم دخلوا المدينة فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام بئسما صنعتم قتلتم رجلين من اهل الميثاق وجاء اوليا القتيلين يطلبون القود فقال صلى
الله عليه وسلم ليس لكم ذلك لان صاحبيكم اعتزيا الى عدونا من بني عامر ولم يعتزيا الى بني سليم
ولكنا نودي اليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله
عنهم اجمعين حتى اتى بني نضير فقال لهم انكم جيراننا وحلفاؤنا وقد تعلمون ما اصابنا من دم
الرجلين من بني سليم وهما من اهل الميثاق ونحن نريد ان نودي ديتهما فاعينونا بها يدا عندكم
نعاونك اليوم فان الايام دول فقالوا مرحبا واهلا يا ابا القسم ولكن اخوانا في النظر لا نقضي امرا دونهم
نعلمهم ذلك ثم ايتنا يوم كذا وقد جمعنا لك الذي تريد فلما كان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فلما كان يوم الميعاد اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فاجلسوهم في صفة ثم خرجوا
يجمعون السلاح وهموا بقتله وقتل اصحابه وكانوا ينتظرون كعب بن الاشرف ان يقدم عليهم من المدينة
فيهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بما يريدون من الكيد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوذن احدا من اصحابه وخرج فقام على
الباب فلما ابطا على اصحابه خرج علي كرم الله وجهه في طلبه فاذا هو قائم بالباب فقال يا رسول الله لقد
ابطات علينا حتى تخوفنا ان يكون قد اغتالك احد قال عليه السلام قد ارادوا ذلك الهم الغشم
وقال لعلي قم مكانك فاذا خرج اليك بعض اصحابك فاخبره بالامر وامره مكانك حتى يخرج اليه اصحابه
فقام علي على الباب فلما ابطا على اصحابه خرج ابو بكر رضي الله عنه فاذا هو بعلي كرم الله وجهه على الباب
فقال له ابطات علينا فاخبره علي كرم الله وجهه بما اخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقامه مقامه
حتى خرج اليه عمر رضي الله عنه ثم لحقوا جميعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود الى رسول الله

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قدورنا تغلي وقد رجعت بغير علمنا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هموا به وعزموا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها يا ايها الذين صدقوا بالله وبكتابه ورسله
احفظوا نعمة الله عليكم اذ قصد قوم وهو بنو قريظة ان يمدوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم بالمنع
من قتلكم واخشوا الله وبالله فليثق المؤمنون في جميع امورهم واحوالهم ومعنى التوكل ان يتمسك المرء
بعبادة الله ويصبر عليها ولا يطلب شيئا الا من جهته ولا يخرج اذا وطئه ما طلبه بل يوطن نفسه على
ان ذلك اصلح له في التدبير وهذا قيل ان التوكل طرح البدن في العبودية مع تعلق القلب بالربوبية قوله
عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم
الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى الاية اخذ الله العهد على بني اسرائيل ان يومنوا به ويجيبوه
ورسله ولا يشركوا به شيئا وبعث منهم اثني عشر ملكا من كل سبط منهم رجلا ليأخذ على قومه ما امرهم
الله به من طاعته وروي عنه رضي الله عنه في رواية اخرى ان معنى النقيب الرسول والامين وهم الذين سلم
موسى عليه السلام القرية الجبارين عيونا فوجدوهم يدخل في كم الواحد اربعة منهم ولا يحمل عنقود عنبهم
الا عشرة منهم او اكثر ويدخل في شق رمانة اذا نزع حبه خمسة انفس واربعة فرجع النقبا كلهم
ونهى كل نقيب سبطه عن القتال الا يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا امراهما بالقتال وعن الحسن
رضي الله عنه ان معنى النقيب الضمين وانما اراد بهذا ان يضمن مراعاة احوالهم ويلم مراسم امورهم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على الانصار ليلة العقبة اثنا عشر نقيبا وفائدة النقبا
القوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة وقد كان في القوم من يحتشم مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم فيما ينوبه ويعرض له من حوائجه فكان النقيب هو الذي يخاطب النبي صلى الله عليه
وسلم في امره ولا يجوز ان يكون معنى النقيب ان يضمن على القوم الوفا بالميثاق لان مثل هذا الضمان
لا يصح ولا يعد النقيب على القيام بذلك والنقيب والعريف نظيران ويقال النقيب فوق العريف و
سمي نقيبا لانه يعرف دخلة امر القوم ومخرجهم يقال نقب الحائط اذا ثقبه والنقب الحجر ورجل
نقاب اذا كان ذكيا فطنا نافذ الفطنة ومنه قولهم نقع الهنا مواضع النقب واما قوله عز
وجل اني معكم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو خطاب للنقبا ومعناه اني حفيظ عليكم في النصر
لكم والدفع عنكم ويقال هو خطاب لجميع بني اسرائيل ضمن الله عز وجل لهم النصر على عدوهم بالشرائط التي
شرطها عليهم بقوله عز وجل لئن اقمتم الصلوة اي ادمتم الصلوة التي افترضها عليكم واعطيتم زكوة اموالكم
وصدقتم برسلي وعظمتموهم ونصرتموهم بالسيف على الاعدا وتصدقتم عن اموالكم ما لم يوجبه الله عليكم
صدقة حسنة وهي ان يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص ولا يشوبها رياء ولا سمعة
ولا يكدرها من ولا اذى لامحصن عنكم ذنوبكم ولادخلنكم بساتين تجري من تحت شجرها
ومساكنها الانهار الاربعة فمن كفر بعد العهد والميثاق منكم فقد اخطا قصد الطريق
وهو طريق الجنة فمن اضله وقع في طريق النار اذ لا طريق سواهما ولا سبيل الا احدهما واصل التعزير
في اللغة المنع يقال عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح والنصر منع الاعدا
والتعظيم منع الذل والهوان فسمي كل واحد من الامرين تعزيرا واما ذكر الصدقة بلفظ القرض
فعلى جهة التلطف في الحث على الصدقة وذلك ان القرض مضمون بالمثل لا بد للمستقرض من رد المثل
حال مطالبة المقرض والله عز وجل يجازي المتصدق على صدقته مجازاة المستقرض على قرضه

المقرض

شبكة الألوكة www.alukah.net

وشبه بعضهم استقراض الله عز وجل بالاب يعطي بعض ولده عطية ثم يستقرض او يستوهب
بعضها فاذا اجابه الى ذلك شكره عليه ومدحه واحبه بسببه لم يستقرض منه قليلا من كثير
فهذا النوع من اللطف لينفعه به في العاجل والآجل اما في العاجل فيبارك له في ماله وينميه كما قال
جل ذكره يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ويدفع عنه وعن اهله وماله بسبب تلك الصدقة انواعا
من البلايا واما في الآجل فيعطيه ثوابا اضعافا مضاعفة من غير ان يكون لله جل ذكره في اعطاء
المتصدق صدقته منفعة ولا في منعه اياها مضرة فسبحانه ما الطفه واكرمه وهو اكرم
الاكرمين وارحم الراحمين قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين. معنى الاية والله اعلم فبنقض اليهود ميثاقهم الذي
اخذ عليهم في التورية ابعدناهم من الرحمة ويقال عذبناهم بالجزية ويقال مسخناهم قردة وخنازير
ودخول ما في الاية صلة زايدة معناها التوكيد وقوله عز وجل وجعلنا قلوبهم قاسية معناه صيرنا
قلوبهم يابسة خالية عن حلاوة الايمان مجازاة لهم على معصيتهم ويقال للرجل الرحيم لين القلب
ولغير الرحيم قاسي القلب والقاسي والقاسح شديد الصلابة وقال بعضهم معنى جعلنا قلوبهم
قاسية حكمنا بانها قاسية لنقضهم الميثاق كما يقال جعل القاضي هذا المال لفلان اي حكم
بذلك له لا انه جعل ما لم يكن له اذ ليس للقاضي ذلك واما قوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه
فتاويله على وجهين احدهما يغيرون تاويله وهذا مما يجوز ان يجتمع الخلق الكثير عليه كما يفعل المشبهة
واهل البدع في تاويل الايات المتشابهة من القران والثاني يغيرون الفاظه ولا يقرؤون على ما هو
عليه في التورية كما اخبر الله عز وجل عنهم من لي السنتهم بالكتاب وهذا مما لا يجوز اجتماع
الخلق الكثير عليه كما لا يجوز تحريف شيء من القران ويجوز من جماعة قليلة ثم يطلع الخلق الكثير اذا لم
يعثروا على ذلك وقوله عز وجل ونسوا حظا مما ذكروا به معناه وتركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم
من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم المحصن الزاني وغير ذلك واصل النسيان الترك
ويقول الرجل نسيت الشيء اذا ترك حفظه وذكره ويقال لما تركوا نصيبا من الكتاب بنوع على
مر الايام سمي ذلك نسيانا كانهم فعلوا فعل الناسي وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة
معناه لا تزال يا محمد صلى الله عليه وسلم تطلع على خيانة ومعصية منهم وفاعلة من اسماء المصادر
مثل عافية وكاذبة وطاغية وخاطية ويقال قمت قائما اي قياما وقد يكون الخائنة من اسماء
الجماعة كما يقال رافض ورافضة فيكون المعنى ولا تزال تطلع على فرقة خائنة منهم مثل كعب و
اصحابه من بني قريظة حين نقضوا العهد وركبوا الى ابي سفيان بمكة في القوم وعاقدوه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق ذكره وقوله عز وجل الا قليلا معناه الا قليلا لم ينقضوا العهد
وهم عبد الله بن سلام واصحابه وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تعاقبهم ان الله يحب
العافين المتجاوزين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وسائر ايات
القتال قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون. وذلك ان الله عز وجل
لما ذكر ميثاق المؤمنين وميثاق اليهود عقبه بذكر ميثاق النصارى في توحيد الله عز وجل والتبري من
الشرك وبيان ان النصارى لم يكونوا بعد اخذ الميثاق احسن معاملة من اليهود فقال عز من قائل
ومن الذين قالوا قال الحسن رضي الله عنه وانما لم يقل ومن النصارى ليدل على انهم هم الذين ابتدعوا

النصرانية

النصرانية وتسموا بها واما معنى اخذ الميثاق فهو ما اخذ الله عز وجل عليهم في الانجيل من العهد المؤكد
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته كما قال جل ذكره في اية اخرى مصدقا لما بين يدي من التورية
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فنسوا حظا مما ذكروا به معناه تركوا نصيبا مما ذكروا به فاغرينا اي
هيجنا بين فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكانية القتال بينهم والعداوة في الدين وذلك
ان الله عز وجل رفع الالفة عن ذات بينهم واخطر ببال كل طائفة منهم ما يوجب النفرة والوحشة
ويهيج الضغينة فهم يتعادون ويتقاتلون الى يوم القيمة واصل الاغراء الالصاق ماخوذ من الغراء وهو
الذي يلصق به يقال غري به يغرى غرى وغراء بالمد والقصر اذا الصق به والعداوة تباعد القلوب
والنيات والبغضاء البغض ثم اوعدهم الله بقوله وسوف ينبئهم الله اي يخبرهم في الاخرة بما كانوا
يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ثم خاطب جل ذكره الفريقين
من اليهود والنصارى فقال عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. قيل ان اضافة اليهود و
النصارى الى الكتاب تعيير لهم كما يقال يا عاقل لم تفعل كذا وكذا فتذكر العقل على معنى التعيير اي انك
لا تعمل عمل العقلاء وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا
مما كنتم تكتمون من نعت الاسلام والنبوة واية الرجم وتحريم الربوا وغير ذلك ويعفوا عن كثير يتجاوز
عن كثير مما كتمتم فلا يخبركم به ولا يعاقبكم عليه يعني فيما لم يؤمر ببيانه ويقال معناه ويعفوا عن كثير
مما اخفيتم اذا تبتم وامنتم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور قيل ان المراد بالنور الرسول صلى الله عليه وسلم
سماه الله نورا لان النور هو الذي يكشف الظلمات ويبين الاشياء ويري الابصار حقيقة كل شيء
والمراد بالكتاب المبين القران يبين الحلال والحرام والامر والنهي قوله عز وجل يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
معناه يرشد الله عز وجل بالقران من قبل الحق ورغب في الاسلام وقوله سبل السلام معناه طريق
السلامة وهو طريق دين الاسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة ويقال السلام هو الله عز وجل
وسبل السلام طريق الله عز وجل التي دعا اليها وقوله عز وجل ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه يخرجهم
من ظلمات الكفر بالتعريف لهم الى نور الايمان بالله عز وجل ومشيته وسمي الايمان نورا لان الانسان
اذا ابصر به طريق نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره وقوله عز وجل ويهديهم الى صراط مستقيم
معناه ويرشدهم الى دين الحق الذي ياخذ صاحبه حتى يوديه الى الجنة قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل نجران وهم المار يعقوبية قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم فقال الله عز وجل قل فمن يملك من الله شيئا اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر ان يدفع
شيئا من عذاب الله ان اراد الله تعالى ان يهلك عيسى بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وهذا احتجاج
من الله عز وجل على النصارى بالآية لانه دفعه لو كان المسيح وامه بشرين ياكلان الطعام ويحتاجان الى ما
يحتاج اليه الناس وقد علموا ضرورة انهما كانا يتغذيان ولم يكونوا شاهدوا كثيرهم ميلاد عيسى وحاله من
الطفولة والشباب والكهولة وقد علموا ان الله تعالى قد اهلك اولئك القوم خلقا كثيرا فلو اراد عز وجل ان
يهلك عيسى وامه للحيلة لما عجزوا عن ذلك شيء ولكان هنالك دافع وكيف يكون الها من لا يقدر على دفع الهلاك
عن نفسه ولا عن غيره وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما معناه ومن كان مالك السموات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والارض لا يوصف بالولادة وقيل من كان له ملك السموات والارض يتعالى عن خلق ولد بلا والد كما قال جل
ذكره يخلق ما يشاء اي كما يشاء باب وبغير اب ولو كان خلق المسيح من غير اب موجبا كونه الها او ابنه لكان
خلق ادم من غير اب ولا ام اولى بذلك لانه اعجب وابدع وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير معناه ان الله على
كل شيء من خلق عيسى وغيره قادر ويقال ان هذا على وجه التهديد اي هو القادر على ان يعاقبكم على هذا
القول ولا تصلح الربوبية الا لقادر على كل شيء ولا يجوز العبادة لاحد دونه فان قيل كيف يكون معنى هذه
الاية والنصارى ينكرون هذه المقالة قيل قد ذكرنا ان طائفة منهم وهم الملكانية واليعقوبية يعتقدون هذه
المقالة ويقولون كان الله الها قديما فصار انسانا محدثا يعني عيسى عليه السلم وجواب اخر ان الذين يقولون
منهم المسيح ابن الله يجعلون الله من جنس المسيح او قالوا ان الله عز وجل اتخذ المسيح ابنا كما اتخذ ابرهيم
خليلا فقد جعلوه الها لزعمهم انه يخلق الاجسام والحيوة وغيرها مما يستحق به العبادة والذين
يقولون ان الله ثالث ثلثة يقولون اصل واحد واقانيم ثلثة اب وابن وروح قدس والمعرفة كل واحد من
هذه الاقانيم بغير الجوهر بل هو هو وهذا يكون قولا بان المسيح هو الله اذا كان المسيح احد الاقانيم وان كان
هولاء ينكرون اطلاق اللفظ بان المسيح هو الله فحكى الله عز وجل عنهم معنى مذهبهم لان المخبر
عن مذهب غيره انما يخبر عن معنى مذهبه وعلى هذا قالت العلما ان النصارى يقولون التثليث لا
بالتوحيد قوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما
بينهما واليه المصير روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من احبار اليهود دخلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الايمان واعذرهم وانذرهم فقالوا نحن ابنا الله واحباؤه فلا يعذبنا
الله عز وجل وكذلك قالت نصارى نجران حين حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب الله عز
وجل واراد بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه نحن من الله بمنزلة الابناء من الاباء وقربنا من الله تعالى كقرب الوالد
لولده ويحب الله لولده ويغضب الله عز وجل علينا كما يغضب الوالد على ولده والوالد اذا سخط على
ولده في وقت يرضى عنه في وقت اخر ويقال انما ارادوا بهذا القول انهم ابنا انبيا الله تعالى واحباؤه
ويقال معناه بنا ابنا الله لان اليهود يقولون عزير ابن الله والنصارى يقولون المسيح ابن الله وهذا
كما يقال هذيل شعرا يراد به ان جنسهم شعرا لان اكثرهم لا يكونون شعرا ويقال انما ادعوا البنوة لان
اليهود يزعمون ان الله عز وجل اوحى الى يعقوب عليه السلم ان ولدك بكري ولدي والنصارى يحكون
قول المسيح اني ذاهب الى ابي وابيكم قال الله عز وجل قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لم عذب الذين من قبلكم
من اليهود والنصارى الذين كانوا امثالكم في الدين فسخهم الله عز وجل في الابنا ويقال معناه ان القوم
كانوا يعترفون بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل اربعين يوما بزعمهم وهل
رايتم والد يحرق ولده بالنار او يمسخ قردة وحيتة وقوله عز وجل بل انتم بشر ممن خلق معناه لستم بابنا
الله ولا باحبائه ولكنكم خلق كسائر الخلق لا فضل لكم على غيركم يغفر لمن يشا ويعذب من يشا يغفر
لمن هداه الله عز وجل للاسلام ويعذب من مات على الكفر والمشية المذكورة في هذه الاية
مشية قدرة على معنى ان الله عز وجل قادر على ذلك كله كما في قوله تعالى ويعذب المنافقين ان
شا او يتوب عليهم وقد ثبت بسائر الايات ان من مات على كفره او نفاقه فهو خارج عن المشية
وكذلك من مات مطيعا لا معصية له او تاب توبة يقبلها فهم خارجون عن المشية وانما اهل
المشية اهل التوحيد الذين يموتون وعليهم معصية لم يتوبوا عنها فهم موقوفون بين فضل الله عز
وجل وعدله كما تقدم ذكره وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله عز

وجل

١٨٤ وجل ولله ملك السموات والارض معناه له القدرة على اهل السموات واهل الارض وله ما بينهما
من الخلق والعجايب وهذه اشارة الى نفي البنوة اذ الابن لا يكون مملوكا لابيه وقوله عز وجل واليه
المصير معناه اليه مرجع من امن ومرجع من لم يومن قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير
معناه يا اهل التورية والانجيل قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الحلال والحرام حين
انقطاع من الرسل ودروس من العلم قال الكلبي رضي الله عنه كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم خمسمائة وتسعة وتسعون سنة وبعد عيسى عليه السلام اربعة من الرسل
في مائة واربعة وثلثين سنة كما قال الله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
قال ولا ادري الرسول الرابع من هو قال وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقوله
تعالى ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير معناه كيلا تقولوا يوم القيمة
ما جاءنا من بشير يبشرنا بالجنة ولا مخوف يخوفنا بالنار فقد جاءكم بشير يبشركم بالجنة ان اطعتموه
ونذير ينذركم بالنار ان عصيتموه والله على كل شيء من ارسال الرسل والثواب والعقاب قدير
اي قادر ويقال معنى ان تقولوا كراهة ان تقولوا والاختلاف في هذا مثل الاختلاف في قوله
عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا وقد سبق ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل واذ قال موسى
لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يوت
احدا من العالمين معناه واذكروا يا اهل الكتاب ما قال موسى لبني اسرائيل احفظوا منة الله عز
وجل عليكم اذ اكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام وانطلقوا معه
الى الجبل اتماما من الله عز وجل بذلك عليهم لان كثرة الاشراف والافاضل في القوم شرف في
فضلهم ولا شرف اعظم من النبوة وقوله جعلكم ملوكا قال الحسن رضي الله عنه احرارا يملكون
امر انفسهم ولا يغلبهم عليه غالب بعد ما كان يملككم القبط في مملكة فرعون وقال
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اراد بقوله عز وجل ملوكا ذوي خدم واهل ومنازل لا يدخل عليكم
فيها الا باذن وقيل ان الملك من يستغني عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق للمعاش ويقال لكثرة
الملوك فيهم فكان ذكرهم زيادة شرف لهم وانعام عليهم وقوله عز وجل واتاكم ما لم يوت
احدا من العالمين معناه اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانكم ويقال اراد بذلك جميع العالمين
فانه عز وجل انزل عليهم المن والسلوى ويظلل عليهم الغمام وينزل عليهم في التيه ثيابا وخفافا لا
تبلى ولا تحرق وتشب مع الصغير ولا تتغير على الكبير ولم يوت جل ذكره هذه النعم احدا قبلهم ولا
يدخل المستقبل في اللفظ لان اللفظ خبر عما مضى ولا يدل ذلك على انه جل ذكره لم يوت امة محمد
صلى الله عليه وسلم من الفضيلة مثل ما اتاهم او اكثر والغرض من هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه
لما اراد ان يكلفهم دخول الارض المقدسة فكان يشق عليهم ذلك قدم جل ذكره تفضيل نعمه
عليهم ليكون ذلك باعثا لهم على امتثال امر الله عز وجل قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين روي عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الاثني عشر نقيبا الذين ارسلهم موسى عليه السلم الى قرية الجبارين جواسيس
لما انتهوا الى مدينتهم اخذوا فاتى بهم الملك ويقال اخذهم عوج بن عنق واحتملهم في كمه
حتى القاهم بين يدي الملك فقيل للملك ان هولاء يزعمون انهم يفتحون مدينتك ويظهرون
عليك قال فطوفوا بهم في المدينة فاروهم اياها فطيف بهم وكانوا يلعبون بهم حتى ان كان

الألوكة www.alukah.net

الرجل منهم لياتي القدح والكوجة والقصعة فيدخل واحد منهم تحتها ثم ردوهم الى
الملك فاراد قتلهم فقالت له امراته ايش تصنع بقتل هولاء ويكفيهم ما راوا من القوم ردوهم
الى اصحابهم يحدثونهم بما راوا فارسلهم الملك وتزودوا بعض عنقود العنب وبعض الرمانة
فلما خرجوا قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بني اسرايل لموسى عليه السلم وقد وعد الله موسى
عليه السلم ان يفتح لهم هذه الارض ولن يخلف الله عز وجل وعده فتعالوا ناخذ بعضنا على بعض
المواثيق ان لا يخبر احد بشي مما راينا غير موسى عليه السلم فان شا اخبر به بني اسرايل وان شا كف (او الاطاعة)
عن ذلك فلما رجعوا قالت العشرة منهم هذا من القوم والرجل الواحد منهم يدخل الجماعة منا
في كمه ولا يدان لنا بهم وقال يوشع وكالوب نحن اعلم من هولاء بالقوم ليس القوم حديث عن
حديثكم وقد ... منكم وفي بعض الروايات ان الاثني عشر نقيبا لم يخبروا ذلك اليوم
احدا منهم الا موسى عليه السلام لم دخلوا بيوتهم جعلت المراة تسال زوجها عما راى فياخذ (بما سار)
عليها المواثيق الا تخبر احدا ثم تخبرها وجعلت المراة ياتيها ابوها واخوها فتاخذ عليهم المواثيق
ثم تخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر في العسكر ولم يخبر يوشع ولا كالوب احدا بشي من امرهم
فجمع موسى عليه السلم بني اسرايل وخطبهم ثم قال يا بني اسرايل اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا الى
قوله فتنقلبوا خاسرين واما قوله عز وجل ادخلوا الارض المقدسة قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما هي ارض بيت المقدس وقال هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وسميت المقدسة لانها
طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبيا صلوات الله عليهم والمومنين وقوله عز وجل
التي كتب الله لكم اي امركم بدخولها وقال وهب الله عز وجل لابيكم ابرهيم وجعلها ميراثا لكم وذلك
ان ابرهيم عليه السلام حين ارتفع على الجبل قيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وهو ميراث لولدك
من بعدك هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا
وراكم وتعصوا عن عدوكم فتنقلبوا خاسرين ... فتنصرفوا مغبونين بعيب الظفر في الدنيا والعقوبة في
الاخرة قوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون معناه قالت بنو اسرايل يا موسى ان فيها قوما جبارين عظاما قال ابن ...
الجبار من الادميين العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد ماخوذ من الاجبار على الامر وهو الاكراه عليه
... العظم اكراهه على الصلاح والجبار ... لان فيه معنى الكرم والجبار من النخل ما فات
اليد طولا لانه كالممتنع مثل الجبار من الناس والجبار صفة مدح الله عز وجل وهو ذم في صفة
غيره لانه يتعظم بالكبر والعظمة لله وحده وقوله عز وجل انا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها معناه انهم قالوا انا لن ندخل هذه الارض حتى يخرج الجبارون منها الى الجانب الاخر
فان يخرجوا منها فانا داخلون حينئذ قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
معناه والله اعلم قال يوشع وكالوب من الاثني عشر الذين ارسلهم موسى عليه السلام الى قرية الجبارين
وكانوا يخافون الجبارين انعم الله عليهما اي هداهما الله تعالى للقول او امر الله عز وجل ومعرفة صدق
وعده ادخلوا عليهم الباب قالا ادخلوا عليهم باب قريتهم اريحا فاذا دخلتم ذلك الباب فانكم
غالبون عليهم انهم اذا راوكم الكثرة قلوبهم وانقطعت ظهورهم فتغلبونهم وعلى الله فتوكلوا
اي بالله فثقوا وفوضوا اموركم اليه ان كنتم مصدقين بوعد الله في الاية شاهد للرجلين اذ لم يمنعهما الخوف
من العدو عن قول الحق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنعن احدكم مخافة

الناس

الناس ان يقول الحق اذا راه او علمه فانه لا يبعد من رزق ولا يدني من اجل وذهب بعض المفسرين رحمهم
الله الى ان معنى قوله عز وجل من الذين يخافون اي كانا من الذين يخافون عذاب الله عز وجل ولذلك قال الله عز
وجل انعم الله عليهما وقيل كان الرجلان من جملة الجبارين الذين كانوا بنو اسرايل يخافونهم ولكنهما كانا على دين
موسى عليه السلام وقرا بعضهم يخافون بضم اليا على ما لم يسم فاعله قوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وذلك ان موسى عليه
السلام لما امرهم من بعد قول الرجلين ان يدخلوا قرية الجبارين قالت له بنو اسرايل بعد تكذيب العشرة
وتصديق الاثنين انا لن ندخلها ابدا ما دام الجبارون فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون منتظرون وقولهم اذهب انت وربك يحتمل معنيين احدهما انهم قالوا على وجه المجاز
يعني وربك معين لك وقيل على وجه المجاز ... عدوا ... المقاتل
المستعلي عليه بالاقتدار وعظم السلطان وكان هذا القول فسقا منهم بامتناعهم من المضي على
امر الله عز وجل والثاني يحتمل انهم عنوا الذهاب ذهاب النقلة وهذا تشبيه وكفر من قائله وهو قريب
الى معنى كلامهم لان كلام الله عز وجل خرج مخرج الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبيان انهم قوم
لم يزل ... قاتلين من الانبيا عليهم السلام من قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل معنى قولهم وربك اي
وسيدك هرون لان هرون كان اكبر سنا منه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد الخروج الى
بعض الغزوات استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في ذلك فقالا انا لا نقول لك مثل ما قال القوم
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقول اذهب فقاتل عدوك وانا معك مقاتلون
وفي بعض الروايات فلا اقعد انت وانا بامرك مقاتلون قوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان موسى عليه السلام
غضب من مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب اني لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي يعني انه لا
يطيعني منهم الا هو فافرق اي افصل واقض بيننا وبين القوم الفاسقين والفرق والفصل والحكم
والقضا نظاير في اللغة وانما سوى بنفسه ما لكه اخيه لطاعة اخيه له لا لان اخاه كان مملوكا
له وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد امن علي بنفسه وذات يده من ابي بكر فبكى
ابو بكر رضي الله وقال انا ومالي الا لك يا رسول الله يعني ان امرك جار علي وفي مالي وقيل ان قول موسى
عليه السلام فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سوالا منه الفرقة في الحقيقة دون القضا وكان دعا
منصرفا الى الاخرة اي ادخلنا الجنة اذا ادخلتهم النار ولم يعن بذلك في الدنيا اذ لو عنى ذلك لاجاب الله
دعاه واهلكهم جميعا لان دعا الانبيا لا يرد من قبل انهم يدعون بامر الله عز وجل وقيل كان هذا دعا
انجعال الدنيا وقد اجاب الله دعاه لانه عاقب قومه بالتيه ولم يكن موسى وهرون عليهما السلام محبوسين
في التيه لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يعذبون قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز في موسى عليه السلام
ان يكون معهم فيها لا حيا ولا ميتا ولا يجوز اذا عذب الله عز وجل قوم نبي الا ان يخرج ذلك النبي ومن امن
معه وقيل ان هذا الدعا كان من موسى عند الغضب لا انه عنى به الحقيقة الا ترى انه ندم على دعائه
وحزن من حرمانهم قرية الجبارين عليهم حزنا شديدا حتى قيل له لا تاس على القوم الفاسقين قوله عز
وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين معناه قال
الله عز وجل فان الارض المقدسة محرمة عليهم اي هم ممنوعون من دخولها اربعين سنة واصل التحريم
المنع قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل والمراد به المنع ومنه قول الشاعر يصف فرسا
جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرو صرعي عليك حرام اي اني فارس لا يمكنك صرعي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال بعضهم اراد بقوله فانها محرمة عليهم تحريم التعبد والتكليف كما في قوله عز وجل حرمت
عليكم الميتة والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لانه عز وجل وصفهم بقوله يتيهون في الارض ومعنى
يتيهون يتحيرون قال عبد الله بن عباس تحيروا في اربعين فراسخ كانوا يسيرون اول النهار فيمسون في
مكانهم ويسيرون من اول الليل فتدور بهم الارض فيصبحون في مكانهم وقال الحسن محى عليهم
السبيل واخفى عليهم الاعلام التي يهتدون بها الى الطريق فلم يستطيعوا الخروج منها وذهب بعضهم
الى ان قوله اربعين سنة منصوب بيتيهون قالوا وكانت الارض المقدسة حراما على اولئك القوم
الذين عصوا الله ابدا ولم يبق منهم احد بعد اربعين سنة انما بقي يوشع بن نون ونشأ الصغار ومات
موسى واخوه هرون عليهما السلام حتى انقضى التيه على ما روي انه هرون كان يغدو الى موسى عليه
السلام ويروح اربعين سنة حتى اذا كان اليوم الذي قبض الله فيه هرون غدا موسى الى هرون عليهما
السلام فقالت بنو اسرائيل ذهب سلطان موسى والحمد لله على ذلك وانطلق موسى عليه السلام وهرون
والعزير بن هرون الى الجبل فكانوا يخرجون من التيه فلما انطلقوا الى الجبل راوا هناك سريرا موضوعا
فقال هرون ما احسن النوم على هذا السرير فقال موسى عليه السلام نم عليه فنام هرون فقبض وهبط
موسى عليه السلام والعزير الى بني اسرائيل وليس معهما هرون عليه السلام فقالت لهما بنو اسرائيل قتلتما
هرون وقالوا لموسى عليه السلام حين ذهب سلطانك كان يختلف اليك اربعين سنة يغدوا
ويروح فلما غدوت اليه يوما واحدا حسدته وقتلته لنقتلنك والعزير اولنا ثيابه (?) ودعا
موسى عليه السلام وقال يا رب ان بني اسرائيل يتهموني في اخي فارحم اياه فنزلت به الملائكة على سريره حتى
راوه ميتا ثم رفع ومات موسى عليه السلام بعد ذلك واستخلف يوشع بن نون فسار بالناس حتى
انتهوا الى مدينة الجبارين وحاصروهم فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضأ يوشع بن نون ثم
صلى ودعا ربه وسأله ان يعجل له ما وعد وكانت الشمس تغرب وليلة السبت لا يقاتل فيها فرد الله عز وجل
الشمس حتى كانت من السماء مقدار صلاة الظهر فجمع يوشع عليه السلام بني اسرائيل وجعل في كل سبط منهم
شبورا وامرهم اذا فرغ من دعائه وصاح بشبوره ان يصيحوا بشبابيرهم ويقولوا باجمعهم امين فلما
يدعون ويؤمنون حتى انهارت المدينة حجرا حجرا فساروا الى اعدائهم فسلموهم حتى ان الثمانين رجلا منهم
ويوشع كانوا يقعدون على الرجل ويحزون راسه فما يطيقونه من عظمه وكان موسى عليه السلام قتل عوج
بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثمانمائة ذراع وكان طول موسى عليه السلام عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع
ووثبته عشرة فوثب عليه فاصاب بعصاه عقبه فخر ميتا وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين
ذراعا وما روي عن مقاتل ان طول كل واحد منهم ستة اذرع ونصف يحتمل انه اراد بذلك
ستة اذرع ونصفا بذراعهم وما سوى الملحدة وطعنهم في القرآن بقوله كيف يجوز ان يتيه عسكر
عظيم في مقدار ستة فراسخ او اكثر ويكون قصدهم الخروج منها ومع عقولهم وصحة
حواسهم ثم لا يجدون الى الخروج سبيلا وان صح ذلك فصور وكيف يتصور ان لا يتهيا اهل
البلاد الذين كانوا حواليهم وتخليصهم او تعريفهم وجه الخروج منها والجواب عنها ظاهر وهو ان
الله سبحانه اذا تولى محو العلامات والقى على بعضها شبه بعض وغير رسوم بعضها وشغل الذين
كانوا حواليها عن امرهم فليس ذلك بمستنكر في قدرة الله عز وجل لانه انتقاض للعادات وزمن الانبياء
صلوات الله عليهم يكون معجزة لموسى مثل ما كان من فلق البحر وتفجير الحجر وانزال المن والسلوى وغير
ذلك ومن نكر مثل هذا كان منكرا اصل قدرة الله عز وجل فيكون الكلام معه في اثبات وحدانية
الله سبحانه وقدرته وبالله التوفيق قوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين معنى الآية

والله

١٨٦ والله اعلم واقرأ يا محمد صلى الله عليه وسلم على قومك خبر ابني آدم لصلبه بالصدق اذ وضعا على الجبل
قربانا والقربان ما يطلب به التقرب الى الله تعالى وهو فعلان من القربة كالفرقان من الفرق وكالكفران
من الكفر وقيل معناه واقرأ على اولاد هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من اهل الكتاب حتى تقر وارسالك (?)
وقوله عز وجل فتقبل من احدهما اي قبل القربان من احدهما ولم يتقبل من الآخر ومعنى القبول ايجاب الثواب
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان حواء كانت تلد في كل بطن اثنين غلاما وجارية فولدت
اول بطن قابيل بن آدم واخته اقليما ثم مكثت سنتين ثم ولدت البطن الثاني هابيل واخته لبوذا فلما
ادركوا امر الله عز وجل آدم عليه السلام ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فذكر آدم
ذلك لامرأته فذكرت ذلك لابنيها فرضي هابيل بالذي امر وسخط قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال
ما امر الله تعالى آدم عليه السلام بهذا قط ولا ازوج هابيل اختي التي ولدت معي فاخبرت حواء آدم
عليه السلام فقال قربا قربانا فايكما تقبل منه تزوجها وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب
حرث فقرب هابيل حملا سمينا من خير غنمه ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلة من شر زرعه فانطلق
آدم عليه السلام الى الجبل فاضمر قابيل في نفسه ما ابالي تقبل الله مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا واضمر
هابيل في نفسه الرضا لله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فاكلت شيئا من
السنبل بعد ما رانت منه ثم اكلت الحمل واللبن والزبد فذلك قوله عز وجل فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الآخر ونزلوا من الجبل وتفرقوا وذهب هابيل الى غنمه وذهب قابيل الى زرعه ثم اتى قابيل هابيل
فقال له لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال لان الله عز وجل تقبل منك قربانك ورد علي قرباني وتنكح
اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال هابيل وما ذنبي
في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الزاكية قلوبهم الذين يخافون على حسناتهم ان لا تقبل ولم يكن
ان ترى لي القلب ورد الله عليك قربانك بخبث نيتك وقيل المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك ويروى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان قابيل كان كافرا وفي اكثر الروايات انه كان رجل سوء قال الحسن
رضي الله عنه كان الرجل اذا اراد ان يقرب القربان تعبد وتاب وتطهر من الذنوب ولبس الثياب البيض
ثم قرب وقام يدعو الله عز وجل فان قبل الله تعالى قربانه جاءت نار فاكلته وذلك علامة القبول
وان لم تجئ نار فذلك علامة الرد ويروى عن الحسن رضي الله عنه ان الآية نزلت في رجلين من بني اسرائيل اذ لم
يكن القربان مشروعا قبل بني اسرائيل قال وفي آخر هذه الآيات دليل على ذلك وهو قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل والقول الاول اظهر واشهر عند عامة المفسرين قوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين معناه قال هابيل لاخيه قابيل
لئن مددت يدك الى القتل ظلما ما انا بالذي امد يدي اليك لاقتلك ظلما قال قابيل ولم ذلك قال هابيل
لاني اخاف الله رب العالمين يعني ان قتلك ظلما وروي عن الحسن ومجاهد رضي الله عنهما انهما قالا لم يكن القتال
مشروعا ولا كان دفع القاتل عن النفس مباحا وانما ورد الشرع بذلك بعد الا ترى ان الله تعالى امر في عباد
العجل ان يقتل بعضهم بعضا وجعل ذلك سبب توبتهم واخذ عليهم ان لا يدفعوا القتل عن انفسهم وقال
عبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان معنى الآية لئن بدأت بقتلي لم ابدأ بقتلك فلا ولم يقتل
قابيل هابيل مجاهرة ولكن قتله غيلة بان القى عليه صخرة وهو نائم فشدخه بها قال الضحاك رضي الله
عنه كان قابيل لا يدري كيف يقتل حتى جاء ابليس لعنه الله وبيده حية فوضعها بين حجرين فرضخ راسها بالحجر
وقابيل ينظر فلما نظر اليه جاء الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة على راسه حتى قتله والمعنى في هذه الآية دلالة
على جواز ترك الدفع عن النفس بقتل من اراد قتله لان دافع القتل عن نفسه لا يسمى فاعلا للاثم ولا مريدا القتل الا ان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التخلص من شر الذي يقصد قتله وان اشتد المدافعة على نفس الذي يريد قتله وهذا بمنزلة رجل تعدى على صدر رجل اخر يريد قتله ان ذلك يرميه عن نفسه قاصدا قتله ولهذا قلنا ان الكفار اذا تترسوا باطفال المسلمين لا يجب على المسلمين الامتناع من قتلهم ورميهم ولكن لا يقصدون بالرمي قتل الاطفال قوله عز وجل **اني اريد ان تبوا باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** معناه قال هابيل لقابيل ان كنت تريد قتلي فلا ترجع عني فاني اريد ان ترجع الى الله تعالى باثم دمي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك والمراد بهذا القول اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك لان المكلف كما لا يجوز ان يريد معصية نفسه لا يجوز ان يريد معصية غيره فثبت ان المراد بهذا عقوبة القتل وقوله عز وجل فتكون من اصحاب النار بذنبك وهكذا عقوبة من لم يرض بحكم الله سبحانه قوله عز وجل **فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين** معناه تابعته نفسه على قتل اخيه فقتله بارض الهند فصار من المغبونين بالوزر والعقوبة قال الكلبي رحمه الله كان قابيل اول من عصى الله تعالى في الارض من ولد ادم عليه السلام وهو اول من يساق الى النار وقال مقاتل كان قبل ذلك تستانس السباع والوحوش والطيور فلما قتل قابيل هابيل اخاه نفروا فلحقت الطيور بالهوى والوحوش بالبرية والسباع بالغياض قال [illegible] شيث بالقلم وذكر الضحاك في تفسيره انه قال لما قتل قابيل هابيل حمله على ظهره ولم يدر كيف يصنع به فمكث سنة ايام يحمل على ظهره لا يدري ماذا يصنع به فبعث الله عز وجل غرابين يقتتلان فقتل احدهما صاحبه ثم احدث حفيرا في الارض واخذ برجل الغراب المقتول والقاه في الحفير وجعل يحثي عليه التراب فذلك قوله عز وجل **فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين** معناه ارسل الله غرابا ويقال بعث الله غرابا يثير التراب على غراب اخر ميت بمنقاره ورجله روي عن عبد الله بن عباس انه لما قتل قابيل هابيل رجع الى اهله قبل ان يدفنه فلما ابطا هابيل على ادم عليه السلام قال يا قابيل اين هابيل قال ما رايته وكاني به ارسل غنمه في زرع فافسدته فهو يخاف ان يجي من اجل ذلك قال ووحشت نفس ادم عليه السلام فبات ليلته تلك حزينا فلما اصبح قابيل ندم على قتله فعاد الى ذلك الموضع فاذا هو بغراب يبحث التراب على غراب ميت ليواريه ويقال بعث الله عز وجل الغراب [illegible] هابيل وكان الغراب يحثي التراب على هابيل ليرى قابيل كيف يواري سواة اخيه اي كيف يغطي عورته وروي في الخبر انه لما قتله سلبه ثيابه وتركه عريانا بالارض القفار ويقال اراد بالسواة جسد المقتول وسماه سواة لانه لما بقي على وجه الارض تغير وانتن والسواة في اللغة عبارة عن كل شي مستكره وهذه الاية تضعف قول الحسن رحمه الله في القاتل والمقتول انهما كانا رجلين من بني اسرائيل لانه لو كان كما قال لكان القاتل يعرف كيفية دفن المقتول فلا يحتاج الى ان يتعلم ذلك من الغراب اذ دفن القتلى والموتى كان معلوما في بني اسرائيل واما قوله عز وجل قال يا ويلتا فمعناه ان قابيل لما ابصر الغراب يبحث في الارض دعا بالويل على نفسه كانه قال يا ايها الويل هذا وقتك وعلى هذا يا ويلتا وقوله يا حسرتا ويا عجبا والويل كلمة تستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة وقوله عز وجل اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب معناه اضعفت في الحيلة ان افعل مثل ما فعل هذا الغراب فاغطي عورة اخي بالتراب بحفر حفيرا فالقاه فيه وواراه فاصبح من النادمين يحتمل ان يكون المراد بندامته ندامة توبة عن جميع ما قال وفعل من معصية ويحتمل انه انما ندم على ترك مواراة عورة اخيه فان كانت الاولى فالله عز وجل تواب رحيم وان كانت الثانية فاثم القتل في عنقه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لو كانت ندامته

على قتله

١٨٧

على قتله لكانت توبة منه وقيل انه انما ندم لانه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده [illegible] وكان ندمه لاجل ذلك لا للتوبة ولو كان ندمه تقربا الى الله تعالى لقبلت توبته وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال قال الله تعالى للقاتل لكن خايفا ابدا الا ترى احدا الا وخفت منه ان يقتلك قال وكان كل من راى قابيل رماه بالحجر فاصر بعض ولده ولدا ورماه بالحجارة حتى قتله ويقال كان على جبل فنطحه ثور فوقع الى سفح الجبل فتفرقت اوصاله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله عز وجل ابني ادم مثلا فخذوا خيرهما ودعوا شرهما وفي تفسير الحسن ان رجلا من بني اسرائيل تعبد زمانا ثم قرب قربانا فاجتمع الناس وقام يدعو ربه فلم تاكل النار القربان فلما ذهب [illegible] الناس عرف انه وجد الله عليه قربانه فشق قميصه ووضع التراب على راسه فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لعبدك ما اصنع بشق قميصك فهلا شققت عن قلبك وبالله التوفيق قوله عز وجل **من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون** معنى الاية والله اعلم من اجل ذلك القتل الذي عرفه بنو اسرائيل واشتهر عندهم فرضنا واوجبنا عليهم في التورية ان من قتل نفسا بغير نفس ويقال معناه من جناية ذلك حصلت هذه الكتابة بالامر جميعا في اللوح المحفوظ ان من قتل نفسا بغير نفس وجب عليه القود او بغير فساد في الارض نحو الشرك وقطع الطريق والزنا بعد الاحصان فكانما قتل الناس جميعا اي يستوجب النار بقتل النفس الواحدة كما يستوجبها من قتل الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن قتل الناس جميعا كان اعظم ذنبا وانه [illegible] والقول الثاني ان عليه ماثم كل قاتل من الناس روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل والقول الثالث ان على الناس كلهم معونة ولي القتيل حتى يقيدوه ويكون كلهم خصم القاتل حتى يقاد منه وقول اخر ان المراد استحقاق القود بقتل النفس الواحدة وقوله عز وجل ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي من استنقذ نفسا من غرق وحرق وما شبهه لا محالة او استنقذها من كفر او ضلالة فاحياها بالنعيم الدايم في الجنة او عفا عن دمها بعد ما وجب عليها القود استوجب الجنة كما يستوجبها من احيا الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن احياها الناس جميعا كان اعظم منزلة في الجنة ويقال يثيب الله عز وجل على احيا النفس الواحدة مثل الذي على احيا الناس جميعا لوفاه اجره ويعاقب الله تعالى القاتل ظلما بما لو عوقب هو به على قتل جميع الناس لكن ذلك عقوبة له ووجه اتصال هذه القصة بما قبلها ان اهل الكتاب كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم في كتمان نعته وصفته في كتابهم فاعلمه الله عز وجل ان الحسد على عمل على جحود الحق الا ترى ان ابن ادم كيف قتل اخاه حسدا فاصبر على حسد اهل الكتاب وعنادهم وعداوتهم ولهذا المعنى [illegible] ذكر الى هذه القصة ذكر اهل الكتاب فقال عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي جاءت بني اسرائيل رسلنا بالاوامر والنواهي والعلامات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعدما جاءتهم الدلايل والمعجزات في الارض لمسرفون مشركون تاركون اوامر الله قوله عز وجل **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن ومن اتى المسلمين منهم فهو امن فمر اناس من بني كنانة يريدون الاسلام باناس من اسلم من قوم هلال ولم يكن هلال شاهدا يومئذ فخرج اصحابه اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام فيهم بهذه الاية ومعناها انما عقاب الذين يحاربون اولياء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسعون في

بلغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الارض الفساد نحو القتل والنهب والتخريب وقطع الطريق ان يقتلوا ان قتلوا احدا ولم ياخذوا المال او يصلبوا مقتولين ان قتلوا واخذوا المال او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكعب ان اخذوا المال ولم يقتلوا احدا او ينفوا من الارض ان اخافوا الطريق ولم يفعلوا فعلا سوى ذلك واختلف المفسرون في النفي فقال بعضهم اراد به الحبس وقال بعضهم اراد به الطلب الدايم حتى لا يستقر بهم مكان ووجه التوفيق بين القولين انهم ان اخذوا بعدما اخافوا الطريق او دعاهم الامام الى السجن حتى يموتوا او يتوبوا وان لم يوجدوا فامر بطلبهم وامر ان ينادى في الناس ان من قبلهم لا سبيل عليه وانما سمي الحبس نفيا لانه يمنع المحبوس من التردد والتصرف في الارض ويكون ذلك بمنزلة النفي من الارض واختلفوا في كيفية الصلب مع القتل قال ابو حنيفة يصلب حيا ليرى الناس ويروه فيكون ذلك زيادة عقوبة له ثم يبعج بطنه برمح يطعن في خاصرته او يطعن في لبته حتى يموت وقال ابو يوسف والشافعي رحمهما الله يقتل ثم يصلب وقوله عز وجل ذلك لهم خزي في الدنيا اي ذلك القصاص فيهم فضيحة لهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما كانوا فيه في الدنيا وهذا التاويل الذي ذكرنا في هذه الاية قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ترتيب حد قطاع الطريق وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رحمه الله ان اخذ قطاع الطريق المال وقتلوا فقطعت ايديهم وارجلهم من خلاف ثم قتلوا وتاويل الاية على قوله جزاؤهم ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان قتلوا واخافوا الطريق بفعلهم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال ولم يقتلوا وقال مقاتل نزلت هذه الاية في قوم من عرينة قدموا المدينة فاستوخموها وعظمت بطونهم واصفرت وجوههم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا ذلك وصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي كرم الله وجهه في طلبهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل الله عز وجل هذه الاية فصارت عامة في قطاع الطريق ناسخة لسمل العين وفي تفسير الحسن رضي الله عنه ان الاية نزلت في المشركين اذا ظهر عليهم الامام قبل ان تضع الحرب اوزارها فاخذهم او طائفة منهم كان بالخيار فيهم ان شاء ضرب اعناقهم وان شاء صلبهم وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وتركهم حتى ماتوا وكان الحسن رضي الله عنه يستدل بنظام الاية ان حرف او تقتضي التخيير كما في كفارة اليمين ومخالفة عامة المفسرين وهذا وقالوا ان هذه عقوبات علقت بجنايات لها ترتيب في الايجاب مثل ذلك العقوبة وقوله عز وجل **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم** استثناء من قوله عز وجل ان يقتلوا او يصلبوا معناه الا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل ان يقدر السلطان عليهم فاعلموا ان الله تعالى كثير الستر على عباده رحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دليل ان المراد باول الاية الاولى قطاع الطريق دون المشركين لان الله تعالى لم يقبل التوبة منهم قبل ان يقدر عليهم ومعلوم ان توبة الكفار قبل القدرة عليهم وبعد القدرة عليهم سواء في زوال العذاب عنهم كما قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويدل على صحة هذا القول ان الله تعالى قال في اول الاية الذين يحاربون الله ويسعون في الارض فسادا ومعلوم ان قتل الكافر لا يتعلق بسعيه في الارض الفساد وانما يستحق القتل بنفس الكفر وانما تؤثر توبة قطاع الطريق قبل القدرة عليهم في الحدود التي هي حق الله عز وجل لا تقام عليهم اذا جاءوا تائبين بعد التوبة وانما حقوق الادميين من الاموال والقصاص في النفس والاطراف فاصحاب الحقوق ان شاءوا اخذوا حقوقهم وان شاءوا عفوا ولو عفوا عنهم قبل توبتهم لم يسقط عنهم حد قطاع الطريق والله الموفق وقوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون** معنى الاية والله اعلم يا ايها الذين امنوا اخشوا عذاب الله واحذروا معاصيه واطلبوا اليه القربة بالاعمال الصالحة وجاهدوا اعداء الله عز وجل في طاعته لكي تظفروا بعدوكم

في الدنيا

في الدنيا وتنجوا من النار في العقبى قوله عز وجل **ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم** في الاية بيان ان الله قطع طمع الكفار عن التخلص من عقاب الاخرة يقول لو ماتوا على الكفر وكان لهم ما في الارض جميعا من الاموال الذاهبة وضعفه معه ليفتدوا به انفسهم من عذاب الله عز وجل ما تقبل ذلك الفداء منهم لو فادوا ولهم عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل **يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** قال عبد الله بن عباس في معنى الاية اراد به الكفار اذا اصابهم وجدهم طلب الرجال ان يردوا الى مكان اخر اهون عليه مما هو فيه ويقال كلما رفعتهم النار بلهبها تمنوا ان يخرجوا منها يقول الله عز وجل وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع قوله عز وجل **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في طعمة بن ابيرق سارق الدرع وقد سبق ذكره ثم صارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والسارق من الرجال والسارقة من النساء فاقطعوا ايديهما يعني ايمانهما هكذا تاوله ابن عباس رضي الله عنهما وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وقرا بعضهم والسارق والسارقة بالنصب على معنى اقطعوا السارق والسارقة ايديهما كما تقول زيدا اضربه فنصب زيدا لوقوع الفعل عليه والقراءة المختارة الرفع لان القطع يقع على الايدي لا على السارق قال المبرد ليس القصد من الاية الى واحد بعينه وانما معنى الاية من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك زيدا اضربه وعلى هذا وجه الرفع في قوله تعالى الزانية والزاني وقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وتقدير الاية ان فيما يتلى عليكم ويشرع لكم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وانما ذكر الايدي بلفظ الجمع الصحيح واراد بذلك ايمانهما وهما يمينان وكذلك في قوله فقد صغت قلوبكما لان ما كان في الشيء منه واحد ثم ثني لفظ به على الجمع والاضافة الى الاثنين تبين ان المراد التثنية دون الجمع لانك اذا قلت شبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط يدل عليه ان اصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد الا ان التثنية لا يحتاج في سائر المواضع لحاجة المعرفة الى الفصل بين الجماعة والاثنين ولا حاجة الى التمييز في اضافة الشيئين الى الاثنين وان ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز قال الشاعر ظهراهما مثل ظهور الترسين فجاء بالتثنية والجمع في بيت واحد فان قيل لاي معنى قدم الله جل ذكره السارق على السارقة وقد قدم ذكر الزانية على الزاني قيل لان السرقة في الرجال اكثر والنساء المتبذلات للرجال بالتعرض لهم اكثر ولو لزمت المراة بيتها كما امر الله تعالى وراقبت الله تعالى لم تقع هي ولا الرجال في الزنا واما قوله عز وجل في هذه الاية جزاء بما كسبا فمعناه عقوبة لهما على ما عملا وانما انتصب جزاء لانه مفعول له كانه قال فاقطعوهما لجزاء فعلهما وقوله تعالى نكالا من الله معناه عقوبة وفضيحة من الله تعالى والنكال هو ان ينكل به ليعتبر به غيره فينكل ان يفعل مثل ما فعل وقوله تعالى والله عزيز حكيم اي منيع بالنقمة من السارق ذو حكمة فيما حكم من القطع عليه لما في ذلك من زجر السراق وردعهم صيانة لاموال الناس وظاهر الاية يقتضي وجوب القطع على السارق في سرقة الشيء اليسير والكثير وهو قول الخوارج الا انا تركنا ذلك بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في اقل من عشرة دراهم وبه اخذ اصحابنا رحمهم الله واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على اعتبار اصل النصاب في وجوب القطع بالسرقة وانما اختلفوا في المقدار روي عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما مثل قولنا وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا يقطع الخمس الا في خمس وفي رواية اخرى عن علي رضي الله عنه معناه لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لا تقطع الا في ربع دينار وهو قول الشافعي رحمه الله وقال

صدر البيت
ومهمهين قذفين مرتين

شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلثة دراهم وفي قوله تعالى جزاء بما كسبا دليل ان القطع لا يثبت في الشي اليسير قالت عائشة رضي الله عنها كانت اليد لا تقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشي التافه وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في الطعام ولا خلاف بين الصحابة ومن بعدهم من العلماء ان الحرز معتبر في وجوب القطع على السارق حتى لو سرق مالا غير محرز لا قطع عليه وكذلك من سرق من حرز هو ماذون بالدخول او سرق مالا للسارق فيه شبهة لم يجب عليه القطع ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال ادرءوا الحدود بالشبهات وقال صلى الله عليه وسلم لان يخطئ الامام في العفو خير من ان يخطئ في الاصابة ولا خلاف بين العلماء ان السارق اذا سرق اول مرة نصابا كاملا من حرز من غير شبهة قطعت يده اليمنى وانه اذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى وانما اختلفوا في المرة الثالثة والرابعة قال اصحابنا يحبس حتى يموت او يتوب وقال الشافعي رحمه الله تقطع في المرة الثالثة يده اليسرى وفي المرة الرابعة رجله اليمنى وفي المسئلة خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم قوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم معنى الاية والله اعلم من تاب من السرقة من بعد سرقته واصلح العمل فيما بينه وبين ربه فان الله يتجاوز عنه اي لا يواخذه به في الاخرة ولا تقطع يده اذا رد المال قبل المرافعة الى الحاكم ان الله غفور اي متجاوز عن التائب رحيم لمن مات على التوبة وليس في الاية دليل على السارق اذا تاب بعد المرافعة الى الحاكم ان الحد يسقط عنه بالتوبة لان التوبة من الله تعالى على عبده اسقاط الاثم عنه الا انا حملنا هاهنا في اية قطاع الطريق على اسقاط الحد بدليل ان الله تعالى خص التوبة في تلك الاية بما قبل القدرة عليهم والمعنى في ذلك كله انه اذا تاب وهو تحت يد الامام وقد احتمل انه قصد باظهار التوبة اسقاط الحد عن نفسه واحتمل ان توبته توبة حقيقة فلا يصدق واحكام الدنيا بالشك بل يقام عليه ما كان واجبا عليه فان كان توبته حقيقة كان ذلك زيادة درجة له كما ان الله تعالى ابتلى الانبياء والصالحين بالبلايا والمحن والامراض زيادة لهم في درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقة كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مواخذ في الاخرة ان لم يتب قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير معناه الم تعلم يا محمد ان الله تعالى له القدرة على اهل السموات واهل الارض يعذب من يشاء على الذنب الصغير وهو عدل منه ويغفر لمن يشاء الذنب العظيم وهو فضل منه اي يعذب من توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته ومشيته تطابق حكمته وحكمته تطابق مشيته وقيل ان المراد بالاية بيان تمام اقتداره على ما يشاء ترغيبا في وعده وتحذيرا من وعيده ليقف العبد بين الخوف والرجاء يرجو رحمته ويخاف عذابه ولهذا اعقب ذكر التعذيب والمغفرة بالقدرة فقال والله على كل شيء قدير قال مجاهد في معنى الاية يعذب من يشاء من المسلمين وان اظهروا التوبة ويغفر لمن يشاء من المشركين اذا انتهوا واسلموا من حيث كان اخر الامرين على هذا الحد اصلح للفريقين لانه لو بقي الحد على الكافر بعد ما اسلم كان ذلك ابعد من اسلامه وتوبته ولو بقاه على المسلم كان ازجر له عن المعاودة قوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم معناه يا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك فعل الذين يحض بعضهم بعضا في الاقامة على الكفر والحث عليه فانا مانع لا يحزنك نصب الياء فيقال حزنته واحزنته يحزنه ومعناهما واحد قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم معناه من الذين يقولون

بافواههم

١٨٩

بافواههم صدقنا ولم تصدق قلوبهم في السر وهم المنافقون ومن الذين هادوا يقول ومن يهود المدينة الذين هم اهل الصلح للنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده بوعد النصر والظفر واعلام ان المنافقين واليهود لا يضرونه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في ابي لبابة بن عبد المنذر لما استشاره بنو قريظة وهم في حصونهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم عازم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فاشار اليهم بيده لا انه الذبح واشار الى حلقه فانزل الله تعالى هذه الاية قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في قوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب معناه قوالون للكذب واحب الحديث اليهم اكذبه وقوله تعالى سماعون لقوم اخرين اي يقولون لك حديث اهل خيبر الذين لم ياتوك ولا صالحوك وهم رؤساء يهود المدينة عما حدث في اهل خيبر يحرفون اي يغيرون كلام الله تعالى من بعد ان وضعه الله في التورية مواضعه بان وضعوا فيها ما لم يضعه واحلوا حلاله وحرموا حرامه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي رؤساء اليهود لسفلتهم ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بجلد الزاني المحصن فاقبلوا منه واعملوا به وان لم يامركم بالجلد وامركم بالرجم فاحذروا يا موكم عن الرجم ولا تقبلوا قوله قال وذلك ان رجلا وامراة من اهل خيبر وهم حرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنيا وكانا ذوي شرف وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما وفي كتابهم الرجم وكتبوا الى اناس من اليهود فارسلوهما اليهم فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل الذي بيثرب واهل بلده وقد فجر فينا فلان وفلانة فاسالوه عن قضائه فيهما فان افتاكم بالجلد فاجلدوهما وان افتاكم بالرجم فقد تركنا ذلك في التورية وهو احق ان يطاع فسال يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الرجم وقال له ان ابوا ان ياخذوا به فاسالهم عن رجل يقال له ابن صوريا وصفه لهم فاجعله بينك وبينهم فقال لهم عليه السلام لم اجد فيما انزل الله تعالى على ان الزانية والزاني اذا فجرا وقد احصنا وجب عليهما الرجم قالوا نعم واعرض ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على ظهر الارض قال فارسلوا اليه قالوا نعم ففعلوا فاتاهم ابن صوريا فقال له عليه السلام انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال عليه السلام اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم قد رضينا فقال له عليه السلام فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى عليه السلام وفلق لكم البحر ورفع فوقكم الطور وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الذي اتاكم به موسى عليه السلام الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية التورية ان تحرقني او تهلكني ان كذبت وغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف انزل عليك يا محمد قال اذا شهد اربعة انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية هكذا انزل على موسى عليه السلام فقال له قومه ما اسرع ما صدقته ما كنت لما اثنينا عليك باهل وما انت باعلمنا [illegible] فقال خشيت ان كذبته ان ينزل بنا عذاب شديد واشرف بالتورية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين الزانيين وقال اللهم اني اول من احيا سنة اذ اماتوها وذهب بعض المفسرين في قوله سماعون للكذب معناه يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم اذا جالسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقال لهم ان يقولوا سمعنا منه كذا وكذا وقيل معناه مستمعون منك لاهل خيبر اي هؤلاء عيون اولئك الغيب وقيل المعنى سماعون الكذب قابلون للكذب كما يقال لا تسمع من فلان قوله اي لا تقبل منه ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى حمده وفي لفظ السماعين مبالغة ودلالة على ان ذلك عادة وطريقة لهم واما قوله تعالى ومن يرد الله فتنته معناه من يرد الله بليته وقيل عقوبته وفضيحته فلن تقدر يا محمد صلى الله عليه وسلم ان تدفع عنه شيئا منها

شبكة الألوكة www.alukah.net

المراد الله تعالى به واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب اذا ادخلته في النار واستخلصته واستصفيته و
احترق ما كان فيه من الغش فاذا اضيفت الفتنة الى المؤمن اريد بذلك محنته وابتلاؤه بالمصائب والمكاره
ليستخلص من الذنوب ويكون ذلك كفارة له كما ان الصائغ لا يريد بادخال الذهب في النار اهلاك الذهب و
اماتته وانما يريد استخلاصه واستصفاءه فاذا اضيفت الفتنة الى الكافر اريد بها الهلاك والاحتراق لان
الكفار خبث كلهم والخبث لا بد ان يحترق بمنزلة خبث الذهب والفضة وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم من عقوبات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور المؤمنين وطهر قلوبهم
بكتابة الايمان فيها وقال الحسن رضي الله عنه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي لا يبرئ قلوبهم من الكفر وهم
مقيمون على دينهم واعتقادهم وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي اي فضيحة بما اظهر الله تعالى من كذبهم و
قال المراد بالخزي القتل والسبي والجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما يكون في الدنيا قوله عز وجل
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين اول هذه الاية راجع
الى صفة اليهود والمنافقين الذين سبق ذكرهم والفائدة في اعادة وصفهم بسماعين للكذب بيان
انهم استحقوا الخزي والعذاب لاصرارهم على الكذب واستماعه وضمهم الى ذلك اكل السحت و
اختلفوا في المراد بالسحت فقال ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما اراد به الرشوة على الحكم وقال علي وابو
هريرة رضي الله عنهما هو الرشوة على الحكم ومهر البغي وعسب التيس وحلوان الكاهن وثمن الخمر والاستعمال
على المعصية كانهما جعلا السحت اسما لما لا يحل اخذه واصل السحت من الهلاك يقال سحته
واسحته اذا استاصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم بعذاب اي يهلككم وسمي الحرام سحتا لانه يؤدي
الى الهلاك والاستيصال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت من السحت فالنار
اولى به قيل وما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم وعن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنهما
انه قال الرشوة سحت فقلت له في الحكم قال لا ذاك الكفر ثم قرا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون واراد بهذا استحلال الرشوة وجحود الحق والرشوة تنقسم على وجوه منها الرشوة في الحكم
وذلك حرام على الراشي والمرتشي لانه لا يخلو اما ان يرشو ليحكم له الحاكم بحقه فيكون المرتشي اخذا
للاجر على اداء ما هو فرض عليه ويكون الراشي محاكما الى من لا يصلح للحكم ولا ينفذ حكمه واما ان يرشو
ليقضي بالباطل له فيكون الاثم اعظم ويفسق الحاكم من وجهين وكذلك الراشي وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرايش واراد بالرايش الذي يمشي بينهما ومنها
الرشوة في غير الحكم وهي على وجهين كما روي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام في كل شيء قال لا انما يكره
ان يرشي لتعطى ما ليس لك او لتدفع حقا لزمك فاما ان يرشي لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس
عليك وانما الاثم على القابض واما الهدايا للامراء والقضاة فانها مكروهة وان لم يكن للمهدي خصم ولا حكومة
عند الحاكم روي عن ابي حميد الساعدي رضي الله ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ابن اللتبية على الصدقة
فلما رجع قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقال صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام نستعملهم على ما ولانا الله
تعالى فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي هلا جلس في بيت امه فينظر ايهدى له ام لا قال محمد بن الحسن
رحمه الله وهذا الخبر دليل ان القاضي اذا اهدي اليه رجل ممن كان يهدي اليه قبل القضاء وعلم انه لم يهد
اليه لاجل القضاء انه يحل له اخذه كما كان ياخذ من قبل فاما قوله فان جاؤك فاحكم بينهم فقد روي ان
اليهود لما ارادوا ان يهضموا من عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة الزنا تعلقت بنو قريظة
على النضير فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد

ونبينا

ونبينا واحد وكتابنا واحد واذا قتلوا منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم
قتيلا اخذوا منا اربعين ومائة وسق وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فقال عليه السلام دم القرظي
وفاء بدم النضيري فانزل الله عز وجل هذه الاية اي ان جاءك الفريقان كلهم راضين بحكمك فاحكم
بينهم بما انزل الله وان شئت فاعرض عنهم وقال بعضهم الاية في ان جاءك اهل خيبر في حكم الزنا فاقض بينهم
بالرجم في هذه الحادثة التي وقعت لهم وفي نظيرها من الحوادث التي تقع من بعد او اعرض عنهم ولا تحكم فيما بينهم
خيره الله تعالى في ان يحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
الاية وقوله تعالى وان تعرض عنهم معناه وان تعرض عن الحكم والقضاء بينهم لا يضرك غضبهم عليك لاعراضك
عنهم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط معناه اذا قضيت بين اليهود فلا يسوغ لك الا ان تحكم بينهم
بالعدل ان الله يحب العادلين في الحكم قوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم
الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين معناه كيف يرضون بحكمك وعندهم التورية فيها
حكم الرجم والقصاص وغير ذلك ثم يعرضون عن العمل بها من بعد البيان الذي في كتابهم وليسوا بمصدقين
بما عندهم يزعمون انهم يؤمنون بالتورية وهم كاذبون وفي الاية بيان ان هؤلاء اليهود كانوا لا يحكمون
النبي صلى الله عليه وسلم بحكم رضى وانقياد ولكن لطلبهم الرخص واتباع ما لا يقتضيه كتابهم والاهواء
قوله عز وجل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون معنى الاية انا انزلنا التورية
على موسى عليه السلام فيها بيان من الضلالة وضياء لما ابهم يقضي به النبيون الذين اخلصوا وهذه صفة
الانبياء عليهم السلام لان فيهم من لم يخلص كما يقال صلى الله على محمد النبي وعلى اصحابه الطيبين لا يراد بذلك
ان من اصحابه من هو خبيث ومن هو طيب والمراد بالنبيين موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وغيرهم من الانبياء الذين كانوا من وقت موسى عليه السلام الى وقت نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بالنبيين نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان كالنائب عن انبياء بني اسرائيل في ان يحكم في الزنا بينهم بحكم
التورية وقيل معنى اسلموا اي صاروا الى السلامة من فعل اليهود كما يقال اصبح وامسى اي دخل في الصباح
والمساء وقوله تعالى للذين هادوا وفيه ثلثة اقوال احدها ان معناه لليهود والثاني الذين تابوا من
الكفر كما في قوله تعالى انا هدنا اليك والثالث ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديرها ونور للذين
هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وهم العلماء العاملون يربون العلم اي يقومون به
والاحبار ساير العلماء دون الانبياء والربانيين وانما سمي العالم حبرا لكثرة ما يكتب بالحبر وقيل الحبر
من التحبير وهو تحسين العلم وتقبيح الجهل وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله من الرجم وساير
الاحكام وكانوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لعلماء اليهود اي لا تخشوا السفلة والجهال
في اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم واخشوا عقابي في كتمانها ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
اي لا تختاروا عوضا يسيرا من الدنيا وقيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وجماعة المؤمنين اي لا
تخشوا الناس في اقامة الحدود وامضائها على اهلها كائنا من كان واخشوني في ترك اقامتها ولا تختاروا
على الحق شيئا من الدنيا فان الدنيا وما فيها قليل وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله ذهبت الخوارج الى ان
معنى الاية ومن لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه كان كافرا بفعله ذلك اعتقادا كان او غير ذلك وكفروا
بذلك كل من عصى الله بكبيرة او صغيرة فاداهم ذلك الى الضلال والكفر بتكفيرهم الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين بصغاير ذنوبهم واما عامة اهل الاسلام فقالوا ان المراد بهذه الاية من جحد شيئا مما انزل الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

عز وجل مثل ما فعله اليهود من التحريف والتبديل وانكار بعض آيات كتاب الله فاولئك هم الكافرون
او اهل هذه الصفة بمنزلة الكافر بالكتب والرسل كلها يدل على هذا انه لا خلاف ان من لم يقض بعضهم بما انزل
لا يكفر بان لم يحكم لان اكثر الناس بهذه الصفة والحاكم من الناس في كثير حاله لا يحكم فاذا اصطلح الخوارج
ان يرجعوا الى ظاهر اللفظ فيقولوا معناه من لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه
من لم يحكم بصحة ما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا عام في اليهود وغيرهم وقال ان لفظ من في هذا
الموضع ليس للمجازاة ولكنها بمعنى الذي كانه قال والذين لم يحكموا وهم الذين ذكرهم بقوله وكيف يحكمونك هم
الكافرون قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة
له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه في الجراحات التي كانت بين بني قريظة والنضير كان لبني النضير فضل على بني قريظة في العقل والدم
ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله تعالى قوله وكتبنا عليهم اي فرضنا على بني اسرائيل في التورية ان
النفس تقاد بالنفس والعين تفقأ بالعين وكذلك الانف بالانف والاذن والسن وقوله تعالى
والجروح قصاص اي يجري فيها القصاص والقصاص عبارة عن المساواة وقوله تعالى فمن تصدق
به اي من عفى عن مظلمته في الدنيا فهو كفارة الجارح لا يؤخذ بها في الاخرة قال ابن عباس فلما انزل
هذا قال صلى الله عليه وسلم ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم فقالت بنو النضير
والله لا نرضى بقضائك ولا نطيعك ولناخذن بالامر الاول فانزل الله تعالى قوله ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون اي من لم يقر ولم يقض ولم يعمل بما انزل الله فاولئك هم الضارون لانفسهم
بالوزر والعقوبة قال الحسن رضي الله عنه من لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فهو ظالم ظلم الشرك ومن
لم يحكم به لا على وجه الجحود فهو ظالم ظلم الفسق وفي الاية ما يدل على ان هذه الامة متعبدون باحكام
هذه الاية وجميع احكام التورية الا ما قام الدليل على نسخه لان الله تعالى اخبر بهذا الحكم في التورية ولم يبق
لنا حكما خاصا علامة وقال لمن تصدق به فهو كفارة له والظاهر ان قوله فهو كفارة له راجع الى الذي حل
تحت الشرط وهو ولي القتيل اذا عفى كان عفوه كفارة لذنوبه وقال بعضهم معنى المجروح عن الجارح كفارة للمجروح
يكفر الله تعالى عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه وهذا لا يكون الا صفة المسلم فاما الكافر اذا عفى عن قصاص
وجب له لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اصيب بشيء من جسده فتركه فهو كان كفارة له وقال بعض المفسرين معنى الكفارة انه يرد له
بعفو المجروح عقاب مثل هذه الذنوب منه ومما يدل على ان هذه الامة متعبدون بهذه الاية
ما روي ان الربيع بنت النضر لطمت وجه جارية فكسرت سنها فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر
بالقصاص فقال اخوها انس بن النضر اتكسر سن الربيع والذي بعثك بالحق نبيا فقال صلى الله
عليه وسلم كتاب الله القصاص وليس في القران ذكر القصاص في السن الا في هذه الاية
واتفق القراء ان قوله النفس بالنفس منصوب واختلفوا فيما بعده فقرا عاصم وحمزة ونافع كل
ذلك بالنصب على معنى البناء وقرا الكسائي كل ذلك بالرفع على معنى الابتداء ويجوز ان يكون رفعه
على معنى انه عطف على موضع النفس اي قلنا لهم النفس بالنفس وقلنا والعين ماخوذة بالعين وكذلك
العين والانف وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر كل ذلك بالنصب غير قوله والجروح فانهم قرؤوه
بالرفع وقد سبق ذكر احكام القصاص والنفس في قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى
فاما القصاص في الاطراف فانما يجب القصاص في العين اذا ضربها رجل فذهب ضوءها وهي قائمة فانها

تسد

تسد العين الاخرى وتحمى العين التي يجب فيها القصاص من الضارب بثوب او قطن مبلول ويحمى مرآة
وتقرب الى العين التي يجب فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها فاما اذا قلع رجل عين رجل اخر فلا قصاص
في ذلك لتعذر استيفائه على وجه المساواة فانا لو قلعنا عين القالع لم يكن للقلع حد معلوم ينتهي اليه
فيقطع على ذلك القدر الذي قلعه القالع وهذا كمن قطع قطعة لحم من فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب
فيه القصاص واما الانف بالانف فمعناه اذا قطع المارن وهو ما لان من الانف وجب فيه القصاص
فاما اذا قطع الانف من اصله فلا قصاص فيه لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على وجه المساواة كمن قطع يد
اخر من نصف الساعد ويروى عن ابي يوسف ان الانف اذا استوعب ففيه القصاص وكذلك الذكر
واللسان واما الاذن فمعناه اذا استوفيت بالقطع واما قطع بعض الاذن فلا قصاص فيه فاما السن
بالسن فمعناه القلع وكسر البعض اما القلع فيمكن استيفاؤه على وجه المساواة كاليد باليد من المفصل واما
الكسر فانه يبرد مقداره بالمبرد فيستوفى القصاص واما سائر العظام فلا يمكن استيفاؤها على وجه المساواة
ولا يجوز ان يستوفى اليمنى باليسرى ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك لعدم المساواة بينهما ولا يستوفى
عينان بعين واحدة ولا يدان بيد واحدة عند اصحابنا رحمهم الله وفرقوا بين الاطراف والنفس
بمعنى التساوي في الاطراف في البدل شرط في وجوب القصاص الا ترى ان اليد الكاملة السليمة
لا تستوفى باليد الشلاء ولا بناقصة الاصابع لاختلاف اليدين في البدل وهذا المعنى غير معتبر
في النفس الكاملة الاعضاء والجوارح يستوفى بناقصها ويقتل الرجل بالمراة فعلم ان التساوي في
الانفس غير معتبر ولهذا لا يجري القصاص عندنا بين الرجل والمراة في الاطراف ولا بين الحر والعبد لعدم
التساوي بين الطرفين في البدل وكذلك بين العبد والعبد ولا يمكن معرفة التساوي بين اطرافهما
في البدل واما قوله تعالى والجروح قصاص فمعناه والجروح التي لها حد معلوم مثل الموضحة ونحوها
واما ما ليس له حد معلوم لا يمكن معرفة التساوي فيه ففيه الارش دون القصاص قوله عز وجل
وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه
هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين معنى الاية والله اعلم
اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم عيسى بن مريم وجعلناه ممن يقفوهم يقال قفوت اثره اذا اتبعته
وحقيقة التقفية الاتيان بالشيء في قفا غيره وقوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال من
عيسى بن مريم عليه السلام كان مصدقا بالكتاب الذي انزل قبله وهو التورية وقوله تعالى
وآتيناه الانجيل معناه واعطيناه اي اعطيناه ذلك كتابا الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان
للاحكام وقوله الثاني ومصدقا لما بين يديه من التورية نعت الانجيل اي اعطيناه ذلك
كتابا فيه هدى ونور ومصدقا اي وموافقا لما تقدمه من التورية وهدى اي بيانا لبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وموعظة نهيا للذين يتقون المعاصي والكبائر قوله عز
وجل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الفاسقون معناه وليقض اهل الانجيل وهذا جزم بالامر قلنا لهم احكموا بما انزل الله تعالى
في الانجيل قال الكلبي بين الله تعالى حكم الرجم على الزاني المحصن وحكم القصاص في النفس والاطراف
وحكم القطع على السارق في التورية والانجيل وفيما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم وجميع هذه
الكتب يصدق بعضها بعضا كافة وذهب الى ان الله تعالى امر اهل الانجيل في ذلك الزمان ان يحكموا
بما انزل الله فيه لموافقة احكامه احكام القران وقال ان الغرض من هذه الاية بيان ان اهل
كل كتاب لو رجعوا الى كتابهم لحكموا بما فيه لالزمهم اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بيان نعته وصفته ووجوب الايمان به وبكتابه والاصل في قوله تعالى بكسر اللام الآن
الكسرة حذفت استثقالا لها وقرا حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اي اتيناه الانجيل لكي يحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من لم يقض بما انزل الله في كتبه
على رسله فاولئك هم الخارجون عن امر الله تعالى وقد تقدم في ترك حكم الله ان من تركه جاحدا فهو
فاسق فسق الكفر ومن تركه لميله الى احد الخصمين مع اقراره بانه حكم الله وتصديقه فهو
فاسق فسق معصية قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى
الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه وانزلنا اليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران
بالصدق موافقا لما تقدمه من الكتب في التوحيد وبيان الحق من الباطل ومهيمنا عليه اي امينا
ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقران دون ما سواه
ومهيمن مؤمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء ابدلت من الهمزة كما قالوا ارقت الماء وهرقت
واياك وهياك وهيهات وايهات ونظير المهيمن مصيطر وقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله معناه
فاحكم في الزاني والزانية بالرجم ويقال الحكم بين قريظة وبني النضير في الجراحات التي بينهم في التسوية
بين الفريقين ولا تتبع اهواءهم اي لا تعدل بهواهم ومرادهم عما جاءك من الحق وقوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا معناه لكل نبي منكم معشر الانبياء صلوات الله عليهم بينا فرائض وسننا واصل الشرعة من
قوله شرع يشرع شروعا اذا دخل في الامر دخولا والشرعة والشريعة هو المخلص الى الجنة والدرجات كشريعة
الانهار والحياض في الدنيا هو المخلص الى الشرب والاستقاء منها وانما سميت الامور التي تعبد الله بها من
جهة امره شرعة وشريعة لايصالها العاملين بها الى الحيوة الدايمة في النعيم الباقي كما ان شريعة الماء
في الدنيا هي التي يتوصل بها الى الماء الذي فيه الحيوة والمنهاج ماخوذ من نهج ينهج اذا استبان اي امرنا كل امة
بما علمنا ان صلاحهم فيه ويقال ان الشرعة والمنهاج كلاهما الطريق والطريق هاهنا الدين وقد يعبر
عن الشي الواحد بلفظين مختلفين لتاكيد الكلام وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق
المستمر ويقال معنى المنهاج الدلايل الواضحة التي بها يستدل على الفرايض من كتاب وسنة ونحو
وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة معناه لو شاء لجعلكم على امر واحد في دعوة
جميع الانبياء صلوات الله عليهم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم معناه ولكن ليختبركم فيما اعطاكم من الكتب
وفيما امركم به من السنن والشرايع المختلفة فيتبين من يطيع الله ممن يعصيه وقال الحسن رضي الله عنه
اراد بقوله ولو شاء الله مشية القدرة على اجبارهم على القول بالحق كما في قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي بادروا يا امة محمد
صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والاعمال الصالحة قبل الفوت بالموت كما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل
شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وهذا الخبر يتضمن موعظة بليغة يستغني بها
العاقل عن كثير من وعظ الواعظين واما قوله تعالى الى الله مرجعكم معناه اليه مرجع من امن ومن كفر يوم
فيخبركم يوم القيمة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والشريعة قوله عز وجل وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان
تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون معناه انزلنا اليك الكتاب

بالحق

بالحق وبان احكم بين اليهود بما انزل الله من رجم المحصن والقصاص لشريف بالوضيع ولا تعمل
بهواهم في الجلد والرجم واحذرهم ان يستزلوك عن بعض ما بين الله تعالى في كتابه قال ابن عباس ترك م
رضي الله عنهما وذلك ان يهود بني النضير قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا
نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم انك قد عرفت انا احبار اليهود
واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم ولن يخالفونا وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فابى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا
على اسلامهم فنزل قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فان تولوا
معناه ان اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يعاقبهم بالقتل من بني قريظة والجلاء الى الشام في
بني النضير ببعض ذنوبهم اي بما سلف من ذنوبهم وهو جحودهم ارسالك وبعثك في التورية والانجيل
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي خارجون من الطاعة ناقضون العهد قوله عز وجل افحكم الجاهلية
يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون معناه ايطلبون من حكم الزنا والقصاص
وهم اهل الكتاب شيئا لم ينزله الله عليكم كما يفعل اهل الجاهلية واي احد اعدل في الحكم من الله
تعالى وقوله تعالى لقوم يوقنون معناه ان من ايقن تبين له عدل الله وحكمه قوله عز وجل فترى الذين
في قلوبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وذلك انه لما كانت وقعة احد خاف اناس من المسلمين ان يظهر عليهم
الكفار فاراد من كان بينه وبين اليهود والنصارى صحبة ان يتولوهم ويعاقدوهم فنهاهم الله تعالى عن
ذلك ويقال نزلت هذه الاية في المنافقين ومعنى الاية يا ايها الذين تكلموا بكلمة الاسلام لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء في العون والنصرة بعضهم على دين بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم اي اذا
تولاهم لاجل اليهودية والنصرانية كفر كما كفروا مثله فاما اذا تولاهم لا لكفره فهو من جملة المستحقين لعذاب
الله لمخالفته امر الله في موالاة من اوجب الله تعالى عليه ان يعاديه وعن عبد الله بن عباس والحسن رضي
الله عنهما انهما استدلا بهذه الاية على اباحة ذبايح النصارى نصارى بني تغلب مثل نصارى بني اسرايل
وقالا لو لم يكن من نصارى بني تغلب الا تولي النصارى لكانوا منهم لقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه
منهم وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد اليهود والنصارى الى دينه وحجته
ما داموا على كفرهم ويقال معناه لا يهديهم بالمدح لهم والثناء عليهم ولا يلطف بهم كما يلطف
للمومنين ومن الناس من استدل بهذه الاية على من اعتقد من اهل ملتنا اعتقادا يجب تكفيره
بذلك الاعتقاد انه يحل لسائر المومنين ذبيحته كما تحل ذبيحة سائر اليهود قوله عز وجل فترى
الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين وذلك ان المنافقين كانوا يوالون يهود قريظة
ونصارى اهل نجران لانهم كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم فقال المنافقون كيف نقطع
مودة قوم ان اصابتنا سنة واحتجنا اليهم وسعوا علينا في المنازل وعرضوا علينا الثمار الى الاجل
فنزل قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم اي ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين
في قلوبهم شك ونفاق يبادرون الى ولاية الكفار ومعاقدتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة
اي شدة وجدوبة ويقال اراد بهذا القول انهم يخشون ان لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم بل
يدور الامر على هذه الحالة التي هم عليها فيحتاجون الى الكفار يقول الله عز وجل فعسى الله ان ياتي
بالفتح اي عسى ان يظهر المسلمين وعسى من الله واجب وسمي النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق وقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى او امر من عنده معناه او يقضي بالخصب لمحمد صلى الله عليه وسلم باظهار امر المنافقين
فيصبح المنافقون على ما اضمروا في انفسهم من ولاية اليهود والنصارى ومن اليهود والنصارى
اليهم نادمين فلا ينفعهم الندامة حينئذ قوله عز وجل ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين معناه يقول المومنون
المخلصون عندما يظهر الله تعالى نفاق المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا بالله يعنون المنافقين الذين حلفوا
بالله انهم لمعكم على دينكم حبطت اعمالهم بطل ما اظهروه من الايمان والاعمال الصالحة فصاروا
مغبونين في الوزر والعقوبة وقوله تعالى جهد ايمانهم تفسير القسم بالله تعالى فان من يحلف بالله
تعالى فقد بذل جهد يمينه اذ لا يمين اعظم من اليمين بالله تعالى ولا حرمة اعظم من حرمة الله تعالى
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فجاء الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء امر الله تعالى
من عنده باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم و
قال المومنون اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا ثلاث
قراءات احدها بالواو وضم اللام وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي عطفا على قوله فيصبحوا كانه قال
نادمين وقائلا لهم الذين امنوا والثانية بالواو وفتح اللام وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وهكذا كتب
في مصاحف اهل الشام والحجاز بغير واو واما في مصاحف اهل العراق فمكتوب بالواو قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
والله واسع عليم وهذه الاية تهديد لمن لا ثبات له على الايمان قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اسد و
غطفان وناس من كندة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد ابي بكر رضي الله عنه وبقيت ثلثة
مساجد لم يرتد اهلها مكة والمدينة والبحرين فاتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اعز الله تعالى بهم الدين وهم الغازون
من النخع وخمسة الاف من بجيلة وكندة وبذلك سبعة الاف من اهل اليمن وثلثة الاف من افناء الناس فقاتلوا
الذين ارتدوا عن الاسلام وهم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى اذلة على المومنين يلينون لهم جانبهم ليس هذا
من الهوان لهم بل من اللين والرفق كما في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله تعالى اعزة على الكافرين
اشدا اقويا يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الاية قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا
على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى يجاهدون في سبيل الله معناه يقاتلون العدو في طاعة الله ولا يخافون
لومة لايم ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله تعالى يكرم به من يشاء ممن كان اهلا لذلك والله واسع الفضل
والرحمة عليم بمن يصلح للهدى والاصل في قوله تعالى من يرتد من يرتدد وهو قراءة نافع وابن عامر وموضعه جزم
بالشرط الا ان اكثر القراء ادغموا الدال الاولى في الثانية فاسكنوا الاولى ثم حركوا الثانية الى الفتح لالتقاء
الساكنين وفي الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد اخبر الله ان الذين
ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انما قاتلهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد
اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وانهم يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لايم ومعلوم ان من كانت
هذه صفته فهو ولي الله تعالى لم يقاتل المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الا هولاء المذكورون و
اتباعهم قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وهم راكعون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في مسلمي اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوتنا قاصية لا نجد متحدثا
دون هذا المسجد وان قومنا لما راونا صدقنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تركونا ودينهم اظهروا لنا

العداوة وحرموا ان لا يناكحونا ولا يواكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع ان نجالس اصحابك لبعد المنازل
فبينما هم يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس في المسجد يصلون من قايم في الصلوة وساجد
وراكع واذا مسكين يطوف يسال الناس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال هل اعطاك احد
شيا قال نعم قال ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاكه قال ذاك الرجل فاذا هو علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه قال على اي حال اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية على عبد الله بن سلام واصحابه وانسهم بما ابدلهم الله به من ولايته وولاية رسوله صلى الله
عليه وسلم وولاية المومنين ومعنى الاية انما وليكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمومنون
الذين يقيمون الصلوات الخمس بحقوقها ويعطون الصدقة في حال ركوعهم وفي الاية دليل لاباحة العمل
اليسير في الصلوة لان قوله وهم راكعون اخبار عن الحالة التي يقع فيها الصدقة كما يقال تكلم فلان وهو
قايم واعطى فلان وهو قاعد ولو كان المراد بقوله تعالى وهم راكعون وهم يصلون النوافل لكان
تكرارا لما تقدم ذكره في اول الخطاب بقوله الذين يقيمون الصلوة فثبت ان المراد بالاية مدح الصدقة
في حالة الركوع قوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
معناه من يختر طاعة الله وطاعة رسوله ومحبة المومنين فان حزب الله هم الغالبون على جند الشيطان
اي العاقبة للمومنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين وذلك ان اليهود
كانوا اذا اقام بلال الى الاذان يضحكون ويستهزءون ويقولون قام الغراب لا قام واذا اقام المومنون
الى الصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا واذا راوهم ركعا وسجدا استهزءوا بهم وتغامزوا فيما بينهم تنفيرا
للناس عن الصلوة وعن الداعي اليها وذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم استهزاء وسخرية يسخرون منكم
اذا اذن موذنكم ويضحكون من صلاتكم اذا صليتم يعدون ذلك باطلا وفي قوله تعالى والكفار
قراتان النصب والخفض فمن قرا بالنصب فمعناه ولا تتخذوا الكفار اوليا واراد بالكفار مشركي العرب
ومن قرا بالخفض فمعناه من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار وقوله تعالى واتقوا الله معناه واخشوا
الله في ولاية الكافرين ان كنتم مومنين مصدقين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي الهزو ثلث
لغات ضم الزاي مع تحقيق الهمزة واسكان الزاي مع تحقيق الهمزة وضم الزاي مع ابدال الواو من الهمزة
لانضمام ما قبلها وهذه اللغات كلها معروفة وجيدة في اللغة هزا مثل هدى ولكن لا يقرا الا ما صحت
به الرواية قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون
معناه اذا ناديتم الناس الى الصلوة بالاذان والاقامة اتخذوها سخرية واستهزاء وضحكوا باطلا ذلك
الاستهزاء واللعب بانهم قوم لا يعقلون ثواب الله تعالى في اقامة الصلوة ولا عقابه في اضاعتها وقيل
لا يستعملون عقولهم فيما ينفعهم فكانوا بلا عقل وروي ان رجلا من اليهود كان اذا سمع الموذن قال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت
بنار فوقعت شرارة منها في البيت فالتهب البيت واحترق هو واهله واستجيب دعاوه على نفسه وفي
الاية دليل ان للصلوة اذانا يدعى به الناس اليها ونظير هذه الاية قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب
هل تطعنون علينا الا لايماننا بالله والقران ولان اكثركم فاسقون اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال فهل تجدون شيئا
يُعاب علينا الا هذا انما اذا تطعنون وتعيبون وفي اللغة تنقمون بفتح القاف يقال نقمت على الرجل
انقم ونقمت انقم اذا بالغت في كراهة الشيء والاجود نقمت بالفتح قال الله تعالى وما نقموا منهم واما
قوله وان اكثركم فاسقون قال بعضهم اراد بالاكثر كلهم والاكثر الذي يقوم مقام الكل ويقال انما ذكر بلفظ
الاكثر لان الاية خرجت مخرج التلطف للدعا الى الايمان فكان في سابق علم الله تعالى ان فيهم من يسلم
وكان في القوم من لا يطعن بنفسه في دين الاسلام وان كان سكت عن طعن الطاعنين فان قال قايل
كيف يجوز ان يعلم احد ان دينا من الاديان حق ثم يوثر الباطل على الحق فالجواب عنه ان اكثر ما
نشاهده كذلك الا ترى ان الانسان يعلم ان القتل يورث النار ثم يقتل ما لمستحق غيظا او لاخذ
مال وكان ابليس يعلم ان الله تعالى يدخله النار بمعصيته فاثر هذه وعمل على دخول النار وهو ياتي
قوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وذلك ان اليهود قالوا
للمسلمين ما نعلم اهل دين اشقى اقل حظا منكم في الدنيا ولا نرجوا ان تكونوا في الاخرة كذلك فانزل الله عز وجل
هذه الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهولاء اليهود هل اخبركم باسوا من الذين قلتم جزاء عند
الله وقوله تعالى من لعنه الله في موضع رفع على معنى هو من لعنه الله تعالى من رحمته وسخط عليه وهم
اليهود ويجوز ان يكون في موضع خفض بدلا من شر على معنى هل انبئكم بمن لعنه الله وقوله تعالى وجعل
منهم القردة والخنازير معناه مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعايه عليهم حين اعتدوا في
السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد اكلهم من المايدة حين كفروا
بعد ما راوا من المعجزات والايات البينات وروي انه لما نزلت هذه الاية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة
والخنازير فنكسوا روسهم وفضحهم الله واما قوله تعالى وعبد الطاغوت فمعناه ومن عبد الطاغوت
اي بالغ في طاعة الشيطان والكهان ورؤسا المعصية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرا وعُبَّدَ الطاغوت بالتشديد وخفض الطاغوت وهو جمع عابد
كما يقال راكع وركع وساجد وسجد وعابد وعباد على وزن فعال وكفار ويقرا وعبد الطاغوت بجزم
البا على تقدير ومن جعله الله تعالى عبد الطاغوت وقرا بعضهم وعُبُد الطاغوت بضم العين والبا
وهو جمع العبيد كما يقال رغيف ورغف وسرير وسرر وقرا حمزة وعَبُدَ الطاغوت بنصب العين
والدال وضم البا وكسر التا قال ابو عبيدة لم يصح في اللغة ان يقال للجماعة الا عبيد عبد وقيل يحتمل ان يكون
معناه الوحدان كما يقال عَضُد وعَضْد وكُبد وكَبِد وقوله تعالى اولئك شر مكانا معناه اهل هذه
الصفة شر مكانا من الذين امنوا واضل عن قصد الطريق فان قيل كيف يكون معنى قوله للمشركين اولئك شر مكانا
وليس في الايمان شر وضلال قيل تسمية المشركين شر مكانا لا يوجب ان يكون في الاسلام شر ونظيره قوله اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خير في مستقر الكفار ولا في مقيلهم قوله عز وجل
واذا جاوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون واذا
جاءكم المنافقون من اهل الكتاب قالوا امنا بك ونحن نعرف نعتك وصفتك يقول الله عز وجل وقد
دخلوا بالكفر اي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا خرجوا وقوله تعالى وهم للصلة
والتاكيد ويحتمل ان يكون معناه وقد دخلوا عليكم بالكفر وهم الذين قد خرجوا به من عندكم فيكون الخروج
بالكفر معطوفا على الدخول عليه في المرة الثانية وقوله تعالى والله اعلم بما كانوا يكتمون اي هو اعلم بما يضمرون
في قلوبهم من الكفر والنفاق فاعلمكم به واطلعكم عليه قوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون

في

في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون معناه وترى يا محمد صلى الله عليه
وسلم كثيرا من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتداء والظلم واكلهم الرشوة والحرام في
تغيير احكام الله تعالى لبئس شيئا يعملون من المعصية ومجاوزة الحد قوله عز وجل لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون معناه
هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلما الذين هم دونهم عن قول الشرك والكذب على الله تعالى واكل
الحرام والرشوة في الحكم قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ويقال
هو كله في اليهود وقوله تعالى لبئس ما كانوا يصنعون معناه بئس ما يصنع علماؤهم من كتمانهم
الحق وتركهم النهي عن المعصية واما قوله لولا فقد يدخل في الكلام الماضي ومعناه التوبيخ كما في قوله تعالى
لولا جاوا عليه باربعة شهدا وقد يدخل للمستقبل بمعنى الامر كما يقول الرجل هلا تفعل كذا اي لم لا تفعل
فيكون ذلك بمعنى الامر وهي في الاية للاستقبال ومعناها الامر بالنهي وفي الاية بيان ان علما اليهود
علما سوء ليس فيهم رباني ولا حبر الا بالتسمية يخالطون اهل الظلم والمعصية فيداهنون ولا يامرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله ان هذه
الاية من اشد الايات وتخويف من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه كان الله
تعالى بسط عليهم الرزق فكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله
عليه وسلم وبالغوا في تكذيبه كف الله عنهم بعض الذي كان بسط عليهم فعند ذلك قالت اليهود يد الله
مغلولة قالوا على سبيل الهزو ان اله محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارسله ممسكة يده عنا في الرزق لا يبسط
علينا الرزق كما كان يبسط وهذا اللفظ في كلام العرب عبارة عن البخل كما قال الله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق في الخير وجعلوا البخل ويقال هذا اللفظ يتضمن اباحة
الدعا عليهم بالبخل ليكونوا بخلا كقوله تعالى قاتلهم الله واليهود ابخل الناس ولا امة من الامم ابخل
منهم ويقال معنى غلت ايديهم غلت الى اعناقهم في نار جهنم ويقال لا يخرج يهودي من دار الدنيا الا وتصير
يده مغلولة الى عنقه وقوله تعالى ولعنوا بما قالوا اي عذبوا بالجزية وطردوا من رحمة الله تعالى بقولهم
يد الله مغلولة وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن يشا كما يقال فلان
بسيط اليدين وباسط اليدين اذا كان جوادا يعطي يمنة ويسرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ان معنى قوله يداه مبسوطتان اي نعمتاه واراد بذلك نعمة الدين والدنيا ويقال اراد به نعمته
الظاهرة ونعمته الباطنة ويقال اراد النعمة لتكون بالضرا حتى اذا ظهرت المضرة حمدت العاقبة ومنها
ما يكون بالسرا والتوسعة فلا تنقصه لان ظن اليهود انا اذا ضيقنا فذلك خارج عن النعمة كما اذا
وسعنا وقيل ان التثنية في هذا الباب للمبالغة في صفة النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك
قال الاعشى يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف اذا ما ضن بالمال تنفق وهذا كله لان
اليهود قصدوا تبخيل الله تعالى فاجيبوا على قدر كلامهم وفي قوله تعالى ينفق كيف يشا دليل
ان المراد جواب اليهود بيان بسط النعمة وان الله تعالى يرزق كيف يشا بحسب المصالح فربما كان الصلاح
في ان يقتر وربما كان الصلاح في ان يوسع فلا تخلو حكمة من الحكمة وفي الاية ما يدل على بطلان قول من حمل

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاية على اليد التي هي الجارحة لان اليهود لو كانوا ارادوا بقولهم يد الله مغلولة الجارحة لم يكن
قوله ينفق كيف يشاء جوابا لهم وكيف يجوز ان يعتقد احد فيه تعالى انه يفعل بنفسه او بفعله
غيره فثبت ان المراد بالاية بيان الجود والسعة وكثرة العطية على ما تقتضيه المصلحة وذهب بعض المفسرين
الى ان اليهود عنوا بقولهم يد الله مغلولة الفقر كما اخبر الله تعالى عنهم جل ذكره لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير وقال الحسن رضي الله عنه في معنى الاية ان اليهود قالوا يد الله مقبوضة عن عذابنا فلا يعذبنا
الا قدر ما عبدنا العجل فقيل لهم غلت ايديهم اي في النار وقيل بل يداه مبسوطتان اي قدرته بالثواب و
العقاب والغفران والعذاب مبسوطة مطلقة يفعل ما يشاء من المغفرة والرحمة وغيرهما واعلم ان
اليد في اللغة تنصرف الى وجوه منها الجارحة وهي معروفة ومنها النعمة كقولك لفلان علي يد اشكرها عليها
اي نعمة ومنها القوة كما في قوله تعالى اولي الايدي والابصار وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد ومنها الملك
كقوله تعالى بيده عقدة النكاح اي يملكه وقوله تعالى الذي بيده الملك اي بقدرته ومنها الاختصاص الذي ص
بالفعل كما في قوله تعالى خلقت بيدي اي توليت خلقه وفائدته التشريف ومنها التصرف كقولك الدار هذه ص
في يد فلان اي يتصرف فيها بالسكنى والاسكان ويقال فلان اسلم على يدي فلان اي كان سببا في اسلامه ويقول هو ص
الرجل يشكو الحال يدي مقبوضة فلا تنبسط ويقال فلان شديد اليد اي في معنه وجحوده فاذا كانت
اليد في اللغة تنصرف على هذه الوجوه فلا بد من حملها على الوجه الذي هو اقرب الى ظاهر الاية وموافق لتاويل
المفسرين ولو جازت الجارحة على الله تعالى لبطل كونه الها قديما لان الجارحة لا تخلو من حجم وتبعيض وما لم يخل من
الحدث لا يكون قديما ولو جاز في الجوارح المركبة ان يكون قديمة لم يمتنع في كثير من الاجسام ان تكون قديمة ولو
جاز ان يستغني الجوارح المركبة عن مؤلف ومركب لجاز ذلك فينا فكيف يمكن اثبات الصانع مع هذا القول
واما قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك فمعناه ليزيدن القران الذي نزل اليك وما فيه من حكم
الدين ونعت الاسلام وحكم الرجم كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا اي كلما نزل عليك شيء من القران كفروا به فيزيد
كفرهم ونسب الطغيان الى ما انزله لان ذلك سبب لزيادة كفرهم وهذا كالرجل يقول لولده او عبده ما زادك وعظي
الا شرا او نصحي الا فسادا ومعلوم انه ليس يعظه لزيادة الشر وقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء جعلناهم
مختلفين في دينهم متباغضين كما قال جل ذكره تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا
للحرب معناه كلما اجمعوا على قتالكم واعدوا للحرب فرق الله جمعهم واطفا نار مكرهم وخالف بين كلمتهم
والاصل في هذا عادة ايقاد النار عن الاستعداد للحرب لان القبيلة الكبيرة من العرب كانت اذا ارادت حرب
اخرى منها اوقدت النيران على رؤس الجبال والمواضع المرتفعة التي تعم القبيلة رؤيتها فيعلمون انهم قد ندبوا
الى الاستعداد للحرب واما قوله تعالى ويسعون في الارض فسادا فمعناه يجتهدون في دفع الاسلام وقوله
تعالى والله لا يحب المفسدين اي لا يرضى عمل اهل الفساد وبالله التوفيق ۝ قوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ۝ معنى الاية ولو ان اليهود
والنصارى صدقوا بالله وبالقران وتابوا من دين اليهودية والنصرانية لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم
التي كانت في اليهودية والنصرانية ولادخلناهم في الاخرة بساتين ينعمون فيها قوله عز وجل ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة
مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ۝ معناه ولو انهم عملوا بما في التورية والانجيل ولم
يكتموا ما علموا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيهما وعملوا بالقران الذي نزل على كافة الناس لوسعنا عليهم
الرزق بانزال المطر من السماء واخراج النبات والثمار من الارض والشجر وهذا كما يقال فلان في نعيم من قرنه
الى قدمه ويراد بذلك كثرة الخير والاية بيان ان التقى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الامر في الدنيا

والاخرة

والاخرة لان المكلف لا يخلو اما ان يكون له همة الدنيا او همة الاخرة فكيف ما كان فمراده ومقصوده
ووصوله الى نعم الله تعالى متعلق بالتقوى والتوفيق من عند الله تعالى ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و
يرزقه من حيث لا يحتسب واما قوله تعالى منهم امة مقتصدة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه
من اهل الكتاب جماعة عادلة في القول وهم الذين اسلموا منهم وهم ثمانية واربعون رجلا النجاشي واصحابه من
النصارى وبحيرا الراهب واصحابه وسلمان الفارسي واصحابه وجبر مولى لقريش وعبد الله بن سلام واصحابه
وقال بعضهم اراد بالمقتصدة الطائفة التي لم تناصب النبي صلى الله عليه وسلم مناصبة اكثرهم و
الاقرب هو القول الاول لان الظاهر ان الله لا يسمي من كان على شيء من الكفر مقتصدا وقوله تعالى
وكثير منهم ساء ما يعملون معناه كثير من اهل الكتاب بئس الذي عملوه في كتمان نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم كعب بن الاشرف واصحابه بئس هو اعمالهم يوم القيمة قوله
عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وامر له ان يبلغ الناس جميع ما انزل اليه من ربه من القران وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته قال عبد الله بن عباس معناه ان لم تبلغ اية مما انزل اليك او حكما امرت بتبليغه اليهم فكانك
لم تبلغ شيئا من الرسالة اي لا يحصل لك ثواب الموعود على تبليغ الرسالة من قبل ان كتمان اية واحدة
يحبط ثواب ما بلغ من الرسالة ويقال ان في هذه الاية دليلا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان امر بشيء يخاص
تانى قليلا عن تبليغه حذرا وخوفا ان يبتليه الله تعالى بما ابتلى به قبله ابرهيم صلوات الله عليه وسلام
بالنار واسمعيل بالذبح وزكريا ويحيى عليهما السلام بالقتل وكان صلى الله عليه وسلم عازما على فعل ما امر به
مع خوفه فقيل له ان لم تفعل ما امرت به من دعوتهم الى السلام وعيب دينهم فقد بطل جميع ما فعلت من
قبل من التبليغ كانك لم تبلغ شيئا من الرسالة وهكذا قرا بعض القراء رسالاته بلفظ الجمع وقد يذكر الواحدان
ويراد به الجماعة وقوله تعالى والله يعصمك من الناس امان من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيلا
يخاف ولا يحذر وهو دلالة على نبوته كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قالت
اليهود يا محمد صلى الله عليه وسلم انا ذوو عدد وباس فاحذر بان نقتلك وان لم ترجع قتلناك وان
رجعت زودناك واكرمناك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه مائة من المهاجرين والانصار
يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله تعالى
يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله تعالى قد عصمني
من اليهود فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده في اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة
وحيث ما شاء تعصمه الله عز وجل مع كثرة اعدائه وقلة اعوانه فعاش حميدا ومات شهيدا صلى الله
على روحه في الارواح وجسده في الاجساد والذي يدل على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذه الاية ان العاقل المدعي لصدقه لا يخبر بشيء لا يؤمن وقوع المخالفة فيه فلما اخبر صلى الله عليه وسلم
على الاطلاق ان الله يعصمه من الناس ويحفظه وكان كما اخبر ثبت بذلك انه انما علم ذلك بالوحي لان
ما يكون من الامور المستقبلة من علم الغيب والله تعالى لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت انزل الله تعالى هذه الاية بتهمة الكتمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
كيلا يتوهم متوهم انه كتم شيئا من الوحي للتقية والخوف واما قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
معناه لا يرشدهم الى دينه وحجته ولا يوفق من كان مقيما على الكفر وقيل لا يهديهم الى طريق الجنة في الاخرة وقيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net